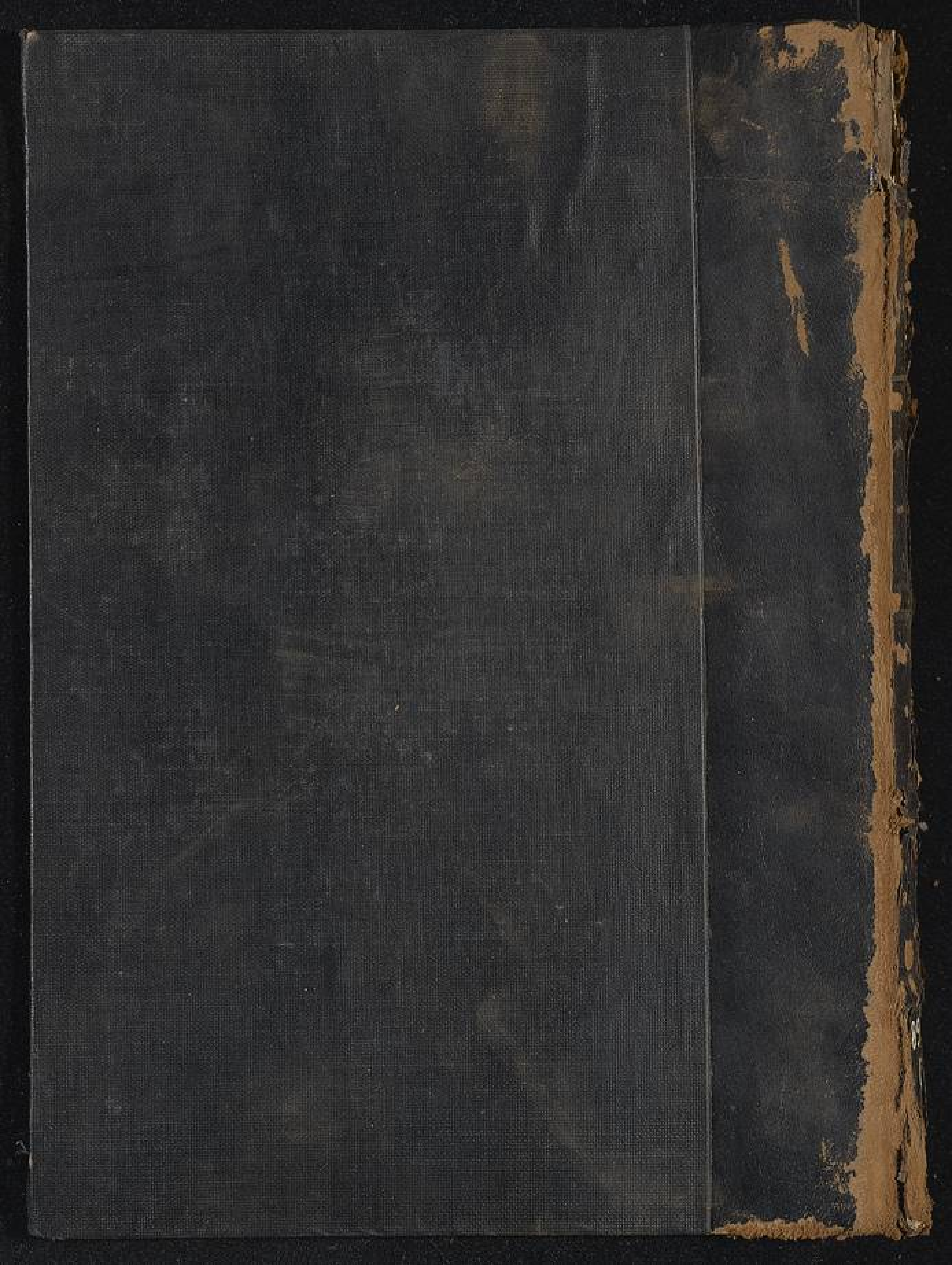
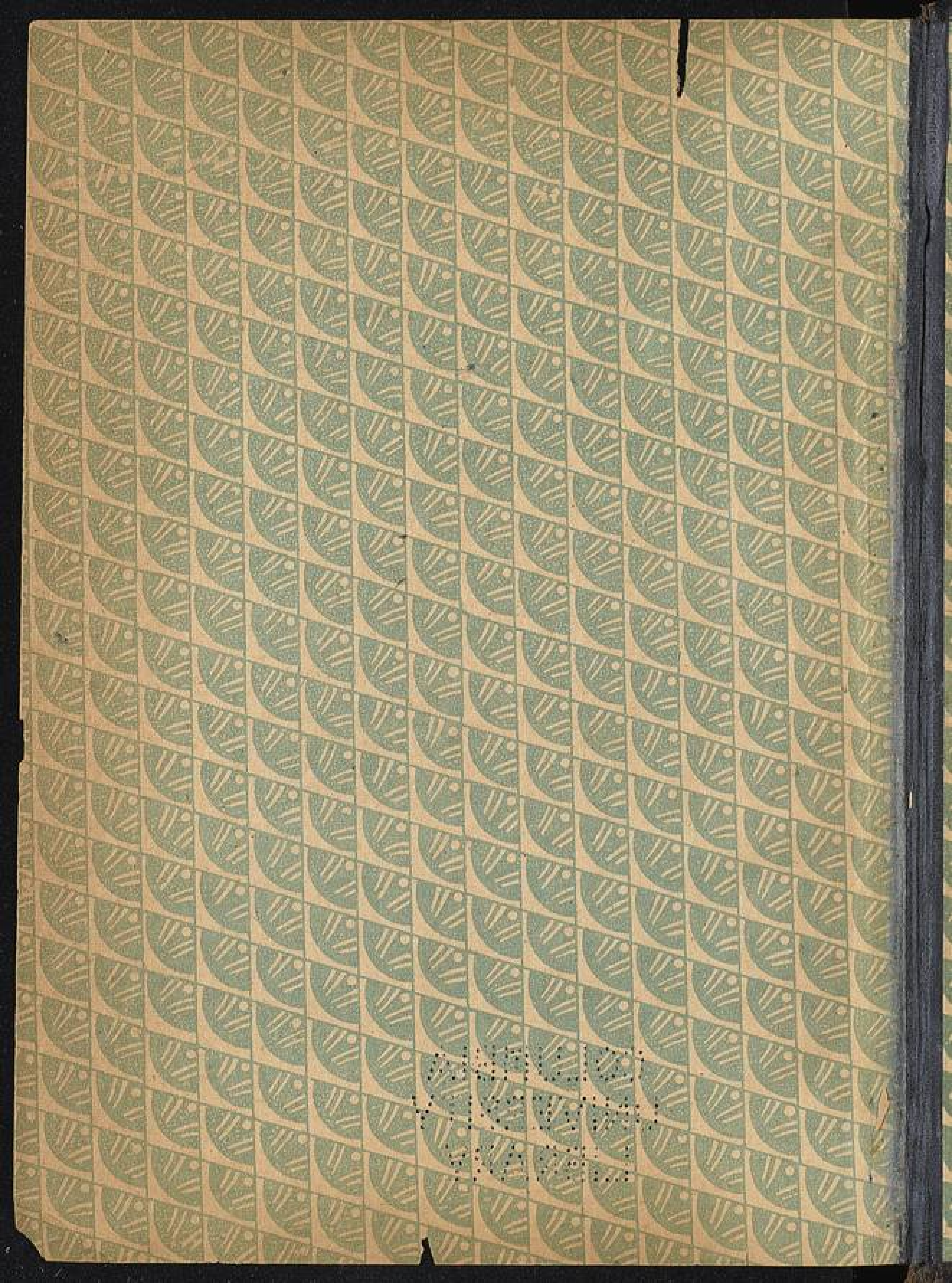



SIGILLUM · COLLEGII · COLUMBIAE · NOVI · EBORACI
IN LUMINE TUO VIDEBIMUS LUMEN



مُهذبُ الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء السابع

فى الشعراء الإسلاميين والمحدثين

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٢٠٠٠/٢٥/٢٣٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء بني عبد مناف

الأسود بن عمارة

هو الأسود بن عمارة بن الوليد النوفلي ، من نوفل بن عبد مناف بن قصي
من شعره قوله وفيه غناء

خليلي من سعد ألما فسلما   على مريم لا يُبعد الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمته   فهل من نوال قبل ذاكِ فنعلما

وكان أبوه عمارة شاعراً أيضاً وهو الذي يقول

تلك هند تصدّ للبين صدّا   أدلالاً أم هند تهجر جِدّا
أم لتنكا به قروح فؤادي   أم أرادت قتلي ضِراراً وعمدا
قد براني وشفّني الوجد حتى   صرت مما ألقى عظاماً وجلدا
أيها الناصح الأمين رسولاً   قل لهند عني اذا جئت هندا
علم الله أن قد اوتيت مني   غير منّ بذاكِ نصحاً وودا
ما تقربت بالصفاء لأدنو   منك إلا ازددت نأياً وبعدا

والأسود هو الذي يقول لمحمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت

ذكرناك شُرطياً فأصبحت قاضياً   وصرت أميراً أبشري قحطانُ
أرى نزوات بينهن تفاوت   وللدهر أحداث وذا حدثان
أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربعي   لكل أناس دولة وزمان

وانما خاطب بنى عمرو بن عوف لأن الكثيرى كان قد تزوج اليهم ، وانما قال أبشرى قحطان لأن كثير بن الصلت من كندة حليف قريش ، وكان محمد هذا على شرطة المدينة ، ثم ولي القضاء ، ثم ولاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن على

العبلى

هو عبد الله بن عمر بن عبد الله من بنى عبد شمس بن عبد مناف

شاعر مجيد من شعراء قريش ، ومن مخضرمى الدولتين ، وقيل له العبْلى وليس منهم لأن العبلات من ولد أمية الأصغر بن عبد شمس ، سموا بذلك لأن أمهم عَبْلة بنت عبيد التيمية ولدت لعبد شمس أُمية الأصغر وعبد أُمية ونوفلاً ، والعبلى من عبد العزى بن عبد شمس ، وانما أدخلهم الناس فى العبلات لما صار الأمر لبني أمية الأكبر وسادوا وعظم شأنهم في الجاهلية والاسلام وكثر أشرافهم فجعل سائر بنى عبد شمس من لا يعلم قبيلة واحدة فسموّهم أمية الصغرى ثم قيل لهم العبلات لشهرة الاسم

كان عبد الله فى أيام بنى أمية يميل الى بني هاشم ويذم بني أمية ولم يكن منهم اليه صنعٌ جميل فسلم بذلك في أيام بني العباس ، ثم خرج على المنصور فى أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن

قسم هشام بن عبد الملك أموالا وأجاز بجوائز فلم يعطه شيئاً فقال

خَسَّ حظى أن كنت من عبد شمس ليتنى كنت من بني مخزوم
فأفوزَ الغداة منهم بسهم وأبيع الأب الشريف بلُوم

فلما استخلف المنصور كتب الى السَّرِيّ بن عبد الحكم أن يوجه به اليه ففعل ، فلما قدم عليه قال له أنشدنى ما قلت فى قومك ، فاستعفاه ، فقال له لا أُعفيك ، فقال أعطني الأمان ، فأعطاه ، فأنشده

مابال عينك جائلاً أقذاؤها   شرِقت بعبرتها وطال بكاؤها

ذكرت عشيرتها وفرقة بينها   فطوت لذلك غُلة أحشاؤها

واعتادها ذكر العشيرة بالأسى   فصباحها نابٍ بها ومساؤها

شرِكُ العدا فى أمرهم فتفاقمت   منها الفتوق وفُرّقت أهواؤها

ظلت هناك ومايعاتب بعضها   بعضاً فينفع ذا الرجاء رجاؤها

الا بمرهفَة الظُبات كأنها   شُهُب تقلّ اذا هوت أخطاؤها

وبعُسَّل زرق يكون خضابها   عَلَق النحور اذا تفيض دماؤها

فبذاكُمُ أمست تعاقب بينها   فلقد خشيت بأن يُحَمّ فناؤها

ماذا أؤمل ان أُمية ودعت   وبقاء سكان البلاد بقاؤها

أهل السياسة والرياسة والندى   وأسود حرب لايَخيم لقاؤها

غيث البلاد همُ وهم أمراؤها   سُرُج يُضيء دُجى الظلام ضياؤها

فلئن أمية ودعت وتتابعت   لغَواية جبيت لها حلفاؤها

ليودَّعن من البرية عزُّها   ومن البلاد جمالها ورجاؤها

ومن البلية ان بقيتَ خلافهم   فرداً تَهيجك دورهم وخلاؤها

لهفى على حرب العشيرة بينها   هلا نهى جهالَها حلماؤها

هلا نُهًى تنهى الغُواة عن التى   يُخشى على سلطانها غوغاؤها

وتُقًى وأحلام لها مُضَرية   فيها اذا تَدمى الكلوم دماؤها

لما رأيت الحرب توقد بينها   وتشب نار وقودها وذكاؤها

نوهت بالملك المهيمن دعوة   ورواح نفسي فى البلاد دعاؤها

ليرد أُلفتها ويجمع أمرها   بخيارها نخيارها رحماؤها

فأجاب ربى فى أمية دعوتى   وحَمى أمية أن يُهَدّ بناؤها

فبنو أمية خير من وطىء الثرى   شرفاً وأفضل ساسة أمراؤها

فقال له اخرج عني لاقرب الله دارك ، فخرج حتى قدم المدينة فألفى محمد بن عبد الله قد خرج فبايعه

كان العبلى مُخِفُوًّا فى أيام بنى مروان ، وكان منقطعاً الى بني هاشم ، فلما أفضت الخلافة اليهم لم يُبقوا على أحد من بنى أمية ، وكان الأمر فى قتلهم جداً إلا من هرب وطار على وجهه ، فخاف العبلى أن يقع به مكروه فى تلك الفورة ، فتوارى وأخذ داود بن على حرمه وماله فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح فدخل عليه فى غُمار الناس متنكراً وجلس حَجْرَة [1] حتى انفض القوم وتفرقوا وبقى أبو العباس مع خاصته فوثب اليه فوقف بين يديه وقال

ألا قل للمنازل بالسِّتار	سقيتِ الغيث من دِمَن قفار
فهل لك بعدنا علم بسَلْمى	وأتراب لها شبه الصُّوار [2]
أوانس لا عوابس جافيات	عن الخلق الجميل ولا عوارى
وفيهن ابنة القُصَوِىّ [3] سلمى	كهمّ النفس مُفْعَمة الإزار
تلوث [4] خمارها بأحمّ جعْد	تَضِل العاليات به المَدارى
بَرَهْرَهة منعمة نمتها	أبوتها الى الحسب النُّضار
فدع ذكر الشباب وعهد سلمى	فمالك منهما غير ادّكار
وأهد لهاشم غُرر القوافى	تنحلها بعلم واختبار
لعمرك انني ولزومَ نجد	ولا ألقى حباء بنى الخيار
لكالبادي لأَبْرُدَ مستهلّ	بحوباء كبطن العَيْر عار
سأرحل رحلة فيها اعتزام	وجِدٌّ في رواح وابتكار
الى أهل الرسول غدت برحلى	عُذافرة ترامى بالصحارى

(١) أى ناحية (٢) الصوار القطيع من البقر (٣) نسبة الى قصى بن كلاب
(٤) تلفه وتعصبه والمدارى جمع مدرى بالكسر وهو المشط

تؤم المعشر الأبرار تبغي ... فكاكاً للنساء من الإسار

أيا أهل الرسول وصيد فهر ... وخير الواقفين على الجمار

أتؤخذ نسوتي ويحاز مالي ... وقد جاهرت لو أغنى جهاري

وأُذعَر أن دعيت لعبد شمس ... وقد أمسكت بالحُرَم الصواري (١)

بنصرة هاشم شهرت نفسي ... بداري للعدا وبغير داري

بقربى هاشم وبحق صهر ... لأحمد لفه طيب النجار

ومنزل هاشم من عبد شمس ... مكان الجيد من عليا الفقار

فقال له السفاح من أنت ؟ فانتسب له ، فقال حق لعمرى أعرفه قديماً ومودة لا أجحدها ، وكتب له الى داود باطلاق من حبسه من أهله ورد أمواله عليه وا كرامه وأمر له بنفقة تبلغه المدينة

جاء العبلى الى سويقة وهو طريد بني العباس وذلك بعقب بني أمية وابتداء خروج ملكهم الى بنى العباس ، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسويقة ، فاستنشده عبد الله شيئاً من شعره ، فأنشده ، فقال له أريد أن تنشدنى شيئاً مما رثيت به قومك ، فأنشده

تقول أُمامة لما رأت ... نشوزي عن المضجع الأنفس

وقلة نومى على مضجعى ... لدى هجعة الأعين النُعَّس

أبى ما عراك ؟ فقلت الهموم ... منعن أباك فلا تُبْلسى (٢)

عرون أباك فحبسنه ... من الذل في شر ما مَحْبِس

لفقد العشيرة اذ نالها ... سهام من الحرب لم تبأس

رمتها المنون بلا نُصَّل ... ولا طائشات ولا نُكَّس

(١) صراه الله منعه وحفظه وهو صار وهى صارية والجمع الصوارى

(٢) أبلس انكسر وحزن

بأسهمها الخالسات النفوس　　متى ما اقتضت مهجة تَخْنِس
فصرعاهمُ في نواحي البلاد　　تلقَّى بأرض ولم ترْمَس
كريم أصيب وأثوابه　　من العار والذم لم تدْنَس
وآخر قد طار خوف الرَّدى　　وكان الهمام فلم يَخْسِس
فكم غادروا من بواكي العيو　　ن مرضى ومن صبية بؤّس
اذا ماذكرتُهمُ لم تنم　　لحر الهموم ولم تجلس
يُرجِّعن مثل بكاء الحما　　م فى مأتم قلق المجلس
فذاك الذى غالني فاعلمى　　ولا تسأليني فتستنحسى
وأشياء قد ضفنني بالبلاد　　ولست لهن بمستحلس
أفاض المدامع قتلى كُدَى　　وقتلى بكُثْوة لم ترْمس
وقتلى بوجّ وباللَّابتين　　من يَثْرِب خير ما أنفس
وبالزَّابيين نفوس ثوت　　وقتلى بنهر أبى فُطْرُس
أولئك قومى تداعت بهم　　نوائب من زمن متعس
أذلت قيادى لمن رامنى　　وألزقت الرَّغم بالمعْطِس
فما أنس لا أنس قتلاهمُ　　ولا عاش بعدهمُ من نسى

خرج العبلى مع محمد بن عبد الله بن حسن فولاه الطائف ثم بلغه خروج الحسن ابن معاوية من مكة فاستخلف على الطائف وخرج ليتلقى الحسن بالعَرْج فركب البحر ومضى العبلى هارباً على وجهه الى اليمن ، فذلك حين يقول

هيجت للأجزاع حول غُراب　　واعتاد قلبَك عائد الأطراب
وذكرت عهد معالم بلِوى الثرى　　هيهات تلك معالم الأحباب
هيهات تلك معالم من ذاهب　　أمسى بحَوْض أو بحَقْل قِباب
قد حل بين أبارق ما ان له　　فيها مِن آخوان ولا أصحاب

شطّت نواه عن الأليف وساقه لِقُرى يمانيــــة حمام كتاب
يا أخت آل أبي عديّ أقصري وذرى الخضاب فما أوان خضاب
أتُخَضِّبين وقد تخرم غالباً دهر أضرّ بها حديد الناب
والحرب تعرُك غالباً بجرانهـــا وتعضّ وهي حديدة الأنياب
أم كيف تفسك تستلذ معيشة أو تنفعين لها ألذ شراب

كان العبلي يكره ما يجرى عليه بنو أمية من ذكر عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبه على المنابر ويظهر الانكار لذلك ، فشهد عليه قوم من بنى أمية بمكة بذلك ونهوه عنه ، فانتقل الى المدينة وقال

شرّدوا بى عند امتداحى عليًا ورأوا ذاك فيّ داء دويًا
فوربى ما أبرح الدار حتى تختلى مهجتى بحبى عليا
وبنيـــه لحب أحمد انى كنت أحببتهم بحبى النبيا
حب دين لاحب دنيا وشر الـــحب حبٌّ يكون دنياويا
صاغني الله فى الذؤابة منهم لا زنيماً ولا سنيداً دعيًا
عدَويًا خالي صريحاً وجدي عبد شمس وهاشم أبويا
فسواء عليّ لست أبالي عبشمياً دعيت أم هاشميا

وفد العبلي الى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بهذه القصيدة

ليلتى من كنود بالغور عودى بصفاء الهوى من أم أسيد
ما سمعنا ذاك الهوى ونسينا عهده فارجعى به ثم زيدى
قد تولى عصر الشباب فقيداً رب جار يبين غير فقيد
خلق الثوب من شباب ولبس وجديد الشباب غير جديد
فاسر عنك الهموم حين تداعت بعلاة مثل الفنيق وخود (١)

(١) صفة من وخد يخد أسرع

عنتريس (١) توفي الزمام بنعم ... مثل جذع الأشاءة المجرود

وارم جوز الفلا بها ثم سمها ... عجرفيّ النجاد بالتوخيد

وهشاماً خليفة الله فاعمد ... واصر من مرة القوى الجليد

تلقه محكم القوى أريحياً ... ذا قرى عاجل وسيب عتيد

ملك يشمل الرعية منه ... بأياد ليست بذات جمود

أخضر الربع والجناب خصيب ... أفيح المستراد للمستريد

ذكرت ناقتى البطاح فحنت ... حين أن أوردت قبور ثمود

قلت بعض الحنين ياناق سيرى ... نحو برق دعا لغيث عميد

أأغذت فى السير حتى أتتكم ... وهى قوداء فى سواهم قود

قد براها السرى اليك وسيرى ... تحت حر الظهيرة الصيخود

وطوى طائد العرائك (٢) منها ... غول بيد تجتابها بعد بيد

وأتتكم حدب الظهور وكانت ... مسنمات ممرها بالكديد

واطمأنت أرض الرصافة بالخصب ولم تلق رحلها بالصعيد

نزلت بامرىء يرى الحمد غنماً ... باذل متلف مفيد معيد

بذل العدل فى القصاص فأضحى ... لا يخاف الضعيف ظلم الشديد

من بنى النضر من ذرى منبت النضر بأورى زند وأكرم عود

فهو كالقلب فى الجوانح منها ... واسط سر جذمها والعديد

بين مروان والوليد فبخ بخ ... للكريم المجيد غير الزهيد

لو جرى الناس نحو غاية مجد ... لرهان فى المحفل المشهود

---

(١) العنتريس الناقة الغليظة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم . والأشاء صغار النخل واحدها أشاءة (٢) جمع عريكة وهى السنام

لعلاهم بسابقين من المجـــد على الناس طارف وتليد
انكم معشر أبى الله إلا أن تفوزوا بدارها المحشود
لم يرَ الله معشراً من بني مرْ وان أولى بالملك والتسويد
قادة ســادة ملوك بحار وبهاليل للقروم الصيد
أريحون ماجدون خضمّو ن حماة عند اربداد الجلود
يقطعون النهار بالرأى والحزْ م ويحيون ليلهم بالسجود
أهل رفد وسودد وحياء ووفاء بالوعـــد والموعود
ويرون الجوار من حرم اللّـــه فما الجار فيهم بوحيد
لو بمجد نال الخلود قبيل آل مروان فزتم بالخلود
يا ابن خير الأخيار من عبد شمس يا إمام الورى ورب الجنود
عبد شمس أبوك وهو أبونا لا نناديك من مكان بعيد
ثم جدى الأدنى وعمك شيخى وأبو شيخك الكريم الجدود
فالقرابات بيننا واشـجات محكمات القوى بحبل شديد
فأثبني ثواب مثلك مثلى تلقني للثواب غير جحود
ان ذا الجدّ من حبوت بود ليس من لا توَدّ بالمجدود
وبحسب امرىء من الخير يرجى كونه عند ظلك الممدود

أبو قطيفة

هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، وهو من العنابس من بني أمية ، وكان لأمية من الولد أحد عشر ذكراً كل واحد منهم يكنى باسم صاحبه وهم العاص وأبو العاص ، والعيص وأبو العيص وعمرو وأبو عمرو ، وحرب وأبو حرب ، وسفيان وأبو سفيان ، والعويص ، فمنهم

الأعياص وهم الأربعة الأولون والأخير ، ومنهم العنابس وهم الباقون ، وانما سموا العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية بعُكاظ وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالا شديداً فشبهوا بالأسد ، والأسد يقال لها العنابس واحدها عنبسة ، وأم أبي مُعَيط آمنة بنت أبان العامرية ولها يقول نابغة بن جعْدة

وشاركنا قريشاً فى تقاها وفى أنسابها شرَكَ العِنان

بما ولدت نساء بني هلال وما ولدت نساء بني أبان

وكانت آمنة هـذه تحت أمية بن عبد شمس فولدت العاص وأبا العاص وأبا العيص والعويص وصفية وتوبة وأرْوَى بنى أمية ، فلما مات تزوجها ابنه أبو عمرو « وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده » فولدت له أبا معيط ، فكان بنو أمية من آمنة اخوة أبي معيط وعمومته

وأسر عقبة بن أبي معيط فى يوم بدر فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً فقال له يامحمد أنا خاصة من قريش ؟ قال نعم ، قال فمن للصبية بعدى ؟ قال النار ، فلذلك يسمى بنو أبي معيط صبية النار ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فضرب عنقه وقيل بل قتله عاصم بن ثابت ، حدث عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمر فقلت اخبرنى بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر رحمه الله حتي أخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » ؟

وكان الوليـد بن عقبة أخا عثمان بن عفان لأمه أمهما أرْوَى بنت عامر بن كُرَيز ، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبـد المطلب بن هاشم ، والبيضاء وعبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم توءمان ، وكان عقبة بن أبي معيط قد تزوجها بعد

وفاة عفان فولدت له الوليد وخالداً وعمارة وأم كلثوم ، كل هؤلاء اخوة عثمان لأمه

والوليد يكنى أبا وهب وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم قال سعيد بن العاص لم يكن يجلس مع عثمان رضى الله عنه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبى العاص والوليد بن عقبة ، فأقبل الوليد يوماً فجلس ، ثم أقبل الحكم فلما رآه عثمان زحل له عن مجلسه ، فلما قام الحكم قال الوليد والله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج في صدرى بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن أمك ، فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه انه شيخ قريش فما البيتان اللذان قلتهما ؟ قال قلت

رأيت لعم المرء زُلفَى قرابة ... دوين أخيه حادثاً لم يكن قِدما

فأملت عمراً أن يشب وخالداً ... لكى يدعوانى تحت مزحمة عمّا

يعني عمراً وخالداً ابنى عثمان ، فرق له عثمان وقال قد وليتك العراق « يعني الكوفة » ، فقدمها وعليها سعد بن أبى وقاص ، فأخبر بقدومه فقال وماصنع ؟ قال وقف فى السوق فهو يحدث الناس هناك ولسنا ننكر شيئاً من شأنه ، فلم يلبث أن جاءه نصف النهار فاستأذن على سعد فأذن له ، فسلم عليه بالامرة وجلس معه ، فقال له سعد ما أقدمك يا أبا وهب ؟ قال أحببت زيارتك ، قال وعلى ذلك أجئت بريداً ؟ قال أنا أرزن من ذلك ولكن القوم احتاجوا الى عملهم فسرحونى اليه وقد استعملنى أمير المؤمنين على الكوفة ، فمكث طويلا ثم قال لا والله ما أدرى أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك ؟ ثم قال

خذيني فجريني ضباع فتمـــا ... بلحم امرىء لم يشهد اليوم ناصره

فقال أما والله لأنا أقول للشعر وأروى له منك ، ولو شئت أجبتك ولكني أدع ذلك لما تعلم ، نعم والله قد أمرت بمحاسبتك والنظر فى أمر عمالك ، ثم بعث الى عماله فحبسهم وضيق عليهم ، فكتبوا الى سعد يستغيثون فكلمه فيهم ، فقال أوللمعروف عندك موضع ؟ قال نعم والله ، فخلى سبيلهم

قالوا كان الوليد شريب خمر ، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلى بهم الصبح فى المسجد الجامع فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت اليهم وقال أزيدكم ؟ وتقيأ في المحراب وقرأ بهم فى الصلاة وهو رافع صوته

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة الى عثمان فأخبروه خبره وشهدوا عليه بشربه الخمر ، فأتى به فأمر رجلا بضربه الحد ، فلما دنا منه قال له نشدتك الله وقرابتى من أمير المؤمنين فتركه ، فخاف على بن أبى طالب رضى الله عنه أن يعطل الحد فقام اليه ، فقال له الوليد نشدتك بالله وبالقرابة ، فقال على اسكت أبا وهب انما هلكت بنو اسراءيل بتعطيلهم الحدود ، فحده وقال لتدعونى قريش بعد هذا جلادها ، وقال الوليد بعد ما جلد اللهم انهم شهدوا على بزور فلا ترضهم عن أمير ولا ترض عنهم أميراً ، فقال الحطيئة يكذّب عنه

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

خلعوا عنانك اذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجرى

ورأوا شمائل ماجد أنف يعطى على الميسور والعسر

فنُزعت مكذوباً عليك ولم تنزع الى طمع ولا فقر

فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة

نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم ؟ ثملا وما يدرى

ليزيدهم خيراً ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر

فأبَوا أبا وهب ولو فعلوا وصلتْ صلاتهمُ الى العشر

ولما ضرب عثمان الوليد الحد قال انك لتضربني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عاماً قابلاً

وكان أبو زبيد الطائى وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة ، فأنزله

الوليد داراً لعقيل بن أبي طالب على باب المسجد فاستوهبها منه فوهبها له ، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة لأن أبا زبيد كان يخرج من منزله حتى يشق الجامع الى الوليد فيسمرُ عنده و يشرب معه ويخرج فيشق المسجد وهو سكران فذلك نبههم عليه

قال الوليد بن عقبة لعلى بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، أنا أحد منك سناناً ، وأبسط منك لساناً ، وأملأ لكتيبة طعاناً ، فقال له على اسكت فانما أنت فاسق وقد نزل القرآن « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ؟ لا يستوون »

وقال قتادة فى قوله تعالى « ان جاءكم فاسق بنبأ » هذا فى الوليد بن عقبة بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق مصدِّقاً فلما رأوه أقبلوا نحوه ، فهابهم ، فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الاسلام ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبث عيونه ، فلما جاءوه أخبروه أنهم متمسكون بالاسلام وسمعوا اذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه فرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، وروى عن الوليد أنه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤسهم فجيء بى اليه وأنا مُخلَّق فلم يمسَني وما منعه الا أن أمى خلقتنى بخلوق فلم يمسنى من أجل الخلوق ، وروى الحسن أن الوليد كان عنده ساحر يريه كتيبتين تقتتلان فتحمل احداهما على الأخرى فتهزمها ، فقال الساحر أيسرك أن أريك هذه المنهزمة تغلب الغالبة فتهزمها ؟ قال نعم ، وأخبر جندب بذلك فاشتمل على السيف ثم جاء فقال أفرجوا أفرجوا فضربه حتى قتله ، ففزع الناس وخرجوا فقال يأيها الناس لا عليكم انما قتلت هذا الساحر لئلا يفتنكم فى دينكم ، فحبسه قليلا وتركه

قدم الوليد الكوفة زائراً للمغيرة بن شعبة فأتاه أشراف أهل الكوفة يسلمون

عليه ، فقالوا والله ما رأينا بعدك مثلك ، فقال أخيراً أم شراً ؟ فقالوا بل خيراً ، قال ولكني ما رأيت بعدكم شراً منكم ، فأعادوا الثناء عليه ، فقال بعضَ ما تثنون فوالله ان بغضكم لتلف وان حبكم لصَلَف ، وكان قبيصة بن جابر ممن كثر على الوليد فقال معاوية يوماً والوليد وقبيصة عنده ياقبيصة ما كان شأنك وشأن الوليد ؟ فقال خير يا أمير المؤمنين ، فى أولُ وصل الرَّحِم وأحسن الكلام فلا تسل عن الشكر وحسن الثناء ، ثم غضب على الناس وغضبوا عليه وكنا منهم فاما ظالمون فنستغفر الله واما مظلومون فغفر الله له وخذ فى غير هذا يا أمير المؤمنين فان الحديث ينسى القديم ، قال ولم ؟ فوالله لقد أحسن السيرة و بسط الخير وكف الشر ، قال فأنت أقدر على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل ، قال اسكت لاسكتّ ، فسكت وسكت القوم ، فقال له مالك لا تتحدث ؟ قال نهيتنى عما كنت أحب فسكت عما أكره

خرج الوليد غازياً للروم وعلى مقدمته عتبة بن فرقد ، فلقيه الروم فقاتلوه ، فقال له رجل من العرب نصرانى لست على دينكم ولكني أنصحكم للنسب فالقوم مقاتلوكم الى نصف النهار فان رأوكم ضعفاء أفنوكم وان صبرتم هربوا وتركوكم ، فقال سليمان بن ربيعة يا معشر المسلمين ما عذركم غداً عند الله ان أصيب عتبة بن فرقد وأصحابه ولم يعنه أحد منكم ؟ فركب معه ثلاثة آلاف رجل على البغال يجنبون الخيل ، فلحقوا عتبة وأصحابه ، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هزم الله الروم ، فقال الوليد

أتانى من الفجّ الذى كنت آمناً ... بقية شُذّاذ من الخيل ظُلَّع
عليها العبيد يضربون جنوبها ... ونازل منا كل خرق سَمَيْذع
فانى زعيم أن تصيح نساؤهم ... صياح دَجاج القرية المتوزع

ولما نزع عثمان الوليد من الكوفة أمر عليها سعيد بن العاصى ، فلما أقبل عامداً للكوفة جعل يرتجز فى طريقه

ويل نُسَيَّات العراق مني   كأنني سَمَعْمَعٌ من جن

ولما قدم الكوفة قال اغسلوا هذا المنبر فان الوليد كان رجساً ، فلم يصعده حتى غسل عيباً على الوليد ، وكان الوليد أسن منه وأسخى نفساً وألين جانباً وأرضى عندهم ، فقال بعض شعرائهم

يا ويلنا قد ذهب الوليد   وجاءنا من بعده سعيد

ينقص في الصاع ولا يزيد   فجوَّع الاماء والعبيد

وقال آخر

فررت من الوليد الى سعيد   كأهل الحِجْر اذ جزعوا فباروا

يلينا من قريش كل عام   أمير محدث أو مستشار

لنا نار تحرقنا فنخشى   وليس لهم فلا يخشون نار

وسعيد هذا هو صاحب القصر الذي يقول فيه أبو قطيفة

القَصْر فالنخل [1] فالجَمَّاء بينهما   أشهى الى القلب من أبواب جيرون

الى البَلاط فما حازت قرائنه [2]   دور نزحن عن الفحشاء والهُون

قد يكتم الناس أسراراً فأعلمها   ولا ينالون حتى الموت مكنوني

وهذا القصر قد صار الى معاوية ، قال مصعب بن الزبير لما حضرت سعيد بن العاصي الوفاة وهو في قصره هذا قال له ابنه عمرو لو نزلت الى المدينة ، فقال يا بنيَّ ان قومي لن يضنوا عليَّ بأن يحملوني على رقابهم ساعة من نهار واذا أنا مت فآذنهم فاذا واريتني فانطلق الى معاوية فانعني له وانظر في ديني واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل واعرض عليه قصري هذا فاني انما اتخذته نزهة وليس بمال ، فلما مات آذن الناس به فحملوه من قصره حتى دفن بالبقيع ورواحل عمرو بن سعيد

---

(١) نخل كان لسعيد عند قصره وبين الجماء وهي أرض كانت له ، وأبواب جيرون بدمشق

(٢) القرائن دور كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة سميت بذلك لاقترانها ، ونزحن بعدن

مُناخة ، فعزاه الناس على قبره وودعوه ، فكان هو أول من نعاه الى معاوية ، فتوجع له وترحم عليه ثم قال هل ترك ديناً ؟ قال نعم ثلثمائة الف ، قال هى عليَّ ، قال قد ظن ذلك وأمرنى ألاَّ أقبله منك وأعرض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكون قضاء دينه منه ، قال فاعرض عليَّ ، قال قصره بالعرصة ، قال قد أخذته بدينه ، قال هو لك على أن تحملها الى المدينة وتجعلها بالوافيـة ، قال نعم ، فحملها له الى المدينة وفرقها فى غرمائه ، وكان أكثرها عِداتٍ ، فأتاه شاب من قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسـه وشهادة مولى له عليه ، فأرسل الى المولى فأقرأه الصك ، فلما قرأه بكى وقال نعم هـذا خطه وهذه شهادتى عليه ، فقال له عمرو من أَين يكون لهذا الفتى عليه عشرون الف درهم وانما هوصُعلوك من صعاليك قريش ؟ قال أخبرك عنه ، مرَّ سـعيد بعد عزله فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار الى منزله فوقف له سعيد فقال ألك حاجة ؟ قال لا الا أنى رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أَصل جناحك ، فقال لي ائتني بصحيفة ، فأتيته بهذه ، فكتب على نفسه هذا الدين وقال انك لن تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا فاذا أتانا شيء فأتنا ، فقال عمرو لا جرم والله لا يأْخذها الا بالوافية أعطه إياها ، فدفع اليه عشرين ألف درهم ، وكان الرجل يأْتى سعيداً يسأله فلا يكون عنده فيقول ما عندي ولـكن اكتب عليَّ به ، فيكتب عليه كتاباً ، فيقول أترونني أخذت منه ثمن هذا ؟ لا ولـكنه يجيء فيسألنى فيتردد وجهه فى وجهي فأكره رده

لما قتل عثمان أرسل علي فأخذ ما كان في داره من السـلاح وابل الصدقة فذلك حيث يقول الوليد

ألا من لليل لا تغور كواكبه ... اذا غار نجم لاح نجم يراقبـه
بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ... ولا تنهبوه لا تحـل مناهبه
بني هاشم لا تعجلوا باقادة ... سواء علينا قاتلوه وسـالبه

فقد يجبر العظم الكسير وينبرى ... لذى الحق يوماً حقه فيطالبه

وإنا وإياكم وما كان منكمُ ... كصدْعِ الصَّفا لا يَرْأَب الصدع شاعبه

بنى هاشم كيف التعاقد بيننا ... وعند عليّ سيفه ونجائبه

لعمرك لا أنسى ابن أروَى وقتله ... وهل ينسيَنَّ الماء ما عاش شاربه

همُ قتلوه كى يكونوا مكانه ... كما غدرت يوماً بكسرَى مرازبه

وانى لمجتاب اليكم بجحفل ... يُصِمّ السميعَ جرْسُهُ وجلائبه

وقال يرثى عثمان ويحرض معاوية

فوالله ما هند بأُمك ان مضي النـهار ولم يثأَر بعثمان ثائر

أيقتل عبد القوم سيدَ أهله ... ولم تقتلوه ليت أُمك عاقر

وانا متى نقتلهمُ لا يُقِد بهم ... مقيد وقد دارت عليك الدوائر

وقال وقد أبلغه بجاد مولى عثمان مقتل عثمان

طال ليلى وملَّنى عوادى ... وتجافى عن الضلوع مهادى

من حديث نمى إليّ فما يرقأُ دمعى ولا أُحِسُّ رقادى

ليت أنى هلكت قبل حديث ... سلّ جسمى وريعَ منه فؤادى

يوم لاقيت بالبلاط بجاداً ... ليت أنى هلكت قبل بجاد

وبنفسى التى أحب وأهلى ... وبمالي وطارفى وتلادى

قلت لا تعضى فذلك قولي ... بلسانى وما يجن فؤادى

وفد الوليد وكان جواداً على معاوية ، فقيل له هـذا الوليد بن عقبة بالباب ، فقال والله ليرجعن معطياً غير معطَى فانه الآن قد أتانا يقول عليَّ دين وعليَّ كذا وكذا ، ياغلام ائذن له ، فأذن له ، فسأله وتحدث معه ثم قال والله ان كنا لنحب ايثار مالك بالوادى وقد أعجب أمير المؤمنين فان رأيت أن تهبه ليزيد فعلت ، فقال الوليد هو ليزيد ، ثم خرج وجعل يختلف الى معاوية أياماً فقال له يوماً انظر

يا أمير المؤمنين فى شأنى فان عليَّ مؤونة وقد أرهقنى دين ، فقال له معاوية ألا تستحيى لحسبك ونسبك تأخذ ما تأخذه فتبذره ثم لا تنفك تشكو ديناً ، فقال له الوليد أفعل ، ثم انطلق مكانه فصار الى الجزيرة فقال

فاذا سئلت تقول لا   واذا سألت تقول هات
تأبى فعال الخير لا   تروى وأنت على الفرات
أفلا تميل الى نعم   أو ترك لا حتى الممات

فبلغ معاوية مقدمه الجزيرة فخافه وكتب اليه أن أقبل إليَّ ، فكتب اليه

أعفّ وأستغنى كما قد أمرتنى   فأعط سواى ما بدا لك وانحَل
سأحدو ركابى عنك ان عزيمتي   اذا نابنى أمر كسلّة مُنصُل
وانى امرؤ للرأى منى تطرف   وليس شبا قفل عليَّ بمقفل

ورحل الى الحجاز فبعث اليه معاوية بجائزة

وأبو قطيفة يكنى أبا الوليد ، وأبو قطيفة لقب لقب به ، وأمه بنت الربيع بن ذى الخمار من بني أسد بن خزيمة

لما سار الحسين بن على عليهما السلام الى العراق شمر ابن الزبير للأمر الذى أراده ولبس المُعافرىّ وشبر بطنه وقال انما بطنى شبر وما عسى أن يسع الشبر ، وجعل يظهر عيب بنى أمية ويدعو الى خلافهم ، فأمهله يزيد سنة ثم بعث اليه عشرة من أهل الشام عليهم النعمان بن بشير ، وكان أهل الشام يسمون أولئك العشرة النفر الراكب ، وهم عبد الله بن عضاه الأشعرى ، وروح بن زنباع الجذامى ، وسعد بن حمزة الهَمْدانى ، ومالك بن هُبيرة السَّكونى ، وأبو كبْشة السَّكْسَكى ، وزُمَل بن عمر العذرى ، وعبد الله بن مسعدة الفزارى وأخوه عبد الرحمن ، وشريك بن عبد الله الكنانى ، وعبد الله بن عامر الهمدانى ، وجعل عليهم النعمان ابن بشير فأقبلوا حتى قدموا مكة على ابن الزبير ، فكان النعمان يخلو به فى الحجر

كثيراً ، فقال له عبد الله بن عضاه يوماً يا ابن الزبير ان هذا الأنصارى والله ماأمر بشىء الا وقد أمرنا بمثله ، الا أنه قد أُمِّرَ علينا وانى والله ما أدرى ما بين المهاجرين والأنصار ، فقال ابن الزبير يا ابن عضاه مالى ولك ؟ انما أنا بمنزلة حمام من حمام مكة ، أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكة ؟ قال نعم ، وما حرمة حمام مكة ؟ ياغلام ائتنى بقوسي وأسهمى ، فأتاه بقوسه وأسهمه ، فأخذ سهماً فوضعه فى كبد القوس ثم سدده نحو حمامة من حمام المسجد وقال ياحمامة أيشرب يزيد بن معاوية الخمر ؟ قولى نعم فوالله لئن فعلت لأرمينك ، ياحمامة أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتقيمين فى الحرم حتى يستحلّ بك ؟ والله لئن فعلت لأرمينك ، فقال ابن الزبير ويحك أوَ يتكلم الطائر ؟ قال لا ولكنك ياابن الزبير تتكلم ، أقسم بالله لتبايعن طائعاً أو مكرهاً أو لتعرفن راية الأشعريين فى هذه البطحاء ثم لا أعظم من حقها ماتعظم ، فقال ابن الزبير أوَ يستحل الحرم ؟ قال انما يُحله من ألحد فيه ، فحبسهم شهراً ثم ردهم الى يزيد ولم يجبه الى شىء ، وقال أبو العباس الأعمى يذكر ذلك وشبر ابن الزبير بطنه

مازال فى سورة الأعراف يدرُسها   حتى فؤادى مثل الخزّ فى اللين
لوكان بطنك شبراً قد شبعت وقد   أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين

ثم ان ابن الزبير مضى الى صفية بنت أبى عبيد زوج عبد الله بن عمر فذكر لها أن خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله عليه السلام والمهاجرين والأنصار من أثَرَة معاوية وابنه وأهله بالفىء وسألها مسألته أن يبايعه ، فلما قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير واجتهاده وأثنت عليه وقالت ما يدعو الا الى طاعة الله عز وجل وأكثرت القول فى ذلك ، فقال لها أما رأيت بغلات معاوية اللواتى كان يحج عليهن الشُّهب ؟ فان ابن الزبير ما يريد غيرهن ، وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالأ على ذلك أكثر الناس ، فدخل عليه عبد الله بن مطيع وعبد الله بن

حنظلة وأهل المدينة المسجد وأتوا المنبر فخلعوا يزيد فقال عبد الله بن أبى عمرو بن حفص المخزومى خلعت يزيد كما خلعت عمامتى ونزعها عن رأسه وقال انى لأقول هـذا وقد وصلنى وأحسن جائزتى ولـكن عدو الله سكير خمير ، وقال آخر خلعته كما خلعت نعلى ، وقال آخر خلعته كما خلعت ثوبى ، وقال آخر قد خلعته كما خلعت خفى حتى كثرت العمائم والنعال والخفاف وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك ، وامتنع عبد الله بن عمر ومحمد بن على بن أبى طالب ، وجرى بين محمد خاصة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قول كثير حتى أرادوا اكراهه على ذلك فخرج الى مكة وكان هذا أول ماهاج الشر بينه وبين ابن الزبير ، واجتمع أهل المدينة لاخراج بني أمية عنها فأخذوا عليهم العهود ألاّ يعينوا عليهم الجيش وأن يردوهم عنهم فان لم يقدروا على ردهم لايرجعوا الى المدينة معهم ، فقال لهم عثمان بن محمد بن أبى سفيان أنشدكم الله فى دمائـكم وطاعتكم فان الجنود تأتيكم وتطؤكم وأعذر لـكم ألاّ تخرجوا أميركم انكم ان ظفرتم وأنا مقيم بين أظهركم فما أيسر شأنى وأقدركم على اخراجى وماأقول هذا الا نظراً لكم أريد به حقن دمائكم ، فشتموه وشتموا يزيد وقالوا لانبدأ إلا بك ثم نخرجهم بعدك ، فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن ان هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى فضم عيالنا ، فقال لست من أمركم وأمر هؤلاء فى شيء فقام وهو يقول قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً ، ثم أتى على بن الحسين عليهما السلام فسأله أن يضم أهـله وثقله ، ففعل ووجههم وامرأته أم أبان بنت عثمان الى الطائف ومعها ابناه عبد الله ومحمد ، فعرض حريث رقّاصة [1] لثقل مروان وفيه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فضربته بعصا فـكادت تدق عنقه فولى ومضى ، ومضوا الى الطائف وأخرجوا بنى أمية فنخس بهم سليمان بن أبى جهم العدوى

(١) مولى لبنى بهز من سليم كان بعض عمال المدينة قطع رجله فـكان اذا مشي كأنه يرقص فسمى رقاصة

وحريث رقاصة ، فأراد مروان أن يصلى بمن معه فمنعوه وقالوا لا يصلى والله بالناس أبداً ولكن ان أراد أن يصلى بأهله فليصل ، فصلى بهم ومضى فمر مروان بعبد الرحمن بن أزهر الزهرى فقال له هلم إليَّ يا أبا عبد الملك فلا يصل اليك مكروه ما بقى رجل من بني زُهرة ، فقال له وصلتك رَحِم ، قومنا على أمر فأكره أن أعرضك لهم ، وقال ابن عمر بعد ذلك لما أخرجوا وندم على ما كان قاله لمروان لو وجدت سبيلا الى نصر هؤلاء لفعلت فقد ظلموا و بغى عليهم ، فقال ابنه سالم لو كلمت هؤلاء القوم ، فقال يابنى لا ينزع هؤلاء القوم عما هم عليه وهم بعين الله ان أراد أن يغير غير ، فمضوا الى ذى خُشُب وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبى سفيان واتبعهم العبيد والصبيان والسفلة يرمونهم ، ثم رجع حريث رقاصة وأصحابه الى المدينة ، وأقامت بنو أمية بذى خُشُب عشرة أيام وسرحوا حبيب بن كُرَّة الى يزيد بن معاوية يعلمونه وكتبوا اليه يسألونه الغوث ، وبلغ أهل المدينة أنهم وجهوا رجلا الى يزيد فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني بَهز بن سليم وحريث رقاصة وخمسون راكباً فأزعجوا بنى أمية منها فنخس حريث بمروان فكاد يسقط عن ناقته فأخر عنها وزجرها وقال اعلي واسلمي ، فلما كانوا بالسُّويداء عرض لهم مولى لمروان فقال جعلت فداك لو نزلت فأرحت وتغديت فالغداء حاضر كثير قد أدرك ، فقال لا يدعنى رقاصة وأشباهه وعسى أن يمكن الله منه فتقطع يده ، ونظر مروان الى ماله بذى خُشُب فقال لا مال الا ما أحرزته العِياب ، فمضوا فنزلوا وادى القرى ، فدخل حبيب بن كرة على يزيد وهو واضع رجليه في طست لوجع كان يجده بكتاب بنى أمية وأخبره الخبر ، فقال أما كان بنو أمية ومواليهم الف رجل ؟ قال بلى وثلاثة آلاف ، قال أفعجزوا أن يقاتلوا ساعة من نهار ؟ قال كثرهم الناس ولم تكن لهم بهم طاقة ، فندب الناس وأمر عليهم صخر بن أبي الجهم القيني فمات قبل أن يخرج الجيش فأمر عليهم مسلم بن عقبة الذى يسمى

مسرفاً وقال ليزيد ما كنت مرسلا الى المدينة أحداً لا قصر وما صاحبهم غيرى ، انى رأيت فى منامى شجرة غرقد تصيح « على يدى مسلم » فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلاً يقول أدرك ثأرك أهل المدينة قتلة عثمان فخرج مسلم ، وكان من قصة أهل الحرَّة ما كان على يده ، فقال أبو قطيفة فى ذلك لما أخرجوا عن المدينة

بكى أُحُد لمـــا تحمل أهلهُ فكيف بذي وجد من القوم آلِف
من أجل أبى بكرٍ جلَت عن بلادها أميـة والأيام ذات تصارف

وقال أيضاً

بكى أُحُد لمـــا تحمل أهلُه فسلْع فدار المال أمست تَصدَّع
وبالشام اخوانى وجل عشيرتى فقد جعلت نفسى اليهم تَطلَّع

وقال

ليت شعري هل البَلاط كعهدى والمصلَّى الى قصور العقيق
لامني فى هواك يا أم يحيى من مُبين بغشه أو صـــديق

وكان ابن الزبير قد نفى أبا قطيفة مع من نفاه من بني أمية عن المدينة الى الشام فلما طال مقامه بها قال

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا قُباء وهل زال العقيق وحاضره
وهل بَرِحت بطحاء قبر محمد أراهطُ غُرّ من قريش تباكره
لهم منتهى حبى وصفو مودتى ومحض الهوى مني وللناس سائره

وقال

ليت شعرى وأين مني لَيْتَ أعلى العهد يَلْبَن [1] فبَرام
أم كعهدى العقيق أم غيرته بعدىَ الحـــادثات والأيام
وبأهلى بدلت عكّا ولَخْما وجُذاما وأين مني جُذام

(١) جبل قرب المدينة وبرام جبل فى بلاد بنى سليم عند الحرة من ناحية البقيع

وتبدلت من مساكن قومى والقصور التى بها الآطام (١)
كل قصر مشيد ذي أواس (٢) يتغنى على ذراه الحمام
اقر منى السلام ان جئت قومى وقليل لهم لدىَّ السلام
أقطع الليل كله باكتئاب وزفير فما أكاد أنام
نحو قومى اذ فرقت بيننا الدا ر وحادت عن قصدها الأحلام
خشية أن يصيبهم عنت الدهر وحرب يشيب منها الغلام
فلقد حان أن يكون لذا الدهر عنا تباعد وانصرام

ولما بلغ ابن الزبير هذا الشعر قال أحسن والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله ، من لقيه فليخبره أنه آمن فليرجع ، فأخبر بذلك فانكفأ الى المدينة راجعاً ، فلم يصل اليها حتى مات

وقال

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا جَبُوب المصلَّى أم كعهدالقرائن (٣)
وهل أدْوُر حول البلاط عوامر من الحى أم هل بالمدينة ساكن
اذا بَرَقت نحو الحجاز سحابة دعا الشوق مني برقها المتيامن
فلم أتركها رغبة عن بلادها ولكنه ما قدَّرَ الله كائن
أحن الى تلك الوجوه صبابة كأنى أسير فى السلاسل راهن

وكان يتحرق على المدينة فأتى عبّاد بن زياد ذات يوم عبد الملك فقال له ان أخاً له أخبره أن العراقين قد فتحا ، فقال عبد الملك لأبى قطيفة لما يعلمه من حبه المدينة أما تسمع الى ما يقول عباد عن خاله قد طابت لك المدينة الآن فقال أبو قطيفة

---

(١) الآطام الدور المسطحة السقوف (٢) الآسية الدعامة وجمعها أواس وروى ذى أواش كأنه أراد أن هذه القصور موشية أى منقوشة (٣) القرائن موضع بالمدينة والبلاط موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين المسجد وسوق المدينة والجبوب الأرض الصلبة

انى لأحمق من يمشى على قدم ان غرنى من حياتى حال عبّاد
أنشا يقول لنا المصران قد فتحا ودون ذلك يوم شره باد

وأمّ أبى قطيفة أرْوَى بنت أبى عقيل بن مسعود وهى أُمّ أخيه خالد ، وفى ذلك يقول

أنا ابن أبى مُعيط حين أنْمِي لأكرم ضِنْضِئي وأعز جيل
وأنْمِي للعقائل من قُصَيّ ومخزوم فما أنا بالضئيـــل
وأرْوَى من كُرَيز قد نمتنى وأروى الخير بنت أبى عقيل
كلا الحيين من هذا وهـذا لعمر أبيك فى الشرف الطويل
فعدِّد مثلهن أبا ذباب (١) فيعلم ما تقول ذوو العقول
فما الزَّرقاء (٢) لي أُمًّا فأخزى ولا لي فى الأزارق من سبيل

بلغ أبا قطيفة أن عبد الملك ينتقصه فقال

نبئت أن ابن العملَّس عابنى ومن ذا من الناس البرىء المسلم
فمن أنتمُ من أنتمُ خبروا فمن فقد جعلت أشياء تبدو وتكتم

فبلغ ذلك عبد الملك فقال ما ظننت أنا نجهل والله لولا رعايتى لحرمته لألحقته بما يعلم ولقطعت جلده بالسياط

طلق أبو قطيفة امرأته ثم ندم ، فقال بعد أن تزوجها رجل من أهل العراق

فيا أسـفا لفرقة أمّ عمرو ورحلة أهلها نحو العراق
فليس الى زيارتها سبيل ولا حتى القيامة من تلاق
وعلَّ الله يرْجِعها الينا بموت من حليل أو طلاق
فأرجع شامتاً وتقرّ عيني ويجمع شملنا بعد افتراق

(١) يعني عبد الملك بن مروان (٢) الزرقاء احدى أمهاته من كندة وكان يعير بها

ورثى سعيد بن عثمان بن عفان بقوله

يا عين جودي بدمع منك تهتانا وابكي سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عفانا

ان ابن زينة لم تصدق مودته وفر عنه ابن أرطاة بن سَيْحانا

يزيد بن معاوية

مما يغني فيه من شعره

ألا يا صاح للعجب دعوتك ثم لم تجب

الى القَيْنات واللذا ت والصهباء والطرب

وباطيــــة مُكَلَّلة عليها سادة العرب

وفيهن التى تَبَلت فؤادك ثم لم تتب

قدم سلم بن زياد على يزيد فنادمه فقال له ليلة ألا أُوليك خراسان ، قال بلى وسجستان ، فعقد له فى ليلته فقال

اسقنى شربة تروِّى عظامى ثم عد واسق مثلها ابن زياد

موضع السر والأمانة منى وعلى ثغر مغنمى وجهادى

ومن قوله فى إجارته للأخطل من الأنصار

دعا الأخطل الملهوف بالشر دعوة فأيِّ مجيب كنت لما دعانيا

ففرج عنه مشهد القوم مشهدى وألســنة الواشين عنه لسانيا

ومن قوله فى علة أبيه التى مات فيها

جاء البريد بقرطاس يَخُبُّ به فأوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا لك الويل ماذا فى صحيفتكم قال الخليفة أمسى مثبتاً وجعا

مادت بنا الأرض أوكادت تميد بنا كأن ما عزَّ من أركانها انقلعا

من لم تزل نفسه توفى على وجل توشك مقادير تلك النفس أن تقعا

لما وردت وباب القصر منطبق   لصوت رملة هدّ القلب فانصدعا

وكان يومئذ غازياً غزاة الصائفة ، وسبب ذلك أن معاوية وجه جيشاً الى بلد الروم ليغزوا الصائفة ، فأصابهم جُدَرِيّ ، فمات أكثر المسلمين ، وكان ابنه يزيد مصطبحاً بدير مُرَّان مع زوجته أمّ كلثوم فقال

اذا ارتفقت على الأنماط مصطبحاً   بدير مُرَّان عندى أمّ كلثوم

فما أُبالي بما لاقت جنودهمُ   بالغذْقذونة من حُمَّى ومن موم (١)

فبلغ شعره أباه ، فقال أجَلْ والله ليلحقن بهم فليصيبنه ما أصابهم ، فخرج حتى لحق بهم وغزا حتى بلغ القسطنطينية ، فنظر الى قبتين مبنيتين عليهما ثياب الديباج فاذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من احداهما أصوات الدفوف والطبول والمزامير ، واذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى ، فسأل يزيد عنهما ، فقيل له هذه بنت ملك الروم وتلك بنت جبَلَة بن الأيهم ، وكل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها ، فقال أمَ والله لأسرنّها ، ثم حث العسكر وحمل حتى هزم الروم فأجحرهم فى المدينة وضرب باب القسطنطينية بعود حديد كان فى يده فهشمه حتى انخرق فضرب عليه لوح من ذهب فهو عليه حتى اليوم

قال القَحذمى كانت مَيْسون بنت بَحْدَل الكلبية تزين يزيد بن معاوية وترجّل جمته ، فاذا نظر اليه معاوية قال

فان مات لم يفلح مزينه بعده   فعوض عليه يامزينَ التمائما

قال لقيط بن نصر المحاربى كان يزيد بن معاوية أول من سن الملاهى فى الإسلام من الخلفاء وآوى المغنين وأظهر الفتك وشرب الخمر ، وكان ينادم عليها سرجون النصرانى مولاه والأخطل ، وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده فيخلع عليه ويصله ، فغناه يوماً

---

(١) الموم البرسام وأشد الجدرى والغذقذونة اسم جامع للثغر الذى منه المصيصة وطرسوس وغيرهما

يا لَلرجال لمظلوم بضاعتـــه ببطن مكة نائى الأهل والنفر

فاعترته أرْيَحية فرقص حتى سقط ، ثم قال اخلعوا عليه خلعاً يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء ، فطرحت عليه الثياب والجباب والمطارف والخز حتى غاب فيها

خالد بن يزيد

هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان من رجالات قريش سخاء وعارضة وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه ، وكان يوصف بالعلم ويقول الشعر ، خطب رملة بنت الزبير وقال فيها

أليس يزيد السيرُ فى كل ليلة وفى كل يوْم من أحبتنا قربا
أحن الى بنت الزبير وقد علت بنا العيس خرقاً من تهامة أو نقبا
اذا نزلت أرضاً تحبب أهلها الينا وان كانت منازلها حربا
وان نزلت ماء وان كان قبلها مليحاً وجدنا ماءه بارداً عذبا
تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالا يجول ولا قُلبا
أقلوا عليَّ اللوم فيهـــا فاننى تخيرتها منهم زبيرية قلبا
أحب بنى العوام طراً لحبها ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

قال أبو زيد وزادوا فى الأبيات

فان تسلمى نُسلم وان تتنصرى تخط رجال بين أعينهم صلبا

وتزوج بنت عبد الله بن جعفر بن عليّ بن أبى طالب عليه السلام فقال فيها

جاءت بها دُهم البغال وشهبها مقنعة فى جوف حدْج مخدر
مقابلة بين النبى محمـــد وبين عليّ والحوارى جعفر
منافية جادت بخالص ودها لعبـــد مناف أغر مشهر

العرْجى

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاصى بن أمية ، وأمه آمنة بنت سعيد بن عثمان ، وقيل له العرْجى لأنه كان يسكن عرْج الطائف ، وكان من شعراء قريش ومن شهر بالغزل منها ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة فى ذلك وتشبه به فأجاد ، وكان مشغوفاً باللهو والصيد ، حريصاً عليهما ، قليل المحاشاة لأحد فيهما ، ولم يكن له نباهة في أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه ، شبب بجيداء وهى أم محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومى ، وكان ينسب بها ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما ، فكان ذلك سبب حبس محمد اياه وضربه له حتى مات في السجن فقال فى حبسه

أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغْر
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتهم بنحرى
أجرر فى المجامع كل يوم فيالله مظلمتى وقسرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً ولم تلك نسبتى فى آل عمرو

كان لأبي حنيفة جار بالكوفة يغني ، فكان اذا انصرف وقد سكر يغنى فى غرفته ويسمع أبو حنيفة غناءه فيعجبه ، وكان كثيراً ما يغنى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلقيه العسس ليلة فأخذوه وحبس ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة فسأل عنه من غد فأخبر ، فدعا بسواده وطويلته فلبسهما وركب الى عيسى بن موسى فقال له ان لي جاراً أخذه عسسك البارحة فحبس وما علمت منه الا خيراً ، فقال عيسى سلموا الى أبي حنيفة كل من أخذه العسس البارحة ، فأطلقوا جميعاً فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سراً ألست كنت تغنى يافتى كل ليلة « أضاعونى وأى فتى

أضاعوا » فهل أضعناك ؛ قال لا والله أيها القاضى ولكن أحسنت وتكرمت أحسن الله جزاءك ، قال لتعد الى ما كنت فتغنيه فانى كنت آنس بك ولم أر به بأساً ، قال أفعل ، وقال الاصمعى مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفاً ويغنى « أضاعونى وأى فتى أضاعوا » فقلت له أما سداد الكنيف فأنت ملىء به وأما الثغر فلا علم لي بك كيف أنت فيه ، وكنت حديث السن فأردت العبث به ، فأعرض عني ملياً ثم أقبل على فأنشد متمثلا

وأكرم نفسي انني ان أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت له والله ما يكون من الهوان شىء أكثر مما بذلتها له ، فبأى شىء أكرمتها ؟ فقال بلى والله ان من الهوان لشراً مما أنا فيه ، فقلت وماهو ؟ فقال الحاجة اليك والى أمثالك من الناس ، قال الأصمعى فانصرفت عنه وأنا أخزى الناس ، قال اسحاق الموصلى اختصر الأصمعى فيما أرى الجواب وستر أقبحه على نفسه والافكناس كنيف قائم يكنسه ويعبث به هذا العبث فيرضى بهذا الجواب الذى لايجيب بمثله الأحنف بن قيس لو كانت المخاطبة له

كانت مولاة لثقيف اسمها كلابة عند عبد الله بن القاسم الأموى العبلى وكان يبلغها تشبيب العرجي بالنساء وذكره لهن فى شعره وكانت كلابة تكثر أن تقول لشدّ ما اجترأ العرجى على نساء قريش حتى يذكرهن في شعره ، ولعمرى مالقى أحداً فيه خير ولئن لقيته لأسودن وجهه ، فبلغه ذلك عنها ، وكان العبلى نازلا على ماء لبنى نصر بن معاوية يقال له الفُتُق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران أو تبالة الي مكة والعرج أعلاها قليلا مما يلى الطائف ، فبلغ العرجى أنه خرج الى مكة فأتى قصره فأطاف به ، فخرجت اليه كلابة وكان خلفها فى أهله فصاحت به اليك ويحك ، وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو الى القصر ، فاستسقاها ماء فأبت أن تسقيه وقالت لايوجد والله أثرك عندى أبداً فيلصق بى منك عسر ، فانصرف وقال ستعلمين وقل

حُور بعثن رسولاً فى ملاطفة ... ثَقْفاً اذا عقل النَّسَاءة الوَهَم
اليَّ أنْ إيتنا هُدْأً اذا غفلت ... أحراسنا ، وافتضحنا انهمُ علموا
فجئت أمشى على هول أُجَشَّمه ... تجشمُ المرء هولاً في الهوى كرم
اذا تخوفت من شىء أقول له ... قد جفّ فامض بشىء قُدِّر القلم
أمشى كما حركت ريح يمانية ... غصناً من البان رَطْباً طلّه الدِّيم
فى حلة من طراز السوس مُشْرَبَة ... تعفو بهُدّابها ما أثرت قدم
خلت سبيلى كما خليت ذا عذر ... اذا رأته عتاق الخيل ينتجم
وهن في مجلس خال وليس له ... عين عليهن أخشاها ولا قدم
حتى جلست إزاء الباب مكتتما ... وطالب الحاج تحت الليل مكتتم
أَبدَيْن لى أعيناً نُجْلاً كما نظرت ... أُدْمٌ هِجان أتاها مُصْعَب قطم
قالت كُلابة من هذا ؟ فقلت لها ... أنا الذى أنت من أعدائه زعموا
أنا امرؤ جد بى حب فأحرضنى ... حتى بليت وحتى شفنى السقَم
لا تَكِلينى الى قوم لوآنهمُ ... من بغضنا أُطعموا الحي اذاً طعموا
وأنعمى نعمة تُجْزَيْ بأحسنها ... فطالما مسنى من أهلك النعم
سترَ المحبين فى الدنيا لعلهمُ ... أن يحدثوا توبة فيها اذا أثموا
هذى يمينىَ رهن بالوفاء لكم ... فارضَيْ بها ولأنف الكاشح الرَّغم
قالت رضيت ولكن جئت فى قمر ... هلا تلبثت حتى تدخل الظلم
فبت أُسقى بأكواس أُعَلُّ بها ... من بارد طاب منها الطعم والنسم
حتى بدا ساطع للفجر تحسَبه ... سنا حريق بليل حين يضطرم
كغُرَّة الفرس المنسوب قد حُسرت ... عنه الجلال تلالا وهو يلتجم
ودعتهن ولا شىء يراجعني ... الا البنان وإلا الأعين السُّجُم
اذا أردن كلامى عنده اعترضت ... من دونه عبرات فانثنى الكلم

تكاد اذ رمن نهضاً للقيام معى　　أعجازهن من الأنصاف تنقصم

فسمع ابن القاسم العبلى بالشعر يغنى به ، وكان العرجى أعطاه جماعة من المغنين وسألهم أن يغنوا فيه ، فصنعوا في أبيات منه عدة ألحان ، وقال والله لاأجد لهذه الأمة شيئاً أبلغ من ايقاعها تحت التُّهَمة عند ابن القاسم ليقطع ما كانها من ماله ، فلما سمع العبلى بالشعر يغنى به أخرج كلابة واتهمها ، ثم أرسلها بعدزمان على بعير بين غِرارتى بعر فأحلفها بمكة بين الركن والمقام أن العرجى كذب فيما قاله ، فحلفت سبعين يميناً ، فرضي عنها وردها ، فكان بعد ذلك اذا سمع قول العرجى « فطالما مسني من أهلك النعم » قال كذب والله مامسه ذلك قط

وقال يشبب بامرأة من بني نصر بن معاوية اسمها عاتكة

يادار عاتكة التى بالأزهر (١)　　أو فوقه بقفا الكثيب الأحمر
لم ألق أهلك بعد عامَ لقيتهم　　ياليت أن لقاءهم لم يقدر
بفناء بيتك وابن مِشْعب (٢) حاضر　　فى سامر عَطِر وليل مقمر
مستشعرين ملاحفاً هَرَوِيَّة　　بالزعفران صباغها والعصفر
باتا بأنعم ليلة حتى بدا　　صبح تلوّح كالأغرّ الأشقر
فتلازما عند الفراق صبابة　　أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

وقال فى أمّ الأوقص التميمية ، وكان يتعرض لها فتستتر منه فاحتال حتى رآها وقال

أقول لصاحبيَّ ومثل ما بى　　شكاه المرء ذو الوجد الأليم
الى الأخوين مثلهما اذا ما　　تأوّبه مؤرقة الهموم
لحينى والبلاء لقيت ظهراً　　بأعلى النقع أختَ بني تميم
فلما أن رأت عيناى منها　　أسيل الخد فى خَلَق عميم

(١) الأزهر على ثلاثة أميال من الطائف　(٢) مغن من أهل مكة كان في زمن ابن سريج

وعيني جُؤذَرٍ خَرِقٍ وثغرٍ كلون الأُقحوان وجيدَ رِيمِ
حنا أترابها دونى عليها حُنُوَّ العائدات على السقيم

وتزوج العرجي أم عثمان بنت بكير بن عمرو بن عثمان ، وأمها سكينة بنت مصعب بن الزبير ، فقال فيها

أن عثمان والزبير أحلا دارها باليفاع اذ ولداها
انها بنت كل أبيض قَرْم نال فى المجد من قُصيّ ذراها
سكن الناس بالظواهر منها وتبوَّا لنفسه بَطْحاها

ولما تزوج الرشيد زوجته العثمانية أُعجِب بها فكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات

قال عبد الله بن عمر العمرى خرجت حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفثت فيه فأدنيت ناقتى منها ثم قلت لها يا أمة الله ألست حاجة ؟ أما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسناً ثم قالت تأمل ياعم فانني ممن عناه العرجي بقوله

أماطت كساء الخزّ عن حرّ وجهها وأدنت على الخدين بُرْداً مهلهلا
من اللاء لم يَحْجُجْن يبغين حِسْبة ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

فقلت لها أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار ، و بلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال أما والله لو كان من بعض بغضاء العراق لقال لها اعزُبي قبحك الله ولكنه ظَرف عباد أهل الحجاز

ومما قاله العرجي في أم محمد بن هشام

عوجى علينا ربة الهودج انك الا تفعلى تحْرَجى
انى أتيحت لي يمانية احدى بنى الحرث من مَذْحج
نلبَث حولا كاملا كله ما نلتقى إلا على منهج
فى الحج ان حجت وماذا مِنًى وأهله ان هى لم تَحْجُج ؟
أيسر ما نال محب لدى بين حبيب قولُه عرِّج

نقض لكم حاجة أو نقل هل لى مما بيَ من مخرج

وقال يشبب بجبرة المخزومية ، وهى زوج محمد بن هشام

عوجى على فسلمى جَبْرُ فيم الصدود وأنتم سَفْرْ

ما نلتقى إلا ثلاث منًى حتى يفرق بيننا النفَرْ

الحول بعد الحول يتبعه ما الدهر الا الحول والشهر

ومما قاله العرجى فى سجنه

وكم من كاعب حوراء بكر ألوف الستر واضحة التراقى

بكت جزعا وقد سُمرت كُبول وجامعة يشد بها خناق

على دهماء مشرفة سَموق ثناها القمح مزلقة التراقى

علىَّ عباءة بلقاء ليست مع البلوى تغيب نصف ساقى

كأن على الخدود وهن شُعْث سجال الماء يبعث فى السواقى

فقلت تجلداً وحلفت صبراً الى ذا اليوم ما رفعت أماقى

سينصرنى الخليفة بعد ربى ويغضب حين يخبر عن مساقى

وتغضب لي بأجمعها قصى قطين البيت والدمث الرقاق

بمجتمع السيول اذا تنحى لئام الناس فى الشعب العماق

وكان الوليد مضطغناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلغه عنه فى حياة هشام فلما ولى الخلافة قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم وأشخصا اليه الى الشام ، ثم دعا بالسياط ، فقال له محمد أسألك بالقرابة ، قال وأى قرابة بينى وبينك ؟ وهل أنت الا من أشجع ؟ قال فأسألك بصهر عبد الملك ، قال لم تحفظه ، فقال ياأمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشى بالسياط الا فى حد ، قال ففى حد أضربك وقوَد أنت أول من سن ذلك على العرجي وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا

الخبر وأنا ولي ثأره ، اضرب ياغلام ، فضربهما ضرباً مبرحاً وأثقلا بالحديد ووجه بهما الى يوسف بن عمر بالكوفة وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا ، وكتب اليه احبسهما مع ابن النصرانية « يعنى خالداً القسْرى » ونفسك نفسك ان عاش أحد منهم ، فعذبهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالا عظيما ، حتى لم يبق فيهم موضع للضرب ، فكان محمد بن هشام مطروحاً فاذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها ، ولما اشتدت عليهما الحال تحامل ابراهيم لينظر فى وجه محمد فوقع عليه فماتا جميعاً ومات خالد القسري معهما في يوم واحد

قال مصعب بن عبد الله أتانى أبو السائب المخزومى ليلة بعد ما رقد السامر ، فأشرفت عليه ، فقال سهرت وذكرت أخاً لي أستمتع به فلم أجد سواك فلو مضينا الى العقيق فتناشدنا وتحدثنا ، فمضينا فأنشدته فى بعض ذلك بيتين للعرجى « باتا بأنعم ليلة » فقال أعده عليَّ ، فأعدته ، فقال أحسن والله امرأته طالق ان نطق بحرف غيره حتى يرجع الى بيته ، فلقينا عبد الله بن حسن بن حسن ، فلما صرنا اليه ووقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة فسلم ثم قال كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال له

فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إليَّ وقال متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت منذ الليلة ، فقال انا لله وأى كهل أصيبت به قريش ؟ ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمى قاضى المدينة يريد مالاً له على بغلة له ومعه غلام على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة ، فسلم ثم قال كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال

فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إليَّ وقال متى أنكرت صاحبك ؟ قلت آنفاً ، فلما أراد المضى قلت أفتدعه هكذا ؟ والله ما آمن أن يتهور فى بعض آبار العقيق ، قال صدقت ياغلام

قَيْدَ البغلة ، فأخذ القيد فوضعه فى رجله وهو ينشد البيت ويشير بيده اليه يرى أنه يفهم عنه قصته ، ثم نزل الشيخ وقال لغلامه ياغلام أوصله على بغلتى وألحقه بأهله ، فلما كان بحيث علمت أنه فاته أخبرته بخبره ، فقال قبحك الله فضحت شيخاً من شيوخ قريش وغررتني

أنشد ابن جندب الهذلي ابنَ أبي عتيق قول العرجى

وما أَنْسَ مِ الأشياء لا أنس قولها ... لخادمها قومى اسألي لي عن الوتر

فقالت يقول الناس فى ستّ عشرةً ... فلا تعجلي منـه فانك فى أجر

فما ليلة عندى وان قيل جمعة ... ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر

بعادلة الاثنين عندى وبالحَرَى ... يكون سواء منهما ليلة القَدْر

فقال ابن أبي عتيق أشهدكم أنهـا حرة من مالي ان أجاز ذلك أهلها ، هذه والله أفقه من ابن شهاب

قال مَسلمة بن ابراهيم بن هشام كنت عند أيوب بن مسـلمة ومعنا أشعب فذكر قول العرجى

أين ما قلتِ مت قبلك أينـــا ... أين تصـديق ما وعدتِ الينا

فلقد خفت منك أن تصْرِمى الحبــل وأن تجمعى مع الصَّرْم بَيْنا

ما تقولين فى فتى هام اذ ها ... م بمن لا ينُال جهلاً وحينا

فاجعلي بيننا وبينك عـــدلاً ... لا تَحيفى ولا يَحيف علينا

واعلمي أن في القضاء شهوداً ... أو يميناً فأحضرى شاهدينا

خُلتى لو قدرت منك على ما ... قلتِ لي فى الخلاء حين التقينا

ما تحرجتِ من دمى عــلم اللّـــه ولو كنتُ قد شهدت حُنينا

فقال أيوب لأشعب ما تظن أنها وعدته ؟ قال أخبرك يقيناً لا ظناً أنها وعدته أن تأتيه فى شِعْب من شعاب العَرْج يوْم الجمعة اذا نزل الرجال الى الطائف للصلاة

فعرض لها شغل فقطعها عن موعده ، قال فمن كان الشاهدان ؟ قال كسير وعوير وكلّ غير خير ، فند أبو زيد مولى عائشة بنت سعد وزور الفرق مولى الأنصار ، قال فمن العدْل ؟ قال حصين بن عرير الحميرى

كان العرجى يستقى على ابله فى شملتين ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينار ثم يقول

يوْماً لأصحابى ويوْماً المال — مدْرَعة يوْماً ويوْماً سرْبال

كان العرْجى غازياً فأصابت الناس مجاعة ، فقال للتجار أعطوا الناس وعليَّ ما تعطون ، فلم يزل يعطيهم ويطعم الناس حتى أخصبوا ، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار فألزمها العرْجى نفسه ، وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال بيت المال أحق بهذا ، فقضى التجار ذلك المال من بيت المال

عبد الرحمن بن الحكم

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ، يكنى أبا مطرّف

شاعر إسلامى متوسط الحال فى شعراء زمانه

قدم على معاوية وقد عزل أخاه مروان عن الحجاز وولى سعيد بن العاصى ، وكان مروان وجه به وقال القه أمامى فعاتبه لي واستصلحه ، فدخل عليه وهو يعشى الناس فأنشأ يقول

أتتك العيس تنفخ فى بُراها — تكشف عن مناكبها القطوع

بأبيض من أمية مضْرَحىّ — كأن جبينه سيف صنيع

فقال معاوية أزائراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً ؟ فقال أىّ ذلك شئت فقال له ما أشاء من ذلك شيئاً ، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذى عنّ له فقال له على أىّ الظهر أتيتنا ؟ قال على فرسى ، قال وما صفته ؟ قال أجش هزيم ، يعرض بقول النجاشى له

ونجى ابنَ حرب سابحٌ ذو عُلالة　　أجشّ هزيمٌ والرماحُ دَوانِ

اذا خلت أطراف الرماح تناله　　مرَتْه به الساقان والقـــدمان

فغضب معاوية وقال أما انه لا يركبه صاحبه فى الظلم الى الريب ولا هو ممن يتسور على جاراته ولا يتوثب على كنائنه بعد هجعة الناس ، وكان عبد الرحمن يتهم بذلك ، فخجل عبد الرحمن وقال يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك ؟ ألجناية أوجبت سخطاً أم لرأى رأيته وتدبير استصلحته ؟ قال لتدبير استصلحته ، قال فلا بأس بذلك وخرج من عنده فلقى أخاه مروان فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية ، فاستشاط غيظاً وقال له قبحك الله ما أضعفك ، أعرضت للرجل بما أغضبه حتى اذا انتصف منك أحجمت عنه ؟ ثم لبس حلته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية فقال له حين رآه وتبين الغضب فى وجهه مرحباً بأبى عبد الملك لقد زُرتنا عن اشتياق منا اليك ، قال لا ها الله ما زُرتك لذلك ولا قدمت عليك فألفيتك الا عاقاً قاطعاً والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا ، لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبى العاصى والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم والخلافة فيهم ، فوصلوكم يا بنى حرب وشرفوكم وولَّوْكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم حتى اذا وليتم وأفضى الأمر اليكم أبيتم الا أثَرة وسوء صنيعة وقبح قطيعة ، فرويداً رويداً قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفاً وعشرين وانما هى أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ، ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذ ثم هم للجزاء بالحسنى وبالسُّوءى بالمرْصاد ، فقال له معاوية عزَلتك لثلاث لو لم يكن منهن الا واحدة لأوجبت عزلك ، إحداهن أنى أمَّرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفى منه ، والثانية كراهتك لأمر زياد ، والثالثة أن ابنتى رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعْدِها ، فقال له مروان أما ابن عامر فانى لا أنتصر منه فى سلطانى ولكن اذا تساوت الأقدام علم أين موقعه ، وأما كراهتي أمر زياد فان سائر بنى أمية كرهوه

ثم جعل الله لنا فى ذلك الكره خيراً كثيراً ، وأما استعداء رملة على عمرو فوالله انى لتأتى على سنة أو أكثر وعندى بنت عثمان فما أكشف لها ستراً ، فقال له معاوية يا ابن الوزغ لست هناك ، فقال له مروان هو ذاك الآن والله انى لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وقد كاد ولدى أن يكملوا العدة ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني ، فانخزل معاوية ثم قال

فان أكُ في شراركمُ قليلاً فانى في خيـاركمُ كثيرُ
بغاث الطير أكثرها فراخاً وأمّ الصقر مقلات نَزُور

فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية فى يده وخضع له وقال لك العُتْبَى وأنا رادك الى عملك ، فوثب مروان وقال كلا والله وعيشك لارأيتنى عائداً اليه أبداً وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية ما رأيت قط لك سـقطة مثلها ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأى شىء يكون منه ومن بنى أبيه اذا بلغوا أربعين ؟ وأى شىء تخشاه منهم ، فقال له ادن منى أخبرك بذلك ، فدنا منه ، فقال له ان الحكم بن أبى العاصى كان أحد من وفد مع أختي أمّ حبيبة لما زفت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى تولى نقلها اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِدّ النظر اليه ، فلما خرج من عنده قيل له يا رسول الله لقد أحددت النظر الى الحكم ، فقال ابن المخزوميه ، ذلك الرجل اذا بلغ ولده ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر بعدي فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية ، فقال له الأحنف لا يسمعن هذا أحد منك فانك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك وان يقض الله عز وجل أمراً يكن ، فقال له معاوية فا كتمها عليَّ يا أبا بحر إذاً فقد لعمرى صدقت ونصحت

وقال عبد الرحمن فى غضب معاوية من تعريضه

أتقطر آفاق السماء له دماً اذا قيل هذا الطِّرْف أجرد سابح
فحتى متى لا ترفع الطَّرْف ذلة وحتى متى تعيا عليك المنادح

قال ابن أبى مليكة رأيت بنى أمية يتتابعون نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بنى أمية عن الحجاز فذهبت معهم وأنا غلام ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده فدخلنا عليه ، فقال له عبيد الله بن عمير مالي أراك تذرف عيناك ؟ فقال له ان هذا «يعنى عبد الرحمن بن الحكم » قال بيتاً أبكانى وهو

وما كنت أخشى أن ترى الذل نسوتى — وعبد مناف لم تَغُلْها الغوائل

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بنى أميـة وانا انما كنا أهل بيت واحد في الجاهلية حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل

ومن قول عبد الرحمن فى جارية لاخيه مروان كان يهواها واسمها شنباء

لعمر أبى شنباء انى بذكرها — وان شحطت دار بها لحقيق

وانى لها لا ينزع الله مالها — عليَّ وان لم ترْعَه لصـــديق

ولماذ كرت الوصل قالت وأعرضت — متى أنت عن هذا الحديث مفيق ؟

لما ادعى معاوية زياداً قال ابن الحكم

ألا أبلغ معاوية بن حرب — مغلغلة من الرجل الهِجان

أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ — وترضى أن يقال أبوك زان

فأشهد أن رِحْمك من زياد — كرِحم الفيل من ولد الأُتان

وأشهد أنهـا ولدت زياداً — وصخر من سُمية غير دان

فبلغ ذلك معاوية فحلف ألاَّ يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنـه زياد ، فخرج الى زياد فلما دخل عليه قال إيه ياعبد الرحمن أنت القائل « ألا أبلغ » فقال لا أيها الأمير ما هكذا قلت ولـكنى قلت

ألا من مبلغ عنى زياداً — مغلغلة من الرجل الهِجان

من ابن القَرْم قرم بنى قصى — أبى العاص ابن آمنة الحَصان

حلفت برب مكة والمصلى — وبالتوراة أحلف والقران

لأنت زيادة فى آل حرب ‏ أحب الى من وُسْطَى بنانى

سررت بقربه وفرحت لما ‏ أتانى الله منه بالبيان

وقلت له أخو ثقة وعم ‏ بعون الله فى هذا الزمان

كذاك أراك والأهواء شتَّى ‏ فما أدرى بغيب ما ترانى

فرضى عنه زياد وكتب له بذلك الى معاوية ، فلما دخل عليه بالكتاب قال أنشدنى ماقلت لزياد ، فأنشده ، فتبسم ثم قال قبح الله زياداً ما أجهله والله لما قلت له أخيراً حيث تقول « لأنت زيادة فى آل حرب » شر من القول الأول ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه

استعمل معاوية الحرث بن الحكم على غزاة البحر فنكص واستعفى ، فوجه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان وهو يومئذ شاب فضى وأبلى وحسن بلاؤه ، فقال عبد الرحمن لأخيه الحرث

شنِئتك اذ رأيتك حوْتكياً ‏ قريب الخُصيتين من التراب

كأنك قملة لقحت كشافاً ‏ لبرغوث ببعرة أو صُواب

كفاك الغزوَ اذ أحجمت عنه ‏ حديثُ السن مقتبل الشباب

فليتك حيضة ذهبت ضلالا ‏ وليتك عند منقطع التراب

لطم عبد الرحمن مولى لأهل المدينة حنّاطاً ، وأخوه مروان يومئذ وال لأهل المدينة ، فاستعداه الحناط عليه فأجلسه مروان بين يديه وقال له الطمهْ ، فقال الحناط والله ما أردت هذا وانما أردت أن أعلمه أن فوقه سلطاناً ينصرنى عليه وقدوهبتها لك ، قال لست أقبلها منك فخذ حقك ، فقال والله لا ألطمه ولكنى أهبها لك ، فقال مروان ان كنت ترى أن ذلك يسخطنى عليك والله لا أسخط فخذ حقك ، فقال قد وهبتها لك ولست والله لألطمه ، قال لست والله قابلها فان وهبتها فهبها لمن لطمك أو لله عز وعلا ، فقال قد وهبتها لله ، فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان

كل ابن أم زائد غير ناقص وأنت ابن أم ناقص غير زائد
وهبت نصيبى منك يامرو كله لعمرو وعثمان الطويل وخالد

نظر عبد الرحمن الى قتلى قريش يوم الجمل فبكي وأنشأ يقول

أياعين جودى بدمع سَرِب على فتية من خيار العرب
وما ضرهم غير حين النفو س أيّ أميرى قريش غلب

وكانت بينه وبين عبد الرحمن بن حسان مهاجاة ، وقد كانا قبل خليلين ، وسبب التهاجى أنهما خرجا الى الصيد بأكلب لهما فى امارة مروان فقال ابن الحكم لابن حسان

ازجر كلابك انها قلطية [١] بقع ومثل كلابكم لم تصطد
من كان يأكل من فريسة صيده فالتمر يغنينا عن المتصيّد

فرد عليه ابن حسان

انا أناس ريقون وأمكم ككلابكم فى الولغ والتردّد
حزنا كمُ للضب تحترشونه والريفَ نمنعكم بكل مهند

ثم رجعا الى المدينة فجملا يتقارضان فقال ابن الحكم

ومثل أمك أم العبد قد ضربت عندى ولي بغناء مزهر جرم
وأنت عند ذناباها تعاونها على القدور بخفى خاثر البرم

فنقضها ابن حسان عليه بقصيدته التى يقول فيها

يأيها الراكب المزجي مطيته اذا عرضت فسائل عن بني الحكم
القائلين اذا لاقوا عدوهمُ فرّوا فكرّوا على النسوان والنّعم
وكم أمين نصيح الجيب قال لكم ألا نبيتم أخاكم يا بنى الحكم
عن رجل لايغيض فى عشيرتكم ولا ذليل قصير الباع معتصم

---

(١) القلطى القصير جداً من الناس والسنانير والكلاب

وقال ابن حسان

صار الذليل عزيزاً والعزيز به ... ذل وصار فروع الناس أذنابا

انى لملتمس حتى يبين لكم ... فيكم متى كنتم للناس أربابا

ففارقوا طلعكم ثم انظروا وسلوا ... عنا وعنكم قديم العلم أنسابا

فكيف يضحك أو تعتاده ذُكر ... يا بؤس للدهر للانسان ريّابا

ولما كثر التهاجى بينهما وأفحشا كتب معاوية يومئذ « وهو الخليفة » الى سعيد بن العاص « وهو عامله على المدينة » أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط ، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد وما مدح أحداً قط غيره ، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه فأمسك عنهما ، ثم ولي مروان فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مائة سوط ولم يضرب أخاه ، فكتب ابن حسان الى النعمان بن بشير وهو بالشام وكان كبيراً مكيناً عند معاوية

ليت شعرى أغائب أنت بالشا ... م خليلى أم راقد نعمان

آية ما تكن فقد يرجع الغا ... ئب يوماً ويوقظ الوسنان

ان عمراً وعامراً أبوينا ... وحراماً قِدْماً على العهد كانوا

أفهم مانعوك أم قلة الكتـ ... ـاب أم أمرى عليك هوان

يوم أنبئت أن ساقى رُضت ... وأتاكم بذلك الركبان

ثم قالوا ان ابن عمك يلوى ... من أمور أتى بها الحدثان

انما الرمح فاعلمنَّ قناة ... أو كبعض العيدان لولا السنان

وهى قصيدة طويلة ، فدخل النعمان على معاوية فقال يا أمير المؤمنين انك أمرت سعيداً أن يضرب ابن حسان وابن الحكم مائة مائة فلم يفعل ، ثم وليت مروان فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه ، قال فتريد ماذا ؟ قال أن تكتب اليه بمثل ما كتبت الى سعيد ، فكتب معاوية يعزم عليه أن يضرب أخاه مائة وبعث

الى ابن حسان بحلة ، فلما قدم الكتاب على مروان بعث الى ابن حسان انى مخرجك وانما أنا مثل والدك وما كان ما كان منى اليك الا على سبيل التأديب لك واعتذر اليه ، فقال ابن حسان ما بدا له فى هذا إلا لشيء قد جاءه ، وأبى أن يقبل منه ، فأبلغ الرسول ذلك مروان فوجه اليه بالحلة فرمى بها فى الحُشّ ، فقيل له حلة أمير المؤمنين وترمى بها فى الحش ؟ قال نعم ما أصنع بها ؟ وجاءه قومه فأخبروه الخبر ، فقال قد علمت انه لم يفعل ما فعل الا لأمر قد حدث ، فقال الرسول لمروان ما تصنع بهذا ؟ قد أبى أن يعفو فهلم أخاك ، فبعث مروان الى الأنصار وطلب اليهم أن يطلبوا اليه أن يضربه خمسين فانه ضعيف فطلبوا اليه فأجابهم فضربه خمسين ، فلقى ابن حسان بعض من كان لا يهوى ما ترك من ذلك فقال له أضربك مائة ويضربه خمسين ؟ بئسما صنعت اذ وهبتها له ، قال انه عبد وانما ضربه ما يضرب العبد نصف ما يضرب الحر ، فحمل هذا الكلام حتى شاع فى المدينة وبلغ ابن الحكم فشق عليه فأتى أخاه مروان بن الحكم فقال له لاحاجة لنا فيما تركت فهلم فاقتص فضرب ابن الحكم خمسين أخرى فقال ابن حسان يهجو ابن الحكم

دع ذا وعد قريض شعرك فى امرىء ... يهذى وينشد شعره كالفاجر
عثمان عمكمُ ولستم مثله ... وبنو أمية منكم كالآمر
وبنو أبيه سخيفة أحلامهم ... فُحش النفوس لدى الجليس الزائر
أحياؤهم عار على أمواتهم ... والميتون مسبة للغابر
هم ينظرون اذا مددت اليهمُ ... نظر التيوس الى شفار الجازر
خُزْر العيون منكس أذقانهم ... نظر الذليل الى القوى القاهر

فقال ابن الحكم

لقد أبقى بنو مروان حزناً ... مبيناً عاره ابني سواد
أطاف به صبيح فى مشيد ... ونادى دعوة بابنى سعاد
لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لاحياة لمن تنادى

أم حكيم

هى أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن العاص ، أمها زينب بنت عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام ، وكانت هى وأمها من أجمل نساء قريش ، فكانت قريش تقول لأمّ حكيم الواصلة بنت الواصلة لأنهما وصلتا الجمال بالكمال ، وأمّ زينب سُعدى بنت عوف الطائية وكانت عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة فولدت له ملحة وريَطة ، ثم توفى عنها فخلف عليها طلحة بن عبيد الله فولدت له يحيى وعيسى ، ثم قتل عنها فخطبها عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فتكلم بنوها وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالا ، فقالت انه قد بقى فى رحم أمكم فضلة شريفة لابد من خروجها فتزوجها فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه وزينب وهى أم أم حكيم ، وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم ، وقد قدم الكوفة علي عبد الملك بن بشر ابن مروان ، وكان صديقه ، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم ، فلما قدم تغيبوا فلم يظهر أحد منهم حتى خرج ، وبث المغيرة الجفان فى السكك والقبائل يطعم الناس فقال فيه شاعر من أهل الكوفة

أتاك البحر طمّ على قريش مُغيرى فقد زاغ ابن بشر

وقال مصعب الزبيرى هو « يعنى المغيرة » مطعم الجيش بمني وهو الى الآن يطعم عنه ، وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً ، وقد كان أعلاها قضيباً وأسفلها كثيباً ، تزوجها أبان بن مروان بن الحكم فولدت له عبد العزيز بن أبان ثم مات عنها فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، فمالوا الى عبد الملك فأرسل يحيى الى المغيرة بن عبد الرحمن كم الذى تأمل من عبد الملك ؟ والله لا يزيدها على الف دينار ولا يزيدك على خمسمائة دينار ولها عندى خمسون الف دينار ولك عندي عشرون الف دينار ان زوجتنيها ، فزوجه إياها على ذلك ، فغضب عليه

عبد الملك وقال دخل عليّ في خطبتي والله لايخطب على منبر مادمت حياً ولارأى مني ما يحب ، فأسقطه فقال يحيى

ألا لا أبالي اليوم ان أسلب ان بقيت لي كمكتان وزينب

وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد تزوجها في حياة جده عبد الملك ، ولما عقد النكاح بينهما عقد في مجلس عبد الملك وأمر بادخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ، ويقولوا في ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس فاختير منهم جرير وعدي بن الرقاع فدخلا وبدأ عدى لموضعه منهم فقال

قمر السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ماغابا وما طلعا
ما وارت الأستار مثلهما ممن رأى هذا ومن سمعا
دام السرور له بها ولها وتهنيا طول الحياة معا

وقال جرير

جمع الأمير اليه أكرم حرة في كل ماحال من الأحوال
حكمية علت الروابى كلها بمفاخر الأعمام والأخوال
واذا النساء تفاخرت بمعولة فخرتهم بالسيد المفضال
عبد العزيز ومن يكفّ نفسه أخلاقه يابث بأكسف بال
هنأتكم بمودة ونصيحة وصدقت في نفسي لكم ومقالي
فلتهنك النعم التي خولتها ياخير مأمول وأكرم وال

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ولعدى بن الرقاع بمثلها وقضى لأهله ومواليه يومئذ مائة حاجة وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير عشرة دنانير ، فلم تزل عند عبد العزيز مدة ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر فملكته وأحبها وذهبت بقلبه كل مذهب فلم ترض منه الا بطلاق أم حكيم فطلقها فتزوجها هشام بن عبد الملك ، ثم مات عبد العزيز فتزوج هشام ميمونة

أيضاً وكان شديد المحبة لأم حكيم فطلق لها ميمونة اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز وقال لها هل أرضيتك منها ؟ فقالت نعم ، فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام وكان من رجالات بنى امية وكان أحد من يطعن على الوليد بن يزيد ويغرى الناس به

وكانت أم حكيم مهومة بالشراب لاتكاد تفارقه ومن قولها فى ذلك

ألا فاسقيانى من شرابكما الوَرْدى　　وان كنت قدأنفدت فاسترهنا بُرْدى

سِوارى ودُمْلوجى ومامَلكت يدى　　مباح لكم نَهْب ولاتقطعوا وِرْدى

وكأسها الذى كانت تشرب فيه مشهور عند الناس الى اليوم وهو فى خزائن الخلفاء حتى الآن وفيه يقول الوليد بن يزيد

عللانى بعاتقات الكروم　　واسقيانى بكأس أم حكيم

انها تشرب المدامة صرفاً　　في اناء من الزجاج عظيم

جنبونى أذاة كل لئيم　　انه ما علمت شر نديم

ثم ان كان في الندامى كريم　　فأذيقوه بعض مس النعيم

ليت حظي من النساء سليمى　　ان سلمى جنينتى ونعيمى

فدعونى من الملامة فيها　　ان من لامنى لغير رحيم

فيقال ان الشعر بلغ هشاماً فقال لأم حكيم أوَ تفعلين ما ذكره الوليد ؟ فقالت أو تصدق الفاسق فى شىء فتصدقه فى هذا ؟ قال لا ، فقالت هو كبعض كذبه

كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد فقال

فحسب أبى العباس كأس وقَينة　　وزِق اذا دارت به فى الذوائب

ومن جلساء الناس مثل ابن مالك　　ومثل ابن جزء والغلام ابن غالب

فقال الوليد يهجوه ويعيره بشرب أمه الشراب

ان كأس العجوز كأس رِواء　　ليس كأس ككأس أم حكيم

انها تشرب الرساطون صرفاً   فى اناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الفـيل لظلا فى سكرة وغموم
ولدته سكرى فلم تحسن الطلـق فوافى لذاك غير حكيم

وكان لهشام منها ابن يقال له مسلمة ويكنى أبا شاكر وكان هشام ينوه باسمه ، وأراد أن يوليه العهد بعده وولاه الحج ، فحج بالناس ، وفيه يقول عروة بن أذينة لما وفد على هشام وفرق فى الحجاز على أهلها مالاً كثيراً وأحبه الناس ومدحوه

أتينا نمتّ بأرحامنـا   وجئنا بأمر أبي شاكر

قال اسمعيل بن مجمع كنا نخرج مافى خزائن المأمون من الذهب والفضة ونزكي عنه ، فكان فيما يزكي عنه قائم كأس أم حكيم ، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالا ووصفه اسمعيل فقال كأس كبير من زجاج أخضر مقبضه من ذهب

آدم بن عبد العزيز

هو آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو أحد من منّ عليه أبو العباس السفاح من بني أمية لما قتل من وجد منهم ، وكان آدم في أول أمره خليعاً ماجناً منهمكاً فى الشراب ثم نسك بعد ما عمر ومات على طريقة محمودة

ومن قوله وفيه غناء

هاك فاشربها خليلي   فى مدى الليل الطويل
قهوة فى ظل كرم   سُبئت من نهر بيل
لونها أصفر صافٍ   وهى كالمسك الفتيل
فى لسان المرء منها   مثل طعم الزنجبيـل
ريحهـا ينفح منها   ساطعاً من رأس ميل
من ينَلْ منها ثلاثاً   ينس منهاج السبيل

فتى ما نال خمساً ترَكته كالقتيل
ليس يدري حين ذا كم ما دَبير من قبيل
ان سمعى عن كلام اللائمي فيها الثقيل
لَشديد الوَقْر انى غير مطواع ذليل
قل لمن يلحاك فيها من فقيه أو نبيل
أنت دَعْها وارج أخرى من رحيق السلسبيل
تعطش اليوم وتسقى فى غد نعت الطلول

فلما سمع المهدي هذين البيتين قال له ويلك تزندقت ؟ قال لا والله يا أمير المؤمنين ومتى رأيت قرشياً تزندق ؟ والمحنة فى هذا اليك ولكنه طرب غلبنى وشعر طفح على قلبى فى حال الحداثة ، فنطقت به ، فخلى سبيله ، وكان المهدى يحبه ويكرمه لظرفه وطيب نفسه

ومن قوله

اسقنى واسق غصينا لا تبع بالنقد دينا
اسقنيها مزة الطعم تريك الشين زينا

ومنه

اسقني يا معاوية سبعة أو ثمانية
اسقنيها وغنني قبل أخذ الزبانية
اسقنيها مدامة مزة الطعم صافية

وهو الذى يقول

أحبك حبين لي واحد وآخر انك أهل لذاك
فأما الذى هو حب الطباع فشىء خصصتِ به عن سواك
وأما الذى هو حب الجمال فلست أرى ذاك حتى أراك

ولست أمنّ بهذا عليك لك المن فى ذا وهذا وذاك

وقال لما نزع عن الخمر

ألا هل فتى عن شربها اليوم صابر ليجزيه يوماً بذلك قادر

شربت فلما قيل ليس بنازع نزعت وثوبى من أذى اللوم طاهر

وآدم الذى يقول

أقول وراعني ايوان كسرى برأس معان أو ادروسنان

وأبصرت البغال مربطات به من بعد أزمنة حسان

يعز على أبي ساسان كسرى بموقفكن فى هذا المكان

شربت على تذكر عيش كسرى شراباً لونه كالزعفران

ورحت كأننى كسرى اذا ما علاه التاج يوم المهرجان

مات آدم على توبة ومذهب جميل

الوليد بن يزيد

هو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وأمه امّ الحجاج بنت محمد بن يوسف وهى بنت أخى الحجاج ، وفيه يقول أبو نخيلة

بين أبي العاصى وبين الحجاج يا لكما نورا سراج وهاج

عليه بعد عمه عقد التاج

وأمّ يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وأمها أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وأمّ عبد الله بن عامر أمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ، ولذلك يقول الوليد بن يزيد

أنا ابن أبي العاصى وعثمان والدي ومروان جدي ذو الفعال وعامر

أنا ابن عظيم القريتين وعزها ثقيف وفهر والعصاة الأكابر

نبيّ الهدى خالى ومن يك خاله نبيّ الهدى يقهر به من يفاخر

وكان الوليد من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم وكان فاسقاً خليعاً متهماً فى دينه مرمياً بالزندقة وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل ، وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره ، ومن الناس من ينفى ذلك عنه وينكره ويقول أنه نُحِله وألصق اليه والأغلب الأشهر غير ذلك

لما وجه يزيد بن عبد الملك الجيوش الى يزيد بن المهلب وعقد لمسلَمة بن عبد الملك على الجيش ، وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق قال العباس يا أمير المؤمنين ان أهل العراق أهل غدر وارجاف وقد وجهتنا محاربين والأحداث تحدث ولا آمن أن يُرجف أهل العراق ويقولوا مات أمير المؤمنين ولم يعهد فيفُتّ ذلك فى أعضاد أهل الشام فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد ، قال غداً ، وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فأتى يزيد فقال يا أمير المؤمنين أيما أحب اليك ولد عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال بل ولد عبد الملك ، قال فأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال اذا لم تكن في ولدي فأخى أحق بها من ابن أخى ، قال فابنك لم يبلغ فبايع لهشام ثم لابنك بعد هشام ، والوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة ، قال غداً أبايع له ، فلما أصبح فعل ذلك وبايع لهشام وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ولا يغير عهده ولا يحتال عليه ، فلما أدرك الوليد ندم أبوه فكان ينظر اليه ويقول الله بينى وبين من جعل هشاماً بينى وبينك ، وتوفى يزيد سنة خمس ومائة وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة ، فلم يزل الوليد مكرماً عند هشام رفيع المنزلة مدة ، ثم طمع فى خلعه وعقد العهد بعده لابنه مسلمة ، فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكه وادمانه على الشراب ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به وولاه الحج ليظهر ذلك بالحرمين فيسقط ، فحج وظهر منه فعل كثير مذموم وتشاغل بالمغنين وبالشراب ، وأمر مولى له فحج بالناس ، فلما حج طالبه هشام بأن

يخلع نفسه فأبى ذلك ، فحرمه العطاء وحرم سائر مواليه وأسبابه وجفاه جفاء شديداً ، فخرج متبدّياً وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدباً ، وكان يرمى بالزندقة ، وحرض هشام الناس على خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام وأُمه أُمّ حكيم بنت يحيى ابن الحكم ، وكان مسلمة يكني أبا شاكر « كنى بذلك لمولى كان لمروان يكنى أبا شاكر كان ذا رأى وفضل وكانوا يعظمونه ويتبركون به » فأجابه الى خلع الوليد والبيعة لمسلمة محمد وابراهيم ابنا هشام بن اسمعيل المخزومى والوليد وعبد العزيز وخالد بن القعقاع بن خويلد العبسى وغيرهم من خاصة هشام ، وكتب الى الوليد ما تدع شيئاً من المنكر الا أتيته وارتكبته غير متحاشٍ ولا مستتر ، فليت شعرى مادينك ؛ أعلى الإسلام أنت أم لا ؛ فكتب اليه الوليد

يأيها السائل عن ديننا نحن على دين أبى شاكر
نشربها صرْفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال يعيرنى بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة فالزم الأدب واحضُر الصلوات ، وولاه الموسم سنة سبع عشرة ومائة فأظهر النسك وقسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال رجل من موالى أهل المدينة

يأيها السائل عن ديننا نحن على دين أبى شاكر
الواهب البُزْل بأرسانها ليس بزنديق ولا كافر

وبلغ خالداً القسرى ما عزم عليه هشام ، فقال أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر ، فبلغت هشاماً عنه هذه ، فكان ذلك سبباً لإيقاعه به ، وكان هشام يكثر تنقص الوليد فكان مسلمة بن عبد الملك يعاتب هشاماً ويكفه فمات مسلمة فغمّ الوليد ورثاه فقال

أتانا بريدان من واسط يخبّان بالكتب المعجمة
أقول وما البعد الا الرّدى أمَسْلَمَ لا تبعدن مسلمة

فقد كنت نوراً لنا فى البلاد تضىء فقد أصبحت مظلمة
كتمنا نعيك نخشى اليقين فجلَّى اليقين عن الجمجمة
وكم من يتيم تلافيتــــه بأرض العدو وكم أيمــــة
وكنت اذا ما الحرب درَّت دماً نَصَبْتَ لها راية معلمة

بينما هشام واقف يومَ توفى مسلمة بن عبد الملك اذ طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجر مُطْرَف خز عليه فوقف على هشام فقال يا أمير المؤمنين ان عُقْبَى من بقى لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن يرى واختل الثغر فَوَهَى ، وعلى أثر من سلف يمضى من خلف فتزودوا فان خير الزاد التقوى ، فأعرض عنه هشام ولم يرد جواباً ، ووَجَم الناس فما هَمَسَ أحد بشىء ، فمضى الوليد وهو يقول

أهيْنمة حديث القوم أم هم سكوت بعد ما متَعَ النهار
عُزَير كان بينهمُ نبياً فقول القوم وحى لا يحار
كأنا بعد مسلمة المرجَّى شُرُوب طوَّحت بهمُ عقار
أو الاف هجان فى قيود تلفَّت كلما حنَّتْ ظُؤار
فليتك لم تمت وفداك قوم تزيح غيبهم عنــــا الديار
سقيم الصدر أو شكس نكيد وآخر لا يزور ولا يزار

يريد بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد ويعنى بالشكس هشاماً والذى لا يزُور ولا يزار مروان بن محمد

لما أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده قال الوليد

كفرتَ يداً من منعمٍ لو شكرتَها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن
رأيتك تبنى جاهداً فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدَّمت ما تبنى
أراك على الباقين تبنى ضغينة فيا وَيْحَهم ان مت من شر ما تجنى

كأنى بهم يوماً وأكثرُ قولهم أياليت أنّا حين ياليت لاتغنى

عتب هشام على الوليد خاصته فخرج الوليد ومعه قوم من خاصته ومواليه فنزل بالأبلق بين أرض بَلْقَيْن وفزارة على ماء يقال له الأغدق وخلف بالرُّصافة كاتبه عياض بن مسلم ليكاتبه بما يحدث وأخرج معه عبدالصمد بن عبدالأعلى فشربوا يوماً فقال له الوليد يا أباوهب قل أبياتاً نغني فيها ، فقال أبياتاً وأمر عمر الوادى فغنى فيها وهي

ألم تر للنجم اذ سبعا يبادر فى بُرْجه المرجعا
تحير عن قصد مَجْراته أتى الغَوْر والتمس المطلَعا
فقلت وأعجبني شأنه وقد لاح اذلاح لي مُطمعا
لعل الوليد دنا ملكه كتأميل ذى الجَذْب أن يَمْرَعا
عقدنا له محكمات الامو رطوعاً وكان لها موضعا

فروى هذا الشعر وبلغ هشاماً فقطع عن الوليد ما كان يجرى عليه وعلى أصحابه وحرمهم وكتب الى الوليد قد بلغني أنك اتخذت عبد الصمد خِدْناً ومحدثاً ونديماً وقد حقق ذلك ما بلغني عنك ولن أبرئك من سوء فأخرج عبد الصمد مذموماً فأخرجه الوليد وقال

لقد قذفوا أبا وهب بأمر كبير بل يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليه شهادة عالم بهم خبير

فكتب الوليد الى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد واعتذر اليه من منادمته وسأله أن يأذن لابن سهيل فى الخروج اليه ، وكان من خاصة الوليد ، فضرب هشام ابن سهيل ونفاه وسيره ، وكان ابن سهيل من أهل النباهة وقد ولى الولايات ولى دِمَشق مراراً وولى غيرها ، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه ضرباً مُبَرِّحاً وألبسه المسوح وقيده وحبسه ، فغم ذلك الوليد وقال من يثق بالناس ومن

يصنع المعروف ؟ هذا الأحول المشؤم قدمه أبي على ولده وأهل بيته وولاه وهو يصنع معي ما ترون ولا يعلم ان لى في أحد هوى الا أضر به ، كتب الىّ بأن أخرج عبد الصمد فأخرجته ، وكتبت اليه فى أن يأذن لابن سهيل فى الخروج الىّ فضربه وطرده وقد علم رأيي فيه ، وعرف مكان عياض مني وانقطاعه اليّ فضربه وحبسه يضارّنى بذلك ، اللهم أجرنى منه ، ثم قال الوليد

أنا النذير لِمُسدى نعمةٍ أبدا — الى المقاريف لما يَخْبُرُ الدَّخلا

ان أنت أكرمتهم ألفيتهم بَطِروا — وان أهنتهمُ ألفيتهم ذُلُلا

أتشمَخون ومنا رأس نعمتكم — ستعلمون اذا أبصرتم الدولا

انظر فان أنت لم تقدر على مثل — لهم سوى الكلب فاضربه لهم مثلا

بينا يسمنه للصيد صاحبه — حتى اذا ما استوى من بعدما هزَلا

عدا عليه فلم تضرره عدوته — ولو أطاق له أكلاً لقد أكلا

وقال الوليد أيضاً يفتخر على هشام

أنا الوليد أبو العباس قد علمت — عُليا معدّ مدى كري واقدامى

انى لفى الذروة العليا اذا انتسبوا — مقابل بين أخوالي وأعمامى

بنى لى المجد بانٍ لم يكن وَكِلاً — على منار مضيآت وأعلام

حللت من جوهر الأعياص قد علموا — فى باذخ مشمخر العز قمقام

صعب المرام يسامى النجم مطلعه — يسمو الى فرع طود شامخ سام

فلما سمع ذلك هشام قال والله ماعلمت له معد كراً واقداماً الا أنه شرب مرة مع عمه بكار بن عبـد الملك فعربد عليه وعلى جواريه فان كان يعنى ذلك بكره واقدامه فعسى

وبلغ الوليد ان العباس بن الوليد وغيره من بنى مروان يعيبونه بالشراب فلعنهم وقال انهم ليعيبون على مالوكانت لهم فيه لذة ما تركوه وقال وهو من جيد شعره ومختاره

ولقد قضيت وان تجلل لمتي شيب على رغم العدا لذاتى
من كاعبات كالدُّمى ومناصف ومراكب للصيد والنشوات
فى فتية تأبى الهوانَ وجوههم شم الأنوف جحاجح سادات
ان يَطلبوا بتِراتهم يعطَوْا بها أو يُطلَبوا لا يُدرَكوا بتِرات

كتب الوليد الى هشام ، بلغنى ما أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عنى ومحو من محا من أصحابى وانه حرمنى وأهلى ولم أكن أخاف أن يبتلى الله أمير المؤمنين بذلك فيَّ ، ولا ينالنى مثله منه ، ولم يبلغ استصحابى لابن سهيل ومسئلتى فى أمره أن يجرى على ماجرى ، وان كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين فبحسب العيْر أن يقرب من الذئب ، وعلى ذلك فقد عقد الله لى من العهد وكتب لى من العمر وسبب لى من الرزق مالا يقدر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عنى دون مدته ، ولا صرفه عن مواقعه المحتومة له ، فقدر الله يجرى على ما قدره فيما أحب الناس وكرهوا ، لا تعجيل لآجله ولا تأخير لعاجله ، والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم بما يستوجبون من الله العقوبة عليه ، وأمير المؤمنين أحق بالنظر فى ذلك والحفظ له ، والله يوفق أمير المؤمنين لطاعته ، ويحسن القضاء له فى الأمور بقدرته ، وكتب اليه فى آخر كتابه

أليس عظيما أن أرى كل وارد حياضَك يوماً صادراً بالنوافل
فأرجع محمود الرجاء مُصَرَّداً بتحلئة عن ورد تلك المناهل
فأصبحت مما كنت آمل منكم وليس بلاق ما رجا كل آمل
كمقتبض يوماً على عرض هبْوة يشد عليها كفه بالأنامل

فكتب اليه هشام قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع وغير ذلك ، وأمير المؤمنين يستغفر الله من اجرائه ما كان يجرى عليك ولا يتخوف على نفسه اقتراف المآثم فى الذى أحدث من قطع ما قطع ومحو ما محا من صحابتك

لأمرين ، أما أحدهما فان أمير المؤمنين يعلم مواضعك التى كنت تصرف ما يجريه عليك وأما الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقهم دارة عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البعوث عليهم وهم معك تجول بهم فى سفهك ، وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من اعطائه إياك باستئناف قطعه عنك ، وأما ابن سهيل فلعمرى لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لقد جعله الله لذلك أهلاً وهل زاد ابن سهيل « لله أبوك » على أن كان زَفَّانا مغنياً قد بلغ فى السفه غايته ، وليس مع ذلك ابن سهيل بشر ممن كنت تستصحب فى الأمور التى ينزل أمير المؤمنين نفسه عنها مما كنت لعمرى أهلاً للتوبيخ فيه ، وأما ما ذكرت مما سببه الله لك فان الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له والله بالغ أمره ، ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه الا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضراً ولا نفعاً وان الله ولى ذلك منه وانه لابد له من مفارقته وان الله أرأف بعباده وأرحم من أن يولى أمرهم غير من يرتضيه لهم منهم ، وان أمير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعلى أحسن الرجاء لأن يوليه بسبب ذلك لمن هو أهله فى الرضاية لهم فان بلاء الله أعظم عند أمير المؤمنين من أن يبلغه ذكره أو يوازيه شكره الا بعون منه ، ولئن كان قدر الله لأمير المؤمنين وفاة تعجيل فان فى الذى هو مفض وصائر اليه من كرامة الله لخلفاً من الدنيا ، ولعمرى ان كتابك لأمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك ، فأبق على نفسك وقصر من غُلَوائها واربَع على ظَلَعك فان لله سطوات وغيراً يصيب بها من يشاء من عباده ، وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور اليه وأرضاها له ، وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنت سامحت الهوى قادك الهوى ... الى بعض ما فيه عليك مقال

والسلام

قال أبو الزبير المنذر بن عمر وكان كاتباً للوليد ، أرسل إليَّ الوليد صبيحة اليوم الذى أتته فيه الخلافة ، فأتيته ، فقال لي يا أبا الزبير ما أتت عليَّ ليلة أطول من هذه الليلة ، عرفتني أمور وحدثت نفسى فيها بأمور ، وهذا الرجل قد أُولع بى فاركب بنا نتنفس ، فركب وسرت معه ، فسار ميلين ووقف على تل ، فجعل يشكو هشاماً اذ نظر الى رهج قد أقبل وسمع قعقعة البريد ، فتعوذ بالله من شر هشام وقال ان هذا البريد قد أقبل بموت حى أو بملك عاجل ، فقلت لا يسوءك الله أيها الأمير بل يسرك ويبقيك اذ بدا رجلان على البريد يُقبلان أحدهما مولى لأبى سفيان بن حرب فلما قربا رأيا الوليد فنزلا يعدوان حتى دنوا ، فسلما عليه بالخلافة ، فوَجَم وجعلا يكرران بالخلافة ، فقال ويحكم ما الخبر ؟ أمات هشام ؟ قالا نعم ، قال فمرحباً بكما ، ما معكما ؟ قالا كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن ، فقرأ الكتاب وانصرفنا ، وسأل عن مولاه عياض بن مسلم الذى كان هشام ضربه وحبسه ، فقالا يا أمير المؤمنين لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله ، فلما صار الى حال لا ترجى الحياة لمثله معها أرسل عياض الى الخزّان احتفظوا بما فى أيديكم فلا يصلن أحد الى شىء ، وأفاق هشام افاقة فطلب شيئاً فمنعه فقال أرانا كنا خزاناً للوليد ، وقضى من ساعته فخرج عياض من السجن ساعة قضى هشام ، فختم الأبواب والخزائن وأمر بهشام فأُنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفنوه من الخزائن ، فكفنه غالب مولى هشام ولم يجدوا قمقماً حتى استعاروه ، وأمر الوليد بأخذ ابني هشام بن اسمعيل المخزومى فأخذا بعد أن عاذ ابراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك ، فقال الوليد ما أراه الا قد نجا ، فقال له يحيى بن عروة بن الزبير وأخوه عبد الله ان الله لم يجعل قبر أبيك معاذاً للظالمين نخذه برد ما فى يده من مال الله ، فقال صدقت ، وأخذهما فبعث بهما الى يوسف بن عمر ، وكتب اليه أن يبسط عليهما العذاب حتى يتلفا ، ففعل ذلك بهما ، وماتا جميعاً فى العذاب بعد أن أقيم ابراهيم بن هشام للناس حتى اقتصوا منه المظالم

قالوا ولما نعي هشام للوليد قال والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر ، ثم أنشأ يقول

طاب يومي ولذّ شرب السُلافة ... اذ أتانا نَعِيّ من بالرُصافة
وأتانا البريد ينعى هشاماً ... وأتانا بخاتم للخــلافة
فاصطبحنا من خمر عانة صرفاً ... ولهونا بقَينـــــة عزّافة

وقال

طال ليلي فبت أُسقى المداما ... اذ أتاني البريد ينعى هشاما
وأتاني بحـلة وقضيب ... وأتاني بخـاتم ثم قاما
فجعلت الولي من بعد فقدي ... يفضل الناس ناشـــئاً وغلاما
ذاك ابني وذاك قَرْم قريش ... خير قَرْم وخيرهم أعماما

وقال

هلك الأحول المشؤ ... م فقد أرســـل المطر
ثمت استخلف الوليـــد فقد أورق الشجر

وقال

ليت هشاماً عاش حتى يرى ... مكياله الأوفر قد أُترعا
كِلنا له الصاع التي كالهـا ... فما ظلمناه بها أصوعا
لم نأت ما نأتيه عن بدعة ... أحله الفرقان لي أجمعا

وحلف ألا يبرح موضعه حتى يغني في هـذا الشعر ويشرب عليه ، فتغني له فيه وشرب وسكر ، ثم دخل فبويع له بالخلافة ، وسمع صياحاً فسأل عنه فقيل له هذا من دار هشام يبكيه بناته فقال

اني سمعت بليل ... ورا المصلى برنة
اذا بنات هشام ... يندبن والدهنه

يندبن قرماً جليلاً ... قد كان يعضدهنه

وللوليد أشعار جياد فوق هذا الشعر ، فمنها وهو ما برّز فيه وجوّده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه قوله فى صفة الخمر

اصدع نجيّ الهموم بالطرب ... وانعم على الدهر بابنة العنب

واستقبل العيش فى غضارته ... لا تقفُ منه آثار معتقب

من قهوة زانها تقادمها ... فهى عجوز تعلو على الحقب

أشهى الى الشَّرْب يوم جلوتها ... من الفتاة الكريمة النسب

فقد تجلت ورقّ جوهرها ... حتى تبدت فى منظر عجب

فهى بغير المزاج من شرر ... وهى لدى المزج سائل الذهب

كأنها فى زجاجها قبَس ... تذكو ضياء فى عين مرتقب

فى فتية من بني أمية أهل المجد والمأثرات والحسب

مافى الورى مثلهم ولا بهم ... مثلى ولا منتمٍ لمثل أبى

ومن قوله

اذا لم يكن خير مع الشر لم تجد ... نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزع

وكانوا اذا هموا باحدى هناتهم ... حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

ومن نادر شعره قوله

فان تك قد مللت القرب مني ... فسوف ترى مجانبتى وبعدى

وسوف تلوم نفسك ان بقينا ... وتبلو الناس والأحوال بعدى

فتندم فى الذى فرطت فيه ... اذا قايست فى ذمى وحمدى

لما خرج زيد بن على رضى الله عنه على هشام منع أهل مكة وأهل المدينة أعطياتهم سنة فكتب الوليد الى أهل المدينة لما استخلف

ألا أيها الركب المخبّون بلغوا ... سلامى سكان البلاد فأسمعوا

وقولوا أتاكم أشبه الناس سنة بوالده فاستبشروا وتوقعوا

سيوشك الحاق بكم وزيادة وأعطية تأتى تباعاً فتشفع

ضمنت لكم ان لم تصابوا بمهجتى بأن سماء الضر عنكم ستُقلع

فقال حمزة بن بيض يرد على الوليد لما فعل خلاف ذلك

وصلت سماء الضر بالضر بعدما زعمت سماء الضر عنا ستقلع

فليت هشاماً كان حياً يسوسنا وكنا كما كنا نرجى ونطمع

بعث الوليد الى جماعة من أهله لما ولى الخلافة فقال أتدرون لم دعوتكم ؟ قالوا لا ، قال فليقل قائلكم ، فقال رجل منهم أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله لك من نعمته واحسانه ، فقال نعم ولكني

أشهد الله والملائكة الأبـــرار والعابدين أهل الصلاح

أنني أشتهي السماع وشرب الكا س والعض للخدود الملاح

والنديم الكريم والخادم الفا ره يسعى عليّ بالأقداح

وفد سعد بن مرة بن جبير ، وكان شاعراً ، على الوليد بن يزيد فعرض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج الى متنزه له فصاح به يا أمير المؤمنين وافدك وزائرك ومؤملك ، فتبادر اليه الحراس ليصدوه عنه ، فقال دعوه ، ادنُ اليَّ ، فدنا اليه فقال من أنت ؟ قال رجل من أهل الحجاز شاعر ، قال تريد ماذا ؟ قال تسمع منى أربع أبيات ، قال هات ، فقال

شِمْنَ المخايل نحو أرضك بالحيا ولقِين ركبانًا بعُرفك قُفَّلا

قال ثم مه ؟ قال

فعمدَن نحوك لم يعُجن بحاجة الا وقوع الطير حتى ترحلا

قال ان هذا لسير حثيث ، ثم ماذا ؟ قال

يعمدن نحو مُوطيء حجراته كرماً ولم تعدل بذلك معدلا

قال قد وصلت اليه فه ؟ قال

لاحت له نيران حى تُصطلى   فاخترن نارك فى المنازل منزلا

كان الوليد فى حياة أبيه متزوجاً سعدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فرأى أختها سلمى فوقعت بقلبه ، فلما مات أبوه طلق سعدة زوجته وخطب سلمى الى أبيها فلم يزوجه ورده أقبح رد ، وهويها الوليد ورام السلو عنها فلم يسل ، ثم ندم على طلاقه سعدة وكان لها من قلبه محل ولم تحصل له سلمى ، فاهتم لذلك وجزع ، وراسل سعدة وقد كانت زوجت فلم ينتفع بذلك ، ومن قوله فيها

فما مسك يُعَلّ بزنجبيل   ولا عسل بألبان اللقاح

بأشهى من مُجاجة ريق سلمى   ولا مافى الزقاق من القراح

ولا والله ما أنسى حياتى   وثاق الباب دونى واطراحى

وكان قد تزيا زى بائع زيت ودخل قصرها ليراها فلما رأته عرفته وقالت هو والله الفاسق الوليد

ولما طال بالوليد مابه كتب الى أبيها

أبا عثمان هل لك فى صنيع   تصيب الرشد فى صلتى هديتا

فأشكر منك ما تسدى وتحيى   أبا عثمان ميتة وميتا

فلم يجبه الى ذلك حتى ولي الخلافة فلما وليها زوجه اياها فلم يلبث الا مدة يسيرة حتي ماتت ، وقال فيها ليلة زفت اليه

خف من دار جيرتى   يا ابن داود أنسها

وهى طويلة وفيها مما يغنى به

أَوَ لا تخرج العرو   س فقد طال حبسها

قد دنا الصبح أو بدا   وهى لم يقض لبسها

برزت كالهلال فى   ليلة غاب نحسها

بين خمس كواعب أكرم الخمس جنسها

ولما ماتت قال

ألما تعلما سلمى أقامت مضمنة من الصحراء لحدا
لعمرك ياوليد لقد أجنّوا بها حسباً ومكرمة ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه شعاع الشمس أهل أن يُفدّى
فلم أر ميتاً أبكى لعين وأكثر جازعاً وأجل فقدا
وأجدر أن تكون لديه ملكا يريك جلادة ويُسر وجدا

ومما قاله الوليد فى سلمى وغنى المغنون فيه

عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوال
عفاه كل حنّان عسوف الوَبْل هطال
لسلمى قرة العين وبنت العم والخال
بذلت اليوم فى سلمى خِطاراً أتلفت مالى
كأن المسك فى فيها سحيق بين جِريال

ومنها

منازل قد تحل بها سليمى دوارس قد أضر بها السنون
أميت السر حفظاً ياسليمى اذا ما السر باح به الخزون

ومنها

أرانى قد تصابيت وقد كنت تناهيت
ولو يتركني الحب لقد صمت وصليت
اذا شئت تصبرت ولا أصبر ان شيت
ولا والله لا يصبر فى الديمومة الحوت
سليمى ليس لي صبر وان رخصت لي جيت

فقبلتك ألفين وفديت وحييت
ألا أحبب بزور زا ر من سلمى ببيروت
غزال أدعج العينين نقى الجيد والليت

ومنها

عتبت سلمى علينا سفاهاً أن سببت اليوم فيها أباها
كان حق العتب يا قوم مني ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنت أردت بقلبي لأبى سلمى خلاف هواها
فثكلت اليوم سلمى فسلمى ملأت أرضى معاً وسماها
غير أنى لا أظن عدواً قد أتاها كاشحاً فأذاها
فلها العتبى لدينا وقلت أبداً حتى أنال رضاها

وكان الوليد قد لقى سعيد بن خالد فقال له يا أبا عثمان أتردنى على سلمى ؟ وكأنى بك لو قد وليت الخلافة خطبتني فلم أجبك وان تزوجتها حينئذ فهى طالق ثلاثاً ، فقال له سعيد ان المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيق بأ كثر مما قلت فأمضه الوليد وتشاتما وتسامعا وافترقا ، وبلغ الوليد أن سلمى جزعت لما جرى وسبت الوليد ونالت منه ، فقال ما تقدم وقال أيضاً

على الدور التى بليت سفاهاً قفا يا صاحبي فسائلاها
دعتك صبابة ودعاك شوق وأخضل دمع عينك ما أقياها
وقالت عند هجوتنا إباها أردت الصرم فانتده انتداها
أردت بعادنا بهجاء شيخى وعندك خلة تبغي هواها
فان رضيت فذاك وان تمادت فهيها خطة بلغت مداها

ومنه

خبرونى ان سلمى خرجت يوم المصلى

فاذا طـــير مليح فوق غصن يتفلى
قلت من يعرف سلمى؟ قال ها ثم تعلى
قلت يا طير ادنُ مني قال ها ثم تدلى
قلت هل أبصرت سلمى؟ قال لا ثم تولى
فنكا فى القلب كلْماً باطناً ثم تعــلى

وقال يعتذر من هجائه أباها

ألا أبلغ أبا عثما ن عُذرة معتب أسفا
فلست كمن يوَدُّك باللســـان ويكثر الحلفا
عتبت عليَّ فى أشـيا ء كانت بيننا سرفا
فلا تشمت بى الأعدا ء والجيران ملتهفا
توَدَّ لو أنني لحم رأته الطير فاختطفا
ولا ترفع به رأساً عفا الرحمن ما سلفا

ومما قاله فيها

اسقني يا ابن سالم قد أنارا كوكب الصبح وانجلى واستنارا
اسقني من سُلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كأساً عُقارا

ومنهـا

ســقيت أبا كامل من الأصفر البابلى
وســقيتها معبداً وكل فتى بازل
لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلى
فما لامني فيهمُ سوى حاسد جاهل

ومنها وهو من أملح شعره

أرانى الله يا ســلمى حياتى وفى يوم الحساب كما أراك

ألا تجزين من تيمت عصراً ومن لو تطلبين لقد قضاك
ومن لو مت مات ولا تموتى ولو أُنْسِى له أجل بكاك
ومن حقاً لو اُعطِى ما تمنى من الدنيا العريضة ما عداك
ومن لو قلت مت فأطاق موتاً إذاً ذاق الممات وما عصاك
أثيبى عاشـــقاً كلِفاً مُعنًّى اذا خَدِرت له رجل دعاك

كانت العرب تقول ان الانسان اذا خَدِرت قدمه دعا باسم أحب الناس اليه فسكنت

ومنها

ويح سلمى لو ترانى لعناها ما عنـــانى
متلفاً فى اللهو مالي عاشقاً حور القيان
انما أحزن قلبى قول سلمى اذ أتانى
ولقد كنت زماناً خالي الدهر لشانى
شاق قلبى وعنانى حب سلمى وبرانى
ولكم لام نصيح فى سليمى ونهانى

ومنها

بلغا عني سليمى وسلاها لي عما
فعلت فى شأن صب دَنِف أُشْعِر هماّ
ولقد قلت لسلمى اذ قتلت البين علما
أنت همى يا سليمى قد قضاه الرب حتما
نزلت فى القلب قسراً منزلاً قد كان يُحمى

ومنها

يا سليمى يا سليمى كنت للقلب عذابا

يا سـليمى ابنة عمى ‏ بَرَدَ الليــل وطابا
أيما واش وشى بى ‏ فاملئى فاه ترابا
ريقها فى الصبح مسك ‏ باشر العذب الرُّضابا

ومنهـا

أسـلمى تلك حييت ‏ قفى نخبرك ان شيت
وقيـلى ساعة نشكو ‏ اليـك الحب أو بيتى
فما صهباء لم تـكس ‏ قذًى من خمر بيْرُوت
ثوت فى الدن أعواماً ‏ ختيماً عنــد حانوت

ومنهـا

يامن لقلب في الهوى متشعب ‏ بل من لقلب بالحبيب عميد
سلمى هواه ليس يعرف غيرها ‏ دون الطريف ودون كل تَليد
ان القرابة والسعادة ألفا ‏ بين الوليد و بين بنت سعيد
ياقلب كم كَلِف الفؤاد بغادة ‏ ممكورة ريَّا العظام خريد

ومنهـا

قد تمنى معشر اذ طربوا ‏ من عُقار وسوام وذهب
ثم قالوا لى تمن واستمع ‏ كيف ننحو فى الأمانى والطلب
فتمنيت سليمى انهـــا ‏ بنت عمى من لهَاميم العرب

ومنهـا

هـل الى أم سعيد ‏ من رسول أو سبيل
ناصح يخــبر أنى ‏ حافظ ود خليــلى
يبذل الود لغيرى ‏ وأكافى بالجميــل
لست أرضى لخليـلى ‏ من وصـالى بالقليل

ومنها

طاف من سلمى خيال بعد ما نمت فهاجا
قلت عُج نحوى أسائلـــك عن الحب فعاجا
يا خليـــلى يا نديمى قم فأنفث لى سراجا
بفـلاة ليس ترعى أنبتت شيحاً وحاجا

ومنها

أم سلام أنيبى عاشقاً يعـــلم الله يقينا ربه
أنــكم من عيشه فى نفسه ياسليمى فاعلميه حسبه
فارحميه انه يَهذى بكم هائم صب قد آودى قلبه
أنت لو كنت له راحمة لم يكدَّر ياسليمى شربه

ومنها

رب بيت كأنه متن سهم سوف نأتيه من قرى بيروت
من بلاد ليست لنا ببلاد كلمـا جئت نحوها حييت
أم سلام لا برحت بخير ثم لازلت جنتى ما حييت
طرباً نحوكم وتَوْقاً وشوقاً لادِّكار بكم وطيب المبيت
حينما كنتمُ من بلاد وسرتم فوقاك الاله ما قد خشيت

ومنها

طرقتنى وصحـابى هجوع ظبية أدماء مثـل الهلال
مثل قرن الشمس لما تبدت واستقلت فى رؤوس الجبال
تقطع الأهوال نحوى وكانت عندنا سلمى ألوف الحِجال
كم أجازت نحونا من بلاد وحشة قتــالة للرجال

ومنها

أنا الوليـد الامام مفتخراً أنعم بالى وأتبع الغزلا

أهوى سليمى وهي تصرمني ... وليس حقاً جفاء من وصلا
أسحب بردي الى منازلها ... ولا أبالي مقال من عذلا

وقال الوليد على لسان سلمى

اقرمني على الوليد السلاما ... عدد النجم قلّ ذا للوليد
حسداً ماحسدت أختي عليه ... ربنا بيننا وبين سعيد

كانت للوليد جارية يقال لها صَدوف فغاضبها ثم لم يطعه قلبه فجعل يتسبب لصلحها ، فدخل عليه رجل قرشي من أهل المدينة فكلمه في حاجة وقد عرف خبره فبَرِم به فأنشده

أعتبت أن عتبت عليك صدوف ... وعتاب مثلك مثلها تشريف
لاتقعدن تلوم نفسك دائماً ... فيها وأنت بحبها مشغوف
ان القطيعة لا يقوم بمثلها ... الاالقوى، ومن يحب ضعيف
الحب أملك للفتى من نفسه ... والذل فيه مسلك مألوف

فضحك وجعل ذلك سبباً لصلحها وأمر بقضاء حوائج القرشي كلها

ومن قوله

قامت إليَّ بتقبيل تعانقنى ... ريّا العظام كأن المسك فى فيها
ادخل فديتك لايشعر بنا أحد ... نفسي لنفسك من داء تفديها
بتنا كذلك لانوم على سرر ... من شدة الوجد تدنيني وأدنيها
حتي اذا مابدا الخيطان قلت لها ... حان الفراق فكاد الحزن يشجيها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحد ... والله عني بحسن الفعل يجزيها

مر الوليد وهو متصيد بنسوة من بني كلب من بني المنجاب فوقف عليهن واستسقاهن وحدثهن وأمر لهن بصلة ثم مضى وهو يقول

ولقد مررت بنسوة أعشينني ... حور المدامع من بني المنجاب

فيهن خرعبة مليح دلها غرّ في الوشاح دقيقة الأنياب
زين الحواضر ما ثوت في حضرها وتزين باديها من الأعراب

خرج الوليد يتصيد ذات يوم فصادت كلابه غزالا فأتى به فقال حلوه فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمى ، ثم أنشأ يقول

ولقد صدنا غزالاً سانحاً قد أردنا ذبحه لما سنح
فاذا شبهك ما ننكره حين أزجى طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم فاعلمي ذاك لقد كان انذبح
أنت يا ظبي طليق آمن فاغدُ في الغزلان مسروراً ورُحْ

خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب فقيل له ان اليوم الجمعة فقال والله لأخطبنهم اليوم بشعر ، فصعد المنبر فخطب فقال

الحمد لله ولى الحمد أحمده في يسرنا والجهد
وهو الذى فى الكرب أستعين وهو الذي ليس له قرين
أشهد فى الدنيا وما سواها ألا إله غيره إلها
ما إن له في خلقه شريك قد خضعت لملكه الملوك
أشهد أن الدين دين أحمد فليس من خالفه بمهتد
وانه رسول رب العرش القادر الفرد الشديد البطش
أرسله فى خلقه نذيراً وبالكتاب واعظاً بشيرا
ليظهر الله بذاك الدينا وقد جعلنا قبل مشركينا
من يطع الله فقد أصابا أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القران والهدى السبيل قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لما بقى لديكم حى صحيح لا يزال فيكم
انكم من بعد أن تزلوا عن قصده أو نهجه تضلوا

لا تتركُنْ نصحى فانى ناصح ... ان الطريق فاعلمنّ واضح

من يتق الله يجد غِبّ التقى ... يوم الحساب صائراً الى الهدى

ان التقى أفضل شيء فى العمل ... أرى جماع البر فيه قد دخل

خافوا الجحيم اخوتى لعلكم ... يوم اللقاء تعرفوا ما سركم

قد قيل فى الأمثال لو علمتم ... فانتفعوا بذاك ان عقلتم

ما يزرع الزارع يوماً يحصده ... وما يقدّم من صلاح يحمده

فاستغفروا ربكمُ وتوبوا ... فالموتُ منكم فاعلموا قريب

كان للوليد ابن يقال له مؤمن فمات فنعاه اليه سنان الكاتب فقال الوليد

أتانى سنان بالوداع لمؤمن ... فقلت له انى الى الله راجع

ألا أيها الحاثى عليه ترابه ... هُبلت وشَلت من يديك الأصابع

يقولون لاتجزع وأظهر جلادة ... فكيف بما تحنى عليه الأضالع

قال يزيد بن أبى مساحق السُلمى مؤدب الوليد شعراً وبعث به الى النّوار جارية الوليد فغنته به وهو

مضى الخلفاء بالامر الحميد ... وأصبحت المذمة للوليد

تشاغل عن رعيته بلهو ... وخالف فعل ذى الرأى الرشيد

فكتب اليه الوليد

ليت حظى اليوم من ... كل معاش لي وزاد

قهوةٌ أبذُل فيها ... طارفى ثم تلادى

فيظَل القلب منها ... هائماً فى كل وادى

ان فى ذاك صلاحي ... وفلاحى ورشادى

قال الوليد بن يزيد يابنى أمية اياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويزيد فى الشهوة يهدم المروءة ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل السكر فان كنتم لا بد فاعليه فجنبوه

النساء ، وانى لأقول ذلك على انه أحب اليَّ من كل لذة وأشهى اليَّ من الماء الى ذي الغُلة ولكن الحق أحق أن يقال

عقد الوليد ولاية العهد لابنيه عثمان ثم سعيد والحكم فقيل له ان الناس قد أنكروا مافعلت وقالوا يبايع لمن لم يحتلم فقال أفأدخل بيني و بين ابنى غيرى فيلقى منه كما لقيت من الأحول بعد أبى ؟ ثم أنشأ يقول

سرى طيف ظبي بأعلى الغُوَيـر ليلاً فهيج قلباً عميدا
وأرَّق عيني على غِرَّة فبات بحزن يقاسى السهودا
نؤمل عثمان بعد الوليـد للعهد فينا ونرجو سعيدا
كما كان اذ كان فى دهره يزيد يرجي لتلك الوليدا
على انها شسعت شسعة فنحن نرجي لها أن تعودا
فان هى عادت فعاص القريب منها لتوئس منها البعيدا

لما انهمك الوليد على شربه ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القصف والعسف مع المغنين كان نديمه القاسم بن الطويل العبادى ، وكان أديباً ظريفاً شاعراً فكان لا يصبر عنه ، فشرب يوماً حتى غلب عليه السكر فنام فى موضعه فانصرف ابن الطويل ، فلما أفاق الوليد سأل عنه فعرف خبره حين انصرافه فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سبرة ائتني برأسه ، فمضى الغلام حتى ضرب عنقه وأتاه برأسه فجعله فى طشت بين يديه ، فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعرفه فاسترجع وندم على ما فرط منه وجعل يقلب الرأس بيده ، ثم قال يرثيه

عينيَّ للحدث الجليل جودا بأربعة همول
جودا بدمعى انه يشفى الفؤاد من الغليل
لله قبر ضمنت فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن اذ ثوى　　فيه من اللب الأصيل

قد كنت آوِى من هوا　　ك الى ذُرا كهف ظليل

أصبحت بعدك واحداً　　فرداً بمَدرجة السيول

ثم دخل الى جواريه فقال والله ما أبالي متي جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل ، فيقال انه لم يعش بعده الا مديدة حتى قتل والله أعلم

كان بين الحكم بن الزبير وبين بكر بن نوفل شيء فى وكالة للوليد ، يخاصم بكراً فى الرحبة من أرض دمشق وكان قد استولى عليها ، فقطع شُفره الأعلى ، فاستعدى عليه هشاماً فلم يُعْدِه ، فقال الوليد فى ذلك

أيا حكمُ المتبول لو كنت تعتزى　　الى أُسرة ليسوا بسود زعانف

لأيقنت قد أدركت وتِرْك عَنْوة　　بلاحكم قاض بل بضرب السوالف

فلما استخلف الوليد بعث الى بكر فقال ألا تعطى حكم بن الزبير حقه ؟ قال لا ، فأمر به فشُتِرت عينه ثم قال

يارب أمر ذي شئون جحفل　　قاسيت فيه حلَبات الأحول

أهدى رجل الى هشام بن عبد الملك خيلاً فكان فيها فرس مربوع قريب الركاب ، فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام فنهر الرجل وشتمه وقال أتجيء بمثل هذا الى أمير المؤمنين ؟ ردوه عليه ، فردوه ، فلما خرج وجه اليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه فهو فرسه الذى يسميه السندى

خرج الوليد يوماً يتصيد وحده فانتدَب اليه مولى لهشام يريد الفتك به ، فلما بصر به الوليد صاوله فقهره بفرسه الذى كان تحته فقتله وقال فى ذلك

ألم ترَ أنى بينما أنا آمن　　يخُبّ بى السندي قفراً فيافيا

تطلّعت من غَور فأبصرت فارساً　　فأوجست منه خيفة أن يرانيا

ولما بدا لي أنما هو فارس　　وقفت له حتى أتى فرمانيا

رماني ثلاثاً ثم اني طعنته فروّيت منه صعْدتي وسنانيا

وقال في فرسه السندي

قد اغتدى بذي سَبيب هيكل[١] مشرَّب مثل الغراب أرجَل[٢]

أعددته للحلبات الأحول وكل نقع ثائر لجحفل

وكل خطب ذي شئون مُعْضِل

فقال هشام لكنا أعددنا له ما يسوءه، نخلعه ونُقْصيه فيكون مُهاناً مدحوراً مطرودا

لما ولي الخلافة خطب سلمى التي كان ينسب بها فزوجها لما مضى صدر من خلافته، فأقامت عنده سبعة أيام فماتت، فقال يرثيها

ياسلم كنت كجنة قد أطعمت أفنانها دانٍ جناها موضع

أربابها شغفاً عليها نومهم تحليل موضعها ولما يهجعوا

حتى اذا فسخ الربيع ظنونهم نثر الخريف ثمارها فتصدعوا

دخل ابن الأقرع على الوليد فقال له أنشدني قولك في الخمر، فأنشده قوله

كُميت اذا شُجت وفي الكأس وَرْدة لها في عظام الشاربين دبيب

تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الاناء قطوب

فقال الوليد شربتها يا ابن الأقرع ورب الكعبة، فقال يا أمير المؤمنين لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها

نظر الوليد الى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب وقد مروا بين يديها بالشمع ليلاً، فلما رآها أعجبته وراعه جمالها وحسنها، فسأل عنها، فقيل ان له لها زوجاً، فأنشأ يقول

انما هاج لقلبي شجوه بعد المشيب

---

١) السبيب من الفرس شعر الذنب والعرف والناصية وهيكل مرتفع

٢) الأرجل ذو الترجيل وهو بياض في احدى رجلي الدابة

نظرة قد وقرت فى القلـــب من أمّ حبيب
فاذا ما ذقت فاها ذقت عذباً ذاغُروب
خالط الراح بمسك خالص غير مشوب

لما ظهرت المسوّدة بخراسان كتب نصر بن سيار الى الوليد يستمده فتشاغل عنه، فكتب اليه كتاباً وكتب فى أسفله يقول

أرى خَلَل الرَّماد وميض جمر وأحْرِ بأن يكون له ضِرام
فان النار بالعُودين تذكى وان الحرب مبدؤها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعرى أأيقاظ أميـــة أم نيام ؟

فكتب اليه الوليد قد أقطعتك خراسان فاعمل لنفسك أودع فانى مشغول عنك بابن سُريج ومعبد والغريض

قال عبدالصمد بن موسى الهاشمى انما أغلى الجوهر بنو أمية ولقد كان الوليد بن يزيد يلبَس منه العقود ويغيرها فى اليوم مراراً كما تغير الثياب شغفاً، فكان يجمعه من كل وجه ويغالي به، وكان يوماً فى داره على فرس له وجارية تضرب الطبل قدامه فأخذه منها ووضعه على رقبته ونفر الفرس من صوت الطبل، فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة وكان خليعاً

لما أظهر الوليد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالى بين الشرب وانهمك فى اللذات شتمه الناس ووعظه من أشفق عليه من أهله فلما لم ينفع دبروا فى خلعه، فكلم بشر بن الوليد أخاه العباس بن الوليد فى أن يخلع الوليد بن يزيد فنهاه العباس وقال يابنى مروان أظن ان الله قد أذن فى هلاككم ثم قال

انى أعيذكمُ بالله من فتن مثل الجبال تَسامى ثم تندفع
ان البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لاتُلحمن ذئاب الناس أنفسكم ان الذئاب اذا ما ألحمت رتعوا

لا تبقَرن بأيديكم بطونكمُ فثَمَّ لا فدية تغنى ولا جزع

فلما استجمع ليزيد بن عبد الملك أمره وهو متبد أقبل الى دمشق ، وبين مكانه الذى كان متبدياً فيه وبين دمشق أربع ليال ، فأقبل الى دمشق متنكراً فى سبعة أنفس على حمر وقد بايع له أكثر أهل دمشق وبايع له أكثر أهل المزّة ، فقال مولى لعباد بن زياد انى لبجَرود « وبين جرود ودمشق مرحلة » اذ طلع علينا سبعة معتمّين على حمر فنزلوا وفيهم رجل طويل جسيم فرمى بنفسه فنام وألقَوا عليه ثوباً ، وقالوا لي هل عندك شيء نشتريه من طعام ؟ فقلت أما بيع فلا وعندي من قراكم ما يشبعكم ، فقالوا فعجله ، فذبحت لهم دَجاجاً وفراخاً وأتيتهم بما حضر من عسل وسمن وشوانيز وقلت أيقظوا صاحبكم للغداء ، فقالوا هو محموم لا يأكل ، فسفَروا للغداء فعرفت بعضهم ، وسفر النائم فاذا هو يزيد بن الوليد فعرفته فلم يكلمني ، ومضوا ليدخلوا دمشق ليلاً فى نفر من أصحابه مشاة الى معاوية بن معاذ وهو بالمزّة وبينها وبين دمشق ميل فأصابهم مطر شديد فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه وقالوا يزيد بن الوليد ، فقال له معاوية ادخل أصلحك الله ، قال فى رجلي طين وأكره أن أفسد عليك بساطك ، فقال ما تريد بى أفسد ، فمشى على البساط وجلس على الفراش ، ثم كلم معاوية فبايعه ، وخرج الى دمشق فنزل دار ثابت بن سليمان مستخفياً ، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، فخاف عبد الملك فخرج فنزل قنطا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير ابن عبد الله السلمى ، وتم ليزيد أمره فأجمع على الظهور ، وقيل لعامل دمشق ان يزيد خارج ، فلم يصدق ، وأرسل يزيد الى أصحابه بين المغرب والعشاء فى ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة فكمنوا فى ميضأة عند باب الفراديس ، حتى اذا أذنوا العتمة دخلوا المسجد مع الناس فصلَّوا ، وللمسجد حرس قد وكلوا باخراج الناس من المسجد بالليل فاذا خرج الناس خرج الحرس وأغلق صاحب

المسجد الأبواب ودخل الدار من باب المقصورة فيدفع المفاتيح الى من يحفظها ويخرج ، فلما صلى الناس العتمة صاح الحرس بالناس فخرجوا وتباطأ أصحاب يزيد فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب حتى لم يبق فى المسجد الا الحرس وأصحاب يزيد ، فأخذوا الحرس ، ومضى عنبسة الى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال قم يا أمير المؤمنين وأبشر بعون الله ونصره فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً ، فلما كنا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم ، فمضَوْا حتى دخلوا المسجد وأتوْا باب المقصورة وقالوا نحن رسل الوليد ففتح لهم خادم الباب ودخلوا ، فأخذ الخادم واذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خزان البيت وصاحب البريد ، وأرسل الى كل من كان يحذره فأخذه ، وأرسل من ليلته الى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بعلبك والى محمد بن الحجاج فأخذهما ، وبعث أصحابه الى الخشبية فأتوْه وقال للبوابين لا تفتحوا الأبواب غدوة الا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا ، فتركوا الأبواب فى السلاسل ، وكان فى المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة فلم يكن الخزان قبضوه فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه ، وأصبحوا وجاء أهل المزة مع حريث بن أبي الجهم فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد وهو يتمثل قول النابغة

اذا استُنزلوا عنهن للطعن أرقلوا الى الموت ارقال الجمال المصاعب

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون انظروا الى هذا كان قبيل يسبح وهو الآن ينشد الشعر ، وأمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فوقف بباب الجابية فنادى ألا من كان له عطاء فله أربعون ديناراً في العطاء ومعونة ألف درهم ، فبايع له الناس وأمر بالعطاء ، وندب يزيد بن الوليد الناس الى قتال الوليد مع عبد العزيز وقال من انتدب معه فله ألفان ، فانتدب ألفا رجل فأعطاهم وقال موعدكم دنية ، فوافى دنية ألف ومائتا رجل فقال ميعادكم مصنعة بالبرية وهى لبنى عبد العزيز بن الوليد

فوافاه ثمانمائة رجل ، فسار فوافاهم ثقل الوليد فأخذوه ، ومع عبد العزيز فرسان منهم منصور بن جهور ويعقوب بن عبد الرحمن السلمى والأصبغ بن ذؤالة وشبيب ابن أبى مالك الغسانى وحميد بن نصر اللخمى ، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد ، فقال الوليد أخرجوا إليَّ سريراً ، فأخرجوه فصعد عليه وأتاه خبر العباس بن الوليد انى أجيئك ، وأتى الوليد بفرسين الزابد والسندي وقل أعلي يتواثب الرجال وأنا أثب على الأسد وأعض الأفاعى ؟ وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم ، ولم يكن بينهم كبير قتال ، فقتل يزيد بن عثمان الخشبي « وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع المختار » وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد يأتى الوليد فأرسل منصور بن جهور فى جريدة خيل وقال انكم تلقَون العباس بن الوليد ومعه بنوه فى الشعب فخذوه ، وخرج منصور في تلك الخيل وتقدموا الى الشعب واذا العباس ومعه بنوه قد تقدموا أصحابه ، فقال له اعدل الى عبد العزيز ، فشتمهم ، فقال له منصور والله لئن تقدمت لأُنفذن حضنيك بالرمح ، فقال إنا لله ، فأقبلوا به يسوقونه الى عبد العزيز ، فقال له عبد العزيز بايع ليزيد ، فبايع ووقف ونصب راية وقال هذا العباس قد بايع ونادى منادي عبد العزيز من لحق بعباس فهو آمن ، فقال العباس انا لله خدعة من خدع الشيطان هلك والله بنو مروان ، فتفرق الناس عن الوليد وأتوا العباس ، وظاهر الوليد فى درعين وقاتلهم ، وقال الوليد من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، فجاء جماعة بعدة رؤوس ، فقال اكتبوا أسماءهم ، فقال له رجل من مواليه ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يقاتل فيه بالنَّسيئة ، ثم سمعهم يفترون عليه فدخل القصر وأغلق الباب وقال

دعوا لي سليمى والطِّلاء وقَيْنة ... وكأساً ، ألا حسبي بذلك مالا
اذا ماصفا عيش برملة عالج ... وعانقت سلمى لا أريد بدالا
خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم ... ثباتاً يساوى ما حييت عِقالا

وخلوا عِنانى قبل غيرى وماجرى ولا تحسدونى ان أموت هزالا

وقد أحاط الجند بالقصر فقال لهم الوليد من وراء الباب أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه؟ فقال يزيد بن عنبسة السكسكي كلمني؟ فقال له الوليد يا أخا السكاسك ما تنقمون مني؟ ألم أزد فى أعطياتكم وأعطية فقرائكم وأخدمت زمناكم ودفعت عنكم المؤن؟ فقال ماننقم عليك فى أنفسنا شيئاً ولكن ننقم عليك انتهاك ماحرم الله وشرب الخمور ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفاف أوامر الله، قال حسبك يا أخا السكاسك، فلعمري لقد أغرقت وأكثرت وان فيما أحل الله لسَعة ورجع الى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال يوم كيوم عثمان، ونشر المصحف يقرأ فعلوا الى الحائط، فكان أول من علا الحائط يزيد بن عنبسة، فنزل وسيف الوليد الى جنبه فقال له يزيد نحّ سيفك، فقال له الوليد لو أردت السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه، فأخذ بيده وهو يريد أن يدخله بيتاً ويؤامر فيه، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن وقيس مولي يزيد بن عبدالملك والسرى بن زياد فضربه عبد الرحمن السلمي على رأسه ضربة وضربه السرى بن زياد على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجوه، فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه فلم يخرجوه واحتز رأسه أبو علاقة القضاعى وخاط الضربة التى فى وجهه بالعقب وقدم بالرأس على يزيد قدم به روح بن مقبل وقال أبشر ياأمير المؤمنين بقتل الفاسق، فاستتم الأمر له، وقال الأصبع بن ذُؤالة الكلبي فى قتل الوليد وأخذهم ابنيه

من مبلغٌ قيساً وخِندِف كلها وساداتهم من عبد شمس وهاشم

قتلنا أمير المؤمنين بخالد وبعنا ولي عهده بالدراهم

ولما قتل الوليد قال أيوب السختيانى ليت القوم تركوا لنا خليفتنا لم يقتلوه، وانما قال ذلك تخوفاً من الفتنة

وروى المدائني أن ابناً للغمر بن يزيد بن عبدالملك دخل على الرشيد فقال من

أنت ؟ قال من قريش ، قال من أيها ؟ فأمسك ، قال قل وأنت آمن ولو أنك مرواني ، قال أنا ابن الغمر بن يزيد ، قال رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتلة عمك جميعاً فانهم قتلوا خليفة مجمعاً عليه ، ارفع اليَّ حوائجك ، فقضاها

وذكر المهدي ليلة الوليد بن يزيد فقال كان ظريفاً أديباً ، فقال له شبيب بن شبة يا أمير المؤمنين ان رأيت ألاَّ تجرى ذكره على سمعك ولسانك فافعل فانه كان زنديقاً ، فقال اسكت فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به ، وروى أن المهدى هو الذى قال أحسبه كان زنديقاً فقام ابن علاثه الفقيه فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل أعظم من أن يولي خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يؤمن بالله ، لقد أخبرني من كان يشهده فى ملاعبه وشربه عنه بمروءة فى طهارته وصلاته ، وحدثنى أنه كان اذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مطيبة ومصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلى فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع فاذا فرغ عاد الى تلك الثياب التى كانت عليه قبل ذلك ثم يعود الى شربه ولهوه ، أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال له المهدي صدقت بارك الله عليك يا ابن علاثة

نصيب

هو نُصَيب بن رَباح الأموى بالولاء ، مولى عبد العزيز بن مروان ، كان شاعراً فحلاً فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح ولم يكن له حظ فى الهجاء ، وكان عفيفاً ، وكان يقال انه لم ينسب قط إلا بامرأته ، وكان أهل المدينة يدعونه النصيب تفخيماً له ويروون شعره ، وكان كبير النفس مقدماً عند الملوك يجيد مديحهم ومراثيهم

قال نصيب قلت الشعر وأنا شاب فأعجبني قولي فجعلت آتى مشيخة بنى

ضمرة ومشيخة بني خزاعة فأنشدهم القصيدة من شعرى ثم أنسبها الى بعض شعرائهم الماضين فيقولون أحسن والله هكذا يكون الكلام وهكذا يكون الشعر ، فلما سمعت ذلك منهم علمت أنى محسن فأزمعت الخروج الى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذ بمصر

خرج الى عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر لأول مرة فأقصى عن بابه فرأى رجلا جاء على بغلة حسن الشارة سهل المدخل يؤذن له اذا جاء فأخبره خبره وأنه شاعر مدح الأمير ، فقال له أنشدنى ، فأنشده فأعجبه شعره ، فقال ويحك أهذا شعرك ؟ فإياك أن تنتحل فان الأمير راوية عالم بالشعر وعنده رواة ، وطلب منه أن يقول أبياتاً يذكر فيها حوف[1] مصر وفضله على غيره فقال من عنده

سرى الهم تَثْنيني اليك طلائعه ... بمصر وبالحوف اعترتنى روائعه
وبات وسادى ساعد قل لحمه ... عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعه

وذكر فيها الغيث فقال

وكم دون ذاك العارض البارق الذى ... له اشتقت من وجه أسيل مدامعه
تمشى به أفناء بكر ومَذْحِج ... وأفناء عمرو وهو خِصْب مرابعه
فكل مَسيل من تِهامة طيب ... دَميث الربا تسقى البحارَ دوافعه
أُتيتى على برق أريكِ وميضه ... تضيء دُجُنّات الظلام لوامعه
اذا اكتحلت عينا محب بضوئه ... تجافت به حتى الصباح مضاجعه
هنيئاً لأم البَخْتَرِيّ الرِّوا به ... وان أنهج الحبل الذى أنا قاطعه
ومازلت حتى قلت انى لخالع ... وَلائى من مولى نمتني فوارعه
ومانح قوم أنت منهم مودتى ... ومتخذ مولاك مولى فتابعه

فسهل له الاذن ، فدخل على عبد العزيز وأنشده فأعجبه شعره ، ومما أنشده إياه

---

(١) الحوف بمصر حوفان الشرقى والغربى وهما متصلان أول الشرقى من جهة الشام وآخر الغربى قرب دمياط يشتملان على بلدان وقرى كثيرة وحوف رمسيس موضع آخر بمصر

لعبد العزيز على قومه وغيرهم نعم غامرة

فبابك ألين أبوابهم ودارك مأهولة عامرة

وكلبك آنس بالمعتفين من الأم بالابنة الزائرة

وكفك حين ترى السائلين أندى من الليلة الماطرة

فمنك العطاء ومنا الثناء بكل محبَّرة سائرة

فأعطاه ألف دينار فرجع الى مواليه واشترى منهم نفسه وأمه وأخته ثم اشترى ابن خالة له اسمه سحيم فأعتقه ، ثم مرَّ به يوماً وهو يزفن ويزمر مع السودان فأنكر ذلك عليه وزجره ، فقال له ان كنت أعتقتني لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكون أبداً وان كنت أعتقتني لتصل رحمي وتقضي حقي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أريده أزفن وأزمر وأصنع ما شئت ، فانصرف نصيب وهو يقول

انى أراني لسحيم قائلا ان سحيما لم يُثبني طائلا

نسيت إعمالي لك الرواحلا وضربي الأبواب فيك سائلا

عند الملوك أستثيب النائلا حتى اذا أنست عتقاً عاجلا

وليتني منك القفا والكاهلا أخلقاً شكساً ولوناً حائلا

ومما مدح به سليمان بن عبد الملك

أقول لركب صادرين لقيتهم قفا ذات أوشال ومولاك قارب

قفوا خبروني عن سليمان انني لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقالوا عهدناه وكل عشية بأبوابه من طالب العرف راكب

هو البدر والناس الكواكب حوله ولا تشبه البدرَ المضيء الكواكب

وكان اذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه واستنشده مراثي بني أمية فاذا أنشده بكى وبكى معه ، وأنشده يوماً قصيدة له مدحه بها منها

اذا استبق الناس العلا سبقتهمُ ... يمينك عفواً ثم صلّت شمالها

فقال له هشام يا أسود بلغت غاية المـدح فسلنى ، فقال يدك بالعطية أجود وأبسط من لسانى بمسألتك ، فقال هـذا والله أحسن من الشعر ، وحباه وكساه وأحسن جائزته

دخل نصيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أمير المدينة وهو جالس بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ، فقال له أيها الأمير ائذن لي أن أنشـدك من مراثى عبد العزيز فقال لا تفعل فتحزننى ولـكن انشدنى قولك « قفا أخوى » فان شيطانك كان لك فيها ناصحاً حتى لقنك إياها ، فأنشده

قفا أخويَّ ان الدار ليست ... كما كانت بعهدكما تـكون
ليالي تعلمان وآل ليلى ... قَطِين الدار فاحتمل القَطِين
فعوجا فانظرا أتُبين عمـا ... سألناها به أم لا تُبين
فظلا واقفين وظـل دمعى ... على خدى تجود به الجفون
فلولا أن رأيت اليأس منها ... بدا ان كدت ترشقك العيون
فرحت فلم يلمك الناس فيها ... ولم تَغلَق كما غَلِق الرهين

وكان بملَل امرأة ينزل الناس بها فنزل بها أبو عبيدة بن عبد الملك بن زَمْعَة وعمران بن عبد الله بن مُطيع ونُصَيب ، فلما رحلوا وهب لها القرشيان ولم يكن مع نصيب شيء ، فقال لها اختاري ان شئت أن أضمن لك مثل ما أعطياك اذا قدمت وان شئت قلت فيك أبياتاً تنفعك ، قالت بل الشعر أحب إليَّ ، فقال

ألا حى قبل البين أُمَّ حبيب ... وان لم تـكن منا غداً بقريب
لئن لم يكن حبِّيك حباً صدقته ... فما أحد عندى اذا بحبيب
سهام أصابت قلبـــه مَلَلِيَّة ... غريب الهوى ياويح كل غريب

فشهرها بذلك فأصابت بقوله فيها خيراً

ومن قوله

ألا ياعقاب الوكر وكر ضرية[1] سقتك الغوادى من عقاب ومن وكر

تمر الليالي مامررن ولا أرى مرور الليالى منسياتى ابنة العمر

تقول صلينا واهجرينا وقد ترى اذا هجرت ألاَّ وصال مع الهجر

فلم أرض ماقالت ولم أبد سخطة وضاق بما جمجمت من حبها صدري

وقفت بذى دوران[2] أنشد ناقتى ومالي لديها من قلوص ولا بكر

وما أنشد الرعيان إلا تعلة بواضحة الأنياب طيبة النشر

أما والذى حج الملبون بيته وعظم أيام المناسك والنحر

لقد زادنى للجفر[3] حباً وأهله ليال أقامتهن ليلي على الجفر

فهل يؤثمنى الله انى ذكرتها وعللت أصحابى بها ليلة النفر

وسكنت مابى من سآم ومن كرى وما بالمطايا من جنوح ولا فتر

ومن قوله في عبد العزيز بن مروان

يقول فيحسن القول ابن ليلى ويفعل فوق أحسن ما يقول

فتى لا يرزأ الخلان إلا مودتهم ويرزؤه الخليل

فبشر أهل مصر فقد أتاهم مع النيل الذى فى مصر نيل

قال قائل لنصيب أيها العبد مالك وللشعر ؟ فقال أما قولك عبد فما ولدت إلا وأنا حر ولكن أهلى ظلمونى فباعونى وأما السواد فأنا الذى أقول

وان أك حالكا لونى فانى بعقل غير ذى سقط وعاء

وما نزلت بى الحاجات إلا وفي عرضي من الطمع الحياء

---

(١) قرية عامرة قديمة على وجه الدهر فى طريق مكة من البصرة ونجد (٢) موضع بين قديد والجحفة (٣) موضع بناحية ضرية من نواحى المدينة

وقف نصيب على أبيات فاستسقى ماء ، فخرجت اليه جارية بلبن أوماء فسقته وقالت تشبب بى ، فقال وما اسمك ؟ فقالت هند ، ونظر الى جبل وقال وما اسم هذا العلم ؟ قالت قبا فأنشأ يقول

أحب قُبا من أجل هند ولم أكن — أبالى أقرباً زاده الله أم بعدا
ألا إن بالقيعان من بطن ذى قُبا — لنا حاجةً مالت اليه بنا عمدا
أرُونى قُبا أنظر اليه فاننى — أحب قبا انى رأيت به هندا

فشاعت هذه الأبيات وخطبت الجارية من أهلها وأصابت خيراً بقول نصيب فيها

دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك فقال له حدثنى يانصيب ببعض ما مر عليك ، فقال نعم يا أمير المؤمنين علقت جارية حمراء فمكثت عندها زماناً تمنينى بالأباطيل ، فلما ألححت عليها قالت اليك عنى فوالله لكأنك من طوارق الليل ، فقلت لها فأنت والله لكأنك من طوارق النهار ، فقالت ما أظرفك يا أسود ، فغاظنى قولها فقلت لها هل تدرين الظرف ؟ الظرف العقل ، ثم قالت انصرف حتى أنظر في أمرك ، فأرسلت لها هذه الأبيات

فان أكُ حالكاً فالمسك أحوى — وما لسواد جلدى من دواء
ولي كرم عن الفحشاء ناء — كبعد الأرض من جوّ السماء
ومثلى فى رجالكمُ قليل — ومثلك ليس يُعْدَم فى النساء
فان ترضَىْ فردّى قول راض — وان تأبَيْ فنحن على السواء

فلما قرأت الشعر قالت المال والشعر يأتيان على غيرهما فتزوجتنى

وأنشد له الأصمعى ، وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول قاتل الله نصيباً ما أشعره

فان يك من لونى السواد فانه — لكالمسك لايروى من المسك ذائقه
وما ضر أثوابى سوادى وتحتها — لباس من العلياء بيض بنائقه

ولا خير فى ود امرىء متكاره عليك ولا فى صاحب لا توافقه
اذا المرء لم يبذل من الود مثل ما بذلت له فاعلم بأنى مفارقه

أبطأت جائزة النصيب مرة عند عبد العزيز فقال

وان وراء ظهرى يا ابن ليلى أناساً ينظرون متى أؤوب
أُمامة منهمُ ولمــا أقِيهِا غداة البين فى أثرى غروب
تركت بلادها ونأيت عنها فأشبه ما رأيت بها السلوب
فأتبع بعضنا بعضاً فلسنا نثيبك لكنِ الله المثيب

فعجل جائزته وسرحه

ومن قوله

أراكِ طموح العين ميالة الهوى لهذا وهـذا منك ود ملاطف
فان تحملى ردفين لا أكُ منهما فحبي فرد لست ممن يرادف

مدح نصيب عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس فأمر له بعشر قلائص وكتب بها الى رجلين من الأنصار واعتذر اليه وقال له والله ما أملك إلا الرزق وانى لأكره أن أبسط يدى في أموال هؤلاء القوم ، فخرج حتى أتى الأنصاريين فأعطاهمـا الكتاب مختوماً وقرآه وقالا قد أمر لك بثمانى قلائص ، ودفعا ذلك اليه ، ثم عزل ابن الضحاك وولى مكة رجل من بنى نصر من هوازن فأمر بأن يتبع ما أعطى ابن الضحاك ويرتجع ، فوجد باسم نصيب عشر قلائص ، فأمر بمطالبته بها ، فقال والله مادفع الىَّ إلا ثمانى قلائص ، فقال والله ماتخرج من الدار حتى تؤدى عشر قلائص أو أثمانها ، فلم يخرج حتى قبض ذلك منه ، فلما قدم على هشام سَمَرَ عنده ليلة وتذاكروا النصرى فأنشده قوله فيه

أفى قلائص جُرْب كن فى عمل أُرْدَى وتنزعُ من أحشائى الكبد
ثمانياً كن فى أهلى وعنـدهمُ عشر فأى كتاب بعدنا وجدوا

أخاني أخوا الأنصار فانتقصا ‏ منها فعندهما النقد الذى نقدوا

وان عاملك النصرى كلفني ‏ فى غير نائرة ديناً له صفد

أذنب غيرى ولم أذنب يكافئنى ‏ أم كيف أقتل لاعقل ولا قود

فقال هشام لاجرم لايعمل لى النصرى عملاً أبداً ، فكتب بعزله عن المدينة

قال عبد الملك لنصيب أنشدنى ، فأنشده قصيدته التى يقول فيها

ومضمر الكشح يطويه الضجيع به ‏ طى الحمائل لاجاف ولا فقر

وذى روادف لايلفى الإزار بها ‏ يلوى ولو كان سبعاً حين يأتزر

فقال له يانصيب من هذه ؟ قال بنت عم لي نوبية لو رأيتها ما شربت من يدها الماء ، فقال لو غير هذا قلت لضربت الذى فيه عيناك

كان نصيب يكنى أبا الحجناء فهجاه شاعر من أهل الحجاز فقال

رأيت أبا الحجناء في الناس حائراً ‏ ولون أبى الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده ‏ وان كان مظلوماً له وجه ظالم

فقيل لنصيب ألا تجيبه ؟ فقال لا ولو كنت هاجياً لأحد لأجبته ولكن الله أوصلنى بهذا الشعر الى خير فجعلت على نفسى ألا أقوله في شر وما وصفنى الا بالسواد وقد صدق أفلا أنشدكم ما وصفت به نفسى ؟ قالوا بلى فأنشدهم قوله

ليس السواد بناقصى مادام لي ‏ هذا اللسان الى فؤاد ثابت

من كان ترفعه منابت أهله ‏ فبيوت أشعارى جعلن منابتى

كم بين أسود ناطق ببيانه ‏ ماضى الجنان وبين أبيض صامت

انى ليحسدنى الرفيع بناؤه ‏ فضل البيان وليس بى من شامت

أنشد نصيب جريراً شيئاً من شعره فقال له كيف ترى يا أبا حزرة ؟ فقال له أنت أشعر أهل جلدتك ، وقال نصيب دخلت على عبد العزيز بن مروان فقال لي أنت أشعر أهل جلدتك والله مازاد عليها ، فقال له عبد الرحمن يا أبامحجن أفرضيت

منه أن جعلك أشعر السودان فقط ؟ فقال له ودِدْت والله يا ابن أخى أن أعطانى أكثر من هذا ولكنه لم يفعل ولست بكاذبك

قال محمد بن عبد ربه دخلت مسجد الكوفة فرأيت رجلاً لم أر قط مثله ولا أشد سواداً منه ولا أنقى ثياباً منه ولا أحسن زيّاً ، فسألت عنه فقيل هذا نصيب ، فدنوت منه فحدثته ثم قلت له أخبرنى عنك وعن أصحابك فقال ، جميل امامنا ، وعمر بن أبى ربيعة أوصفنا لربّات الحجال ، وكثير أبكانا على الدِّمن وأمدحنا للملوك ، وأما أنا فقد قلت ما سمعت ، فقلت له ان الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو ، فضحك ثم قال أفتراهم يقولون انى لا أحسن أن أمدح ؟ فقلت لا ، فقال أفما ترانى أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله ؟ قال قلت بلى ، قال فانى رأيت الناس رجلين ، اما رجل لم أسأله شيئاً فلا ينبغى أن أهجوه فأظلمه ، أو رجل سألته فمنعنى فنفسى كانت أحق بالهجاء اذ سولت لى أن أسأله وأن أطلب ما لديه

خرج نصيب هو وكثير والأحوص غِبّ يوم أمطرت فيه السماء فقال هل لكم أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتى العقيق فنمتع فيه أبصارنا ؟ فقالوا نعم ، فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب وتنكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق فجعلوا يتصفحون ويرَوْن بعض ما يشتهون حتى رفع لهم سواد عظيم فأمّوه حتى أتوه فاذا وصائف ورجال من الموالى ونساء برزات فسألنهم فاستحيوا أن يجيبوهن من أول وهلة ، فقالوا لا نستطيع أو نمضى فى حاجة لنا ، فحلفنهم أن يرجعوا اليهن ، ففعلوا وأتوهن فسألنهم النزول ، فنزلوا ، ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت ادخلوا ، فدخلوا على امرأة برزة على فرش لها فرحبت وحيّت ، واذا كراسى موضوعة فجلسنا جميعاً فى صف واحد كل انسان على كرسى ، فقالت ان أحببتم أن ندعو بصبى لنا

فنصيّحه ونَعْرُك أذنه فعلنا وان شئتم بدأنا بالغَداء، فقلنا بل تدعين بالصبى ولن يفوتنا الغداء، فأومأت بيدها الى بعض الخدم فلم يكن الا كلا ولا حتى جاءت جارية جميلة قد سترت عليها بمُطْرَف فأمسكوه عليها حتي ذهب بُهْرها ثم كشف عنها واذا جارية ذات جمال قريبة من جمال مولاتها فرحبت بهم وحيتهم، فقالت لها مولاتها خذى ويحك من قول النصيب عافى الله أبا محجن

ألا هل من البين المفرق من بُدّ   وهل مثل أيامى بمنقطع السعد

تمنيت أيامى أولئك والمنى   على عهد عاد ما تُعيد وما تُبدى

فجاءت به أحسن ما سمعته قط بأحلى لفظ وأشجى صوت ثم قالت لها خذي أيضاً من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن

أرق المحب وعاده سهُدُه   لطوارق الهمّ التى ترده

وذكرت من رقت له كبدى   وأبى فليس ترق لي كبده

لا قومه قومى ولا بلدى   فنكون حيناً جيرة بلده

ووجدت وجداً لم يكن أحد   من أجله بصبابة يَجِده

ألا ابن عجلان الذى تبلت   هند ففات بنفسه كَمده

فجاءت به أحسن من الأول فكدت أطير سروراً ثم قالت لها ويحك خذي من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن

فيا لك من ليل تمتعت طوله   وهل طائف من نائم متمتع

نعم ان ذا شَجْو متى يلق شجوه   ولو نائماً مستعتب أو مودّع

له حاجة قد طالما قد أسرها   من الناس فى صدر بها يتصدع

تحملها طول الزمان لعلها   يكون لها يوْماً من الدهر منزع

وقد قُرعت فى أم عمرو لي العصا   قديماً كما كانت لذي الحلم تقْرع

فجاءني والله شيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها هذا الغناء في شعري وماسمعت فيه من حسن الصنعة وجودتها واحكامها ، ثم قالت لها خذي أيضاً من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن

يأيها الركب اني غير تابعكم   حتى تلموا وأنتم بي ملمونا

فما أرى مثلكم ركباً كشكلكم   يدعوهم ذو هوى ألا يعوجونا

أم خبروني عن داء بعلمكم   وأعلم الناس بالداء الأطبونا

فقال نُصَيب فوالله لقد زهوت بما سمعت زَهْوًا خيل إليَّ أني من قريش وأن الخلافة لي ، ثم قالت حسبك يا بنية هات الطعام يا غلام ، فوثب الأحوص وكثير وقالا والله لا نطعم لك طعاماً ولا نجلس لك في مجلس فقد أسأت عشرتنا واستخففت بنا وقدمت شعر هذا الأسود على أشعارنا وأسمعت الغناء فيه وان فى أشعارنا لما يفضل شعره وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا ، فقالت على معرفة كل ما كان مني فأي شعركما أفضل من شعره ؟ أقولك يا أحوص ؟

يقر بعيني ما يقر بعينها   وأحسن شيء مابه العين قرت

أم قولك يا كثير ؟

وما حسبت ضمرية جدوية   سوى التيس ذى القرنين أن لها بعلا

فخرجا مغضبين واحتبستني ، فتغديت عندها وأمرت لي بثلاثمائة دينار وحلتين وطيب ، ثم دفعت إليَّ مائتي دينار وقالت ادفعها الى صاحبيك فان قبلاها والا فهي لك ، فأتيتهما فأخبرتهما القصة فأما الأحوص فقبلها وأما كثير فلم يقبلها وقال لعن الله صاحبتك ولعنك معها فأخذتها وانصرفت ، فسئل نصيب ممن المرأة ؟ فقال من بني أمية ولا أذكر اسمها ما حييت لأحد

وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان إياها ، فخرج هارباً منه فنزل بقرية من الصعيد يقال لها سُكَر ، فقدم عليه حين نزولها رسول لعبد الملك ،

فقال له عبد العزيز ما اسمك ؟ فقال طالب بن مدرك ، فقال أوه ما أرانى راجعاً الى الفسطاط أبداً ومات فى تلك القرية ، فقال نصيب يرثيه

أصبت يوم الصعيد من سكر مصيبة ليس لي بها قبل
تالله أنسى مصيبتي أبداً ما أسمعتني حنينها الابل
ولا التبكي عليه أعوله كل المصيباب بعده جلل
لم يعلم النعش ما عليه من العرف ولا الحاملون ما حملوا
حتى أجنوه فى ضريحهم حتى انتهى من خليلك الأمل

دخل نصيب على عبد الملك فقال له أنشدنى بعض ما رثيت به أخي ، فقال

عرفت وجربت الأمور فما أرى كماض تلاه الغابر المتأخر
ولكن أهل الفضل من أهل نعمتى يمرون أسلافاً أمامى وأغبر
فان أبكه أعذر وان أغلب الأسى بصبر فمثلي عند ما اشتد يصبر
وكانت ركابى كلما شئت تنتحى جماحاً فتقضى نحبها وهى تضمر
ترى الورد بشرى والثناء غنيمة لديك وتثنى بالرضا حين تصدر
فقد عريت بعد ابن ليلى فانما ذراها لمن لاقت من الناس منظر
ولو كان حياً لم يزل بدفوفها مراد لغربان الطريق ومنقر
فان كن قد نلن ابن ليلى فانه هو المصطفى من أهله المتخير

فلما سمع عبد الملك قوله « فان أبكه أعذر » قال ويلك أنا كنت أحق بهذه الصفة فى أخى معك فهلا وصفتنى بها وجعل يبكى

قال عبد الله بن اسحاق البصرى لو وليت العراق لاستكتبت نصيباً لفصاحته وحسن تخلصه الى جيد الكلام كقوله

فلا النفس ملتها ولا العين تنتهى اليها سوى فى الطرف عنها فترجع
رأتها فما ترتد عنها سآمة ترى بدلاً منها به النفس تقنع

قال نُصَيب لأُمّ بكر الخزاعية

ألا ليت شعري ما الذى تَحِدِين بى | غدا غربة النأى المفرق والبعد
لدى أُمّ بكر حين تغترب النوى | بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدى
أتصرمني عند الذين همُ العدى | فتُشْمِتَهم بى أم تدوم على العهدِ

فصاحت بل والله أدوم على العهد ، وكان نصيب ربما قدم من الشام فيطرح فى حجر أُمّ بكر أربعمائة دينار وان عبد الملك بن مروان ظهرعلى تعلقه بها وتشبيبه فيها ، فنهاه عن ذلك حتى كف

قال حفص الثقفى رأيت النصيب بالطائف فجاءنا وجلس مجلسنا وعليه قميص قُوهى ورداء حِبَرة فجعل ينشدنا مديحاً لابن هشام ، ثم قال ان الوادى مَسبَعَة فمن أهل المجلس ؟ قالوا ثقيف ، فعرف أنا نُبغض ابن هشام و يبغضنا ، فقال انا لله أبعد ابن ليلى أمتدح ابن جَيْدَاء ، فقال له أهل المجلس يا أبا محجن أتطّلب القريض أحياناً فيعسر عليك ؟ قال إىْ والله لربما فعلت فآمر براحلتى فيشد بها رحلى ، ثم أسير فى الشعاب الخالية وأقف فى الرِّباع المقْوِية فيُطربنى ذلك ويفتح لي الشعر والله انى على ذلك ما قلت بيتاً قط تستحيى الفتاة الحَيِية من إنشاده فى ستر أبيها

قال ابن أبى عتيق لنصيب انى خارج أفترسل الى سعدى بشىء ؟ قال نعم ببيتى شعر ، قال فقل ، فقال

أتصبر عن سُعدى وأنت صبور | وأنت بحسن الصبر منك جدير
وكدت ولم أُخلق من الطير ان بدا | سَنا بارق نحو الحجاز أطير

فأنشد ابن أبى عتيق سعدى البيتين ، فتنفست تنفسة شـديدة ، فقال ابن أبى عتيق أوه أجبته والله بأجود من شعره ولو سمعك خليلك انعق وطار اليك

استبطأ هشام بن عبد الملك حين ولى الخلافة نصيباً ألاَّ يكون جاءه وافـداً عليه مادحاً له ووجد عليه وكان نصيب مريضاً فبلغه ذلك حين برَأ ، فقدم عليه وعليه أثر المرض وعلى راحلته أثر النَّصَب ، فانشده

حلفت بمن حجت قريش لبيته وأهدت له بُدْناً عليها القلائد

لئن كنت طالت غيبتي عنك انني بمَبْلَغ حولي فى رضاك لجاهد

ولكنني قد طال سقمي وأكثرت عليَّ العهادَ المشفقات العوائد

صريع فراش لا يزلن يقُلن لي بنصح واشفاق متى أنت قاعد ؟

فلما زجرت العِيسَ أسْرت بحاجتي اليك وذلت للسان القصائد

واني فلا تستبطني بمودتي ونصحي واشفاقي لديك لعامد

فلا تُقْصِنِي حتى أكون بصرْعة فييأس ذو قربى ويَشْمَتَ حاسد

أنلـــني وقربني فانك بالغ رضاي بعفو من نداك وزائد

أبِتْ نائماً أما فؤادي فهمه قليل وأما مس جلدي فبارد

وقد كان لي فيكم اذا ما لقيتكم لبان ومعروف وللخير قائد

اليك رحلت العِيس حتى كأنها قِسِيّ السرى ذَبْلَى بَرَتْها الطرائد

وحتى هواديها دقاق وشكوها صَريف وباقي النَّقْي منها صرائد

وحتى ونت ذات المراح فأذعنت اليك وكل الراسيات الحوافد

فرق له هشام وبكى وقال ويحك يا نصيب لقد أضررنا بك وبرواحلك ووصله وأحسن صلته واحتفل به

دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان فقال له وطال الحديث بينهما هل عشقت قطّ ؟ قال نعم أمة لبني مُدْلج ، قال فكنت تصنع ماذا ؟ قال كانوا يحرسونها مني فكنت أقنع أن أراها فى الطريق وأشير اليها بعيني أو حاجبي وفيها أقول

وقفت لها كيما تمر لعلـــني أُخالسها التسليم ان لم تسلم

ولما رأتني والوشاة تحدرت مدامعها خوفاً ولم تتكلم

مساكين أهل العشق ما كنت أشترى جميع حياة العاشـــقين بدرهم

فقال له عبد العزيز ويحك فما فعلت ؟ قال بيعت ، قال فهل فى نفسك شىء منها ؟ قال نعم عقَابيل [١] أحزان

قدم نصيب على عبد الواحد النصرى وهو أمير المدينة بفرض من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بنى ضمرة ، فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة غِلْمة لم يحتلموا ، فردهم النصرى ، فكلمه نصيب كلاماً غليظاً ادلالاً بمنزلته عند الخليفة ، فأشار اليه ابراهيم بن عبد الله بن مطيع أن اسكت وكُفَّ واخرج فانى كافيك ، فلما خرج لقيه نصيب فقال له أشرت إليَّ فكرهت أن أغضبك فما كرهت لي من مراجعته والصلابة له ومن ورائى المستعتَب من أمير المؤمنين ؟ قال ابراهيم هو رجل عربي حديد غَلِق وخشيت ان جاذبته شيئاً ألاَّ يرجع عنه وأن يمضى عليه ويلج فيه وهو مالك للأمر وله فيه سلطان ، فأردت أن تخرج قبل أن يلجّ ويظهر منه مالا يرجع عنه فيمضى عليه ويلج فيه فتنتظر فيفكر لتصادف منه طيب نفس ونرفدك عنده فقال نصيب

يوْمان يوم لِزُرَيق فسْل ويوْمه الآخر سَمْح فضل

أنا جعلت فداك فاعل ذلك فاذا رأيت القول فأشر حتى أكلمه ودخل اليه نصيب عشيات ، كل ذلك يشير اليه ابن مطيع ألاَّ يكلمه حتى صادف عشية من العشيات منه طيب نفس فأشار اليه أن كلمه ، فكلمه نصيب فأصاب مَخْتِله وكلامه ثم قال انى قد قلت شعراً فاسمعه أيها الأمير وأجزه ، ثم قال

أهاج البكا ربع بأسفل ذى السدر عفاه اختلاف العصر بعدك والقطر
نعم فثنانى الوجد فاشتقت للذى ذكرت وليس الشوق الا مع الذكر
حلفت برب الموضِعين لربهم وحرمة ما بين المقام الى الحِجْرْ
لئن حاجتى يوْماً قضيت ورِشْتَنى بنَفْحة عرف من يديك أبا بشر

(١) العقابيل بقايا العشق

إذاً تعرِفنّ الدهر منى مودة ونصحاً على نصح وشكراً على شكر

سقى الله صوْب المزن أرضاً عمرتها برِيّ فأسقاها بلاد بنى نصر

بوجهك فاستعملت ما دمت خائفاً لربك تقضى راشداً آخر الدهر

لتنقذ أصحابى وتستر عورة بدت لك من صحبي فانك ذو ستر

فما بأمير المؤمنين الى التى سألت فأعطانى لقومى من فقر

وقد خرجت منه اليك فلا تكن بموضع بيضات الأنوق من الوَكْر

فقال عثمان بن حيّان المرّى وهو عنده وكان قد جاءه بالقَوَد من ابن حزم : قد احتلم القوم أيها الأمير واستوجبوا الفرض ورفده ابن مطيع فأحسن واشتد عليه أن شركه ابن حيان فى رفده وتشييعه ، وقال النصرى لابن مطيع وابن حيان صدقتما قد احتلموا واستوجبوا الفرض ، افرض لهم يافلان « لكاتب من كتابه » ففرض لهم

أجدبت ابل لنصيب وحالت وكان لرجل من أسلم عليه ثمانية آلاف درهم فوفد على عبد العزيز بن مروان فقال له جعلنى الله فداءك انى حملت دينها فى ابل ابتعتها مجدِبات حِيال وقد قلت فيها شعراً ، قال أنشد ، فأنشده

فلما حملت الدين فيها وأصبحت حِيالاً مُسنات الهوى كدت أندم

على حين أن راث الربيع ولم يكن لها بصعيد من تِهامة مقْضَم

ثمانية للأسلمى وما دنا لفحش ولا تدنو الي الفحش أسلم

فقال له عبد العزيز فما دينك ويحك ؟ قال ثمانية آلاف درهم ، فلما رجع أنشد الأسلمى الشعر فترك له ما عليه وقال الثمانية الآلاف لك

أتى نصيب مكة فأتى المسجد الحرام ليلا ، فبينما هو كذلك اذ طلع ثلاث نسوة فجلسن قريباً منه وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعر والشعراء ، واذا هن من أفصح النساء وآدبهن ، فقالت إحداهن قاتل الله جميلاً حيث يقول

وبين الصفا والمروتين ذكرتكم　　بمختلف ما بين ساع وموجف

وعند طواف قد ذكرتك ذُكرة　　هى الموت بل كادت عن الموت تضعف

فقالت الأخرى بل قاتل الله كثير عزة حيث يقول

طلعن علينا بين مروة والصفا　　يمُرْن على البطحاء مَوْر السحائب

فكدن لعمر الله يحدثن فتنة　　لمختشع من خشية الله تائب

فقالت الأخرى قاتل الله ابن الفاعلة نصيباً حيث يقول

ألام على ليلى ولو أستطيعها　　وحرمة ما بين البَنِيَّة والستر

لملت على ليلى بنفسى ميلة　　ولو كان فى يوْم التحالق والنحر

فقام نصيب اليهن فسلم عليهن فرددن عليه السلام ، فقال لهن انى رأيتكن تتحادثن شيئاً عندى منه علم ، فقلن ومن أنت ؟ فقال اسمعن أولا ، فقلن هات ، فأنشدهن قصيدته التى أولها

ويوم ذى سَلَم شاقك نائحة　　ورقاء فى فَنَن والريح تضطرب

فقلن له نسألك بالله وبحق هذه البَنِيَّة من أنت ؟ فقال أنا ابن المظلومة المقذوفة بغير جرم ، نصيب ، فقمن اليه فسلمن عليه ورحبن به واعتذرت اليه القائلة وقالت والله ما أردت سوءاً وانما حملنى الاستحسان لقولك على ما سمعت ، فضحك وجلس اليهن فحادثهن الى أن انصرفن

ومن شعره من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان

أمعارف الدِّمَن القفار توهم　　ولقد مضى حول لهن مُجَرَّم

ولقد وقفت على الديار لعلها　　بجواب رَجْع تحية تتكلم

عن علم ما فعل الخليط فما درت　　أنَّى توجه بالخليط الموسم

ولقد عهدت بها سعاد وانها　　بالله جاهدة اليمين لتقسم

انى لأوجه من تكلم عندها　　بأَلِيَّة ومخالف من يزعم

فلها لدينا بالذى بذلت لنا　　ود يطول له العناء ويعظم

قال أبو النجم أتيت الحكم بن المطلب فمدحته وخرج الى السقاية فخرجنا معه ومعه عدة من الشعراء ، فبينا هو فى موضع أضحي به يوماً واقفاً اذا براكب يوضع فى السراب واذا هو نصيب ، فتقدم اليه فمدحه فأمر بانزاله ، فمكث أياماً حتى أتاه فقال انى خلفت صبية صغاراً وعيالاً ضعافاً ، فقال ادخل الحظيرة فخذ منها سبعين فريضة ، فقال له جعلني الله فداك قد أحسنت ومعي ابن أخ لي أخاف أن يلمها علىَّ ، قال ادخل فخذ له سبعين فريضة أخرى ، فانصرف بمائة وأربعين فريضة

قيل لنصيب قد هَرِم شعرك ، قال لا والله ماهرم ولكن العطاء هرم ومن يعطينى مثل ما أعطانى الحكم بن عبد المطلب ؟ خرجت وهو ساع على بعض صدقات المدينة فلما رأيته قلت

أبا مروان لستَ بخارجى — وليس قديم مجدك بانتحال

أغرّ اذا الرّواق انجاب عنه — بدا مثل الهلال على المثال

تراآه العيون كما تراءى — عشية فطرها وضح الهلال

فأعطانى أربعمائة ضائنة ومائة لقحة وقال ارفع فراشي فرفعته فأخذت من تحته مائتى دينار

قال سعيد بن بشر الخارجي انى لمع أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَة فى حواء له اذ جاء كثير ، فحياه ، فاحتفى به ودعا بالغداء فشرعنا فيه وشرع معنا كثير ، وجاء رجل فسلم ، فرددنا عليه السلام واستدنيناه فاذا هو نصيب فى بِزّة جميلة قد وافى الحج قادماً من الشام ، فأكب على أبى عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه الى الغداء فأكل مع القوم ، فرفع كثير يده وأقلع عن الطعام ، وأقبل عليه أبو عبيدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل ، فأبى ، فتركوه ، وأقبل كثير على نصيب وقال والله يا أبامحجن ان أثر أهل الشام عليك لجميل ، لقد رجعت هذه الكرة ظاهر الكبر قليل الحياء

فقال له نصيب لكن أثر الحجاز عليك أبا صخر غير جميل وانك لزائد النقص كثير الحماقة ، فقال كثير أنا والله أشعر العرب حيث أقول لمولاتك

اذا أمسيت بطن صحاح دونى ... وعمق دون عزة فالبقيع

فليس بلائمى أحد يصلى ... اذا أخذت مجاريها الدموع

فقال نصيب أنا والله أشعر منك حيث أقول لابنة عمك

خليلى ان حلت كلية بالرُّبا ... فذى أمج فالشعب ذى الماء والحمض

فأصبح من حوران رحلى بمنزل ... يبعده من دونها نازح الأرض

وأيأستما أن يجمع الدهر بيننا ... نخوضا بى السم المضرج بالمحض

ففى ذاك من بعض الأمور سلامة ... وللموت خير من حياة على غمض

فاقتحم اليه كثير وثبت له نصيب ، فلما نالته رجلاه رمحه نصيب بساقه رمحة طاح منها بعيداً عنه فما زال راقداً حتى أيقظناه عشياً لرمى الجمار

قال أنيس بن ربيعة الأسلمى غدوت يوماً الى أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة ومعه محمد بالرحبة فألفيت عنده جماعة منا ومن غيرنا ، فأتاه آت فقال ذاك النصيب بالفرش منذ ثلاث متململ مقلد وكأنه واله فى اثر قوم ظاعنين ، فنهض أبو عبيدة ونهضنا معه ، فاذا نصيب على المنحر من صفر ، فلما عايننا وعرف أباعبيدة هبط ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه تبع قوماً سائرين وأنه وجد آثارهم ومحالهم بالفرش فاستولهه ذلك ، فضحك به أبو عبيدة والقوم وقالوا له انما يُهتر اذا عشق من انتسب عُذرياً فأما أنت فمالك ولهذا ؟ فاستحيا وسكن ، وسأله أبو عبيدة هل قلت فى مقامك شعراً ؟ قال نعم وأنشد

لعمرى لئن أمسيت بالفرش مُقصَداً ... وبرّح بى وهْج بقلبى أو صفر

وهمت شؤنى واستهلت مدامعى ... لربع قديم العهد ينتكف الأثر [1]

---

(١) انتكف أثره اعترضه فى مكان سهل

دعا أهله بالشام برق فأوجفوا ولم أر متبوعاً أضر من المطر
لتستبدلن قوماً وعينا سواهما وإلا أتى قصداً حُشاشتك القدر
خليلي فيما عشتما أو رأيتما هل اشتاق مضرورالى من به أضر
نعم ربما كان الشقاء متيحاً يغطى على عقل ابن آدم والبصر

فانصرف به الى منزله وأطعمه وكساه وحمله وانصرف وهو يقول

أصاب دواء علتك الطبيب وخاض لك السلو ابن الربيب
وأبصر من رُقاك منفثات وداؤك كان أعرف بالطبيب

دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك فأنشده قصيدة امتدحه بها فطرب لها يزيد واستحسنها وقال أحسنت يانصيب سلني ماشئت ، فقال يدك ياأميرالمؤمنين بالعطاء أبسط من لساني بالمسألة ، فأمر به فملىء فمه جوهراً ، فلم يزل به غنياًحتى مات

دخل على ابراهيم بن هشام وهو وال على المدينة فأنشده قوله

يا ابن الهشامين لا يتّ كيتكم اذا تسامت الى أحسابها مُضَر

فقال ابراهيم قم الى تلك الراحلة المرحولة فخذها برحلها ، فقام اليها نصيب متباطئاً والناس يقولون مارأينا عطية أهنأ من هذه ولا أكرم ولاأعجل ولاأجزل ، فسمعهم نصيب فأقبل عليهم وقال والله انكم قلما صاحبتم الكرام وماراحلة ورحل حتى ترفعوهما فوق قدرهما ؟

وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان بمصر فوقف على الباب فاستأذن ، فلم يؤذن له ، فأرسل اليه حاجبه قيساً فقال استنشده فان كان شعره رديئاً فاردده وان كان جيداً فأدخله ، فقال نصيب ان هذا لكلام رجل ذهن ، فأدخله ، فلما واجهه أنشده قصيدته التي أولها

ألا أيها الربع المقيم بعنْبُب سقتك الغوادى من مُراح ومُعْزب
بذى هَيْدَب أما الرُّبى تحت وَدْقه فتُروى وأما كل واد فيَزْعَب[1]

(١) زعب الوادى تملأ

يقول فيها

ألا هل أتى الصقر ابن مروان أننى | أُرد لدي الأبواب عنه وأحجب
وأنى ثويت اليوم والأمس قبله | على الباب حتى كادت الشمس تغرب
وأنى اذا رمت الدخول تردنى | مهابة قيس والرِّتاج المضبَّب

ومنها

وأهلى بأرض نازحون وما لهم | بها كاسب غيرى ولا متقلب
فهل تُلحقنِّيهم بعبل مواشك | على الأين من نُجب ابن مروان أصهب
أبو بكرات ان أردت افتحاله | وذو وثبات بالرديفين متعب

فقال له عبد العزيز ادخل على المهارى نخذ منها ما شئت فلو كنت سألت غيره لأعطيتك ، فدخل فرده الجمال ، فقال عبد العزيز دعه فانما يأخذ الذى نعت ، فأخذه

الفضل بن العباس اللهبى

هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لَهَب بن عبد المطلب أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم وكان شديد الأُدمة وهو الذى يقول

وأنا الأخضر من يعرفني | أخضر الجِلْدَة فى بيت العرب
من يساجِلْنى يساجل ماجداً | يملأ الدلو الى عقد الكَرَب[1]
انما عبد مناف جوهر | زيَّن الجوهر عبد المطلب
كل قوم صيغة من تِبْرهم | وبنو عبد مناف من ذهب
نحن قوم قد بنى الله لنا | شرفاً فوق بيوتات العرب
بنبى الله وابنى عمه | وبعباس بن عبد المطلب

(١) الكرب الحبل يشد فى وسط العراقى ليلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير

وهو هاشمي الأبوين امه بنت العباس بن عبد المطلب

وكان النبي صلى الله عليه وسلم زوَّجَ عتبة إحدى بناته ، فلما بعثه الله نبياً أقسمت عليه أمُّ جميل أن يطلقها ، فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فوقف عليه وقال يا محمد اشهد أني نصراني قد كفرت بربك وطلقت ابنتك ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث عليه كلباً من كلابه يقتله ، فبعث الله عز وجل أسداً فافترسه ، خرج الى الشام في ركب فيهم هبَّار بنَ الأسود حتى اذا كانوا بوادي القاصرة وهي مسبعة نزلوه ليلاً فافترشوا صفاً واحداً ، فقال عتبة أتريدون أن تجعلوني حَجْرة ؛ لا والله لا أبيت الا وسطكم ، فبات وسطهم ، قال هبار فما أنبهني الا السبع يشمّ رءوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى اليه فأنشب أنيابه في صدغيه ، فصاح ايْ قوم قتلتني دعوة محمد ، فأمسكوه فلم يلبث أن مات في أيديهم

مرَّ الفضل بالأحوص وهو ينشد وقد كان اجتمع الناس عليه بجُدّة ، فقال له انك يا أحوص لشاعر ولكنك لا تعرف الغريب ولا تغرب ، قال اني لأبصر الناس بالغريب والإغراب ، أفتسمع ؟ قال نعم ، فقال

ما ذات حبل يراها الناس كلهمُ — وسط الجحيم ولا تخفى على أحد
كل الحبال حبال الناس من شَعَر — وحبلها وَسْطَ أهل النار من مسد

فقال له الفضل

ماذا أردت الى شتمي ومنقصتي — ماذا أردت الى حَمّالة الحطب
ذكرت بنت قرُوم سادة نُجُب — كانت حليلة شيخ ثاقب النسب

فانصرف عنه ، ومرَّ الحزين بالفضل يوم جمعة وعنده قوم ينشدهم ، فقال له الحزين أتُنشد الشعر والناس يروحون الى الصلاة ؟ فقال له الفضل ويحك يا حزين أتتعرض لي كأنك لا تعرفني ؟ قال بلى والله اني لأعرفك ويعرفك كل من يقرأ سورة « تبَّتْ يدا أبي لهب » ، وقال يهجوه

اذا ما كنت مفتخراً بجد ففرج عن أبى لَهَب قليلا
فقد أخزى الاله أباك دهراً وقَلَّد عرسه حبلاً طويلا

فأعرض عنه الفضل وتبرم من جوابه ، وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه

قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً وهو خليفة فدخل عليه الفضل فشكا اليه كثرة العيال وسأله ، فأعطاه مالاً وابلاً ورقيقاً ، فلما مات الوليد وولى سليمان فحج أتاه فسأله ، فلم يعطه شيئاً ، فقال

يا صاحب العِيس التى رحلت محبوسة لعشية النَّفْر
اُمْرُرْ على قبر الوليد فقل له صلى الاله عليك من قبر
يا واصل الرَّحِم التي قُطعت وأصابها الحُفُرات فى الدهر
انى وجدت الخل بعدك كاذباً فبرئت من كذب ومن غدر
ولقد مررت بنسوة يَنْدُبنه بيض السواعد من بنى فِهْرْ
تبكي لسيدها الأجل وما تبكين من ناب ولا بكر
يندُبنه ويقلن سيدنا تاج الخلافة آخر الدهر
ماذا لقيت جزيت صالحة من صفوة الاخوان لو تدرى ؟

قال على بن محمد النوفلى كان أبى عند الحسين بن عيسى بن على وهو والي البصرة وعنده وجوه أهل البصرة ، وقد كان فيهم بقية حسنة فى ذلك الدهر ، فأفاضوا فى ذكر بني هاشم وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه صلى الله عليه وسلم فمن منشد شعراً ومتحدث حديثاً وذاكر فضيلة من فضائل بنى هاشم ، فقال أبى قد جمع هذا الكلام الفضل بن العباس اللَّهَبى ، ثم أنشد قوله

ما بات قوم كرام يدَّعون يداً الا لقومى عليهم منة ويد
نحن السَّنام الذى طالت شَظِيَّته فما يخالطه الأدواء والعَمَد[1]

(١) العمد داء يصيب البعير من مؤخر سنامه الى عجزه فلا يلبث أن يقتله والشظية الشظى وهو عظيم صغير مستدق لازق بالركبة أو بالذراع أو بالوظيف

فمن صلى صلاتنا وذبح ذبيحتنا عرف أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يداً عليه بما هداه الله الى الإسلام به ونحن قومه فتلك منة لنا على الناس

قدم الفضل على عبد الملك بن مروان فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد ، فقال الزيادى والله ما أسمع شعراً ، فلما كان العشى راح اليه الفضل فوقف بين يديه ثم قال يا أمير المؤمنين

أتيتك خالاً وابن عم وعمة ولم آتِكَ شعباً لا طريدٌ مشعب

فصلْ واشجات بيننا من قرابة ألا صلةُ الأرحام أبقى وأقرب

ولا تجعلنّى كامرئ ليس بينه وبينكمُ قربى ولا متنسب

أتحدب من دون العشيرة كلها وأنت على مولاك أحنى وأحدب

فقال الزيادى هذا والله يا أمير المؤمنين الشعر

لما قدم الفضل على عبد الملك أمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها ، فلما قدم الأصبحى على المهدى قال المهدى لمن حضركم كان عبد الملك أعطى الفضل اللَّهَبى لما مدحه ؟ فما أعلم هاشمياً مدحهم غيره ، فقيل له أعطاه عشرة آلاف درهم ، قال فكم أعطاه الوليد ؟ قال مثل عطية أبيه ، فأمر للأصبَحى بثلاثين ألف درهم

خرج علي بن عبد الله بن عباس بالفضل اللهبى الى عبد الملك بالشام ، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له ومعه حادٍ يحدو به وعلي بن عبد الله يسايره على نجيب له ومعه بغلة تُجنب ، فحداها حادى عبد الملك ، فقال

يأيها البَكْرُ الذى أراكا عليك سهل الأرض فى ممشاكا

ويحك هل تعلم مَنْ علاكا ان ابن مروان على ذَراكا

خليفة الله الذى امتطاكا لم يعلُ بكراً مثل ما علاكا

فعارضه الفضل فحدا بعلى بن عبد الله بن عباس فقال

يأيها السائل عن عليّ سألت عن بدر لنا بدريّ
مقدم في الخير أبطحى أغلب في العلياء غَلاّبي
ولين الشيمة هاشمى جاء على بكْر له مَهْرِيّ

فنظر عبد الملك الى علي فقال هذا مختور آل أبى لهب ؟ قال نعم ، فلما أعطى قريشاً مرَّ به اسمه نخرج وقال يعطيه علي

الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس

كان من فتيان بنى هاشم وظرفائهم وشعرائهم وقد روى الحديث وحمل عنه وله شعر صالح ، ومن قوله فى عابدة بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصى وهى أخت عمرو بن شعيب الذى يروى عنه الحديث

أعابدَ ان الحب لا شك قاتلى لئن لم تقارضني هوى النفس عابدة
أعابدَ خافي الله في قتل مسـلم وجودي عليه مرة قط واحدة
فان لم تريدي فيَّ هجراً ولا هوى فكم غير قتلى يا عبيدة راشدة
فكم ليلة قد بت أرعى نجومها وعبدة لا تدري بذلك راقدة

ومن قوله فيها

أعابدَ حييتم على النأى عابدا سقاك الاله المنشئات الرواعدا
أعابدَ ما شمس النهار اذا بدت بأحسن مما بين عينيك عابدا

وقد تزوج الحسين عابدة هذه وولدت منه وبسببها ردت على ولد عمرو بن العاصى أموالهم فى دولة بنى العباس

كان مالك بن أبي السمح المغنى صديقاً للحسين ونديماً له وكان يتغنى فى أشعاره. وله يقول الحسين

لا عيش الا بمالك بن أبي السمـ ـح فلا تَلْحَنى ولا تَلُم

أبيض كالسيف أو كما يلمع البا رق فى حِنْدِس من الظلم
يصيب من لذة الكريم ولا يهتك حق الإسلام والحرم
يارب يوْم لنا كحاشية البر د ويوْم كذاك لم يدم
قد كنت فيه ومالك بن أبي السمـــح الكريم الأخلاق والشيم
من ليس يعصيك ان رشدت ولا يجهل منك الترخيص فى اللَّمَم

عبد الله بن معاوية

هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وأم عبد الله بن جعفر وسائر بنى جعفر أسماء بنت عُمَيْس بن معْقل من خَثْعَم وأمها هند بنت عوف امرأة من حرَس ، وهذه الحرسية أكرم الناس أحماء ، أحماؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وجعفر وحمزة والعباس وأبو بكر رضى الله تعالى عنهم ، وانما صار رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحمائها أنه كان لها أربع بنات ، ميمونة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم الفضل زوج العباس وأم بنيه ، وسلمى زوج حمزة وأم ابنته ، وهن بنات الحرث ، وأسماء بنت عُمَيس أختهن لأمهن كانت عند جعفر بن أبي طالب ، ثم خلف عليها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، ثم خلف عليها على بن أبي طالب عليه السلام ، وولدت من جميعهن ، وهن اللواتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهن الأخوات المؤمنات ميمونة وأم الفضل وسلمى وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن

قال ابن عباس دخل النبى صلى الله عليه وسلم على فاطمة وعليّ عليه السلام ليلة بنى بها فأبصر خيالاً من وراء الستر فقال من هذا ؟ فقالت أسماء ، قال بنت عميس ؟ قالت نعم أنا التي أحرس ابنتك يارسول الله فان المرأة ليلة بنائها لا بد لها من امرأة تكون قريباً منها ان عرضت لها حاجة أفضت بها اليها ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم فانى أسأل إلهى أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان ، وقد أدرك عبد الله بن جعفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب ، ومرّ النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله وهو يصنع شيئاً من طين من لعب الصبيان فقال ما تصنع بهذا ؟ قال أبيعه ، قال ما تصنع بثمنه ؟ قال أشتري به رطباً فآكله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بارك له فى صفقة يمينه ، فكان يقال ما اشترى شيئاً الا ربح فيه

قُمِر الحزين الديلى فى العقيق فى غداة باردة فى ثيابه فمر به عبد الله بن جعفر وعليه مقطعات خز ، فاستعار الحزين من رجل ثوباً ثم قام اليه فقال

أقول له حين واجهته ... عليك السلام أبا جعفر

فقال وعليكم السلام ، فقال

فأنت المهذب من غالب ... وفى البيت منها الذى يذكر

فقال كذبت ياعدو الله ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال

فهذى ثيابيَ قد أُخلقت ... وقد عضنى زمن منكر

قال هاك ثيابى ، فأعطاه ثيابه

وقف أعرابى على مروان بن الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله ، فقال يا أعرابى ماعندنا ما نصلك به ولكن عليك بابن جعفر ، فأتى الأعرابى باب عبد الله بن جعفر فاذا ثقله قد سار نحو مكة وراحلته بالباب عليها متاعه وسيفه معلق ؛ فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابى يقول

أبو جعفر من أهل بيت نبوة ... صلاتهمُ للمسلمين طهور

أبا جعفر ان الحجيج ترحلوا ... وليس لرحلي فاعلمنَّ بعير

أبا جعفر ضن الأمير بماله ... وأنت على مافى يديك أمير

وأنت امرؤ من هاشم في صميمها ... اليك يصير المجد حيث تصير

فقال يا أعرابى سار الثقل فدونك والراحلة بما عليها واياك أن تخدع عن السيف فانى أخذته بألف دينار ، فأنشأ الأعرابى يقول

حباني عبد الله نفسى فداؤه ... بأعْيَس مَوَّار سِباط مَشافره

وأبيضَ من ماء الحديد كأنه ... شهاب بدا والليل داجٍ عساكره

وكل امرىء يرجو نوال ابن جعفر ... سيجري له باليمن والبشر طائره

فياخير خلق الله نفساً ووالداً ... وأكرمه للجار حين يجاوره

سأُثني بما أوليتني يا ابن جعفر ... وما شاكر عُرْفاً كمن هو كافره

جاء شاعر الى عبد الله بن جعفر فأنشده

رأيت أبا جعفر فى المنام ... كسانى من الخزّ دُراعة[1]

شكوت الى صاحبى أمرها ... فقال ستؤتى بها الساعة

سيكسوكها الماجد الجعفرىّ ... ومن كفه في الدهر نفاعة

ومن قال للجود لا تَعْدُنى ... فقال لك السمع والطاعة

فقال عبد الله لغلامه ادفع اليه دراعتى الخز ، ثم قال له كيف لو ترى جبتى المنسوجة بالذهب التى اشتريتها بثلثمائة دينار ، فقال له الشاعر دعني اغفى اغفاءة أخرى فلعلى أرى هذه الجبة فى المنام ، فضحك منه وقال ياغلام ادفع اليه جبتى الوشى ، وكان أهل المدينة يدّانون بعضهم من بعض الى أن يأتى عطاء عبد الله ابن جعفر

جلب رجل الى المدينة سكراً فكسد عليه ، فقيل له لو أتيت ابن جعفر قبله منك وأعطاك الثمن ، فأتى ابن جعفر فأمر باحضاره وبسط له ، ثم أمر به فنثر ، فقال للناس انتهبوا ، فلما رأى الناس ينتهبون قال جعلت فداك آخذ معهم ؟ قال نعم ، فجعل

(١) الدراعة جبة مشقوقة المقدم

الرجل يُهيل فى غرائره ، ثم قال لعبدالله أعطنى الثمن ، فقال وكم ثمن سكرك ؟ قال أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها

باع أعرابى راحلة من عبد الله بن جعفر ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها ، فأمر به له ، ثم عاوده ثلاثاً يقتضيه الثمن ويأمر له به فقال فيه

لاخير فى المجتدى في الحين تسأله ... فاستمطروا من قريش خير مختدع

تخال فيـــه اذا حاورته بَلَهاً ... من جوده وهو وافى العقل والورع

لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبـد الله بن جعفر فراح يوماً الى الجمعة وهو يقول اللهم انك عودتني عادة جريت عليها فان كان ذلك قد انقضى فاقبضني اليك ، فتوفى فى الجمعـة الأخرى وهو ابن سبعين سنة فى سنة ثمانين وهو عام الجُحاف « لسيل كان بمكة جحف الحاج فذهب بالابل عليهـا الحمولة » وكان الوالى على المدينة يومئذ أبان بن عثمان فى خلافة عبدالملك بن مروان ، وهو الذى صلى عليه ، ولما مات شهده أهل المدينة كلهم ، وكان عبد الله مأوى المساكين وملجأ الضعفاء فمـا تنظر الى ذى حِجىً الا رأيته مستعبراً قد أظهر الهلَع والجزع ، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شفير القـبر فقال رحمك الله يا ابن جعفر ان كنت لرحمك لواصلاً ولأهل الشر لمبغضاً ولأهل الريبة لقالياً ، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى

رعيت الذى قد كان بينى وبينكم ... من الود حتى غيبتني المقـابر

فرحمك الله يوم ولدت ويوم كنت رجلاً ويوم مت ويوم تبعث حياً ، والله لئن كانت هاشم أصيبت بك لقد عم قريشاً كلها هلكك فما أظن أن يرى بعدك مثلك ، فقام عمرو بن سعيد بن العاصى الأشـدق فقال لا إله الا الله الذى برأ الأرض ومن عليها واليه ترجعون ، ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر وما أسمج ما أصبح بعد ، والله لو كانت عيني دامعة على أحد لدمعت عليك ، كان والله حديثك

غير مَشُوب بكذب وودك غير ممزوج بكَدَر ، فوثب ابن للمغيرة بن نوفل فقال يا عمرو بمن تعرض بمزج الود وشوب الحديث ؟ أفبابني فاطمة ؟ فهما والله خير منك ومنه ، فقال على رِسْلك يالُكَع أردت أن أدخلك معهم هيهات لست هناك ، والله لومت أنت ومات أبوك ما مدحت ولا ذممت ، فتكلم بما شئت فلن تجدلك مجيباً ، فما هو الا أن سمعهما الناس يتكلمان فحجزوا بينهما

وأم معاوية بن عبد الله بن جعفر أم ولد ، وكان من رجالات قريش ولم يكن فى ولد عبد الله مثله ، ولد وأبوه عند معاوية فأتاه البشير بذلك وعرف معاوية الخبر فقال سمه معاوية ولك مائة ألف درهم ، ففعل وأعطاه المال وأعطاه عبد الله للذي بشره به ، وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدب ولده ويقول ان يرد الله عز وجل بهم خيراً يتأدبوا ، فلم ينْجب فيهم غير معاوية

كان معاوية بن عبد الله قد عود ابن هَرْمة البِرّ فجاءه يوماً وقد ضاقت يده وأخذ خمسين ديناراً ديناً فرفع اليه مع جاريته رقعة فيها مديح له يسأله فيها أيضاً براً ، فقال للجارية قولي له أيدينا ضيقة وما عندنا شيء إلا شيئاً أخذناه بكلفة ، فرجعت جاريته بذلك فأخذ الرقعة فكتب فيها

فانى ومدحك غيرَ المصيب ... كالكلب ينبح ضوء القمر

مدحتك أرجو لديك الثواب ... فكنت كالعاصر جنب الحجر

وبعث بالرقعة الى الجارية فدفعتها الى معاوية ، فقال لها ويحك قد علم بها أحد ، قالت لا والله انما دفعها من يده الى يدى ، قال فخذى هذه الدنانير فادفعيها اليه فخرجت بها اليه ، فقال كلا زعم أنه لا يدفع إليَّ شيئاً

وكان معاوية صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة فسمى ابنه يزيد بن معاوية ، ولما حضرت عبد الله بن جعفر الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شَنَفاً كان فى أذنه وأوصى اليه ، وفى ولده من هو أسن منه ، وقال انى لم أزل أؤملك لها ، فلما توفى احتال

بدين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه وقسم أموال أبيه بين ولده ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما

وأم عبد الله بن معاوية أم عون بنت عياش بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، وكان عبد الله من فتيان بنى هاشم وجُودائهم وشعرائهم ولم يكن محمود المذهب فى دينه ، كان يرمى بالزندقة ويستولي عليه من يعرف ويشهر أمره فيها ، ويكني أبا معاوية وله يقول ابن هرمة قصيدته التي أولها

عاتب النفس والفؤاد الغويّا ... فى طِلاب الصبا فلست صبيا

عجبت جارتى لشيب علانى ... عَمْرَكِ اللهَ هل رأيت بَدِيّا

انما يُعذَر الوليد ولا يعـــذر من عاش من زمان عتيّا

يقول فيها يمدحه

أُحبُّ مدحاً أبا معاوية الما ... جد لا تُلْفِه حَصوراً عَيِيا

بل كريماً يرتاح للمجد بَسّا ... ماً اذا هزه السؤال حيِيا

ان لى عنده وان رَغِم الأعـــداء حظاً من نفسه وقَفِيا

ان أمت تبق مدحتى واخائى ... وثنائى من الحياة مَلِيا

يأخذ السبق بالتقدم فى الجر ... ى اذا ما الندَى تنحى عليا

ذو وفاء عند العدات وأوصا ... ه أبوه ألاَّ يزال وَفِيا

فرَعَى عقدة الوَصاة فأكرم ... بهما موصياً وهــذا وصيا

يا ابن أسماء[1] فاسق دلوي فقد أو ... ردتها منهلا يَشِجّ[2] رَوِيا

مدح ابن هرمة عبد الله بن جعفر فأتاه فوجد الناس بعضهم على بعض على بابه ، قال ابن هرمة ورآنى بعض خدمه فعرفنى فسألته عن الذين رأيتهم ببابه فقال عامتهم غرماء له ، فقلت ذلك شر ، واستؤذن لى عليه فقلت لم أعلم والله بهؤلاء

---

(١) يعني أمه أسماء وهى أم عون بنت عياش (٢) يسيل

الغرماء ببابك ، فقال لاعليك أنشدني ، قلت أعيذك بالله واستحييت أن أنشد ، فأبى إلا أن أنشده ، فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها

فإلاّ تُواتِ اليوم سلمى فربما ... شربنا بحوض اللهو غير المرَنَّق
فدعها فقد أعذرت فى ذكر وصلها ... وأجريت فيها شأْواً وغرب ومشرق
ولكن لعبد الله فانطق بمدحة ... يجيرك من عسر الزمان المطبق
أخ قلت للأَدنين لما مدحته ... هلموا وسارى الليل مِ الآن فاطرُق
شديد التأني فى الأمور مجرِّب ... متى يَعْرُ أمر القوم يفرِ ويخلقِ
ترى الخير يجرى فى أَسرَّة وجهه ... كما لألأت فى السيف جرية رونق
كريم اذا ما شاء عدَّ له أباً ... له نسب فوق السِّماك المحلّق
وأمّا لها فضل على كل حرة ... متى ما تسابق بابنها القوم تسبق
حللت محل القلب من آل هاشم ... فعُشُّك مأوَى بيضها المتفلق
ولم تك فيها بالمعرَّى نصابه ... اليها ولا كالراكب المتعلق
فمن مثل عبد الله أو مثل جعفر ... ومثل أبيك الأريحى المرهَّق

فقال من ههنا من الغرماء ؟ فقيل فلان وفلان ، فدعا باثنين منهم فسارّهما وخرجا وقيل لابن هرمة اتبعهما ، فأعطياه مالا كثيراً

قدم عبد الله بن معاوية الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومستميحاً له ، فتزوج بالكوفة بنت الشرقى بن عبد المؤمن الرياحى ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية وقالوا له اخرج فأنت أحق بهذا الأمر من غيرك واجتمعت له جماعة فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلا وقد خرج عليه ، وقيل انما كان خروجه فى أيام يزيد بن عبد الملك ظهر بالكوفة ودعا الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فاجتمع اليه وبايعه بعض أهل الكوفة ولم يبايعه كلهم وقالوا ما فينا بقية قد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت

وأشاروا عليه بقصد فارس وبلاد المشرق فقبل ذلك وجمع جوعاً من النواحى فغلب على ماه الكوفة وماه البصرة وهَمَذان وقُمّ والرَّىّ وقُومَس وأصبهان وفارس ، وأقام هو بأصبهان ، وكان الذى أخذ له البيعة بفارس محارب بن موسى مولى بنى يشكر ، فدخل دار الامارة بنعل ورداء واجتمع الناس اليه فأخذهم بالبيعة ، فقالوا علامَ نبايع ؟ فقال على ما أحببتم وكرهتم ، فبايعوا على ذلك وكتب عبد الله بن معاوية الى الأمصار يدعو الى نفسه لا الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم واستعمل أخاه الحسن على إصْطَخْر وأخاه يزيد على شيراز وأخاه علياً على كِرْمان وأخاه صالحاً على قُمّ ونواحيها ، وقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور وعيسى بن على ، وقصده وجوه قريش من بنى أمية وغيرهم ، فممن قصده من بنى أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمرو بن سهيل بن عبد العزيز ، فمن أراد منهم عملاً قلده ومن أراد منهم صلة وصله ، فلم يزل مقيما فى هذه النواحى التي غلب عليها حتى ولى مروان بن محمد فوجه اليه عامر بن صبارة فى جيش كثيف ، فسار اليه حتى اذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج اليه فلم يفعلوا ولا أجابوه ، فخرج على دَهَش هو واخوته قاصدين خراسان وقد ظهر أبومسلم بها ونفى عنها نصر بن سيار ، فلما صار فى بعض الطريق نزل على رجل من التُّنّاء[1] ذى مروءة ونعمة وجاه فسأله معونته ، فقال له من أنت من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أأنت ابراهيم الامام الذى يدعى له بخُراسان ؟ قال لا ، قال فلاحاجة لي فى نصرتك ، فخرج الى أبى مسلم وطمع فى نصرته ، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده وجعل عليه عيناً يرفع اليه أخباره ، فرفع اليه أنه يقول ليس فى الأرض أحمق منكم يا أهل خُراسان فى طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم اليه مقاليد أموركم من غير أن تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه ، والله مارضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام فقالت « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك

(١) التناء الدهاقين واحدها تانىء

الدماء ؟ » حتى قال لهم « انى أعلم مالا تعلمون » ثم كتب اليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التى يقول فيها « الى أبى مسلم من الأسير فى يديه بلا ذنب ولا خلاف عليه أما بعد فانك مستودع ودائع ، ومولي صنائع وان الودائع رِعْية وان الصنائع عارية ، فاذكر القصاص واطلب الخلاص ، ونبه للفكر قلبك واتق الله ربك ، وآثر مايلقاك غداً على مالا يلقاك أبداً ، فانك لاق ما أسلفت وغير لاق ماخلفت ، وفقك الله لما ينجيك وآتاك شكر ما يبليك » فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال لقد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس فى أيدينا فلوخرج وملك أمرنا لأهلكنا ، ثم أمضى تدبيره فى قتله

وكان عبد الله بن معاوية قاسياً وكان مع قسوته من ظرفاء بنى هاشم وشعرائهم وهو الذى يقول

ألا يَزَعُ القلب عن جهله ... وعما يؤنب من أجله

فأُبدل بعد الصبا حلمه ... وأقصر ذو العذل عن عذله

فلا تركبنَّ الصنيع الذى ... تلوم أخاك على مثله

ولا يعجبنك قول امرئ ... يخالف ما قال فى فعله

ولا تُتْبِع الطَّرْف ما لا تنال ... ولكن سل الله من فضله

فكم من مُقِلٍّ ينال الغنى ... ويحمد فى رزقه كله

ومنه

اذا افتقرت نفسى قصرت افتقارها ... عليها فلم يظهر لها أبداً فقرى

وان تَلْقَنى في الدهر مُدوحة الغنى ... يكن لأخلائى التوسع فى اليسر

فلا العسر يُزْرِى بى اذ هو نالنى ... ولا اليسر يوماً ان ظفرت به فخرى

كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس وكان حسين

هذا وابن معاوية يرميان بالزندقة ، فقال الناس انما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله ، فقال عبد الله

وان حسيناً [1] كان شيئاً ملففاً   فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة   فان عرضت أيقنت ألّا أخاليا
فلا زاد ما بيني وبينك بعد ما   بلوتك في الحاجات إلّا تماديا
فلست براء عيب ذي الود كله   ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة   ولكن عين السخط تبدي المساويا
كلانا غني عن أخيه حياته   ونحن اذا متنا أشـد تغانيا

وله في الحسين أشعار كلها معاتبات فمنها

قل لذي الود والصفاء حسين   أُقدُر الود بيننا قدره
ليس للدابغ المحلم بدّ   من عتاب الأديم ذي البَشَرة
لست ان زاغ ذو إخاء وود   عن طريق بتابع أثره
بل أقيم القناة والود حتى   يتبع الحق بعدُ أو يذره

وقال له

ان ابن عمك وابن أمـك معْلَم شاكي السلاح
يقص [2] العدو وليس يرضي حين يبطش بالجناح
لا تحسبنَ أذى ابن عمك شرب ألبان اللقاح
بل كالشجا تحت اللهاة اذا يسوغ بالقراح
من لا يزال يسوءه بالغيب ان يلحاك لاح

فقال حسين له

---

(١) في الكامل رأيت فضيلا وقوله كان شيئاً ملففاً يريد كان أمراً مغطى والتمحيص الاختبار
(٢) وقص عنقه يقصها كسرها ودقها

أبرق لمن يخشى وأرْ عد غير قومك بالسلاح
لسنا نقر لقائل الا المقرط بالصلاح

ومما يغني فيه من شعره

يهيم بجُمل وما ان يرى له من سبيل الى جمله
كأن لم يكن عاشق قبله وقد عشق الناس من قبله
فمنهم مَنِ الحب أودى به ومنهم مَن اشفى على قتله

ومنه

يا قوم كيف سواغ عيش ليس تؤمن فاجعاته
ليست تزال مُطلةً تغدو عليك مُنغِّصاته
الموت هول داخل يوماً على كره أناته
لابد للحذِر النفو ر من ان تقنصه رُماته
قد أمنح الود الخليل بغير ما شيء رزاته
وله أقيم قناة ودي ما استقامت لي قناته

ومنه

سلا ربة الخِدْر ماشأنها ؟ ومن أيّما شأننا تعجب ؟
فلست بأول من فاته على إربه بعض ما يطلب
وكائن تعرض من خاطب فزوج غير الذى يخطب
وأُنكحها بعده غيره وكانت له قبله تُحجب
وكنا حديثا صفيين لا نخاف الوشاة وما سببوا
فان شطّت الدار عنا بها فبانت وفى الناس مستعتَب
وأصبح صدع الذى بيننا كصدع الزجاجة ما يُشْعب
وكالدَّر ليست له رجعة الى الضرع من بعدما يحلب

حدث محمد بن يحيى أن عبد الله بن معاوية مرَّ بجده عبد الحميد في مزرعته بصُرَّام وقد عطش فاستسقاه نخاض له سويق لوز فسقاه إياه ، فقال عبد الله

شربت طبَرْزَذاً بغَرِيض مُزْن كذوب الثلج خالطه الرُّضاب(١)

فقال عبد الحميد يجيبه

فما إن ماؤنا بغَرِيض مُزْن ولكن الملاح بكم تذاب
وما إن بالطَّبَرْزَذ طاب لكن بمسك لا به طاب الشراب
وأنت اذا وطئت تراب أرض يطيب اذا مشيت بها التراب
لأن نداك يُطفي المَحْلَ عنها وتحييها أياديك الرِّطاب

عبد الله بن الحسن

هو أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أُمه فاطمة بنت الحسين ، وأُمها أُمّ اسحق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأُمها الجرباء بنت قسامة الطائية سميت بذلك لحسنها كانت لا تقف الى جنبها امرأة وان كانت جميلة الا استقبح منظرها لجمالها ، وكان النساء يتحامين أن يقفن الى جنبها ، فشبهت بالناقة الجرباء التي تتوقاها الابل مخافة أن تُعْديها ، وكانت أُمّ اسحق من أجمل نساء قريش وأسوإهن خلقاً وكانت عند الحسن بن علي قبل أخيه الحسين ، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين فقال يا أخي اني أرضى هذه المرأة لك فلا تخرجن من بيوتكم فاذا انقضت عدتها فتزوجها ، فلما توفى تزوجها الحسين ، وتزوج الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين في حياة عمه وهو زوجه إياها ، خطب الى عمه الحسين وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين اختر يا بنيَّ أحبهما اليك ، فاستحيا الحسن ولم يُحرِ جواباً ، فقال له الحسين فاني قد اخترت منهما لك ابنتي فاطمة فهي أكثر

(١) الرضاب ماء المسك ورضاب كل شيء ماؤه والطبرزذ السكر الأبيض الصلب

شبهاً بامي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يقولون ان امرأة سكينة مردودتها لمنقطعة القرين فى الجمال ، ولما حضرت الحسن بن الحسن الوفاة جزع وجعل يقول انى لأجد كرباً ليس هو الا كرب الموت ، فقال له بعض أهله ما هذا الجزع ؟ تَقْدَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جدك وعلى عليّ والحسن والحسين وهم آباؤك ، فقال لعمرى ان الأمر كذلك ولكن كأنى بعبدالله ابن عمرو بن عثمان حين أموت وقد جاء فى مُضَرَّجَين وهو يُرَجِّل جُمَّته يقول أنا من بني عبد مناف جئت لأشهد ابن عمى وما به الا أن يخطب فاطمة بنت الحسين فاذا جاء فلا يدخل عليّ ، فصاحت فاطمة أتسمع ؟ قال نعم ، قالت أعتقت كل مملوك لي ان أنا تزوجت بعدك أحداً أبداً ، فسكن الحسن وما تنفس ولا تحرك حتى قضى ، فلما ارتفع الصياح أقبل عبد الله على الصفة التى ذكرها الحسن ، فقال بعض القوم ندخله وقال بعضهم لايدخل وقال قوم لايضر دخوله ، فدخل وفاطمة تصُكُّ وجهها فأرسل اليها وصيفاً كان معه فجاء يتخطى الناس حتى دنا منها فقال يقول لك مولاى أبقى على وجهك فان لنا فيه أرباً ، فأرسلت يدها في كمها واختمرت وعرف ذلك منها فما لطمت وجهها حتى دفن ، فلما انقضت عدتها خطبها ، فقالت كيف لي بنذرى ويميني ؟ فقال نخلف عليك بكل عبد عبدين وبكل شيء شيئين ، ففعل وتزوجته

وكان عبد الله بن الحسن شيخ أهله وسيداً من ساداتهم ومقدماً فيهم فضلاً وعلماً وكرماً، وحبسه المنصور فى الهاشمية بالكوفة لما خرج عليه ابناه محمد وابراهيم فمات فى الحبس ، قال مُصْعَب الزبيرى انتهى كل حسن الى عبد الله بن حسن ، وكان يقال من أحسن الناس ؟ فيقال عبدالله بن الحسن ، ويقال مَنْ أفضل الناس ؟ فيقال عبد الله بن الحسن ، وكان يقول أنا أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدتني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، وقد اجتمعت له

ولادة الحسن والحسين عليهما السلام ، وقال محمد بن حجازة الدهان رأيت عبد الله ابن الحسن فقلت هذا والله سيد الناس كان مكسوًّا نوراً من قرنه الى قدمه

جاء منظور بن زبَّان الفزارى الى حسن بن حسن وهو جده أبو أمه فقال له لعلك أحدثت بعدى أهلاً ؟ قال نعم تزوجت بنت عمى الحسين بن علي ، قال بئسما صنعت أما علمت أن الأرحام اذا التقت أضوَت ؟ كان ينبغي ان تزوج فى الغرب ، قال فان الله عز وجل قد رزقني منها ولداً ، قال أرنيه ، فأخرج اليه عبد الله بن الحسن ، فسرَّ به وقال أنجبت هذا والله ليث عادٍ ومعدوٌّ عليه ، قال فان الله قد رزقني منها ولداً ثانياً ، قال فأرنيه ، فأراه ابراهيم بن حسن

لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذى يدعى الرُّصافة « رُصافة أبى العباس » قال لعبد الله بن حسن ادخل فانظر ودخل معه ، فلما رآه تمثل

ألم ترَ حوشباً أمسى يبنِّى بناء نفعــه لبني بُقيلة
يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة

فاحتملها أبو العباس ولم يبكته بها ولم تزل فى نفس أبى جعفر عليه

قال محمد بن عبدة لما استخلف أبو جعفر ألحَّ في طلب محمد والمسألة عنه وعمن يُؤويه ، فدعا ببني هاشم رجلاً رجلاً ، فسألهم عنه ، فكلهم يقول ياأمير المؤمنين قد علم أنك عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفســه وهو لا يريد لك خلافاً ولا يحب لك معصية وما أشــبه هذه المقالة الا حسن بن زيد فانه أخبره خبره وقال والله ما آمن وثوبه عليك فانه للّذى لا ينام عنـــك فرَ رأيك ، فأيقظ من لا ينام

وروى عقبة بن سلم أن أبا جعفر دعاه فسأله عن اسمه ونسبه فقال أنا عقبة بن سلم بن نافع من الأزْد من بني هُناءة ، قال انى أرى لك هيئة وموضعاً وانى لا ريدك لأمر أنا به معنى لم أزل أرتاد له رجلاً عسى أن تكونه إن كفيتنيه رفعتك ،

فقال أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فيَّ ، قال فأخفِ شخصك واستر أمرك وأتني في يوم كذا وكذا ، فأتيته ، فقال ان بنى عمنا هؤلاء قد أبَوْا الا كيداً لملكنا ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف من ألطاف بلادهم ، فاخرج بكُسًى وألطاف وعين حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ثم تسبِر ناحيتهم فان كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحبب بهم والله وأقرب ، وان كانوا على رأيهم علمت ذلك وكنت على حذر واحتراس ، فاشخص حتى تلقى عبد الله بن حسن متقشفاً متخشعاً ، فان جبهك وهو فاعل فاصبر وعاود ، فان عاد فاصبر حتى يأنس بك وتلين لك ناحيته ، فان ظهر لك ما في قلبه فاعجل إليَّ ، فشخص حتى قدم على عبد الله بالكتاب فأنكره ونهره وقال ما أعرف هؤلاء القوم ، فلم يزل ينصرف ويعود اليه حتى قبل كتابه وألطافه وأنس به ، فسأله عقبة الجواب ، فقال أما الكتاب فانى لا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم فاقرأهم السلام وأخبرهم أن ابني خارجان لوقت كذا وكذا ، فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر فأخبره الخبر ، وسأل أبو جعفر عبد الله بن الحسن عن ابنيه لما حج ، فقال لا علم لي بهما حتى تغالظا ، فأمَضَّه أبو جعفر ، فقال له يا أبا جعفر بأى أُمهاتي تُمِضُّني ؟ أبفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفاطمة بنت أسد أم بفاطمة بنت حسين أم أُمّ أسحاق بنت طلحة أم خديجة بنت خويلد ؟ قال لا بواحد منهن ولكن بالجَرْباء بنت قَسامة ، فوثب المسيَّب بن زهير فقال دَعْني يا أمير المؤمنين أضرب عنقه ، فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه وقال هَبْهُ لي يا أمير المؤمنين فأنا أستخرج لك ابنيه ، فتخلصه منه ، قال صالح صاحب المصلى انى لواقف على رأس أبي جعفر وهو يتغدى بأَوْطاس وهو متوجه الى مكة ومعه على مائدته عبد الله بن حسن وأبو الكرام الجعفرى وجماعة من بنى العباس ، فأقبل على عبد الله بن حسن فقال يا أبا محمد محمد وابراهيم

أراهما قد استوحشا من ناحيتي واني لأحب أن يأنسا بي وأن يأتياني فأصلهما وأخلطهما بنفسي ، وعبد الله مطرق طويلاً ، ثم رفع رأسه وقال وحقك يا أمير المؤمنين فمالي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ولقد خرجا من يدي ، فيقول أبو جعفر لا تفعل يا أبا محمد اكتب اليهما والى من يوصل كتابك اليهما ، فامتنع أبو جعفر ذلك اليوم من عامة غدائه اقبالاً على عبد الله وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما وأبو جعفر يكرر عليه لا تفعل يا أبا محمد ، وكان أبو جعفر قال لعقبة بن سلم اذا صرت بمكان كذا وكذا لقيني بنو حسن فيهم عبد الله فأنا مبجله ورافع مجلسه وداع بالغداء ، فاذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثل بين يديه قائماً فانه سيصرف بصره عنك ، فدر حتى تغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم حسبك ، وإياك أن يراك ما دام يأكل ، ففعل ذلك عقبة ، فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر فقال أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله ، قال لا أقالني الله ان أقلتك ، ثم أمر بحبسه ، قال العباس بن جعفر لما حج أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن ، فانهما وإياي لعنده وهو مشغول بكتاب ينظر فيه اذ تكلم المهدي فلحن ، فقال عبد الله يا أمير المؤمنين ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه ؟ فانه يغفل غفل الأمة ، فلم يفهم ، وغمزت عبد الله فلم ينته ، وعاد لأبي جعفر فاحتفظ من ذلك وقال له أين ابنك ؟ قال لا أدري ، قال لتأتيني به ، قال لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ، قال يا ربيع قم به الى الحبس ، وتوفي عبد الله في محبسه بالهاشمية وهو ابن خمس وسبعين سنة خمس وأربعين ومائة

ولعبد الله شعر يغنى فيه وهو قوله

يا هند انك لو علمـــــت بعاذلين تتابعا
قالا فلم أسمع لما قالا وقلت بل اسمعا
هند أحب إليَّ من مالي وروحي فارجعا

ولقد عصيت عواذلي وأطعت قلباً موجعا

وهند التى عناها هي زوجته هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدية القرشية ، وكان أبو عبيدة جواداً ممدحاً ، وكانت هند قبل عبد الله ابن الحسن تحت عبد الله بن مروان فمات عنها ، قال عبد الرحمن بن جعفر زوّجَ عبد الملك بن مروان ابنه عبد الله هند بنت أبى عبيدة وريَطة بنت عبد الله بن عبد المدان لما كان يقال انه كائن في أولادهما فمات عنهما عبد الله أو طلقهما ، فتزوّجَ هنداً عبد الله بن الحسن وتزوّجَ رَيْطة محمد بن علي فجاءت بأبي العباس السفاح

لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هند بميراثها منه ، فقال عبد الله بن حسن لأمه فاطمة اخطبى عليَّ هنداً ، فقالت إذاً تردك ، أتطمع فى هند وقد ورثت ما ورثته وأنت ترِب لا مال لك ؟ فتركها ومضى الى أبى عبيدة أبى هند ، فخطبها اليه ، فقال فى الرحب والسَّعة أما منى فقد زوجتك ، مكانك لاتبرح ، ودخل على هند ، فقال يا بنية هذا عبد الله بن حسن أتاكِ خاطباً ، قالت فما قلت له ؟ قال زوّجتُه ، قالت قد أحسنتَ قد أجزتُ ما صنعت ، وأرسلت الى عبد الله لا تبرح حتى تدخل على أهلك ، فتزينت له ، فبات بها معرِّساً من ليلته ولا تشعر أمه ، فأقام سبعاً ، ثم أصبح فى يوم سابعه غادياً على أمه وعليه ردع الطيب وفى غير ثيابه التى تعرف ، فقالت له يا بنيَّ من أين لك هذا ؟ قال من عند التى زعمت أنها لا تريدنى

كان عبد الله بن مصعب كثيراً ما كان يستنشد أبيات عبد الله بن حسن ويعجب بها

ان عينى تعودت كحل هند جمعت كفها مع الرفق لينا

الحسين بن علي

هو الحسين بن على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، واسم أبي طالب عبد مناف ، واسم عبد المطلب شيبة الحمد ، واسم هاشم عمرو ، وأم على بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهى أول هاشمية تزوجها هاشمى ، وهى أم سائر ولد أبى طالب ، وأم الحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وكان على سمى الحسين حرباً فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين

تزوج الحسين الرباب بنت امرىء القيس بن عدى الكلبية وهي أم سُكَينة وهذا لقب لها واسمها آمنة ، قالت سكينة عاتب عمى الحسن أبى فى أمى فقال

لعمرك اننى لأحب داراً — تكون بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالى — وليس لعاتب عندى عتاب

فلست لهم وان غابوا مضيعاً — حياتى أو يغيبنى التراب

وامرؤ القيس بن عدى أسلم على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فما صلى صلاة حتى ولاه عمر ، وما أمسى حتى خطب اليه على عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين فزوجه إياها فولدت له عبد الله وسكينة ، وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن ، وخطبت بعد قتل الحسين فقالت ما كنت لأتخذ حَمًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قيل لسكينة أنت تمزحين كثيراً وأختك لا تمزح ، فقالت لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة « تعنى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » وسميتمونى باسم جدتى التي لم تدرك الاسلام « تعني آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم »

رثت الرباب بنت امرىء القيس زوجها الحسين بن علي حين قتل فقالت

ان الذي كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون

سبطَ النبي جزاك الله صالحة ... عنا وجُنبت خسران الموازين

قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرُّحْم والدين

من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوى اليه كل مسكين

والله لا أبتغي صهراً بصهركمُ ... حتى أغيب بين الرمل والطين

كانت سكينة في مأتم فيه بنت لعثمان فقالت بنت عثمان أنا بنت الشهيد ، فسكتت سكينة ، فقال المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله ، قالت سكينة هذا أبي أو أبوك ؟ فقالت العثمانية لا أفخر عليكم أبداً

كانت سكينة تجيء يوم الجمعة فتقوم بازاء خالد بن عبد الرحمن بن الحرث بن الحكم اذا صعد المنبر فاذا شتم علياً شتمته هي وجواريها فكان يأمر الحرس يضربون جواريها

قال مصعب كانت سكينة عفيفة سليمة بَرزة من النساء تجالس الأجِلَّة من قريش وتجتمع اليها الشعراء وكانت ظريفة مزاحة ، وقالت سكينة أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة ، وقال مصعب كانت سكينة أحسن الناس شَعراً وكانت تصفف جُمتها تصفيفاً لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك ، وكانت تلك الجمة تسمى السكينية ، وكان عمر بن عبد العزيز اذا وجد رجلا يصفف جمته السكينية جلده وحلقه

كانت سكينة مزاحة فلسعتها دَبْرة ، فقالت أمها مالك ياسيدتي فضحكت وقالت لسعتني دُبيرة مثل الأُبيرة أوجعتني قُطيرة

تزوجت سكينة عدة أزواج منهم عبد الله بن الحسن بن علي وهو ابن عمها وأبو عُذْرتها ، ومُصْعَب بن الزبير ، وعبد الله بن سليمان الحزامي ، وزيد بن عمرو بن

عثمان ، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ولم يدخل بها ، وابراهيم بن عبدالرحمن ابن عوف ولم يدخل بهـا ، ومهرها مصعب ألف ألف درهم وحملها اليه أخوها علي بن الحسين فأعطاه أربعين ألف دينار وولدت من مصعب بنتاً فسمتها الرباب ، فلما قتل مصعب ولى أخوه عروة تركتـه فزوجها ابنه عثمان بن عروة فماتت وهى صغيرة فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار ، قالت سعيدة بنت عبد الله بن سالم لقيت سكينة بين مكة ومنى فقلت قفي يا ابنة الحسين فكشفت عن بنتها من مصعب واذا هى قد أثقلتها بالحلي واللؤلؤ فقالت ما ألبستها اياه الا لتفضحه

قالت سكينة لعائشة بنت طلحة أنا أجمل منك وقالت عائشة بل أنا، فاختصمتا الى عمر بن أبي ربيعة فقال لأقضـين بينكما ، أما أنت ياسكينة فأملح وأما أنت ياعائشة فأجمل منهـا ، فقالت سكينة قضيت لي والله ، وكانت سكينة تسمى عائشة ذات الأذنين ، وكانت عظيمة الأذنين

ولما تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان شرطت عليه ألا يُغيرها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، وأن يقيمها حيث جلتها أم منظور ، ولا يخالفها في أمر تريده ، فكانت تقول له يا عثماني اخرج بنا الى مكة ، فاذا خرج فسارت يوماً أو يومين قالت ارجع بنا الى المدينـة ، فاذا رجع يومه ذلك قالت اخرج بنا الى مكة ، فقال له سليمان بن عبد الملك اعلم أنك قد شرطت لها شروطاً ان لم تف لها فطلقها ، فطلقها

قال سفيان بن حرب رأيت سكينة بنت الحسين ترمى الجمار فسقطت من يدها الحصاة السابعة فرمت بخاتمها

قيل ان سكينة خرجت بها سلعة فى أسفل عينها حتى كبرت ثم أخذت وجهها وعينها وعظم ما بها ، وكان درافيس منقطعاً اليها فى خدمتها ، فقالت له ألاترى ما قد وقعت فيه ؟ فقال لها أتصبرين على ما يَمسّك من الألم حتى أعالجك ؟ قالت نعم ، فأضجعها وشق جلد وجهها أجمع وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروقها ، وكان

منها شيء تحت الحدقة فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحية ثم سل عروق السلعة من تحتها فأخرجها أجمع ورد العين الى موضعها وسكينة مضطجعة لاتتحرك ولا تئن حتى فرغ مما أراد وزال ذلك عنها وبرئت منه ، وبقي أثر تلك الحزازة فى مؤخر عينها فكان أحسن شيء فى وجهها من كل حلي وزينة ولم يؤثر ذلك فى نظرها ولافى عينها

ابن رهيمة المدنى

كان يشبب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وفيها يقول

أقصدت زينب قلبي بعد ما ذهب الباطل عني والغزل
وعلا المفرق شيب شامل واضح فى الرأس مني واشتعل

ويقول

أقصدت زينب قلبى وسبت عقلى ولبى
تركتني مستهاماً أستغيث الله ربى
ليس لي ذنب اليها فتجازيني بذنبي
ولها عندى ذنوب فى تنائيها وقربى

ويقول

وجد الفؤاد بزينبا وجداً شديداً متعبا
أصبحت من وجدى بها أدعى سقيماً مسهبا
وجعلت زينب سُترة وأتيت أمراً معجبا

ويقول

انما زينب المنى وهى الهم والهوى
ذات دل تُضني الصحيح وتُبرى من الجوى
لا يغرنك ان دعو ت فؤادى الى النوى

واحذرى هجرة الحبيـــب اذا مل وانزوى

ويقول

انمـــا زينب همى بأبى تلك وأمى
بأبى زينب لا أكـــنى ولكنى أسمى
بأبى زينب من قا ض قضى عمداً بظلمى
بأبى من ليس لى فى قلبها قيراط رحم

ويقول

يا زينب الحسناء يا زينب يا أكرم الناس اذا تنسب
تَقيك نفسي حادثات الردى والأم تفديك معاً والأب
هل لك فى ود امرىء صادق لا يمذق الود ولا يكذب
لا يبتغى فى وده محرماً هيهات منك العمل الأريب

ويقول

فليت الذى يلحى على زينب المنى تعلقه مما لقيت عَشير
فحسبى له بالعشر مما لقيته وذلك فيما قد تراه يسير

وهذه كلها غنى فيها يونس الكاتب أصواته المعروفة بالزيانب

وقد استعدى عليه أخوها هشامَ بنَ عبد الملك فأمر بضربه خمسمائة سوط وأن يباح دمه ان وجد قد عاد لذكرها وأن يفعل ذلك بكل من غنى فى شىء من شعره ، فهرب هو ويونس فلم يقدر عليهما ، فلما ولى الوليد بن يزيد ظهرا وقال ابن رهيمة

لئن كنت أطردتنى ظالماً لقد كشف الله ما أرهب
ولو نلت منى ما تشتهي لقلَّ اذا رضيت زينب
وما شئت فاصنعه بى بعدذا فحبى لزينب لا يذهب

عبد الله بن جحش الصعاليك[1]

من قوله في صهباء الهذلية وقد تزوَّجها

نعم الضجيع اذا النجوم تغورت ... بالغَوْر أُولاها على أخراها
عَذْب مقبلهـــا وثير ردفها ... عَبْل شَواها طيب مَجْناها
صفراء يَطويها الضجيع لجنبها ... طى الحمـــالة لين مَثْناها
لو يستطيع ضجيعها لأَجنَّها ... فى الجوف حب نسيمها ونَشاها[2]
يا دار صهباء التى لا أنتهى ... عن ذكرها أبداً ولا أنساها

ومن قوله

هل يبلغنها السلام أربعة ... منى وان يفعلوا فقد نفعوا
على مِصَكّين[3] من جمالهم ... وعنْتَرِيسيْن فيهما سَطَع
قرب جيرانـنـــا جمالهمُ ... صبحاً فأضحَوْا بها قد انتجعوا
ما كنت أدرى بوَشْك بينهمُ ... حتى رأيت الحُداة قد طلعوا
قد كاد قلبى والعين تُبصرهم ... لما تولى بالقوم ينصـدع
ساروا وخلفت بعدهم دَنِفاً ... أليس بالله بئسما صنعوا؟

ومن قوله

أَجدَّ اليوم جيرتك الغيارا ... رَواحاً أم أرادوه ابتكارا
بعينك كان ذاك وإن يَبينوا ... يَزدك البين صَدْعاً مستطارا
بلى أبقت من الجيران عندى ... أناساً ما أوافقهم كثارا
وما ذا كثرة الجيران تغنى ... اذا ما بان من أهوى فسارا ؟

---

(١) لم نتحقق من نسبة هذا الشاعر (٢) النشا نسيم الريح الطيبة (٣) المصك القوى من الناس وغيرهم والعنتريس الناقة الغليظة الوثيقة والسطع طول العنق

الطبقـــة الثالثة

الشعراء المحدَثون

شعراء قحطانه

شعراء حمـــير

ابن وهيب

هو محمد بن وهيب الحميري صليبة ، شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة وله أشعار كثيرة يذكرها فيها ويتشوقها ويصف ايطانه إياها ومنشأه بها

من قوله يمدح المعتصم وفيه غناء

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها   شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر
يحكى أفاعيله فى كل نائبـــة   الغيث والليث والصِّمصامة الذكر

ومن قوله من كلمة يمدح بها الحسن بن رجاء بن الضحاك

أجارتنا ان التعفف باليأس   وصبراً على استدرار دنيا بإبساس (١)
حرِيّان ألاَّ يُقْذِيا بمـــذلة   كريماً وألاَّ يحوجاه الى الناس
أجارتنا ان القداح كواذب   وأكثر أسباب النجاح مع اليأس

دخل محمد بن وهيب على أبي دلف القاسم بن عيسى فأعظمه جداً ، فلما انصرف قال له أخوه معقِل يا أخى فعلت بهذا ما لم يستأهله ، ما هو فى بيت من

(١) أبس الحالب بالناقة دعاها للحلب

الشرف ولا فى جمال من الأدب ولا بموضع من السلطان ، فقال بلى يا أخى انه لحقيق بذلك ،أوَ لا يستحقه وهو القائل ؟

يدل على أنني عاشق ... من الدمع مستشهَد ناطق
ولي مالك أنا عبد له ... مقر بأنى له وامق
اذا ما سموت الى وصله ... تعرض لي دونه عائق
وحاربنى فيه ريب الزمان ... كأن الزمان له عاشق

لما قدم المطلب بن عبد الله بن مالك من الحج لقيه محمد بن وهيب مستقبلاً مع من تلقَّاه ودخل اليه مهنئاً بالسلامة بعد استقراره وعاد اليه فى الثانية ، فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها يقول فيها

وما زلت أستدعى لك الله غائباً ... وأظهر اشفاقاً عليك وأكتم
وأعلم أن الجود ما غبت غائب ... وأن الندى فى حيث أنت مخيم
الى أن زجرت الطير سعداً سوانحاً ... وحُمَّ لقاء بالسعود مقدم
وظل يناجينى بمدحك خاطرى ... وليليَ ممدود الرَّواقين أدهم
وقالوا طواه الحج فاخشع لفقده ... ولا عيش حتى يَستْهِلَّ المحرم
سيفخر ما ضم الحطيم وزمزم ... بمُطَّلب لو أنه يتكلم
وما خلقت الا من الجود كفه ... على أنها والبأس خِدْنان توْءم
أعدت الى أكناف مكة بهجة ... خُزاعية كانت تُجَلّ وتُعظَم
ليالي سُمَّار الحَجون الى الصفا ... خزاعة اذ خلت لها البيت جُرْهُم
ولو نطقت بطحاؤها وحَجونها ... وخَيْفُ منًى والمأزمان وزمزم
إذاً لدعت أجزاء جسمك كلها ... تنافس فى أقسامه لو تحكم
ولو رد مخلوق الى بدء خلقه ... اذا كنت جسماً بينهن تقسم

سما بك منها كل خيف فأبطح نما بك منه الجوهر المتقدم
وحن اليك الركن حتى كأنه وقد جئته حلٌّ عليك مسلم

فوصله صلة سنية وأهدى له هدية حسنة من طرف ما قدم به وحمله

كان محمد بن وهيب لما قدم المأمون من خراسان مضاعاً مطرحاً انما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمدح ويسترفدهم فيحظى باليسير ، فلما هدأت الأمور واستقرت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوى مودته ومن يقرب من أنسه فتوسل اليه محمد بن وهيب بالحسن بن رجاء حتى أوصله مع الشعراء ، فلما انتهى اليه القول استأذن فى الإنشاد ، فأذن له . فأنشده القصيدة التى أولها

ودائع أسرار طوتها السرائر وباحت بمكنوناتهن النواظر
ملكت لها طى الضمير وتحته شبًا لوعة عَضْبُ الغِرارين باتر
فأُعجم عنها ناطق وهو معرب وأعجبت العجمَ الجفون المواطر
ألم تقذنى السراء فى رتق الهوى غريراً بما تجنى على الدوائر
تسالمنى الأيام في عُنفُوانه ويكلؤنى طرف من الدهر ناظر
الى الحسن البانى العلا حين يممت عوالي المنى حيث الحيا المتظاهر
الى الأمل المبسوط والأجل الذى بأعدائه تكبو الجدود العواثر
ومن أنبعت عينَ المكارم كفُّه يقوم مقام القطر والروض داثر
تعصب تاج الملك فى عُنفُوانه وأطَّت به عصرَ الشباب المنابر
تعطفه الأيام قبــل عيانه ويصدر عنه الطَّرْف والطرف حاسر
به تُجتْدَى النعمى وتستدرك المنى وتستكمل الحسنى وترعى الأواصر
أهاب بنا داعى نوالك مؤذناً بدونك الا أنه لا يحاور
قسمت صروف الدهر بأساً ونائلا فمالك موتور وسيفك واتر

ولما رأى الله الخلافة قد وهت دعائمهـــا والله بالأمر خابر

بنى بك أركاناً عليها محيطة فأنت لها دون الحوادث ساتر

وأرعنَ فيه للسوابغ جنـــة وسقف سماء أنشأته الحوافر(١)

لها فلك فيه الأسنة أنجم ونقع المنايا مســتطير وثائر

أجزت قضاء الموت فى مُهَج العدا به فاستباحتها المنايا الغوادر

لك اللحظات الكالئات قواصداً بنعمى وبالبأساء فيه شوازر

ولو لم تكن الا بنفسك فاخراً لما انتسبت الا اليك المفاخر

فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره الى الأرض وقال أحسنت والله وأجملت ولو لم تقل قط ولا تقول فى باقى دهرك غير هذا لما احتجت الى القول وأمر له بخمسة آلاف دينار، فأحضرت، واقتطعه الى نفسه فلم يزل فى جنبته أيام ولايته وبعد ذلك الى أن مات ماتصدى لغيره

كان محمد بن وهيب قد مدح على بن هشام وتردد اليه والى بابه دفعات فحجبه، ولقيه يوماً فعرض له فى طريقه وسلم عليه فلم يرفع اليه طرْفه وكان فيه تيه شديد، فكتب اليه رُقعة يعاتبه فيها، فلما وصلت اليه خرقها وقال أى شىء يريد هذا الثقيل السيىء الأدب ؟ فقيل له ذلك فانصرف مغضباً وقال والله ما أردت ماله وانما أردت التوصل بجاهه وسيغنى الله جل وعز عنه أما والله لأذمن فعله وقال يهجوه

أزرت بجود على خيفةُ العـدم فصد منهزماً عن شأو ذى الهمم

لو كان من فارس فى بيت مكرمة أو كان من ولد الأملاك فى العجم

أو كان أوله أهل البطاح أو الركـــب الملبُّون اهلالاً الى الحرم

أيام تتخذ الأصنام آلهـة فلا ترى عاكفاً إلا على صنم

لشجعته على فعل الملوك لهم طبائع لم ترُعْهـا خيفة العدم

---

(١) يعنى أن على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنة لها

لم تندَ كفاك من بذل النوال كما ... لم يندَ سيفك مذ قُلِّدته بدم

كنت امرأ رفعته فتنة فعلا ... أيامهـــا غادراً بالعهد والذمم

حتى اذا انكشفت عنا غياهبها ... ورُتّب الناس بالأحساب والقدم

مات التخلق وارتدَّتك مرتجعاً ... طبيعة نذلة الأخلاق والشيم

كذاك من كان لا رأساً ولا ذنباً ... كزَّ اليدين حديث العهد بالنعم

هيهات ليس بحمال الديات ولا ... معطى الجزيل ولا المرهوب ذى النقم

فلما بلغت هذه الأبيات على بن هشام ندم على ما كان منه وجزع وقال لعن الله اللَّجاج فانه شر خلق تخلقه الناس ، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال الله يعلم انى لا أدخل على الخليفة عليَّ السيف الا وأنا مستح منه أذكر قول ابن وهيب

لم تند كفاك من بذل النوال كما ... لم يندَ سيفك مذ قلدته بدم

ومن جيد شعره ونادره

نم فقد وكَّلتَ بى الأرقا ... لاهياً تُغْرِي بمن عشقا

انما أبقيت من جسدى ... شبحاً غير الذي خَلِقا

كنت كالنقصان فى قمر ... ما خفى منه الذى اتسقا

وفتىً ناداك من كَثَب ... أُسعرت أحشاؤه حُرَقا

غرقت فى الدمع مقلته ... فدعا انسانُهـا الغرقا

انمـا عاقبت ناظره ... اذ أعاد الطرف مسترقا

ما لمن تمت محاسنه ... أن يعادى طرف من رمقا

لك أن تبدى لنا حسناً ... ولنا أن نُعمِل الحدَقا

قدحت كفاك زَنْدَ هوى ... فى سواد القلب فاحترقا

لما قدم المأمون ولقيه الحسن بن سهل دخلا جميعاً فعارضهما ابن وهيب فقال

اليوم جردت النعماء والمنن ... فالحمد لله حلّ العقدةَ الزمن

اليوم أظهرت الدنيا محاسنها ‏ للناس لما التقى المأمون والحسن

فلما جلسا سأله المأمون عنه ، فقال رجل من حمير شاعر مطبوع اتصل بي متوسلا الى أمير المؤمنين وطلب الوصول اليه مع نظرائه ، فأمر المأمون بايصاله مع الشعراء ، فلما وقف بين يديه وأذن له فى الانشاد أنشده قوله

طللان طال عليهما الأمد ‏ دَثَرا فلا علَم ولا نَضَد
لبِسا البِلى فكأنما وجدا ‏ بعد الأحبة مثل ماوجدوا
إمّا طواك سلو غانية ‏ فهواك لا ملَل ولا فنَد
ان كنت صادقة الهوى فرِدي ‏ فى الحب منهلِيَ الذى أرِد
أدمِي هرَقتِ وأنت آمنة ‏ أم ليس لى عقل ولا قوَد
ان كنت فتّ وخانني سبب ‏ فلربما يخطىء مجتهد

حتى انتهى الى قوله فى مدح المأمون

يا خير منتسب لمكرمة ‏ فى المجد حتى ينتج العدد
فى كل أنملة لراحته ‏ نوء يَسِحّ وعارض حشد
واذا القنا رَعفت أسنته ‏ علَقًا وضم كعوبه قِصَد
فكأن ضوء جبينه قمر ‏ وكأنه فى صولة أسد
وكأنه روح تدبرنا ‏ حركاته وكأننا جسد

فاستحسنها المأمون وأمر بأن تعد أبيات قصيدته ويعطى لكل بيت ألف درهم فعدت فكانت خمسين فأعطاه خمسين ألف درهم

وله فى المأمون والحسن بن سهل خاصة مدائح شريفة نادرة ، من عيونها قوله للمأمون

العذر ان أنصفت متضح ‏ وشهيد حبك أدمع سُفُح
فضحت ضميرك عن ودائعه ‏ ان الجفون نواطق فُصُح
واذا تكلمت العيون على ‏ إعجامها فالسر منفضح

وبما أبيت معانق قمر ... للحسن فيه مخايل نُصُح
نشر الجمال على محاسنه ... بدعاً وأذهب همّه الفرح
يختال فى حلل الشباب به ... مَرَح وداؤك أنه مَرِح
ما زال يلثمني مَراشفه ... ويُعلّنى الأبريق والقدح
حتى استرد الليل خلعته ... ونشا خِلال سواده وَضَح
وبدا الصباح كأن غرّته ... وجه الخليفة حين يمتدح

يقول فيها

نشرت بك الدنيا محاسنها ... وتزينت بصفاتك المِدَح
وكأن ما قد غاب عنك له ... بازاء طرفك عارضاً شبح
واذا سلمت فكل حادثة ... جلَل فلا بؤس ولا ترَح

قصد محمد بن وهيب المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعى ، وكان له صديقاً حفياً ، وكان كثير الرفد له والثواب على مدائحه فأنشده قوله فيه

دماء المحبين لا تُعْقَل (١) ... أما فى الهوى حكم يعدل ؟
تعبدنى حوَر الغانيات ... ودان الشباب له الأخضل
ونظرة عين تلافيتها ... غِرارا (٢) كما ينظر الأحول
مقسمّة بين وجه الحبيب ... وطرف الرقيب متى يغفُل
أذم على غربات النوى ... اليك السلو ولا أذهل
وقالوا عزاؤك بعد الفراق ... اذا حُمّ مكروهه أفضل
أقيدى دماً سفكته العيون ... بإيماض كحلاء لاتكحل
فكل منهامك لى مُقْصِدٍ (٣) ... وكل مواقعها مقتَل

---

(١) عقل القتيل وداه أى أدى ديته (٢) أى على عجل
(٣) أقصد السهم أصاب فقتل مكانه

سلام على المنزل المستحيل | وان ضن بالمنطق المنزل
وعض الضريبة يلقى الخطوب | بجد عن الدهر ما ينكل
تغلغل شرقاً الى مغرب | فلما تبدت له الموصل
ثوى حيث لا يستهل الأريب | ولا يؤلف اللقن الأحول
لدى مالك قابلته السعود | وجانبته الأنجم الأفل
لأيامه سطوات الزمان | وانعامه حين لا موئل
سما مالك بك للباهرات | وأوحدك المربأ الأطول
وليس بعيداً بأن تحتذي | مذاهب آسادها الأشبل

فوصله وأحسن جائزته وأقام عنده مدة ثم استأذنه فى الانصراف فلم يأذن له وزاد فى ضيافته وجدد له صلة فأقام عنده برهة أخرى ثم دخل اليه فأنشده

ألا هل الى فيء العقيق وظله | الى قصر أوس فالحزير معاد ؟
وهل بأكناف المصلى فسفحه | الى السور مغدًى ناعم ومراد ؟
فلا تنسني نهرَ الأُبُلَّة نية | ولا عرصات المِرْبَدين بعاد
هنالك لا تبني الكواكب خيمة | ولا تتهادى كلثم وسعاد
أجِدِّيَ لا ألقى النوى مطمئنة | ولا يزدهيني مضجع ومهاد

فقال أبيت الا الوطن والنزاع اليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وأوقر له زورقاً من طُرف الموصل وأذن له

كان يتردد الى مجلس يزيد بن هرون فلزمه عدة مجالس يملى فيها كلها فضائل أبى بكر وعمر وعثمان ولم يذكر شيئاً من فضائل على فقال فيه ابن وهيب

آتى يزيد بن هرون أدالجه | في كل يوم ومالي وابن هرون
فليت لي بيزيد حين أشهده | راحاً وقصفاً وندماناً تسليني
أغدو الى عصبة صمَّت مسامعهم | عن الهدى بين زنديق ومأفون

لا يذكرون علياً فى مشاهدهم ولا بنيه بني البيض الميامين

انى لأعلم أنى لا أحبهمُ كما همُ بيقين لا يحبونى

لو يستطيعون من ذكرى أبى حسن وفضله قطعونى بالسكاكين

ولست أترك تفضيلى له أبداً حتى الممات على رغم الملاعين

كان يأتى محمد بن القاسم بن يوسف فقال له يوماً انك تأتينا وقد عرفت مذاهبنا فنحب أن نعرف مذهبك فنوافقك أو نخالفك ، فقال فى غد أبين لك أمري ، فلما كان من غد كتب اليه

أيها السائل قد بينت ان كنت ذكيا

أحمد الله كثيراً بأياديه عليا

شاهداً ألاَّ إله غيره مادمت حيا

وعلى أحمد بالصدق رسولاً ونبيا

ومنحت الود قرباه وواليت الوصيا

وأتانى خبر مطَّرح لم يك شيا

أن على غير اجتماع عقدوا الأمر بديّا

فوقفت القوم تيماً وعديّا وأُميّا

غير شتام ولكنى توليت عليا

شعراء كندة

١- اسمعيل القراطيسى

هو اسمعيل بن مَعْمَر الكوفي مولى الأشاعثة ، وكان مألفاً للشعراء ، فكان أبونواس وأبو العتاهية ومسلم وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده ويقصفون

ومن شعره وفيه غناء

وبلى على ساكن شط الصَّراة[1] من وجنتيه شِمْتُ برق الحياة
ما ينقضى من عجب فكرنى فى خَصْلَة فرَّط فيها الولاة
ترك المحبين بلا حاكم لم يقعدوا للعاشقين القضاة
وقد أتانى خبر ساءنى مقالها فى السر واسوءتاه
أمثل هـذا يبتغى وصلنا أما يرى ذا وجهه فى المراة

وفى معنى قوله وقد أتانى البيتين قبل

جارية أعجبها حسنها فمثلها فى الناس لم يخلق
خبرتها أنى محب لها فأقبلت تضحك من منطق
والتفتت نحو فتاة لها كالرشأ الوسنان فى قَرطق
قالت لها قولي لهذا الفتى انظر الى وجهك ثم اعشق

مدح الفضل بن الربيع فحرمه ، فقال

ألا قل للذى لم يهـده الله الى نفع
لئن أخطأتُ فى مدحـيك ما أخطأتَ فى منعى
لقد أحللت حاجاتى بواد غير ذي زرع

(١) الصراة نهر ببغداد يأخذ من نهر عيسى ويصب فى دجلة

شعراء مذحج

سليمان بن وهب

هو أخو الحسن بن وهب ، كان أخوه الحسن بن وهب ينتمى الى بنى الحرث بن كعب ، استوزره المهتدى ولقبه الوزير حقاً لأن من كان قبله كان غير مستحق للوزارة ولا مستقل بها ، ولما ولاه قام اليه رجل من ذوى حرفته فقال أعز الله الوزير خادمك المؤمل دولتك ، السعيد من أيامك ، المطوىّ القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر

وفيت كل أديب ودنى ثمناً — الا المؤمل دولاتى وأيامى
فاننى ضامن ألاّ أكافئه — الا بتسويغه فضلى وانعامى

وانى لكما قال القيسىّ : ما زلت أمتطى النهار اليك ، وأستدل بفضلك عليك ، حتى اذا جنّنى الليل فقبض البصر ، ومحا الأثر ، أقام بدنى وسافر أملى ، والاجتهاد واذ بلغتك فهو مرادى فقط ، فقال له سليمان لا عليك فانى عارف بوسيلتك محتاج الى كفايتك ولست أؤخر عن أمرى النظر فى أمرك وتوليتك ما يحسن أثره عليك

لما استوزر سليمان جلس للناس ، فدخل اليه شاعر يقال له هرون بن محمد البالسى فذكر مظلمة له ببلده ، ثم أنشده

زيد فى قدرك العليّ علوّ — يا ابن وهب من كاتب ووزير
أسفر الشرق منك والغرب عن ضو — ء من العدل فاق ضوء البدور
أنشر الناسَ غيثُكم بعد ما كا — نوا رُفاتاً من قبل يوم النشور

شَرَّد الجَوْرَ عدلُكم فسرحنا   بينكم بين روضه وسرور

فوقع في ظلامته ووصله بمائتي دينار

قال احمد بن الخصيب لَعهدي بيزيد بن محمد المهلَّبي عند سليمان بن وهب بعد ما استوزره المهدى وقد أجلسه الى جانبه وهو ينشد قوله

وهبتم لنا يا آل وهب مودة   فأبقت لنا جاهاً ومجداً يؤثل

فمن كان للآثام والذل أرضه   فأرضكمُ للأجر والعز منزل

رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم   فقد سألوكم فوق ما كان يسأل

يقصر عن مسعاكم كل آخر   وما فاتكم ممن تقدم أول

بلغت الذى قد كنت أملته لكم   وان كنت لم أبلغ بكم ما أؤمل

فقطع عليه سليمان الإنشاد وقال له يا أبا خالد فأنت والله عندى كما قال عمارة ابن عقيل لابنه

أُقهقه مسروراً اذا أُبْتَ سالماً   وأبكي من الاشفاق حين تغيب

فقال له يزيد فيسمع مني الوزير آخر الشعر لا أوله ، وتمم فقال

ومالي حق واجب غير أنني   بجودكمُ في حاجتي أتوسل

وأنكمُ أفضلتمُ وبَرَرْتمُ   وقد يستتم النعمةَ المتفضل

وأوليتمُ فعلاً جميلاً مقدماً   فعودوا فإن العود بالحر أجمل

وكم مُلْحِف قد نال مارام منكمُ   ويمنعنا من مثل ذاك التجمل

وعودتمونا قبل أن نسأل الغنى   ولا بذل للمعروف والوجه يبذل

فقال له سليمان لا تبرح والله الا بقضاء حوائجك كائنة ما كانت ، ولو لم أستفد من كتبة أمير المؤمنين الا شكرك لرأيتُ جنابي بذلك مُمْرِعاً وغرسي مثمراً ، ثم وقع له في رقاع كثيرة

قال على بن الحسين الاصبهاني حضرت أبا عبد الله الباقطاني وهو يتقلد ديوان

المشرق وقد تقلد ابن أبي السلاسل ماسندان ومهرجان قُذَق [١] وجاءه يأخذ كتبه، فجعل يوصيه كما يوصى أصحاب الدواوين والعمال ، فقال ابن أبي السلاسل كأنك استكثرت هذا العمل أيضاً قد كنت تكتب لأبي العباس بن ثوابة ثم صرت صاحب ديوان ، فقال له الباقطاني يا جاهل يا مجنون لولا أنه قبيح عليّ مكافأة مثلك لراجعت الوزير أيده الله فى أمرك حتى أزيل يدك ، ومن لي أن أجد مثل أبي ثوابة في هذا الوقت فأكتب له ولا أريد الرياسة ؟ ثم أقبل علينا يحدثنا فقال دخلت مع أبي العباس بن ثوابة الى المهتدى وكان سليمان بن وهب وزيره ، وكان يدخل اليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمال والكتاب فيعملون بحضرته فيوقع اليهم فى الأعمال ، فأمر سليمان أن يكتب عنه عشرة كتب مختلفة الى جماعة من العمال ، فأخذ سليمان بيد أبي العباس بن ثوابة ثم قال له أنت اليوم أحدّ ذهناً مني فهلم نتعاون ، فدخلا بيتاً ودخلت معهما وأخذ سليمان خمسة أنصاف وأبو العباس خمسة أنصاف أخر ، فكتبا الكتب التي أمر بها سليمان وما احتاجا الى نسخة وقد أكمل كل واحد منهما ما كتب به صاحبه فاستحسنه وقرظه ، ثم وضع سليمان الكتب بين يدى المهتدى فقال له وقد قرأها أحسنت ياسليمان ونعم الرجل أنت لولا المعجل والمؤجل ، وكان سليمان اذا ولي عاملاً أخذ منه مالاً معجلاً وأجل له مالاً الى أن يتسلم عمله ، فقال له ياأمير المؤمنين هذا قول لا يخلو من أن يكون حقاً أو باطلاً ، فان كان باطلاً فليس مثلك من يقوله ، وان كان حقاً وقد علمت أن الاصول محفوظة فما يضر من يساهمني من عمالي على بعض ما يصل اليهم من بر من غير تحيف للرعية ولا نقص للأموال ؟ فقال اذا كان هكذا فلا بأس ، ثم قال له اكتب الى فلان العامل بقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل فى يده وبباقى ما عليه من المصادرة ، فقال له أبو العباس بن ثوابة كلنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك وكلنا حاطب

---

(١) كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحى الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق الى همذان فى تلك الجبال

فى حبلك وساع فيما أرضاك وأيد ملكك، أفنُمضى ما تأمر به على ماخيلت أم نقول الحق ؟ قال بل قل الحق يا أحمد ، فقال يا أمير المؤمنين الملك يقين والمصادرة شك، أفترى أن أزيل اليقين بالشك ؟ قال لا ، قال فقد شهدت للرجل بالملك وصادرته عن شك فيما بينك وبينه وهل خانك أم لا ؟ فتجعل المصادرة صلحاً ، فاذا قبضت ضيعته بهذا فقد أزلت اليقين بالشك ، فقال له صدقت ، ولكن كيف الوصول الى المال ؟ فقال له أنت لابد لك من عمال على أعمالك وكلهم يرتزق ويرتفق فيحوز رزقه ورفقه الى منزله فاجعله أحد عمالك ليصرف أحد هذين الوجهين الي ماعليه ويسعفه معاملوه فيتخلص بنفسه وضيعته ويعود اليك مالك ، فأمر سليمان بن وهب بأن يفعل ذلك ، فلما خرجا عن حضرة المهتدى قال له سليمان عهدى بهذا الرجل عدوك وكل واحد منكما يسعى على صاحبه فكيف زال ذلك حتي نبت عنه فى هذا الوقت نيابة أحييته بها وتخلصت نفسه ونعمته ؟ فقال انما كنت أعاديه وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف منى فأما وهو فقير اليَّ فهذا مما يَحظُره الدين والصناعة والمروءة ، فقال له سليمان جزاك الله خيراً ، أما والله لأشكرن هذه النية لك ولأعتقدنك من أجلها أخاً وصديقاً ولأجعلن هذا الرجل لك عبداً مابقى ، ثم قال الباقطانى فمن كان هذا وزنه وفعله يعاب من يكتب له ؟

ومن قوله وقد نكبه الواثق وفيه غناء

نوائب الدهر أدبتني ... وانما يوعظ الأديب
قد ذقت حلواً وذقت مراً ... كذاك عيش الفتى ضروب
ما مرَّ بؤس ولا نعيم ... إلا ولي فيهما نصيب

كتب اليه على بن يحيي فى جفوة نالته منه

جفانى أبو أيوب نفسى فداؤه ... فعاتبته كيما يريع ويُعتبا
فوالله لولا الظن مني بوده ... لكان سهيل من عتابيه أقربا

فكتب اليه سليمان

ذكرت جفائي وهو من غير شيمتي ... وانى لدان من بعيد تقربا
فكيف بخلٍّ لي أضن بوده ... وأصفيه وداً ظاهراً ومغيبا
على بن يحيى لاعدمت اخاءه ... فما زال في كل الخصال مهذبا
ولكن أشغالاً غدت وتواترت ... فلما رأيت الشغل عاق وأتعبا
ركنت الى عذر الأخلاء انهم ... كرام وان كان التواصل أوجبا
فان يَطَّلب منى عتابك أوبة ... ببر تجدنى بالأمانة مُعتبا

جاءته رقعة من بعض أصحابه وفيها

هبنى رضيت منك بالقليل ... أكان فى التأويل والتنزيل
أو خبر جاء عن الرسول ... أو حجة فى فِطر العقول
مستحسن من رجل جليل ... عال له حظ من الجميل
ينقص ما أشاع بالتطويل ... والقول دون الفعل بالتحصيل

ليس كذا وصف الفتى النبيل

فكتب له بولاية ناحية وأنفذ اليه مائتي دينار وكتب فى رقعة

ليس الى الباطل من سبيل ... الا لمن يعدل عن تعديل
وقد وفينا لك بالتحصيل ... فاطو الذى كان عن الخليل
فضلاً عن الخليط والنزيل ... وعد من القول الى الجميل
وعِفَّ في الكثير والقليل ... تحظ من الرتبة بالجزيل

أهدى الى سليمان بن عبد الله بن طاهر سلال رطب من ضيعته وكتب اليه يقول

اذن الأمير بفضله ... وبجوده وبنبله
لوليه في بره ... بجناه سكر نخله
فبعثت منه بسلة ... تحكي حلاوة عدله

كتب سليمان بقلم صلب فاعتمد عليه اعتماداً شديداً فصر القلم فى يده فقال

اذا ما حددنا وانتضينا قواطعاً ... أصمّ الذكيّ السمع منها صريرها
تظل المنايا والعطايا شوارعاً ... تدور بما شئنا وتمضى أمورها
تساقط في القرطاس منها بدائع ... كمثل اللآلي نظمها ونثيرها
تقود أبيّات البيان بفطنة ... يكشف عن وجه البلاغة نورها

ومن قوله يرثى أخاه الحسن

مضى مذ مضى عز الليالي وأصبحت ... لآلي الحجي والقول ليس لها نظم
وأضحى نجيّ الفكر بعد فراقه ... اذا هم بالافصاح منطقه كظم

ومن قوله وفيه غناء

أمين الخالق البارى ... وراعى كل مخلوق
أدر راحك فى المعشو ... ق من راحة معشوق

لما قبض الموفق علي سليمان بن وهب وابنه عبد الله تذاكر جماعة أنه انما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بغا وودائعه فلما استقصى ذلك نكبهما لكثرة مالهما فقال ابن الرومى وكان حاضراً

ألم تر أن المال يتلف ربه ... اذا جمّ آتيه وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير مجمّه ... وسد مغيض الماء فهو غريقه

ومات سليمان فى محبسه وهو مطالب

شعراء أنمار

محمد بن بشير

هو محمد بن بشير الرِّياشى يقال أنه مولى لهم ويقال أنه منهم صليبة وبنو رياش يذكرون أنهم من خثعم

شاعر ظريف من شعراء المحدثين متقلل لم يفارق البصرة ولا وفد الى خليفة ولا شريف منتجعاً ولا تجاوز بلده وصحبة طبقته وكان ماجناً هجاء خبيثاً

من قوله يصف بستاناً له

لي بستان أنيق زاهر ... ناضر الخضرة ريّان يرف[1]

راسخ الأعراق ريّان الثرى ... غدِق[2] تربته ليست تجف

لمجارى الماء فيه سنن ... كيفما صرّفته فيه انصرف

مشرق الأنوار ميّاد الندى ... مثن فى كل ريح منعطف

تملك الريح عليه أمره ... فاذا لم يؤنس الريح وقف

يكتسى فى الشرق ثوبى يُمْنة ... ومع الليل عليها يلتحف

ينطوى الليل عليه فاذا ... واجه الشرق تجلى وانكشف

صابر ليس يبالي كثرة ... جزَّة بالمنجل أو منه نتف

كلما ألحق منه جانب ... لم يتلبث منه تعجيل الخلف

لا ترى للكف فيه أثراً ... فيه بل ينمى على مسّ الأكف

فترى الأطباق لا تمهله ... صادرات واردات تختلف

---

(١) رف النبات اهتز واضطربت أغصانه (٢) عشب غدق مبتل ريان

فيه للخارف من جيرانه ... كلما احتاج اليه مخترف
أُقحوان وبهار مونق ... وسوى ذلك من كل الطُرَف
وهو في الأيدى يحيَّوْن به ... وعلى الآناف طوراً يستشف

طلب محمد بن بشير من ابن أبي عمر المديني فراخاً من الحمام الهذدي فوعده أن يأخذها له من المثنى ابن زهير، ثم نور عليه أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دلسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه فقال ابن بشير

يارب ربُّ الرائحين عشية ... بالقوم بين منًى و بين ثَبِير
والواقفين على الجبال عشية ... والشمس جانحة الى التغوير (١)
حتى اذا طفَل (٢) العشيّ ووجهت ... شمس النهار وآذنت بغؤور
رحلوا الي جيف نواحلَ ضمها ... طول السِّفار و بعد كل مسير
ابعث على طير المديني الذى ... قال المحال وجاءنى بغرور
ابعث على عجل اليها بعد ما ... يأخذن زينتهن فى التحسير (٣)
فى كل ماصفوا المراحل وابتدَوا ... فى المبتدين بهن والتكسير
ومَضَيْنَ عن دور الحُرَيبة (٤) زُلْفة ... دون القصور وحرة الماخور
مع كل ريح يعتري بهبوبها ... فى الجو بين شواهن وصقور
من كل أكلفَ (٥) بات يَنْجُن ليله ... فعدا بعدوة ساغب ممطور
ضَرِمٍ (٦) يقلب طرفه متناسياً ... شيئاً فكان له من التقدير
يأتى بهن مُيامناً ومياسراً ... صكا بكل مزلق ممكور (٧)

---

(١) غورت الشمس غربت (٢) طفلت الشمس دنت للغروب وغارت الشمس غؤوراً غربت (٣) الحسرت الطير خرجت من الريش العتيق الى الحديث وحسرها أبان ذلك ثقلها لانه فعل فى مهلة (٤) الحريبة موضع بالبصرة (٥) الاكلف مالونه الكلفة وهى حمرة كدرة تعلو الوجه (٦) الضرم الجائع (٧) الممكور الأسد المتلطخ بدماء الفرائس كأنه صبغ بالمكر وهو المغرة بفتحتين

من طائر متحير عن قصده ... أو ساقط خلج الجناح كسير

لم ينج منه شريدهن فان نجا ... شيئاً فصار بجانبات الدور

لمشمِّرين عن السواعد حُسَّراً ... عنها بكل رشيقة التوتير (١)

سُدٍّ (٢) الأكف الى المقاتل صُيَّبٍ ... سُحْت الجيوف بجؤجؤ ونحور

ليس الذى تُخطِى يداه رَمِيَّة ... منهم بمعدود ولا معذور

يتسرعون وتمتطى أيديهم ... في كل طائفة الجدار بتُّور

عُطُف السِّيات (٣) دوائر في عِطفها ... تُعزَى صناعتها الى عصفور

ينفين عن حُدْب الأكف نواقبا ... متشابهات القِدِّ والتدوير

تجرى بها مهج النفوس وانها ... لنواضل سُلَّت من التحبير

ما ان تقصِّر عن مدًى متباعد ... فى الجو تحسر طرف كل بصير

حتى تراه مُزَمَّلاً بدمائه ... فكأنه متضمخ بعبير

فيظلَّ يومهمُ بعيش ناصب ... نصب المراجل معجل التنوير

ويؤوب ناجيهن بين مُضَرَّجٍ ... بدم ومخلوب الى ميسور

عارى الجَناح من القوادم والقرا ... كاسٍ عليه مائر (٤) التامور

فيؤوده متيقن فى مشيه ... خُطُفٌ (٥) المؤخر مُشبَع التصدير

ذو حُلْكة مثل الدُّجى أو غُبْشة ... شَغْب شديد الجد والتيسير

فيمر منها في البرارى والقُرَى ... من كل أعبَل كالسِّنان هصور

فى حين تُؤذيها المبايت مَوْهِناً ... أو بعد ذلك آخر التحسير

يختص كل سليل سابق غاية ... مَحْض النِّجار مجرَّب مخبور

(١) وتر القوس شد وترها (٢) سد جمع الأسد وهو المصيب والجؤجؤ الصدر

(٣) سية القوس طرف قابها وقيل رأسها وقيل ما اعوج من رأسها (٤) مار الدم على وجه الأرض انصب فتردد عرضاً والتامور القلب (٥) الخطف الضمر

عجل عليه بما دعوت له به … أرِه بذاك عقوبة التنوير

حتى يقول جميع من هو شامت … هذى اجابة دعوة ابن بشير

فلأُلفينك عند حالَيْ حسرة … وتأسف وتلهف وزفير

ولتُلفينَ اذا رمتك بسهمها … أيدى المصائب منك غير صبور

وأنشد لنفسه فى مجلس أبى محمد الزاهد صاحب الفضيل بن عياض

ويل لمن لم يرحم الله … ومن تكون النار مثواه

واغفلتا فى كل يوم مضى … يذكرنى الموت وأنساه

من طال فى الدنيا به عمره … وعاش فالموت قُصاراه

كأنه قد قيل في مجلس … قد كنت آتيه وأغشاه

محمد صار الى ربه … يرحمنا الله وإياه

ومن قوله

ماذا يكلفك الرَّوْحاتِ والدُّلَجا … البَرَّ طوراً وطوراً تركب اللُّججا

كم من فتى قَصُرت فى الرزق خطوته … ألفيته بسهام الرزق قد فُلِجا

لا تيأسن وان طالت مطالبة … اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ان الأمور اذا انسدت مسالكها … فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا

أَخْلِقْ بذى الصبر أن يحظَى بحاجته … ومُدْمِن القرع للأبواب أن يلجا

فاطلب لرجلك قبل الخطو موضعها … فمن علا زَلَقًا عن غِرَّة زلجا

ولا يغرنك صفو أنت شاربه … فربما كان بالتكدير ممتزجا

لا يُنْتَجِ الناس إلا من لقاحهم … يبدو لقاح الفتى يوماً اذا نُتِجا

ومن شعره وقد رأى قوماً من أهل الجدل يتصايحون فى المقالات والحجج

يا سائلى عن مقالة الشيع … وعن صنوف الأهواء والبدع

دع عنك ذكر الأهواء ناحية … فليس ممن شهدتَ ذو ورع

كل أناس بَدِيُّهم حسن ثم يصيرون بعد للسُّمَع
أكثر ما فيه أن يقال لهم لم يك فى قوله بمنقطع

هوى قينة فكتبت اليه زوجته تعاتبه فكتب اليها

لا تذكرى لوعة إثرى ولا جزعا ولا تقاسين بعدى الهم والهلعا
بل ائتسي تجدى ان ائتسيت أُسًى بمثل ما قد فجعت اليوم قد فجعا
ما تصنعين بعين عنك قد طمحت الي سواك وقلب عنك قد نزعا
ان قلت قد كنت فى خفض وتكرمة فقد صدقت ولكن ذاك قد نزعا
وأى شيء من الدنيا سمعت به الا اذا صار في غاياته انقطعا
ومن يطيق خليعاً عند صبوته أم من يقوم لمستور اذا خلعا

وكان له صديق يقال له داود وكان اذا انصرف من مجلس أخذه معه فيمشى قدامه فان كان فى الطريق طين أو بئر أو أذى لقى داود شره وحذره ابن بشير ، فمات داود ، وانصرف ابن بشير ليلة وهو سكران فعثر بدكان وتلوث بطين ودخل فى رجله عظم ولقى عنتاً فقال يرثى ابن داود

أقول والأرض قد غشّى وجللها ثوب الدجى فهو فوق الأرض ممدود
وسد كل فروج الجو منطبقاً وكل فرج به فى الجو مسدود
وفى الوداع وفى الأبداء[1] لي عنت دون المسير وباب الدار مسدود
من لي بداود فى ذى الحال يرشدنى من لي بداود ؟ لهفى ، أين داود ؟
لهفى على رجله ألاَّ أقدمها قدام رجلى فتلقاها الجلاميد
اذ لا أزال اذا أقبلت ينكبني حرف وجرف ودكان واخدود
فان تكن شوكة كانت تحل به أو نكبة فى سواد الليل أو عود

(١) البدء والبدىء البئر التى حفرت فى الاسلام حديثة وليست بعادية

هجمت شاة منيع البقال على دار ابن بشير وهو غائب ، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلها ، فقال فى ذلك

قل لبُغاة الآداب ما صنعت … منها اليكم فلا تضيعوها

وضمنوها صحف الدفاتر بالحبـــر وحسن الخطوط أوعوها

فان عجزتم ولم يكن عَلَف … يسيغها عندكم فبيعوها

قال القاسم بن حسن كنا فى مجلس ومعنا محمد بن بشير وعمرو القصافي وعندنا مغنية حسـنة الوجه شهلة [1] تغني غناء حسناً ، فكنا معها فى أحسن يوم ، وكان القصافي يَعين [2] فى كل شيء يستحسـنه ويحبه ، فما برحنا المجلس حتى عانها ، فانصرفت محمومة شاكية العين ، فقال ابن بشير

ان عمراً جنى بعينيه ذنباً … قل مني عليه فيه الدعاء

عان عيناً ، فعينه للتى عا … ن فدى ، وقل منه الفداء

شرّ عين تعين أحسنَ عين … تحمل الأرض أو تُقِلّ السماء

استعار ابن بشير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضى عليه فى حاجة أرادها ، فمنعه ، فمضى اليها ماشـياً وكتب الى عمرو القصافى وكان جاراً للهاشمى وصديقاً يشكوه اليه ويخبره بخبره

ان كنتُ لا عَيْرَ لي يوماً يبلغني … حاجي وأقضي عليه حق اخوانى

وضن أهل العواري حين أسألهم … من أهل ودى وخُلْصانى وجيرانى

فان رجليَّ عندي لا عدمتهما … رجلا أخى ثقة مذ كان جولان

يبلغاني حاجاتي وان بعدت … ويدنيانيَ مما ليس بالدانى

كأن خلقى اذا ما جدَّ جِدّهما … إعصارَ عاصفة مما يثيران

---

(١) الشهلة أن يشوب سواد العين زرقة وقيل أقل من الزرق في الحدقة وأحسن منه

(٢) عان أصاب بالعين

رِجلاىَ لم يألما نَكْباً كأنهما قَطاً وقدًا وادماجاً مدًا كان (١)

ان يبعثا فى دَهاس (٢) يبعثا رَهَجاً أو فى حزون ذكا فيها شهابان

فالحمد لله يا عمرو الذى بهما عن العوارى وعن ذا الناس أغنانى

قال محمد بن سعد كنا فى حلقة التَّوَّزى فلما تقوضت أنشدنا محمد بن بشير لنفسه

جهد المقلّ اذا أعطاه مصطبر أو مكثر من غنى سيَّان فى الجود

لا يَعْدَم السائلون الخير أفعله اما نوال واما حسن مردود

فقلنا له ما هذا التكارم وقمنا الى بيته فأكلنا من جِلَّة تمر كانت عنده أكثرها وحملنا بقيتها ، فكتب الى والي البصرة عمرو بن حفص

يا أبا حفص بحرمتنا أعِدْ نفساً حين تُنْتَهَك

خذ لنا ثاراً بجِلَّتنا فبك الأوتار تُدْرَك

زارنا زَور فلا سلموا وأصيبوا أيَّة سلكوا

أكلوا حتى اذا شبعوا أخذوا الفضل الذى تركوا

فبعث الينا فأحضرنا فأغرمنا مائة درهم وأخذ من كل واحد منا جِلَّة تمر ودفع ذلك اليه

حدث القاسم بن الحسن قال خرجنا مع بعض ولد النُّوشجانى الى قصر له فى بستانهم بالجعفرية ومعنا محمد بن بشير ، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن ، فاذا هو قد خرب واختل ، فقال فيه ابن بشير

ألا يا قصر قصر النُّوشَجانى أرى بك بعد أهلك ما شجانى

فلو أُعفى البلاء ديارُ قوم لفضلٍ منهمُ ولعُظْم شان

لما كانت ترى بك بينات تلوح عليك آثار الزمان

(١) المداك حجر يسحق عليه الطيب (٢) الدهاس مكان لين سهل لا يبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولا طين والرهج الغبار أو ما أثير منه

كان محمد بن بشير صديقاً لدُواد بن احمد بن أبي دواد كثير الغشيان له ، ففقده أهله أياماً وطلبوه فلم يجدوه ، وكان مع أصحاب له قد خرجوا يتنزهون ، فجاؤا الى دواد بن احمد يسألونه عنه ، فقال لهم اطلبوه فى منزل حُسن المغنية ، فان وجدتموه والا فهو في حبس أبي شجاع صاحب شرطة خُمار التركى ، فلما كان بعد أيام جاءه ابن بشير فقال له إيه أيها القاضى كيف دللت عليَّ أهلي ؟ قل كما بلغك ، قال وقد قلت فى ذلك أبياتاً ، قال أوَ فعلت ذلك أيضاً ؟ زدنى من برك هات إيش قلت ؟ فأنشده

ومرسلةٍ توجه كل يوْم — إليَّ وما دعا للصبح داع
تسائلني وقد فقدوه حتى — أرادوا بعده قسم المتاع
اذا لم تلقه فى بيت حسن — مقيماً للشراب وللسماع
ولم يُرَ فى طريق بني سدوس — يخط الأرض منه بالكُراع
يدق حزونها بالوجه طوراً — وطوراً باليدين وبالذراع
فقد أعياك مطلبه وأمسى — فلا تغلط حَبِيسَ أبى شجاع

فجعل ابن بشير يضحك ويقول أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف خبره ، ثم لم يبرح حتى أعطاه دواد مائتي درهم وخلع عليه خلعة من ثيابه

كان ابن بشير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه ، من ذلك قوله

اذا ما غدا الطلاب للعلم مالهم — من الحظ الا ما يدوّن فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهمُ — فمحبرتى أُذْنى ودفترها قلبى

كان ابراهيم بن رَباح اذا حزَ به الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن بشير

تخطى النفوس مع العِيا — ن وقد تصيب مع المظنة

كم من مضيق فى الفضا ء ومَخْرَج بين الأسِنَّة

كان يعاشر ولد جعفر بن سليمان فأخذ منه قُثَم بن جعفر ألواح آبنوس كان يكتب فيها بالليل ، فقال في ذلك

أبقت الألواح اذ أخذت حرقة في القلب تضطرم
زانها فصان من صدَف واحمرار السير والقلم
وتولى أخـذها قُثَم لا تولى نفعها قثم

كان يعاشر بعض الهاشميين ، ثم جفاه الهاشمى لملال كان فيه ، فكتب اليه ابن بشير

قد كنت منقبضاً وأنت بسطتني حتى انبسطت اليك ثم قبضتني
أذكرتني خلق النفاق وكان لي خلقاً فقد أحسنت اذ أذكرتني
لو دام ودك وانبسطتُ الى امرئ فى الود بعدك كنتَ أنت غررتني
فهلمَّ نجتذب التذاكر بيننا ونعود بعدُ كأننا لم نفطن

قال عبد الله بن محمد بن بشير كان أبي مشغوفاً بالنبيذ مشتهراً بالشراب وما بات قط الا وهو سكران وما نبذ قط نبيذاً وانما كان يشربه عند اخوانه ويستسقيه منهم ، فأصبحنا بالبصرة يوماً على مطر هادئ ولم تمكنه معه الحركة الى قريب من اخوانه ولا بعيد ، وكان يجن اذا فقد النبيذ ، فكتب الى والي البصرة محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان

كم فى علاج نبيذ التمر لي تعب الطبخ والدلك والمعصار والعكَر
وان عدلت الى المطبوخ معتمداً رأيتنى منه عند الناس أشتهر
نقل الدّنان الى الجيران يفضحني والقِدْر يتركني فى القوم أعتذر
فصرت فى البيت أستسق وأطلبه من الصديق ورسلي فيه تبتدر

فمنهمُ باذل سَمْح بحاجتنـــا ومنهمُ كاذب بالزور يعتـذر
فسقِّنى رِىّ أيام لتمتعـــني من الدَّساتيج لايُزْرِى بها السفر
وان تكن حاجتى ليست بحاضرة وليس فى البيت من آثارها أثر
فاستنسق غيرك أوفاذ كر له خبرى ان اعتراك حياء منك أوحصَر
ما كان من ذلكم فلْيأْتني عجلاً فاننى واقف بالباب أنتظر
لا لي نبيذ ولا حر فيـدعونى وقد حمانيَ من تطفيليَ المطر

فضحك لما قرأها وبعث اليه بزق نبيذ ومائتى درهم ، وكتب اليه اشرب النبيذ وأنفق الدراهم الى أن يُمسك المطر ويتسع لك التطفيل ومتى أعوزك مكان فاجعلني فَيْئَة لك والسلام

شعراء طيء

أبو تمام

هو حبيب بن أوس الطائى ، مولده ومنشؤه مَنْبِج بقرية منها يقال لها جاسم
شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعانى غواص على ما يستصعب منها ويعسر
متناوله على غيره ، وله مذهب فى المطابق هو كالسابق اليه جميع الشعراء وان
كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فان له فضل الإكثار فيه والسلوك فى جميع
طرقه ، والسليم من شعره النادر لايتعلق به أحد ، وله أشياء متوسطة ورديئة رذلة
جداً ، وفى عصرناهذا من يتعصب له فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف ،
وأقوام يتعمدون الردىء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ويستعملون القِحة
والمكابرة فى ذلك ليقول الجاهل بهم انهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه الا بأدب فاضل
وعلم ثاقب ، وهذا ما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى
مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم سبباً للترفع وطلباً للرياسة، وليست إساءة من
أساء في القليل وأحسن فى الكثير مسقطة احسانه ، ولو كثرت إساءته أيضاً ثم
أحسن لم يقل له عند الاحسان أسأت ولا عند الصواب أخطأت ، والتوسط في
كل شىء أجمل والحق أحق أن يتبع ، وقد روى عن بعض الشعراء أن أبا تمام
أنشده قصيدة له أحسن في جميعها الا فى بيت واحد ، فقال له يا أبا تمام لو ألقيت
هذا البيت ما كان فى قصيدتك عيب ، فقال له أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم ولكن
مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده فيهم الجميل والقبيح والرشيد والساقط وكلهم
حلو فى نفسه فهو وان أحب الفاضل لم يبغض الناقص وان هَوِيَ بقاء المتقدم لم يَهْوَ
موت المتأخر ، واعتذاره بهذا ضد ما وصف به نفسه فى مدحه الواثق حيث يقول

جاءتك من نظم اللسان قلادة ... سِمطان فيها اللؤلؤ المكنون

حُذيت حذاء الحَضرمية أرهفت ... وأجابها التخصير والتاسين

انسية وحشية كثرت بها ... حركات أهل الأرض وهي سكون

ينبوعها خَضِل وحَلْىُ قريضها ... حلى الهدى ونسيجها موضون

أما المعاني فهي أبكار اذا ... نُصَّت ولكن القوافي عُون

أحذا كها صَنَع الضمير يمده ... جفر اذا نَضَب الكلام معين

ويسيء بالاحسان ظناً لا كمن ... هو بابنه أو شعره مفتون

فلو كان يسيء بالاحسان ظناً ولا يفتتن بشعره كنا في غنى عن الاعتذار له، وقد فضل أبا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غباره ولا يدركون وان جدوا آثاره، وما رأى الناس بعده الى حيث انتهوا له في جده نظيراً ولا شكلاً، ولولا أن الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره، وأفرط معادوه في التسطير برديئه والتنبيه على رذله ودنيئه لذكرت منه طرفاً ولكن قد أتى من ذلك ما لا مزيد عليه

أخبرني عمي قال حدثني أبي قال سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول أشعر الناس طراً الذي يقول

وما أبالي وخير القول أصدقه ... حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

فأحببت أن أستثبت ابراهيم بن العباس وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب فجلست اليه وكنت أجرى عنده مجرى الولد فقلت له من أشعر أهل زماننا هذا؟ فقال الذي يقول

مطر أبوك أبو أهلّة وائل ... ملأ البسيطة عدة وعديدا

نسب كأن عليه من شمس الضحى ... نوراً ومن فلق الصباح عمودا

ورثوا الأبوة فالحظوظ وأصبحوا ... جمعوا جدوداً في العلا وجدودا

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه

قدم عمارة بن عقيل بغداد ، فاجتمع الناس اليه فكتبوا شعره وشعر أبيه وعرضوا عليه الأشعار ، فقال بعضهم ههنا شاعر يزعم أنه أشعر الناس طراً ويزعم غيرهم ضد ذلك ، فقال أنشدونى قوله ، فأنشدوه

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد ... وعاد قَتَادا عندها كل مَرْقد

وأنقذها من غمرة الموت أنه ... صدود فراق لا صدود تعمد

فأجرى لها الاشفاق دمعاً مورداً ... من الدم يجرى فوق خد مورد

هى البدر يغنيها تورد وجهها ... الى كل من لاقت وان لم تودد

ثم قطع المنشد ، فقال له عمارة زدنا من هذا ، فوصل نشيده وقال

ولكننى لم أحو وفراً مجمعاً ... ففزت به الا بشمل مبدد

ولم تعطنى الأيام نوْماً مسكناً ... ألَذُّ به الا بنوم مشرَّد

فقال عمارة لله دَرّه لقد تقدم فى هذا المعنى من سبقه اليه على كثرة القول فيه حتى لقد حبب الاغتراب هيه ، فأنشده

وطول مُقام المرء فى الحىّ مُخْلِقٌ ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة ... الى الناس أن ليست عليهم بسَرْمد

فقال عمارة كمل والله لئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعانى واطراد المراد واتساقه الكلام فان صاحبكم هذا أشعر الناس

وكان على بن الجهم يصف أبا تمام ويفضله ، فقال رجل والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا ، فقال ان لم يكن أخاً بالنسب فانه أخ بالأدب والمودة أما سمعت ما خاطبنى به حيث يقول

ان يُكْدِ مطَّرف الأخاء فاننا ... نغدو ونسرى فى إخاء تالد

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا ... عذْب تحدر من غمام واحد

أو يفترق نسب يؤلفْ بيننا　　أدب أقمناه مقام الوالد

جرى ذكر أبي تمام في حلقة دعبل فقال كان يتبع معانيَّ فيأخذها ، فقال له رجل في مجلسه وأي شيء من ذلك أعزك الله ؟ قال قولي

وان امرأً أسدى إليَّ بشافع　　اليه ويرجو الشكر مني لأحمق

شفيعك فاشكر في الحوائج انه　　يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقال الرجل فكيف قال أبو تمام ؟ فقال قال

فلقيت بين يديه حلو عطائه　　ولقيت بين يديَّ مُرّ سؤاله

واذا امرؤٌ أسدى اليك صنيعة　　من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل أحسن والله لئن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى به منك وان كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه ، فغضب دعبل وانصرف

وكان محمد بن حازم الباهلي يقدم أبا تمام و يفضله و يقول لولم يقل الا مرثيته التي أولها

أصمَّ بك الناعي وان كان أسمعا　　وأصبح مَغْنَى الجود بعدك بلقعا

وقوله

لو يقدرون مشَوْا على وَجَناتهم　　وجباههم فضلاً عن الأقدام

لكفاه ، وقال عبيدالله بن عبد الله بن طاهر كان عمارة بن عقيل عندنا يوماً فسمع مؤدباً كان لولد أخي يروِّيهم قصيدة أبي تمام

الحق أبلج والسيوف عَوار　　فحذار من أسد العرين حَذار

فلما بلغ الى قوله

سود اللباس كأنما نسجت لهم　　أيدى السَّموم مَدارعاً من قار

بكروا وأسرَوْا في بطون ضوامر　　قِيدت لهم من مربط النجار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم　　أبداً على سفر من الأسفار

فقال عمارة لله دَرُّه ما يعتمد معنى الا أصاب أحسنه كأنه موقوف عليه

قال ابراهيم بن العباس ما اتكلت فى مكاتبتى قط الا على ماجاش به صدرى الا أنى قد استحسنت قول أبى تمام

اذا مارقٌ بالغدر حاول غَدْرة ... فذاك حَرِىّ أن تئيم حلائله

فان باشر الإصحارَ فالبيض والقنا ... قِراه وأحواض المنايا مناهله

وان يبن حيطاناً عليه فانما ... أولئك عُقّالاته لا معاقله

والا فأعلمه بأنك ساخط ... ودعه فان الخوف لا شك قاتله

فأخذت هذا المعنى فى بعض رسائلى فقلت ما كان يُحرزهم يُبْرِزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم ، ثم قال ان أبا تمام اختُرِم وما استمتع بخاطره ولا نزح رَكِيّ فكره حتى انقطع رِشاء عمره

قال محمد بن جابر الأزدى ، وكان يتعصب لأبى تمام ، أنشدت دعبل بن على شعراً لأبى تمام ولم أعلمه أنه له ، ثم قلت له كيف تراه ؟ قال أحسنُ من عافية بعد يأس ، فقلت انه لأبى تمام ، فقال لعله سرقه

وقال يزيد المهلبي ما كان أحد من الشعراء يقدر أن يأخذ درهماً بالشعر فى حياة أبى تمام فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه

لما قدم أبو تمام خُراسان اجتمع الشعراء اليه وسألوه أن ينشدهم فقال قد وعدنى الأمير أن أنشده غداً وستسمعونني ، فلما دخل على عبد الله أنشده

هن عوادي يوسف وصواحبه ... فعزْماً فقِدْماً أدرك السؤلَ طالبه

فلما بلغ الى قوله

وقلقل نابى من خُراسان جأشُها ... فقلت اطمئني أنضرُ الروضِ عازبه

وركبٍ كأطراف الأسنة عرَّسوا ... على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمرٍ عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس ما يستحق هذا الشعر غير الأمير حفظه الله ، وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير ، فقال بل نضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا ، فلما فرغ من القصيدة نثر عليه الف دينار فلقطها الغلمان ولم يَمَسّ منها شيئاً، فوجد عليه عبد الله وقال يترفع عن بري ويتهاون بما أكرمته، فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك ، فقال أبو تمام

لم يبق للصَّيف لا رسم ولا طلل ولا قشيب فيستكسى ولا سَمَل

عَدل من الدمع أن يبكى المصيف كما يُبكَى الشباب ويبكى اللهو والغزل

يمنى الزمان انقضى معروفها وغدت يسراه وهى لباس بعده بدل

فدخل أبو العميثل شاعر آل طاهر الى عبد الله فقال أيها الأمير أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه ؟ فوالله لولم يكن له من النباهة فى قدره والاحسان فى شعره والشائع من ذكره لكان الخوف من شره والتوقى لذمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته فكيف وله بنزوعه اليك من الوطن وفراقه السكن وقد قصدك عاقداً بك أمله مُعْمِلاً اليك ركابه متعباً فيك فكره وجسمه وفى ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ، ولولم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ما سمع الا قوله

يقول فى قومَس صحبي وقد أخذت منا السُّرى وخطا المهْرِيَّة القُود

أمطلعَ الشمس تبغى أن تؤُمَّ بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

لكفى ، فقال له عبد الله نبهت فأحسنت ، وشفعت فلطفت ، وعاتبت فأوجعت ، ولك ولأبي تمام العُتبَى ، وأمر له بألفي دينار وما يحمله من الظهر وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه وأمر ببذرقته الى آخر عمله

قال جابر الكرخي انه حضر أبا دلف وعنده أبو تمام وقد أنشده قصيدته

على مثلها من أربُعٍ وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

فلما بلغ الى قوله

اذا افتخرت يوماً تميم بقوسها　　وزادت على ما وُطدت من مناقب

فأنتم بذى قارٍ أمالت سيوفكم　　عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

محاسن من مجد متى تقرنوا بها　　محاسن أقوام تكن كالمعايب

فقال أبو دُلَف يامعشر ربيعة ما مدحتم بمثل هذا الشعر قط فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارفهم يرمون بها اليه ، فقال أبو دُلَف قد قبلها منكم وأعاركم لبسها وسأنوب عنكم فى ثوابه ، تمم القصيدة يا أبا تمام ، فتممها فأمر له بخمسين الف درهم وقال والله ماهى بازاء استحقاقك وقدرك فاعذِرْنا ، فشكره وقام ليقبل يده فحلف ألاَّ يفعل ، ثم قال له أنشدنى قولك فى محمد بن حميد

وما مات حتى مات مضرب سيفه　　من الضرب واعتلَّت عليه القنا السمر

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده　　اليه الحِفاظ المر والخُلُق الوعر

فأثبت في مستنقع الموت رجله　　وقال لها من تحت أخمصك الحشر

غدا غدوة والحمد نسج ردائه　　فلم ينصرف الا وأكفانه الأجر

كأن بنى نبْهان يوم مُصابه　　نجوم سماء خر من بينها البدر

يعزَّوْن عن ثاوٍ يعزى به العلا　　ويبكى عليه الجود والبأس والشعر

فأنشده إياها ، فقال والله لودِدت أنها فيَّ ، فقال بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المقدم ، فقال انه لم يمت من رثى بهذا الشعر أو مثله

خرج أبو تمام الى خالد بن يزيد بن مزيد وهو بأرمينية فامتدحه ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وقال تكون العشرة الآلاف موفورة فان أردت الشخوص فاعْجَلْ وان أردت المقام عندنا فلك الحِباء والبر، قال بل أشخص، فودعه، ومضت أيام وركب خالد يَصيد فرآه تحت شجرة وبين يديه رِكْوَة فيها شراب وغلام يغنيه بالطنبور ، فقال أبو تمام ؟ قال خادمك وعبدك ، قال ما فعل المال ؟ فقال

علمني جودك السماح فما أبقيت شيئاً لديَّ من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به كأن لي قدرةً كمقدرتك
تنفق فى اليوم بالهبات وفى الساعة ما تجتنيه من سنتك
فلست أدرى من أين تُنفق لو لا أن ربى يمد فى هبتك

فأمر له بعشرة آلاف أخرى فأخذها وخرج

قدم أبو تمام مادحاً للحسن بن رجاء فاستنشده قصيدته اللامية التى مدحه بها فلما انتهى الى قوله

أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة فأنا المقيم قيامة العذال
عطفت ملامتها على ابن ملمة كالسيف جأب الصبر شَخْتِ الآل
عادت له أيامه مسودة حتى توهم أنهن ليال

فقال له الحسن والله لاتسود عليك بعد اليوم ، فلما قال

لاتنكرى عُطْلَ الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظرى حيث الركاب يَنُصها محيى القريض الى مميت المال

فقام الحسن على رجليه وقال والله لا أتممتها إلا وأنا قائم ، فقام أبو تمام لقيامه وقال

قد قلت وهي تنال من عُرض الفلا بملاطس[1] فى الوَخْدِ غير أوال
أحواملَ الأثقال انك فى غد بفناء أحملَ منك للأثقال
لما وردنا ساحة الحسن انقضى عنا تعجرف دولة الإمحال
أحيا الرجاء لنا برغم نوائب كثرت بهن مصارع الآمال
أغلَى عذارَى الشعر ان مهورها عند الكرام وان رخصن غوال
ترد الظنون بنا على تصديقها ويحكم الآمال في الأموال
أضحى سمي أبيك فيك مصدقاً بأجل فائدة وأيمن فال

(١) الملاطس الأخفاف والوخد الاسراع وأوال أوائل

ورأيتني فسألت نفسك سيبها لي ثم جدت وما انتظرت سؤالي

كالغيث ليس له أريد نواله أولم يُرَد بُدٌّ من التهطال

فتعانقا وجلسا ، فقال له الحسن ما أحسن ماجلوت هذه العروس ، فقال والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها

كان دِعْبل عند الحسن بن رجاء يضع من أبي تمام ، فقال له قائل يا أبا على اسمع مني ماقاله فان أنت رضيته فذاك والا وافقتك على ما تذمه منه ، وأعوذ بالله فيك من ألاّ ترضاه ، ثم أنشده

أما انه لولا الخليط المودع ومغنًى عفا منه مصيف ومربع

فلما بلغ الى قوله

هو السيل ان واجهته انقَدْتَ طوعه وتقتاده من جانبيه فيتبع

ولم أر نفعاً عند من ليس ضائراً ولم أر ضراً عند من ليس ينفع

مَعاد الورى بعد الممات وسَيْبه مَعاد لنا قبل الممات ومرجع

فقال له دعبل لم ندفع فضل هذا الرجل ، ولكنكم ترفعونه فوق قدره ، وتقدمونه على من يتقدمه ، وتنسُبون اليه ما قد سرقه ، فقال له احسانه صيرك له عائباً وعليه عاتباً

أنشد أبو تمام أبا الحسن محمد بن الهيثم بالجبل

أسقى ديارهم أجشُّ هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

فلما فرغ أمر له بألف دينار وخلع عليه خلعة حسنة ، فلما كان من غد كتب اليه أبو تمام

قد كسانا من كسوة الصيف خِرْق مُكْتَسٍ من مكارم ومساع

حلة سابرِيَّة[1] ورداء كسَحا القيض أورداء الشجاع

---

(١) سابرية رفيعة جيدة والسحا النواحي والقيض القشرة العليا اليابسة على البيضة

كالسَّراب الرَّقراق فى النعت إلا انه ليس مثــــله فى الخداع

قصباً تسترجف الريح متنيــــه بأمر من الهبوب مطاع

رَجَفاناً كأنه الدهرَ منــه كبدُ الضب أو حشا المرتاع

يطرد اليوم ذا الهجير ولو شبّــــه فى حــره بيوم الوداع

لازماً ما يليه تحسبه جز ءا من المتنين والأضــلاع

حلة من أغرّ أروعَ رَحْب الصد ر رحب الفؤاد رحب الذراع

سوف أكسوك ما يعفى عليها من ثناء كالبرْد برد الصنّاع

حسن هاتيك فى العيون وهـذا حسنه فى القلوب والأسماع

فقال محمد بن الهيثم ومن لا يعطى على هذا ملكه ؟ والله لا بقى فى دارى ثوب الا دفعته الى أبى تمام ، فأمر له بكل ثوب كان يملكه فى ذلك الوقت

جاء دعبل الى الحسن بن وهب فى حاجة بعد وفاة أبى تمام ، فقال له رجل فى المجلس يا أبا على أنت الذى تطعن على من يقول

شهدت لقد أقوت مغانيكمُ بعدي ومحّت كما محت وَشائع من برد

وأنجدتمُ من بعـد اتهام داركم فيادمع أنجدنى على ساكني نجد

فصاح دعبل أحسن والله ، وجعل يردد « فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد » ثم قال رحمه الله لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت انه أشعر الناس

مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران فى يوم واحد فدخل عليه أبو تمام فأنشده

ما زالت الأيام تخبر سائلاً أن سوف تفجع مُسْهلا أو عاملا

ان المنون اذا استمر مريرها كانت لها جثث الأنام مقاتلا

فى كل يوم يعتبطن نفوسنا عبط المنجب جِلّة وأفائلا

ما ان ترى شيئاً لشيء محيياً حتى تلاقيه لآخر قاتلا

من ذاك أجهد أن أراه فلا أرى حقاً سوى الدنيا يسمى باطلا

لله أية لوعة ظلمنـــا بها تركت بكيات العيون هواملا
مجد تأوب طارقاً حتى اذا قلنا أقام الدهر أصبح راحلا
نجمان شاء الله ألاّ يطلعا الا ارتداد الطرف حتى يأفلا
ان الفجيعة بالرياض نواضراً لأجلّ منها بالرياض ذوابلا
لو يُنسآن لكان هذا غارباً للمكرمات وكان هـذا كاهلا
لهفي على تلك المخايل منهما لو أُمهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكوتهما حجىً وصباهما حلماً وتلك الأريحية نائلا
ولأعقب النجم المرذّ بديمة ولعاد ذاك الطّل جوْداً وابلا
ان الهلال اذا رأيت نموه أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

قال الواثق لأحمد بن أبي دؤاد بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائي في قصيدة مدحك بها ألف دينار ، قال لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ولكني أعطيته خمسمائة دينار للذي قاله للمعتصم

فاشدد بهارون الخلافة انه سكن لوحشتها ودار قرار

فتبسم وقال انه لحقيق بذلك ، وتمام الأبيات

بفتى بني العباس والقمر الذي حفته أنجم يعرب ونزار
كرم الخؤولة والعمومة مجه سلفا قريش فيه والأنصار
هو نوء يمن فيهم وسعـادة وسراج ليل فيهم ونهار
فاقمع شياطين النفاق بمهتد ترضى البرية هديه والباري
ليسير في الآفاق سيرة رأفة ويسوسهـا بسكينة ووقار
فالصين منظوم بأندلس الى حيطان رومية فملك ذمار
ولقد علمت بأن ذلك معصم ما كنت تتركه بغير سوار
فالأرض دار أقفرت ما لم يكن من هاشم رب لتلك الدار

سُوَر القران الغر فيكم أنزلت ولكم تصاغ محاسن الأشعار

قال ميمون بن هارون مر أبو تمام برجل يقول لآخر جئتك فاحتجبت عنى ، فقال له السماء اذا احتجبت بالغيم رجى خيرها ، فتبينت فى وجه أبى تمام أنه قد أخذ المعنى ليضمنه فى شعره ، فما لبثنا الا أياماً حتى أنشدت قوله

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لى أملاً ان السماء ترجّى حين تحتجب

قال محمد بن موسى بن حماد كنا عند دعبل أنا والقاسم في سنة خمس وثلاثين ومائتين بعد قدومه من الشام فذكرنا أبا تمام فثلبه وقال هو سروق للشعر ، ثم قال لغلامه يا ثقيف هات تلك المخلاة ، فجاء بمخلاة فيها دفاتر ، فجعل يمرها على يده حتى أخرج منها دفتراً فاذا فيه قال مُكْنِف أبو سُلْمى من ولد زهير بن أبى سلمى يرثى ذُفافة العبسى

أبعد أبى العباس يستعتب الدهر وما بعده للدهر عُتْبَى ولا عذر

ولو عوتب المقدار والدهر بعده لما أعتبا ما أورق السَّلَم النَّضْر

ألا أيها الناعى ذفافة ذا الندى تَعِسْتَ وشلّت من أناملك العشر

أتنعى فتى من قيس عيلان صخرة تفلق عنها من جبال العدى الصخر

اذا ما أبو العباس خلى مكانه فلا حملت أنثى ولا مسها طُهْرْ

ولا أمطرت أرضاً سماء ولاجرت نجوم ولا لذت لشاربها الخمر

كأن بني القعقاع يوم وفاته نجوم سماء خرَّ من بينها البدر

توفيت الآمال بعد ذُفَافة وأصبح فى شغل عن السفر السفْرْ

يعزّون عن ثاوٍ تعزّى به العلا ويبكى عليه المجد والبأس والشعر

وما كان الا مال من قلّ ماله وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر

ثم قال سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة فأدخلها فى قصيدته

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

البحتري

هو الوليد بن عبيد الله بن يحيى البُحْتُري الطائي من بُحتُر بن عتود ثم من طيء ويكنى أبا عبادة

شاعر فاضل حسن المذهب نقي الكلام مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرف حسن فاضل نقي فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نَزْرة ، وجيده منه قليل ، وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن أنه لما حضره الموت دعا به وقال له اجمع كل شيء قلته فى الهجاء ، ففعل ، فأمره باحراقه ، ثم قال له يا بنيّ هذا شيء قلته فى وقت فشفيت به غيظي وكافأت به قبيحاً فعل بي وقد انقضى أربي فى ذلك وان بقي روى ، وللناس أعقاب يورثونهم العداوة والمودة وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء فى نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولا لي منه ، قال فعلمت أنه قد نصحني وأشفق عليّ فأحرقته ، والذى وجدناه وبقي فى أيدى الناس من هجائه فأكثره ساقط لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه وتنبيء بركاكتها وغثاثة ألفاظها عن قلة حظه فى الهجاء ، وكان البحتري يتشبه بأبي تمام فى شعره ويحذو مذهبه وينحو نحوه فى البديع الذى كان أبو تمام يستعمله ، ويراه صاحباً وإماماً ويقدمه على نفسه ويقول فى الفرق بينه وبينه قول منصف ان جيد أبي تمام خير من جيده ووسطه خير من وسط أبي تمام ورديئه وكذا حكم هو على نفسه

ومن شعر البحتري يمدح محمد بن علي القمّي

أمواهب هاتيك أم أنواء ... هُطُلٌ ؟ وأخذ ذاك أم اعطاء ؟

ان دام ذا أو بعض ذا من فعل ذا ... ذهب السخاء فلا يُحَسّ سخاء

ليس الذى حلّت تميم وسطه الدّ ... هْناء لكن صدرك الدهناء

ملك أغر لآل طلحة مجده كفاه أرض سمحة وسماء
وشريف أشراف اذا احتكت بهم جُرْب القبائل أحسنوا وأساؤا
لهم الفِناء الرَّحب والبيت الذى أُدَد أواخِ حوله وفناء
وخؤلة فى هاشم ود العدى أن لم تكن ولهم بها ما شاؤا
بين العواتك والفواطم منتمى يزكو به الأخوال والآباء
أمحمد بن على اسمع عُذرة فيها شفاء للمسيء وداء
مالي اذا ذكر الوفاء رأيتني مالي مع النفر الكرام وفاء
يضفو على العذال وهو مقارب ويضيق عني العذر وهو فضاء
انى هجرتك اذ هجرتك وحشة لا العوْد يذهبها ولا الابداء
أخجلتني بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتني بالبر حتى انني متوهم ألاَّ يكون لقاء
صلة غدت فى الناس وهى قطيعة عجبٌ، وبرٌّ راح وهو جفاء
ليواصلنك ركب شعر سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلداً أبداً كما تمت لي النعماء
فتَظَلَّ تحسُدك الملوك الصِّيد بى وأظلّ يحسدنى بك الشعراء

أنشد البحتري أبا تمام يوْماً شيئاً من شعره، فتمثل ببيت أوس بن حجر

اذا مُقرِم منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم

ثم قال له نعيت والله إليَّ نفسي، فقال أعيذك بالله من هذا القول، فقال ان عمري لن يطول وقد نشأ فى طيء مثلك، أما علمت أن خالد بن صفوان رأى شبيب ابن شبة وهو من رهطه يتكلم فقال يا بنيَّ لقد نعى الى نفسى احسانك فى كلامك لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط الامات من قبله، فقال بل يبقيك الله ويجعلنى فداءك ومات أبو تمام بعد سنة

وما يعرف له هجاء جيد الا قصيدتين إحداهما فى ابن أبي قماش قوله

مرّت على عزمها ولم تقف مبدية للشّنان والشغف

يقول فيها له

قد كان حقاً عليك أن تعرف الـــمكنون من سر صدرها الـكَلِف

بما تعاطيت فى الغيوب وما أوتيت من حكمة ومن لطف

فكيف أخطأت يا أخيّ ولم تفزع الى ماسطرت فى الصحف

وكيف ما دلك القِران على ما فيه من ذاهب ومؤتنف

هلا زجرت الطير العلية أو عفت المها أو نظرت فى الكتف

حملتها والفراق محتشـــد لراكب منكما ومرتدف

ورحما والنحوس تنبىء عن حال من الراحين مختلف

أما أرتك النجوم أنكما فى حالتى ثابت ومنصرف

وما رأيت المريخ قد جاسد الـــزهرة فى الجد منه والشرف

يخبر فى ذاك أن زائرة تشفى مزُوراً من لاعج الدَّنَف

من أين أغفلت ذا وأنت على التـــقويم والزيج جد معتكف

وهى طويلة ولم يكن مذهبى ذكرها الا للاخبار عن مذهبه فى هذا الجنس ،
وقصيدته فى يعقوب بن الفرج النصرانى فانها وان لم تكن فى أسلوب هذه وطريقتها
فانها تجري مجرى التهكم باللفظ الطيب الخبيث المعانى وهى

تظن شجونى لم تعتلج وقد خلج البين من قد خلج

قال عبد الله بن الحسين بن سعد « وقد أنشد البحترى شعراً لنفسه قد كان
أبو تمام قال فى مثله » أنت والله أشعر من أبي تمام فى هذا الشعر ، قال كلا والله ان
أبا تمام للرئيس والاستاذ والله ما أكلت الخبز الا به ، فقال له المبرد لله درّك يا أبا
الحسن فانك تأبى الا شرفاً من جميع جوانبك

قيل للبحتري ان الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام ، فقال والله ماينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام والله ما أكلت الخبز الا به ولوددت أن الأمر كما قالوا ولكني والله تابع له آخذ منه لائذ به ، نسيمي يركد عند هوائه ، وأرضي تنخفض عند سمائه

قال البحتري كان أول أمري في الشعر ونباهتي أن صرت الى أبي تمام وهو بحمص ، فعرضت عليه شعري وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل عليّ وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا قال لي أنت أشعر من أنشدني فكيف بالله حالك ؟ فشكوت خلة ، فكتب الى أهل معرّة النعمان وشهد لي بالحذق في الشعر وشفع لي اليهم وقال امتدحهم ، فصرت اليهم ، فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم فكان أول مال أصبته ، وكانت نسخة كتاب أبي تمام « يصل كتابي هذا على يد الوليد بن عبادة الطائي وهو على بذاذته شاعر فأكرموه »

قال البحتري أول ما رأيت أبا تمام أني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتي

أأفاق صب من هوًى فأُفيقا	أم خان عهداً أم أطاع شفيقا
ان السلو كما تقول لَراحة	لو راح قلبي للسلو مطيقا
هذا العقيق وفيه مرأى مونِق	للعين لو كان العقيق عقيقا
أشقيقةَ العَلَمين هل من نظرة	فتَبُلَّ قلباً للغليل شقيقا
وسَمتك أردية السماء بديمة	تحيي رجاء أو ترد عشيقا
ولئن تناول من بشاشتك البلى	طرَفاً وأوحش أنسك الموموقا
فلرب يوم قد غنينا نجتلي	مغناك بالرشأ الأنيق أنيقا
علّ البخيلة أن تجود بها النوى	والدار تجمع شائقاً ومشوقا

كذب العواذل أنت أقتل لحظة　　وأغض أطرافاً وأعذبُ ريقا
ماذا عليك لو اقتربت لموعد　　يُثني الجوى وسقيتنا الترنيقا
غدت الجزيرة فى جناب محمد　　ريَّا الجناب مغارباً وشروقا
برقت مخايله لهـــا وتخرقت　　فيها عزَالِي جوده تخريقا
صفحت له عنها السنون وواجهت　　أطرافُها وجه الزمان طليقا
رفع الأمير أبو سعيد ذكرها　　وأقام فيهـــا للمكارم سوقا
يستمطرون يداً يفيض نوالها　　فيُغرّق المحروم والمرزوقا
يقظ اذا اعترض الخطوب برأيه　　ترك الجليل من الخطوب دقيقا

الى أن انتهى منها ، فسرّ بها أبو سعيد وقال أحسنت والله يافتى وأجدت ، وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس فوق من حضر عنده تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل عليَّ وقال يافتى أما تستحيي مني ؟ هذا شعر لي تنتحله وتنشده بحضرتى ، فقال له أبو سعيد أحقاً تقول ؟ قال نعم وانما علقه مني فسبقني به اليك وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككني علم الله في نفسي وبقيت متحيراً ، فأقبل عليَّ أبو سعيد فقال يافتى قد كان فى قرابتك وودك لنا ما يغنيك عن هذا ، فجعلت أحلف له بكل مُحرِّجة الأيمان أن الشعر لي ماسبقنى اليه أحد ولا سمعته منه ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئاً ، وأطرق أبو سعيد وقطع بى حتى تمنيت أنى سخت فى الأرض ، فقمت منكسر البال أجرّ رجلى فخرجت فما هو الا أن بلغت الدار حتى خرج الغلمان فردونى ، فأقبل عليَّ الرجل فقال الشعر لك يا بنيّ والله ما قلته ولا سمعته الا منك ولكننى ظننت أنك تهاونت موضعي فأقدمت على الإنشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتى وتكاثرنى حتى عرّفنى الأمير نسبك وموضعك ولوددت ألاّ تلد أبداً طائية الا مثلك ، وجعل أبو سعيد يضحك ، ودعانى أبو تمام وضمنى اليه وعانقنى وأقبل يقرظنى

ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به ، ثم حظى البحترى بأبى سعيد وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه بعده ورثاهما بعد مقتلهما فأجاد ، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه ، وروى أنه قيل له فى ذلك ، فقال من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح لا كما قال الآخر ، وقد سئل عن ضعف مراثيه ، فقال كنا نعمل للرّجاء ونحن اليوم نعمل للوفاء وبينهما بعد

كان البحترى من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة وأبخلهم على كل شئ ، وكان له أخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعاً فاذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان ، فيرمى اليهما بثمن أقواتهما مضيقاً مقتراً ويقول كلا أجاع الله أكبادكما وأطال اجهادكما

اجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهى أحسن من القمر فقال لها ما اسمك ؟ قالت برهان ، قال ولمن هذا الماء ؟ قالت لستى قبيحة ، قال صبيه فى حلقى ، فشربه على آخره ، ثم قال للبحترى قل فى هذا شيئاً ، فقال

ما شربة من رحيق كأسها ذهب   جاءت بها الحور من جنات رضوان
يوماً بأطيب من ماء بلا عطش   شربته عبثاً من كف برهان

قدم البحترى النّيل على احمد بن على الاسكافي مادحاً له فلم يثبه ثواباً يرضاه بعد أن طالت مدته ، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها

ما كسبنا من احمد بن على   ومن النّيل غير حُمَّى النيل
وضلال منى وخسران سعى   طلبي النّيل عند غير منيل
يا أبا الصقر كم يد لك عندي   ذات عَرْض فى المكرمات وطول
كشفاء السقّام فى عقب يأس   من تلافيه أو شفاء الغليل
اكفنى دقة اللئام بتخفيـــفك ما آد من خراجى الثقيل

وهجاه بقصيدة أخرى أولها

قصة النّل فاسمعوها عُجابة   ان فى مثلها تطول الخطابة

ادعى التل فرقتان تلاحَوا آل عبد الأعلى وآل ثوابة
حكم العادل الجنيدى فيهم بصواب فلا عدمنا صوابه
احفروا التل يابنى عبد الأعلى وأثيروا صخوره وترابه
ان وجدتم فيه شباك أبيكم كنتمُ دون غيركم أربابه
أو وجدتم محاجماً ان حفرتم زال شك العطاية المرتابة
فبدت جونة من الخوص فيها آلة الشيخ وهو حد لبابة
خالد لا سقى الاله صداه فبنوه اللئام شانوا الكتابة

فجمع الى هجائه إياه هجاء أبي ثوابة ، فبلغ ذلك أحمد بن ثوابة ، فبعث اليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجها ولجامها ، فرده اليه وقال قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معها قبول رفدكم ، فكتب اليه ، أما الإساءة فمغفورة وأما المعذرة فمشكورة والحسنات يذهبن السيئات وما يأسو جراحك مثل يدك ، وقد رددت اليك ما رددته عليَّ وأضعفته ، فان تلافيت ما فرط منك أثبنا وشكرنا وان لم تفعل احتملنا وصبرنا ، فقبل ما بعث به وكتب اليه ، كلامك والله أحسن من شعري وقد أسلفتني ما أخجلني وحملتني ما أثقلني وسيأتيك ثنائي ، ثم غدا اليه بقصيدة أولها

ضلال لها ماذا أرادت الى الصد ونحن وقوف من فراق على حد
مزاولة أن تخلط الود بالقِلَى ومغرمة أن تلحق القرب بالبعد
رأت لِمَةً علَّي بياضاً سوادُها تعاقب مبيض عليها ومسود
فلا تسألا عن هجرها ان هجرها جنى الصبر يسقى مرُّه من جنى الشهد
ولا تعجبا من بخل دعد بنيلها وفى النفر الأعلَيْن أبخل من دعد
أضنٌ أخلاء وضن أحبة ؟ فلا خلة تصفى ولا خلة تجدى

يقول فيها

رحيل اشتياق مبرح وصبابة الى قرية النعمان والسيد الفرْد

الى سابق لا يعلق القوم شأوه ... بسعي ولا يهدون منه الى قصد

الى أبيض الأخلاق ما مرّ أبيض ... من الدهر الا عن جدى منه أو رفد

جدير اذا مازرته عن جنابة ... وان طال عهد أن يكون على العهد

وان أنا أهديت القريض مجازياً ... فلن يوكس المهدَى اليه ولا المهدى

مزايدة منى ومنـــه وكانا ... الى أمد دانى النصيب من البعد

تشذب من يعطى الرغائب دونه ... وبان به ما بان بالكوكب السعد

فمن أين جئنا جمة من عطائه ... وردناوسير العيس خمس الى الورد

يغض عن المرفوع من درجاته ... وانزيد فى سلطان ذى تدرإ نجد

ويخشى شذاه وهو غير مسلط ... وقد يتوقى السيف والسيف فى الغمد

اذا قارعوه عن علَى الأمر قارعوا ... صليب الصفا من دونها خشن الحد

وقال فيه بعد ذلك

برق أضاء العقيقُ من ضرَمه ... يكشف الليل عن دجى ظُلَمه

ذكرنى بالوَميض حين سرى ... من ناقض العهد ضوء مبتسمه

ثغر حبيب اذا تألق فى ... لماه عاد المحب فى لمَمه

مهفهف يعطف الوشاح على ... ضعيف مجرَى الوشاح منهضمه

يجذبه الثقل حين ينهض من ... ورائه والخفوق من أممـه

اذا مشى أدمجت جوانبه ... واهتز من قرنه الى قدمه

قد حال من دونه البعاد وتشـــريق صدور المطى فى لقمه

يقول فيها

متى تسلْ عن بنى ثوابة يخـبر ... ك السحاب المحبوك عن ديمه

تُبلّ من مَحلها البلاد بهم ... كما يُبِل المريض من سقمه

أقسمت بالله ذى الجلالة والعـــز ومثلى من برّ فى قسمه

وبالمصلى ومن يطيف به والحجَر المبتغى ومستلمه
اذا اشرأبُّوا له فملتمس بكفه أو مقبّل بفمه
ان المعالى سلكن قصد أبى الـعباس حتى عُددن من شيمه
معظَّم لم يزل تواضعه لآمليه يزيد فى عظمه
غير ضعيف الوفاء ناقصه ولا ظنين التدبير متهمه
ما السيف عضباً يضىء رونقه أمضى على النائبات من قلمه
حامى على المكرمات مجتهداً جهد المحامى عن ماله ودمه
ما خالف الملك حالتيه ولا غيَّر عز السلطان عن كرمه
تم على عهده القديم لنا والسيل يجرى على مدَى قدمه
يدنو الينا بالأُنس وهو أخ للنجم فى بَأوه وفى بُدُمه
اذا رأينا ذوى عنايته لديه خلناهمُ ذوى رحمه
وان نزلنا حريمه فلنا هناك أمن الحمام فى حرمه
كان له الله حيث كان ولا أخلاه من طَوله ومن نعمه
حاجتنا أن تدوم مدته وسؤلنا أن نعاذ من عدمه
له أياد عندى ولي أمل ما زال فى عهده وفى ذممه

وقال فيه أيضاً

أن دعاه داعي الهوى فأجابه ورمى قلبه الصبا فأصابه
عبت ما جاءه ورب جهول جاء ما لا يعاب يوماً فعابه
ليت شعرى غداة يغْرَى بسُعدى أي شىء من الرباب أرابه
أهوِ الجد من صريمة عزم أم هو الهزل فى الهوى والدُّعابه
خون عين لم أحتسبه وقلب لم أخف يوم رامتين انقلابه
بات يخشى على البعاد اجتنابي شق نفس قد كنت أخشى اجتنابه

صافحاً عن خفي ذنبي وقد صا ... فحت في ساعة الوداع خضابه
رشأ ان أعاد كر بلحظ ... أشعل القلب مضنياً أو أذابه

يقول فيها

قد مدحنا ايوان كسرى وجئنا ... نستثيب النعمى من ابن ثوابة
بيت فخر كان الغنى لو يوافى ... زائر البيت عنده أربابه
واذا ما أخل بالحق قوم ... فمن الحق أن تنوب القرابة
أنتم منهم خلا ما لبستم ... بعدهم من معار زي الكتابة
همم في السماء تذهب علوا ... ورباع مغشية منتابة
ورجال ان ضيع الناس أمراً ... حفظوا المجد أن يضيعوا طلابه
ما سعوا يخلفون غير أبيهم ... كل ساع منا يريد نصابه
جمعتهم أكرومة لم يجوزوا ... منتهاها جمع القداح الربابة
خلق فيهم تردد فيهم ... ولبته عصابة عن عصابة
كالحسام الجراز يبقى على الدهـ ... ـر ويفني في كل عصر قرابه

ولم يزل ابن ثوابة يصله بعد ذلك ويتابع بره لديه حتى افترقا

كان نسيم غلام البحترى الذى يقول فيه

دعاعبرتي تجرى على الجور والقصد ... أظن نسيماً قارف الهم من بعدى
خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه ... فيا عجبا للدهر فقد على فقد

غلاماً رومياً ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه ويعتمد أن يصيره الى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفق عنده الأدب ، فاذا حصل في ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفى الناس أمره

حدث البحترى قال قال لي أبو تمام بلغنى أن بني حميد أعطوك مالاً جليلاً

فيما مدحتهم به فأنشدني ، فأنشدته بعض ما قلتـه فيهم ، فقال لي كم أعطوك ؟ فقلت كذا و كذا ، فقال ظلموك والله ماوفوك حقك فلم أستكثر مادفعوه اليك والله لبيت منها خير مما أخذت ، ثم قال لعمرى لقد استكثرت واستكثر لك لما مات الناس وذهب الكرام وغاضت المكارم فكسدت سوق الأدب ، أنت والله يابنى أمير الشعراء غداً بعدي ، فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت له والله هذا القول أسر لقلبي وأقوى لنفسي مما وصل اليّ من القوم

حدث أبو العَنْبَس الصيمرى قال كنت عند المتوكل والبحترى ينشد

عن أى ثغر تبتسم ... و بأى طرف تحتكم

حسن يَضَن بوصله ... والحسن أشبه بالكرم

أفديه من ظلم الوشا ... ة وان أساء وان ظلم

يهنيك أنك لم تذق ... سُهْداً وانيَ لم أنم

وكأن فى جسمي الذى ... فى ناظريك من السقم

أقسمت بالبيت الحرا ... م وحرمة الشهر الأصم

وعلى أمير المؤمنيـــن فانها حق القسم

لقد اصطفى رب السما ... ء له الخلائق والشيم

ملك غدا وجبينه ... شمس الضحى بدر الظلم

قل للخليفة جعفر الــمتوكل بن المعتصم

للمرتضى ابن المجتبي ... والمنعم ابن المنتقم

أما الرعية فهى من ... أمنات عدلك فى حرم

نعم عليها في بقا ... ئك فلتتمّ لها النعم

يا بانى المجد الذي ... قد كان قُوض فانهدم

اسلم لدين محمد ... فاذا سلمت فقد سلم

نلنا الهدى بعد العمى بك والغنى بعد العدم

وكان البحترى من أبغض الناس انشاداً ، يتشادق ويتزاور فى مشيه ، مرة جانباً ومرة القهقرى ، ويهز برأسه مرة ومنكبيه أخرى ، ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ، ثم يقبل على المستمعين فيقول مالكم لاتقولون أحسنت ؟ هذا والله مالايحسن أحد أن يقول مثله ، فضجر المتوكل من ذلك وأقبل عليَّ وقال أما تسمع ياصيمرَى ما يقول ؟ فقلت بلى ياسيدى فمرنى فيه بما أحببت ، فقال بحياتى اهجُه على هذا الروى وأنشدنيه ، فقلت تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول ، فدعا بدواة وقرطاس وحضرنى على البديهة أن قلت

أدخلت رأسك فى الرحم وعلمت أنك تنهزم
يا بحتري حذار ويـــحك من قضاقضة ضُغُم
فلقد أسلت بوالديـــك من الهجاسيل العَرِم
فبأي عرض تعتصم وبهتكه جف القلم
والله حلفة صادق وبقبر أحمد والحرم
وبحق جعفر الاما م ابن الامام المعتصم
لأُصيرنك شهرة بين المسيل الى العلم
حيث الطلول بذى سلم حيث الأَراكة والخيم
يا ابن الثقيلة والثقيـــل على قلوب ذوى النعم
وعلى الصغير مع الكبيـــر ابن الموالي والحشم

فغضب وخرج يعدو وجعلت أصيح به « وعلمت أنك تنهزم » والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عن عينه ، قال أحمد بن زياد فحدثني أبي قال جاءنى البحترى فقال يا أبا خالد أنت عشيرتى وابن عمي وصديقي وقد رأيت ماجرى عليَّ أفتأذن لى أن أخرج الى منبج بغير اذن ؟ فقد ضاع العلم وهلك الأدب ، فقلت لاتفعل

من هذا شيئاً فان الملوك تمزح بأعظم مماجرى ومضيت معه الى الفتح فشكا اليه ذلك فقال له نحواً من قولي ووصله وخلع عليه فسكن الى ذلك

ومن شعره وفيه غناء

كم ليلة فيك بت أسهرها ... ولوعة من هواك أضمرها

وحرقة والدموع تطفئها ... ثم يعود الجوى فيُسعرها

يا علو علّ الزمان يعقبنا ... أيام وصل نظلّ نشكرها

بيضاء رُود الشباب قد غُمست ... فى خجل دائبا يعصفرها

مجدولة هزها الصبا فشجا ... قلبك مسموعها ومنظرها

لا تبعث العُود تستعين به ... ولا تبيت الأوتار تخفرها

الله جار لها فما امتلأت ... عينى الا من حيث أبصرها

ومن قوله يرثى سليمان بن وهب

أأخيّ نهنه دمعك المسفوكا ... ان الحوادث ينصرمن وشيكا

ما أذ كرتك بمُترَح صَرف الجوى ... الا ننتنه بمفرح ينسيكا

الدهر أنصف منك فى أحكامه ... اذ كان يأخذ بعض ما يعطيكا

وقليل هذا السعى يَكسبك الغنى ... ان كان يغنيك الذى يكفيكا

نلقى المنون حقائقاً وكأننا ... من غِرّة نلقى بهن شكوكا

لا تركنن الى الخطوب فانها ... لُمَع تدرك مرة وتسوكا

هذا سليمان بن وهب بعدما ... طالت مساعيه النجوم سُموكا

وتنصّف الدنيا يدبر أهلها ... سبعين حولاً قد تمن دكيكا(1)

أغرت به الأقدار بَغت ملمة ... ما كان رسم حديثها مأفوكا

فكأنما خَضَدَ الحِمام بيومه ... غصناً بمنخرق الرياح نهيكا

(1) دكيك تام

بلغ عبيد الله فارع مَذْحج   شرفاً ومعطى فضلها تمليكا

ما حق قدرك أن أحمل مرسلاً   غيرى اليك ولو بعثت ألوكا(١)

أنت الذى لو قيل للجود اتخذ   خلاً أشار اليك لا يعدوكا

وكأنما آليت والمعروف لا   تألوه مصطفياً ولا يألوكا

ان الرزيئة فى الفقيد فان هفا   جزع بصبرك فالرزيئة فيكا

ومتى وجدت الناس إلا تاركاً   لحميمه فى الترب أو متروكا

بلغ الارادة أن فداك بنفسه   ووددِت لو تفديه لا يفديكا

لو ينجلى لك ذخرها من نكبة   جلَل لأضحكك الذي يبكيكا

ولحال كل الحول من دون الذى   قد بات بسخطك الذى يرضيكا

ما يوم أمك وهو أروع نازل   فاجك الا دون يوم أبيكا

كلم أعيد على حَشاك ولحة   مما عهدت الحادثات تُريكا

وفجيعة الأيام قسم سويت   فيه البرية سُوقة وملوكا

غِبٌّ توزعه الأنام تُحفة   ألاَّ تزال تصيب فيه شريكا

(١) الألوك الرسالة

شعراء حكم

أبو نواس [1]

هو الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصباح الحَكَمِي من حكم بن سعد العشيرة بن مالك اخوة طيء ، وأبو نواس كنيته ونواس من أسماء ملوك اليمن

نشأ أبو نواس بالبصرة وقرأ القرآن على يعقوب الحضْرمى ، فلما حذَق القرآن رمى اليه يعقوب بخاتمه وقال اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة ، وكان حسن الوجه رقيق اللون أبيض حلو الشمائل ، وكان فى رأسه سماحة وتسفيط ، وكان ألثغ بالراء يجعلها غيناً ، وكان نحيفاً وفى حلقه بُحَّة لا تفارقه ، قال الجاحظ ما رأيت أحداً كان أعلم باللغة من أبى نواس ولا أفصح لهجة منه مع حلاوة ومجانبة لاستكراه

ثم كبر وتأدب وصحب أهل الجد والمجّان واشتهى الكلام فقعد الى أصحابه فتعلم منهم شيئاً من الكلام ثم دعاه ذلك الى الزندقة ، ثم مجَن فى شعره وشخص الي مدينة السلام فأقام بها وعاشر الملوك فحط منه مجونه ووضعه خبث لسانه وكثرة شغْبه وعبثه

وكان ينادم ولد المهدى ويلازمهم فلم يُلْقَ مع أحد من الناس غيرهم ، ثم نادم القاسم ابن الرشيد ولقى منه أشياء كرهها وكرهت له ففارقه

ثم جلس أبو نواس الى الناشىء الراوية فقرأ عليه شعر ذى الرُّمَّة فأقبل الناشىء على أبيه هانىء وقال له ان عاش ابنك هذا وقل الشعر ليقولنه بلسان شتوم

ثم اتصل بوالبة بن الحُباب الأسدى ، لقيه بدار النجاشى الأسدى والى الأهواز للمنصور ، فقال له والبة انى أرى فيك مخايل فلاح وأرى أنك لا تضيعها

(١) من ترجمة أبى نواس المحفوظة بدار الكتب الملكية لابن منظور

ومتقول الشعر وتعلو فيه فاصحبني حتى أخرجك ، فقال ومن أنت ؟ قال أبو أسامة ، قال والبة ؟ قال نعم ، قال أنا والله جعلت فداك فى طلبك ، وقد أردت الخروج الى الكوفة والى بغداد من أجلك ، قال ولماذا ؟ قال شهوة للقائك ولأبيات سمعتها لك ، قال وماهى ؟ فأنشده

ولها ولا ذنب لها   حب كأطراف الرماح

جرحت فؤادي بالهوى   فالقلب مجروح النواحى

سلّ الخليفة صارماً   هو للفساد وللصلاح

أجداه كف أبي الوليـد يداً مبارية الرياح

ألقى بجانب خصره   أمضى من الأجل المُتاح

وكأنما ذرّ الهبا   ء عليه أنفاس الرياح

فمضى معه ، ثم سأله أن يخرج الي البادية مع وفد بنى أسد ليتعلم العربية والغريب فأخرجه مع قوم منهم ، فأقام بالبادية سنة ، ثم قدم ففارق والبة ورجع الى بغداد

جاء أبو نواس الى بشار فأنشده قصيدته اللامية التى يصف فيها النخل فاستحسنها ، فلما خرج قال بشار لقد حسدت هذا الغلام على هذا وما أخرج منه عن قول شاعر الكوفة « يعني والبة »

وكان أبو نواس متكلماً جَدِلاً راوية نحلاً رقيق الطبع ثابت الفهم فى الكلام اللطيف ، ويدل على معرفته بالكلام أشياء من شعره منها قوله

وذات خد مورَّد   فضيّة المتجرد

تأمّلُ العين منها   محاسناً ليس تنفد

فبعضه قد تناهى   وبعضه يتولد

والحسن فى كل شيء   منها معاد مردد

ومنها قوله

يا عاقد القلب عنى هلا تذكرت حلاً
تركت غيي قليلاً من القليـل أقلاً
يكاد لا يتجزى أقل فى اللفظ من لا

ومنها قوله في امرأة اسمها حسن

ان اسم حسن لوجهها صفة ولا أرى ذا في غيرها جمعا
فهى اذا سميت فقد وصفت فيجمع الاسم معنيين معا

ومن قوله فيما يتعلق بالحكمة

قل لزهير اذا حدا رشدا أقلل أو اكثر فأنت مهذار
سَخُنْتَ من شدة البرد حتى صرت عندى كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتى كذلك الثلج بارد حار

هذا شيء أخذه أبو نواس من مذهب حكماء الهنـد فانهم يقولون ان الشيء اذا أفرط في البرودة انقلب حاراً ، وقالوا ان الصندل يحك منه اليسير فيبْرُد فاذا أكثر منه سخن

قالوا كان أبو نواس دعياً يخلط فى دعوته فمن ذلك قوله يهجو عرب البصرة

ألا كل بصري يرى انما العلا مكمّهة سُحُق لهن جَرين (١)
فان تغرسوا نخلاً فان غراسنا ضراب وطعن فى النحور سخين
فان أك بصرياً فان مهاجَري دمشق ولكن الحديث فنون
مجاور قوم ليس بيني وبينهم أواصر الا دعوة وظنون
اذا مادعا باسمى العريف أجبته الى دعوة مما علىَّ تهون

ثم هجا اليمن فى هذه القصيدة بقوله

(١) المكمهة الغراس الكثيرة والسحق الطويلة يريد النخل والجرين الحب المحصود

لأزد عمان بالمهلب نَزوة　　اذا افتخر الأقوام ثم تلين
وبكر ترى أن النبوة أنزلت　　على مِسمَع فى الرَّحْم وهو جنين
وقالت تميم لا نرى أن واحداً　　كأحنفنا حتى الممات يكون
فما لمت قيساً بعدها فى قتيبة　　ونخر به ان الفخار فنون

وانما نشأ أبو نُواس بالبصرة وليس له بدمشق قبل ولا بعد

ومما هجا به اليمن أيضاً قوله لهاشم بن حُديج

وردنا على هاشم مصره　　فبارت تجارتنا عنده

يقول فيها

رأيتك عند حضور الخِوان　　شديداً على العبد والعبدة
وتحتدّ حتى يخاف الجليس　　شذاك عليه من الحدة
وتختم ذاك بفخر عليه　　بكِندة فاسلح على كندة
فان حديجاً له هجرة　　ولكنها زمن الردة
وما كان ايمانكم بالرسول　　سوى قتلكم صهره بعده
تعدونها في مساعيكمُ　　كعد الأهلة معتدة
وما كان قاتله في الرجال　　بحمل لطُهْر ولا رِشدة
فلو شهدته قريش البطاح　　لما محشت ناركم جلده (١)

وقوله أيضاً

ما منك سلمى ولا أطلالها الدُّرُس　　ولا نواطق من طير ولا خُرُس
ياهاشم بن حديج لو عددت أباً　　مثل القَلَمَّس لم يعلَق بك الدنس
اذ صبح الملكَ النعمان وافده　　ومن قُضاعة أسرى عنده حُبُس
فابتاعهم باخاء الدهر ما عمروا　　فلم ينل مثلها من مثلهم أنَس

(١) المحش قشر الجلد عن اللحم

أو رحت مثل حُوَيّ فى مكارمه ... هيهات منك حُوَيّ حين يلتمس

أو كالسَّمَوْءل اذ طاف الهمام به ... فى جحفل لجب الأصوات يرتجس

فاختار ثُكْلاً ولم يغدر بذمته ... اذ قيل أشرف ترَ الأوداج تنبجس

ما زاد ذاك على تيه خصصت به ... وكيف يعدل غير السوءة الغرس

وقوله

يا هاشم بن حديج ليس فخركمُ ... بقتل صهر رسول الله بالسَّدد

أدرجتمُ فى إهاب العيْر جثته ... فبئس ما قدمت أيديكمُ لغد

ان تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت ... حُجْرًا بدارة مَلحوب بنو أسد

وطرَّدوكم الي الأجبال من أجاء ... طرد النعام اذا ما تاه فى البلد

وقد أصاب شَراحيلا أبو حَنَش ... يوْمَ الكُلاب فما دافعتمُ بيد

ويوْمَ قلتم لزيد وهو يقتلكم ... قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد

وكل كندية قالت لجارتها ... والدمع ينهلّ من مثنى ومنفرد

ألهى امرأ القيس تشبيب بغانيه ... عن ثأره وصفات النُّوْء والوتد

وكان أبو نُواس في أول دعوته ادعى أنه من ولد عبيد الله بن زياد بن ظَبيان من بنى عامر بن تيم اللات بن ذُهْل بن ثعلبة ، فقيل لأبى نواس ان الرجل الذى تدعى اليه لا عقب له فلو قلت انك من ولد أخيه أبان بن زياد قلنا معك ، فاستحيا أبو نُواس وهرب من بني تيم اللات وقد كان يراقبهم ، ثم طلب الأخبار واستعد وتفرغ عن المثالب والأنساب لمكان هذه القضية وأقام لهذه الغلطة بالبصرة فى العطارين ، فاذا كان العشى أتى أبا عبيدة يسأله أخبار العرب وأيام الناس ، ثم اختلف الى أبي محمد خلَف الأحمر مولى الأشعريين فكان يسأله عن الشعر ومعانيه ، ورثى خلفا بعد موته بقصائد من شعره منها قصيدته التى أولها قوله

لو كان حيّ وائلاً [١] من التلف ... لوأَلت شغْواء فى أعلى شعف
أم فُرخ أحرزته فى لَجَف [٢] ... مزَغَّب الألغاد لم يأ كل بكف
كأنه مستقعد من الخرَف ... هانيك أو عصماء فى أعلى شرف
تروغ فى الطُّبّاق [٣] والنَّدْع الألفّ ... أودى جميع العلم مذ أودى خلَف
من لا يعدّ العلم الا ما عرف ... قَلَيذَم [٤] من العيالِم الخُسُف
كنا متى نشاء منه نغترف ... رواية لا تُجتنى من الصحف

ومنها قوله يرثيه

لا تئل العُصْم فى الهضاب ولا ... شَغْوَاء تغذو فرخين في لَجَف
يُكنّهـا الجو فى النهار ويُؤْ ... ويها سواد الدجى الى شَرَف
تحنو بجُؤْشوشها [٥] على ضَرِم ... كقعدة المنحني من الخرَف
ولا شَبوب [٦] باتت تؤرقه النَّـــثْرة منهـا بوابل قَصِف
دانٍ على الأرض والوَصيد [٧] وفى ... بَهْو أمين الإياد ذى هَدَف
دَيْدَنه ذاك طول ليـــلته ... حتى اذا انجاب عنه حاجب السَّدَف
غدا كوقف الهلوك ينهفت الـــقِطْقِط [٨] من منبتيه والـكتف

(١) ناجيا والشغواء العقاب لزيادة منقارها الأعلى على الأسفل والشعف رءوس الجبال
(٢) اللجف الغار فى الجبل وزغب صار ذا زغب وهو صغار الريش والالغاد جمع لغد بالضم وهو لحمة فى الحلق (٣) الطباق والندع نوعان من الشجر (٤) القليذم البئر الغزيرة والعيالم جمع عيلم وهو البئر الكثيرة الماء والخسف جمع خسيفة وهى البئر التى حفرت في حجارة فنبع منها ماء غزير لاينقطع (٥) الجؤشوش الصدر والضرم فرخ العقاب (٦) الشبوب الشاب من الثيران والغنم والنثرة منزلة من منازل القمر (٧) الوصيد بيت كالحظيرة يتخذ من الحجارة للمال أى الغنم وغيرها في الجبال والاياد التراب يجعل حول الحوض أو الخباء يقوى به أو يمنع ماء المطر والهدف كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل (٨) القطقط المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر وقيل هو دون الرذاذ وقيل البرد أو صغاره وانهفت انخفض واتضع

كأن شذراً وهت معاقده بين صَلاه فملعب الشنف

وأخدرىّ صُلْب النواهق صلـــصال أمين الفصوص والوُظُف

منفرد فى الفلاة توســعه ريّاً وما يختليه من علف

ما ترك الموت من أولى شبحا بادت بتلك القِلال والشَّعَف

لما رأيت المنون آخذة كل شـديد وكل ذى ضعف

بت أعزى الفؤاد عن خلف وبات دمعى إلاَّ يفض يكف

أنسى الرزايا ميت فُجِعت به أمسى رهين التراب فى جدف

كان يُسَنِّى (١) برفقه غُلُقا فى غير عِيٍّ منـــه ولا عُنُف

يجوب عنك التى عَشِيت بها من قبل حتى يشفيك فى لطف

لا يهم الحاء فى القراءة بالخا ء ولا لامهـــا مع الألف.

ولا يعمّى معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف

وكان ممن مضى لنا خلفاً فليس منه اذ بان من خلف

واختلف أبو نواس الى أبى زيد فكتب الغريب من الألفاظ ، ثم نظر فى نحو سيبويه ، ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد وأزهر السمَّان وغيرهم فلم يتخلف عن أحد وأدرك الناس فعلم ، ثم قدم بغداد بعد ذلك

وكان أيضاً يتنزر ويدعى للفرزدق ثم وقع بينه وبين الحكم بن قنبر المازنى فهجاه الحكم وذكر بريه العود وبغى عليه ونكبه ، ولما قال أبو نواس قصيدته التى يهجو بها خِنْدِف وهى

ألم تربع على الطلل الطَّماس (١) عفاه كل أسحم ذى ارتجاس

وذارى الترب مُرْتكم حصاه نسيج الميْث مِعنَقة الدَّهاس (٣)

(١) سناه تسنية سهله وفتحه (٢) طماس بالكسر دارسة والأسحم السحاب والارتجاس الرعد (٣) المعنقة حبل من الرمل

سوى سفْعٍ أعارتها الليالى ... سواد الليل من بعد اغبساس[١]
وأورق حالفَ المثواة هابٍ ... كضاوىّ الفراخ من الهُلاس[٢]
منازل من عفُيْرة أو سليمى ... أو الدَّهماء أخت بني الِحماس
كأن معاقد الأوضاح منها ... بجيد أغنَّ نوَّم فى الكِناس
وتبسم عن أغرّ كأن فيه ... مُجاج سلافة من بيت راس
فمن ذا مبلغٌ عمراً رسولاً ... فقد ذكَّرت ودك غير ناس
فلم أهجرك هجر قِلىً ولكن ... نوائب لا تزال لها تقاسى
نوائب تعجز الأدباء عنها ... ويعيا دونها اللَّقِن النِّطاسى
وقد نافحت عن أحساب قوم ... همُ ورثوا مكارم ذى نُواس
فان تك أوقدت للحرب نار ... فما غطيت خوف الحرب راسى
سأُبلى خير ما أبلى محام ... اذا ما النبل أُلجم بالقِياس[٣]
وسَمت الوائلين بفاقرات ... بهن وسَمت رهط أبى فِراس
وقالت كاهل وبنو قُعَينٍ ... حنانك اننا لسنا بناس
فما بال النعاج ثغت بشتمى ... وفى زَمَعاتهن دم الفراس
وماحامت عن الأحساب الا ... لترفع ذكرها بأبى نُواس

عارضه الحكم وهجاه فانقلب على النزارية وادعى أنه من حاء وحَكَم ، فزجره يزيد بن منصور الحميري خال المهدي وقال له أنت خُوزى فمالك ولحاء وحكم ؟ فقال له أنا مولى لهم ، فتركوه ، وقال بعضهم لبعض انه لظريف اللسان غزير العلوم فدعوه ، وبهذا الولاء يتعصب لنا ويكايد عنا ويهجو النزارية ، فكان كما قلوا وكما ظنوا ، فانقلب الى اليمن وعدل عن كنيته بأبى فراس وا كتنى بأبى نُواس تشبهاً

(١) الاغبساس بياض فيه كدرة والسفع يريد بها الاثافى (٢) الهلاس الضمور والضاوى وهاب لونه لون الهباء (٣) جمع قوس

بكنية ذى نُواس كما كانت اليمن تكتنى ، وندم على هجاء اليمن ووجدهم له أنصر ولدعوته أقبل ، فاعتذر الى هاشم بن حديج الكِنْدِي من هجائه ومدح اليمن فقال

أهاشم خذ مني رضاك وان أتى ... رضاك على نفسي فغير ملَوم

فأقسم ما جاوزت بالشتم والدى ... وعرضى وما مزقت غير أديمي

فعُذت بحَقْوَى هاشم فأعاذنى ... كريم أراه فوق كل كريم

وان امرأً أغضى على مثل زلّتى ... وان جرحت فيه لجِدّ حليم

تطاول فوق الناس حتى كأنما ... يَرَوْنَ به نجماً أمام نجوم

اذا امتازت الأحساب يوماً بأهلها ... أناخ الى عاديّة وصميم

الى كل معصوب به التاج مِقْوَل ... اليـــه أيادى عامر وتميم

وكان قبل أن ينتمي لليمن ويدعى لنزار يتعاجم في شعره ، فن ذلك قوله

فاسقنيها وغن صو ... تاً ، لك الخير ، أعجما

ليس في نعت دِمْنة ... لا ولا زجر أشأما

وقوله

ودار ندَامَى عطلوها وأدلجوا ... بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق على الثرى ... وأضغاث ريحان جنيّ ويابس

حبست بها صحبي فجددت عهدهم ... وانى على أمثال تلك لحابس

ولم أدر منهم غير ما شهدت به ... بشرقىّ ساباطَ الديار البَسابس

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ... ويوماً له يوم الترحل خامس

تدار علينا الراح فى عسجديّة ... حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفى جنباتها ... مهًى تدّريها بالقسِي الفوارس

فللخمر[1] ما زُرّت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليـه القلانس

(١) يعنى أن الخمر مصبوب فيها الى حلوق الصور صرفاً وقوله وللماء يعنى انهم صبوا الماء فى مزجها حتى علا رءوسها

وقوله يصف كَرْمة وعبر عنها بالهَجمة وهو يريد الدنان

لنا هَجمة لا يدرك الذئب سَخْلها ... ولا راعها نَزْو الفِحالة والخطَرْ

اذا امتحنت ألوانها مال صفوها ... الى الكُمْت الا أن أوبارها خضر

وان قام فيها الحالبون أتتهمُ ... بنجلاء[1] ثقب الجوف دِرتها الخمر

مسارحها الغربيّ من نهر صَرْصر ... فقُطْرَبُّل فالصالحيـــة فالعقر

تراث أبي ساسان كسرى ولم تكن ... مواريث ما أبقت تميم ولا بكر

قصرت بها ليــلي وليل ابن حرة ... له حسب زاكٍ وليس له وَفْ

وفي تعاجم أبي نواس فى شعره يقول الرّقاشي يهجوه

نَبَطِيّ فاذا قيـــل له ... أنت مولى حكم قال أجَل

هو مولى الله اذ كان به ... لاحقاً فالله أعلى وأجل

واضعاً نسبته حيث اشتهى ... فاذا مارابه ريب رَحَل

فقال أبو نواس يهجوه

هجوت الفضل دهرى وهوعندى ... رقاشي كما زعم المســول

فلما سوئلت عنه رَقاش ... لنعــلم ما تقول وما يقول

ولما أن نصصناه اليها ... لتعــلم ما يقال وما نقول

وجدنا الفضل أبعد من رقاش ... من الأُتْن ادعت فيها الفُيول

وجدنا الفضل أكرم من رقاش ... لأن الفضل مولاه الرسول

يريد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم أنا مولى من لا مولى له

وقال أيضاً يهجوه

قل للرّقاشى اذا جئتـــه ... لو متّ يا أحمق لم أهجُكا

---

(١) يريد بالنجلاء البزال وهو موضع سيل الشراب من المبزل

لأني أكرم عرضي ولا أقرنه يوماً الى عرضكا
ان تهجني تهج فتى ماجداً لا يرفع الطرف الى مثلكا
دونك عرضي فاهجه راشداً لا تدنس الأعراض من هجوكا
والله لو كنتُ جريراً لما كنت بأهجى لك من أصلكا

وقال أيضاً يهجوه

يا عربياً من صنعة السوق وصنعة السوق ذات تشقيق
ما رأيكم يا نزار في رجل يدخل فيكم من خلق مخلوق
ويحمل الوطب والعلاب ولا يصلح الا لحمل ابريق
لقد ضربنا بالطبل أنك في الـقوم صحيح وصيح في البوق
قد أخذ الله من رقاش على تركهم المجـد بالمواثيق
فالناس يسعون للعلا قدماً وهم وراءه مكسرو السوق
هذا كذاكم وفي الهياج اذا هيج فما شئت من بواشيق

وقال أيضاً يهجوه

أصبح الفضل ظاهر التيه وذاك مذ صرت أهاجيه
لله شعري أي مفواهة لكل من دوني قوافيه
كم بين فضل منذ هاجيته وبينه قبل أهاجيه
فالحمد لله وان كنت لم أحفل بقوم نصحوا فيه
رضيت أن يشتمني ساقط شبعى خيرٌ من مواليه

وكان أبو نواس في دعاويه يتماجن ويعبث ويخفى نسبه واسم امه لئلا يهجى ، وذلك مشهور عنه ولو غضب هو نفسه على أبيه لهجاه ولم يحتشم ، والمذكور من أمره أنه كان مولى الحكميين يفتخر باليمن ويمدحهم لذلك ويمدح العجم ويذكرهم لأنه منهم ، فلذلك قال في العجم ما قال

وصف العلماء لشعره

كان أبو عبيدة يقول ذهبت اليمن بجد الشعر وهزله ، امرؤ القيس بجده وأبو نواس بهزله ، وكان يقول ذهبت اليمن بجيد الشعر فى قديمه وحديثه ، امرؤ القيس في الأوائل وأبو نواس في المحدَثين ، وكان يقول شعراء اليمن ثلاثة امرؤ القيس وحسان بن ثابت وأبو نواس ، وقال أيضاً أبو نواس فى المحدَثين مثل امرىء القيس في المتقدمين فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعانى وأرشدهم الى طريق الأدب والتصرف في فنونه ، وكان يقول يعجبني من شعر أبي نواس قوله

بنينا على كسرى سماء مُدَامة ... مكلَّلة حافاتهـــا بنجوم

فلو رُدَّ في كسرى بن ساسان روحه ... إذاً لاصطفانى دون كل نديم

وسئل يعقوب بن السكّيت عما يختار روايته من أشعار الشعراء ، فقال اذا أردت من الجاهليين فلامرىء القيس والأعشى ، ومن الإسلاميين فلجرير والفرزدق ومن المحدَثين فلأبى نواس فحسب ، وقيل للعتبى من أشعر الناس ؟ قال عند الناس أم عندى ؟ قيل عند الناس ، قال امرؤ القيس ، قيل فعندك ، قال أبو نواس

وقال عبد الله بن محمد بن عائشة من طلب الأدب فلم يَرْوِ شعر أبي نواس فليس بتام الأدب ، وسئل من أشعر المحدَثين ؟ فقال الذى يقول

كأن ثيابه أطلعـــن من أزراره قمرا

يزيدك وجهه حسناً ... اذا ما زدته نظرا

بعين خالط التفتيـــر من أجفانها الحورا

ووجه سابريّ لو ... تصوَّب ماؤه قطرا

وقد خطَّت حواضنه ... له من عنبر طُرُرا

وقال ابراهيم بن العباس الطويل اذا رأيت الرجل يحفظ شعر أبي نواس علمت أن ذلك عنوان أدبه ورائد ظرفه

وكان أبو نواس يقول عن نفسه ، سفلت عن طبقة من تقدمني من الشعراء وعلوت عن طبقة من معى ومن يجيء بعدى فأنا نسيج وحدى

وحدث جماعة من الرواة ممن شاهد أبا نواس قالوا كان أقل ما فى أبي نواس قول الشعر وكان فحلاً راوية عالماً

وقال أبو عبيدة بلغنى أن أبا نواس يتعاطى قرض الشعر فتلقانى وهو سكران ماطرٌ شاربه بعد ، فقلت له كيف فلان عندك ؟ فقال ثقيل الظل ، جامد النسيم ، فقلت زد ، فقال مظلم الهواء منتن الفناء ، فقلت زد ، فقال غليظ الطبع بارد الشكل ، قلت زد ، فقال وخم الطلعة عسر القلعة ، قلت زد ، قال نائى الجنبات بارد الحركات ، قال نخففت عنه ، فقال زدنى سؤالاً أزدك جواباً ، فقلت كفى من القلادة ما أحاط بالعنق

وقال سليمان بن أبي سهل لأبى نواس ما الذى استجيد من أجناس شعرك ؟ فقال أشعارى في الخمر لم يقل مثلها ، وأشعارى فى الغزل فوق أشعار الناس ، وهما أجود شعرى ان لم يزاحم غزلي ما قلته فى الطرد ، وكان يقول ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال ؟ وانى لأروى سبعمائة أرجوزة ما تعرف ، وكان قد استأذن خلفاً فى نظم الشعر فقال لا آذن لك في عمل الشعر الا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة ، فغاب عنه مدة وحضر اليه فقال له قد حفظتها ، فقال أنشدها ، فأنشده أكثرها في عدة أيام ، ثم سأله أن يأذن له في نظم الشعر ، فقال له لا آذن لك الا أن تنسي هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها ، فقال له هذا أمر يصعب على فانى قد أتقنت حفظها ، فقال له لا آذن لك الا أن تنساها ، فذهب الى بعض الديرة وخلا بنفسه وأقام مدة حتى نسيها ، ثم حضر فقال قد نسيتها حتى كأن لم أكن قد حفظتها قط ، فقال له الآن فانظم الشعر

وكان أبو نواس يقول لا أكاد أقول شعراً جيداً حتى تكون نفسي طيبة وأكون في بستان مونق وعلى حال ارتضيها من صلة أوصل بها أو وعد بصلة ، وقد قلت وأنا على غير هذه الحال أشعاراً لا أرضاها ، وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياماً ثم يعرضها على نفسه فيسقط كثيراً منها ويترك صافيها ولا يسره كل ما يقذف به خاطره ، وكان يهمه الشعر فى الخمر فلا يعمله الا في وقت نشاطه ، ولم يكن فى الشعر لا بالبطىء ولا بالسريع بل كان فى منزلة وسطى

وكان الأصمعي يقول يعجبني من شعر الشاعر بيت واحد قد أجاد قائله وهو

ضعيفة كَرّ الطرف تحسب أنها   قريبة عهد بالافاقة من سقم
وانى لآتى الأمرَ من حيث يتقى   ويعلم سهمى حين أنزع من أرمى

قال العتابي لرجلين تناظرا فى شعر أبى نواس والله لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه أحد

وقال أبو عمرو الشيبانى أشعر الناس في وصف الخمر ثلاثة الأعشى والأخطل وأبو نواس

قال محمد بن عمر لم يكن شاعر في عصر أبى نواس الا وهو يحسُده لميل الناس اليه وشهوتهم لمعاشرته وبعد صيته وظَرْف لسانه

وقال أبو حاتم سئل أبو نواس عن شعره فقال اذا أردت أن أجدّ قلت مثل قصيدى « أيها المنتاب عن عُفْرُه » واذا أردت العبث قلت مثل قصيدى « طاب الهوى لعميده » فأما الذى أنا فيه وحدى وكله جيد فاذا وصفت الخمر

وقال أبو ذكوان كنا عند التَوَّزي فذكرت عنده أبا نواس فوضع منه بعض الحاضرين ، فقال له التوزي أتقول هذا لرجل يقول

يخافه الناس ويرجونه   كأنه الجنـة والنار

ويقول

ما فاته جود ولاحل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

ويقول

فتمشت في مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم

قال ابن الاعرابى يوماً لجلسائه ما أشعرُ ماقال أبو نواس في الخمر؟ فقال بعضهم

اذا عبّ فيها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا

وقال آخر

كأن كبرى وصغرى من فقاقعها حصباء درّ على أرض من الذهب

وقال آخر

ترى حيث ما كانت من البيت مشرقاً وما لم تكن فيه من البيت مغرب

وقال آخر

فكأن الكؤس فينا نجوم دائرات بروجها أيدينا

وقال آخر

صفراء لاتنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء

فقال ابن الأعرابى ان هذا كله لشاعر انفرد بالاحسان فيه ، وتقدم من سبقه ومن تأخر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله فى قوله

لا ينزل الليل حيث حلت فدهر شُرّابها نهار

قال مسلم بن بهرام لقيت أبا العناهية فقلت له من أشعر الناس ؟ قال تريد جاهليتها أو اسلاميها أو مولدها ؟ قال كُلاً أريد ، قال الذى يقول فى المديح

اذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذى نثنى

وان جرت الألفاظ يوماً بِمدحة لغيرك انساناً فأنت الذى نعنى

والذى يقول فى الزهد

ألا رب وجه فى التراب عتيق ويا رب حسن فى التراب رقيق

ويارب حزم في التراب ونجدة ويارب رأى فى التراب وثيق

فقل لقريب الدار انك راحل الى منزل نائى المحل سحيق

وما الناس الا هالك وابن هالك وذو نسب فى الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

وكان يقول سبقنى أبو نواس الى ثلاثة أبيات وددت انى سبقته اليها بكل ما قلته فانه أشعر الناس فيها منها قوله

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر

وقوله

من لم يكن لله متهماً لم يمس محتاجاً الى أحد

وقوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

ثم قال قلت فى الزهد ستة عشر الف بيت وددت أن أبا نواس له ثلثها بهذه الأبيات

وقال الجاحظ سمعت النَّظام يقول وقد أنشد شعراً لأبى نواس ، كأن هذا الفتى جمع له الكلام فاختار أحسنه ، وقال بعضهم كأن المعانى حبست عليه فأخذ حاجته وفرق الباقى على الناس

وقال أبو حاتم كانت المعانى مدفونة حتى أثارها أبو نواس

ورد على العتابى بحلب عدة من الكبار من أهل قِنَّسْرين فدخلوا وسلموا وكان فى يده رقعة ينظر اليها ، فقال لهم لقد سلك صاحب هذه الرقعة واديا ماسلكه أحد قبله ، فنظروا فاذا هو شعر أبى نواس فى جنان جارية آل عبد الوهاب الثقفى وهو قوله

ربعُ الكَرَى بين الجفون مُحيل عَفَّى عليه بكى عليك طويل

يا ناظراً ما أقلعت لحظاته ... حتى تشحّط بينهن قتيل
أحللت قلبي من هواك محِلة ... ما حلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التي من دونها ... يتحير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والقصيرة فوقها ... دون السمين ودونها المهزول

ومما أنشده العتابي لأبي نواس فقال أحسن وأجاد

متتايه بجماله صَلِف ... لا يستطاع كلامه تِيها
للحسن في وجناته بدع ... ما إن يَملّ الدرس قاريها
لو كانت الأشياء تعقله ... أجلَلْنه اجلال باريها
لو تستطيع الأرض لانقبضت ... حتى يصير جميعه فيها

وقوله

ان السحاب لتستحي اذا نظرت ... الى نداك فقاسته بما فيها
حتى تهُم باقلاع فيمنعها ... خوف من السخط من اجلال منشيها

وأنشد محمد بن صالح بن بيهس الكلابي قوله في الزهد

أخي ما بال قلبك ليس ينقى ؟ ... كأنك لا تظن الموت حقا
ألا يا ابن الذين فنُوا وبادوا ... أما والله ما ذهبوا لتبقى
وما للنفس عندك من مقام ... اذا ما استكملت أجلاً ورزقا
وما أحد بزادك منك أحظى ... ولا أحد بذنبك منك أشقى
ولا لك غير تقوى الله زاد ... اذا جعلت الى اللهوات ترقى

وقوله في رثاء محمد الأمين

طوى الموت ما بيني وبين محمد ... وليس لما تطوى المنية ناشر
فلا وصل الا عبَرة تستديمها ... أحاديث نفس مالها الدهرَ ذاكر
لئن عمِرت دور بمن لا أوَدّه ... لقد عمرت ممن أحب المقابر

وكنت عليه أحذر الموت وحده ... فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

فقال بحق ماغلب هذا على أهل الأدب وقدموه على غيره

قال محمد بن جعفر كنا عند أبي نعيم فتذاكرنا قول عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حين ذكرت شعر لبيد يرثى أخاه أرْبَد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت فى خَلَف كجلد الأجرب

ولقد أنشدنى أبو نعيم أبياتاً ، قلنا أنشدناها فقال

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا ... خَلَفًا فى أراذل النَّسْناس

فى أناس نعدُّهم من عديد ... فاذا فتشوا فليسوا بناس

كلما جئت أبتغى الفضل منهم ... بدرونى قبل السؤال بياس

وبكوا لى حتى تمنيت أنى ... مُفْلت عند ذاك رأساً براس

ثم قال أتدرون لمن الشعر ؟ قلنا لا ، قال للحسن بن هانىء

قال أبو عبد الرحمن الضرير رأيت مسلم بن الوليد بجرجان وهو يتولاها فسألنى عمن خلفت من الشعراء ، فقلت له أما من الكوفيين فأبو نُواس وهو مقدم عندهم ، فقال ويحك كيف يتقدم وهو يقول « رويدك يا انسان لا أنت تقفز » أرأيت قوله تقفز خرجت من بين فكي شاعر قط ؟ ثم قال ويلك وكيف يكون كذلك وهو يحيل ويتخطى من صفة المخلوق الى صفة الخالق ؟ فقلت مثل ماذا من قوله ، قال أما فيما أحال فكقوله

وأخفْتَ أهل الشرك حتى انه ... لتخافك النُّطَف التى لم تخلق

وهذا من الاغراق المستحيل فى العقول ومما ليس على مذهب القوم ، وأما فى تخطيه بصفة المخلوق الى صفة الخالق فكقوله

يجلّ أن تلحق الصفات به ... فكل خلق لخلقه مثل

وكقوله

برىء من الأشباه ليس مثل

ومما قيل عن أبي نواس ان الشعر انمـا هو بين المدح والهجاء وأبو نواس لايحسنهما ، وأجود شعره فى الخمر والطرد ، وأحسن ما فيهما مأخوذ ليس له وانما سرقه ، وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يحسن أن يبنى عليه حتى يجىء به قبيحاً مثل قوله « وداونى بالتي كانت هى الداء » أخذه من قول الأعشى « وأخرى تداويت منها بهـا » والذى أخذه منه أحسن ، ومنها أيضاً قوله « ان الشباب مطية الجهل » أخذه من قول النابغة الجَعْدى « فان مطية الجهل الشباب » وقوله « كطلعة الأشمط من إهابه » أخذه من قول أبي النجم « كطلعة الأشمط من كسائه » ولـكن رزق أبو نواس فى شعره أن سار وحمـله الناس وقدمه أهل عصره وان له على ذلك لأشياء حساناً لا يدفعها ولا يطرحها الا جاهل بالـكلام أو حاسـد

ومن أحسن مدائح أبي نواس قوله من أرجوزة يمدح الفضل بن الربيع

أعيا مُجاريكَ الخَطَرْ ... أبوكَ جَلَّى عن مُضَر
يوْم الرواق المحتضر ... والخوف يفْرِى ويذر
لما رأى الأمر اقمطَرّ[1] ... قام كريماً فانتصر
كهَزَّة العضْب الذكر ... ما مس من شىء هبَرْ
وأنت تقتاف الأثر ... من ذى حُجول وغُرُر
معيـد وِرْد وصدَر ... وان علا الأمر اقتدر
فأين أصحاب الغُمَر ... اذ شربوا كأس المقِر[2]
وقصروا فيمن قصر ... هيهات لا يخفى القمر
أصحرت[3] اذ دَبُّوا الخمَر ... شكراً وحُرّ من شكر

(١) اشتد (٢) المر (٣) أصحرت أى برزت الى الصحراء ودبوا الخمر أى مشوا مختفين والخمر ما سترك من شجر أو بناء أو نحوه

فالله يعطيك الشَّبَرْ (١) وفى أعاديك الظَّفَرْ
والله من شاء نصر وأنت ان خفنا الحصَرْ (٢)
وهرَّ دهر وكشَر عن ناجذيه وبَسَرْ
أغنيت ما أغنى المطر وفيك أخلاق اليسر
فان أبوا الا العسَر أمررت (٣) حبلاً فاستمر
حتى ترى تلك الزُّمَرْ تَهْوِى لأذقان الثُّغَرْ (٤)
من جد ألوي (٥) لو نتَرْ اليه طود لانأطَرْ (٦)
صعب اذا لاقى أبَرْ وان هفا القوم وَقَرْ
أو رهبوا الأمر جسَرْ ثم تسامى ففغر
عن شِقْشق ثم هدَرْ ثم تناجى نخطر
بذى سبيب وعُذَرْ يمضع أطراف الوبر
هل لك والهَلّ خيرَ فيمن اذا غبت حضر
أو نالك القوم ثأر وان رأى خيراً شكر

أو كان تقصير عذَرْ

وقال يمدح العباس بن الفضل بن الربيع

ساد الملوك ثلاثة ما منهمُ ان حصّلوا الا أغرّ قريع
ساد الربيع وساد فضل بعده وعلت بعباس الكريم فروع
عباس عباس اذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع

وقال يمدح الفضل بن الربيع لما قدم بغداد على محمد الأمين بالأموال والقضيب والخاتم حين مات الرشيد ، وقد اشتد فرح الأمين به فقربه وألطفه وقلده الأمور

---

(١) الخير والقرة (٢) ضيق الصدر (٣) أى أحكمت فتله (٤) جمع ثغرة وهى ثغرة النحر (٥) الألوى الشديد الخصومة (٦) اعوج وانثنى

وفوض اليه ما وراء بابه فهو الذى يولي ويعزل ويحل ويعقد عن محمد الأمين

لعمرك ما غاب الأمين محمد … عن الأمر يعنيه اذا شهد الفضل
ولولا مواريث الخلافة انها … له دونه ما كان بينهما فضل
لئن كانت الأجساد فيها تباينت … فقولهما قول وفعلهما فعل
أرى الفضل للدنيا وللدين جامعاً … كما السهم فيه الريش والفُوق والنَّصل

وقال وأجاد

ياقلب ويحك جِدٌّ منك ذا الكَلَف … ومن كَلِفت به جافٍ كما تصف
وكان فى الحق أن يهواك مجتهداً … كذاك خبر منا الغابرَ السلف
قل للمليح أما تروى الحديث بما … خالفت فيه وقد جاءت به الصحف ؟
ان القلوب لأجناد مجندة … لله فى الأرض بالأهواء تختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف … وما تناكر منها فهو مختلف

وقال فى الاعتذار

رسولي قال أوصلت الكتابا … فما ردوا عليك له جوابا
فقلت أليس قد قرؤا كتابى … فقال بلى فقلت الآن طابا
فأرجو أن يكون همُ جوابى … بلا شك اذا عرفوا خطابا
أجيد لك المنى يا قلب كيلا … تموت على غمًّا واكتئابا

وقال يعتذر الى رحمة بن نجاح حين مرض ولم يعده

انى حُممت ولم أشعر بحمَّاكا … حتى تحدث عوادى بشكواكا
فقلت ما كانت الحمى لتعهدنى … من غير ما علة الا لحمَّاكا
وخصلة هى أيضاً يستدل بها … عافانى الله منها حين عافاكا
أما اذا اتفقت نفسى ونفسك في … هذا وذاك وفي هذا وفي ذاكا
فكن لنا رحمة نفسى فداك ولا … تكن خلافاً لما ذو العرش سماكا

فقد علمت يقيناً أو ستعلمه ... صنيع حبك في قلبي وذكراكا

وله في عزة النفس

ومستعبد اخوانه بثرائه ... لبست له كِبْراً أبَرَّ على الكِبْرْ

اذا ضمني يوماً وإياه مَحْفِل ... يرى جانبي وَعْراً يزيد على الوعر

أخالفه في شكله وأجره ... على المنطق المبرور والنظر الشَّزْر

وقد زادني تيهاً على الناس أنني ... أراني أغناهم وان كنت ذا فقر

فوالله لا يبدي لساني لَحَاجة ... الى أُحد حتى أُغَيَّب في قبري

فلا يطمعن في ذاك منى طامع ... ولا صاحب التاج المحجب في القصر

فلو لم أرِثْ فخراً لكانت صيانتي ... عن الناس حسبي من سؤالي من الفخر

وله أيضاً في معنى ذلك

لا أعير الناس سمعي ... ليعيبوا لي حبيبا

لا ولا أحفظ منهم ... لأخلائي العيوبا

فاذا ما كان كون ... قمت بالغيب خطيبا

أحفظ الاخوان كيما ... يحفظوا مني المغيبا

وقال يعاتب عمرا الوراق

يا من جفاني وملاَّ ... نسيت أهلاً وسهلا

ومات مَرْحَبُ لما ... رأيت مالي قلاَّ

اني أظنك تحكي ... فيما فعلت القرِلَّ (١)

تلقاه في الشر ينأى ... وفي الرخا يتدلى

(١) القرلى مولى كان لحمير وكان لا يسمع لأحد شيئاً الا جاء اليه وداخله ولا يتخلف عن طعام لأحد واذا سمع بخصومة لم يقرب ذلك فضرب به المثل حتى قيل لطير من طيور الماء يوفى عليه ، القرلى

وقال يخاطب أبان بن عبد الحميد قبل أن يتهاجيا

أأبان نكّبْ عن عداوتنا ... لك غير قرْع صفاتنا لَهْو

انى يزيدك أن تصيرَ لي ... شغلاً هجاءك انني خلو

وقال يصف نديماً

ومستطيل على الصهباء با كرها ... في عصبة باصطباح الراح حُذَّاق

حتى حساها فلم يلبث وما لبثت ... أن خرَّ ميتاً صريعاً ماله واق

فكل كف رآها ظنها قدَحاً ... وكل شخص رآه ظنه الساقي

لما عمل أبو نواس قصيدته التي أولها « مستعبد اخوانه بثرائه » بلغت الأمين فبعث اليه وعنده سليمان بن أبي جعفر ، فلما دخل عليه افترى عليه وقال يامدعى ولاء حاء وحكم أتدري من توليت ؟ والى من ادعيت ؟ الى الأَمْ قبيلتين في اليمن علوج باغين ، أنت تكتسب بشعرك أوساخ أيدى الناس اللئام وتقول « ولا صاحب التاج المحجب فى القصر » أما والله ما نلت مني شيئاً بعد ذلك أبداً ، فقال له سليمان بن أبي جعفر إِيْ والله ثم هو مع هذا من كبار الثنوية « وكان يرمى بذلك » ، فقال له الأمين وهل يشهد عليه شاهد بشيء من ذلك ؟ فأتاه سليمان بعدة نفر ، فشهدوا عليه أنه شرب فى يوم مطير ، فوضع قدحه تحت السماء فى المطر ، فوقع فيه المطر ، فقالوا له ما تصنع بذلك ويحك ؟ قال أنتم تزعمون أنه ينزل مع كل قطرة ملَك ، فكم ترانى أشرب الساعة من الملائكة ؟ ثم شرب ما فى القدح ، فغضب الأمين وأمر به الى السجن ، وذلك قول أبي نواس

يارب ان القوم قد ظلمونى ... وبلا اقتراف معطّلٍ حبسونى

والى الجحود بما عرفت خلافه ... ربى اليك بكذبهم نسبونى

ما كان الا الجرى فى ميدانهم ... فى كل خزى والمجانة دينى

لا العذر يقبل لي ويفرق شاهدى ... منهم ولا يرضَوْن حلف يميني

ما كان لو يدرون أول مخبأ | في دار منقصة ومنزل هون
أما الأمين فلست أرجو دفعه | عني فمن لي اليوم بالمأمون ؟

فبلغت أبياته المأمون فقال والله لئن لحقته لأغنينَّه غنى لا يؤمله ، فمات قبل دخول الأمين بغداد

وقال يصف نديماً

وغرير الشباب محتبك الحسـ | ـن على جِيده مناط التَّميم
قد غذاه النعيم فاحمرت الوجـ | ـنة منه على فساد الحلوم
فهو عفّ الجفون فى النظر العمـ | ـد حذاراً على فؤاد النديم
يتثنى اذا مشى فهو لدْن | فى اعتدال بجودة التقويم
أندبت كفَّه الزجاجة وهْناً | فهي فيها جراح تلك الكلوم
فهو الراحل المطى الينا | من أباريق قهوة الخرْطوم
بنت كرْم أباحها كرم الجو | هر منه ورقة فى الأديم
تلحق الظبي والظليم من الجر | ى وتزرى بكربة المغموم
ونديم فديته من نديم | وجهه جالب لكل نعيم
مج في الكأس ريقه وسقانى | من شراب معتق مختوم

ومن قوله يعاتب عمرا الوراق

يا واضعاً بيْض القطا | تحت الزمامج [1] للفراخ
لو أيقنت ما تحتها | لم تأْلُ من نقر السّباخ [2]
يا غارساً بيمينه | شجر الحِفاظ على السباخ
فسد الخلائق كلهم | فانظر لنفسك من تؤاخى

(١) الزمامج جمع زمجى كزمكى أصل ذنب الطائر (٢) هو الصماخ

وقاله أيضاً يعاتبه

يا مادح القوم اللئا م وطالباً رِفد الشِّحاح

اشغل قريضك بالنسيب وبالفُكاهة والمزاح

حدثت وجوه ليس تأ لم غير أطراف الرماح

وأكف قوم ليس ينـ ـبط ماءها غير المساحي

ما شئت من مالٍ حِمًى يأوِي الى عرض مُباح

عزم عيسى بن أبي جعفر المنصور على أبي نواس أن يقيم معه بالقُفْص أسبوعاً وحمله وخلع عليه ووصله ، فلما أقاموا الاسبوع وأرادوا الانصراف قال له بحياتي عليك صف مجلسنا هذه الأيام كلها التي أقمناها ، فأنشأ يقول

يا طيبنا بقصور القُفْص مشرقة فيها الدَّساكر والأنهار تطَّرد

لما أخذنا بها الصهباء صافية كأنها النار وسط الكأس تتقد

جاءتك من بيت خمار بطينتها صفراء مثل شعاع الشمس ترتعد

فقام كالغصن قد شدت مناطقه ظبي يكاد من التهييف ينعقد

فاستلها من فم الابريق فانبعثت مثل اللسان جرى واستمسك الجسد

فلم نزل فى صباح السبت نأخذها والليل أجمعه حتى بدا الأحد

ثم ابتدأنا الطِّلا باللهو من أمَمٍ فى نعمة غاب عنها الضيق والنكد

حتى بدت غرة الاثنين واضحة والسعد معترض والطالع الأسد

وفى الثلاثاء أعملنا المطي بها صهباء ما قرَّعتها بالمزاج يد

والأربعاء كسرنا حدّ سوْرتها والكأس يضحك في تيجانها الزَّبد

ثم الخميس وصلناه بليلته قصفاً وتم لنا بالجمعة العدد

يا حسننا وبحار القصف تغمرنا فى لجة الليل والأوتار تغترد

في مجلس حوله الأشجار محدقة وفى جوانبه الأنهار تطرد

لا نستخف بساقينا لغرته ولا يرد علينا حكمه أحد
عندالأمير أبي عيسى الذي كملت أخلاقه فهى كالأوراق تنتقد

ولما أنشد الأمين قصيدته التي يقول فيها

أيا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالى بها حتى اذا ما ملكتها أهنت لاكرام الخليل مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسر عنها حتى ما تقل جفونها
تروع بنفس المرء عما يسوءه ويخذله ألا يزال قرينها
كأن يواقيتاً رواكد حولها وزرق سنانير تدير عيونها
وشمطاء حل الدهر منها بنجوة دلفت اليها فاستللت جنينها
كأنا حلول بين أكناف روضة اذا ما سلبناها مع الليل طينها

قال له ألم أنهك عن شرب الخمر؟ قال بلى والله يا أمير المؤمنين والله ما شربتها منذ نهيتني عنها ومنعتني من شربها وأنا الذى أقول

أيها الرائحان باللوم لوما لا أذوق المدام إلا شميما
نالني بالملام فيها امام لا أرى لى خلافه مستقيما
فاصرفاها الى سواى فانى لست الا على الحديث نديما
كبر حظى منها اذا هى دارت أن أراها وأن أشم النسيما
فكأنى وما أزين منها قعدى يحسن التحكيما
كل عن حمله السلاح الى الحرب فأوصى المقيم ألا يقيما

وأنشده يمدحه

ألا يا خير من رأت العيون نظيرك لا يحس ولا يكون
وفضلك لا يحد ولا يجارى ولا تحوى حيازتها الظنون

فأنت نسيج وحدك لا شبيه　　نحاشيه عليك ولا خدين
خلقت بلا مشاكلة لشيء　　فأنت الفوق والثقلان دون
كأن الملك لم يك قبل شيئاً　　الى أن قام بالملك الامين

ومن قوله يصف حراقة ركبها الأمين وكانت على مثال الأسد

سخر الله للأمين مطايا　　لم تسخَّر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سرن بحراً　　سار فى الماء راكباً ليث غاب
أسداً باسطاً ذراعيه يعدو　　أهرَت الشدق كالح الأنياب
لا يعانيه باللجام ولا السو　　ط ولا غمز رجله فى الركاب
عجب الناس اذ رأوك على صو　　رة ليث تمر مرَّ السحاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه　　كيف لو أبصروك فوق العُقاب
ذات زَوْر ومِنْسر وجناحيـ　　ـن تشق العُباب بعد العُباب
تسبق الطير فى السماء اذا ما اسـ　　ـتعجلوها بجيئة وذهاب
بارك الله للأمين وأبقا　　ه وأبقى له رُواء الشباب
ملك تقصر المدائح عنه　　هاشمى موفق للصواب

قال الحسن بن أبى المنذر لما قال أبو نواس

ديار نَوار ما ديار نوار　　كسونك شجواً هن منه عَوار

يمدح بها العباس بن عبد الله بن جعفر أنشدت للرشيد الى أن سمع قوله

يقولون فى الشيب الوقار لأهله　　وشيبى بحمد الله غير وقار

فأمر الرشيد باحضاره وقال له ويلك أتخالف الاسلام فى شيء من أمرك ؟ قال وماذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يشيب الرجل المؤمن شيبة في الاسلام الا كانت له حجاباً من النار » وتقول أنت كذا وكذا ؟ وما أظنك الا على غير دين الاسلام ، فمن أين زعمت انه غير وقار ؟

فقال يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك انظر الى البيت الذى بعده ، فقال ماهو ؟ قال

اذا كنت لا أنفك عن أرْيَحية	الى رَشأ يسعي بكأس عُقار

انما قلت « وشيبي بحمد الله غير وقار » اذا كنت على هذه الحال وأشباهها لما أجاوز به من تعجيل الذنوب وتأخير التوبة ، قال أنت أعلم بخبث لسانك وسريرتك وقبح عملك فمن ثم شهدت بما شهدت به على نفسك

دخل أبو نواس بعد مانسك على قوم من اخوانه عندهم شراب ومغن فعرضوا عليه الجلوس فأبى ، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب

اذا لم تنه نفسك عن هواها	وتحسن صونها فاليك عني
فاني قد شبعت من المعاصي	ومن ادمانها وشبعن مني
ومَنْ أسوا وأقبح من لبيب	يري متطرباً في مثل سني ؟

ومن شعر أبي نواس

عفَى المصلَى وأقوت الكُثُب	مني فالمِربدان فاللهب
منازل قد عمرتها يفعا	حتى بدا في عذارى الشهب
في فتية كالسيوف هزهمُ	شَرْخ شباب وزانهم أدب
ثم أراب الزمان فانقسموا	أيدى سبَا في البلاد فانشعبوا
لن يخلف الدهر مثلهم أبداً	عليَّ هيهات شأنهم عجب
لما تيقنت أن روحتهم	ليس لها ما حييت منقلَب
أبليت صبراً لم يُبْلِه أحد	واقتسمتني مآرب شعب
لذاك انى اذا رزئت أخاً	فليس بيني و بينه نسب[1]
قُطْرَبُلٌ مربعي ولي بقرى الكَرْ	خ مصيف وأمي العنب
ترضعني درها وتلحفني	بظلها والهجير يلتهب

(١) يريد أن مواخاته على المجون فلا يبكي صاحبه

اذا ثنته الغصون جللني   فينان [1] مافى أديمه جرب

تبيت فى مأتم حمائمه   كما تراءى الفواقد السُّلُب

يهب شوقى وشوقهن معا   كأنما يستخفنا الطرب

فقمت أحبو الى الرضاع كما   تحامل الطفل مسه السَّغَب

حتى تخيرت بنت دَسكرة   قد عجمتها السنون والحِقب

هتكت عنها والليل معتكر   مهلهل النسج ماله هُدُب

من نسج خرقاء لاتشد لها   أخيةً فى الثرى ولا طُنُب

ثم توجأت خصرها بشبا الإشـ   ـفى فجاءت كأنها لهب

فاستوسق الشرب للندام وأجـ   ـراها عليهن اللجين والضرب

أقول لما تحاكيا شبهاً   أيهما للتشابه الذهب

هما سواء وفرق بينهما   انهما جامد ومنسكب

ملس وأمثالها محفرة   صور فيها القسوس والصلب

يتلون انجيلهم وفوقهمُ   سماء خمر نجومها حَبَب

كأنهـا لؤلؤ تبدده   أيدى عذارَى أفضى بها اللعب

ومن جيد شعره قوله لما منعه الأمين من شرب الخمر وذلك أن المأمون أمر الخطباء بخراسان أن يعيبوا الأمين بشعر أبى نواس ويقولون هو جليسه ونديمه وينشدون على المنابر شعره فمنعه الأمين فقال

غننا بالطلول كيف بلينا   واسقنا نعطك الثناء الثمينا

من سُلاف كأنه كل طيب   يتمنى مخبر أن يكونا

أكل الدهر ما تجشم منها   وتبقى لبانها المكنونا

ثم شُجَّت فاستضحكت عن لآل   لو تجمعن فى يد لاقتنينا

---

(١) الفينان الظل الكثيف والجرب أى لاخلل فيه

واذا ما لمستها فهبـــاء يمنع الكف ما يبيح العيونا
فى كئوس كأنهن نجوم باديات كأنها أيدينا
طالعات مع السقاة علينا فاذا ما غربن يغربن فينا
لوترى الشَّرب حولها من بعيد قلت قوم من قرَّة يصطلونا
وغزال يديرها ببنان ناعمات يزيدها العسر لينا
ذاك عيش لودام لى غير أنى عِفته مكرهاً وخفت الأمينا
أدر الكاس حان أن يسقينا وانقرُ العود انه يُلهينا
ودع الذكر للطلول اذا ما دارت الكأس يَسْرة ويمينا

ومن قول أبي نواس يمدح العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر

غرد الديك الصَّدوح فاسقني طاب الصَّبوح
اسقني حتى ترانى حسناً عندى القبيح
قهوة تذكر نوحاً حين شاد الفلك نوح
نحن نخفيها ويأبى طيب عَرْف فيفوح
فكأن القوم نهبى بينهـم مسك ذبيح
أنا فى دنيا من العبـــاس أغدو وأروح
هاشمى عبـــدلى عنـده يغلو المديح
علَم الجود كتاب بين عينيـه يلوح
كل جود يا أميرى ما خلا جودك ريح
انمـا أنت عطايا أبداً ما تستريح
بحَّ صوت المال مما منك يشكو ويصيح
ما لهـذا أحد فو ق يديه أو نصيح

جدتَ بالأموال حتى　قيل ما هـذا صحيح
فهو بالمـــال جواد　وهو بالعِرْض شحيح
صور الجود مثالاً　وله العباس روح

قال محمد بن عيينة لقيت أبا نواس بعسكرِ مُكرَم فقلت له أحب أن تنشدني من شعرك شيئاً تَضنّ به على غيري فأنشدني

يكفي الكريمَ من الكلا　م لمن يحادثه أقـله
والشيء شيء لم يزل　بأدقه يأتي أجـــلّه
ان لم يصبك من الكريـــم الحر وابله فطلّه
يبدى مكارمه كما　يبدى فرِنْد السيف سلّه
والنـذل يوقع نفسه　متعمـداً فيما يُذِله
والحر يكرم نفسه　بالصفح عمن لا يجله

وقال أبو نواس يمدح الأمين

صببت على الأمين ثياب مدحي　فـكل الناس حسَّن واستجادا
ولولا فضله ما جاد شـــعرى　ولا أعطتنيَ الفطن القيادا
وقالوا قد أجدت فقلت انى　وجدت القول يمكنني فجادا

ومن خمرياته

ذ كر الصَّبوح بسُحْرَة فارتاحا　وأمله ديك الصباح صياحا
أوفي على شرف الجدار بسُدْفة　غَرِداً يصفق بالجناح جناحا
فأدر صباحك بالصَّبوح ولا تكن　كمسوِّفين غدَوْا عليك شِحاحا
ان الصبوح جلاء كل مخمر　بدرت يداه بكأسه الاصباحا
وخدينِ لذات معلل صاحب　تقتات منه فُكاهة ومزاحا
نبهته والليـــل ملتبس به　وأزحت عنـه نعاسه فانزاحا

قل ابغني المصباح ، قلت له اتئد حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها فى الزجاجة شربة كانت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها عُطُلاً فألبسها المزاج وشاحا
شك البُزال فؤادها فكأنها أهدت اليك بريحها تفاحا
صفراء تفترس الفِراس فلا ترى منها بهن سوى السُّبات جراحا

ومنها

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأساً اذا انحدرت فى حلق شاربها أجْدَته حمرتَها في العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة من كف لؤلؤة ممشوقة القد
تسقيك من طرفها خمراً ومن يدها خمراً فما لك من سكرين من بد
لي نشوتان وللنَّدمان واحدة شيء خصصت به من دونهم وحدى

كان الأصمعى يفضل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة

أما ترى الشمس حلت الحملا وطاب وقت الزمان واعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الخمر حولها كَمَلا
واكتست الأرض من زخارفها وَشْيَ ثياب تخاله حُلَلا
فاشرب على جِدّة الزمان فقد أصبح وجه الزمان مقتبلا
من قهوة تذهب الهموم فلا أرهب فيها الملام والعذَلا
كرْخية تترك الطويل من العيـــش قصيراً وتبسط الأملا
تلمع لمعَ السَّراب فى قدح الـــقوم اذا ما حبا بها انفصلا
يقول صِرْف اذا مزجت له من لم يكن للكثير محتملا
فسقِّ هـــذا بقدر طاقته واحمل على ذا بقدر ما احتملا
عجنا بشيئين من طبائعها حسن وطيب ترى به المثلا

كان أبو نواس لا يستنشد شيئاً من شعره الا أنشد هذه القصيدة

وخَيْمة ناطور [1] برأس مُنيفة   تهُمّ يدا من رامها بزليل
اذا عارضَتها الشمس فاء ظلالها   وان واجهتها آذنت بدخول
حططنا بها الأثقال فَلّ [2] هَجيرة   عبُورية تذكى بغير فتيـــل
تأنت [3] قليلاً ثم فاءت بمَذْقة   من الظل فى رَثّ الأَباء ضئيل
كأنا لديها بين عطفَىْ نعامة   جفا زَوْرُها عن مَبْرك ومقيل
حلبت لأصحابى بها درة الصبا   بصهباء من ماء الكروم شَمُول
اذا ما أتت دون اللّهاة من الفتى   دعا همُّه من صـــدره برحيل
فلما توفى الشمس جنح من الدجى   تصابيت واستجملت غير جميل
وعاطيت من أهوى الحديث كما بدا   وذللت صعباً كان غير ذليل
فغنى وقد وسَّدْت يسراى خده   ألا ربما طالبت غير مُنيل
وأنزلت حاجاتى بحَقْوَى مساعد   وان كان أدنى صاحب وخليل
وأصبحت ألحى السكر والسكر محسن   ألا رب احسان عليك ثقيل
كفى حزناً أن الجواد مقتَّر   عليه ولا معروف عند بخيل
سأبغى الغنى إما جليس خليفة   يقوم سواء أو مخيف سبيل
بكل فتى لا يســـتطار جَنانه   اذا نوه الزحفان باسم قتيل
لنخمس مال الله من كل فاجر   أخى بطنة للطيبات أكول
ألم ترَ أن المــال عون على الندى   وليس جواد مقتر كبخيـــل

---

(١) الناطور حافظ النخل والكرم والزرع (٢) أى منهزمى هاجرة وعبورية نسبها الى الشعرى العبور وأيام طلوعها أيام الحر الشديد (٣) يعنى الشمس أى توقفت فى الجو عند زوالها وفاءت بمذقة أى دخلت عليهم من تلك الخيمة الخلقة التى ثبتت على الأباء الضعيف من القصب الرث فلم تقو الشمس عليهم ولم تمنعهم الخيمة بستر قوى فيصير ظلا ولكنه شمس وظل فشبهت بالممذوق من اللبن أى الممزوج

فان استزيد أنشد هذه القصيدة الأخرى

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل

كان الجمالَ اذا ارتديت به ومشيت أخطِر صيت النعل

كان البليغَ اذا نطقت به وأصاخت الآذان للمملى

كان المشفع فى مآربه عند الفتاة ومدرك التَّبْل

والآمرى حتى اذا عزمت نفسى أعان يدىّ بالفعل

فالآن صرت الى مقاربة وحططت عن ظهر الصبا رحلى

والراح أهواها وان رزأت بُلَغَ المعاش وقلت فضلى

صفراء مجّدها مرازبها جلت عن النظراء والمثل

ذخرت لآدم قبل خلقته فتقدمته بخطوة القبل

فأتاك شيء لا تلامسه الا بحسن غريزة العقل

فترود منها العين فى بشر حُرّ الصفيحة ناصع سهل

فاذا علاها الماء ألبسها حبباً شبيه جلاجل الحِجْل

حتى اذا سكنت جوامحها خطت بمثل أكارع النمل

خطين من شتى ومجتمع غُفْلٍ من الإعجام والشكل

فاعذِرْ أخاك فانه رَجل مرّنت مسامعه على العذل

ومن طيب شعره والشطر الأول من القصيدة لفظ ابن الدُّمينة

أعاذل ما على وجهى قُتوم ولا عرضى لأول من يسوم

يفضلني على الفتيان أنى أبيت فلا ألام ولا ألوم

أعاذل ان يكن بُرْدَاى رثّاً فلا يَعْدَمْكَ بينهما كريم

شُققت من الصبا واشتُقَّ مني كما اشتقت من الكَرَم الكروم

فلست أسوم للذات نفسى مساومة كما دفع الغريم

ومتصلٍ بأسباب المعالى | له في كل مكرُمة قديم
رفعت له النداء بقُمْ نخذها | وقد أخذت مطالعها النجوم
بتفدية تزال النفس فيها | وتمتهن الخؤولة والعموم
فقام وقت من أخوين هاجا | على طرب وليلهما بهيم
أجر الزِّق وهو يجر رجلا | يجور به النعاس ويستقيم
سل النَّدمان ما أولته منها | وسلها ما احتوى منها الكريم
كلا الشخصين منتصف ولكن | قضت وَطراً وذامنها سقيم

وقال

انى صرفت الهوى الى قمر | لم تبتذله العيون بالنظر
اذا تأملته تعاظمك الـ | إقرار انه من البشر

ومن قوله

يا شقيق النفس من حَكَمِ | نمتَ عن ليلى ولم أنم
فاسقنى البكر التى اختمرت | بخمار الشيب في الرحم
ثُمت انصات الشباب لها | بعد ما جازت مدى الهرم
فهي لليوم التى بُزِلت | وهي ترب الدهر فى القدم
عتُقت حتى لو اتصلت | بلسان ناطق وفم
لاحتبت فى القوم ماثلة | ثم قصت قصة الأُمم
فرعتها بالمزاج يد | خلقت للسيف والقلم
فى نَدامَى سادة زهر | أخذوا اللذات من أمم
فتمشت فى مفاصلهم | كتمشى البرء في السقم
فعلت في البيت اذ مزجت | مثل فعل الصبح في الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها | كاهتداء السَّفْر بالعلم

ومن طرديات أبي نواس في صفة الكلب

أنعت كلباً أهلُه من كَدّه ... قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده ... وكل رفد نالهم من رِفده
يظَلّ مولاه له كعبده ... يبيت أدنى صاحب من مهده
وان عري جلّله ببرده ... ذا غُرة محجلاً برنده
تَلَذّ منه العين حسن قده ... يا حسن شدقيه وطول قده
تلقى الظباء عنتاً من طرده ... يشرب كأساً شدها من شده

يا له من كلب نسيج وحده

أبو نواس وجنان

كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ، وكانت حلوة جميلة المنظر أديبة ، ويقال ان أبا نواس لم يصدق في حب امرأة غيرها ، وقيل له يوماً ان جنان قد عزمت على الحج فكان هذا سبب حجه وقال أما والله لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا ان أقامت على عزيمتها ، وقال وقد حج وعاد

ألم تر أنني أفنيت عمري ... بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد سبباً اليها ... يقربني وأعيتني الامور
حججت وقلت قد حجت جنان ... فيجمعني واياها المسير

قال من شهده حين حج مع جنان وقد أحرم لما جنه الليل جعل يلبي بشعر ويحدو به ويطرب ، فغنى به كل من سمعه وهو قوله

الهنا ما أعدلك ... مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك ... لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك ... والليل لما أن حلَك

والسابحات في الفلك   على مجارى المنسلك
ما خاب عبد أملك   أنت له حيث سلك
لولاك يارب هلك   كل نبى وملَك
وكل من أهلَّ لك   سبح أو لبى فلك
يا مخطئاً ما أغفلك   عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك   لبيك ان الملك لك
والحمد والنعمة لك   والعز لاشريك لك

وفيها يقول

جفن عيني قد كاد يسـ   ـقط من طول ما اختلج
وفؤادي من حرّ حبـ   ـك والهجر قد نَضَج
خبريني فدتك نفـ   ـسى وأهلى متى الفرج
كان ميعادنا خرو   ج زياد فقد خرج
أنت من قتل عائذ   بك في أضيق الحرج

كانت جنان قد شهدت عرساً في جوار أبي نواس ، فانصرفت منه وهو جالس مع أصحابه فرآها فأنشدهم بديهاً قوله

شهدت جلْوَة العروس جنان   فاستمالت بحسنها النظارة
حسبوها العروس حين رأوْها   مادهانا بها سواكِ عمارة (١)

غضبت جنان من كلام كلمها به أبو نواس ، فأرسل يعتذر اليها ، فقالت للرسول قل له « لابرح الهجران رَبْعك ، ولا بلغت أملك من أحببتك » فرجع اليه الرسول فسأله عن جوابها فلم يخبره ، فقال

فديتك فيم عتْبك من كلام   نطقت به على وجه جميل

(١) هى زوج عبد الرحمن الثقفى وهى مولاة جنان

وقولك للرسول عليكَ غيرى   فليس الى التواصل من سبيل

فقد جاء الرسول له انكسار   وحالٌ ما عليها من قبول

ولوردت جنان مَرَدَّ خير   تبين ذاك في وجه الرسول

وكان أبو نواس صادقاً في محبة جنان من بين من كان ينسب به من النساء ويداعبه ، وكان لها محباً ولم تكن تحبه ، فما عاتبها به حتى استمالها بصحة حبه لها فصارت تحبه بعد نُبُوِّها عنه قوله

جِنان ان جُدْت يا مناى بما   آمل لم تقطر السماء دما

وان تَمادَىْ ولا تماديت فى   منعك أُصبح بقفرة رِمَما

عَلِقت من لو أتى على أنفس الـماضين   والغابرين ما ندما

لو نظرت عينه الى حجر   وَلَّد فيه فتورها سقَمَا

مرَّت به امرأة ممن يداخل الثقفيين ، فسألها عن جنان وألحف فى المسألة واستقصى ، فأخبرته خبرها وقالت قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أنى أسمع « ويحك قد آذانى هذا الفتى وأبرمني وأحرج صدري وضيق عليَّ الطرق بحِدّة النظر وتهتكه ، فقد لهِجَ قلبى بذكره والفكر فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمته » ، ثم التفت فأمسكت عن الكلام ، فسُرَّ أبو نواس بذلك ، فلما قامت المرأة أنشأ يقول

يا ذا الذى عن جنان ظل يخبرنا   بالله قل وأَعِدْ ياطيب الخبر

قال اشتكتك وقالت ما ابتُليت به   أراه من حيث ما أقبلت فى أثرى

ويُعمِل الطرف نحوي ان مررت به   حتى ليُخجِلني من حِدّة النظر

وان وقفت له كيما يكلمني   فى الموضع الخلو لم ينطق من الحصَر

مازال يفعل بى هـذا ويُدمنه   حتى لقد صار من همى ومن وطَرى

مرَّ به محمد بن حفص التيمى وقد خلا بامرأة يكلمها وكانت قد جاءته برسالة جنان ، فقال له اتق الله ، قال انها حرمتى ، قال فصنها عن هذا الموضع ، وانصرف عنه ، فكتب اليه أبو نواس

ان التى أبصرتها ... بُكَراً أكلمها رسول
أدت إليَّ رسالة ... كادت لها نفسى تسيل
من ساحر العينين يجـ ... ـذب خَصْره ردف ثقيل
متقلد قوس الصِّبا ... يرمى وليس له رسيل
فلوَ آن أذنك بيننا ... حتى تسمع ما تقول
لرأيت ما استقبحت من ... أمرى هو الأمر الجميل

ثم وجه بها ، فألقيت فى الرقاع بين يدى القاضى ، فلما رآها ضحك وقال ان كانت رسولاً فلا بأس

كان أبو عثمان أخا أبى أمية مولى جنان ، وكانت له بحَكَمان [1] ضيعة كان ينزلها هو وابن عم له يقال له أبو مية ، فقال أبو نواس فيه قوله

أسأل القادمين من حَكَمان ... كيف خلفتما أبا عثمان
وأبا ميَّة المهـذب والما ... جد المرتجى لريب الزمان
فيقولان لي جنان كما سر ... ك فى حالها فسل عن جنان
مالهم لا يبارك الله فيهم ... كيف لم يغْنِ عندهم كتمانى

قال أبو نواس يذكر مأتماً بالبصرة حضرته جنان

يا منسىَ المأتم أشجانه ... لما أتاهم فى المعزِّينا
سرت قناع الوَشْى عن صورة ... ألبسها الله التحاسينا

(١) اسم لضياع بالبصرة سميت بالحكم بن أبى العاصى الثقفى وهذا اصطلاح لأهل البصرة اذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفاً ونوناً

فاستفتنهنَّ بتمثالها فهن للتكايف يبكينا
حق لذاك الوجه أن يزدهى عن حزنه من كان محزونا

أشرف أبو نواس من دار على منزل عبد الوهاب الثقفى ، وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم وجنان واقفة مع النساء تلطِم وجهها وفى يدها خضاب ، فقال

يا قمراً أبرزه مأتم يندُب شجواً بين أتراب
يبكي فيذْرِي الدم من عينه ويلطِم الورد بعنّاب
لا تبكِ ميتاً حلَّ فى حفرة وابكِ قتيلاً لك بالباب
أبرزه المأتم لي كارهاً برَغْم دايات وحجاب
لازال موتاً دأب أحبابه ولا تزل رؤيته دابى

وجهت جنان الى أبي نواس قد شهرتني فاقطع زيارتك عني أياماً لينقطع بعض القالة ، ففعل وكتب اليها

انا اهتجرنا الى الناس اذ فطنوا وبيننا حين نلتقى حسن
ندافع الأمر وهو مقتبل فشب حتى عليه قد مرنوا
فليس تقذَى عين معاينةَ له وما إن تمجُّه أذن
ويح ثقيف ماذا يضرهمُ ان كان لي في ديارهم سكن
يُسرُّ ما بيننا الحديث فان زدنا ينمّوا وما لذا ثمن

وكتب اليها من بغداد

كفى حزناً ألاَّ أرى وجه حيلة أزور بها الأحباب في حكمَان
وأقسم لولا أن تنال معاشر جناناً بما لا أشتهى لجنان
لأصبحت منها دانى الدار لاصقاً ولكنَّ ما أخشى فديت عدانى
فواحزناً حزناً يؤدّي الى الرّدَى فأصبح مأثوراً بكل لسان

أرانى انقضت أيامُ وصلي منكمُ ... وآذن فيكم بالوداع زمانى

بلغ أبا نواس أن امرأة ذكرت لجنان عشقه لها فشتمته جنان وتنقصته وذكرته أقبح الذكر ، فقال

وابأبى من اذا ذكرت له ... وطول وجدي به تنقصني

لو سألوه عن وجه حجته ... في سبه لي لقال يعشقُني

نعم الى الحشر والتناد نعم ... أعشقه أو أُلَفَّ في كفني

أصيح جهراً لا أستسر به ... عنفني فيه من يعنفني

يا معشر الناس فاسمعوه وعوا ... ان جناناً صديقة الحسن

فبلغها ذلك فهجرته وأطالت هجرته ، فرآها ليلة في منامه وأنها قد صالحته ، فكتب اليها

اذا التقى في النوم طيفانا ... عاد لنا الوصل كما كانا

يا قُرَّة العين فما بالُنا ... نَشْقَى ويلتذ خيالانا

لوشئتِ اذ أحسنتِ لي في الكرَى ... أتممت إحسانك يقظانا

يا عاشقين اصطلحا في الكرى ... وأصبحا غَضْبَى وغضبانا

كذلك الأحلام غدارة ... وربما تصدق أحيانا

رآها يوماً في ديار ثقيف ، فجبهته بما كره ، فغضب وهجرها مدة ، فأرسلت اليه رسولاً تصالحه ، فرده ولم يصالحها ورآها فى النوم تطلب صلحه فقال

دسَّت له طيفها كيما تصالحه ... فى النوم حين تأبَّى الصلح يقظانا

فلم يجد عند طيفى طيفها فرجاً ... ولا رثى لتشكيه ولا لانا

حسبت أن خيالي لا يكون لما ... أكون من أجله غضبان غضبانا

جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا ... فلم يكن هيناً منك الذى كانا

ومما قاله فيها

أما يَفْنَى حديثك عن جنان ولا تبقى على هذا اللسان

أ كل الدهر قلت لها وقالت فكم هذا ؟ أما هذا بفان ؟

جعلت الناس كلهمُ سواء اذا حدثت عنها في البيان

عدوك كالصديق وذا كهذا سواء والأباعد كالأداني

اذا حدثت عن شأن توالت عجائبه أتيتهمُ بشان

فلو موهت عنها باسم أخرى علمنا اذ كنيت منَ أنت عان

قدم رجل البصرة فاشترى جنان من مواليها ورحل بها ، فقال أبو نواس

أما الديار فقلما لبثوا بها بين استباق العِيس والركبان

وضعوا سياط الشوق فى أعناقها حتى اطَّلعن بهم على الأوطان

وكتب اليها

أ كثري المحو فى كتابك وامحيـه اذا محوته باللسان

وامرريـه بالمحاء بين ثنايا ك العذاب المفلَّجات الحسان

انني كلمـا مررت بسطر فيه محو لطعته بلساني

تلك تقبيلة لـكم من بعيد أُهديت لي وما برحت مكاني

قال محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفي دخلنا على أبى نواس نعوده في علته التي مات فيها ، فقال له على بن صالح الهاشمى يا أبا على أنت فى أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عز وجل هنات فتب الى الله عز وجل ، فبكى ساعة ثم قال ساندونى ساندونى ، ثم قال أأُخوف بالله عز وجل وقد حدثني حماد بن مسلم عن زيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لـكل نبى شـفاعة وانى اختبأت شفاعتى لأهل الـكبائر من أمتى يوم القيامة ، أفترانى لا أ كون منهم ؟

ومن قوله فى مرض موته

دب فيَّ السقام علواً وسفلاً … وأرانى أموت عضواً فعضوا

ليس تمضى من لحظة بىَ الا … نقصتني بمرها فيَّ جزْوا

ذهبت جدتى بحاجة نفسى … وطلبت طاعة الله نضوا

لهف نفسي على ليال وأيا … م تجاوزتهن لعباً ولهوا

قد أسأنا كل الإساءة فالـ … ـلهم صفحا عنا وغفرا وعفوا

ثم قال

شعر حي أتاك من لفظ ميت … صار بين الحياة والموت وقفا

قد برت جسمه الحوادث حتى … كاد عن عين الخلائق يخفى

لو تأملتني لتبصر وجهي … لم تبن من كتاب وجهي حرفا

ولكررت طرف عينيك فيمن … قد براه السقم حتى تعفى

وكان عمر أبى نواس تسعاً وخمسين سنة وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة السلام بست سنين (سنة ١٩٨)

شعراء الازد

أبو الشيص

هو محمد بن رزين بن سليمان الخزاعى الأزدى القحطانى وكنيته أبو جعفر وهو عم دعبل بن على بن رزين لحا

شاعر من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم ابن الوليد وأشجع وأبى نواس فخمَلَ وانقطع الى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعى وكان أميراً على الرَّقَّة فمدحه بأكثر شعره فقلما يروى له فى غيره وكان عقبة جواداً فأغناه عن غيره ، ولأبى الشيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً صالح الشعر وكان منقطعاً الى محمد بن طالب فأخذ منه جامع شعر أبيه ومن جهته خرج الى الناس

قال أبو خالد العامرى لابن المعتز من أخبرك أنه كان فى الدنيا أشعر من أبى الشيص فكذبه، والله لكان الشعر عليه أهون من شرب الماء على العطشان، وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك ، وليس توجد هذه الصفات كما ذكر فى ديوان شعره ولا هو بساقط ولكن هذا سرف شديد

وعمى أبو الشيص فى آخر عمره وله مراث فى عينيه قبل ذهابهما وبعده ، ومن قوله في ذلك

يا نفس بكِّي بأدمع هُتُنُ ... ووا كف كالجُمان فى سنن

على دليلى وقائدى ويدى ... ونور وجهى وسائس البدن

أبكى عليها بها مخافة أن ... يقرننى والظلام فى قرن

اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل فى مجلس فقالوا اينشد كل واحد منكم أجود ماقاله من الشعر ، فاندفع رجل كان معهم فقال اسمعوا منى

أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد ، قالوا هات ، فقال لمسلم أما أنت يا أبا الوليد فكأنى بك قد أنشدت

اذا ما علت منا ذؤابة واحد   وان كان ذا حلم دعته الى الجهل

هل العيش الا أن تروح مع الصبا   وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

فقال له مسلم صدقت ، ثم أقبل على أبى نواس فقال له كأنى بك يا أبا على قد أنشدت

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند   واشرب على الورد من حمراء كالورد

تسقيك من عينها خمراً ومن يدها   خمراً فما لك من سكرين من بُد

فقال له صدقت ، ثم أقبل على دعبل فقال يا أبا على فكأنى بك تنشد قولك

اين الشباب وأية سلكا   لا أين يطلب ضل بل هلكا

لا تعجبى يا سلم من رجل   ضحك المشيب برأسه فبكى

قال صدقت ، ثم أقبل على أبى الشيص فقال له وأنت يا أبا جعفر كأنى بك تنشد

لا تنكرى صدى ولا اعراضى   ليس المقل عن الزمان براض

فقال لا ما هذا أردت ولا هذا بأجود شىء قلته ، قالوا فأنشدنا ما بدا لك ، فأنشدهم قوله

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لي   متـأخر عنه ولا متقدَّم

أجد الملامة فى هواك لذيذة   حباً لذكرك فليلمني اللوم

أشبهتِ أعدائى فصرت أحبهم   اذ كان حظى منك حظى منهم

وأهنتِنى فأهنت نفسى صاغراً   ما من يهون عليك ممن يكرم

وله وهو مما غنى فيه

بالله قـل يا طلَل   أهلك ماذا فعلوا

فان قلبي حـذر   من أن يبينوا وَجِل

وله في جارية سوداء

لم تنصفي يا سمية الذهب تتلف نفسي وأنت في لعب

يا ابنة عم المسك الذكي ومن لولاك لم يتخذ ولم يطب

ناسبك المسك في السواد وفي الريـــح فأكرم بذاك من نسب

ومن مدائحه في عقبة قصيدته التي أولها

لا تنكري صدي ولا اعراضي ليس المقل عن الزمان براض

ومنها

أكل الوجيف لحومها ولحومهم فأتوك أنقاضاً على أنقاض

قيل لأبي نواس من أشعر طبقات المحدثين ؟ قال الذي يقول

يطوف علينا بها أحور يداه من الكأس مخضوبتان

والشعر لأبي الشيص

ومن قوله

وشادن كالبدر يجلو الدجى في الفرق منه المسك مذرور

يحاذر العين على صدره فالجيب منه الدهرَ مزرور

كان أبو الشيص صديقاً لمحمد بن سليمان بن اسحق الهاشمي وهما حينئذ مملقان فنال محمد بن اسحق مرتبة عند سلطانه واستغنى فجفا أبا الشيص وتغير له فكتب اليه

الحمد لله رب العالمين على قربي وبعدك مني يا ابن اسحق

ياليت شعري متى تُجدي عليّ وقد أصبحت رب دنانير وأوراق

تجدي عليّ اذا ما قيل مَنْ راق والتفت الساق عند الموت بالساق

يوم لعمري تهم الناسَ أنفسُهم وليس ينفع فيه رقية الراقي

دعبل

هو دِعْبِل بن على بن رزين الخُزاعى الأزدى يكنى أبا على

شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهه أحسن اليه أم لم يحسن ولا أفلت منه كبير أحد ، وكان شديد التعصب على النِّزارية للقحطانية وقل قصيدة يرد فيها على الكميت بن زيد ويناقضه فى قصيدته المذهبة التى هجا بها قبائل اليمن - ألا حييت عنا يامدينا - وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل الى على صلوات الله عليه وقصيدته « مدارس آيات خلت من تلاوة » من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة فى أهل البيت عليهم السلام وقصد بها أبا على بن موسى الرضا بخراسان فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه فأعطاه بها أهل قُمّ ثلاثين الف درهم فلم يبعها فقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم انها انما تراد لله عز وجل وهى محرمة عليكم ، فدفعوا اليه ثلاثين الف درهم فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون فى كفنه ، فأعطوه فرد كمّ فكان من أكفانه

قال ابراهيم بن المهدى للمأمون قولا فى دعبل يحرضه عليه فضحك المأمون وقال انما تحرضنى عليه لقوله فيك

يا معشر الأجناد لا تقنطوا وارضَوْا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطَوْن حُنَيْنِيَّة [1] يلتذها الأمرد والأشمط
والمَعْبَدِيَّات [2] لقوادكم لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق قواده خليفة مصحفه البَرْبَط
قد ختم الصك بأرزاقكم وصحح العزم فلا تسخطوا

---

(١) يريد أصواتاً منسوبة الى حنين الحيرى المغنى (٢) يريد أصواتاً منسوبة الى معبد المغنى

بيْعة ابراهيم مشؤومة　　يقتل فيها الخلق أو يقحطوا

فقال له ابراهيم فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين ، فقال دع هذا عنك فقد عفوت عنه فى هجائه إياى لقوله هذا ، وضحك ، ثم دخل أبو عباد فلما رآه المأمون من بعد قال لابراهيم دعبل يجسر على أبي عباد في الهجاء ويحجم عن أحد فقال له وكأن أبا عباد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين قال لا ولكنه حديد جاهل لا يؤمن وأنا أحلم وأصفح والله ما رأيت أبا عباد مقبلا الا أضحكني قول دعبل فيه

أولى الأمور بضيعة وفساد　　أمر يدبره أبو عباد

خرِق على جلسائه فكأنهم　　حضروا لملحمة ويوم جِلاد

يسطو على كتابه بدواته　　فمضمَّخ بدم ونضح مداد

وكأنه من دير هرقل مفْلت　　حرِد يجر سلاسل الأقياد

فاشدد أمير المؤمنين وثاقه　　فأصحُّ منه بقيةُ الحداد

وكان بقية هذا مجنوناً فى المارستان

قال مهرويه لم يزل دعبل عند الناس جليل القدر حتى رد على الكُميت بن زيد فكان ذلك مما وضعه

قال أبو خالد الخزاعي لدعبل ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعاً فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك ، فقال ويحك انى تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم الا على الرهبة ولا يبالي بالشاعر وان كان مجيداً اذا لم يُخَف شره ولَمَنْ يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب اليك فى تشريفه ، وعيوب الناس أكثر من محاسنهم وليس كل من شرفته شرف ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك ، فاذا رآك أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك وخف من مثل ما جرى على الآخر ، ويحك يا أبا خالد ان الهجاء

المقْذِع آخذ بضَبُع الشاعر من المديح المضْرِع ، فضحك أبو خالد وقال هذا والله مقال من لا يموت حتْفَ أنفه

قال دعبل قال لي أبي رزين ما قلت من الشعر قط الا هذين البيتين

خليلي ماذا أرتجي من غد امرىء طوى الكَشْح عني اليوم وهو مَكين

وان امرأً قد ضَنَّ منه بمنطق يسد به فقر امرىء لضنين

وبيتين آخرين وهما

أقول لما رأيت الموت يطلبني يا ليتني درهم فى كيس مياح

فياله درهماً طالت صيانته لا هالك ضيعة يوماً ولا ضاح

كان سبب خروج دعبل من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعَتَمة فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، وكان يروح كل ليلة بكسبه الى منزله ، فلما طلع مقبلاً اليهما وثبا اليه فجرحاه وأخذا ما في كمه فاذا هى ثلاث رمانات فى خرقة ، ولم يكن كيسه ليلتئذ معه ، ومات الرجل مكانه ، واستتر دعبل وصاحبه وجد أولياء الرجل في طلبهما وجد السلطان فى ذلك ، فطال على دعبل الاستتار فاضطر الى أن هرب من الكوفة فما دخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد

قال أحمد بن خالد كنا يوماً بدار صالح بن على من عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا فسقط على سطح البيت ديك طار من دار دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيدنا ، فأخذناه ، فقال صالح ما نصنع به ؟ قلنا نذبحه ، فذبحناه وشويناه ، وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط فى دار صالح ، فطلبه منا فجحدناه وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة ثم جلس على المسجد ، وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء وينتابهم الناس ، فجلس دعبل على باب المسجد وقال

أمر المؤذنَ صالح وضيوفه　　أمر الكميِّ هفا خلال المآقط

بعثوا عليه بنيهمُ وبناتهم　　من بين ناتفة وآخر سامط

يتنازعون كأنهم قد أوثقوا　　خاقان أو هزموا قبائل ناعط[1]

نهشوه فانتزعت له أسنانهم　　وتهشمت أقفاؤهم بالحائط

فكتبها الناس عنه ومضوا، فقال لي أبي وقد رجع الى البيت ويحكم ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل، ثم أنشدت الشعر وقال لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه الا اشتريته وبعثت به الى دعبل والا وقعنا فى لسانه، ففعلت ذلك

قال أحمد بن أبى كامل كان دعبل ينشدنى كثيراً هجاء له فأقول له فيمن هذا؟ فيقول ما استحقه أحد بعينه بعد وليس له صاحب فاذا وَجِدَ على رجل جعل ذلك الشعر فيه وذكر اسمه فى الشعر

بلغ اسمعيل بن جعفر بن سليمان أن دعبلاً هجاه، فتوعده بالمكروه وشتمه، وكان اسمعيل على الأهواز فهرب من زيد بن موسي بن جعفر بن محمد لما ظهر وبيض فى أيام أبى السَّرايا، فقال دعبل يعير اسمعيل بذلك

لقد خلَّف الأهواز من خلف ظهره　　يريد وراء الزَّاب من أرض كسْكَر

يهوِّل اسمعيلُ بالبيض والقَنــا　　وقد فرَّ من زيد بن موسى بن جعفر

وعاينته فى يوم خلَّى حريمــه　　فيا قبحها منه ويا حسن منظر

كان دعبل يختلف الى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث وهو خرَّجه وفهَّمه وأدَّبه، فظهر له منه جفاء وبلغه أنه يعيبه ويذكره وينال منه، فقال يهجوه

يا بؤس للفضل لو لم يأت ما عابه　　يستفرغ السم من صماء قرضابه

(١) قبيلة من همدان وأصله جبل نزلوا به فنسبوا اليه

ما إن يزال وفيه العيب يجمعه جهلاً لأعراض أهل المجد عيابه
ان عابني لم يعب الا مؤدبه ونفسه عاب لما عاب أدَّابه
فكان كالكلب ضرّاه مكلّبه لغيره فعدا فاصطاد كلاّبه

وقال يهجو جعفر بن محمد

ما جعفر بن محمد بن الأشعث عندي بخير أبوة من عثعث
عبثاً رأيتك بي تمارس حية سوارة ان هجتها لم تلبث
لو يعلم المغرور ما قد حاز من خزى لوالده اذاً لم يعبث

فلقيه عثعث ، فقال له عليك لعنة الله أى شيء كان بيني وبينك حتى ضربت بي المثل في خسة الآباء ؟ فضحك وقال لا شيء والله الا اتفاق اسمك واسم ابن الأشعث فى القافية أوَ لا ترضى أن أجعل أبك وهو أسود خيراً من أباء الأشعث بن قيس

كان دعبل يقول ما كانت لأحد قط عندي منة الا تمنيت موته

دخل دعبل الرّيّ فى أيام الربيع ، فجاءهم ثلج لم يروا مثله فى الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعراً وكتبه فى رقعة وهو

جاءنا دعبل بثلج من الشعـ ـر فجادت سماؤنا بالثلوج
نزل الرّيّ بعد ما سكن البر د وقد أينعت رياض المروج
فكسانا ببرده لا كساه الّلـ ـه ثوباً من كرسف [1] محلوج

فألقى الرقعة فى دهليز دعبل ، فلما قرأها ارتحل عن الرى

فخرَ قوم من خزاعة على دعبل يقال لهم بنو مكلم الذئب وكان جدهم جاء الي النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه أن الذئب أخذ من غنمه شاة فتبعه ، فلما غشيه بالسيف قال مالي ولك تمنعني رزق الله ؟ قال فقلت ياعجباً لذئب يتكلم ، فقال أعجب منه أن محمداً نبي قد بعث بين أظهركم وأنتم لا تتبعونه ، فبنوه يفخرون بتكليم الذئب جدهم ، فقال دعبل يهجوهم

(١) الكرسف القطن

يهتم علينا بأن الذئب كلمكم فقد لعمري أبوكم كلم الذيبا
فكيف لو كلم الليث المصور إذاً أفنيتم الناس مأكولاً ومشروبا
هذا السنيدي لا أصل ولا طرف يكلم الفيل تصعيداً وتصويبا

قال دعبل فى الفضل بن مروان

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل وقلت فسيرت المقالة فى الفضل
ألا ان فى الفضل بن سهل لعبرةً ان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل فى الفضل بن يحيى مواعظ اذا فكر الفضل بن مروان فى الفضل
فأبق جميلاً من حديث تفز به ولا تدع الاحسان والأخذ بالفضل
فانك قد أصبحت الملك قيّماً وصرت مكان الفضل والفضل والفضل
ولم أرَ أبياتاً من الشعر قبلها جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عيب اذا هى أنشدت سوى أن نصحى الفضل كان من الفضل

فبعث اليه الفضل بن مروان بدنانير وقال له قد قبلت نصحك فاكفنى خيرك وشرك

كان دعبل جالساً بالبصرة وعلى رأسه غلامه نفنف فمر به اعرابى يرفل فى ثياب خز، فقال لغلامه ادع لي هذا الأعرابى، فأومأ اليه الغلام فجاءه، فقال له دعبل من الرجل؟ قال من بنى كلاب، قال من أى ولد كلاب أنت؟ قال من ولد أبى بكر، فقال أتعرف القائل

ونبئت كلباً من كلاب يسبني ومحض كلاب يقطع الصلوات
فان أنا لم أعلم كلاباً بأنهــــا كلاب وانى باسل النقمات
فكان اذاً من قيس عيلان والدي وكانت أمى اذاً من الحبطات

وهذا الشعر لدعبل يقوله فى عمرو بن عاصم الكلابى، فقال له الأعرابى من أنت؟ فكره أن يقول له من خزاعة فيهجوهم، فقال أنا أنتمي الى القوم الذين يقول فيهم الشاعر

أناس عليّ الخير منهم وجعفر — وحمزة والسجاد ذو الثفنات

اذا فخروا يوماً أتوا بمحمد — وجبريل والفرقان والسورات

فوثب الأعرابي وهو يقول مالي الى محمد وجبريل والفرقان والسورات مُرْتقى.

سأل دعبل نصر بن منصور بن بسام حاجة فلم يقضها لشغل عرض له دونها، فقال يهجو بني بسام

حواجب كالجبال سود — الى عثانين كالمخالي

وأوجه جهمة غلاظ — عُطْل من الحسن والجمال

كتب دعبل الى أبي نَهْشَل بن حُميد الطوسي قوله

انما العيش في منادمة الاخوا — ن لا في الجلوس عند الكعاب

وبصِرْف كأنها ألسن البر — ق اذا استعرضت رقيق السحاب

أن تكونوا تركتمُ لذة العيـ — ـش حذار العقاب يوم العقاب

فدعوني وما ألذّ وأهوى — وادفعوا بي في صدر يوم الحساب

دخل دعبل على علي بن موسى الرضا فقال له أنشدني شيئاً مما أحدثت فأنشده

مدارس آيات خلت من تلاوة — ومنزل وحي مقفر العرصات

حتى انتهى الى قوله

اذا وُتروا مدوا الى واتريهمُ — أكُفّاً عن الأوتار منقبضات

فبكى حتى أغمي عليه وأومأ اليه خادم كان على رأسه أن اسكت، فسكت ساعة، ثم قال له أعد، فأعاد حتى انتهى الى هذا البيت أيضاً فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الاولى وأومأ الخادم اليه أن اسكت، فسكت، فمكث ساعة أخرى ثم قال له أعد، فأعاد حتى انتهى الى آخرها فقال له أحسنت ثلاث مرات، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ولم تكن وقعت الى أحد بعد، وأمر له من في منزله بحلي كثير أخرجه اليه الخادم، فقدم العراق فباع كل درهم منها

بعشرة دراهم اشتراها منه الشيعة فحصل له مائة الف درهم فكان أول مال اعتقده

قال دعبل كان لي صديق متخلف يقول شعراً فاسداً مرذولاً وأنا أنهاه عنه اذا أنشدني ، فأنشدني يوماً

ان ذا الحب شديد ليس ينجيه الفرار
ونجا من كان لا يعشـــق من ذل المخازي

فقلت له هـذا لا يجوز ، البيت الأول على الراء والثاني على الزاى ، فقال لا تنقطه ، فقلت له فلأول مرفوع والثاني مخفوض ، فقال أنا أقول له لا تنقطه وهو يشكله

قال محمـد بن زكريا الفرْغاني سمعت دعبلا يقول في كلام جرى « لَيْسك » فأنكرته عليه فقال دخل زيد الخيـل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يازيد ما وصف لي رجل الا رأيته دون وصفه لَيْسك ، يريد غيرك

قال على بن عبد الله بن سعد قال لي دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة فى عيسى بن البراء النصراني الحربى

زُنّاره فى خصره معقود كأنه من كبدى مقدود

فقال والله ما أعلمنى حسدت أحداً على شعر كما حسدت بكراً على قوله « كأنه من كبدى مقدود »

قال دعبل مكثت نحوستين سنة ليس من يوم ذرّ شارقه الا وأنا أقول فيه شعراً

قال عمرو بن مسعدة حضرت أبادلف عند المأمون وقد قال له المأمون أي شيء تَرْوِى لأخى خُزاعة ياقاسم ؟ فقال وأى أخى خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال ومن تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال أما من أنفسهم فأبو الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وداود بن أبي رزين ، وأما من مواليهم فطاهر وابنه عبد الله ؛ فقال ومن عسى من

هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دعبل ؟ هات أى شىء عنـدك فيه ، فقال وأي شىء أقول فى رجـل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم فقرن احسانهم بالاساءة وبذلهم بالمنع وجودهم بالبخل حتى جعل كل حسنة منهم بازاء سيئة ، قال حين يقول ماذا ؟ قال حين يقول فى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو أصدق الناس له وأقربهم منه وقد وفد اليه الى مصر فأعطاه الجزيل وولاه ولم يمنعه ذلك أن قال فيه

اضرب ندى طلحة الطلَحات متئداً ... بلؤم مطلب فينا وكن حكما

تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم ... فلا تحس لهـا لؤماً ولا كرما

فقال المأمون قاتله الله ما أغوصه وألطفه وأدهاه وجعـل يضحك ، ثم دخل عبد الله بن طاهر فقال أى شىء تحفظ ياعبد الله لدعبل ؟ فقال أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين قال هاتها ويحك فأنشده

سقيا ورعيا لأيام الصـبابات ... أيام أرْفُلُ فى أثواب لذاتى

أيام غصنى رطيب من ليـانته ... أصبو الى غـير جارات وكِنَّات

دع عنك ذكر زمان فات مطلبه ... واقذف برجلك عن متن الجهالات

واقصـد بكل مديح أنت قائله ... نحو الهداة بنى بيت الـكرامات

فقال المأمون انه قد وجد والله مقالاً فقال ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله فى وصف غيرهم

قال أبو شراعة قصدت الحسن بن رجاء بالأهواز فصادفت ببابه دعبل بن على وجماعة من الشعراء وقد اعتل عليهم بدين لزمه ومصادرة فـكتب اليه

المـال والعقل شىء يستعان به ... على المقام بأبواب السلاطين

وأنت تعـلم انى منهما عطل ... اذا تأملتنى يا ابن الدّهاقين

هل تعلم اليوم بالأهواز من رجل ... سواك يصلح للدنيـا وللدين

فوعدنا وعداً قربه ثم تدافع فـكتب اليه

آذنت جبتى بأمر قبيح من فراق للطيلسان القبيح

فكأنى بمن يزيد على الجبـــة فى ظل دار سهل بن نوح

أنت روح الأهواز يا ابن رجاء أى شىء يعيش الا بروح

فأذن له وللجماعة وقضى حوائجنا

كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله وأخاه يحيى فلم يرض ما فعلاه به ، فقال يهجوهما

ما زال عصياننا لله يرذلنا حتى دُفعنا الى يحيى ودينار

وَغْدين علْجين لم تقطع ثمارهما قد طال ما سجدا للشمس والنار

وكان منحرفاً عن آل طاهر مع ميلهم اليه وأياديهم عنده فقال فيهم

وأبقى طاهر فينا ثلاثاً عجائب تُستخف لها الحلوم

ثلاثة أعبد لأب وأم تميز عن ثلاثتهم أروم

فبعض فى قريش منتماه ولا غيرَ ومجهول كريم

وبعضهم يُهش لآل كسرى ويزعم انه علج لئيم

فقد كسرت مناسبهم علينا وكلهمُ على حال زنيم

قال دعبل حججت أنا وأخى رزين وأخذنا كتباً الى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولاها فصرنا من مكة الى مصر فصحبنا رجل يعرف بأحمد بن فلان السراج ، فما زال يحدثنا ويؤنسنا طول طريقنا ويتولى خدمتنا كما يتولاها الرفقاء والأتباع ، ورأيناه حسن الأدب ، وكان شاعراً ولم نعلم وكتمنا نفسه وقد علم ما قصدنا له فعرضنا عليه أن نقول فى المطلب قصيدة ننحله اياها ، فقال ان شئتم وأرانا بذلك سروراً وتقبلا له ، فعملنا قصيدة وقلنا له تنشدها المطلب وانك تنتفع بها ، فقال نعم ووردنا مصر به فدخلنا الى المطلب وأوصلنا اليه كتباً كانت معنا وأنشدناه ، فسر بموضعنا ووصفنا له أحمد السراج هذا وذكرنا له أمره فأذن له

فدخل عليه ونحن نظن انه سينشد القصيدة التى نحلناه إياها ، فلما مثل بين يديه عدل عنه وأنشده

لم آت مطلباً الا بمطلب ... وهمة بلغت بى غاية الرتب
أفردته برجاء أن تشاركه ... فيَّ الوسائل أوألقاه فى الكتب

وأشار الى كتبي التى أوصلتها اليه وهى بين يديه فكان ذلك أشد من كل شيء مرَّ بى منه عليَّ ، ثم أنشد

رحلتُ عيسي الي البيت الحرام على ... ما كان من وَصَبٍ فيها ومن نَصَبِ
ألقى بها وبوجهى كل هاجرة ... تكاد تقدح بين الجلد والعصَبِ
حتى اذا ماقضت نُسْكي ثنيت لها ... عطف الزمام فأمّت سيد العرب
فأممنك وقد ذابت مفاصلها ... من طول ماتعب لاقت ومن نصب
انى استجرت باستارين[1] مستلماً ... ركنين مطلباً والبيتَ ذا الحجب
فذاك للآجل المأمول ألمسه ... وأنت للعاجل المرجو والطلب
هذا ثنائى وهذى مصر سانحة ... وأنت أنت وقدناديت من كثب

فصاح مطلب لبيك لبيك ، ثم قام فأخذ بيده وأجلسه معه وقال يا غلمان البِدَر ، فأحضرت ، ثم قال الخلع ، فنشرت ، ثم قال الدواب ، فقيدت ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا وحسدناه عليه وكان حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر ، وغيظنا بكتمه ايانا نفسه واحتياله علينا أكثر وأعظم ، فخرج بما أمر له به وخرجنا صفراً ، وكانت التى مدح بها دعبل المطلب قصيدته التى يقول فيها

أبعد مصر وبعد مطلب ... ترجو الغنى ان ذا من العجب
ان كاثرونا جئنا بأسرته ... أو واحدونا جئنا بمطلب

(١) هذا على معنى استار كذا واستار كذا

ثم ولي دعبل بن علي بعد ذلك على أسوان ، وكان دعبل قد هجا المطلب غيظاً منه فقال

أمطلب أنت مستعذب ... حُمَيَّا الأفاعى ومستقتل

فان أشْفِ منك تكن سُبَّة ... وان أعفُ عنك فما تفعل

ستأتيك إمّا وردت العراق ... صحائف يأثرها دعبل

منمقة بين أثنائها ... مخازٍ تُحَطّ فلا ترحل

وضعت رجالاً فما ضرهم ... وشرفت قوماً فلم ينبُلوا

فأيّهم الزين وسط الملا ... عطية أم صالح الأحول

أم الباذجانى أم عامر ... أمين الحمام التى تزجل

تنوّط مصر بك المخزيات ... وتبصق في وجهك الموصل

ويوم الشُّراة تحسّيتها ... يطيب لدى مثلها الحنظل

توليت ركضاً وفتياننا ... صدور القنا فيهمُ تَعْمَل

اذا الحرب كنت أميراً لها ... فحظهمُ منك أن يقتلوا

فمنك الرءوس غداة اللقاء ... وممن يحاربك الأنصل

شعارك فى الحرب يوم الوغى ... اذا انهزموا، عجلوا عجلوا

هزائمك الغرّ مشهورة ... يقرطس[1] فيهن من ينْضل

فأنت لأولهم آخر ... وأنت لآخرهم أول

وبلغ المطلب هجاؤه اياه بعد أن ولاه فعزله عن أسوان فأنفذ اليه كتاب العزل مع مولى له وقال انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة فاذا علاه فأوصل الكتاب اليه وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر واصعد مكانه ، فلما أن علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب ، فقال له دعبل دعنى أخطب فاذا نزلت قرأتم ، قال لا

(١) قرطس أصاب القرطاس أى الغرض

قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه ، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً

ومن قول دِعْبل وفيه غناء

أين الشباب وأيَّةً سلكا　　لا أين يطلب ضل بل هلكا

لا تعجبي يا سلم من رجل　　ضحك المشيب برأسه فبكى

ياليت شعري كيف يومكما　　يا صاحبيَّ اذا دمي سفكا

لا تأخذوا بظلامتي أحداً　　قلبي وطرفي في دمي اشتركا

أخذ البيت الثاني من قول مسلم بن الوليد

مستعبر يبكي على دمنة　　ورأسه يضحك فيه المشيب

فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحق به منه ، وقال الأصمعي سرقه من قول الحسين بن مُطَير الأسدي

أين أهل القِباب بالدَّهناء　　أين جيراننا على الأحْساء

فارقونا والأرض مُلْبَسة نَوْ　　ر الأقاحي تُجادُ بالأنْواء

كل يوم بأقحوان جديد　　تضحك الأرض من بكاء السماء

قال ابراهيم بن المدبر لقيت دعبل بن علي فقلت له انت أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول

اني من القوم الذين سيوفهم　　قتلت أخاك وشرفتك بمَقْعَد

رفعوا محلك بعد طول خموله　　واستنقذوك من الحضيض الأوْهد

وأولها

أخذ المشيب من الشباب الأغيد　　والنائبات من الأنام بمرصد

فقال يا أبا اسحق أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبني عليها

وقال دعبل بن علي يرثي ابن عم له من خزاعة نعي اليه ، قال محمد بن يزيد ولقد أحسن فيها ما شاء

كانت خُزاعةملء الأرض فانسمت فقصَّ مرَّ الليالي من حواشيها

هذا أبوالقاسم الثاوي ببلْقَعة تَسفي الرياح عليه من سوافيها

هبت وقد علمت ألّا هبوب به وقد تكون حسيراً اذ يُباريها

أضحى قِرًى للمنايا اذ نزلن به وكان فى سالف الأيام يقرِيها

مدح عبد الرحمن بن خاقان وطلب منه بِرْذَوْناً فحمله اليه غامراً ، فكتب اليه

حملتَ على قارح غامر فلا للركوب ولا للثمن

حملتَ على زَمِنٍ ظالع فسوف تكافا بشكر زَمِن

فبعث اليه ببرذون غيره فاره بسرجه ولجامه وألفى درهم

كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى ، وكانت الشُّراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويوا كلونه ويشاربونه ويبَرونه ، وكان اذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم اليه ودعا بغلاميه نفنف وشعف وكانا مغنيين فأقعدهما يغنيان وسقاهم وشرب معهم وأنشدهم فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره وكانوا يواصلونه ويصلونه ، وأنشد دعبل لنفسه فى بعد اسفاره

حللت محلا يقصر البرق دونه ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

قال البحترى دعبل بن على أشعر عندى من مسلم بن الوليد لأن كلام دعبل أدخل فى كلام العرب من كلام مسلم ومذهبه أشبه بمذاهبهم وكان يتعصب له

كان المعتصم يُبغض دعبلاً لطول لسانه وبلغ دعبلاً أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب الى الجبل وقال يهجوه

بكى لشَتات الدين مكتئب صَبّ وفاض بفرط الدمع من عينه غَرْب

وقام إمام لم يكن ذا هداية فليس له دين وليس له لُب

وما كانت الأنباء تأتى بمثله يُملَّك يوماً أو تدين له العُرْب

ولكن كما قال الذين تتابعوا من السلف الماضين اذ عظم الخَطْب

ملوك بني العباس فى الكتب سبعة ... ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة ... خيار اذا عدوا وثامنهم كلب
وانى لأعلي كلبهم عنك رفعة ... لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم ... وصيف وأشناس وقد عظم الكرب
وفضل بن مروان يثلم ثلمة ... يَظَلُّ لها الإسلام ليس له شعب

لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا ... في خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقدت ... مثلك الا بمثــــل هارون

فقال دعبل يعارضه

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا ... فى شر قبر لشر مدفون
اذهب الى النار والعذاب فما ... خلقك الا من الشــياطين
ما زلت حتى عقدت بيعة من ... أضر بالمســـلمين والدين

وقال في ذلك وفى قيام الواثق

الحمد لله لا صبر ولا جلد ... ولا عزاء اذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد ... وآخر قام لم يفرح به أحد

ولقد أحسن فى وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه

ألم يأن للسَّفْرُ الذين تحملوا ... الى وطن قبل الممات رجوع
فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... نطقن بما ضُمَّت عليه ضلوع
تَبَين فكم دار تفرق شملها ... وشمل شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالي صرفهن كما ترى ... لكل أناس جدبة وربيع

ثم قال ما سافرت قط إلا كانت هــذه الأبيات نصب عينى في سفري وهِجِّيراى ومَسْلِيتي حتى أعود

ومن قول دعبل وفيه غناء

سرى طيف ليلى حين آن هُبوب ... وقضيت شوقاً حين كاد يذوب

فلم أر مطروقاً يحل برحلة ... ولا طارقاً يقري المنى ويثيب

ومن قوله

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب ... رأت بى شيباً عجلته خطوب

وما شيبتى كبرة غير اننى ... بدهر به رأس الفطيم يشيب

وقال فى صالح بن عطية الأضجم وكان من أقبح الناس وجهاً وخاطب فيها المعتصم

قل للامام امام آل محمد ... قول امرىء حَدِب عليك محام

أنكرت أن تفتر عنك صنيعة ... فى صالح ابن عطية الحجام

ليس الصنائع عنده بصنائع ... لكنهن طوائل الاسلام

اضرب به جيش العدو فانه ... جيش من الطاعون والبرسام

قال أبو تمام ما زال دعبل مائلاً الى مسلم بن الوليد مقراً بأستاذيته حتى ورد عليه بجُرْجان ، فجفاه مسلم وكان فيه بخل ، فهجره دعبل وكتب اليه

أبا مَخْلَد كنا عقيدَيْ مودة ... هوانا وقلبانا جميعاً معاً معا

أحوطك بالغيب الذى أنت حائطى ... وأجزع اشفاقاً من آن تتوجعا

فصيرتني بعد انتكاثك متْهماً ... لنفسى عليها أرهب الخلق أجمعا

غشَشْتَ الهوى حتى تداعت أصوله ... بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا

وأنزلت من بين الجوانح والحشى ... ذخيرة وُدّ طالما قد تمنعا

فلا تَلْحينّى ليس لي فيك مطمع ... تخرقت حتى لم أجد لك مَرْقعا

فهبْك يميني استأكلت فقطعتها ... وجشمت قلبى صبره فتشجعا

ثم تهاجرا فما التقيا بعد ذلك

ومن مديحه المطلب

زمني بمطلب سقيت زمانا ... ما كنت إلا روضة وجنانا

كل الندى الا نداك تكلف ... لم أرض بعدك كائناً من كانا

أصلحتني بالبر بل أفسدتني ... فتركتني أتسخط الاحسانا

أجرى الرشيد على دعبل رزقاً سنياً فكان أول من حرضه على قول الشعر فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله من العطاء السني والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام وهجا الرشيد

وليس حي من الأحياء نعلمه ... من ذي يمانٍ ومن بكر ومن مُضَر

ألا وهم شركاء في دمائهـــم ... كما تشارك أيسار على جُزُر

قتل وأسر وتحريق ومَنْهَبة ... فعل الغُزاة بأرض الروم والخَزَر

أرى أُمية معذورين ان قتلوا ... ولا أرى لبني العباس من عذر

اربَع بطوسَ على القبر الزكي اذا ... ما كنت تربع من دين على وطر

قبران في طوس خير الناس كلهم ... وقبر شرهمُ هـذا من العبر

ما ينفع الرجسَ من قرب الزكي ولا ... على الزكي بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرىء رهن بما كسبت ... له يداه نخذ ما شئت أو فذر

استدعى بعض بني هاشم دعبلا وهو يتولى للمعتصم ناحية من نواحي الشام فقصده اليها فلم يقع منه بحسن ظن وجفاه فكتب اليه دعبل

دَاليتني بغرور وعدك في ... متلاطم من حومة الغرق

حتى اذا شمِت العدو وقد ... شهر انتقاصك شهرة البلق

أنشأت تحلف أن ودك لي ... صاف وحبلك غير منحذق

وحسبتني فَقَعاً بقرقرة ... فوطئتني وطأ على حنق

ونصبتني علماً على غرض ترميني الأعداء بالحدق
وظننت أرض الله ضيقة عني وأرض الله لم تضق
من غير ما جرم سوى ثقة مني بوعدك حين قلت ثق
ومودة تحنو عليك بها نفسي بلا منّ ولا ملق
فمتى سألتك حاجة أبداً فاشدد بها قفلاً على غلق
وقف الاخاء على شفا جرف هارٍ فبعه بيعة الخلق
وأعدّ لي قفلاً وجامعة فاشدد يدي بها الى عنقي
أعفيك مما لا تحب بها واسدد عليّ مذاهب الأفق
ما أطول الدنيا وأعرضها وأدلّني بمسالك الطرق

دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد

جئت بلا حرمة ولا سبب اليك إلا بحرمة الأدب
فاقض ذمامي فانني رجل غير ملحّ عليك فى الطلب

فانتقل عبد الله ودخل الحرم ووجه بصرة فيها ألف درهم وكتب اليه

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ولو انتظرت كثيره لم يقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقل ونكون نحن كأننا لم نفعل

مات دعبل بقرية من قرى السوس بعث اليه مالك بن طوق من ضرب ظهره بعكاز لها زج مسموم فمات من غد

عبد الله بن طاهر

كان بمحل من علو المنزلة وعظم القدر ولطف مكان من الخلفاء يستغني به عن التقريظ له والدلالة عليه وأمره فى ذلك مشهور عند الخاصة والعامة وله فى الأدب مع ذلك المحل الذى لا يدفع وفى السماحة والشجاعة ما لا يقاربه فيه أحد

أعطاه المأمون مال مصر لسنة خراجها وضياعها فوهبه كله وفرقه فى الناس ورجع صفراً من ذلك فغاظ المأمون فعله فدخل اليه يوم مقدمه فأنشده أبياتاً قالها فى هذا المعنى وهى

نفسى فداؤك والأعناق خاضعة ... للنائبات أبيًا غير مهتضم

اليك أقبلت من أرض أقمت بها ... حولين بعدك فى شوق وفي ألم

أقفو مساعيك اللاتى خصصت بها ... حذو الشراك على مثل من الأدم

فكان فضلى فيها انني تبع ... لما سننت من الانعام والنعم

ولو وكات الى نفسى عنيت بها ... لكن بدأت أقلم أعجز ولم ألم

فضحك المأمون وقال والله مانفست عليك مكرمة نلتها ولا أحدوثة حسن عندك ذكرها ولكن هذا شيء اذا عودته نفسك افتقرت ولم تقدر على لم شعثك واصلاح حالك ، وزال ما كان فى نفسه

لما فتح عبد الله مصر سوغه المأمون خراجها فصعد المنبر فلم يزل حتى أجاز بها كلها ثلاثة آلاف الف دينار أو نحوها فأتاه معلى الطائى وقد أعلموه ماصنع بالناس في الجوائز وكان عليه واجداً فوقف بين يديه تحت المنبر فقال أصلح الله الأمير أنا معلى الطائى وقد بلغ مني ما كان منك من جفاء وغلظ فلا يغلظن على قلبك ولا يستخفنك الذى بلغك أنا الذى أقول

يا أعظم الناس عفواً عند مقدرة ... وأظلم الناس عند الجود للمال

لو أصبح النيل يجرى ماؤه ذهباً ... لما أشرت الى خزن بمثقال

تغلى بما فيه رق الحمد تملكه ... وليس شيء أعاض الحمد بالغالي

تفك باليسر كف العسر من زمن ... اذا استطال على قوم باقلال

لم تخل كفك من جود لمختبط ... ومرهف قاتل فى رأس قتال

وما بثثت رعيل الخيل فى بلد ... الا عصفن بأرزاق وآجال

ان كنت منك على بال مننت به فان شكرك من قلبي على بال

ما زال مقتضباً لولا مجاهرة من ألسن خُضْنَ فى صدرى بأقوال

فضحك عبد الله وسر بما كان منه وقال يا أبا السمراء أقرضني عشرة آلاف دينار فما أمسيت أملكها فأقرضه فدفعها اليه

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر وكان نديمه وجليسه وكان له مؤثراً مقدماً فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بجوائز سنية هناك وقبل ذلك ، ثم انه وجد عليه فى بعض الأمر فجفاه وظهر له منه بعض مالم يحبه فرجع حينئذ الى بغداد وقال

ان كان عبد الله خلانا لا مبدئاً عرفاً واحسانا

فحسبنا الله رضينا به ثم بعبد الله مولانا

يعني به المأمون ، وغنت فيه جاريته وسمعه المأمون فاستحسنه ووصله وإياها فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر فغاظه ذلك وقال أجل صنعنا المعروف الى غير أهله فضاع

ولعبد الله ألحان صاغها فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه فى شعر أخت عاصية فانه صوت نادر جيد صحيح العمل مزدوج النغم بين لين وشدة على رسم الحذاق من القدماء وهو

هلا سقيتم بنى سهم أسيركمُ نفسى فداؤك من ذى غلة صادى

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها مُضَرَّجٌ بعد ما جادت بإزباد

ومن غنائه أيضاً

راح صحبي وعاود القلب داء من حبيب طلابه لي عناء

حسن الرأى والمواعيد لا يُلْـ ـفى لشيء مما يقول وفاء

من تعزى عمن يحب فانى ليس لى ماحييت عنه عزاء

ابن أبي عيينة

هو أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي

شاعر مطبوع ظريف غزل هجاء وأنفذ أكثر شعره في هجاء ابن عمه خالد وكان من شعراء الدولة العباسيه من ساكني البصرة

وقال محمد بن يزيد كان أبو عيينة من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً من غير أدب موصوف ولارواية كثيرة وكان يقرب البعيد ويحذف الفضول ويقل التكلف وكان يتعشق فاطمة بنت عمر ويُسر عشقها ويلقبها دنيا كتماناً لأمرها وكانت امرأة جليلة سرية من النساء وكان أبوها من أشد الفرسان وشجعانهم ، ومن قوله في فاطمة هذه

تجني علينا آل مكتومة الذنبا وكانوا لنا سلماً فأضحَوْا لنا حربا

يقولون عز القلب بعد ذهابه فقلت ألا طوباي لو أن لي قلبا

وقالوا تجنبنا فقلت أبعد ما غلبتم على قلبي بسلطانكم غصبا

غضاب وقد ملوا وقوفي ببابهم ولكن دنيا لا ملولا ولا غضبى

وقد أرسلت في السر أني بريئة ولم تر لي فيما ترى منهمُ ذنبا

وقالت لك العُتْبَى وعندي لك الرضا وما ان لهم عندي رضاء ولا عُتْبَى

ونيتها تلهو اذا اشتد شوقها بشعري كما تلهو المغنية الشَّرْبَى

فأحببتها حباً يقرّ بعينها وحبي اذا أحببت لايشبه الحبا

فيا حسرتا نغصت قرب ديارها فلا زُلفة منها أُرجّي ولا قربا

لقد شمت الأعداء أن حيل بينها وبيني ألا للشامتين بنا العُتْبَى

ومما قاله فيها وغني فيه

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ في حفظه عجب وفي تضييعك

ونأيت عنه فما له من حيلة ... الا الوقوف الى أوان رجوعك
متخشعاً يُذرى عليك دموعه ... أسفاً و يعجب من جمود دموعك
ان تقتليه وتذهبي بفؤاده ... فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

ومن قوله فيها

دعوتك بالقرابة والجوار ... دعاء مصرح بادى السرار
لأنى عنك مشغول بنفسى ... ومحترق عليك بغير نار
وأنت توقّرين وليس عندى ... على نار الصبابة من وقار
فأنت لأن مابك دون مابى ... تدارين العدو ولا أدارى
ولو والله تشتاقين شوقى ... جمحتِ الى مخالعة العذار
ألا ياوهب فيم فضحت دنيا ... وبحت بسرها بين الجواري
أما والراقصات بكل واد ... غوادٍ نحو مكة أو سوارِ
لقد فضلت دنيا فى فؤادى ... كفضل يدى اليمين على اليسار
فقولي ما بدا لك أن تقولي ... فانى لا ألومك أن تغارى

وقال فيها وهو من ظريف أشعاره

رق قلبي لك يا نور عيني ... وأبى قلبك لى أن يرِقا
فأراك الله موتى فانى ... لست أرضى أن تموتى وأبقى
أنا من وجدى بدنياى منها ... ومن العذل فيها مُلقًى
زعموا انى صديق لدنيا ... ليت ذا الباطل صار حقا

وقال فيها أيضاً

عيشها حلو وعيشك مر ... ليس مسرور كمن لا يسر
كمديم الحب تسخن فيه ... عينه أكثر مما تقرّ
قلت للائم فيها الهُ عنها ... لا يقع بيني وبينك أمر

أتراني مقصراً عن هواها كل مملوك اذاً لي حر

ومنه

جئت قالت دنيا علام نهاراً زرت ؟ هلا انتظرت المساء

كنت ذا معجباً برأيك لانفـــرق فاستحى يا قليل الحياء

ذاك اذ روحها وروحى مزاجا ن كأصفى خمر بأعذب ماء

ومنه

جعلت حبك من قلبي بمنزلة هى المصافاة بين الماء والراح

تهتز مثل اهتزاز الغصن حركه مرورغيث من الوسميّ سحاح

ومن قوله فيها

ألم تنهَ قلبك أن يعشـقا ومالك والعشقَ لولا الشقا

أمن بعد شربك كأس النُهى وشمك ريحان أهل التقى

عشقت فأصبحت فى العالمـــين أشهرَ من فرس أبلقا

أدنياى من غمر بحر الهوى خذي بيدي قبل أن أغرقا

أنا لكِ عبد فكوني كمن اذا سره عبـــده أعتقا

ألم أخدعَ الناس عن وصلها وقد يخدع العاقل الأحمقا

بلى فســبقتهم انني أحب الى الخير أن أسبقا

ويوم الجنازة اذ أرسلت على رقعة أن جُز الخندقا

وعُجْ فانظر لنا مجلساً برفق وإياك أن تخرقا

فجئنا كغصنين من بانة قرينين خدْنين قد أورقا

فقالت لأخت لها استنشديـــه من شعره المحكم المنتقى

فقلت أمرت بكتمانه وحذرت ان شاع أن يسرقا

فقالت بعيشك قولي له تمنع لعلك أن تنفقا

ومما قاله فيها

ألا في سبيل الله ما حل بي منك ... وصبرُك عني حين لاصبر لي عنك

وتركُكِ جسمي بعد أخذكِ مهجتى ... ضَئيلاً فهلاَّ كان من قبل ذا تركي

فهل حاكم في الحب يحكم بيننا ... فيأخذ لي حقى ويُنْصفني منك

لقد كنت يوم القصر مما ظننتِ بي ... بريئاً كما أني بريء من الشرك

يذكرني الفردوس طوراً فأرعوى ... وطوراً يواتيني الى القَصْف والفتك

بغَرْس كأبكار الجوارى وتربة ... كأن ثراها ماء ورد على مسك

وسِرْب من الغزلان يرتَعْنَ حوله ... كما استلَّ منظوم من الدر من سلك

وورقاء تحكي الموصلي اذا غدت ... بتغريدها أحْببْ بها وبمن تحكى

فياطيب ذاك القصر قصراً ومنزلا ... بأفْيَح سهل غير وَعْر ولا ضَنْك

كأن قصور القوم ينظرن حوله ... الى ملك مُوفٍ على منبر الملك

يُدِل عليها مستطلا بظلها ... فيضحك منها وهى مطرقة تبكى

وقال لما بلغه أنها زوجت وكان اسحق الموصلى يستحسن هذا الشعر ويستجيده

أرى عهدها كالورد ليس بدائم ... ولا خير فيمن لا يدوم له عهد

وعهدي لها كالآس حسناً وبهجة ... له نَضْرَة تبقى اذا ما انقضى الورد

فما وجد العُذْرِيّ اذ طال وجده ... بعَفْرَاء حتى سلَّ مهجتَه الوجد

كوجدى غداة البين عند التفاتها ... وقد شَفَّ عنها دون أترابها البُرْد

فقلت لأصحابي هي الشمس ضوؤها ... قريب ولكن في تناولها بعد

واني لمن تهدى اليه لحاسد ... جرى طائرى نحسا وطائره سعد

ومن قوله فيها

ما لدنيا تجفوك والذنب منها ... ان هذا منها لخِبٌّ ومكر

عرفت ذنبها إليَّ فقالت ابدُروا القوم بالصياح يفِروا
قد أمرت الفؤاد بالصبر عنها غير أن ليس لي مع الحب أمر
وكتمت اسمها حذاراً من النا س ومن شرهم وفى الناس شر
ويقولون بح لنا باسم دنيا واسم دنيا سر على الناس ذخر

ومن قوله لرجل من جيرانه كان يستثقله ، فسأله حاجة فقضاها ثم سأله أخرى فوعده بها ، ثم سأله ثالثة

خفف على اخوانك المؤنا ان شئت أن تبقى لهم سكنا
لا تلحفنَّ اذا سألت ففى الـــإلحاف اجحاف بهم وعنا

فقام الرجل وانصرف

وفد الى طاهر بن الحسين يسأله أن يعزل أمير البصرة وكان من قبله ، فعزله وأجزل صلته ، فقال

ياذا اليمينين قد أوقرتني مننا تترى هى الغاية القصوى من المنن
ولست أسطيع من شكر أجيء به الا استطاعة ذى روح وذى بدن
لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة أوفى من الشكر عند الله فى الثمن
أخلصتها لك من قلبي مهذبة حذواً على مثل ما أوليت من منن

وكان أمير البصرة اسمعيل بن سليمان قد أساء مجاورة ابن أبي عيينة حتى تباعد ما بينهما وقبح وأظهر اسمعيل تنقصه وعيبه ، فخرج يشكوه الى طاهر ، فلما دخل عليه سأله عن حوائجه وأدناه وأمره برفعها ، فأنشده

من أوحشته البلاد لم يقم فيها ومن آنسته لم يرم
ومن يبت والهموم قادحة فى صــدره بازناد لم ينم
ومن يرى النقص من مواطنه يزل عن النقص موطىء القدم
والقرب ممن نأى بجانبه صدع على الشعب غير ملتئم

ورب أمر يَعْيا اللبيب به يَظَلّ منه في حيرة الظلم
صبر عليه كظْم على مضض وتركه من مواقع الندم
ياذا اليمينين لم أزرك ولم آتِكَ من خلة ومن عدم
اني من الله في مُراح غنى ومتندًى واسع وفي نعم
زارتك بي همة منازعة الى العلا من كرائم الهمم
وانني للجميل محتمل في القدر من منصبي ومن شيمي
وقد تعلقت منك بالذمم الكبرى التي لا تخيب في الذمم
فان أنَلْ بغيتي فأنت لها في الحق حق الرجاء والرَّحم
وان يَعُق عائق فلست على جميل رأى عندى بمتهم
في قدَر الله ما أحمّله تعويق أمرى في اللوح والقلم
لم يضق الصبر والفجاج على حر كريم بالصبر معتصم
ماض كحد السنان في طرف العامل أوحد مُصْلَت خذم
اذا ابتلاه الزمان كشّفه عن ثوب حرية وعن كرم
ما ساء ظني الا بواحدة في الصدر محصورة عن الكلم
ليهن قوماً جزْتُ المدى بهمُ ولم تقصر فيهمُ ولم تلم
وليس كل الدِّلاء راجعة بالنصف من ملئها الى الوذَم
ترجع بالحمأة القليلة أحياناً ورَنْق الصُّبابة الأمم
ما تنبت الأرض كل زهرتها ولا تعم السماء بالديم
ما فيَّ نقص عن كل منزلة شريفة والأمور بالقسم

فأجابه طاهر

من تستضفه الهموم لم ينم الا كنوم المريض ذى السقم
ولا يزال قلبه يكابد ما تولد فيه الهموم من ألم

وقد سمعت الذى هتفت به ... وما بأذنى عنك من صمم

وقد علمنا أن ليس تصحبنا ... لفاقة فيك لا ولا عـــدم

الا لحق وحرمة وعلى ... مثلك رعى الحقوق والحرم

أنت امرؤٌ لا تزول عن كرم ... الا الى مثله من الكرم

وأنت امرؤٌ من أسرة جحاجحة ... فازوا بحسن الفعال والشيم

فما ترم من جسيم منزلة ... فالحكم فيه اليك فاحتكم

ان كنت مستسقياً سماحتنا ... منا تجدك اليدان بالديم

أو ترم فى بحرنا بدلوك لا ... نعدمك ملأً لها الى الوَذَم

انا أناس لنـــا صنائعنا ... فى العرب معروفة وفى العجم

مغتنمو كسب كل محمدة ... والكسب للحمد غير مغتنم

فاحتكم عليه عزل اسمعيل بن جعفر عن البصرة فعزله عنها وأمر له بمائة الف درهم فقال أبو عيينة فى عزله

لا تعدم العزل يا أبا الحسن ... ولا هُزالاً فى دولة السمن

ولا انتقالاً من دار عافية ... الى ديار البلاء والمحن

أنا الذى ان كفرت نعمته ... أزال مافى جنبيك من سكن

وقال يرثى أخاه داود

أنائحة الحمام قفى فنوحى ... على داودَ رَهْناً فى ضريح

لدى الأحباب من همَذان راحت ... به الأيام للموت المريح

ولم تشهد جنازته البواكى ... فتبكيـه بمُنْهَلٍّ سفَوح

وكونى مثله اذ كان حياً ... جواداً بالغَبُوق وبالصَّبوح

أنائحة الحمـام فلا تشحى ... عليه فليس بالرجل الشحيح

ولا بمثمّرٍ مالاً لدنيـــا ... ولا فيها بمِغمار طموح

يبيع كثير ما فيها بباق ثمين من عواقبه ربيح
ومن آل المهلب فى لُباب لُباب الخالص المحض الصريح
همُ أبناء آخرة ودنيا وأهداف المراثى والمديح

كان لابن أبي عيينة بستان وضَيْعة فى بعض قطائع المهلب بالبصرة فأوطنها وصيرها منزله وأقام بها وفيها يقول

ياجنة فاقت الجنان فما تبلغها قيمة ولا ثمن
ألفتها فاتخذتها وطناً ان فؤادى لأهلها وطن
زُوِّج حيتانُها الضِّباب بها فهذه كِنَّةٌ وذا خَتَن
فانظر وفكر فيما نطقت به ان الأريب المفكر الفطن
من سُفن كالنعام مقبلة ومن نعام كأنها سفن

ومما أنشده لنفسه وفيه غناء

لا يكن منكِ ما بدالي بعينيك من اللحظ حيلة واختداعا
ان يكن فى الفؤاد شيء وإلا فدعيني لاتقتليني ضَياعا
فلعلى اذا قرُبت تباعدت وأظهرت جفوة وامتناعا
حين نفسى لا تستطيع لما قد وقعت فيه من هواها ارتجاعا

كان ابن أبي عيينة قد قصد قَبيصة بن رَوْح بن حاتم المهلبى واستماحه فلم يجد عنده ما قدره فيه فانصرف مغاضباً ، فوجه اليه داود بن مزِيَد بن حاتم فترضاه وبلغ ما أحبه ورضيه من بره ومعونته فقال يمدحه ويهجو قبيصة

أقَبيص لست وان جهدت بمدرك سعى ابن عمك ذى العلا داود
شتان بينك ياقبيصَ وبينه ان المذمم ليس كالمحمود
اختار داود بناء محامد واخترت أكل شبارق[1] وثريد

(١) الشبارق ما اقتطع من اللحم صغيراً وطبخ

قد كان مجد أبيك لو أحييته ... رَوْح أبي خلف كمجد يزيد

لكن جرى داود جري مبرز ... نحوى المدى وجريت جرى بليد

داود محمود وأنت مذمم ... عجباً لذاك وأنتما من عود

ولرب عود قد يشق لمسجد ... نصفاً وسائره لحُشّ يهود

فالحش أنت له وذاك لمسجد ... كم بين موضع مَسْلَح وسجود

هذا جزاؤك يا قبيص لأنه ... جادت يداه وأنت قُفْل حديد

ولى خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب جُرْجان فسأل أبا عيينة أن يصحبه ويخرج معه ووعده الاحسان والولاية وأوسع له المواعيد ، وكان أبو عيينة جندياً فجرد اسمه فى جريدته وأخرج رزقه معه ، فلما حصل بجرجان أعطاه رزقه لشهر واحد واقتصر على ذلك وتشاغل عنه وجفاه ، فبلغه أنه قد هجاه وطعن عليه وبسط لسانه فيه وذكره بكل قبيح عند أهله ووجوه رعيته ، فلم يقدر على معاقبته لموضع أبيه وسنه ومحله فى أهله ، فدعا به وقال انه قد بلغني انك تريد أن تهرُب فاما ان أقمت لى كفيلاً برزقك أوردته ، فأتاه بكفيل ، فأعنته ولم يقبله ولم يزل يردده حتى ضجِر فجاءه بما قبض من الرزق فأخذه ولَجّ أبو عيينة فى هجائه وأكثر فيه حتى فضحه فقال فيه

دنيا دعوتك مسرعاً فأجيبى ... وبما اصطفيتك فى الهوى فأثيبى

دومى أدُمْ لك بالصفاء على النوى ... انى بعهدك واثق فثقى بى

ومن الدليل على اشتياقى عَبرتى ... ومَشيبُ رأسى قبل حين مشيب

أبكي اليك اذا الحمامة طَرَّبت ... ياحسن ذاك اليّ من تطريب

تبكى على فنَن الغصون حزينة ... حزن الحبيبة من فراق حبيب

وأنا الغريب فلا ألام على البكا ... ان البكا حسن بكل غريب

أفلا ينادى للقتول برحلة ... تَشفى جوًى من أنفس وقلوب

مالى اصطفيت على التعسف خالداً ... والله ما أنا بعدها بأريب

تبّاً لصحبة خالد من صحبة ... ولخالد بن يزيد من مصحوب

يا خالد بن قبيصة هيجت بى ... حرباً فدونك فاصطبر لحروبى

لما رأيت ضمير غشك قد بدا ... وأبيت غير تجهم وقطوب

وعرفت منك خلائقاً جربتها ... ظهرت فضائحها على التجريب

خليت عنك مفارقاً لك عن قلًى ... ووهبت للشيطان منك نصيبى

فلئن نظرت الى الرُّصافة مرة ... نظراً يفرج كربة المكروب

لأمزقنك قائماً أو قاعداً ... ولأروين عليك كل عجيب

ولتأتين أباك فيك قصائد ... حبرتها بتشكر مقلوب

ولينشدنّ بها الامام قصيدة ... ولتُشتمَنّ وأنت غير مهيب

ولأوذينك مثل ما آذيتنى ... ولأشلين على نعاجك ذيبى

لقى دعبل أبا عيينة فقال له أنشدنى قولك فى ابن عمك ، فأنشده

يا حفص عاط أخاك عاطه ... كأساً تُهيّج من نشاطه

صِرْفاً يعود لوقعها ... كالظبى أُطلق من رباطه

صباً طوت عنه الهمو ... م نعيمة بعد انبساطه

فبكى وحق له البكا ... لشقائه بعد اغتباطه

جزع المدمم خالد ... لما وقعت على قماطه

فانظر الى نزواته ... من منطق والى اختلاطه

دعني وايا خالد ... فلأقطعن عرا نياطه

انى وجدت كلامه ... فيه مشابهُ من ضُراطه

رجل يُعد لك الوعيد اذا وطئت على بساطه

واذا انتظرت غداءه ... نخف البوادر من سياطه

يا خال صدَّ المجد عنـــك فلمن تجوز على صراطه
وعَريت من حلل الندى عُرْىَ اليتيم ومن رباطه
فاذا تطـاولت الرؤ س فغط رأسك ثم طاطه

فقال له دعبل أغرقت والله فى النزع وأسرفت وهتكت ابن عمـك وقتلته وغَضَضت منه ، وانما استنشدتك وأنا أظن انك قلت كما يقول الناس قولاً متوسطاً ولو علمت أنك بلغت به هـذا كله لما استنشدتك وجعل يعيد « فغط رأسك ثم طاطه » ويقول قتله والله

ومن مشهور قوله فيه

ألا خبروا ان كان عندكم خبَرْ أنَقْفُلُ أم نَثْوِى على الهم والضجر
نفى النومَ عن عيني تعرض رحلة بها الهم واستولى بها بعده السهر
فان أشْكُ من ليلى بجُرْجان طوله لقد كنت أشكو فيه بالبصرة القصر
فيا حبــذا بطن الحزير وظهره ويا حسن واديه اذا ماؤه زخر
ويا حبــــذا نهر الأُبُلَّة منظراً اذا مد فى إبَّانه النهر أو جزَر
وفتيان صدق همهم طلب العلا وسيماهُمُ التحجيل فى المجد والغُرَر
لعمرى لقد فارقتهم غير طائع ولا طيب نفساً بذاك ولا مقر
وقائلة ماذا نأـــى بك عنهمُ فقلت لها لا علم لي فسلي القدر
فيا سفراً أودى بلهوي ولذتى ونغصني عيشي عدِمتك من سفر
دعونى وابا خالد بعد ساعة سيحمله شعري على الأبلق الأغر
كأنى بصـدق القول لما لقيته وأعلمته بما فيه ألقمته الحجر
دنيء به عن كل خير بلادة لكل قبيح عن ذراعيه قد حسَر
له منظرٌ يُعمْي العيونَ سماجة وان يُختبر يوماً فيا سوء مختبر
أبوك لنا غيث يعاش بوَبْله وأنت جراد ليس يُبقي ولا يذر

له أثر في المكرمات يسرنا ... وأنت تُعفّي دائماً ذلك الأثر

لقد قنعت قحطان خزياً بخالد ... فهل لك فيه يُخْزِكَ الله يا مُضَر

ومن جيد قوله أيضاً يهجوه

على إخوتي مني السلامُ تحية ... تحيــــة مُثْنٍ بالأخوة حامد

وقل لهمُ بعد التحية أنتمُ ... بنفسي ومالي من طريف وتالد

وعز عليهم أن أقيم ببلدة ... أخا سقَم فيها قليل العوائد

لئن ساءهم ما كان من فعل خالد ... لقد سرهم ما قد فعلت بخالد

وقد علموا أن ليس مني بمُفْلِت ... ولا يومه المسكين مني بواحد

أخالد لا زالت من الله لعنة ... عليك وان كنت ابن عمي وقائدي

أخالد كانت صحبتيك ضلالةً ... عصيت بها ربي وخالفت والدي

وأرسل يبغي الصلح لما تكنفت ... عوارضَ جنبيه سياطُ القصائد

فأرسلت بعد الشر اني مسالم ... الى غير ما لا تشتهي غير عائد

وكان عبد الله بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة شاعراً وهو القائل يعاتب محمد بن يحيى بن خالد البرمكي بأبيات رائية أولها

اسلم وان كان فيك عني ... قبض لكفيك وازورار

تلحظني عابساً قطوباً ... كأنما بي اليك ثار

لو كان أمراً عتبت فيه ... يجوز لي منه اعتـــذار

أو كنتُ سآلة حريصاً ... لحان مني لك الفِرار

أو كنت نذْلاً عديم عقل ... لا منصب لي ولا نِجار

أو لم أكن حاملاً بنفسي ... ما تحمل الأنفس الكبار

وأنني من خيار قومي ... وكل أهلي فتى خيـــار

عذرت أن نالني جفاء ... منك وأن نالني ضرار

لكن ذنبي اليك أني قحْطان لي الجد لا نِزار
عليك مني السلام هذا أوان ينأى بي المزار
ما كنت الا كلحم ميت دعا الى أكله اضطرار
راحت على الناس لابن يحيي محمد ديَة غزار
ولم يكن ما قد نلت منه بقدر ما ينجلي الغبار
قد أصبح الناس في زمان أعلى من السفْلة الشرار
يستأخر السابق الذكي فيه ويستقدم الحمار
وليس للمرء ما تمنى يوماً وما ان له اختيار
ما قدر الله فهو آت وفي مقاديره الخيار

كان ابن أبي عيينة يشبب بوهبة جارية القروي ثم عدل عن التشبيب بها الى دنيا وذكرها جميعاً في شعره فقال

أرسلت وهبة لما رأتني بعد سقم من هواها مفيقا
أتغيرت ؟ كأن لم تكن لي قبل أن تعرف دنيا صديقا
قد لعمري كان ذاك ولكن قطعت دنيا عليك الطريقا

لما ولي عمر بن حفص البصرة قال ابن أبي عيينة في ذلك وفي دنيا يكنى بها عن فاطمة

هنيئاً لدنيا هنيئاً لها قدوم أبيها على البصرة
على أنها أظهرت نخوة وقالت لي الملك والقدرة
فيا نور عيني كذا عاجلاً عليَّ تطاولت بالإمرة

وفيها يقول

يا حسنها يوم قالت لي مودعة لا تنس ما قلت ، من فيها الى أذني
كأنني لم أصل دنيا علانية ولم أزر أهل دنيا زورة الختَن

جسمي معي غير أن الروح عندكمُ　　فالروح فى وطن والجسم فى وطن

فليعجب الناس منى أن لي جسداً　　لا روح فيه ولا روح بلا بدن

قدم الكوفة فى بعض حوائجه ، فعاشره جماعة من وجوه أهلها وأقام بها مدة وألف فيها قينة كان يعاشرها وأحبها حباً شديداً ، فقال فيها

لعمرى لقد أعطيت بالكوفة المنى　　وفوق المنى بالغانيات النواعم

ونادمت أخت الشمس حسناً فوافقت　　هواى ومثلى مثلها فلينادم

وأنشدتها شعرى بدنيا فعربدت　　وقالت ملول عهده غير دائم

فقلت لها يا ظبية الكوفة اغفرى　　لقد تبت مما قلت توبة نادم

فقالت قد استوجبت منا عقوبة　　ولكن سنرعى فيك رَوْح بن حاتم

كان لأبي حذيفة مولى جعفر بن سليمان جارية مغنية يقال لها بستانُ ، فبلغه أن أبا عيينة ذكر لبعض اخوانه محبة لها ولاستماع غنائها ، فدعاه وسأله أن يطرح الحشمة بينه وبينه ، فأجابه الى ذلك وقال لما سكر وانصرف من عنده فى ذلك

ألم ترَنى على كسلى وفترى　　أجبت أبا حذيفة اذ دعانى

وكنت اذا دعيت الى سماع　　أجبت ولم يكن منى توان

كأنا من بشاشتنا ظَلِلْنا　　بيوم ليس من هذا الزمان

أعرس داود بن محمد بن عيينة أخو أبي عيينة بالبصرة وأخوه غائب يومئذ مع ابن عمه خالد بجرجان ، فكتب داود الى أخيه يخبره بسلامته وسلامة أهل بيته ويخبره نقله أهله اليه ، فقال أبو عيينة فى ذلك

ألا ما لعينك معتلة　　وما لدموعك منهلَّة

وكيف بجرجان صبر امرىء　　وحيد بها غير ذى خلة

وأطول بليلك أطول به　　اذا عسكر القوم بالأثلة

وراعك من خيله حائر　　من القوم ليست له قبلة

يسوقك نحوهمُ مكرها ... وداود بالمصر فى غفلة
عروس ينعم من تحته ... بسرير ومن فوقه كِلَّة
وما مدنف بين عواده ... ينادى وفى سمعه ثقلة
بأوجع منى اذا قيل لي ... تأهب الى الرَّى بالرحلة
ومالي وللرَّيّ لولا الشقا ... ء ان كنت عنها لفى عزلة
أكلَّف أجبالها شاتياً ... على فرس أو على بغلة
وأهون من ذاك لو سهلوه ... ركوب القراقير في دِجلة
تَروح الينا بها طربة ... رواح الندامَى الى دلة
أخالد خذ من يدي لطمة ... تغيظ ومن قدمى رَكْلَة
جمعت خصال الردى جملة ... وبعت خصال الندى جملة
فما لك فى الخير من خلة ... وكم لك فى الشر من خلة
ولما تناضلَ أهل العلى ... نُضلت فأذعنت للنضلة
فما لك فى المجد ياخالد ... مفرطة لا ولا خصلة
وأسرعت في هدم ماقد بنى ... أبوك وأشياخه قبله
وكانت من النبع عيدانهم ... نُضاراً وعودك من أَثْلة
فيا عجباً نَبْعة أنبتت ... خلافاً وريحانة بقلة
ثيابك للعيد مطوية ... وعرضك للشتم والبِذْلة
أجعت بنيك وأعريتهم ... ولم تؤت فى ذاك من قلة
اذا ما دعينا لقبض العطاء ... وهيأت كيسك للغلة
وجلة تمر تغادى بها ... فتأتى على آخر الجلة
وتُقصى بنيك وهم بالعرا ... ء نُزْلهمُ الملح والملة
ولو كان خبز وتمر لديك ... لما طمعوا منك فى فضلة

وتصبح تَقْلِس عن تخمة   كأن جُشاءك عن فجلة
اذا الحي راعهمُ رائع   فأرهب من غادة طفلة
وليث يصول على قِرْنه   اذا ما دعيت الى أكلة
فلله درك عند الخوا   ن من فارس صادق الحملة
وان جاءك الناس فى حاجة   تفكرت يومين في العلة
وتلقاهمُ أبداً كالحاً   كأن قد عضِضْتَ على بصلة
فهذا نصيبي من خالد   لكم هنـة بَتَّة بَتْلة
واني لصحبته مبغض   ولا خير في صحبة السِّفلة

ومن مختار ما قاله فيه

قل لدنيا بالله لا تقطعينا   واذكرينا فى بعض ما تذكرينا
لا تخونى بالغيب عهد صديق   لم تخافيه ساعة أن يخونا
واذكري عيشنا واذ نفض الريـ   ـح علينا الخيريّ والياسمينا
حفظ الله اخوتى حيث كانوا   من بلاد سارين أم مُدْلجينا
فتية نازحون عن كل عيب   وهمُ فى المكارم الأولونا
وهمُ الأكثرون يعلم ذاك النـ   ـاس والأطيبون للأطيبينا
أزعجتني الأقدار عنهم وقد كنـ   ـت بقربى منهم شحيحاً ضنينا
وتبدلت خالداً لعنة اللّـ   ـه عليه ولعنة اللاعنينا
رجل يقهر اليتيم ولا يؤْ   تى زكاة وينهر المسكينا
ويصون الثياب والعرض بالٍ   ويرائى ويمنع الماعونا
نزع الله منه صالح ما أعـ   ـطاه آمين عاجلاً آمينا
فلعمرُ المبادرين الى مكـ   ـة وفداً غادين أو رائحينا
ان أضياف خالد وبنيه   ليجوعون فوق ما يشبعونا

وتراهم من غير نسك يصومو ن ومن غير علة يحتمونا

يا بني خالد دعوه وفرّوا كم على الجوع ويحكم تصبرونا

قال الرشيد للفضل بن الربيع من أهجى المحدثين عندك يافضل في عصرنا هذا؟ قال الذى يقول في ابن عمه

لو كما ينقص يزدا د اذاً نال السماء

خالد لولا أبوه كان والكلب سواء

أنا ما عشت عليه أسوأ الناس ثناء

ان من كان مسيئاً لحقيق أن يساء

فقال الرشيد هذا ابن أبي عيينة ولعمرى لقد صدقت

كان لأبى عيينة صديقان من جند خالد من أهل البصرة أحدهما مهلبي والآخر مولي للأزد وكلهم شاعر ظريف فكانوا يمدحون السّراة من أهل جُرجان فيصيبون منهم ما يقوتهم ، وولى موسى الهادى الخلافة فكتب ابن أبي عيينة الى من كان في خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة

كيف صبرى ومنزلي جرجان والعراق البلاد والأوطان

نحن فيها ثلاثة حلفاء ونَدامَى على الهوى اخوان

نتساقى الهوى ونطرب للذكـ ـر كما تُطْرِب النَّشاوَى القِيان

واذا ما بكى الحمام بكينا لبكاه كأننا صبيان

يا زمانى الماضى ببغداد عُذْلى طالما قد سررتنى يا زمان

يا زمانى المسىء أحسن فقِدْماً كان عندى من فعلك الاحسان

ما يريد العذال مني أما يُتْـ ـرَك أيضاً بغمه الانسان

ويقولون املك هواك وأقصر قلت مالي على الهوى سلطان

أيها الكاتم الحديث وقدطا ل به الأمر وانتهى الكتمان

قد لعمري عرّضت حيناً فبين ليس بعد التعريض الا البيان

واتخذ خالداً عدواً مبيناً ماتمادى الانسان والشيطان

والهُ عنه فما يضرك منه عض كاب ليست له أسنان

ولعمري لولا أبوه لنالتـــه بسوء مني يد ولسان

قل لفتياننا المقيمين بالبا ب ثقوا بالنجاح يا فتيان

لاتخافوا الزمان قد قام موسى فلكُمْ من رَدَى الزمان أمان

أوَلم تأته الخلافة طوعاً طاعة ليس بعدها عصيان

فهي منقادة لموسى وفيها عن سواه تقاعس وحِران

قل لموسى يامالك الملك طوعاً بقياد وفى يديك العِنان

أنت بحر لنا ورأيك فينا خير رأى رأى لنا سلطان

فاكفنا خالداً فقد سامنا الخسـ ـف رماه لحتفه الرحمن

كم الى كم يُغْضَى على الذل منه والى كم يكون ذاك الهوان

فلما قرأ هـذه القصيدة موسى الهادى أمر له بصلة وأعطاه ما فات من رزقه وأقفله من جيش خالد اليه

يزيد المهلبي

كان أخص الناس بالمنتصر ، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكل فدخل المتوكل يوماً على المنتصر على غفلة فسمع كلامه فاستحسنه ، فأخذه اليه فجعله فى جلسائه ، وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه ، فعتب عليه لتأخره عنه على ثقة بمودة وأنس به ، فلما أفضت اليه الخلافة استأذن عليه ، فحجبه وأمر بأن يعتقل فى الدار فحبس أكثر يومه ، ثم أذن له فدخل وسلم وقبل الأرض بين يديه ثم قبل يده فأمره بالجلوس ثم استأذنه فى الانشاد فأذن ، فأنشده

ألا يا قوم قد برح الخفاء ... وبان الصبر منى والعزاء
تعجب صاحبي لضياع مثلي ... وليس لداء محروم دواء
جفاني سيد قد كان براً ... ولم أذنب فما هذا الجفاء
حللت بداره وعلمت أنى ... بدار لا يخيب بها الرجاء
فلما شاب رأسي في ذراه ... حجبت بعقب مابعد الرخاء
فان تنأى ستورَ الاذن عنا ... فما نأت المحبة والثناء
وان يك كادنى ظلماً عدو ... فعند البحث ينكشف الغطاء
ألم تر ان بالآفاق منا ... جماجم حشو أقبرها الوفاء
وقد وصف الزمانَ لنا زياد ... وقال مقالة فيها شفاء
ألا يارب مغموم سيحظى ... بدولتنا ومسرور يساء
أمنتصر الخلائف جدت فينا ... كما جادت على الأرض السماء
وسعت الناس عدلاً فاستقاموا ... بأحكام عليهن الضياء
وليس يفوتنا ما عشت خير ... كفانا أن يطول لك البقاء

تم الجزء السابع

ويليه الجزء الثامن وأوله

مسلم بن الوليد

فهرس الكتاب

تابع الفهرست

مُهذّبُ الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء الثامن

فى الشعراء الإسلاميين والمحدثين

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء الأزد

مسلم بن الوليد

هو مسلم بن الوليد مولي الأنصار يلقب صريع الغوانى ، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده الكوفة ، وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه أبو تمام الطائى فانه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه ، ومسلم كان متفننا متصرفاً فى شعره ، قال محمد بن يزيد كان مسلم شاعراً حسن النَّمَط جيد القول فى الشراب وكثير من الرواة يقرنه بأبى نُواس فى هذا المعنى ، وهو أول من عقد هذه المعانى الظريفة واستخرجها ، وقال القاسم بن مهرويه أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد جاء بهذا الفن الذي سماه الناس البديع ثم جاء الطائى بعده فتفنن فيه

وقال ابن قُتيبة عبد الله بن مسلم الدِّينورى كان مسلم بن الوليد وأخوه سليمان منقطعين الى يزيد بن مَزْيَد ومحمد بن منصور بن زياد ثم الفضل بن سهل بعد ذلك وقلد الفضل مسلما المظالم بجرجان فمات بها

قال محمد بن يزيد كان السبب فى قول مسلم

تَدَّعى الشوق ان نأت ... وتجنَّى اذا دنت

سرنى لو صبرت عنها فتُجزَى بما جنت

ان سلمى لو اتقت ... ربها فىَّ أنجزت

زرعت فى الحشى الهوى ... وسقته حتى نبت

أنه علق جارية ذات خطر وشرف وكان منزلها فى مهبّ الشمال من منزله وفى ذلك يقول

أحب الريح ان هبت شمالا وأحسدها اذا هبت جنوبا
أهابك أن أبوح بذات نفسى وأفرق ان سألتك أن أخيبا
وأهجر صاحبي حبّ التجني عليه اذا تجنيتُ الذنوبا
أيصبر عاشق هجر الحبيبا أجن فؤاده شوقا عجيبا
ولو حملت نفسى الصبر عنها لكان الصبر في قلبي غريبا
كأنى حين اغضى عن سواكم أخاف لكم على عيني رقيبا

وكانت له جارية يرسلها اليها ويبثها سره وتعو داليه بأخبارها ورسائلها فطال ذلك بينهما حتى أحبتها الجارية التي علقها مسلم ومالت اليها ، وكلتاهما فى نهاية الحسن والكمال ، وكان مسلم يحب جاريته هذه محبة شديدة ولم يكن يحب تلك انما كان يريد التغزل والمجون والمراسلة وأن يشيع له حديث بهواها وكان يرى ذلك من الملاحة والظَّرف والأدب ، فلما رأى مودة تلك الجارية هجر جاريته مظهرا لذلك وقطعها عن الذهاب الى تلك فذلك قوله « وأهجر صاحبى » البيت وراسلها مع غير جاريته الأولى وقال ما تقدم

لقى مسلم أبا نواس فقال له ما أعرف لك بيتاً الا فيه سقط ، قال له فما تحفظ من ذلك ؟ قال قل أنت ما شئت حتى أريك سقطك فيه ، فأنشد

ذكر الصبوح بسُحْرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا

فقال له مسلم فلم أمله وهو الذي أذكره وبه ارتاح ؟ فقال أبو نواس فأنشدنى شيئاً من شعرك ليس فيه خلل فأنشده مسلم

عاصَى الشباب فراح غير مفنّد وأقام بين عزيمة وتجلد

فقال له أبو نواس قد جعلته راكحاً مقيما فى حالة واحدة و بيت واحد ، فتشاغبا وتسابا ساعة ، وكلا البيتين صحيح المعنى

اجتمع أصحاب المأمون عنده يوما فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء فقال له بعضهم أين أنت يا أمير المؤمنين عن مسلم بن الوليد ؟ قال حيث يقول ماذا ؟ قال حيث يقول وقد رثى رجلا

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال

يجود بالنفس اذ ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا رجلا بقبح الوجه والأخلاق فقال

قبحت مناظره فحين خبرته حُسنت مناظره لقبح المَخبَرَ

وتغازل فقال

هوًى يجدّ وحبيب يلعب أنت لقًى بينهما معـذب

فقال المأمون هذا أشعر من خضتم اليوم فى ذكره

قال يزيد بن مزيد أرسل الى الرشيد يوماً فى وقت لا يرسل فيه الى مثلى ، فأتيته لابساً سـلاحي مستعدا لأمر ان أراده منى ، فلما رآنى ضحك الي ثم قال يا يزيد خبرنى من الذى يقول فيك

تراه فى الأمن فى درع مضـاعفة لا يأمن الدهرَ أن يُدعَى على عجل

صافى العِيـان طَموح العـين همته فك العُناة وأسر الفـاتك الخَطِلِ

فقال لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال سوءة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله وهو مسلم بن الوليد ، فانصرفت فدعوت به ووصلته ووليته

وروى أنه دخل على الرشيد فقال له يا يزيد من الذى يقول فيك

لا يعبق الطيب خديه ومفرِقه ولا يُمسّح عينيه من الكُحُل
اذا انتضى سيفه كانت مسالكه مسالك الموت فى الأبدان والقلل
وان خلت بحديث النفس فكرته حيَّ الرجاء ومات الخوف من وجل
كالليث ان هِجتْه فالموت راحته لا يستريح الى الأيام والدول

فقال لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ، فقال له هرون أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ؟ فخرج من عنده خَجِلا ، فلما صار الى منزله دعا حاجبه فقال له مَنْ بالباب من الشعراء ؟ قال مسلم بن الوليد ، قال وكيف حجبته عنى فلم تُعلمني بمكانه ؟ فقال أخبرته أنك مُضيَّق وأنه ليس فى يديك شيء تعطيه اياه وسألته الامساك والمقام أياماً الى أن تتسع ، فأنكر ذلك وقال أدخله فأدخله اليه ، فأنشده قوله فيه

اجررت[1] حبل خليع فى الصِّبا غَزِل وقصرت همم العُذّال فى عذَلى
هاج البكاء على العين الطَّموح[2] هوًى مفرَّق بين توديع ومحتمل
كيف السلو لقلب راح مختبلا يهذِى بصاحب قلب غير مختبل
عاصى العزاء غداة البين منهمِل من الدموع جرى فى إثر منهمِل
لولا مداراة دمع العين لانكشفت منى سرائر لم تظهر ولم تُخَل[3]
اما كفى البين أن أرمى بأسهمه حتى رمانى بلحظ الأعين النُّجُل
مما جنى لى وان كانت منًى صدقت صبابةٌ خُلَسُ التسليم بالمقل
ماذا على الدهر لو لانت عريكته ورد فى الرأس مني سَكرة الغزَل
جُرْم الحوادث عندي انها اختلست مني بنات غِذاء الكَرْم والكِلَل[4]
ورب يوم من اللذات محتضَر[5] قصرته بلقاء الراح والخُلَل

(١) أجررت فلانا رسنه اذا مهلت له في ارادته ، والخليع الذى خلع عذاره فى الصبا
(٢) الطموح المرتفعة فى النظر الى الاحبة ومفرق مقسم (٣) أى لم تظن بى (٤) يريد الخمر والجوارى (٥) محتضر أى احتضرت فيه اللذات وخالطتها والخلل جمع خلة وهى الصديقة

وليلة خُلِست للعين من سِنة[١] هتكت فيها الصِّبا عن بيضة الحَجَل

قد كان دهرى ومابى اليوم من كبر شربَ المدام وعزْفَ القينة العُطُل

اذا شكوت اليها الحب خفَّرها شكواي فاحمر خداها من الخجل

كم قد قطعت وعين الدهر راقدة أيامه بالصِّبا واللهو والجذل

وطيبِ الفرع أصفانى مودتهَ كافأته بمديح فيه منتخَل[٢]

وبلدة لمطايا الركب مُنْضِية[٣] أنضيتها بوَجيف الأَنْيق الذُّلل

فيم المقام وهذا النَّجم[٤] معترضا دنا النَّجاء وحان السيرِ فارتحل

يا مائل الرأس ان الليث مفترس مِيلَ الجماجم والأَعناق فاعتدل

حذارِ من أسدٍ ضِرْغامة بطل لا يولغ السيف الا مهجة البطل

لولا يزيد لأضحى الملك مُطَّرَدا[٥] أومائل السَّمْك أومسترخى الطِّوَل

سلَّ الخليفة سيفا من بني مطر أقام قائمُه من كان ذا مَيَل

كم صائل فى ذَرا تمهيد مملكة لولا يزيد بنى شيبان لم يَصُل

ناب الامام الذى يفترّ عنه اذا ما افترت الحرب عن أنيابها العُصُل

من كان يختِل قِرْنا عند موقفه فان قِرْن يزيد غير مختتَل

سد الثغور يزيد بعد ما انفرجت بقائم السيف لا بالختْل والحيل

كم قد أذاق حِمام الموت من بطل حامى الحقيقة لا يؤتَى من الوَهَل

أغرّ أبيض يغشِي البِيْضَ أبيض لا يرضى لمولاه يوم الرَّوع بالفشل

يغشَى الوغى وشهاب الموت فى يده يرمى الفوارس والأَبطال بالشُّعَل

يفترّ عند افترار الحرب مبتسما اذا تغير وجه الفارس البطل

موفٍ على مُهج واليوم ذو رَهَج كأنه أجل يسعى الى أمل

(١) خفرها أى ولد عليها الخفر وهو شدة الحياء (٢) أى مختار (٣) منضية متعبة والوجيف ضرب من السير والذلل الضامرات (٤) يريد بالنجم الثريا ومعترضا أى منتصبا (٥) مطردا أى مخذولا وضرب السمك والطول مثلا

ينال بالرفق ما يَعيا الرجال به ... كالموت مستعجلا يأتى على مَهَل

لا يُلقح الحرب الا ريث ينتجها ... من هالك وأسير غير محتتل

ان شيم بارقه حالت خلائقه ... بين العطية والامساك والعِلَل

يُغشى المنايا المنايا ثم يفرجها ... عن النفوس مُطلات على الهَبَل [1]

لا يرحل الناس الا حول حجرته ... كالبيت [2] يُضحِى اليه ملتقى السبل

يَقرى المنية أرواح الكماة كما ... يقرى الضيوف شحوم الكوم والبُزُل [3]

يكسو السيوف دماء الناكثين به ... ويجعل الهام تيجان القنا الذُّبُل

يغدو فتغدو المنايا فى أسنته ... شوارعا تتحدى الناس بالأجل

اذا طغت فئة عن غِبِّ طاعتها ... عبَّى لها الموت بين البيض والأسل

قد عود الطير عادات وثقن بها ... فهن يتبعنه فى كل مرتحل

تراه فى الأمن فى درع مضاعفة ... لا يأمن الدهر أن يدعَى على عجل

صافى العيان طموح العين همته ... فك العُناة [4] وأسر الفاتك الخطل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ... ولا يمسح عينيه من الكُحُل

اذا انتضى سيفه كانت مسالكه ... مسالك الموت فى الأبدان والقُلل

وان خلت بحديث النفس فكرته ... حىَّ الرجاء ومات الخوف من وجل

كالليث ان هِجتْه فالموت راحته ... لا يستريح الى الأيام والدول

ان الحوادث لما رمن هضبته [5] ... أزمعن عن جار شيبان بمنتقل

فالدهر يغبط أولاه أواخره ... اذ لم يكن كان فى أعصاره الأول

اذا الشريكى [6] لم يفخر على أحد ... تكلم الفخر عنه غير منتحل

---

(١) الهبل الفقدان (٢) يعنى البيت الحرام. (٣) الكوم العظام الاسنمة واحدها كوماء والبزل جمع بازل وهو ماله تسعة أعوام (٤) جمع عان وهو الاسير والخطل ذو الخطل وهو الخطأ (٥) هذا مثل يريد لما رامت الحوادث من استجار به (٦) نسبة الى شريك وهو أحد أجداد يزيد

لا تُكذَبن فان الحلم معدنه — ورائة فى بني شيبان لم تزل

سلّوا السيوف فأغشَوا من يحاربهم — خبطا بها غير ما نُكْل ولا وُكُل

الزائديون قوم فى رماحهمُ — خوف المخيف وأمن الخائف الوجِل

كبيرهم لا تقوم الراسيات له — حلما وطفلهمُ فى هدى مكتهل

اسلم يزيد فما فى الدين من أوَدٍ — اذا سلمت وما فى الملك من خلَل

أثبتّ سوق بنى الاسلام فاطَّأدت[1] — يوم الخليج وقد قامت على زَلَل

لولا دفاعك بأس الروم اذ بكرت — عن[2] عترة الدين لم تأمن من الثَّكَل

ويوسف[3] البَرْمَ قد صبحت عسكره — بعسكر يلفظ الأقدار ذي زَجَل

غافصته يوم عبْر النهر مُهْلته — وكان محتجزا فى الحرب بالمُهَل

والمارق ابن طَريف[4] قد دلفت له — بعسكر للمنايا مسبِل هَطِل

لما رآك مجدّا فى منيته — وأن دفعك لا يسطاع بالحيل

شام النزال فأبرقت اللقاء له — مقدّم الخطو فيها غير متّكل

ماتوا وأنت غليل فى صدورهمُ — وكان سيفك يُستشفى من الغُلَل

لو أن غير شريكى أطاف به — فاز الوليد بِقِدْح الناضل الخَصِل[5]

وقت بالدين يوم الرَّس[6] فاعتدلت — منه قوائم قد أوفت على مَيَل

ما كان جمعهمُ لما لقيتهمُ — الا كمثل نعام ريعَ منجفِل

تابوا ولو لم يتوبوا من ذنوبهمُ — لآب جيشك بالأسرى وبالنَّفَل

كم آمن لك نائى الدار ممتنع — أخرجته من حصون الملك والخوَل

يأبى لك الذمَّ فى يوميك ان ذكرا — عَضْب حسام وعرض غير مبتذَل

ومارقين غزاةٍ من بيوتهمُ — لا ينكلون ولا يؤتون من نكَل

---

(١) اطأدت ثبتت (٢) عترة الدين جماعة الاسلام (٣) أحد الخوارج على الرشيد (٤) هو الوليد بن طريف الشارى (٥) الناضل المصيب والخصل مثله (٦) الرس وادى أذربيجان

خلَّفتَ أجسادهم والطيرعا كفة فيها وأقفلتهم هاما مع القفل

فافخر فمالك فى شيبان من مثل كذاك ما لبني شيبان من مَثل

لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

قد أعظموك فما تدعى لهيّنة الا لمعضلة تستَنّ (١) بالعضَل

يا رب مكرُمة أصبحت واحدها أعيت صناديد راموها فلم تَنَل

تشاغل الناس بالدنيا وزخرفها وأنت من بَذْلك المعروف فى شُغُل

أقسمت ماذُبّ عن جدْواك طالبها ولا دفعت اعتزام الجد بالهزَل

يأبى لسانك منع الجود سائله فما يلجلج بين الجود والبَخَل

صدقت ظنى وصدقت الظنون به وحطّ جودك عقد الرحل عن جملى

فقال له يزيد قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاقبضها واعذر ، فخرج الحاجب فقال لمسلم قد أمرنى أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم خمسون ألفاً منها لك وخمسون الفاً لنفقته ، فأعطاه اياها وكتب صاحب الخبر بذلك الى الرشيد فأمر ليزيد بمائتى ألف درهم وقال اقض الخمسين الألف التى أخذها الشاعر وزده مثلها وخذ مائة ألف لنفقتك ، فافتكّ ضيعته وأعطى مسلما خمسين ألفاً أخرى. ولما أنشده « لا يعبق الطيب » البيت قال لجاريته حرم علينا مسلم الطيب

كان مسلم جالساً بين يدى يزيد بن مزيد فأتاه كتاب فيه مهم له ، فقرأه سراً ووضعه ثم أعاد قراءته ووضعه ثم أراد القيام فقال له مسلم

الحزم تحريقه ان كنت ذا حذر وانما الحزم سوء الظن بالناس

لقد أتاك وقد أدى أمانته فاجعل صيانته فى بطن أرماس

فضحك يزيد وقال صدقت لعمرى ومزق الكتاب وأمر باحراقه

(١) تستن بالعضل أى تتابع بالعسر والمعضلة الداهية

لما مات يزيد انقطع مسلم الى ابنه محمد ومدحه كما مدح أباه فلم يصنع اليه خيرا ولم يُرضه ما فعله فهجره وانقطع عنه فكتب اليه يستجفيه ويلومه على انقطاعه عنه ويذكره حقوق أبيه عليه فكتب اليه مسلم

لبست عزاء عن لقاء محمد ... وأعرضت عنه منصفا وودودا
وقلت لنفس قادها الشوق نحوه ... فعوضها حب اللقاء صُدُودا
هَبيه امرأ قد كان أصفاك ودّه ... فمات والا فاحسبيه يزيدا
لعمرى لقد ولى فلم ألقَ بعده ... وفاء لذى عهد يعدّ حميدا

ومما رثى به مسلم يزيد قوله

قبر ببَرْذعة (١) استسر ضريحُه ... خَطَرا تقاصَرُ دونه الأخطار
أجل تنافسه الحِمام وحفرة ... نفست عليها وجهك الأحجار
أبقى الزمان على ربيعة بعده ... حزنا كعمر الدهر ليس يعار
سلكت بك العرب السبيل الى العلى ... حتي اذا بلغ المدى بك حاروا
نفضت بك الأحلاسُ نفض اقامة ... واسترجعت رُوّادها الأمصار
فاذهب كما ذهبت غوادى مُزْنة ... اثنى عليها السهل والأوعار

كان دواد بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء فى السنة مجلساً واحداً فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه ، فوجه اليه مسلم راويته بقصيدته التي أولها « لا تدع بى الشوق » فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ولحقه بعقب خروجهم عنه، فتقدم الى الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ، ثم قال له استأذن لى على الأمير ، قال ومن أنت ؟ قال شاعر ، قال قد انصرم وقتك وانصرف الشعراء وهو على القيام ، فقال له ويحك انى قد وفدت على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله ، وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع ، فقال هات حتى أسمع فان كان الامر كما

---

(١) بلد فى أقصى أذربيجان

ذكرت أوصلتك اليه ، فأنشده بعض القصيدة ، فسمع شيئاً يقصر عنه الوصف ، فدخل على داود فقال له قدم على الأمير شاعر بشعر ما قيل فيك مثله ، فقال أدخل قائله ، فلما مَثَل بين يديه سلم وقال قدمت على الأمير أعزه الله بمدح يسمعه فيعلم تقدمي على غيري ممن امتدحه ، فقال هات ، فلما افتتح القصيدة وقال «لا تدع بي الشوق » استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجل على آخر الشعر ثم رفع رأسه اليه فقال أهذا شعرك ؟ قال نعم أيها الأمير ، قال في كم قلته يا فتى ؟ قال في أربعة أشهر أبقاك الله ، قال لو قلته في ثمانية أشهر لكنت محسناً وقد اتهمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك فان كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر في مثله وأمرت بالاجراء عليك فان جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم والا حرمتك، فقال أو الاقالة أعز الله الأمير ، قال قد أقلتك ، قال الشعر لمسلم بن الوليد وأنا راويته والوافد عليك بشعره ، فقال أنا ابن حاتم انك لما افتتحت شعره فقلت « لا تدع بي الشوق انى غير معمود » سمعت كلام مسلم يناديني فأجبت نداءه واستويت جالسا ثم قال يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم واحمل الساعة الى مسلم مائة ألف درهم ، وهذه هى القصيدة

لا تدعُ بى الشوق انى غير معمود	نهى النُّهى عن هوى الهيف الرعاديد [1]
لو شئتُ لا شئتُ راجعتُ الصِّبا ومشت	فيَّ العيون وفاتتنى بمجلود [(٢)]
سل ليلة الخيف هل أمضيت آخرها	بالراح تحت نسيم الخُرَّد الغيد
شججتها بلُعاب المزن فاعتزلت [(٣)]	نسجين من بين محلول ومعقود
كلا الجديدين قد طعمت حَبْرته [(٤)]	لو آل حي الى عمر وتخليـــد

(١) لا تدع بى الشوق اى لا تدعنى مشتاقاً ، وسأله دعبل عن معنى ذلك فقال لا تدعنى صريع الغوانى فلست كذلك وكان لهذا اللقب كارها ومعمود عاشق والهيف الضامرات الخصور والرعاديد مرتجات الاكفال (٢) أى ذهبت بجلدى (٣) اعتزلت اختلطت، ويريد بالنسجين ان ما ولى الماء من الخمر أسرع فيه الماء فحله وما ولى منها القاع بقى على حاله لم يحله الماء بعد ،

(٤) الحبرة النعيم

أهلا بوافدة للشيب واحـــدة وان تراءت بشخص غير مودود
لا أجمع الحلم والصهباء؛ قد سكنت نفسى الى المـاء عن ماء العناقيـد
لم ينهنى فند[١] عنها ولا كبر لكن صحوت وغصني غير مخضود
أوفى بى الحلم واقتاد النهى طلقا شأوى وعفت الصبا من غير تفنيد
اذا تجافت بى الهمات عن بلد نازعت أرضا ولم أحفل بتمهيد
لا تطبينى[٢] المنى عن جهد مطلب ولا أحول لشيء غـــير موجود
ومجهـل كاطراد السيف محتجز عن الأدلاء مسجور الصياخيد
تمشي الرياح به حسرى مولهة حيرى تلوذ بأطراف الجلاميـد
موقف المتن لا تمضى السبيل به الا التخلل ريثا بعد تجهيـــد
قريته الوخد من خطارة[٣] سرح تفرى الفلاة بإرقال وتوخيـــد
اليك بادرت إسفار الصباح بها من جنح ليل رحيب الباع ممدود
وبلدة ذات غول لا سبيل بها الا الظنون والا مسرح السيد
كأن أعلامها والآل يركبها بدن توافى بها نذر الى عيد
كلفت أهوالهـــا عينا مؤرقة اليـك لولاك لم تكحل بتسهيد
حتى أتتك بى الآمال مطلعا لليسر عندك في سربال محسود
من بعد ما ألقت الأيام لي عرضا ملقى رهين[٤] لحد السيف مصفود
وساورتني بنات الدهر فامتحنت ربعي بمحلة[٥] شهباء جارود
الى بنى حاتم أدى ركائبنـا خوض الدجى وسرى المهرية القود
تطوى النهار فان ليل تخمطها[٦] باتت تخمط هامات القراديد

---

(١) الفند اللوم والمخضود الواهن (٢) أى لا تدعونى الى نفسها (٣) الخطارة الناقة تحرك ذنبها والسرح الخفيفة (٤) الرهين الاسير والمصفود الموثق بالحديد (٥) المحلة السنة الجدبة والجارود المنجردة من النبات (٦) تخمطها سال بها والقراديد جمع قردد وهو المرتفع من الجبال

مثل السُّمام[1] بعيدات المقيل اذا ... ألقى الهجير يدا فى كل صيْخود
حلت بداود فامتاحت وأعجلها ... حذوَ النعال على أيْن وتحريد[2]
أعطى فأفنى المنى أدنى عطيته ... وأرهق الوعد نُجْحا غير منكود
والله أطفأ نار الحرب اذ سعُرت ... شرقا بموقدها فى الغرب داود
لم يأت أمراً ولم يظهرُ على حدث ... الا أعين بتوفيق وتسديد
موحّد الرأى تنشق الظنون له ... عن كل ملتبس منها ومعقود
تُمْنى الأمور له من نحو أوجهها ... وان سلكن سبيلا غير مورود
اذا أباحت حِمَى قوم عقوبتُه ... غادى له العفو قوما بالمراصيد
كالليث بل مثله الليث الهَصور اذا ... غني الحديد غناء غير تغريد
يلقَى المنية فى أمثال عُدتها ... كالسيل يقذف جلمودا بجلمود
ان قصر الرمح لم يمش الخُطا عددا ... أو عَرّد السيف لم يَهْمُم بتعريد
اذا رعى بلدا دانى مناهلَه ... وان بُنين على شحط وتبعيد
جرى فأدرك لم يُعنف بمهلته ... واستودع البُهْر[3] أنفاس الجاويد
آل المهلَّب قوم لا يزال لهم ... رق الصَّريح[4] وأسلاب المذاويد
مظفَّرون تصيب الحربُ أنفسهم ... اذا الفِرار تمطّى بالمحاييد[5]
نُجل مناجيبَ لم يَعدَم تِلادُهم ... فتى يرجى لنقض أو لتوكيد
قوم اذا هَدْأة[6] شامت سيوفَهم ... فانها عقُل الكُوم المقاحيد
نفسي فداؤك يا داود اذ علِقت ... أيدى الردى بنواصي الضُمّر القُود
داويت من دائها كرمان وانتصفت ... بك المنون لأقوام مجاهيد
ملأتها فزعاً أخلى معاقلها ... من كل أبلخ[7] سامي الطرف صنديد

---

(١) السمام طائر يشبه القطا والصيخود شدة الحر (٢) التحريد من الحرد وهو داء يصيب الابل فى قوائمها والأين الفترة (٣) البهر الكلل (٤) رق الصريح اى استعباد الحر والمذاويد الانجاد واحدها مذود (٥) المحاييد الجبناء جمع محياد (٦) الهدأة الفترة (٧) الابلخ المتكبر

لمـــا نزلت على أدنى بلادهمُ ... ألقى اليك الأقاصى بالمقاليـد

لمستهم بيـــد للعفو متصـل ... بها الرَّدَى بين تليين وتشديد

أتيتهم من وراء الأمن مطلعا ... بالخيل تَردي بأبطال مناجيد

وطار فى إثر من طار القِرار به ... خوف يعارضه فى كل أخدود

فاتوا الردى وظُبات الموت تنشدهم ... وأنت نَصب المنايا غير منشود

ولو تلبث دَيَّان [(١)] لها رَوِيت ... منه ولكن شآها عدوَ مزءود

أحرزه أجل ما كاد يحـــرزه ... قمر يطوى على أحشاء مفؤد [(٢)]

ورأس مِهزان [(٣)] قد ركبت قُلَّته ... الدْنا كفاه مكان الليت والجيد

قد كان فى معزل حتى بعثت له ... أم المنية فى أبنائهـــا الصيد

أجُنّ أم أسلمته الفاضحات الى ... حد من السيف من يعلق به يود

ألحقته صاحبيـــه فاستمر بهم ... ضرب يفرق ضَبّات [(٤)] القماحيد

أعذَر [(٥)] من فر من حرب صبرت لها ... يومَ الحُصَين شعار غير مجحود

يوم استَضَبَّت سجستان [(٦)] طوائفها ... عليك من طالبٍ وترا ومحقود

ناهضتهم ذائد الاسلام تقرعهم ... عنه ثُلاثَ ومثنى بالمواجيد

تجود بالنفس اذ أنت الضنين بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

تلك الأزارق اذ ضل الدليل بها ... لم يُخطها القصد من أسياف داود

كان الحصين يرجى أن يفوز بها ... حتى أخذت عليه بالأخاديد

ما زال يعنُف بالنعمى ويغمطها ... حتى استقل به عود على عود

وضعته حيث ترتاب [(٧)] الرياح به ... وتحسد الطيرَ فيه أضبُع البيد

(١) ثائر وشآها سبقها ومزءود مرعوب (٢) المفؤد الذى أصيب فؤاده (٣) ثائر
(٤) الضبات أوصال الرأس والقماحيد جمع قمحدوة وهى العظم الناتىء فى مؤخر الرأس بين القفا وأعلى الرأس (٥) أعذر جاء بما يعذر عليه (٦) أى أغرت طوائفها (٧) ترتاب أى تستنكر

تغدو الضوارى فترميه بأعينها ... تستنشق الجو أنفاساً بتصعيد
يتبعن أفياءه (١) طورا وموقعه ... يلغن فى علق منه وتجسيد
فكان فارط قوم حان مكرعهم ... بارض زادان شتى فى الموارد
يوم جراثمة اذ شيبان موجفة (٢) ... ينجون منك بشلو منه مقدود
زاحمته بابن سفيان فكان له ... ثنياه يوم بظهر الغيب مشهود
نجا قليلا ووافى زجر عائفه ... بيومه طير منحوس ومسعود
ولى وقد جرعت منه القنا جرعا ... حى المخافة ميتا غير مودود
زالت حشاشته عن صدر معتدل ... دانى الكعوب بعيد الصدر أملود (٣)
اذا السيوف أصابته تقطع فى ... سرادق بحوامى الخيل ممدود
يفدى بما نحلته من خلافته ... حشاشة الركض من جرداء قيدود (٤)
حل اللواء وخال الخدر عائذه ... فعاذ بالخدر ترب الكاعب الرود
وان يكن شبهها حرب وقد خمدت ... فنائياً حيث لا هيد ولا هيد (٥)
كل مثلت به فى مثل خطته ... قتلا وأضجعته فى غير ملحود
عافوا رضاك فعاقتهم بعقوتهم (٦) ... عن الحياة منايا هم لموعود
وأنت بالسند اذ هاج الصريخ بها ... واستنفدت حربها كيد المكايد
واستغزر القوم كأساً من دمائهم ... وأحدق الموت بالكرار والحيد
رددت أهمالها (٧) القصوى مخيسة ... وشمت بالبيض عورات المراصيد
كنفت المهلب حتى شك عالمهم ... ثم انفردت ولم تسبق بتسويد

---

(١) الأفياء جمع فيء وهو الظل آخر النهار والجسد الدم (٢) موجفة سريعة (٣) أملود أملس (٤) الجرداء القصيرة الشعر والقيدود الناقة الطويلة الظهر (٥) كلمتان يزجر بهما الابل (٦) بعقوتهم أى بفنائهم (٧) الأهمال جمع همل وهو الشيء المسيب ويراد به الصعب ومخيسة مذللة

لم تقبل السلم الا بعد مقدرة ولا تألفت الا بعد تبديد

حتى أجابوك من مستأمن حذِر راج ومنتظر حتفا ومثمود

أهدى اليك على الشحناء ألفتهم موت تفرق فى شتّى عباديد

وفى يديك بقايا من سَراتهمُ همُ لديك على وعد وتوعيد

أن تعف عنهم فأهل العفو أنت وان تمض العقاب فأمر غير مردود

اسمع فداك قد هيجت مَلْحمة وفدت منها بأرواح الصناديد

اقذف أبا مالك فيها يكفك بها ويسعَ فيها بجد منك مجدود

يمضى بعزمك أو يجرى بشأوك أو يفري بجدك كل غير محدود

لا يعدمنْك حمى الاسلام من ملك أقمت قُلَّته من بعد تأويد

كفيت فى الملك حتى لم يقف أحد على ضياع ولم يحزن لمفقود

أعطيتهم منك نصحاً لا كفاء له وأيدوك بركن غير مهدود

لم يبعث الدهر يوماً بعد ليلته الا انبعثت له بالبأس والجود

أجرى لك الله أيام الحياة على فعل حميد وجد غير منكود

لا يفقدِ الدين خيلا أنت قائدها يُمهدن فى كل ثغْر غير معهود

محجلات اذا آبت غنائمها ومقدَمات على نصر وتأييد

هناك أنك مَغْدى كل ملتمس جوداً وأنك مأوي كل مطرود

تستأنف الحمد فى دهر أوائله موسومة بفعال منك محمود

اذا عزمت على أمر بطشت به وان أنلت فنيْلا غير تصريد

عودت نفسك عادات خلقت لها صدق الاحاديث وانجاز المواعيد

دخل الوليد على الفضل بن سهل لينشده شعراً فقال له أيها الكهل أنى أُجِلّك عن الشعر فسل حاجتك ، قال بل تستتم اليد عندى بأن تسمع ، فانشده

دموعها من حذار البين تنسكب وقلبها مغرم من حرّها يجِب

جد الرحيل به عنها ففارقها لِبَينه اللهو واللذات والطرب

يهوى المسير الي مَرْو ويَحزُنه فراقها فهو ذو نَفْسين يرتقب

فقال له الفضل انى لأُجلك عن الشعر ، قال فأغنِني بما أحببت من عملك ، فولاه البريد بجُرجان

قال مسلم ان فى شعرى لبيتاً أخذت معناه من التوراة وهو قولي

دلت على عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهر مما كان أعطاني

عتب عيسى بن يَزدابيرود على مسلم في شيء فهجره وكان اليه محسناً فكتب اليه مسلم

شكرتك للنعمى فلما رميتني بصدك تأديباً شكرتك فى الهجر

فعندى للتأديب شكر وللندى وان شئت كان العفو أدنى الى الشكر

اذا ما التقاك المستليم بعذره فعفوك خير من ملام على عُذر

فرضى عنه وعاد الى حاله

قال دعبل كان مسلم من أبخل الناس فرأيته يوماً وقد استقبل الرضا عن غلام له بعد مَوْجِدة فقال له رضيت عنك وأمرت لك بدرهم

خرج دعبل الى خراسان لما بلغه حظوة مسلم عند الفضل بن سهل ، فصار الى مَرْو وكتب الى الفضل

لا تعبأنَّ بابن الوليد فانه يرميك بعد ثلاثة بملال

ان الملول وان تقادم عهده كانت مودته كفيء ظلال

فدفع الفضل الى مسلم الرقعة وقال انظر يا أبا الوليد الى رقعة دعبل فلما قرأها قال، وكان دعبل يلقب في صغره بمياس

مياس قل لي أين أنت من الورى؟ لا أنت معلوم ولا مجهول

أما الهجاء فدق عِرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك انه ... عرض عززت به وأنت ذليل

هجا مسلم سعيد بن سلم ويزيد بن مزيد وخُزيمة بن خازم فقال

ديونك لا يقضى الزمانَ غريمها ... وبخلك بخلُ الباهلى سعيد

سعيد بن سلْم ألأم الناس كلهم ... وما قومه من لؤمه ببعيد

يزيد له فضل ولكن مزيدا ... تدارك أقصى مجده بيزيد

خزيمة لا بأسٌ به غير أنه ... لمطبخه قُفْل وبابُ حديد

قال الأصمعى قال لى سعيد بن سلم قدمت على امرأة من باهلة من اليمامة فمدحتني بأبيات فما تم سروري بها حتى نغَّصنيها مسلم بن الوليد بهجاء بلغني أنه هجاني به ، فقلت ما الأبيات التى مدحت بها ؟ فأنشدنى

قتيبة قيس ساد قيساً وسلْمها ... فلما تولى ساد قيساً سعيدها

وسيد قيس سيد الناس كلهم ... وان مات من رغْم وذل حسودها

هم رفعوا كتفيك بالمجد والعلا ... ومن يرفع الأبناء الا جدودها

اذا مد للعليا سعيد يمينه ... ثنت كفه عنها أكفاً تريدها

فقلت له فبأى شيء نغصها مسلم ، فضحك ثم قال كلفتنى شططا ثم أنشدنى

وأحببت من حبها الباخلين حتى ومقْت ابن سلم سعيدا

اذا سيل عُرفاً كسا وجهه ... ثياباً من اللؤم حمراً وسودا

يغير على المال فعل الجواد ... وتأبى خلائقه أن يجودا

لقى محمد بن أمية مسلما وهو يمشى وطويلته مع بعض رواته فسلم عليه ثم قال له قد حضرنى شيء ، فقال هاته ، قال على أنه مزاح ولا تغضب ، قال هاته ولو كان شتما ، فأنشده

من رأى فيما خلا رجلا ... تيهه أربى على جدته

يتمشى راجلا وله ... شاكرى في قلنسيته

فسكت عنه مسلم ولم يجبه وضحك ابن أبي أمية وافترقا ، وكان لمحمد برذون يركبه ، فنفق ، فلقيه مسلم وهو راجل فقال ما فعل برذونك ؟ قال نفق ، قال فنجازيك اذا على ما أسلفتناه ، ثم أنشده

قل لابن ميّ لا تكن جازعاً   ليس على البرذون من فوت
طأطأ من تيهك فقدانه   وكنت فيه عالى الصوت
وكنت لا تنزل عن ظهره   ولو من الحشّ الى البيت
ما مات من حتف ولكنه   مات من الشوق الى الموت

قال أحمد بن سعيد الجُرَيري حلف أبو تمام ألاّ يصلى حتى يحفظ شعر مسلم وأبي نُواس ، فمكث شهرين كذلك حتى حفظ شعرهما ، ودخلت اليه فرأيت شعرهما بين يديه ، فقلت له ما هذا ؟ فقال اللاّت والعزّى وأنا أعبدهما من دون الله

قال دعبل كان أبو نواس يسألني أن أجمع بينه وبين مسلم ، وكان مسلم يسألني أن أجمع بينه وبين أبي نواس ، وكان أبو نواس اذا حضر تخلف مسلم واذا حضر مسلم تخلف أبو نواس ، الى أن اجتمعا فأنشده أبو نواس

أجارة بيتينا أبوك غيور   وميسور ما يرجى لديك عسير

وأنشده مسلم

لله من هاشم في أرضه جبل   وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

فقلت لأبي نواس كيف رأيت مسلما ؟ فقال هو أشعر الناس بعدى ، وسألت مسلما عنه فقلت كيف رأيت أبا نواس ؟ فقال هو أشعر الناس وأنا بعده

قال مسلم وجه الى ذو الرياستين فحملت اليه ، فقال أنشدنى قولك

بالغَمْر من زينب أطلال   مرت بها بعدك أحوال

فأنشدته اياها حتى انتهيت الي قولي

وقائل ليست له همة   كلا ولكن ما له مال

وهمة المقتر أمنية ... عون على الدهر وإشغال

لا جدة تنهض فى عزمها ... والناس سؤَّال وبخَّال

فاصبر مع الدهر الى دولة ... تحمل فيها حالك الحال

فلما أنشدته هذا البيت قال هذه والله الدولة التي ترفع حالك الحال ، وأمر لي بمال عظيم وقلدنى أو قال قبلني حوز جرجان

هجا مسلم يزيد بن مزيد بعد مدحه اياه فقال

أيزيد انك لم تزل فى خزية ... حتى لففت أباك فى الأكفان

فاشكر بلاء الموت عندك انه ... أودى بلؤم الحى من شيبان

وقال

أيزيد يامغرور ألأم من مشى ... ترجو الفلاح وأنت نطفة مزيد

ان كنت تنكر منطقى فاصرخ به ... يوم العروبة عند باب المسجد

فيمن يزيد، فان أصبت بمزيد ... فلسافهاك على مخاطرة يدى

فشكاه الى الرشيد ، فدعا مسلما وقال أتبيعني عرض يزيد ؟ فقال نعم يا أمير المؤمنين ، فقال له بكم ؟ فقال له برغيف ، فغضب حتى خافه مسلم على نفسه وقال قد كنت أرى أن أشتريه منك بمال جسيم ولست أفعل ولا كرامة فقد علمت احسانه اليك وأنا نفيّ عن أبى والله ثم والله لئن بلغني أنك هجوته لأنزعن لسانك من بين فكيك ، فأمسك عنه بعد ذلك وما ذكره بخير ولا شر

دخل مسلم على الفضل بن سهل فأنشده قوله فيه

لو نطق الناس أو أنبوا بعلمهم ... ونبأت عن معالي دهرك الكتب

لم يبلغوا منك أدنى ما يمتّ به ... اذا تفاخرت الأملاك وانتسبوا

فأمر له عن كل بيت من هذه القصيدة بألف درهم ، ثم قتل الفضل فقال يزيد

ذهلت فلم أنقع غليلا بعبرة ... وأكبرت أن ألقى بيومك ناعيا

فلما بدا لي أنه لاعج الأسى ... وأن ليس الا الدمع للحزن شافيا

أقمت لك الأنواح ترتد بينها مآتم يندبن الندى والمعاليا

وما كان منعى الفضل منعى وحادة ولكن منعى الفضل كان مناعيا

ألبأس أم للجود أم لمقاوم من الملك يزحمن الجبال الرواسيا

عفت بعدك الأيام لا بل تبدلت وكنّ كأعياد فعدن مباكيا

فلم أر الا قبل يومك ضاحكا ولم أر الا بعد يومك باكيا

كان العباس بن الأحنف مع اخوان له فذكروا مسلما فقال بعضهم صريع الغوانى ؟ فقال العباس ذاك ينبغى أن يسمى صريع الغيلان لا صريع الغوانى، فبلغ ذلك مسلما فقال يهجوه

بنو حنيفة لا يرضى الدَّعِىّ بهم فاترك حنيفة واطلب غيرها نسبا

واذهب الى عرب ترضى بنسبتهم انى أرى لك خلقا يشبه العربا

لقيتني باحتجاج بعد ما رتعت فيك القوافى وأبقى وسمها ندبا

هلا وأنت بظهر الغيب تأكلني فلا تهنأتني أمسكت مذنبا

منّيت منى وقد هاج الرهان بنا بغاية منعتك الفوت والطلبا

فاقعد فأنت طليق العفو مرتهن بسورة الجهل ما لم أملك الغضبا

قال ابراهيم الموصلى لمسلم ويحك أما استحييت من الناس حين تهجو خزيمة بن خازم ولا استحييت منا ونحن اخوانك وقد علمت أنا نتولاه وهو من تعرف فضلا وجوداً؟ فضحك وقال يا أبا اسحاق لغيرك الجهل، أما تعلم أن الهجاء الموجع آخذ بضبع الشاعر وأجدى عليه من المديح المضرع، وما ظلمت مع ذلك منهم أحدا، وما مضى فلا سبيل الى رده ولكن قد وهبت لك عرض خزيمة بعد هذا، ثم أنشدنى قوله فى سعيد بن سلم « ديونك لا تقضى » الأبيات، فقلت له وسعيد بن سلم صديقي أيضاً فهبه لي، فقال ان أقبلت على ما يعنيك والا رجعت فيما وهبت لك من خزيمة، فأمسكت عنه راضياً منه بالكفاف .

دخل مسلم يوماً على الفضل بن جعفر بن يحيى وقد كان أتاه خبر سرة فجلس للشعراء فمدحوه وأثابهم ونظر فى حوائج الناس فقضاها وتفرق الناس عنه وجلس للشراب ومسلم غير حاضر لذلك وانما بلغه حين انقضى المجلس فجاءه فأدخل اليه، فاستأذن فى الانشاد، فأذن له فأنشده قوله فيه

أتتك المطايا تهتدى بمطية … عليها فتى كالنصل يؤنسه النصل

يقول فيها

وردن رواق الفضل فضل بن جعفر … فحط الثناء الجزل نائله الجزل

فتى ترتعى الآمال مزنة جوده … اذا كان مرعاها الأمانىّ والبطْل

تساقط يمناه ندى وشماله … ردى وعيون القول منطقة الفصل

ألح على الأيام يفرى خطوبها … على منهج ألفى أباه به قبل

عجول الى ما يودع الحمد ماله … يعدّ الندى غنما اذا اغتنم البخل

كأن نعم فى فيه يجرى مكانها … سلالةُ ما مجّت لأفراخها النحل

جرى مذحواه المهد فى شأو جعفر … الى غاية يتلو المثالَ الذى يتلو

حمولا لعبْء الدهر ينهض عفوُه … به مستقلا حين لا يحمل الثقل

اذا أغمدت هماتُه خطبا اغتدت … على منتضَى رأى يمرّ به السحْل

كأن مجال العين منه وقلبه … وغرّته نصل حماه الصدى الصقل

أناف به العلياء يحيى وجعفر … فليس له مثل ولا لهما مثل

فروع أصابت مغرسا فتمكنت … وأصلا فصارت حيث وجهها الأصل

لهم هضبة تأوى الى ظل برمك … منوطا بها الآمال أطنابها السبْل

أقرت عليهم نعمة الله نعمةً … لهم فى رقاب الناس ليس لها نقل

وقوا حرم الأعراض بالبيض والندى … فأموالهم نهب وأعراضهم بسْل

حبًا لا يطير الجهل فى عذباتها … اذا هى حلّت لم يفت حلها ذحل

جرى آخذاً يحيى مقلّد جعفر وصلى أمام السابقين ابنه الفضل
بكف أبي العباس يستمطر الغنى وتستنزل النُّعمى ويسترعف النصل
ويُستعطف الأمر الأبيّ بحزمه اذا الأمر لم يعطفه نقض ولا فتل
له سطوات غِبّها العفو بينها فوائد يحصى قبل احصائها الرمل
تسلّ سخيمات الأمور اذا عرت بأروع موقوف على نزعه الخصْل
اذا خلت الأيام من نشر نعمة تراءت له فيها صنائع ما تخلو
مواهب لم تُغصب فتعقلْ بمثلها ولكن بقيات الثناء لها عقل
يلبّي منادي جعفر وابن جعفر اذا اعترت النَّكباء واحتجن الوبل
بعينيك آمال تروح وتغتدى على جوده يقتادها القول والفعل
اذا ما أبو العباس حل ببلدة كفاها الحيا واستُجهل الخوف والمحل
أتتك الأمانيُّ اعتبادا ورغبة برِجْل من الآمال يتبعها رجل
تبسم عنك المهل فى غاية الندى كذلك يحيى كان قدمه المهل
أمرّتك آمال فنالت بك الغنى وجاءتك أخرى عَلها ابدا نَهْل
وما خوّلتك المكرمات سجيّة حُبيت بها الا وأنت لها أهل
أبوك استرد الشام اذ نفرت به ملقّحة شعواء ليس لها بَعْل
بجيش كأن الليل بعض حديده تَهادى الردى فيه الفوارس والرَّجْل
ولما تناءت بالقرابات منهمُ حوادث تَمْرِيها الوقائع والأزل
ومالت قناة الدين فيهم وثُقِّفت قناة الردى واستعذب المهجَ القتل
نضا سيفه فيهم بحقن دمائهم وسفك دماء عندها ضحك التَّبْل
أقام على أقطارها شاهد الردى طليعة رأى غِبّه العفو والبذل
اذا شاء أعطته الأنوفَ مقودةً صوارم بيض أو رُدَينية ذُبْل
هنالك أضحكن العدى عن نفوسها وقد ضحكت دهياء أنيابها عُصْل

مرى لهم خلفين بالحتف والندى ... لكل يد من نزع ساعدها سجل
بعيد الرضا لا يستميل به الهوى ... ولا يتعاطى الجد من رأيه الهزل
اذا افترت الثغر الخطوب انبرى لها ... بعابسة مفترها الأسر والقتل
وتستغرق الشورى بديهة رأيه ... وان كان مضروباً على قلبه الشغل
شهاب أمير المؤمنين الذي به ... أضاء عمود القصد واحترب العدل
اذا ضيع الرأى استشف كأنه ... شواهق رضوى ليس في خلقه دخل
رقيب على غيب الأمور ورجمها ... برأى قويم منه ما الغصب والختل
يقوم بباغي الدين يحيى وجعفر ... اذا لحي الاسلام واضطرب الحبل
متى شئت رفعت الرواق على الغنى ... اذا أنت زرت الفضل أو أذن الفضل

فطرب الفضل طربا شديداً وأمر بأن تعد الأبيات ، فعدت فكانت ثمانين بيتاً ، فأمر له بثمانين ألف درهم وقال لولا أنها اكثر ما وصل به الشعراء لزدتك ولكنه شأو لا يمكنني أن أتجاوزه ، يعني أن الرشيد رسمه لمروان بن أبي حفصة وأمره بالجلوس معه والمقام عنده لمنادمته ، فأقام عنده وشرب معه ، وكانت على رأس الفضل وصيفة تسقيه كأنها لؤلؤة ، فلمح الفضل مسلما ينظر اليها فقال قد وحياتى يا أبا الوليد أعجبتك فقل فيها أبياتاً حتى أهبها لك فقال

ان كنت تسقين غير الراح فاسقيني ... كأساً ألذ بها من فيك تشفيني
عيناك راحى وريحاني حديثك لي ... ولون خديك لون الورد يكفيني
إذا نهاني عن شرب الطلا حرج ... فخمر عينيك يغنيني ويجزيني
لولا علامات شيب لو أتت وعظت ... لقد صحوت ولكن سوف تأتيني
أرضى الشباب فان أهلك فعن قدر ... وان بقيت فان الشيب يسليني

فقال خذها بورك لك فيها ، وأمر بتوجيهها مع بعض خدمه اليه

كان لمسلم زوجة من أهله كانت تكفيه أمره وتسره فيما تليه له منه فماتت ف

فجزع عليها جزعاً شديداً وتنسك مدة طويلة وعزم على ملازمة ذلك ، فأقسم عليه بعض اخوانه ذات يوم أن يزوره ، ففعل ، فأكلوا وقدموا الشراب فامتنع منه مسلم وأباه وأنشأ يقول

بكاء وكأس كيف يتفقان ... سبيلاهما فى القلب مختلفان

دعانى وافراطَ البكاء فانني ... أرى اليوم فيه غير ما تريان

غدت والثرى أولى بها من وليها ... الى منزل ناء لعينك دان

فلاحزن حتى تنزف العين ماءها ... وتعترف الأحشاء للخفقان

وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها ... وسهماهما في القلب يعتلجان

كان مسلم يهاجى الحكم بن قَنْبَر المازنى ، فغلب عليه ابن قنبر مدة وأخرسه ، ثم ثاب مسلم بعد أن انخزل وأُفحم فهتك ابن قنبر حتى كف عن مناقضته فكان يهرُب منه فاذا لقيه مسلم قبض عليه وهجاه وأنشده ما قاله فيه فيمسك عن اجابته ثم جاء ابن قنبر الى منزله واعتذر اليه مما سلف وتحمل اليه بأبيه وسأله الامساك عنه فوعده بذلك فقال فيه

حلُم ابن قنبر حين أقصر جهله ... هل كان يحلُم شاعر عن شاعر

ما أنت بالحكم الذى سُمِّيته ... غالتك حلمك هفوة من قاهر

لولا اعتذارك لارتمى بك زاخر ... مَرِج العُباب يفوت طَرْف الناظر

لا ترتعنْ لحمى لسانك بعدها ... انى أخاف عليك شَفرة جازر

واستغنم العفو الذي أوتيته ... لا تأمننَّ عقوبة من قادر

جاء رجل من الأنصار ثم من الخزرج الى مسلم فقال له ويلك ما لنا ولك ؟ قد فضحتنا وأخزيتنا ، تعرضت لابن قنبر فهاجيته حتى اذا أمكنته من أعراضنا انخزلت عنه وأرعيته لحومنا فلا أنت أمسكت ووسعك ما وسع غيرك ولا أنت لما انتصرت انتصفت ، فقال له مسلم فما أصنع؟ فأنا أصبر عليه فان كف والا تحملت

عليه باخوانه، فان كف والا وكلته الى بغيه ، ولنا شيخ يصوم الدهر ويقوم الليل فان أقام على ما هو عليه سألته أن يسهر له ليلة يدعو الله عليه فيها فانها تهلكه ، فقال له الأنصاري سخنت عينك بهذا تنتصف ممن هجاك ؟ ثم قال له

قد لاذ من خوف ابن قنبر مسلم بدعاء والده مع الأسحار

ورأيت شر وعيده أن يشتكي ما قد عراه الى أخ أو جار

ثكلتك أمك قد هتكت حريمنا وفضحت أسرتنا بني النجار

عممت خزرجنا ومعشر أوسنا خزيا جنيت به على الأنصار

فعليك من مولى وناصر أسرة وعشيرة غضب الاله الباري

فكاد مسلم يموت غماً و بكى وقال له أنت شر على من ابن قنبر ، ثم ثاب و حمي فهتك ابن قنبر ومزقه حتى تركه وتحمل عليه بأبيه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة ، وقد حدثني بخبر مناقضة ابن قنبر جماعة وذكروا قصائدهما جميعاً فوجدت في الشعر الفضل لابن قنبر عليه لأن له عدة قصائد لا نقائض لها يذكر فيها تعريده عن الجواب وقصائد يذكر فيها أن مسلما فخر على قريش وعلى النبي صلى الله عليه وسلم ورماه بأشياء تبيح دمه ، فكف مسلم عن مناقضته خوفا منه وجحد أشياء كان قالها فيه

وكان سبب المهاجاة بينهما أن الطرماح بن حكيم كان قد هجا بني تميم (انظر ص ١٠٧ من الجزء الثالث) وكان الفرزدق أجاب الطرماح عنها ، ثم ان ابن قنبر قال بعد خبر طويل يرد على الطرماح

يا عاويا هاج ليثاً بالعواء له شثن البراثن ورد اللون ذا لبد

أي الموارد هابت جم غمرته بنو تميم على حال فلم ترد

ألم ترد يوم قنذابيل معلمة بالخيل تصبر نحو الأزد كالأسد

بفتية لم تنازعها فتطعنها بلؤمها طيء ندبا ولم تلد

خاضت الى الأزد بحراً ذا غوارب من سمر طوال وبحراً من قنا قصد

فأوردتها مناياها بمرهفة ملس المضارب لم تفلل ولم تكد

وهى طويلة وقد قال الطرماح أيضاً

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى عظام المخازى عن تميم تجلت

وكان الفرزدق أيضاً أجابه عنها فقال ابن قنبر ينقضها

لعمرك ماضلت تميم ولا جرت على إثر أشياخ عن المجد ضلت

ولا جبنت بل أقدمت يوم كسّرت لها الأزد أغماد السيوف وسلت

بغائط قندابيل والموت جائل عليها بآجال لها قد أظلت

فما برحت تسقى كؤوس حمامها اذا نهلت كروا عليها فعلّت

الى أن أبادتهم تميم وأكذبت أمانىّ للشيطان عنها اضمحلت

وحان فراق منهم كلّ خدلة مفارقة بعلا به ما تملت

وهى طويلة ، فبلغ مسلما هجاء ابن قنبر للأزدوطيء ورده على الطرماح بعد موته فغضب من ذلك وقال ما المعنى فى مناقضة رجل ميت واثارة الشر بذكر القبائل لا سيما وقد أجابه الفرزدق عن قوله ؟ فأبى ابن قنبر الا تماديا فى مناقضته فقال مسلم قصيدته التي أولها

آيات أطلال برامة درّس هجن الصبابة واسترثن معرّسى[1]

أوحت الى درر الدموع فأسبلت واستفهمتها غير أن لم تنبس[2]

زجّ[3] الهوى أودع دموعك تبكه واجنح الى خطط التالف واحبس

وكل الزمان الى البلى أطلالها نخلت معالمها كأن لم تؤنس

---

(١) أى منعتنى النوم عند ما عرست حين ذكرت الذين كانوا فيها (٢) أى لم تتكلم والدرر جمع درة وهى الدفعة من الدمع او من اللبن (٣) اى ادفعه عن نفسك

ولرب صاحب لذة نادمتــــه ... في روضة أُنُف (١) كريم المَعْطِسِ

صفراء من حَلَب الكروم كسوتها ... بيضاء من صوب الغمام البُجَّسِ (٢)

مزجت ولاوذها (٣) الحَبابُ فحاكها ... فكأن حليتها جنى النرجس

وكأنها والماء يطلب حلمهــا ... لهب تلاطمه الصَّبا فى مقبس

جهلت فدارى جهلها فتبسمت ... عن مُشْرَب لون الشهولة أعيس (٤)

والناس كلهم لضِنءٍ (٥) واحد ... ثم اختلاف طبائع في أنفس

حتى اذا نَضَب النهار وأُدرجت ... فى الليل شمس نهاره المتورس

ساورته فامتــد ثم تقطعت ... أنفاســه فى صبحه المتنفس

والعِيس عاطفة الرءوس كأنمـا ... يختِلْن سر محدث فى الأحلس (٦)

يخرجن من ليل كأن نجومه ... أسيافنا يوم العجاج الأغبس (٧)

ثم استقلّت بالحتوف رماحنـا ... والخيل في ليل مُسدًّى مُلْبَس

وبوارق الأغماد تبــدو تارة ... حمراً وتخفى تارة في الأرؤس

حرب يكون وقودَها أبناؤها ... لَقِحت على عقْر ولما تَنْفِس (٨)

من هارب ركب النجاء ومُقْعَص (٩) ... جَشِمت منيته على المتنفس

غصبته أطراف الأسنة نفســه ... فثوى فريسة وُلَّغ أو نُهَّس (١٠)

ان كنت نازلة اليفاع فجنبي ... دار الرَّباب وخزرجى أو أوْسى

وتجنبي الخضراء إن سيوفهم ... حُدُث وان قناتهم لم تضْرَس

رفعت بنو النجار بيتى فيهــمُ ... ثم انتميت فأفسحوا فى المجلس

---

(١) اى صحيحة لم ترع (٢) المنسكبات (٣) أى تابعها . فحاكها اى نسجها (٤) العيس لون بين البياض والحمرة والمشرب المشبع من كل لون يكون (٥) اى لأصل واحد (٦) جمع حلس وهو كساء يلقى على ظهر البعير تحت الرحل لئلا يؤذيه الرحل (٧) الاغبس الأغبر (٨) يقول حملت بعد ان كانت عاقرا ولما تنفس اى ولم تلد (٩) أى مقتول مكانه لا يزول (١٠) النهس الآكلات اللحم بأفواهها والولغ التى تلغ فى الدم أى تلعقه

هل طيء الأجبال شا كرة امرىء ذاد القوافي عن حماها الأقعس
وحمي أبا نفر (١) عظامَ حفيرة دَرَست وباقي عزها لم يَدْرُس
كافأت نعمتها بفضل بلائها ثم انفردت بمنصب لم يَدْنَس
واذا افتخرت عددتُ سعي مآثر قصرت على الإعضاء طَرْفَ الأشوس ٢
فاعقل لسانك عن شتائم عرضنا لا يعلقنَّك خادر من مأنس
أخلقت فخرك من أبيك فجئتني بأب جديد بعد طول تلمس
أخذت عليه المحكَمات طريقها فغدا يناقض أعظما في أرْمُس

فلم يجبه ابن قنبر عن هذه بشيء ، ثم تلاقيا فتعاتبا واعتذر كل واحد منهما الى صاحبه ، ومكث ابن قنبر حيناً لا يجيبه عن هذا ولا عن غيره بشيء طلباً للكفاف ثم هجا مسلم قريشاً وفخر بالانصار فقال

قل لمن تاه اذ بنا عزَّ جهلا ليس بالتِّيه يفخرُ الأحرار
فتناهَوْا و اقصُروا فلقدجا رت عن القصد منكم الأبصار
أيكم حاط ذا جوار بعز قبل أن تحتويه منا الدار
أو رجا أن يفوت قوماً بوتر لم تزل تمتطيهمُ الأوتار
لم يكن ذاك فيكمُ فدعوا الفخر بما لا يسوغ فيه افتخار
ونزاراً ففاخروا تفضُلوهم ودعوا من له عبيد نزار
فبنا عز منكم الذل والدهـر عليكم بريبه كرَّار
حاذروا دولة الزمان عليكم انه بين أهله أطوار
فتُردوا ونحن للحالة الأو لى وللأوحد الأذلّ الصغار
فاخرتنا لما بسطنا لها الفخـر قريش وفخرها مستعار
ذكرت عزها وما كان فيها قبل ان تستجيرنا مستجار
انما كان عزها في جبال ترتقيها كما ترقَّى الوبار

(١) هو الطرماح (٢) الاشوس الذى ينظر فى جانب من الكبر والعزة

أيها الفاخرون بالعز والعـــز لقوم سواهمُ والفخار
أخبرونا من الأعز ألمنــــصور حتى اعتلى أم الأنصار
فلنا العز قبل عز قريش وقريش تلك الدهور تجار

فانبرى له ابن قنبر يجيبه فقال

الا امثل أمير المؤمنين بمسلم وأقلق به الأحشاء من كل مجرم
ولا ترجعنْ عن قتله باستتابة فما هو عن شتم النبى بمُحْرِمِ
ولا عن مساواة له ولقومــــه قريشاً بأصداء لعادٍ وجُرْهُم
ويفخرُ بالأنصار جهلا على الذى بنصرته فازوا بحظ ومغنم
وسمُّوا به الأنصار لا عز قائل أراد قريشاً بالمقــام المذمم
ومنهم رسول الله أزكى من انتمى الى نسب زاك ومجد مقدَّم
وما كانت الأنصار قبل اعتصامها بنصر قريش فى المحل المعظَّم
ولا بالأولى يعلون أقدار قومهم صُداء وخولان ولخم وسذْهم
ولكنهم بالله عاذوا ونصرهم قريشاً ومن يستعصم الله يعصم
فعزوا وقد كانوا وفطيونُ فيهمُ من الذل فى باب من العز مبهم
يسومهم الفطيون مالا يسامه كريم ومن لا ينكر الظلم يظلم
وإن قريشاً بالمآثر فضلت على الخلق طرّا من فصيح وأعجم
فما بال هذا العِلْج ضل ضلاله يمد اليهم كف أجذم أعسم
يسامى قريشـــاً مسلم وهمُ همُ بمولًى يمـــانى وبيت مهدَّم
اذا قام فيه غيرهم لم يكن لهم مقام به من لؤم مَبْنى ومَدْعَم
جَعاسيس أشباه القرود لو أنهم يُباعون ما ابتيعوا جميعاً بدرهم
وما مسلم من هؤلاء ولا أولى ولكنه من نسل علج ملكَّم
تولي زمانا غيرهم ثمت ادعى اليهم فلم يكرُمْ ولما يكرَّم

فان يك منهم فالنضير ولفهم   مواليه لا من يدعى بالتزعم
وان تدعه الأنصار مولي أسنهم   بقافيـــه تستكره الجلد بالدم
عقاباً لهم فى إفكهم وادعائهم   لأقلف منقوش الذراع موشم
فلا تدعوه وانتفوا منه تسلموا   بنفيكموه من مقال ومأثم
والا فغضوا الطرف وانتظروا الردى   اذا اختلفت فيكم صوارد أسهمى
ولم تجدوا عنها مجنّا يجنّكم   اذا اطلعت من كل فجّ ومعلم
وأنتم بنو أذناب من أنتم له   ولستم بأبناء السنام المقـدم
ولا بنى الرأس الرفيع محله   فيسمو بكم مولى مسام وينتمى
فكيف رضيتم أن يسامى نبيكم   ببيتكم الرثّ القصير المهـدم
سأحطم من سامى النبى تطاولا   عليـه وأكوي منتماه بميسمى
أيعدل بيت يثربىّ بكعبــة   ثوتها قريش فى المكان المحرم
قريش خيار الله والله خصهم   بذلك فاتعس أيها العلج وارغم
ومن تدّعى منه الولاء مؤخر   اذا قيل للجارى الى المجد أقدم

وكان مسلم قال قصيدته فى قريش وكتمها فوقعت الي ابن قنبر وأجابه عنها فاستعلى عليه وهتكه وأغرى به السلطان فلم يكن عند مسلم في هذا جواب اكثر من الانتفاء منها ونسبتها الي ابن قنبر والادعاء عليه أنه ألصقها به ونسبها اليه ليعرضه للسلطان وخافه فقال ينتفى من هذه القصيدة

دعوت أمير المؤمنين ولم تكن   هناك ولكن من يخف يتجشم
وانك اذ تدعو الخليفة ناصرا   لكالمترقى فى السماء بسلم
كذاك الصدى تدعوه من حيث لا ترى   وإن تتوهمه نمت فى التوهم
هجوت قريشاً عامداً ونحلتني   رويدك يظهر ما تقول فيعلم
اذا كان مثلى فى قبيلى فانه   على ابن لؤىّ قصرةً غير متهم

سيكشفك التعديل عما قذفتني ... به فتأخر عارفاً أو تقدم

فان قريشاً لا يغادر ودُّها ... ولا يستمال عهدها بالترحم

مضى سلف منهم وصلى بعقْبهم ... لنا سلف فى الأول المتقدِّم

جرَوْا فجرينا سابقين بسبقهم ... كما اتبعت كف نواشرَ معصم

وان الذى يسعى ليقطع بيننا ... كملتمس اليَربوع فى جُحْر أرْقم

أضلك قرعُ الآبدات طريقَها ... فأصبحت من عميائها في تهيُّم

وخانتك عند الجرى لما اتبعتها ... تميم فحاولت العلا بالتقحم

فأصبحت ترميني بسهمى وتتقى ... يدى بيدى أصليت نارك فاضْرِم

ثم هجاه ابن قنبر بقصيدة أولها

قل لعبد النضير مسلم الوَغْـ ... ـد الدنى اللئيم سِنخ النِّصاب

اخس يا كلب اذ نبحت فانى ... لست ممن يجيب نبح الكلاب

أفأرضى ومنصبي منصب العـ ... ـز و يبقى في ذروة الأحساب

أن أحطَّ الرفيع من سَمْك بيتى ... بمهاجاة أوشب الأوشاب

من اذا سيل من أبوه بدا منـ ... ـه حياء يحميه رجع الجواب

واذا قيل حين يقبل من أنـ ... ـت ومن تعتزيه في الأنساب

قلتَ هاجى ابن قنبر فتسربلـ ... ـت بذكرى فخرا لدى النُّساب

وهى قصيدة طويلة فلم يجبه عنها مسلم بشيء فقال فيه ابن قنبر أيضاً

لست أنفيك ان سواى نفا كا ... عن أبيك الذي له منما كا

ولماذا أنفيك يا ابن الوليـ ... ـد من أب ان ذكرته أخزا كا

ولو أنى طلبت ألأم منـ ... ـه لم أجده ان لم تكن أنت ذا كا

لو سواه أبوك كان جعلنا ... ه اذا الناس طاوعونا أبا كا

حاك دهرا بغير حذْق لبُرد ... وتحوك الاشعار أنت كذا كا

ثم هجاه بشعر أقذع فيه ، فمشى اليه قوم من مشايخ الانصار واستعانوا بمشيخة من قراء تميم وذوى الفضل والعلم ، فمشَوْا معهم اليه فقالوا ألا تستحى من أن تهجو من لا يجيبك ؟ أنت بدأت الرجل فأجابك ثم عدت فكف وتجاوزت ذلك الى ذكر أعراض الأنصار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحميها ويذُبّ عنها ويصونها لغير حال أحلت ذلك منهم ، فما زالوا به يعظونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم فقطعت



شعراء عدنان

شعراء ربيعة

شعراء بكر

ابو العتاهية

هو اسمعيل بن القاسم مولي عنزة وكنيته أبو اسحاق وامه أم زيد المحاربى مولي بني زهرة منشؤه بالكوفة كان يبيع الفخار بها ثم قال الشعر فبرع فيه ويقال أطبع الناس بشار والسيد وابو العتاهية وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته وكان غزير البحر لطيف المعانى سهل الالفاظ كثير الافتنان قليل التكلف الا انه كثير الساقط المرذول مع ذلك واكثر شعره فى الزهد والامثال. وكان قوم من أهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث ويحتجون بأن شعره انما هو فى ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد ، وله أوزان ظريفة قالها مما لم يتقدمه الأوائل فيها ، وكان أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الاموال — وكنى بأبى العتاهية لأنه كان يحب الشهرة والمجون والتعته

وقال له المهدى يوما أنت انسان متحذلق معته ، فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته وسارت له فى الناس ويقال أبو عتاهية باسقاط الألف واللام

كان ابوه حجاما ولذلك يقول أبو العتاهية ،

الا انما التقوى هو العز والكرم   وحبك للدنيا هو الفقر والعدم
وليس على عبد تقى نقيصة   اذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

وجاذبه رجل من كنانة ففخر عليه واستطال بقوم من أهله فقال ابو العتاهية

دعنى من ذكر اب وجد ونسب يعليك سور المجد
ما الفخر الا فى التقى والزهد وطاعة تعطى جنان الخلد
لابد من ورد لاهل الورد اما الى ضَحل واما عِد

وكان ابو العتاهية نظيفا ابيض اللون اسود الشعر له وفرة جعدة وهيئة حسنة ولباقة وحصافة

قال احمد بن زهير سمعت مصعب بن عبد الله يقول ابو العتاهية اشعر الناس، فقلت له بأى شيء استحق ذلك عندك ؟ فقال بقوله

تعلقت بآمال طوال أي آمال
وأقبلت على الدنيا ملحا أى اقبال
أيا هذا تجهز لفراق الاهل والمال
فلابد من الموت على حال من الحال

ثم قال مصعب هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان يعرفه العاقل ويقر به الجاهل وكان الأصمعى، يستحسن قوله

انت ما استغنيت عن صاحبك الدهر أخوه
فاذا احتجت اليه ساعة مجك فوه

وانشد له سلم الخاسر

سكن يبقى له سكن ما بهذا يؤذن الزمن
نحن فى دار يخبرنا ببلاها ناطق لسن
دار سوء لم يدم فرح لامرىء فيها ولا حزن
فى سبيل الله أنفسنا كلنا بالموت مرتهن
كل نفس عند ميتتها حظها من مالها الكفن

وقال عبد الله بن عبد العزيز العمرى أشعر الناس أبو العتاهية حيث يقول

ما ضر من جعل التراب مهاده الاَّ ينام على الحرير اذ اقنع

وقيل لأبى العتاهية كيف تقول الشعر ؟ قال ماأردته قط الا مثل لى فأقول ما أريد واترك ما لا أريد ، وكان يقول لو شئت أن أجعل كلامى شعرا كله لفعلت

حم الرشيد فصار أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع برقعة فيها

لو علم النـاس كيف انت لهم ماتوا اذا ما أَلمت أجمعهم

خليفـــة الله انت ترجح بالنا س اذا ما وزنت انت وهم

قد علم الناس أن وجـــهك يغـــنى اذا ما رآه معـــدمهم

فأنشد الفضل بن الربيع الرشيد فأمر باحضار أبى العتاهيـة فما زال يسامره ويحدثه الى أن برىء ووصل اليه بذلك السبب مال جليل وقد حدث ابن الاعرابى بهذا الحديث فقال له رجل بالمجلس ما هذا الشعر بمستحق لما قلت ، قال ولم ؟ قال لأنه ضعيف ، فقال ابن الاعرابى وكان احــد الناس الضعيف والله عقلك لاشعر أبى العتاهية ، ألأبى العتاهية تقول انه ضعيف الشعر ؟ فوالله ما رأيت شاعرا قط أطبع ولا أقدر على بيت منــه وما احسب مذهبه الا ضربا من السحر ثم أنشد له

قطعت منك حبائل الآمــــال وحططت عن ظهر المطىّ رحالي

ويئست أن أبقى لشىء نلت ممـــافيك يادنيـــا وأن يبقى لى

فوجدت برد اليأس بين جوانحى فأرحت من حل ومن ترحال

يأيهـا البطِر الذى هو من غـد في قـــبره متمزق الأوصال

حذف المنى عنه المشمر فى الهدى وأرى مُنـاك طويلة الأذيال

حِيَلُ ابن آدم فى الامور كثيرة والموت يقـطع حيلة المحتـال

مالى أراك لُحر وجهك مخلقـــا أخلقت يادنيـا وجـوه رجال

قست السؤال فكان أعظم قيمة من كل عارفـة جرت بسؤال

فاذا ابتليت ببذل وجهك سائلا فابذله للمتكرم المفضال

واذا خشيت تعذرا فى بلدة فاشدد يديك بعاجل الترحال

واصبر على غير الزمان فانما فرج الشدائد مثل حل عقال

ثم قال للرجل هل تعرف أحدا يحسن أن يقول مثل هذا الشعر؟ فقال له الرجل يا أبا عبد الله جعلني الله فداءك انى لم أردد عليك ما قلت ولكن الزهد مذهب أبى العتاهية، وشعره فى المديح ليس كشعره فى الزهد فقال، أفليس الذى يقول فى المديح

وهرون ماء المزن يشفى من الصدى اذا ما الصدى بالريق غصت حناجره

وأوسط بيت فى قريش لبيته وأول عز فى قريش وآخره

وزحف له تحكى البروق سيوفه وتحكى الرعود القاصفات حوافره

اذا حميت شمس النهار تضاحكت الى الشمس فيه بيضه ومغافره

اذا نكب الاسلام يوماً بنكبة فهرون من بين البرية ثائره

ومن ذا يفوت الموت والموت مدرك كذا لم يفت هرون ضد ينافره

فتخلص الرجل من شر ابن الاعرابى بأن قال له القول كما قلت وما كنت سمعت له مثل هذين الشعرين وكتبهما عنه

قال ثمامة بن أشرس أنشدنى أبو العتاهية

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذى هو مالكه

الا انما مالى الذى أنا منفق وليس لى المال الذى أنا تاركه

اذا كنت ذا مال فبادر به الذى يحق والا استهلكته مهالكه

فقلت له من أين قضيت بهذا؟ فقال من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما لك من مالك ما اكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت

فقلت له أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق؟ قال

نعم ، قلت فلم تحبس عندك سبعاً وعشرين بدرة فى دارك ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكى ولا تقدمها ذخرا ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال يا أبا معن والله انما قلت لهو الحق ولكنى أخاف الفقر والحاجة الى الناس ، فقلت وبم تزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحرص دائم الجمع شحيح على نفسك لا تشترى اللحم الا من عيد الى عيد ؟ فترك جواب كلامى كله ثم قال لى والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم ، فلما قال هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومعاتبته فأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام .

قال ثمامة دخلت يوماً الى أبى العتاهية فاذا هو يأكل خبزا بلا شىء ، فقلت كأنك رأيته يأكل خبزا وحده ، قال لا ولكنى رأيته يتأدم بلا شىء ، فقلت وكيف ذلك ؟ فقال رأيت قدامه خبزا يابسا من رقاق فطير وقدحا فيه لبن حليب ، فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها فى اللبن ويخرجها ولم تلق منه بقليل ولا كثير ، فقلت له كأنك اشتهيت أن تتأدم بلا شىء وما رأيت أحدا قبلك تأدم بلا شىء ، وروى الجاحظ عن بعض أصحابه قال دخلت على أبى العتاهية فى بعض المتنزهات وقد دعا عياشا صاحب الجسر وتهيأ له بطعام وقال لغلامه اذا وضعت قدامهم الغداء فقدم الى ثريدة بخل وزيت ، فدخلت اليه واذا هو يأكل منها أكل منكمش غير منكر لشىء ، فدعانى فمددت يدى فاذا بثريدة بخل وبزر بدلا من الزيت ، فقلت له أتدرى ما تأكل ؟ قال نعم ثريدة بخل وبزر ، فقلت وما دعاك الى هذا ؟ قال غلط الغلام بين [1] دبة الزيت ودبة البزر فلما جاءنى كرهت التجبر وقلت دهن كدهن فأكلت وما أنكرت شيئاً ، وقال محمد بن عيسى الخزيمى وكان جار أبى العتاهية كان لأبى العتاهية جار يلتقط النوى ضعيف سيء الحال متجمل عليه ثياب فكان يمر بأبى العتاهية طرفى النهار فيقول أبو العتاهية اللهم أغنه عما

(١) الدبة ظرف للبزر والزيت

هو بسبيله شيخ ضعيف سيء الحال عليه ثياب متجمل اللهم أعنه ، اصنع له ، بارك فيه ، فبقى على هذا الى مات الشيخ نحوا من عشرين سنة والله ان تصدق عليه بدرهم ولا دانق قط وما زاد على الدعاء شيئاً ، فقلت له يوما يا أبا اسحق انى أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير فلم لا تتصدق عليه بشيء ؟ فقال أخشى أن يعتاد الصدقة والصدقة آخر كسب العبد وان فى الدعاء لخيرا كثيرا ، وقال كان لأبى العتاهية غلام أسود طويل كأنه محراك أتون ، وكان يجرى عليه كل يوم رغيفين فجاءنى الخادم يوماً فقال لى والله ما أشبع ، فقلت له وكيف ذاك ؟ قال لأنى ما أفتر من الكد وهو يجرى علىّ كل يوم رغيفين بغير ادام فان رأيت أن تكلمه حتى يزيدنى رغيفاً فتؤجر ، فوعدته بذلك ، فلما جلست معه مر بنا الخادم فكرهت اعلامه أنه شكا الىّ ذلك ، فقلت له يا أبا اسحق كم تُجري على هذا الخادم فى كل يوم ؟ قال رغيفين ، فقلت له لا يكفيانه ، قال من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير وكل من أعطى نفسه شهوتها هلك ، وهذا خادم يدخل الى حرمى وبناتى فان لم أعوده القناعة والاقتصاد أهلكنى وأهلك عيالى ومالى ، فمات الخادم بعد ذلك فكفنه فى أزار وفراش له خلَق ، فقلت له سبحان الله خادم قديم الحرمة طويل الخدمة واجب الحق تكفنه فى خلَق وانما يكفيك له كفن بدينار ، فقال انه يصير الى البلى والحىّ أولى بالجديد من الميت ، فقلت له يرحمك الله أبا اسحق فلقد عودته الاقتصاد حياً وميتاً . وقال وقف عليه ذات يوم سائل من العيارين الظرفاء ، وجماعة من جيرانه حوله فسأله من بين الجيران ، فقال صنع الله لك ، فأعاد السؤال عليه ثانية ، فرد عليه مثل ذلك فأعاد عليه ثالثة ، فرد عليه مثل ذلك ، فغضب وقال له ألست القائل

كل حى عند ميتته ... حظه من ماله الكفن

ثم قال له فبالله عليك أتريد أن تعد مالك كله لثمن كفنك ؟ قال لا ، قال فبالله كم قدرت لكفنك ، قال خمسة دنانير ، قال فهى اذاً حظك من مالك كله ،

قال نعم ، قال فتصدق على من غير حظك بدرهم واحد ، قال لو تصدقت عليك لسكان حظي ، قال فاعمل على أن دينارا من الخمسة الدنانير وضيعة قيراط وادفع الي قيراطا واحداً ، والا فواحد آخر ، قال وما ذلك ؟ قال القبور تحفر بثلاثة دراهم فأعطني درهماً وأقيم لك كفيلا بأني أحفر لك قبرك به متى مت وتربح درهمين لم يكونا في حُسبانك فان لم أحتفر رددته على ورثتك أورده كفيلي عليهم ، فخجل أبو العتاهية وقال أغرُب لعنك الله وغضب عليك ، فضحك جميع من حضر ومر السائل يضحك ، فالتفت الينا أبو العتاهية فقال من أجل هذا وأمثاله حُرّمت الصدقة ، فقلنا له ومن حرمها ؟ ومتى حرمت ؟ فما رأينا أحدا ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده . وقال قلت لابى العتاهية أتزكى مالك ؟ فقال والله ما أنفق على عيالى الا من زكاة مالى ، فقلت سبحان الله انما ينبغى أن تخرج زكاة مالك الى الفقراء والمساكين ، فقال لو انقطعت عن عيالى زكاة مالى لم يكن فى الارض أفقر منهم

قيل لابى العتاهية أى شعر قلته أحكم قال قولى

علمتَ يا مُجاشع بن مسعدة ان الشباب والفراغ والجدَة

مفسدة للمرء أى مفسدة

وكان مجاشع بن مسعدة صديقا لأبى العتاهية فكان يقوم بحوائجه كلها ويخلص مودته فمات وعرضت لأبى العتاهية حاجة الى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها فكتب اليه أبو العتاهية

غنيت عن العهد القديم غنيتا وضيعت ودا بيننا ونسيتا

ومن عجب الأيام أن مات مألفى ومن كنت تغشانى به وبقيتا

فقال عمرو استطال أبو اسحاق أعمارنا وتوعدنا ما بعد هذا خير ، ثم قضى حاجته

قال أبو غزية كان أبو العتاهية اذا قدم من المدينة جلس الىّ فأراد مرة الخروج من المدينة فودعنى ثم قال

ان نعش نجتمع والا فما أشــغل من مات عن جميع الأنام

كان لبعض التجار على أبي العتاهية ثمن ثياب أخذها منه ، فمر به يوماً فقال التاجر لغلام له حسن الوجه أدرك أبا العتاهية فلا تفارقه حتى تأخذ منه ما عليه ، فأدركه الغلام على رأس الجسر فأخذ بعنان حماره ووقفه ، فسأله ماحاجتك ؟ فأخبره ، فانتظر أبو العتاهية حتى اجتمع الناس ثم قال للغلام

والله ربك انــنى لأجل وجهك عن فعالك

لو كان فعــلك مثــل وجــهك كنت مكتفياً بذلك

فخجل الغلام وأرسل عنان الحمار ورجع الى صاحبه وقال له بعثتنى الى شيطان جمع عليّ الناس وقال فيّ الشعر فهربت منه

زار مرة عمرو بن مسعدة فحجب عنه فلزم منزله فاستبطأه عمرو فكتب اليه

كسّلني اليأس عنــك فمــا أرفع طرفى اليك من كسل

انى اذا لم يكن أخي ثقة قطعت منه حبائل الأمل

وكتب اليه مرة أخرى

مالك قد حُلت عن اخائك واســتبدلت ياعمرو شــيمة كدِرة

انى اذا البــاب تاه حاجبــه لم يك عندي فى هجره نظِرة

لستم تُرجَّوْن للحســاب ولا يوم تكــون السماء منفطرة

لكن لدنيا كالظل بهجتهــا سريعــة الانقضاء منشمرة

قد كان وجهى لديك معرفــة فاليوم اضحى حرْفا من النكرة

تهدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه ونهاه أن يعرض لمولاته سعدي فقال أبو العتاهية

ألا قل لابن معن ذا الــذى فى الود قد حالا

لقد بلغت ما قالا فيا ليت ما قالا

فلو كان من الأسد لما راع ولا هالا

فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا

وما تصنع بالسيف اذا لم تك قتالا

ولو مد الى أذنيه كفيه لما نالا

قصير الطول والطيلة لا شب ولا طالا

أري قومك أبطالا وقد أصبحت بطالا

وقال فى الصلح معه بعد هجو كثير كان منه

ما لعذالى ومالى أمرونى بالضلال

عذلونى فى اغتفاري . لابن معن واحتمالى

ان يكن ما كان منه فبجرمى وفعالى

أنا منه كنت اسوا عشرة فى كل حال

قل لمن يعجب من حسن رجوعى ومقالى

رب ود بعد صد وهوى بعد تقال

قد رأينا ذا كثيرا جاريا بين الرجال

انما كانت يمينى لطمت منى شمالى

وحديث الصلح أن بنى معن مضوا الى مندل وحيان ابنى على العنزيين الفقيهين وهما من بني عمرو بن عامر بطن من يقدم بن عنزة وكانا من سادات أهل الكوفة فقالوا لهما نحن أهل بيت واحد وأهل ولا فرق بيننا وقد أتانا من مولا كم هذا ما لو اتانا من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه ، فاحضرا أبا العتاهية فلم يمكنه الخلاف عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابني معن وضمنا عنه خلوص النية وعنهما ألا يتبعاه بسوء ، وكانا ممن لا يمكن خلافهما ، فرجعت الحال الى المودة والصفاء

كان أبو العتاهية قد هجا عبدالله بن معن فغضب أخوه يزيد وتوعد أبا العتاهية فقال فيه قصيدته التي أولها

بنى معن ويهدمه يزيد كذاك الله يفعل ما يريد
فمعن كان للحساد غما وهذا قد يسر به الحسود
يزيد يزيد فى منع وبخل وينقص فى العطاء ولايزيد

وكان زائدة بن معن صديقا لأبى العتاهية ولم يعن اخوته عليه فمات فقال أبو العتاهية يرثيه

حزنت لموت زائدة بن معْن حقيق أن يطول عليه حزنى
فتى الفتيان زائدة المصفَّى أبو العباس كان أخى وخدْنى
فتى قوم وأى فتى توارت به الأكفان تحت ثرى ولَبْن
الا ياقبر زائدة بن معن دعوتك كي تجيب فلم تُجبنى
سل الأيام عن أركان قومى أصبت بهن ركنا بعد ركن

قال بشار لأبى العتاهية أنا والله أستحسن اعتذارك من دمعك حيث تقول

كم من صديق لى أسا رقه البكاء من الحياء
فاذا تأمل لامني فأقول مابى من بكاء
لكن ذهبت لأرتدى فطَرفْت عينى بالرداء

فقال له أبو العتاهية لا والله ياأبا معاذ ما لذت الا بمعناك ولا اجتنيت الا من غرسك حيث تقول

شكوت الى الغوانى ما ألاقى وقلت لهن ما يومى بعيد
فقلن بكيت ؟ قلت لهن كلا وقد يبكى من الشوق الجليد
ولكني أصاب سواد عينى عُوَيد قَذَى له طَرْف حديد
فقلن فما لدمعهما سواء؟ أكلتا مقلتيك اصاب عود؟

جاء أبو العتاهية الي محمد بن الفضل الهاشمى فتحدث ساعة وجعل محمد يشكو اليه تخلف الصنعة وجفاء السلطان، فقال أبو العتاهية لابن محمد اكتب

كل على الدنيا له حِرْص والحادثات أناتها غفص
وكأنّ من واروه فى حدث لم يبدُ منه لناظر شخص
تبغى من الدنيا زيادتها وزيادة الدنيا هى النقص
ليد المنية فى تلطفها عن ذخر كل شفيقة فحص

لما تنسك أبو العتاهية ولبس الصوف أمره الرشيد أن يقول شعراً فامتنع وأمر بحبسه وحلف ألاّ يخرج من الحبس حتى يقول شعراً في الغزل ، فحلف أبو العتاهيه ألاّ يتكلم سنة الا بالقرآن أو بلا اله الا الله محمد رسول الله ، فكأن الرشيد يحزن مما فعله فأمر أن يحبس فى دار ويوسع عليه ولا يمنع دخول من يريد اليه ،فلما انقضى الأجل كان أول ما قاله فى امرأته

من لقلب متيم مشتاق شفه شوقه وطول الفراق
طال شوقى الى قعيدة بيتى ليت شعرى فهل لنا من تلاق
هى حظى قد اقتصرت عليها من ذوات العقود والأطواق
جمع الله عاجلا بك شملى عن قريب وفكّني من وثاقى

فلما سمعها الرشيد أمر له بستين ألف درهم وخلع عليه وأطلقه

وجد الرشيد مرة على أبى العتاهية فكان يرجو أن يتكلم الفضل بن الربيع فى أمره ، فأبطأ عليه بذلك فكتب اليه أبو العتاهية

أجفوتني فيمن جفانى وجعلت شأنك غير شانى
ولطالما أمنتني مما أرى كل الأمان
حتي اذا انقلب الزما ن عليّ صرت مع الزمان

فكلم الفضل فيه الرشيد فرضى عنه، فلما دخل الى الفضل أنشده قوله فيه

قد دعوناه نائياً فوجدنا ه على نأيه قريبا سميعا

فأدخله الى الرشيد فرجع الى حالته الأولى

كان يزيد بن منصور خال المهدى يتعصب لأبى العتاهية لأنه كان يمدح اليمانية فى شعره فمن ذلك قوله

سُقيت الغيث يا قصر السلام فنعم مَحلّة الملك الهمام
لقد نشر الاله عليك نوراً وحفّك بالملائكة الكرام
سأشكر نعمة المهدى حتى تدور علىّ دائرة الحِمام
له بيتان بيت تُبَّعِيّ وبيت حل بالبلد الحرام

وكان أبو العتاهية طول حياة يزيد بن منصور يدعى أنه مولى لليمن وينتفى من عنزة فلما مات يزيد رجع الى ولائه الأول فقال له الفضل بن العباس ألم تكن تزعم أن ولاءك لليمن ؟ قال ذلك شيء احتجنا اليه فى ذلك الزمن وما فى واحد ممن انتميت اليه خير ولكن الحق أحق أن يتبع، وكان ادعى ولاء اللخميين، وكان يزيد ابن منصور من أكرم الناس وأحفظهم لحرمة وأرعاهم لعهد وكان بارا بأبى العتاهية كثيراً فضله عليه، وكان أبو العتاهية منه في مَنَعة وحصن حصين مع كثرة ما يدفعه اليه ويمنعه منه من المكاره

فلما مات يزيد قال أبو العتاهية يرثيه

أنعى يزيد بن منصور الى البشر أنعى يزيد لأهل البدو والحَضَر
ياساكن الحفرة المهجور ساكنها بعد المقاصر والأبواب والحُجَر
وجدت فقدك في مالي وفى نَشَبي وجدت فقدك فى شعرى وفى بشرى
فلست أدرى جزاك الله صالحة أمنظرى اليوم أسوا فيك أم خبَرى

جلس المهدى للشعراء يوماً فأذن لهم وفيهم بشار وأشجع وكان أشجع يأخذ عن بشار ويعظمه، وغير هذين، وكان فى القوم أبو العتاهية، قال أشجع فلما

سمع بشار كلامه قال يا أخا سليم أهذا ذلك الكوفي الملقب ؟ قلت نعم ، قال لا جزي الله خيرا من جمعنا معه ، ثم قال له المهدى أنشد ، فقال ويحك أو يبدأ فينشد قبلنا ؟ فقلت قد ترى ، فأنشد

الا ما لسيدتى ما لها أدلاًّ فأحمل إدلالها
والا ففيم تجنت وما جنيت سقى الله أطلالها
الا ان جارية للاما م قد أسكن الحسن سربالها
مشت بين حور قصار الخطا تجاذب فى المشى أكفالها
وقد أتعب الله نفسى بها وأتعب باللوم عذالها

فقال بشار لأشجع ويحك يا أخا سليم ما أدرى من أى أمريه أعجب أمن ضعف شعره أم من تشبيبه بجارية الخليفة وهو يسمع ذلك بأذنه ؟ حتى أتى على قوله

أتته الخلافة منقادة اليه تجرر أذيالها
ولم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلو ب لما قبل الله أعمالها
وان الخليفة من بغض لا اليه ليبغض من قالها

فقال بشار لأشجع وقد اهتز طربا ويحك يا أخا سليم أترى الخليفة لم يطر عن فرشه طربا لما يأتى به هذا الكوفى ؟

ولما اتهمه منصور بن عمار بالزندقة لأنه لا يذكر فى شعره الجنة والنار وانما يذكر الموت قال فيه

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
كالملبس الثوب من عرْى وعورته للناس بادية ما إن يواريها

فأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها منهم ولا تبصر العيب الذى فيها

وقيل له زعم الناس انك زنديق، فقال والله ماديني الا التوحيد، فقيل له قل شيئا يتحدث به عنك فقال

الا اننا كلنا بائد وأى بنى آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم وكل الى ربه عائد
فياعجبا كيف يعصى الاله أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

وسمع الجاحظ مرة من ينشد أرجوزة أبى العتاهية التى سماها ذوات الأمثال حتى اتى على قوله

يا للشباب المرح التصابى روائح الجنة فى الشباب

فقال المنشد قف، ثم قال انظروا الى قوله «روائح الجنة فى الشباب» فان له معنى كمعنى الطرب لا يقدر على معرفته الا القلوب وتعجز عن ترجمته الألسنة الا بعد التطويل وادامة التفكير، وخير المعانى ما كان القلب الى قبوله أسرع من اللسان الى وصفه. وهذه الأرجوزة من بدائع أبى العتاهية ويقال ان فيها أربعة آلاف مثل، منها قوله

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا
هى المقادير فلمني أو فذر ان كنت اخطأت فما اخطا القدر
لكل ما يؤذى وان قل ألم ما أطول الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله وخير ذخر المرء حسن فعله
ان الفساد ضده الصلاح ورب جد جره المزاح

من جعل النمام عينا هلكا | مبلغك الشرّ كباغيه لكا
ان الشباب والفراغ والجدَة | مفسدة للمرء أى مفسدة
يغنيك عن كل قبيح تركه | يرتهن الرأى الأصيل شكه
ما عيش من آفته بقاؤه | نغص عيشا كله فناؤه
يارُبَّ من أسخطنا بجهده | قد سرنا الله بغير حمده
ما تطلُع الشمس ولا تغيب | الا لأمر شأنه عجيب
لكل شيء معدن وجوهر | وأوسط وأصغر وأكبر
من لك بالمحض وكل ممتزج | وساوس فى الصدر منه تعتلج
وكل شيء لاحق بجوهره | أصغره متصل بأكبره
ما زالت الدنيا لنا دار أذى | ممزوجة الصفو بألوان القذى
الخير والشر بها أزواج | لذا نِتاج ولذا نتاج
من لك بالمحض وليس محض | يَخبُث بعض ويطيب بعض
لكل انسان طبيعتان | خير وشر وهما ضدان
انك لو تستنشق الشحيحا | وجدته أنتن شيء ريحا
والخير والشر اذا ما عدا | بينهما بون بعيد جدا
عجبت حتى غمنى السكوت | صرت كأنى حائر مبهوت
كذا قضى الله فكيف أصنع | الصمت ان ضاق الكلام اوسع

ومن قول أبى العتاهية فى الوحدة والتبرم بالناس

بَرِمت بالناس وأخلاقهم | فصرت أستأنس بالوحدة
ما أكثر الناس لعمرى وما | أقلهم فى حاصل العدة

كان عمرو بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي ممدحا، فمدحه أبو العتاهية فأمر له بسبعين ألف درهم، فأنكر ذلك بعض الشعراء وقال كيف

فعل هذا بهذا الكوفى ؟ وأي شيء مقدار شعره ؟ فبلغه ذلك فأحضر الرجل وقال ان الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه ويتعاطاه فلا يحسنه حتى يشبب بخمسين بيتا ثم يمدحنا ببعضها وهذا كأن المعانى تجمع له مدحني فقصر التشبيب وقال

انى أمنت من الزمان وريبه ... لما علقت من الأمير حبالا

لو يستطيع الناس من اجلاله ... لحذَوْا له حرَّ الوجوه نعالا

ان المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت اليك سباسبا ورمالا

فاذا وردن بنا وردن مُخِفَّة ... واذا رجعن بنا رجعن ثقالا

قال الأصمعى شعر أبى العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى

لما حبس المهدى أبا العتاهية تكلم فيه يزيد بن منصور الحميرى حتى اطلقه فقال فيه أبو العتاهية

ما قلت فى فضله شيئا لأمدحه ... الا وفضل يزيد فوق ما قلت

مازلت من ريب دهرى خائفا وجلا ... فقد كفانى بعد الله ماخفت

قال عبد الله بن الحسن لأبى العتاهية اما يصعب عليك شيء من الالفاظ فتحتاج فيه الى استعمال الغريب كما يحتاج اليه سائر من يقول الشعر أو الى الفاظ مستكرهة ؟ فقال لا ، فقال له محمد انى لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافى السهلة ، قال فاعرض على ما شئت من القوافى الصعبة ، فقال قل ابياتا على مثل البلاغ فقال من ساعته

أى عيش يكون أبلغ من عيـــش كفافٍ قوتٍ بقدر البلاغ

صاحب البغى ليس يسلم منه ... وعلى نفسه بغى كل باغ

رب ذى نعمة تعرّض منها ... حائل بينه وبين المساغ

أبلغَ الدهر فى مواعظه بل ... زاد فيهن لي على الابلاغ

غبنتنى الأيام عقلى ومالي ... وشبابى وصحتى وفراغى

قال مسلم بن الوليد كنت مستخفا بشعر أبى العتاهية فلقيني يوما فسألنى أن أصير اليه ، فصرت اليه وجلسنا نتحدث ساعة وأنشدته أشعارا لى فى الغزل وسألته أن ينشدنى فأنشدنى قوله

بالله ياقرة العينين زوريني　　قبل الممات والا فاستزيريني

انى لأعجب من حب يقربني　　ممن يباعدنى منه ويعصيني

أما الكثير فما أرجوه منك ولو　　أطمعتني فى قليل كان يكفيني

ثم أنشدنى

أخلاى بى شجو وليس لكم شجو　　وكل امرىء عن شجو صاحبه خلو

وما من محب نال ممن يحبه　　هوى صادقا الا سيدخله زهو

بليت وكان المزح بدء بليتى　　وانى فى كل الخصال له كفو

رأيت الهوى جمر الغضا غير أنه　　على كل حال عند صاحبه حلو

ثم أنشدنى

خليلى مالي لا تزال مضرتى　　تكون على الأقدار حتما من الحتم

يصاب فؤادي حين أرمى ورميتى　　تعود الى نحرى ويسلم من أرمى

صبرت ولا والله مابى جلادة　　على الصبر لكني صبرت على رغمى

الا في سبيل الله جسمى وقوتى　　ألا مسعد حتى أنوح على جسمى

تعدّ عظامى واحدا بعد واحد　　بمحنى من العذال عظما على عظم

كفاك بحق الله ما قد ظلمتني　　فهذا مقام المستجير من الظلم

قال مسلم فقلت له لا والله ياأبا اسحاق ما يبالى من أحسن أن يقول مثل هذا الشعر ما فاته من الدنيا ، فقال ياابن أخى لا تقولن مثل هذا فان الشعر أيضا من بعض مصايد الدنيا

اجتمع الشعراء على باب الرشيد فاذن لهم فدخلوا وأنشدوا ، فأنشد أبو العتاهية

يا من تبغّى زمناً صالحا　　صلاح هرون صلاح الزمن

كل لسان هو فى ملكه　　بالشكر فى احسانه مرتهن

فهش له الرشيد وقال له أحسنت والله ، وما خرج فى ذلك اليوم أحد من الشعراء بصلة غيره

أجرى الرشيد الخيل فجاءه فرس يقال له المشمر سابقاً فأمر الرشيد الشعراء أن يقولوا فيه فبدرهم أبو العتاهية وقال

جاء المشمر والأفراس يقدُمها　　هوْناً على رسله منها وما انبهرا

وخلف الريح حسْرَى وهى جاهدة　　ومر يختطف الأبصار والنظرا

فأجزل صلته وما جسر أحد بعد أبى العتاهية أن يقول فيه شيئاً

كان على بن ثابت صديقاً لأبى العتاهية وبينهما محاوبات كثيرة فى الزهد والحكمة فتوفى على بن ثابت قبله فقال برثيه

مؤنس كان لي هلك　　والسبيل التى سلك

يا على بن ثابت　　غفر الله لى ولك

كل حى مملّك　　سوف يفنى وما ملك

وحضره وهو يجود بنفسه فلم يزل ملتزمه حتى فاض فلما شد لحياه بكى طويلا ثم أنشد يقول

يا شريكى فى الخير قربك الله فنعم الشريك فى الخير كنتا

قدلعمرى حكيت لي غصص المو　　ت فحركتني لها وسكنتا

ولما دفن وقف على قبره يبكى طويلا أحرّ بكاء ويردد هذه الأبيات

الا من لي بأنسك يا اخيا　　ومن لي أن أبثّك ما لديا

طوتك خطوب دهرك بعد نشر　　كذاك خطوبه نشرا وطيا

فلو نشرت قواك لى المنايا　　شكوت اليك ما صنعت اليا

بكيتك يا على بدمع عينى　　فما أغنى البكاء عليك شيا

وكانت فى حياتك لي عظات　　وأنت اليوم أوعظ منك حيـا

ومما أنشده لنفسه

ياصاحب الروح ذي الأنفاس في البدن　　بين النهار و بين الليـــل مرتهن
لقلمــا يتخطاك اختلافهما　　حتى يفرق بين الروح والبدن
لتجذبني يد الدنيا بقوتهـــا　　الى المنايا وان نازعتها رسني
لله دنيــا أناس دائبين لهــا　　قد ارتعوا في رياض الغيّ والفتن
كسـائمات رتاع تبتغي سمنا　　وحتفها لو درت فى ذلك السمن

ومن قوله فى الغـزل

كأنها من حسنها درة　　أخرجها اليمّ من الساحل
كأن فيها وفى طرفهـا　　سواحر أقبلن من بابل
لم يبق مني حبها ماخلا　　حُشاشة فى بدن ناحل
يامن رأى قبلي قتيلا بكى　　من شدة الوجد على القاتل

ومن قوله

لهفي على ورق الشباب　　وغصونه الخُضر الرِّطاب
ذهب الشباب وبان عنـــى　　غير منتظر الاياب
فلأبكين على الشبـــا　　ب وطيب أيام التصابى
ولأبكين من البلى　　ولأبكين من الخِضاب
انى لآمل أن أخلـــد　　والمنيـة فى طلابى

ومن قوله

كم من سفيه غاظني سفَهًا　　فشفيت نفسى منه بالحلـم
وكفيت نفسي ظلم عاديتى　　ومنحت صفو مودتى سلمى
ولقد رزقت لظالمى غلظا　　ورحمتــه اذ لجّ فى ظلمى

ومن قوله

ليت شعرى فاننى لست أدرى ... أى يوم يكون آخر عمرى

وبأى البلاد يقبض روحى ... وبأى البلاد يحفر قبرى

ومن قوله

ساكني الأجداث أنتم ... مثلنا بالأمس كنتم

ليت شعرى ما صنعتم ... أربحتم أم خسرتم

كان أبو العتاهية لا يفارق الرشيد فى سفر ولا حضر الا فى طريق الحج وكان يجرى عليه فى كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون ، فلما قدم الرشيد الرّقة لبس أبو العتاهية الصوف وتزهد وترك حضور المنادمة والقول فى الغزل وأمر الرشيد بحبسه فحبس فكتب اليه من وقته

انا اليوم لى والحمد لله أشهر ... يروح علىّ الهم منكم ويبكر

تذكر أمين الله حقى وحرمتى ... وما كنت توليني لذلك يذكر

ليالي تدنى منك بالقرب مجلسى ... ووجهك من ماء البشاشة يقطر

فمن لي بالعين التى كنت مرة ... الى بها فى سالف الدهر تنظر

فلما قرأ الرشيد الأبيات قال قولوا له لا بأس عليك فكتب اليه

أرقت وطار عن عيني النعاس ... ونام السامرون ولم يواسوا

أمين الله أمنك خير أمن ... عليك من التقى فيه لباس

تساس من السماء بكل بر ... وأنت به تسوس كما تساس

كأن الخلق ركب فيه روح ... له جسد وأنت عليه راس

أمين الله ان الحبس بأس ... وقد أرسلت ليس عليك باس

وكتب اليه أيضاً فى الحبس

وكلفتنى ما حلت بيني وبينه ... وقلت سأبغي ما تريد وما تهوى

فلو كان لي قلبان كلفت واحدا هواك وكلفت الخلى لما يهوى

فأمر باطلاقه

قال أبو العتاهية أخرجني المهدى معه الي الصيد فوقعنا على شيء كثير منه فتفرق أصحابه في طلبه وأخذ هو فى طريق غير طريقهم وعرض لنا واد جرار وتغيمت السماء وبدأت بمطر ، فتحيرنا وأشرفنا على الوادى فاذا فيه ملاح يعبر الناس، فلجأنا اليه فسألناه عن الطريق ، فجعل يضعف رأينا ويعجزنا فى بذلنا أنفسنا فى ذلك الغيم للصيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كوخا له وكاد المهدى يموت بردا ، فقال له أعطيك بجبتى هذه الصوف ، فقال نعم ، فغطاه بها ، فتماسك قليلا ونام ، فافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاؤنا ، فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب ، وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عنه وألقوا عليه الخز والوشى ، فلما انتبه قال لي ويحك ما فعل الملاح ؟ فقد والله وجب حقه علينا ، فقلت هرب خوفا من قبح ما خاطبنا به ، قال انا لله والله لقد أردت أن أغنيه ، وبأى شيء خاطبنا نحن والله مستحقون لأقبح مما خاطبنا به بحياتى عليك الا ما هجوتنى ، فقلت يا أمير المؤمنين كيف تطيب نفسى بأن أهجوك . قال والله لتفعلن فأنى ضعيف الرأى مغرم بالصيد، فقلت

يا لابس الوشي على ثوبه ما أقبح الأشيب فى الراح

فقال زدنى بحياتى فقلت

لو شئت أيضاً جلت فى خامة وفى وشاحين وأوضاح

فقال ويلك هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا أستأهل زدنى شيئاً آخر ، فقلت أخاف أن تغضب ، قال لا والله ، فقلت

كم من عظيم القدر فى نفسه قد نام فى جبة ملاح

فقال معنى سوء عليك لعنة الله . وقمنا وركبنا وانصرفنا

دخل أبو عبيد الله على المهدى وكان قدوجد عليه في أمر بلغه عنه وأبو العتاهية

حاضر المجلس فجعل المهدى يشتم أبا عبيد الله ويتغيظ عليه ثم أمر به فجر برجله وحبس ثم أطرق المهدى طويلا فلما سكن أنشده أبو العتاهية

أرى الدنيا لمن هى فى يديه عذابا كلما كثرت لديه
تُهين المكرمين لها بصغر وتُكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شىء فدَعه وخذ ما أنت محتاج اليه

فتبسم المهدى وقال أحسنت ، فقام أبو العتاهية وقال والله يا أمير المؤمنين ما رأيت أحدا أشد اكراماً للدنيا ولا أصون لها ولا أشح عليها من هذا الذى جر برجله ، ولقد دخلت الى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعز الناس فما برحت حتى رأيته أذل الناس ، ولو رضى من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت ، فتبسم المهدى ودعا بأبى عبيد الله فرضى عنه ، فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبى العتاهية

ومن قوله

ما ان يطيب لذى الرعاية للـ أيام لا لعب ولا لهو
اذ كان يُطْرَق فى مسرته فيموت من أجزائه جزو

سئل ابن مناذر عن أشعر أهل الاسلام فقال من اذا شئت هزل واذا شئت جد مثل جرير ومن المحدثين هذا الخبيث الذى يتناول شعره من كمه قال حين هزل

الله بيني وبين مولاتى أبدت لى الصد والملالات
لا تغفر الذنب ان أسأت ولا تقبل عذرى ولا مواتاتى
منحتها مهجتى وخالصتي فكان هجرانها مكافاتى
أقلقني حبها وصيرنى أحدوثة فى جميع جاراتى

ثم قال حين جد

ومَهْمَه قد قطعت طامسه قفْرٍ على الهول والمحاماة
بحُرّة جسْرة عذافرة خوْصاء عيْرانة علنْداة

تبادر الشمس كلما طلعت بالسير تبغى بذاك مرضاتى

يا ناق خُبّى بنا ولا تعدى نفسك مما تَرَين راحات

حتى تناخى بنا الى ملك توجه الله بالمهـابات

عليه تاجان فوق مفْرِقه تاج جلال وتاج إخبات

يقول للريح كلما عصفت هل لك ياريح فى مباراتى

من مثل عمه الرسول ومن أخواله أكرم الخؤلات

كان الهادى واجدا على أبى العتاهية لملازمته أخاه هرون فى خلافة المهدى فلما ولى موسى الخلافة قال أبو العتاهية يمدحه

يضطرب الخوف والرجاء اذا حرك موسى القضيب أو فكر

ما أبين الفضل فى مغيب وما أورد من رأيه وما أصدر

فكم ترى عزّ ذلك من معشر قوم وذل من معشر

يثمر من مسة القضيب ولو يَمَسّهُ غيره لمـا أثمر

من مثل موسى ومثل والده الـمهدى أو جده أبى جعفر

فرضى عنه فلما دخل عليه أنشده

لهفى على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

اذ نحن فى غرف الجنا ن نعوم فى بحر السرور

فى فتية ملكوا عِنا ن الدهر أمثال الصقور

ما منهمُ الا الجسو ر على الهوى غير الحَصور

يتعـاورون مُدامـة صهباء من حلب العصير

عذراء رباهـا شُعا ع الشمس فى حر الهجير

لم تدنُ من نار ولم يَعْلق بها وضَر القدور

ومقُرْطَق يمشى أما م القوم كالرَّشأ الغرير

بزجاجة تستخرج السـ ـر الدفين من الضمير
زهراء مثل الكوكب الدُّرِّيِّ في كف المـدبر
تدعُ الكريم وليس يد ري ما قَبيل من دَبير
ومُخَصَّرات زرننا بعد الهدو من الخُدُور
ريا روادفهن يا بسْن الخواتم في الخصور
غُرّ الوجوه محجبا ت قاصرات الطرف حور
متنعمات في النعـيم مضمَّخات بالعبير
يرفُلْن في حلل المحا سن والمجاسد والحرير
ما إن يرَيْن الشمس الا القُرْط من خلل الستور
والي أمين الله مهْـرَبنا من الدهر العثور
واليه أتعبنا المطا يا بالرواح وبالبكور
صُعْرَ الخدود كأنما جُنِّحن أجنحة النسور
متسربلات بالظلا م على السهولة والوعور
حتى وصلن بنا الى رب المدائن والقصور
ما زال قبل فطامه في سن مكتهل كبير

ومن قوله

ألم تر ريب الدهر في كل ساعة له عارض فيه المنية تلمع
أيابانى الدنيا لغيرك تبتنى ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع
أرى المرء وثّابا على كل فُرْصة وللمرء يوماً لا محالة مصرع
تبارك من لا يملك الملك غيره متى تنقضى حاجات من ليس يشبع
وأي امرىء في غاية ليس نفسه الى غاية أخرى سواها تطلع

وكانوا يقولون لو أن طبع أبي العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعر الناس

ومن أحسن قوله وأصدقه

ما الناس الا للكثير المال أو لمسلط ما دام في سلطانه

فاذا الزمان رماهما ببلية كان الثقات هناك من أعوانه

كان علي بن يقطين صديقاً لأبي العتاهية وكان يبرّه في كل سنة ببر واسع، فأبطأ عليه بالبر في سنة من السنين وكان اذا لقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يسر به ويرفع مجلسه ولا يزيده على ذلك، فلقيه ذات يوم وهو يريد دار الخليفة، فاستوقفه فوقف له فأنشده

حتى متى ليت شعري يا ابن يقطين أثني عليك بما لا منك توليني

ان السلام وان البشر من رجل في مثل ما أنت فيه ليس يكفيني

هذا زمان ألح الناس فيه على تيه الملوك وأخلاق المساكين

أما علمت جزاك الله صالحة وزادك الله فضلا يا ابن يقطين

أني أريدك للدنيا وعاجلها ولا أريدك يوم الدين للدين

فقال علي بن يقطين لست والله أبرح ولا تبرح من موضعنا هذا الا راضياً وأمر له بما كان يبعث به اليه في كل سنة فحمل من وقته وعلي واقف الى أن تسلمه

قيل لأبي العتاهية في أي شعر أنت أشعر؟ قال قولي

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

استنشده المأمون أحسن ما قال في الموت فأنشده

أنساك محياك المماتا فطلبت في الدنيا الثباتا

أوثقت بالدنيا وأنت ترى جماعتها شتاتا

وعزمت منك على الحيا ة وطولها عزما بتاتا

يامن رأى أبويه فيمن قد رأى كانا فماتا

هل فيهما لك عبرة أم خلت أن لك انفلاتا

ومن الذى طلب التفلـــت من منيته ففاتا

كل؛ تصبحه المنيــــة أو تبيته بيــاتا

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده

ما أحسن الدنيــا واقبالهـا اذا أطاع الله من نالها

من لم يواس الناس من فضلها عرض للادبار اقبـــالها

فقال له المأمون ما أجود البيت الاول ، فاما الثانى فما صنعت فيه شيئا ، الدنيا تدبر عمن واسى منها أو ضن بها وانما توجب السماحة بها الأجر والضن بها الوزر ، فقال صدقت ياأمير المؤمنين أهل الفضل أولى بالفضل وأهل النقص أولى بالنقص ، فلما كان بعد أيام عاد فأنشده

كم غافل أودى به الموت لم يأخذ الأهبة للفوت

من لم تزل نعمته قبله زال عن النعمة بالموت

فقال له أحسنت طيبت المعنى وأمر له بعشرين الف درهم

كان أبو العتاهية يحج كل سنة فاذا قدم أهدى الى المأمون بردا ومطرفا ونعلا سوداء ومساويك أراك فيبعث اليه بعشرين الف درهم ، فاهدى مرة له كما كان يهدى كل سنة اذا قدم فلم يثبه ولا بعث اليه بالوظيفة فكتب اليه أبو العتاهية

خبرونى أن من ضرب السنة جددا بيضا وصفرا حسنة

أحدثت لكنني لم أرهـــا مثل ما كنت أرى كل سنة

فأمر المأمون بحمل العشرين الألف وقال اغفلناه حتى تذكرنا

لما ولي موسى الهادى كان واجدا على أبى العتاهية لملازمته أخاه هرون وانقطاعه اليه وتركه موسى وكان أيضا قد أمره أن يخرج معه الى الرى فأبى ذلك فخافه وقال

الا شافع عند الخليفة يشفع فيدفع عنا شر ما يتوقــع

وانى على عظم الرجاء لخائف كأن على رأسى الأسنة تشرع

يروعني موسى على غير عثرة وما لي أرى موسى من العفو أوسع
وما آمن يمسى ويصبح عائذاً بعفو أمير المؤمنين يروّع

دخل أبو العتاهية على الهادى فأنشده

يا أمين الله مالي لست أدرى اليوم مالي
لم أنل منك الذى قد نال غيرى من نوال
تبذُل الحق وتعطى عن يمين وشمال
وأنا البائس لا تنظر فى رقة حالى

فأمر المعلى الخازن أن يعطيه عشرة آلاف درهم ، قال أبو العتاهية فأتيته فأبى أن يعطيها ، وذلك أن الهادى امتحنني فى شيء من الشعر وكان مهيباً فكنت أخافه فلم يطعنى طبعى ، فأمر لى بهذا المال فخرجت ، فلما منعنيه المعلى صرت الى أبى الوليد احمد بن عقال وكان يجالس الهادى فقلت له

أبلغ سلمت أبا الوليد سلامى عني أمير المؤمنين إمامى
واذا فرغت من السلام فقل له قد كان ماشاهدت من الحامى
واذا حضرت فليس ذاك بمبطل ما قد مضى من حرمتى وذمامى
ولطالما وفدت اليك مدائحى مخطوطة فليأت كل ملام
أيام لى اسن ورقة جدة والمرء قد يبلى مع الأيام

فاستخرج الى الدراهم وانفذها الى

ولد للهادى ولد في أول يوم ولى الخلافة فدخل أبو العتاهية فأنشده

اكثر موسى غيظ حساده وزين الأرض بأولاده
وجاءنا من صلبه سيد أصيد فى تقطيع أجداده
فاكتست الأرض به بهجة واستبشر الملك بميلاده
وابتسم المنبر عن فرحة علت بها ذروة أعواده

كأنني بعد قليل به ... بين مواليه وقواده
في محفل تخفق راياته ... قد طبق الأرض بأجناده

فأمر له موسى بألف دينار وطيب كثير وكان ساخطا عليه فرضي عنه

ومن قوله للرشيد وقد حبسه

من لعبد أذله مولاه ... ما له شفيع اليه سواه
يشتكي ما به اليه ويخشا ... ه ويرجوه مثل مايخشاه

وقال

يارشيد الأمر أرشدني الى ... وجه نُجْحي لاعدمت الرشدا
لا أراك الله سوءا أبدا ... ما رأت مثلك عين أحدا
أعن الخائف وارحم صوته ... رافعا نحوك يدعوك يدا
وابلائي من دعاوى آمل ... كلما قلت تدانى بَعُدا
كم أمنّي بغد بعد غد ... ينفد العمر ولم ألق غدا

ومن قوله في عتبة

ياعتب سيدتي اما لك دين ... حتى متى قلبي لديك رهين
وانا الذلول لكل ما حملتني ... وانا الشقي البائس المسكين
وانا الغداة لكل باك مسعد ... ولكل صب صاحب وخدين
لا بأس ان لذاك عندي راحة ... للصب أن يلقى الحزين حزين
ياعتب اين أفر منك أميرتي ... وعلىّ حصن من هواك حصين

ومن قوله

حتى متى ذو التيه في تيهه ... أصلحه الله وعافاه
يتيه أهل التيه من جهلهم ... وهم يموتون وان تاهوا
من طلب العز ليبقى به ... فان عز المرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقه ... من ليس يرجوه ويخشاه

ومن قوله للرشيد

الله هون عنــدك الد　　نيا وبغضها اليــكا
فأبيت الا ان تصغـــــر كل شيء فى يديكا
ما هانت الدنيا على　　أحد كما هانت عليكا

وقال يمدح الفضل بن الربيع

اذا ما كنت متخذا خليلا　　فمثل الفضل فاتخـذ الخليلا
يرى الشكر القليل له عظيما　　ويعطى من مواهبه الجزيلا
أرانى حيثما يممت طرفي　　وجدت على مكارمه دليلا

وقال عبد الصمد بن المعذل سمعت الأمير عيسى بن جعفر يقول كنت صبيا فى دار الرشيد فرأيت شيخا ينشد والناس حوله

ليس للانسان الا ما رزق　　استعــــين الله بالله أثق
علق الهم بقلبي كلـــه　　واذا مـا علق الهم علق
بأبى من كان لى من قلبه　　مــــرة ود قليل فسرق
يابنى الاسلام فيكم ملك　　شعب الاحسان عنه تفترق
لندى هرون فيكم وله　　فيكم صوب هطول وورق
لم يزل هرون خيرا كله　　قبـــل الشرب به يوم خلق

فقلت لبعض الهاشميين أما ترى اعجاب الناس بشعر هذا الرجل ؟ فقال يابنى ان الأعناق لتقطع دون هذا الطبع وكان الشيخ أبا العتاهية والذى سأله ابراهيم بن المهدي

قال ابن أبى الأبيض أتيت أبا العتاهية فقلت له انى رجل أقول الشعر فى الزهد ولى فيه أشعار كثيرة وهو مذهب أستحسنه لأنى أرجو الا آثم فيه وسمعت شعرك فى هذا المعنى فأحببت أن أستزيد منه فأحب أن تنشدنى من جيد ما قلت ،

فقال اعلم أن ما قلته ردىء، قلت وكيف ؟ قال لأن الشعر ينبغى أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين أو مثل شعر بشار وابن هرمة فان لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعرى ولا سيما الأشعار التى فى الزهد فان الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر ولا طلاب الغريب وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرياء والعامة وأعجب الاشياء اليهم ما فهموه، فقلت صدقت، ثم أنشدنى قصيدته

لدوا للموت وابنوا للخراب — فكلكمُ يصير الي تباب

ألا يا موت لم أر منك بدا — أتيت وما تحيف وما تحابى

كأنك قد هجمت على مشيبي — كما هجم المشيب على الشباب

قال فصرت الي أبى نواس فأعلمته ما دار بيننا، فقال والله ما أحسب في شعره مثل ما أنشدك بيتاً آخر، فصرت اليه فأخبرته بقول أبى نواس فأنشدنى قصيدته التى يقول فيها

طول التعاشر بين الناس مملول — ما لابن آدم ان فتشت معقول

يا راعى الشاء لا تُغفل رعايتها — فأنت عن كل ما استرعيت مسئول

انى لفى منزل ما زلت أعمره — على يقين بأنى عنه منقول

وليس من موضع يأتيه ذو نفس — الا وللموت سيف فيه مسلول

لم يُشغَل الموت عنا مذ أُعد لنا — وكلنا عنه باللذات مشغول

ومن يمت فهو مقطوع ومجتنب — والحى ما عاش مغشىٌّ وموصول

كل ما بدا لك فالآ كال فانية — وكل ذى أُكُل لا بد مأكول

ثم أنشدنى عدة قصائد ما هى بدون هذه، فصرت الى أبى نواس فأخبرته فتغير لونه وقال لم خبرته بما قلت ؟ قد والله أجاد ولم يقل فيه سوءا

ومن قوله

ما أسرع الأيام فى الشهر   وأسرع الأشهر فى العمر
ليس لمن ليست له حيلة   موجودة خير من الصبر
فاخطُ مع الدهر اذا ماخطا   واجر مع الدهر كما يجرى
من سابق الدهر كبا كبوة   لم يستقلها آخر الدهر

ومن قوله يعاتب صالحا الشهر زورى فى تأخير قضاء حاجته

أعينيَّ جودا وابكيا ود صالح   وهيجا عليه معولات النوائح
فما زال سلطانا أخ لى أوده   فيقطعني حزما قطيعة صالح

ومن قوله

قل لمن ضنَّ بوده   وكوى القلب بصده
ما ابتلى الله فؤادى   بك الا شؤم جده
أيها السارق عقلى   لا تضـــــن برده
ما أرى حبك الا   بالغا بى فوق حده

ومن قوله

الموت بين الخلق مشترك   لا سوقة يبقى ولا ملك
ما ضر أصحاب القليل وما   أغنى عن الأملاك ماملكوا

قال أبو تمام لأبي العتاهية خمسة أبيات ما شركه فيها أحد ولا قدر على مثلها متقدم ولا متأخر وهو قوله

الناس فى غفلاتهم   ورحا المنية تطحن

وقوله لاحمد بن يوسف

ألم تر ان الفقر يرجى له الغني   وان الغني يخشى عليه من الفقر

وقوله فى موسى الهادى ،

ولما استقلوا بأثقالهم   وقد أزمعوا للذي أزمعوا
قرنت التفاتى بآثارهم   واتبعتهم مقـلة تدمع

وقوله

هب الدنيا تصير اليك عفواً أليس مصير ذلك للزوال

قال أبو العتاهية ماتت بنت للمهدى فحزن عليها حزناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب فقلت أبياتا أعزيه بها، فوافيته وقد سلا وضحك وأكل وهو يقول لا بد من الصبر على ما لا بد منه ولئن سلونا عمن فقدنا ليسلون عنا من يفقدنا، وما يأتى الليل والنهار على شىء الا أبلياه، فلما سمعت هذا منه قلت يا أمير المؤمنين أتأذن لى أن أنشدك؟ قال هات فأنشدته

ما للجديدين لا يبلى اختلافهما وكل غضّ جديد فيهما بال
يا من سلا عن حبيب بعد موته كم بعد موتك أيضاً عنك من سال
كأن كل نعيم أنت ذائقه من لذة العيش يحكي لمْعة الآل
لا تلعبن بك الدنيا وأنت ترى ما شئت من عبر فيها وأمثال
ما حيلة الموت الا كل صالحة أولا فما حيلة فيه لمحتال

فقال لى أحسنت ويحك وأصبت ما فى نفسي ووعظت وأوجزت، ثم أمر لي بكل بيت بألف درهم

ومن قوله

ان كنت متخذا خليلا فتنقّ وانتقد الخليلا
من لم يكن لك منصفاً فى الود فابغ به بديلا
ولربما سئل البخيل الشىء لا يسوى فتيلا
فيقول لا أجد السبيل اليه يكره أن يُنيلا
فكذاك لاجعل الاله له الى خير سبيلا
فاضرب بطرفك حيث شئت فلن ترى الا بخيلا

كتب بكر بن المعتمر الى أبي العتاهية يشكو اليه ضيق القيد وغم الحبس فكتب اليه أبو العتاهية

هي الأيام والعبر وأمر الله ينتظر
أتيأس أن ترى فرجا فأين الله والقدر

ومن قوله

المرء في تأخير مدته كالثوب يخلق بعد جدّته
وحياته نفس يعدله ووفاته استكمال عدته
ومصيره من بعد مدته بَلْياً وذا من بعد وحدته
من مات مال ذوو مودته عنه وحالوا عن مودته
أزف الرحيل ونحن في لعب ما نستعد له بعدته
ولقلما تبقى الخطوب على أثر الشباب وحر وقدته
عجبا لمنتبه يضيع ما يحتاج فيه ليوم رقدته

قال العباس بن عبيد الله كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية يُنشد في الزهد، فقال قثم يا عباس اطلب الساعة الجماز حيث كان ولك عندي سبق، فوجدته عند ركن دار جعفر بن سليمان فقلت أجب الأمير، فقام معي حتى أتى قثم فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشده، فأنشأ الجماز يقول

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهّد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقاً أضحى وأمسى بيته المسجد
يخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد
والرزق مقسوم على من ترى يناله الأبيض والأسود

فالتفت أبو العتاهية اليه، فقال من هذا؟ قالوا الجماز وهو ابن أخت سلم الخاسر اقتص لخاله منك، فأقبل عليه وقال يا ابن أخي انى لم أذهب حيث ظننت

ولا ظن خالك ولا أردت أن أهتف به وانما خاطبته كما يخاطب الرجل صـديقه فالله يغفر لـكما ، ثم قام .

كان احمد بن يوسف صديقاً لأبى العتاهية ، فلما خدم المأمون وخص به رأى منه أبو العتاهية جفوة فكتب اليه

أبا جعفر ان الشريف يَشينه　　تتايهه على الأخلاء بالوفر
ألم تر أن الفقر يرجى له الغني　　وأن الغنى يخشى عليه من الفقر
فان نلت تيها بالذي نلت من غني　　فان غناى فى التجمل والصبر

فبعث اليه بألفى درهم وكتب اليه يعتذر مما أنكره

قال أبو جعفر المعبدى لأبى العتاهية أجز لي قول الشاعر

وكان المال يأتينا فكنا　　نبذره وليس لنـا عقـول
فلما أن تولى المال عنا　　عقلنا حين ليس لنا فضول

فقال أبو العتاهية على المكان

فقصر ما ترى بالصبر حقاً　　فـكل ان صبرت له مزيل

قال أبو العتاهية لابنه وقد غضب عليه اذهب فانك ثقيل الظل جامد الهواء

لما مات موسى الهادى قال الرشيد لأبى العتاهية قل شعراً في الغزل ، فقال لا أقول شعراً بعد موسى أبداً ، فحبسه ، وأمر ابراهيم الموصلى أن يغني ، فقال لا أغني بعد موسى أبدا ، وكان محسنا اليهما ، فحبسه ، فلمـا شخص من الرَّقة حفر لهما حفيرة واسعة وقطع بينهما بحائط وقال كونا بهذا المكان لا تخرجا منه حتى تشعر أنت ويغنى هذا ، فصبرا على ذلك برهة ، وكان الرشيد يشرب ذات يوم وجعفر ابن يحيى معه فغنت جارية صوتاً فاستحسناه وطربا عليه طربا شديدا وكان بيتا واحداً فقال الرشيد ما كان أحوجه الى بيت ثان ليطول الغناء فيه فيستمتع مدة طويلة به ، فقال له جعفر قد أصبته ، قال من أين؟ قال تبعث الي أبي العتاهية فيلحقه به ، لقدرته على الشعر وسرعته ، قال هو أنكد من ذلك لا يجيبنا وهو محبوس

ونحن فى نعيم وطرب ، قال بلى ، قال فاكتب اليه حتى تعلم صحة ما قلت لك ، فكتب اليه بالقصة وقال ألحق لنا بالبيت بيتاً ثانياً ، فكتب اليه أبو العتاهية

شغل المسكين عن تلك المحن   فارق الروح وأخلى من بدن

ولقد كلفت أمرا عجبـــا   أسأل التفريج من بيت الحزن

فلما وصلت قال الرشيد قد عرفتك أنه لا يفعل ، قال فتخرجه ، قال لا حتى يشعر فقد حلفت ، فأقام أياما لا يفعل ، ثم قال أبو العتاهية لابراهيم الى كم هذا تلاجّ الخلفاء هلمّ أقل شعرا وتغني فيه ، فقال أبو العتاهية

بأبى من كان في قلبى له   مرة حب قليل فسرق

يا بنى العباس فيكم ملك   شُعَب الاحسان منه تفترق

انما هرون خير كله   مات كل الشر مذ يوم خلق

وغني فيه ابراهيم فدعا بهما الرشيد فأنشده أبو العتاهية وغناه ابراهيم فأعطى كل واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب

غضب الرشيد على جارية له فحلف ألا يدخل اليها أياماً ثم ندم فقال

صدعنى اذرآنى مفتتن   وأطال الصد لما ان فطن

كان مملوكى فأضحى مالكى   ان هذا من أعاجيب الزمن

وقال لجعفر بن يحيى اطلب لي من يزيد على هذين البيتين ، فقال لابى العتاهية فقال

عزة الحب أرته ذلتى   فى هواه وله وجه حسن

ولهذا صرت مملوكا له   ولهذا شاع ما بى وعلن

ومن قول أبى العتاهية

فتشت ذى الدنيا فليس بها   أحد أراه لآخر حامد

حتى كأن الناس كلهمُ   قد أفرغوا في قالب واحد

أنشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلم الخاسر

تعالى الله ياسلم بن عمرو   أذل الحرص أعناق الرجال

فقال المأمون ان الحرص لمفسد للدين والمروءة والله ما عرفت من رجل قط حرصا ولا شرَهًا فرأيت فيه مصطنعا ، فبلغ ذلك سلما فقال ويلي على الجرّار الزنديق جمع الأموال وكنزها وعبأ البدور في بيته ثم تزهد مراءاة ونفاقا فأخذ يهتف بي اذا تصديت للطلب

كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزَّلالات اذا ركبها وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه ، فقيل ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية وهو في الحبس ، فوجه اليه الرشيد قل شعرا حتى أسمعه منهم، ولم يأمر باطلاقه ، فغاظه ذلك وقال والله لأقولن شعرا يحزنه ولا يسر به فعمل شعرا ودفعه الى من حفظه من الملاحين فلما ركب الحراقة سمعه وهو

خانك الطرف الطَّموح   أيها القلب الجموح
لدواعي الخير والشـ   ـر دنـو ونزوح
هل لمطلوب بذنب   توبة منه نصوح
كيف اصلاح قلوب   انما هن قروح
أحسن الله بنا أن   الخطايا لا تفوح
فاذا المستور منا   بين ثوبيه فُضوح
كم رأينا من عزيز   طويت عنه الكشوح
صاح منه برحيل   صائح الدهر الصَّدوح
موت بعض الناس في الا   رض على قوم فتوح
سيصير المرء يوما   جسدا ما فيه روح

بين عيني كل حي علم الموت يلوح
كلنا فى غفلة والـ موت يغدو ويروح
لبنى الدنيا من الدنـ يا غبوق وصبوح
رحن في الوشي وأصـ بحن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهـ ر له يوما نطوح
نح على نفسك يامسكـ ين ان كنت تنوح
لتموتن وان عمر ت ما عمر نوح

فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتحب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعا فى وقت الموعظة وأشدهم عسفا فى وقت الغضب والغلظة ، فلما رأى الفضل ابن الربيع كثرة بكائه أومأ الي الملاحين أن يسكتوا

لما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة الامين والمأمون والمؤتمن قال أبو العتاهية

رحلت عن الربع المحيل قعودى	الى ذى زحوف جمة وجنود
وراع يراعى الليل فى حفظ أمة	يدافع عنها الشر غير رقود
بألوية جبريل يقدم أهلها	ورايات نصر حوله وبنود
تجافي عن الدنيا وأيقن أنها	مفارقة ليست بدار خلود
وشد عرى الاسلام منه بفتية	ثلاثة أملاك ولاة عهود
هم خير أولاد لهم خير والد	له خير آباء مضت وجدود
بنو المصطفى هرون حول سريره	فخير قيام حوله وقعود
تقلب الحاظ المهابة بينهم	عيون ظباء في قلوب أسود
خدودهم شمس أتت فى أهلة	تبدت لراء في نجوم سعود

فوصله الرشيد بصلة ما وصل مثلها شاعرا قط

ومن قوله

ما اختلف الليل والنهار ولا   دارت نجوم السماء فى الفلك
الا لنقل السلطان عن ملك   قد انقضى ملكه الى ملك

ومن قوله

بَرِمت بالناس وأخلاقهم   فصرت أستأنس بالوحدة
ما أكثر الناس لعمرى وما   أقلهم فى منتهى العدة

ومن قوله يمدح الرشيد

عاد لى من ذكرها نَصَب   فدموع العين تنسكب
وكذاك الحب صاحبه   يعتريه الهم والوصب
خير من يرجى ومن يُهَب   ملك دانت له العرب
وحقيق أن يدان له   من أبوه للنبى أب

ومن قوله وقد قال له الرشيد عظنى

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس   اذا تسترت بالأبواب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة   لكل مُدَّرع منا ومترِّس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقها   ان السفينة لاتجري على اليبس

قال أحمد بن أبى فنن تناظرت أنا والفتح بن خاقان في منزله أيما أشعر أبو نواس أو أبو العتاهية ؟ فقال الفتح أبو نواس وقلت أبو العتاهية ، ثم قلت لو وضعت أشعار العرب كلها بازاء شعر أبي العتاهية لفضلها ، وليس بيننا خلاف في أن له فى كل قصيدة جيدا ووسطا وضعيفا فاذا جمع جيده كان أكثر من كل مجود ثم قلت له بمن ترضى ؟ قال بالحسين بن الضحاك ، فما انقطع كلامنا حتى دخل الحسين بن الضحاك فقلت له ما تقول فى رجلين تشاجرا ففضل أحدهما أبا نواس وفضل الآخر أبا العتاهية ؟ فشتم الحسين من فضل أبا نواس على أبى العتاهية ، فخجل الفتح حتى تبين ذلك فيه ثم لم يعاودنى فى شىء من ذكرهما حتى افترقنا

قيل لأبي العتاهية عند الموت ما تشتهي فقال أشتهي أن يجيء مخارق فيضع فمه على أذني ثم يغنيني

سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل

اذا ما انقضت عني من الدهر ليلة ... فان غَناء الباكيات قليل

آخر شعر قاله أبو العتاهية في مرضه الذي مات فيه قوله

الهي لا تعذبني فاني ... مقر بالذي قد كان مني

فما لي حيلة الا رجائي ... لعفوك ان عفوت وحسن ظني

وكم من زلة لي في الخطايا ... وأنت عليَّ ذو فضل ومن

اذا فكرت في ندمي عليها ... عضضْت أناملي وقرعت سني

أجنُّ بزهرة الدنيا جنونا ... وأقطع طول عمري بالتمني

ولو أني صدقت الزهد عنها ... قلبت لأهلها ظهر المِجَنّ

يظن الناس بي خيرا واني ... لشر الخلق ان لم يعفُ عني

وقال لابنته رقية في علته التي مات فيها قومي يابنية فاندبي أباك بهذه الأبيات، فقامت فندبته بقوله

لعب البِلى بمعالمي ورسومي ... وقبرت حيا تحت رَدْم همومي

لزم البلى جسمي فأوهن قوتي ... ان البلى لموكل بلزومي

توفي هو وابراهيم الموصلي وابو عمرو الشيباني بمدينة السلام في يوم واحد سنة ٢١٣ وأمر أن يكتب على قبره

اذن حي تسمعي ... اسمعي ثم عي وعي

انا رهن بمَضْجَعي ... فاحذري مثل مصرعي

عشت تسعين حجة ... أسلمتني لمضجعي

كم ترى الحي ثابتا ... في ديار التزعزع

ليس زاد سوى التقى نخذى منه أودعى

ورثاه محمد ابنه بقوله

يا أبي ضمك الثرى وطوى الموت أجمعك

ليتني يوم مت صر ت الى حفرة معك

رحم الله مصرعك برد الله مضجعك

عبد الصمد بن المعذل

هو عبد الصمد بن المعذَّل بن غَيلان من عبد القيس ثم من ربيعة يكني أبا القاسم وأمه أم ولد يقال لها الزرقاء شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية ، بصرى المولد والمنشأ ، وكان هجاء خبيث اللسان شديد العارضة ، وكان أخوه احمد أيضا شاعرا الا أنه كان عفيفا ذا مروءة ودين وتقدم فى المعتزلة ، وله جاه واسع في بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه فكان يحسده ويهجوه فيحلُم عنه ، وعبد الصمد أشعرهما ، وكان أبو عبد الصمد المعذل وجده غيلان شاعرين وقد روى عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير . والمعذل هو الذى يقول

الى الله اشكو لا الي الناس أنني أرى صالح الأعمال لا أستطيعها

أري خلَّة في اخوة وأقارب وذى رَحِم ما كان مثلى يضيعها

فلو ساعدتني فى المكارم قدرة لفاض عليهم بالنوال ربيعها

وهو القائل

ولست بميال الى جانب الغنى اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وانى لصبار على ما ينوبني وحسبك أن الله أثني على الصبر

مر المعذل بعبد الله بن سوَّار العنبرى القاضى فاستنزله عبد الله وكان من عادة المعذل ان ينزل عنده فأبى وأنشده

أمن حق المودة ان نقضى ذمامكمُ ولا تقضُوا ذِماما
وقد قال الأديب مقال صدق رآه الآخرون لهم اماما
اذا أكرمتكم وأهنتمونى ولم أغضب لذلكمُ فذاما

وانصرف ، فبكر اليه عبد الله بن سوار فقال رأيتك أبا عمرو مغضبا ، فقال أجل ماتت بنت أختى ولم تأتني ، قال ما علمت ذلك ، قال عذرك أشد من ذنبك ، وما لى أنا أعرف خبر حقوقك وأنت لا تعرف خبر حقوقى ، فما زال عبد الله يعتذر اليه حتى رضى عنه ، ومن شعر عبد الصمد

لسان الهوى ينطق ومشاهده تصدق
لقد نمّ هذا الهوى عليك وما يشفق
اذا لم تكن عاشقا فقلبك لِمْ يخفقُ
وما لك إمّا بدت تَحار فلا تنطق
أشمس تجلت لنا أم القمر المشرق

ومن قوله

سل جزعي مذ صددت عن حالي هل خطر الصبر لي على بال
لا غير الله سوء فعلك بى ان كنت أعتبت فيك عذالي
ولا ذممت البكا عليك ولا حمدت حسن السلو من سال
لو كنت أبغى سواك ما جهلت نفسي أن الصدودا أعفى لي

كتب عبد الصمد الى بعض الامراء رقعة فلم يجبه عنها لشيء كان بلغه عنه فكتب اليه

ليت شعرى عن الامير لماذا لا يرانى أهلا لرد الجواب
لا تدعنى وانت رفعت حالى ذا انخفاض بهجرة واجتناب
ان أكن مذنبا فعندى رجوع وبلاء بالعذر والاعتاب

وانا الصادق الوفاء وذو العهـ ـد الوثيق المؤكد الأسباب

كان لعبد الصمد بستان نظيف عامر فقال فيه

اذا لم يزرنا نَدْمانيه خلوت فنادمت بستانيه

فنادمته خضِرا مُونقا يهيج لى ذكر أشجانيه

يقرب مفرحه المستلذ ويبعد همِّي وأحزانيه

أرى فيه مثل مدارى الظـ ـبى تظَلّ لأطلائها حانيه

ونَوْراً أقاحٍ شتيت النبات كما ابتسمت عجبا غانيه

ونرجسه مثل عين الفتا ة الى وجه عاشقها رانيه

كان عبد الصمد يعاشر عبد الله بن المسيب ويألفه فبلغه عنه أنه اغتابه يوما وهو سكران وعاب شيئا أنشده من شعره فقال فيه وكتب بها اليه

عتبى عليك مقارن العذر قد زال عند حفيظتى صبرى

لك شافع منى اليّ فما يقضى عليك بهفوة فكرى

لما أتانى ما نطقت به فى السكر قلت جناية السكر

حاشا لعبد الله يذكرنى مستعذباً بنقيصتى ذكرى

ان عاب شعرى أو تحيّفه فليَهْنِهِ ما عاب من شعرى

يا ابن المسيب قد سبقت بما أصبحت مرتهناً به شكرى

فتى خُمِرت فأنت فى سعة ومتى هفَوْت فأنت فى عذر

ترك العتاب اذا استحق أخ منك العتاب ذريعة الهجر

ومن قول احمد بن المعذل لاسحاق بن ابراهيم

أفضلت نُعْمى على قوم رعيت لهم حقاً قديماً من الود الذى دَرَسا

وحرمة القصد بالآمال أنهمُ أتوا سواك فما لاقوا به أنسا

لأنت اكرم منه عند رفعته قولا وفعلا واخلاقا ومفترسا

جمع بين أبي تمام وبين عبد الصمد مجلس وكان عبد الصمد سريعاً في قول الشعر وكان أبو تمام أبطأ فأخذ عبد الصمد القرطاس وكتب فيه

أنت بين اثنتين تبرُزُ للنا — س وكلتاهما بوجه مُذال

لست تنفكّ طالبا لوصال — من حبيب أو طالبا لنوال

أي ماء لحُرّ وجهك يبقى — بين ذل الهوى وذل السؤال

فأخذ أبو تمام القرطاس وخلا طويلا وجاء به وقد كتب فيه

أفيّ تنظم قول الزور والفَنَد — وأنت أنزر من لا شيء في العدد

أشرجت[1] قلبك من بغضى على حُرَق — كأنها حركات الروح في الجسد

فقال عبد الصمد يا غثّ أخبرني عن قولك « أنزر من لا شيء في العدد » أي شيء أنزر من لا شيء في العدد ؟ وأخبرني عن قولك « أشرجت قلبك » قلبي مفرش او عيْبة أو خرج فأشرجهُ عليك لعنة الله فما رأيت أغث منك ، فانقطع أبو تمام انقطاعاً ما يرى أقبح منه وقام فانصرف وما راجعه بحرف

كان عبد الصمد يستثقل رجلا من ولد جعفر بن سليمان بن علي يعرف بالفراش وكان له ابن أثقل منه ، وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو وكان يخلف بعض أمراء البصرة ، وكان الفراش هذا يصلي به ثم يجلس فيفطر هو وابنه عنده ، فلما مضى شهر رمضان انقطع ذلك عنهما ، فقال عبد الصمد

غدر الزمان وليته لم يغدر — وحدا بشهر الصوم فطر المفطر

وثوت بقلبك يا محمد لوعة — تَمْرِى بوادر دمعك المتحدر

وتقسمتك صبابتان لبيْنه — أسف المشوق وحلة المتفكر

فاستبق عينك واخش قلبك بأسه — واقر السلام على خِوان المنذر

سقيا لدهرك اذ تَروح يومه — والشمس في عليـاء لم تتهور

(١) أشرج الخريطة داخل بين أشراجها وضمها والاشراج العرى

حتى تُنيخ لـكلْكل متزاور　　وتمدّ بُلعوما قوص[1] الحنجر
وترود منك على الخوان أنامل　　تدع الخوان سراب قاع مُقفر
ويح الصحاف من ابن فراش اذا　　أنحى عليها كالهزبْر الهيصر
ذو دُرْبة طبّ اذا لمعت له　　نسر الخوان بدا بحلّ المئزر
ودّا ابن فراش وفراش معا　　لو أن شهر الصوم مدة أشهر
يُزرى على الاسلام قلة صبره　　وتراه يحمد عــدة المتنصر
لا تهلكن على الصيام صبابة　　سيعود شهرك قابلا فاستبشر
لا درّ درُّك يا محمد من فتى　　شين المغيب وغير زين المحضر

شرب على بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدهن فدخل اليه عبد الصمد بعد خروجه عنه فأنشده

بأيمن طائر وأسرّ فال　　وأعلى رتبة وأجل حال
شربت الدهن ثم خرجت عنه　　خروج المشرفىّ من الصقال
تكشفَ عنك ما عانيت منه　　كما انكشف الغمام عن الهلال
وقد أهديت ريحانا طريفا　　به حاثيت مستمعا سؤالى
وما هو غير ياء بعد حاء　　وقد سبقا بميم ثم دال
وريحان الشباب يعيش يوما　　وليس يموت ريحان المقال
ولم تك مؤثرا تفاح شم　　على تفاح أسماع الرجال

قال احمد بن المغيرة العجلى كنت عند أبى سهل الاسكافى وعنده عبد الصمد فرفع اليه رجل رقعة فقرأها فاذا فيها

هذا الرحيل فهل فى حاجتى نظر　　أولا فأعلم ما آتى وما أذر

فدفعها الى عبد الصمد وقال الجواب عليك ، فكتب فيها

النفس تسخو ولكن يمنع العسُر　　والحر يعذر من بالعسر يعتذر

(١) قوص الحنجرة الكذاب

ثم قال عبد الصمد لعلى بن سهل هذا الجواب قولا وعليك أعزك الله الجواب فعلا ، ونُجح سعي الآمل حق واجب على مثلك ، فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار

كان لأحمد بن المعذل ابن ثقيل تيّاه شديد الذّهاب بنفسه وكان مبغَّضاً عند أهل البصرة ، فقال فيه عبد الصمد

لوكان يعطَى المنى الأعمام فى ابن أخ ... أصبحت فى جوف قُرْقور الى الصين
قد كان همـا طويلا لا يقام له ... لوكان رؤيتنـا اياك في الحين
فكيف بالصبر اذ أصبحت اكثر فى ... مجـال أعيننا من رمـل يبْرين
يا أبغض الناس فى عسر وميسرة ... وأقذر الناس فى دنيا وفى دين
لو شاء ربى لأضحى واهبا لأخي ... بمر ثُكْلك أجرا غير ممنون
وقائل لى ما أضناك قلت له ... شخص ترى وجهه عينى فيُضْنينى
ان القلوب انطوى منك يا ابن أخى ... اذا رأتك على مثل السكاكين

نظر عبد الصمد الى جار له يخطِر فى مشيته خطرة منكرة وكان فقيرا رث الحال فقال فيه

يتمشى فى ثوب عَصْب من العُرْ ... ى على عظمٍ ساقه مجدول
دب فى رأسه خُمار من الجو ... ع سرى فى خمرة الرحيق الشَّمول
فبكى شجوه وحن الى الخبْـــز ونادى بزفرة وعويل
من لقلب متيم برغيفيــن ونفس تاقت الى تطفيل
ليس تسمو الى الولائم نفسى ... جل قدر الأعراس عن تأميلى
هات لونا وقل لتلك تغنّى ... لست أبكى لدارسات الطلول

كان بالبصرة طفيلى يكنى أبا سلمة ، وكان اذا بلغه خبر وليمة لَبِس لبس القضاة وأخذ ابنيه معه عليهما القلانس الطوال والطيالسة الرقاق ، فيقدم ابنيه فيدق الباب أحدهما ويقـول افتح ياغـلام لأبى سلمـة ، ثم لا يلبث حتى

يتقدم الآخر فيقول افتح ويلك فقد جاء أبو سلمة ، ويتلوهم فيدقون جميعا الباب ويقولون بادر ويلك فان أبا سلمة واقف ، فان لم يكن عرفهم فتح لهم وهاب منظرهم وان كانت معرفته اياهم قد سبقت لم يلتفت اليهم ، ومع كل واحد منهم فِهرْ مدور ويسمونه كيسان فينتظرون حتى يجيء بعض من قد دعى فيفتح له البـاب فاذا فتح طرحوا الفِهرْ فى العتبة حيث يدور الباب فلا يقدر البواب على اغلاقه ويهجُمون عليه فيدخلون ، فأكل أبو سلمـة يوما على بعض الموائد لقمة حارة من فالوذَج وبلعها لشدة جرانها فجمعت أحشاؤه فمات على المائدة فقال عبد الصمد يرثيه

أحزان نفسى عليه غير منصرمة — وأدمعى من جفونى الدهرَ منسجمة

علي صديق ومولى لي فُجِعت به — ما ان له فى جميع الصالحين لمة

كم جفنة مثل جوف الحوض مُتْرَعة — كوماء جاءبها طباخها رَذِمة (١)

قد كللتها شحوم من قليتهـــا — ومن سنام جزور عبْطة سَنِمة (٢)

غيبت عنها فلم نعرف له خبرا — لهفى عليك وويلى ياأبا سلمـة

ولو تكون لها حيا لما بعـــدت — يوما عليك ولو فى جاحم حطَمة

قد كنت أعلم أن الأكل يقتله — لكننى كنت أخشى ذاك من تُخمة

اذا تعمم فى شبليه ثم غـــدا — فان حوْزة من يأتيه مُصْطلمة

منصور النمرى

هو منصور بن الزِّبْرِقان بن سلمـة النَّمَرى الربعى من النمر بن قاسط ثم من ربيعة بن نزار شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كُلْثوم بن عمرو العَتّابى وراويته ، وعنه أخذ ، ومن بحره استقى ، وبمذهبه تشبه ، والعتابى وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرّظه عنده حتى استقدمـه من الجزيرة

---

(١) رذمت القصعة صارت رذوما وهى الممتلئة تصب جوانبها

(٢) ناقة سمنة عظيمة السنام

واستصحبه ثم وصله بالرشيد وجرت بعد ذلك بينه و بين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسعى كل واحد منهما على هلاك صاحبه ، وكان النمري قد مدح الفضل بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة فأوصلها العتابي اليه واسترفده له وسأله استصحابه ، فأذن له في القدوم ، فحظى عنده ، وعرف مذهب الرشيد في الشعر وارادته أن يصل مدحه اياه بنفي الامامة عن ولد على بن أبي طالب عليهم السلام والطعن عليهم وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة وتفضيله اياه على الشعراء في الجوائز فسلك مذهب مروان في ذلك ونحا نحوه ، ولم يصرح بالهجاء والسبّ كما كان يفعل مروان ولكنه حام ولم يقع وأومأ ولم يحقق لأنه كان يتشيع وكان مروان شديد العداوة لآل ابى طالب وكان ينطق عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقى ولا يذر . ومن أول ما أنشده الرشيد قوله

أمير المؤمنين اليك خضنا ... غمار الهول من بلد شطير

بخوص كالأهلة خافقات ... تلين على السرى وعلى الهجير

حملن اليك أملالا ثقالا ... ومثل الصخرة الدر النثير

فقد وقف المديح بمنتهاه ... وغايته وصار الي المصير

الى من لا يشير الى رسول ... اذا ذكر الندي كف المشير

وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال

يذال من رقاب بني على ... ومنّ ليس بالمن الصغير

مننت على ابن عبد الله يحيى ... وكان من الحتوف على شفير

ولقد تخلص الى شيء ليس عليه فيه شيء ، وهو يقول

فان شكروا فقد أنعمت فيهم ... والا فالندامة للكفور

وان قالوا بنو بنت فحق ... وردوا ما يناسب للذكور

وما لبنى بنات من تراث ... مع الاعمام فى ورق الزبور

ومنها

بني حسن ورهط بنى حسين عليكم بالسَّداد من الأمور

فقد ذقتم قِراع بنى أبيكم غداة الروع بالبيض الذُّكور

أحين شَفَوْكُم من كل وِتْر وضموكم الى كَنَف وَثير

وجادوكم على ظمأ شديد سقيتم من نوالهم الغزير

فما كان العقوق لهم جزاء بفعلهم وآدى للثؤر

وانك حين تبلغهم اذاه وان ظلموا لمحزون الضمير

فقال له صدقت والا فعليَّ وعلى وأمر له بثلاثين ألف درهم

وأنشد الرشيد يوماً قصيدته التى أولها

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع

بان الشباب وفاتتنى بلذته صروف دهر وأيام لها خِدَع

ما كنت أوفى شبابى كُنْهَ غِرَّته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

فقال الرشيد أحسن والله لا يتهني أحد بعيش حتى يَخْطِر فى رداء الشباب .

ومن قوله فيها يمدح الرشيد

أى امرىء بات من هرون فى سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفع

ان المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تجتمع

اذا رفعت أمراً فالله يرفعه ومن وضعت من الاقوام متضع

نفسى فداؤك والأبطال مُعْلمة يوم الوغى والمنايا صابها فزع

ومن قوله يمدح الرشيد

يا منزل الحي ذا المغانى انعم صباحا على بلاكا

هرون يا خير من يرجى لم يطع الله من عصاكا

في خير دين وخير دنيا   من اتقى الله واتقـاكا

اجتمع جماعة من الشعراء وفيهم منصور النمرى وكانوا على نبيذ فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا له انما تعـاف الشراب لأنك رافضى وتسمع وتصغى الى الغناء وليس تركك النبيذ من ورع فقال

خلا بين ندمانىّ موضع مجلسى   ولم يبق عندي للوصال نصيب
وردت على الساقى تفيض وربما   رددت عليه الكأس وهو سليب
وأى أمرىء لا يستهش اذا جرت   عليه بنان كفهن خضيب

كتب العتابى الى منصور النمري قوله

تقضت لُبانات ولاح مشيب   وأشفى على شمس النهار غروب
وودعت اخوان الصبا وتصرمت   غَواية قلب كان وهو حـروب
خلا بين ندمانىّ موضع مجلسى   ولم يبق عندي للمزاح نصيب
وردت على الساقى تفيض وربما   رددت عليه الكأس وهو سليب
ومما يهيج الشوق لي فترده   خفيف على أيدى القيان صخوب
عطوْن به حتى جرى فى أديمه   أصابيع فى لبّاتهن وطيب

فأجابه النمرى

أوحشةَ ندمانيك تبكى فربما   تلاقيهما والحلم عنك عَزوب
ترى خلفا من كل نيل وثروة   سماعَ قِيان عودهن ضريب
يغنيك يا بنتى فتستصحب النهى   وتحتازك الآفات حين أغيب
وان امرأ أودى السماع بلبه   لعُريان من ثوب الفلاح سليب

قال النمرى كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام وقد وخطني الشيب يومئذ وعبد الله شاب حديث السن فاذا أنا بقصرية ظريفة قد وقفت فجعلت أنظر اليها وهى تنظر الى عبد الله ثم انصرفت وقلت فيها

لما رأيتَ سوام الشيب منتشرا في لمتي وعبيد الله لم يشب
سللت سهمين من عينيك فانتضلا على سبيبة ذي الأذيال والطرب
كذا الغواني ترى منهن قاصدة الى الفروع مُعرّاة عن الخشب
لا أنت أصبحت تعقد بيننا أربا ولا وعيشك ما أصبحت من أربي
احدى وخمسين قد أنضيت جِدّتها تحول بيني وبين اللهو واللعب
لا تحسبني وان أغضيت عن بصري غفلْت عنك ولا عن شأنك العجب

ثم عدلت عن ذلك فمدحت يزيد بن مزيد فقلت

لو لم يكن لبني شيبان من حسب سوى يزيد لفاقوا الناس في الحسب
لا يحسب الناس قدحا بوْ ابنى مطَر اذ أسلم الجود فيهم عاقد الطُنُب
الجود أخشن لمسا يا بني مطر من أن تبزّ كُموه كفُّ مستلب
ما أعرف الناس أن الجود مدفعة للذم لكنه يأتي على النسب

ومن قوله للرشيد

اذا اعتاص المديح عليك فامدح أمير المؤمنين تجد مقالا
وعذ بفنائه واجنح اليه تنلْ عزْفا ولم تَذْلِل سؤالا
فِناء لا تزال به ركاب وضعْن مدائحا وحملن مالا

ومن قوله وفيه غناء

يا زائرينا من الخيام حياكما الله بالسلام
يحزُنني أن أطعماني ولم تنالا سوى الكلام
بورك هارون من امام بطاعة الله ذي اعتصام
له الى ذي الجلال قربى ليست لعدل ولا امام

قال الرشيد للنمري كيف رأيت فرسي فاني أنكرته فقال

مُضرّ[1] على فأس اللجام كأنه اذا ما اشتكت أيدي الجياد يطير

(١) أضز الفرس على فأس اللجام عض

فطل على الصفصاف يوم تباشرت ضباع وذُوبان به ونسور
فأقسم لا ينسى لك الله أجرها اذا قسمت بين العباد أجور

قال النمرى ثم قلت فى نفسى ما يمنعنى من اذ كاره بالجائزة ؟ فقلت

اذا الغيث أكدى واقشعرت نجومه فغيث أمير المؤمنين مطير
وما جـل هرون الخليفة بلدة فأخلفها غيث وكاد يضير

فقال أذ كرتني ورأيته متهللا فأمر لى بمائة الف درهم

غضب الرشيد على منصور النمرى لما أنشد قصيدته في مدح العلويين وأولها

ساد من الناس رائع هامل يعـللون النفس بالباطل

وفيها يقول

ألا مساعيرُ يغضبون لها بسلّة البيض والقنا الذابل

فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال للفضل بن الربيع أحضره الساعة، فبعث الفضل فى ذلك فوجده قد توفى، فأمر بنبشه ليحرقه، فلم يزل الفضل يُلْطِف له حتى كف عنه

بكر بن النطاح الحنفى يكنى أبا وائل

كان صعلوكا يصيب الطريق ثم أقصر عن ذلك فجعله أبو دلف من الجند وجعل له رزقا سلطانيا، وكان شجاعا بطلا فارسا شاعرا حسن الشعر والتصرف فيه كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والاقدام

من شعره في هوى له

أكذب طرفى عنك والطرف صادق وأُسمع أذنى منك ما ليس تسمع
ولم أسكن الأرض التى تسكنينها لكيلا يقولوا صابر ليس يجزع
فلا كبدى تَبْلَى ولا لك رحمة ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع
فلا تسأليني في هـواك زيادة فأيسره يُجزى وأدناه يُقْنِع

قال أبو الحسن الراوية قال لي المأمون أنشدني أشجع بيت وأعفه وأكرمه من شعر المحدثين فأنشدته

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وانا لنلهو بالسيوف كما لهت عروس بعقد أو سخاب[1] قرنفل

لحق أبو دلف أكرادا قطعوا الطريق بعمله وقد أردف منهم فارس رفيقا له خلفه فطعنهما جميعا فأنفذهما ، فتحدث الناس بأنه نظم بطعنة فارسين على فرس فلما قدم من وجهه دخل اليه بكر فأنشده

قالوا وينظم فارسين بطعنة يوم اللقاء ولا يراه جليلا
لا تعجبوا لو أن طول قناته ميل اذا نظم الفوارس ميلا

فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم فقال فيه

له راحة لو أن معشار جودها على البركان البر أندى من البحر
ولو أن خلق الله فى جسم فارس وبارزه كان الخلى من العمر
أبا دُلَف بوركت في كل بلدة كما بوركت فى شهرها ليلة القدر

كان بكر يأتى أبا دلف كل سنة فيقول له الى جنب أرضى أرض تباع وليس يحضرني ثمنها ، فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويعطيه ألفا لنفقته ، فجاءه فى بعض السنين فقال له مثل ذلك ، فقال له أبو دلف ما تفنى هذه الأرضون التى جنب دارك ، فغضب وانصرف عنه وقال

يانفس لا تجزعى من التلف فان فى الله أعظم الخلف
ان تقنعى باليسير تحترمى ويغنك الله من أبى دلف

وكان بكر يأتى قُرّة بن مُحرز الحنفى بكِرْمان فيعطيه عشرة آلاف درهم ويُجرى عليه فى كل شهر يقيم عنده الف درهم ، فاجتاز به قرة يوما وهو ملازم فى السوق

(١) السخاب قلادة من قرنفل ومسك ومحلب ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر

وغرماؤه يطالبونه بدين، فقال ويحك ما يكفيك ما أُعطيك؟ فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول

الا ياقُرَّ لاتك سامريا ... فتترك من يزورك فى جهاد
أتعجب أن رأيت على دينا ... وقد أودي الطَّريف مع التِّلاد
ملأت يدى من الدنيا مرارا ... فما طمع العواذل فى اقتصادى
ولا وجبت على زكاة مال ... وهل تجب الزكاة على جواد

ومن قوله لأبى دلف

اذا كان الشتاء فأنت شمس ... وان كان المصيف فأنت ظل
وما تدرى اذا أعطيت مالا ... أتكثر فى سماحك أم تقِل

كان معقل بن عيسى صديقا لبكر، وكان بكر فاتكا صعلوكا فكان لايزال قد أحدث حادثة فى عمل أبى دلف أو جنى جناية فيهم فيقوم دونه معقل حتى يتخلصه، فمات معقل فقال بكر يرثيه

وحدَّث عنه بعض من قال انه ... رأت عينهُ فيما ترى عين حالم
كأن الندَى يبكى على قبر معْقل ... ولم يره يبكى على قبر حاتم
ولا قبر كعب اذ يجود بنفسه ... ولا قبر حِلْف الجود قيس بن عاصم
فأيقنت أن الله فضل معقلا ... على كل مذكور بفضل المكارم

ومن قوله يمدح مالك بن على الخزاعى

أقول لمرتادٍ ندَى غير مالك ... كفى بذل هذا الخلق بعضُ عِداته
فتى جاد بالأموال فى كل جانب ... وأنهبها فى عوده وبدَاته
فلو خذلت أموالهُ جود كفه ... لقاسم من يرجوه شطْر حياته
ولو لم يَجُزْ في العمر قسمة ماله ... وجاز له الاعطاء من حسناته
لجاد بها من غير كفر بربه ... وشاركهم فى صومه وصلاته

ومن قوله يرثيه وقد قتله الخوارج بالجبل

يا عين جودى بالدموع السّجام على الأمير اليمني الهمام
على فتى الدنيا وصنديدها وفارس الدين وسيف الامام
لا تذخرى الدمع على هالك أيتم اذ أودى جميع الأنام
طاب ثرى حلوان اذ ضُمّنت عظامه سقيا لها من عظام
أغلقت الخيرات أبوابها وامتنعت بعدك يابن الكرام
وأصبحت خيلك بعد الوجى والعُرْى تشكو منك طول الجمام
ارحل بنا نقرُب الى مالك كيما نحيى قبره بالسلام
كان لأهل الأرض فى كفه غنى عن البحر وصوب الغمام
وكان فى الصبح كشمس الدجى وكان في الليل كبدر الظلام
وسائلٍ يَعْجَب من موته وقد رآه وهو صعب المرام
قلت له عهدى به مُعْلِما يضربهم عند ارتفاع القتام
والحرب من طار لها لم يكد يُفلِت من وقع صقيل حسام
لم ينظر الدهر لنا اذ عدا على ربيع الناس في كل عام
أن يستقيلوا أبدا فقده ما هيج الشجوَ دعاء الحمام

وقال يرثيه

أيُّ امرىء خضب الخوارجُ ثوبه بدم عشية راح من حُلْوان
ياحفرة ضَمَّت محاسن مالك ما فيكِ من كرم ومن احسان
لهفى على البطل المعرض خده وجبينه لأسنة الفرسان
خرَق الكتيبة مُعْلِما متنكبا والمرهفَات عليه كالنيران
ذهبت بشاشة كل شىء بعده فالأرض موحشة بلا عُمران
هدم الشُّراة غداة مَصْرَع مالك شرف العلا ومكارم البنيان
قتلوا فتى العرب الذى كانت به تقوى على اللَّزبات فى الأزمان

حرموا معدّا ما لديه وأوقعوا ... عصبية فى قلب كل يمان

تركوه في رهج العجاج كأنه ... أسد يصول بساعد وبنان

هوت الجدود عن السعود لفقده ... وتمسكت بالنحس والدّبران

لا يبعدنّ أخو خزاعة اذ ثوى ... مستشهدا فى طاعة الرحمن

عزّ الغواة به وذلت أمة ... محبوة بحقائق الايمان

وبكاه مصحفه وصدر حسامه ... والمسلمون ودولة السلطان

وغدت تعقّر خيله وتقسّمت ... أدراعه وسوابغ الأبدان

أفتحمد الدنيا وقد ذهبت بمن ... كان المجير لنا من الحدثان

ومن قوله يتشوق الى بغداد وهو بالجبل

نسيم المدام وبرد السحر ... هما هيجا الشوق حتى ظهر

تقول اجتنب دارنا بالنهار ... وزرنا اذا غاب ضوء القمر

فان لنا حرسا ان رأوك ... ندمت وأعطوا عليك الظفر

وكم صنع الله من مرة ... عليهم وقد أمروا بالحذر

سقى الله بغداد من بلدة ... وساكنى بغداد صوب المطر

ونبئت أن جوارى القصو ... ر صيرن ذكرى حديث السمر

ألا رب سائلة بالعرا ... ق عني وأخرى تطيل الذكر

تقول عهدنا أبا وائل ... كظبي الفلاة المليح الحور

ليالى كنت أزور القيا ... ن كأن ثيابى بهار الشجر

ومن قوله فى جارية كان يهواها وقد منع عنها

أهل دار بين الرّصافة والجسـ ... ـر أطالوا غيظى بطول الصدود

عذبونى ببعدهم وابتلوا قلـ ... ـبي بحبين طارف وتليد

ما تهب الشّمال الا تنفسـ ... ـت وقال الفؤاد للعين جودى

قلّ عنهم صبرى ولم يرحمونى ... فتحيرت كالطريد الشريد

وكلتني الأيام فيك الى نفـ ى فأعييت وانتهى مجهودى

وقال فيها

العين تبـدى الحب والبغضا وتظهر الإبرام والنقضا
دُرَّةُ ما أنصفتنى في الهوى ولا رحمت الجسـد المُنْضَى
مرت بنا فى قُرْطَق[1] أخضر يعشق منها بعضها بعضا
غضبي ولا والله يا أهلهـا لا أشرب البارد أو ترضى
كيف أطاعتـكم بهجرى وقد جعلت خدى لها أرضا

وقال فيها

صدت فأمسى لقاؤها حلما واستبدل الطرفُ بالدموعِ دما
وسلطت حبها على كبدي فأبدلتنى بصحـة سقما
وصرت فردا أبكى لفرقتها واقْرَعُ السن بعدهـا ندما
شق عليها قولُ الوشاة لها أصبحتِ فى أمر ذا الفتى علما
لولا سَقامى وما بُليت به من هجرها لاستترت فا كتما
كم حاجة في الكتاب بُحت بها أبكيت منها القرطاس والقلما

وقال فيها

بعدتِ عنى فتغيرتِ لي وليس لى عنـدك تغيير
فجددى ما رَثَّ من وصلنا وكل ذنب لك مغفور
أطيب النفس بكـتمان ما سارت به من عذرك العير
وعدك يا سيدتى غرنى منك ومن يَعشق مغرور
يَحْزُنني علمى بنفسي اذا قال خليلى أنت مهجور
يا ليت من زيَّن هذا لها جارت لنا فيه المقادير

(١) القرطق قباء ذو طاق واحد

ساقي المدام اسقها صاحبي فانني ويحك معذور
أأشرب الخمر على هجرها اني اذا بالهجر مسرور

وفيها يقول وقد خرج مع أبي دُلَف الى أصبهَان

يا طيب السيب التي أحببتها ومنحتها لطفا ولين جناح
عيناي باكيتان بعدك للذي أودعت قلبي من ندوب جراح
سقيا لأحمد من أخ ولقاسم فقدا غدوّي لاهيا ورواحي
وترددي من بيت فِرْز آمنا من قرب كل مخالف ومُلاح
أيام تغبطني الملوك ولا أرى أحدا له كتدللي ومزاحي
تصف القِيان اذا خلوت بجانبي ويصفن للشّرب الكرام سماحي

ومما يغنى فيه من شعره فيها

هل يُبتلَى أحد بمثل بليتي أم ليس لي في العالمين ضَريب
قالت عِنان وأبصرتني شاحبا يا بكر مالك قد علاك شحوب
فأجبتها يا أخت لم يلق الذي لاقيت الا المبتلَى أيوب
قد كنت أسمع بالهوى فأظنه شيئاً يَلذّ لأهله ويطيب
حتى ابتُليت بحلوه وبمره فالحلو منه للقلوب مذيب
والمر يَعجِز منطقي عن وصفه للمر وصف يا عنان عجيب
فانا الشقي بحلوه وبمره وانا المعنّى الهائم المكروب
يا دُرّ حالفك الجمال فماله في وجه انسان سواك نصيب
كل الوجوه تشابهت وَبَذَرتها حسنا فوجهك في الوجوه غريب
والشمس يغرب في الحجاب ضياؤها عنا ويشرُق وجهك المحبوب

ومنه

غضب الحبيب على في حبي له نفسي الفداء لمذنب غضبان

مالى بما ذكر الرسول يدان بل ... ان تم رأيك ذا خلعت عنانى

يا من يتوب الى حبيب مذنب ... طاوعتـــه فجزاك بالعصيان

هلا انتحرت فكنت أول هالك ... ان لم يكن لك بالصدود يدان

كنا وكنتم كالبنان وكفها ... فالكف مفردة بغـير بنان

خلق السرور لمعشر خلقـوا له ... وخلقت للعبرات والاحزان

قال بكر قصيدته التى أولها

هنيئا لاخوانى ببغداد عيدهم ... وعيدى بحلوان قِراع الكتائب

وأنشدها ابا دُلَف فقال انك لتكثر وصف نفسك بالشجاعة وما رأيت لذلك عندك أثرا قط ولا فيك ، فقال له أيها الأمير وأىّ غَناء يكون عند الرجل الحاسر الأعزل ؟ فقال أعطوه فرسا وسيفاً ودرعاً ورمحاً ، فأعطوه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه ، فلقيه مال لأبى دلف يحمل من بعض ضياعه فأخذه ، وخرج جماعة من غلمانه فمانعوه عنه فجرحهم جميعاً وقطعهم وانهزموا وسار بالمال فلم ينزل الا على عشرين فرسخاً ، فلما اتصل خبره بأبى دلف قال نحن جنينا على أنفسنا وقد كنا أغنياء عن هَيْج أبى وائل ، ثم كتب اليه بالأمان وسوغه المال وكتب اليه سر الينا فلا ذنب لك لأنا نحن كنا سبب فعلك بتحريكنا اياك وتحريضنا ، فرجع ولم يزل معه حتى مات .

قال يزيد بن مزيد وجه الىّ الرشيد فى وقت يرتاب فيه البرىء ، فلما مثَلت بين يديه قال يا يزيد من الذى يقول

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ... ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

فقلت له والذى شرفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه ، قال فمن الذى يقول

وان يك جد القوم فِهْر بن مالك ... فجدى لُجيم قَرْم بكر بن وائل

قلت لا والذى أكرمك وشرفك يا أمـير المؤمنين ما أعرفه ، قال والذى

أكرمني وشرفني انك لتعرفه ، أتظن يا يزيد اذ أوطأتك بساطى وشرفتك بصنيعتي أني أحتملك على هذا ؟ أو لا تظن اني لا أراعي أمورك وأتقصاها ؟ أو تحسب أنه يخفى عليّ شيء فيها ؟ والله ان عيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك ، هذا جِلف من أجلاف ربيعة عدا أطواره وألحق قريشا بربيعة فأتني به ، فانصرفت أسأل عن قائل الشعر فقيل لى هو بكر بن النطاح وكان أحد أصحابي ، فدعوته وأعلمته ما كان من الرشيد فأمرت له بألفي درهم وأسقطت اسمه من الديوان ، وأمرته ألاّ يظهر ما دام الرشيد حياً ، فما ظهر حتى مات الرشيد ، فلما مات ظهر فألحقت اسمه وزدت في انزاله

يحيى بن طالب الحنفى

شاعر من أهل اليمامة ثم من بنى حنيفة وهو من شعراء الدولة العباسية مقل وكان فصيحاً شاعرا غزلا فارساً ، وركبه دين فى بلده فهرب الى الرّى وخرج مع بعث اليها فمات بها . ومما يغني فيه من شعره

أيا أثلات القاع من بطن تُوضح ... حنيني الى أطلالكن طويل
ويا أثلات القاع قلبي موكل ... بكن وجدْوى خيركن قليل
ويا أثلات القاع قد مل صحبتى ... وقوفي فهل فى ظلكن مَقيل
الاهل الى ريح الخُزامى ونظرة ... الى قَرْقَرى قبل الممات سبيل
فأشرب من ماء الحُجَيلاء شربة ... يداوى بها قبل الممات عليل
أحدث عنك النفس أن لست راجعا ... اليك فحزنى فى الفؤاد دخيل
أريد انحدارا نحوها فيصدُّنى ... اذا رمته دينٌ على ثقيل

ولما سمع الرشيد هذا البيت أمر أن يكتب الى عامل الرّيّ بقضاء دينه واعطائه

نفقته وانفاذه اليه على البريد ، فوصل الكتاب يوم مات يحيى بن طالب .

وقال

مداينــــة السلطان باب مذلة   وأشبه شيء بالقناعة والفقــــر
اذا أنت لم تنظر لنفسك خاليــــا   أحاطت بك الأحزان من حيث لا تدرى

قال رجل من بني حنيفة كان يحيى بن طالب جوادا شاعرا جميلا حمالا لأثقال قومه ومغارمهم يَقْرِي الأضياف ، ما تشاء أن ترى فى فتى خصلة جميلة الا رأيتها فيه ، فدخلت عليه وهو فى آخر رمق فسألته عن خبره وسلّيته وقلت له ما طابت به نفسه فأنشدنى قوله

ما أنا كالقول الذى قلت أن زوى   محلى عن مالى حذار النوائب
بمنزلة بين الطريقين قابلت   بوادي كحيل كلما عنّ راكب
حللت على رأس اليفاع ولم اكن   كمن لاذ من خوف القِرى بالحواجب
فلا تسأل الضيفان من هم وأدْنهم   هم الناس من معروف وجه وجانب
خليلى عوجا بارك الله فيكما   على البرة العليا صدور الركائب
وقولوا اذا ما الضيف حل بنجوة   ألا فى سبيل الله يحيى بن طالب

قال الجهم بن المغيرة كنا عند جرش بن ثمال القريظى بضَرِيّة فمرت بنا جارية صفراء مولدة ، فقال لي جرش استفتح كلامها فانها ظريفة ، فقلت لها ياجارية أين نشأت ؟ قالت بقرقرى ، فقلت لها اين شعبْعَب ؟ فضحكت ثم قالت بين الحوض والعطَن ، قلت فمن الذى يقول

ياصاحبي فـدت نفسى نفوسكما   عوجا عليّ صدور الأبغل السُّنن
ثم ارفعا الطرف هل تبدو لنا ظُعُن   بحائل ياعناء النفس من ظعن
أحبِبْ بهن لو آن الدار جامعة   وبالبــلاد التى يسكُنّ من وطن
طوالع الخيل من تبراك مصعـدة   كما تتابع قيدام من السفن

ياليت شعرى والأقدار غالبة ... والعين تذرف أحيانا من الحزن
هل أجعلن يدى للخد مرفقة ... على شعبعب بين الحوض والعطن

فالتفتت الى جرش فقالت أخبره بقائلها ، فقال ما أعرفه ، فقالت بلى هذا يقوله شاعرنا وظريف بلدنا وغزله ، فقال جرش ويحك ومن ذلك ؟ فقالت أشهد ان كنت لا تعرفه وأنت من هذا البلد انها سوءة ، ذلك يحيى بن طالب الحنفى ، أقسم بالله ما منعك من معرفته الا غلظ الطبع وجفاء الخلق ، فجعل يضحك من قولها

ومن قوله يتشوق الى اليمامة

أحقا عباد الله أن لست ناظرا ... الى قرقرى يوما وأعلامها الغبر
كأن فؤادى كلما مر راكب ... جناح غراب رام نهضا الى وكر
أقول لموسى والدموع كأنها ... جداول فاضت من جوانبها تجري
ألا هل لشيخ وابن ستين حجة ... بكى طربا نحو اليمامة من عذر
وزهدنى فى كل خير صنعته ... الى الناس ما جربت من قلة الشكر
اذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة ... دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر
فواحزنى مما أجن من الأسى ... ومن مضمر الشوق الدخيل الي حجري
تغربت عنها كارها وهجرتها ... وكان فراقيها أمر من الصبر
فيا راكب الوجناء ابت مسلما ... ولازلت من ريب الحوادث فى ستر
اذا ما أتيت العرض فاهتف بأهله ... سقيت على شحط النوى مسبل القطر
فانك من واد الى مرجب [1] ... وان كنت لا تزدار الا علي عقر

العباس بن الاحنف

من بني عدى بن حنيفة ولده هوذة بن على الحنفى من قبل بعض امهاته كان العباس شاعرا غزلا مطبوعا من شعراء الدولة العباسية ، وله مذهب

(١) معظم

حسن ، ولديباجة شعره رَوْنق ، ولمعانيه عذوبة ولطف ، ولم يكن يتجاوز الغزل الي مديح ولا هجاء ولا يتصرف في شيء من هذه المعاني، وقدمه أبو العباس المبرد فى كتاب الروضة على نظرائه وأطنب فى وصفه ، وقال رأيت جماعة من الرُّواة للشعر يقدمونه ، قال وكان العباس من الظرفاء ولم يكن من الخلعاء وكان غزلا ولم يكن فاسقا ، وكان ظاهر النعمة ملوكى المذهب شديد التظرف وذلك بين فى شعره وكان قصده الغزل وشغله النسيب ، وكان حلوا مقبولا غَزِلا غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرف فى الغزل وحده ، ولم يكن هجاء ولا مداحا . وقال ابراهيم ابن العباس يصفه كان والله محمد اذا تكلم لم يُحِب سامعه أن يسكت ، وكان فصيحا جميلا ظريف اللسان لو شئت أن تقول كلامه كله شعر لقلت ، وقال صالح بن عبد الوهاب كان العباس من عرب خُراسان ومنشؤه ببغداد ، ولم تزل العلماء تقدمه على كثير من المحسنين ولا تزال قد ترى له الشيء البارع جدا حتي تلحقه بالمحسنين ، وقال الجاحظ لولا أن العباس بن الاحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاما وخاطرا ما قدر أن يكثر شعره فى مذهب واحد لا يجاوزه لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرف وما نعلم شاعرا لزم فنا واحدا لزومه فأحسن فيه وأكثر . أنشد الحرمازى للعباس بن الأحنف

لا جزى الله دمع عيني خيرا ... وجزى الله كل خير لسانى

نمّ دمعى فليس يكتم شيئا ... ورأيت اللسان ذا كتمان

كنت مثل الكتاب أخفاه طى ... فاستدلوا عليه بالعنوان

ثم قال هذا والله طراز يطلب الشعراء مثله فلا يقدرون عليه

وكان أبو الهذيل العلاف يبغضه ويلعنه لقوله

اذا أردت سلوا كان ناصركم ... قلبي وما أنا من قلبى بمنتصر

فأكثروا أو أقلوا من اساءتكم ... فكل ذلك محمول على القدر

فكان أبو الهذيل يلعنه ويقول يعقد الكفر والفجور فى شعره ، فقال العباس ويظن أنه يهجو به أبا الهذيل وما سمع الراوى للعباس هجاء غيره

يامن يكذب أخبار الرسول لقد　　أخطأت فى كل ما تأتى وما تذر

كذبت بالقدر الجارى عليك فقد　　أتاك منى بما لا تشتهى القدر

قيل للأصمعى ما أحسن ما تحفظ للمحدثين قال قول العباس بن الاحنف

لو كنت عاتبة لسكن روعتي　　أملى رضاك وزرت غير مراقب

لكن مللت فلم تكن لى حيلة　　صد الملول خلاف صد العاتب

ومما أنشده له ابراهيم بن العباس

قالت ظلوم سمية الظلم　　مالى رأيتك ناحل الجسم

يامن رمى قلبي فأقصده　　انت العليم بموقع السهم

وأنشد له الأصمعى

أتأذنون لصب فى زيارتكم　　فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يضمر السوء ان طال الجلوس به　　عف الضمير ولكن فاسق النظر

فقال ما زال هذا الفتى يدخل يده فى جرابه فلا يخرج شيئا حتى أدخلها فأخرج هذا ومن ادمن طلب شىء ظفر ببعضه

وقال سعيد بن جنيد ما أعرف أحسن من شعر العباس فى اخفاء أمره حيث يقول

أريدك بالسلام فأتقيهم　　فأعمد بالسلام الى سواك

وأكثر فيهم ضحكي ليخفى　　فسنى ضاحك والقلب باك

ومما تمثل به الواثق فى شر كان بينه وبعض جواريه

عدل من الله أبكانى وأضحكها　　فالحمد لله عدل كل ما صنعا

اليوم أبكي على قلبي وأندبه　　قلب ألح عليه الحب فانصدعا

ومما تمثل به أيضاً فى مثل ذلك

اما تحسبيني أرى العاشقين ... بلى ثم لستُ أرى لي نظيرا

لعل الذى بيديه الأمور ... سيجعل في الكره خيرا كثيرا

وقال الزبير ابن الأحنف أشعر الناس فى قوله

تعتل بالشغل عنا ما تكلمنا ... الشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ويقول لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرها وشرها الا وهو يصلح أن يتمثل فيه بهذا النصف الأخير

وقال اسحاق لقد ظرُف ابن الأحنف فى قوله يصف طول عهده بالنوم

قفا خبرانى أيها الرجلان ... عن النوم ان الهجر عنه نهانى

وكيف يكون النوم أم كيف طعمه ... صفا النوم لي ان كنتما تصفان

على قلة اعجابه بمثل هذه الأشعار

ورؤى شعر العباس مع سلمة بن عاصم فقيل له في ذلك ، فقال ألا أحمل شعر من يقول

أسأت ان أحسنت ظنى بكم ... والحزم سوء الظن بالناس

يقلقني الشوق فآتيكمُ ... والقلب مملوء من الياس

وقال احمد بن ابراهيم أتانى أعرابى فصيح ظريف فجعلت اكتب عنه أشياء حسانا ، ثم قال أنشدنى لأصحابكم الحضريين ، فأنشدته للعباس بن الأحنف

ذكرتك بالتفاح لما شممته ... وبالراح لما قابلت أوجه الشَّرب

تذكرت بالتفاح منك سوالفا ... وبالراح طعما من مقبَّلك العذب

فقال هذا عندك وأنت تكتب عنى لا أنشدك حرفا بعد هذا

وقال عبد الله بن العباس بن الفضل ما أعرف فى العراق أحسن من قول الأحنف

سبحان رب العلا ما كان أشغلني   عما رمتنى به الأيام والزمن
من لم يذق فرقة الأحباب ثم يرى   آثارهم بعدهم لم يدر ما الحزن

قال حسين بن الضحاك لو جاء العباس بقول ما قاله فى بيتين فى أبيات لعذر وهو قوله

لعمرك ما يستريح المحـــب حتى يبوح بأسراره
فقد يكتم المرء أسراره   فتظهر فى بعض أشعاره

ثم قال أما قوله فى هذا المعنى الذى لم يتقدمه فيه أحد فهو

الحب أملك للفؤاد بقهره   من أن يرى للستر فيه نصيب
واذا بدا سر اللبيب فانه   لم يبد الا والفتى مغلوب

وقال أبو العتاهية ما حسدت احدا الا العباس بن الأحنف فى قوله

اذا امتنع القريب فلم تَنَلْه   على قرب فذاك هو البعيد

وقال الكِندى العباس بن الأحنف مليح ظريف حكيم جزْل فى شعره وكان قليلا ما يرضيني الشعر فكان ينشد له كثيرا

ألا تعجبون كما أعجب   حبيب يسىء ولا يُعتِب
وأبغى رضاه على سخطه   فيأبىَ علىّ ويستصعب
فياليت حظى اذا ما أسأْ   ت أنك ترضى ولا تغضب

وكان ابراهيم الموصلى مشغوفا بشعر العباس فيغنى فى كثير من شعره فمما غنى فيه

وقد ملئت ماء الشباب كأنها   قضيب من الريحان ريّان أخضر
همُ كتمونى سيرهم حين أزمعوا   وقالوا اتّعدنا للرواح وبكّروا

ومنه

تمنى رجال ما أحبوا وانما   تمنيت أن أشكو اليك وتسمعا

أرى كل مَعْشُوقين غيري وغيرها قد استعذبا طول الهوى وتمتعا

ومنه

بكيت عيني لأنواع من الحزن وأوجاع

واني كل يوم عنـ ـدكم يحظى بى الساعى

أعيش الدهر ان عشت بقلب منك مرتاع

وان حل بى البعد سينعانى لك الناعى

وقال الواثق لجلسائه أريد أن أصنع لحنا فى شعر معناه ان الانسان كائنا من كان لا يقدر على الاحتراس من عدوه فهل تعرفون فى هذا شيئاً فأنشدوه ضروبا من الأشعار، فقال ما جئتم بشىء مثل قول العباس بن الأحنف

قلبى الى ما ضرنى داعى يكثر أسقامى وأوجاعى

كيف احتراسى من عدوى اذا كان عدوى بين أضلاعى

أسلمنى للحب أشياعى لما سعى بى عندها الساعى

لقلما أبقى على كل ذا يوشك أن ينعانى الناعي

ومما غنى فيه من شعره

وأبكى الذين أذاقونى مودتهم حتى اذا أيقظونى للهوى رقدوا

وقال ابراهيم بن العباس ما رأيت كلاما محدثا أجزل في رقة ولا اصعب فى سهولة ولا أبلغ فى ايجاز من قول العباس بن الأحنف

تعالَىْ نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول الجفاء ملوم

وأنشد ابراهيم بن العباس للأحنف

ان قال لم يفعل وان سِيلَ لم يَبذُل وان عوتب لم يُعْتِب

صب بعصيانى ولو قال لى لا تشرب البارد لم أشرب

اليك أشكو رب ما حل بى من صد هذا المذنب المغضب

ثم قال هذا والله الكلام الحسن المعنى السهل المورد القريب المتناول المليح اللفظ العذب المستمع، ومما غنى فيه شعره

نام من أهدى لى الأرَقا مستريحا زادنى قلقا
لو يبيت الناس كلهمُ بسهادى بيض الحدقا
كان لي قلب أعيش به فاصطلى بالحب فاحترقا
أنا لم أُرزق مودتكم انما للعبد ما رزقا

وقال ابن المعتز لو قيل ما أحسن شىء تعرفه لقلت شعر العباس بن الأحنف

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرّق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالحب غيركمُ وصادق ليس يدري أنه صدقا

ومما تمثل به الفضل بن الربيع فى أمر كان بينه وبين احدى جواريه

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك إلا تغفر الذنب فى الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم

انشد مخلد الموصلى قصيدته التى يقول فيها

كل شىء أقوى عليه ولكن ليس لي بالفراق منك يدان

فجعل يستحسنه ويردده ،فقال له عبد الله بن ربيعة الرّقى أنت الفداء لمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول « وهو العباس بن الأحنف »

سلبتني من السرور ثيابا وكستني من الهموم ثيابا
كلما أغلقتْ من الوصل بابا فتحت لى الى المنية بابا
عذبيني بكل شىء سوى الصد فما ذقت كالصدود عذابا

قال الرّياشى وقد ذكر عنده العباس بن الاحنف والله لو لم يقل من الشعر الا هذين البيتين لكفيا

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا

صرت كأنى ذُبالة نصبت ... تضىء للناس وهى تحترق
أنت لا تعلمين ما الهم والحز ... ن ولا تعلمين ما الأَرَق

ألف الرشيد العباس بن الاحنف فلما خرج الى خراسان طال مقامه بها ثم خرج الى ارمينية والعباس معه فاشتاق الى بغداد فعارضه في طريقه فأنشده

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ... ثم القفول فقد جئنا خراسانا
ما أقدر الله ان يُدنى على شحط ... سكان دِجلة من سكان جَيحانا
متى الذى كنت أرجوه وآمُله ... أما الذى كنت أخشاه فقد كانا
عين الزمان أصابتنا فلا نظرت ... وعذبت بصنوف الهجر ألوانا

فقال له الرشيد قد اشتقت ياعباس وأذنت لك خاصة وأمر له بثلاثين الف درهم

وقال مصعب الزبيرى العباس بن الأحنف وعمر بن ابى ربيعة ما ابتذلا شعرهما فى رغبة ولا رهبة ولكن فيما احباه فلزما فنا واحدا لو لزمه غيرهما ممن يكثر اكثارهما لضعف فيه

معقل بن عيسى

هو أخو أبى دُلف القاسم بن عيسى العجلى كان فارسا شاعرا جوادا مغنيا فهما بالنغم والوتر وهو القائل لأبى دلف فى عتب عتبه عليه

أخى مالك ترميني فتقْصِدنى ... وان رمينك سهما لم يَجُزْ كبدي
أخى مالك مجبولا على تِرَتى ... كأن أجسادنا لم تُغْذَ من جسد

وهو القائل لمخارق وقد كان زار أبا دلف الى الجبل ثم رجع الى العراق

لعمرى لئن قرت بقربك أعين ... لقد سَخِنت بالبين منك عيون
فسر أو أقم وقف عليك محبتى ... مكانك من قلبى عليك مَصون
فما أوحش الدنيا اذا كنت نازحا ... وما أحسن الدنيا بحيث تكون

ومن قوله يمدح المعتصم (لعله الأمين)

الدار هاجك رسمها وطلولها أم بين سعد يوم جدّ رحيلها

كل شجاك فقل لعينك أعولى ان كان يُغنى فى الديار عويلها

ومحمد زين الخلائف والذى سن المكارم فاستبان سبيلها

ابو شراعة

هو أحمد بن محمد بن شراعة من قيس بن ثعلبة ثم من بكر بن وائل ، وأمه من تميم، شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية جيد الشعر جزْل ليس برقيق الطبع ولا سهل اللفظ وهو كالبدوى فى مذهبه ، وكان فصيحا يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره وكانت به اَوْثة وهَوَج ،

كان أبو شراعة جوادا لا يُليق شيئا ولا يُسأل ما يقدر عليه الا سمح به ، وقف عليه سائل مرة فرمى اليه بنعله وانصرف حافيا فعثر فدَميت اصبعه فقال فى ذلك

ألا لا أبالى فى العلا ما أصابني وان تقبت نعلاى أو حفيت رجلى

فلم تر عيني قط أحسن منظراً من النكب يدْمَى فى المواساة والبذل

ولست أبالي من تأوب منزلى اذا بقيت عندى السراويل أو نعلى

وبلغه أن أخاه يقول ان أخى مجنون قد أفقرنا ونفسه فقال

أأُنْبَز مجنونا اذا جُدْت بالذى ملكت وان دافعت عنه فعاقل

فداموا على الزُّور الذى قرَفوا به ودمت على الاعطاء ما جاء سائل

أبيت وتأبى لى رجال أشحة على المجد تنميهم تميم ووائل

وقال أيضا فى ذلك

لئن كنت فى الفتيان آلوك سيدا كثير شحوب اللون مختلف العصْب

فما لك من مولاك الا حفاظه وما المرء الا باللسان وبالقلب

هما الأصغران الذائدان عن الفتى ... مكارهه والصاحبان على الخطب

فالا أطق سعى الكرام فانني ... أفك عن العانى وأصبر فى الحرب

قال ابراهيم بن المدبر كان عندى أبو شراعة بالبصرة وأنا أتولاها وكان عندى عمير المرى المغنى ، وكان يغنى صوتا يجيده وهو

أتحسب ذات الخال راجية ربا ... وقد صدعت قلبا يجنّ بها حبا

فاقترحه أبو شراعة على عمير ، فقال أعطني دراهم حتى أقبل اقتراحك ، فقال له أبو شراعة أخذ المغني من الشاعر يدل على ضعف الشاعر ولكنى أعرضك لابى اسحق ، فغناه اياه ثلاث مرات وقد شرب عليه ثلاثة أرطال وقال

غدوت الى المرّىّ غدوة فاتك ... مِفَنّ [1] خليع للعواذل والعُذْر

فقال لشيء ما أرى ؟ قلت حاجة ... مغلغلة بين المخنَّق والنَّحر

فلما لوانى يستثيب زجرته ... وقلت اغترف انا كلانا على بحر

أليس ابو اسحق فيه غنى لنا ... فتُجدى على قيس وأجدى على بكر

فغنّى بذات الخال حتى استخفني ... وكاد أديم الارض من تحتنا يجرى

كان أبو شراعة صديقاً لابن المدبر أيام تقلده البصرة وكان لا يفارقه فى سائر أحواله ولا يمنعه حاجة يسأله إياها ولا يشفع لأحد الا شفعه ، فلما عزل ابراهيم بن المدبر شيّعه الناس وشيعه أبو شراعة ، فجعل يرد الناس حتى لم يبق غيره ، فقال له يا أبا شراعة غاية كل مودع الفراق فانصرف راشدا مكلوءا من غير قِلَى والله ولا مَلَال ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فعانقه أبو شراعة وبكى فأطال ثم انشأ يقول

يا أبا اسحاق سر فى دِعَة ... وامض مصحوبا فما منك خلف

ليت شعري أى ارض أجدبت ... فأغيثت بك من جهد العجف

نزل الرحم من الله بهم ... وحرمناك لذنب قد سلف

(١) المفن الذى يأتى بالعجائب

انما أنت ربيع باكر حيثما صرفه الله انصرف

دخل على ابراهيم بن المدبر وعنده منجم فماراه ابراهيم فى رؤية الهلال لشهر رمضان فحكم المنجم بأنه يرى وحلف ابراهيم بعتق غلمانه أنه لا يرى ، فرؤى فى تلك الليلة فأعتق غلمانه، فلما أصبح دخل الناس يهنئونه بالشهر فأنشده أبو شراعة

أيها المكثر التجنى على الما ل اذا ما خلا من السؤال
أفتنا في الذى أعتقت بالأمـس مواليك أم موالي الهلال
لم يكن وكذلك الهلال ولكن تتألى لصالح الاعمال
انما لذتاك فى المال شتى صونك العرض وابتذال المال
ما نبالى اذا بقيت سليما من تولت به صروف الليالي

سقطت داره بالبصرة فعوتب على بنائها وقيل له استعن باخوانك ان عجزت عنه فقال

تلوم ابنة البكرى حين أبوها هزيلا وبعض الآبين سمين
وقالت لحاك الله تستحسن العرا عن الدار ان النائبات فنون
وحولك اخوان كرام لهم غني فقلت لاخوانى الكرام عيون
ذرينى أمت قبل احتلال محلة لهافى وجوه السائلين غضون
سأفدى بمالى ماء وجهى اننى بما فيه من ماء الحياة ضنين

نظر أبو شراعة يوما الى ابنه أبي الفياض وقد سأل عمه حاجة فرده فبكى وقال

حبى لإغناء سوار يجشمنى خوض الدُّجي واعتساف المهمه البيد
كى لا تهون على الأعمام حاجته ولا يعلل عنها بالمواعيد
ولا يوليهمُ إن جاء يسألها أكتاف مقرفة فى العيش مردود
اذا بكى قال منهم ذو الحفاظ له لقد بليت بخلق غير محمود

قال ابو شراعة حججت فأتيت دار سعيد بن سليم فنحرت فيها ناقة وقلت

وردتُ دار سعيد وهي خاليـة   وكان أبيض مطعاما ذُرَى الابل
فارتحت فيها أصيلا عند ذُكرته   وصحبتي بمنًى لاهون في شغل
فابتعت من ابل الجمال دهشرة   موسومة لم تكن بالخفة النضـل
نحرتها عن سعيد ثم قلت لهم   زوروا الحَطيم فانى غير مُرتحل

فبلغ ذلك أولاده فأحسنوا المكافأة وأجزلوا له الصلة

كان بين أبي شراعة وبين بعض بني عمه وحشة ثم صالحوه ودعوه الى طعامهم فأبى ، وقال أمثلي يخرج من صرَم الى طعم ؟ ومن شتيمة الى وليمة ومالي ولـكم مثل الا قول المتلمس

فان تقبلوا بلود نقبـل بمثـله   والا فانا نحن آبَى وأشمس

وقال فيهم

بنى سران ان رثّت ثيـابى   وكلٌّ عن العشيرة فضل مالى
فمطرَّح ومتروك كلامى   وتجفـونى الاقارب والموالى
ألم أكُ من سَراة بـنى نُعيم   أحُلّ البيت ذا العَمَد الطوال
وحولى كل أصيد تَغلبي   أبِيّ الضيم مشـترك النوال
اذا حضر الغـداء فغير مغْن   ويغْنى حين تشتجر العوالى
وأبقـونى فلست بمستكين   اصاحب ثروة أخرى الليالى
ولا بمُمَسح المثرين كيما   أمسح من طعامهمُ سِبالى
انا ابن العنـــبرية أزرتنى   إزار المكرمات ازار حال
فان يكن الغنى مجدا فانى   سأدعو الله بالرزق الحلال

وابنه أبو الفياض سوّار كان شاعرا وكان يهوى قينة بالبصرة اسمها مليحة فدعيت ذات يوم الى مجلس لم يكن حاضره وحضر أبو على البصير ذلك المجلس فجمشها بعض من حضر فلم تلتفت اليه وعرف أبو على ذلك فكتب الى أبي الفياض

لك عندى بشارة فاستمعها وأجبنى عنها أبا الفياض
كنت فى مجلس مليحةُ فيه وهى سقم الصحاح برء المراض
وقديما عهدتنى لست فى حقك والذَّبّ عنك ذا إغماض
فتغفلتها تغفل خصْم وتأملتها تأمل قاض
ورمتها العيون من كل أفق وتشاكوا بالوحى والايماض
من كهول وسادة سُمحاء باللُّهى باخلين بالأعراض
وصفات القيان أولها الغد ر عليه فى وصلهن التراضى
فتشوفت ذاك منها وأعدد ت نكيرى وسوْرتى وامتعاضى
فحمت جانب المزاح وعمتـهم جميعا بالصد والاعراض
وكفانى وفاؤها لك حتى آذن الليل جمعهم بارفضاض

فاجابه أبو الفياض

ليت شعرى ماذا دعاك الى أن هجت شوقى وزدت فى أمراضى
ذكرتنى بشُراك داء قديما من سَقام على لا شك قاض
ان تكن أحسنت مليحة فى وصلى وعاصت رياضة الرُّوّاض
وأقامت على الوفاء ولم ترع لوحى منهمُ ولا ايماض
فعلى صحة الوفاء تعاقد نا وصون النفوس والأعراض
وعلينا من العفاف ثياب هن أبهى من حاليات الرياض
ليت حظى منها سوى النظر المختل وانى به لجذلان راض
لحظات يقعن فى ساحة القلب وقوع السهام فى الأغراض
وابتسام كالبرق أو هو أخفى بين سترى تحرز وانقباض
لا أخاف انتقاضها آخر الدهر بغدر ولا تخاف انتقاضى
فأبن لى ألست تحمد ذا الود وقاك الردى أبو الفياض

وكان ابو شراعة هذا أحد الشعراء الرواة ، قدم مدينة السلام بعد سنة ثلثمائة فكتب عنه أصحاب أبي الفرج قطعات الأخبار واللغة وفات أبا الفرج فلم يلقه وكتب اليه ابو الفياض والى أبيه رحمه الله باجازة واخبرهما بأخبار على يد بعض اخوانهما فكانت أخبار ابيه من ذلك

كتب الى أبي سعيد بن مسلم بن قتيبة يستهديه نبيذا فكتب اليه سعيد ، اذا سألتني جعلني الله فداءك حاجة فأشطط واحتكم فيها حكم الصبي على أهله فان ذلك يسرني وأسارع الى اجابتك فيه ، وأمر له بما التمس من النبيذ ، فرجه صاحب شرابه وبعث به اليه ، فكتب اليه ابو شراعة « أستنسئ الله أجلك ، واستعيذه من الآفات لك ، وأستعينه على شكر ما وهب من النعمة فيك ، انه لذلك ولي وبه ملي ، أتاني غلامك المليح قده ، السعيد بملكتك جده بكتاب قرأته غير مستكره اللفظ ولا مزوّر عن القصد ، ينطق بحكمتك ، ويبين عن فضلك ، فوالله ما أوضح لي خفيا ، ولا زادني بك علما ، واذا أنت تسأل فيه أن تهب ، وتحب أن تحمد ، ولا غرو أن تفعل ذلك ومن كثب أخذته ، وعن كلالة وغير كلالة ورثته ، موسى أبوك وسعيد جدك وعمرو عمك ، ولك دار الصلة ودار الضيافة ، وصاحب البغلة الشهباء ، وحصين بن الحمام وعروة بن الورد ، ففي أي غلوات المجد يطمع قرينك أن يستولي على المدى والأمد ، والأمد دونك ، وكتابك الي أن أتحكم عليك تحكم الصبي على اهله فلشدّ ما جرت الى معروفك ودللت على الأنس بك ، وحاشا للمحكوم له والمحكوم عليه في ذات الحسب العتيق والمنظر الأنيق الذي يسر القلب ويلائم الروح ويطرد الهم

تدبّ خلال شؤون الفتى دبيب دَبى[1] النملة المنتعش
اذا فتحت فغمت ريحها وان سيل خمارها قال خش[2]

(١) الدبى النمل واحدة دباة (٢) كله فارسية تفسيرها طيب

فان كنت رعيت بها عهدا وحفظت لها عندك يدا فانظر رب الحانوت فامطُله دينه، واقطع السبب بينك وبينه، فقد أساء صحبتها، وأفسد بالماء جثتها، وسلط عليها عدوها، واعلم بأن أباك المتمثّل بقوله

يرى درجات المجد لا يستطيعها فيقعد وسط القوم لا يتكلم

وقد بسطت قدرتُك لسانك وأكثرت لك الحمد فدونك نهزة البديهة منه فقال

وبادر بمعروف اذا كنت قادرا زوال افتقار أو غنى منك يعقب

وقد بعثت اليك بقرابة مع الرسول وأنشأت فى أثرها أقول

اليك ابنَ موسى الجود أعملت ناقتى مُجلّله يضفو عليها جلالها

كتوم الوَجى لا تشتكى ألم السُّرَى سواء عليها موتها واعتلالها

اذا شربت أبصرت ما جوفُ بطنها وان ظمئت لم يبدُ منها هُزالها

وان حملت حملا تكلفت حملها وان حط عنها لم أُبَلْ كيف حالها

بعثنا بها تسمو العيون وراءها اليك وما يخشى عليها كلالها

وغنى مغنينا بصوت فشاقني متى راجع من أم عمرو خيالها

أحب لكم قيس بن عيْلان كلها ويعجبنى فرسانها ورجالها

ومالى لا أهوَي بقاء قبيلة أبوك لها بدر وأنت هلالها

فبعث اليه برسوله الذى حمل اليه النبيذ واستملحه فى شعره وبصاحب شرابه وكل ما كان في خزانته من الشراب وبثلثمائة دينار

حلف ألا يشرب نبيذا بطلاق امرأته فهجره حولين ثم حنث فشرب وطلق امرأته وأنشأ يقول

فمن كان لم يسمع عجيبا فانني عجيب الحديث ياأُميم وصادقه

وقد كان لي أُنسان ياأم مالك وكل اذا فتشتني أناعا شقه

عزيزة والكأس الذى من يحلها تخادعه عن عقله فتصادقه

تحاربتا عندى فعطلت دنّها وأكوابها والدهر جم بوائقه

وحرمتها حولين ثم أزالني ... حديث الندامى والنشيد أوافقه

فلما شربت الكأس بانت بأختها ... فبان الغزال المستحب خلائقه

فما أطيب الكأس التي اعتنقت منكم ... ولكنها ليست بريم أعانقه

كان أبو أمامة محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم صديقا لأبي شراعة وكانت أمه سعدى تعوله ، وبلغه أن أبا أمامة يقول انما معاش أبي شراعة من السلطان ورفده ولولا ذلك لكان فقيرا فقال فيه

عيرتني نائل السطان أطلبه ... ياضلَّ رأيك بين الخُرق والنَزَق

لولا امتنان من السطان تجهله ... أصبحت بالسود[1] في مقعوعس خلَق

رثّ الردا بين أهدام مرقعة ... من التى خرمت جنبيه بالحرق

فأين دارك منها وهى مؤمنة ... بالله معروفة الاسلام والشفق

واين رزقك الا من يدى مرَة ... ما بت من مالها الا على سَرَق

تبيت والهر ممدودا عيونكما ... الى تطعمها مخضرة الحدق

ما بين رزقيكما ان قاس ذو فطن ... فرق سوى أنه يأتيك في طبق

شاركته فى صيده للفأر تأكله ... كما تشاركه في الوجه والخُلُق

زاره أبو أمامة فوجد عنده طفشيلا فأكله كله فقال أبو شراعة يمازحه

عين جودى لبُرْمة الطفشيل ... واستهلى فالصبر غير جميل

فجعتنى بها يد لم تدع للذّ ... رفي صحن قِدْرِها من مَقيل

كان والله لحمها من فصيل ... رائع يرتعى كريم البقول

خلطتنا بلحمه عدس الشا ... م الى حِمّص لنا مبلول

فأتتنا كأنها روضة بالحَزْن ... تدعو الجيران للتطفيل

ثم أكفأت فوقها جفنة الحـ ... ـى وعلقت صحفتى فى زَبيل

---

(١) السود موضع تنزله باهلة بالمدينة

فغنى الله لي بفظ غليظ ما أراه يقر بالتنزيل

فانتحى دائبا يذيل منها قلت ان الثريد للتذييل

فتغنى صوتا ليوضح عندى حيَّ أم العلاء قبل الرحيل

ابو الأسد

هو نباته بن عبد الله الشَّيبانى ، شاعر مطبوع متوسط من شعراء الدولة العباسية من أهل الدِّينوَر ، وكان طيباً مليح النوادر مداحا خبيث الهجاء ، وكان صديقا لعلُّوية المغنى الأعسر ينادمه و يواصل عشرته و يصله علوية بالا كابر و يعرضه للمنافع وكان كثيرا ما يغنى فى شعره ، ومما غنى علوية فيه من شعره

محب صده إلفهْ فليس لليله صبح

يقلبه على مَضَض مواعد مالها نجح

له فى عينه غَرَب وفى أحشائه جُرْح

صحا عنه الذى يرجو زيارته وما يصحو

هجا أحمد بن أبى دؤاد فقال

أنت امرؤ غثّ الصنيعة رثُّها لا تُحسن النعمى الى أمثالي

نُعماك لا تعدوك الا لامرىء فى مَسْك(١) مثلك من ذوى الأشكال

واذا نظرت الى صنيعك لم تجد أحدا سموت به الى الأفضال

فاسلم بغير سلامة تُرجى لها الا لسدك خَلة الأنذال

فأدى اليه سلامة وهو عبد الرحمن بن أبى عائشة هذه الأبيات عن أبى الأسد فبعث اليه ببرد واستكفه و بعث بابن عائشة الى مظالم ما سَبذان وقال له قد شركته فى التوبيخ لنا فشركناك فى الصنيعة فان كنتما صادقين فى دعوا كما كنتما من

(١) جلد

الأنذال وان كنتما كاذبين فقد جزيتما بالقبيح حسناً .

وكان سبب هجائه ابن أبي دؤاد انه مدحه فلم يثبه ووعده بالثواب ومطله فكتب اليه

ليتك أدبتني بواحدة … تقنعني منك آخر الأبد
تحلف الا تبرّنى أبدا … فان فيها برْدا على كبدى
اشف فؤادي مني فان به … مني جرحا نكأْته بيدى
ان كان رزقى اليك فارم به … فى ناظرَىْ حية على رصد
قد عشت دهرا وماأقدر أن … أرضى بما قدرضيت من أحد
فكيف أخطأت؟لا أصبت ولا … نهضت من عثرة الى سدد
لو كنت حرا كما زعمت وقد … كددتنى بالمطال لم أعد
صبرت لما أسأت بى فاذا … عدت الى مثلها فُعدْ وعد
فاننى أهل ذاك فى طمعى … وفى خطاى سبيل معتمدى
أبعدنى الله حين يحملنى … حرصى على مثل ذامن الأود
الآن أيقنت بعد فعلك بى … أنى عبد لأعبد فقد
فصرت من سوء مارُميت به … أُكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

كان أبو الأسد منقطعا الي الفيض بن صالح وزير المهدى وفيه يقول

ولا ئمة لامتك يافيض فى الندى … فقلت لها لن يقدح اللوم فى البحر
أرادت لتنهى الفيض عن عادة الندى … ومن ذا الذى يثنى السحاب عن القطر
مواقع جود الفيض فى كل بلدة … مواقع ماء المزن فى البلد القفر
كأن وفود الفيض لما تحملوا … الى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر

وكان أبو الأسد منقطعا قبله الى أبى دلف مدة ، فلما قدم عليه على بن جبلة غلب عليه وسقطت منزلة أبى الأسد عنده فانقطع الي الفيض بعد عزله عن الوزارة

ولزومه منزله وذلك فى أيام الرشيد وفيه يقول

أتيت الفضل مشتكيا زمانى فأعدانى عليه جود فيض
وفاضت كفه بالبذل منه كما كف ابن عيسى ذات غيض

زار ابو الأسد أبا دلف الى الكرج فحجب عنه اياما فقال يعاتبه وكتب بها اليه

ليت شعرى أضاقت الارض عنى أم بفجّ أنا الغداة طريد
أم أنا قانع بأدنى معاش همتى القوت والقليل الزهيد
مِقْوَلى قاطع وسيفى حسام ويدى حرة وقلبي شديد
رب باب أعز من بابك اليو م عليه عساكر وجنود
قد وَلِجناه داخلين غدوا ورواحا وانت عنه مذُود
فاكفُف اليوم من حجابك اذ لست أميرا ولا خميسا تقود
واعترف فى فدافد الصد اذ لست أسيرا ولا علىّ قيود
لايقيم العزيز فى بلد الهُون ولا يكسد الأريب الجليد

وقال أبو الأسد فى صديق له يقال له بسطام كان برّا به

أعدو على مال بسطام فأنْهبُهُ كما أشاء فلا تُثْنى اليّ يدى
حتى كأنى بسطام بما احتكمت فيه يداي و بسطام أبو الأسد

ولما مات ابراهيم الموصلى رثاه بقوله

تولى المَوْصلى فقد تولت بشاشات المزاهر والقيان
واى ملاحة بقيت فتبقى حياة الموصلى على الزمان
ستبكيه المزاهر والملاهى ويُسعدهن عاتقة الدنان
وتبكيه الغويّة اذ تولّى ولا تبكيه تالية القران

فقيل له ويحك فضحته وكان صديقك ، فقال هذه فضيحة عند من لا يعقل أما من يعقل فلا ، وبأى شىء كنت أذكره وأرثيه؟ أبالفقه؟ أم بالزهد ؟ أم بالقراءة؟ وهل يرثى الا بهذا ؟

ليلى بنت طريف

أخت الوليد بن طريف الشارى ، كان رأس الخوارج وأشدهم بأساً وصولة وأشجعهم فكان من بالشّماسية لا يأمن طروقه واشتدت شوكته وطالت أيامه فوجه اليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيبانى نقتله فقالت ليلى ترثيه

بتل نباثى رسم قبر كأنه ... على علم فوق الجبال منيف
تضمن جودا حاتميـــا ونائلا ... وسورة مقدام وقلب حصيف
الا قاتل الله الجُثى حيث أضمرت ... فتى كان بالمعروف غير عنيف
فان يك أرداه يزيد بن مزيد ... فيا رب خيل فضها وصفوف
الا يالقومى للنوائب والردى ... ودهر مُلِحّ بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب اذ هوى ... وللشمس همت بعده بكسوف
أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى ... ولا المال الا من قنا وسيوف
ولا الخيل الا كل جرداء شطبة ... وكل حصان باليدين عروف
فلا تجزعا يا ابنى طريف فانني ... أرى الموت نزالا بكل شريف
فقدناك فقدان الربيع وليتنا ... فديناك من دهمائنا بالوف

ومن قولها أيضاً ترثيه

ذكرت الوليد وأيامه ... اذ الأرض من شخصه بلقع
فأقبلت أطلبه فى السماء ... كما يبتغى أنفه الأجدع
أضاعك قومك فليطلبوا ... افادة مثل الذى ضيعوا
لو ان السيوف التى حدها ... يصيبك تعلم ما تصنع
نبت عنك أو جعلت هيبة ... وخوفا لصولك لا تقطع

على بن الخليل

رجل من أهل الكوفة مولى لمعن بن زائدة الشيباني ويكني أبا الحسن ، كان صالح بن عبد القدوس لا يكاد يفارقه فاتهم بالزندقة وأخذ معه صالح ثم أطلق لما انكشف أمره .

جلس الرشيد بالرافقة للمظالم فدخل عليه على بن الخليل وهو متوكئ على عصا وعليه ثياب نظاف وهو جميل الوجه حسن الثياب في يده قصة ، فلما رآه أمر بأخذ قصته ، فقال له يا أمير المؤمنين أنا أحسن عبارة لها فان رأيت أن تأذن لى فى قراءتها فعلت ، قال اقرأها ، فاندفع ينشده قصيدته

يا خيرَ من وُخِزَت بأرجله ... نُجُبٌ تَخُبُّ بهمه جَلْسِ (١)

تَطوى السباسب فى أزِمَّتها ... طَىَّ التِّجار عمائم البِرْسِ (٢)

لما رأتك الشمس اذ طلعت ... كُسِفت بوجهك طلعة الشمس

خــير البرية أنت كلِّهمُ ... فى يومك الغادى وفى أمس

وكذاك لا تنفك خـيرهمُ ... تُمسى وتُصبح فوق ما تُمسى

لله ماهرون من ملك ... بَرِّ السريرة طاهر النفس

ملك عليه لربه نعم ... تزداد جِدَّتها على اللبس

تحكى خلافته ببهجتها ... أنَق السرور صبيحة العُرْس

من عِتْرة طابت أرومتهم ... أهل العفاف ومنتهى القدس

نُطُقٍ اذا احتُضرت مجالسهم ... وعن السفاهة والخنا خُرْس

فمع السماء فروع نبعتهم ... ومع الحضيض منابت الغرس

متهللين على أسرتهم ... ولدى الهِياج مصاعبٍ شُمْس

(١) الجلس الغليظ من الارض (٢) البرس القطن

انى اليك لجأت من هرب   قد كان شردنى ومن لبَس
واخترت حكمك لا أجاوزه   حتى أوسد فى ثرَى رمسى
لما استخرت الله فى مهل   يممت نحوك رحلة العَنْس
كم قد قطعت اليك مدَّرعا   ليلا بهيم اللون كالنقْس (١)
ان هاجني من هاجس جزَع   كان التوكل عنده تُرسى
ما ذاك الا أنني رجل   أصبو الى بقر من الأنس
بقر أوانس لا قرون لها   نُجْل العيون نواعم لُعْس
ردْع العبير على ترائبها   يقْبلن بالترحيب والخلس
وأشاهد الفتيان بينهمُ   صفراء عند المزج كالورْس
للماء فى حافاتها حبَب   نظم كرقم صحائف الفرس
والله يعلم فى بقيته   ما ان أضعت اقامة الخمس

فأطلقه الرشيد وقتل صالح بن عبد القدوس واحتج عليه فى أنه لا يقبل له توبة بقوله

والشيخ لا يترك أخلاقه   حتى يوارَى فى ثرى رمسه

وقال انما زعمت أنك لا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبدا

ولد ليزيد بن مزيد ابن فأتاه على بن الخليل فقال اسمع ايها الأمير تهنئة بالفارس الوارد، فتبسم وقال هات، فأنشده

يزيد ياابن الصيِّد من وائل   أهل الرِّياسات وأهل المعال
ياخير من أنجبه والد   ليهنك الفارس ليث النزال
جاءت به غراء ميمونة   والسعد يبدو فى طلوع الهلال
عليه من معْن ومن وائل   سيما تباشير وسيما جلال

(١) الحبر

والله يُبقيه لنا سيدا   مدافعا عنا صروف الليال
حتى نراه قد علا منبرا   وفاض فى سؤّاله بالنوال
وسد ثغرا فكفى شره   وقارع الابطال تحت العوال
كما كفانا ذاك آباؤه   فيحتذى أفعالهم عن مثال

فأمر له عن كل بيت بألف دينار

دخل على المهدى فقال له ياعلى انت على معاقرتك الخمر وشربك لها ؟ قال لا والله ياأمير المؤمنين ، قال وكيف ذاك ؟ قال تبت منها ، قال فأين قولك

أولعت نفسى بلذتها   ما ترى عن ذاك اقصارا

وأين قولك اذا ما كنت شاربها فسرا   ودع قول العواذل واللواحي

قال هذا شىء قلته فى شبابى وأنا القائل بعد ذلك

على اللذات والراح السلام   تَقَضَّى العهد وانقطع الذمام
مضى عهد الصبا وخرجت منه   كما من غِمده خرج الحسام
وَقُرْت على المشيب فليس منى   وصال الغانيات ولا المدام
وولى اللهو والقَيْنات عني   كما ولى عن الصبح الظلام
حلبت الدهرَ أَشْطُرَه فعندى   لصرف الدهر محمود وذام

ومن قوله وفيه غناء

هل لدهر قد مضى من معَاد   أو لهمّ داخل من نفاد
أذكرتني عيشةً قد تولت   هاتفات تحن فى بطن واد
هجن لى شوقا وألهبن نارا   للهوى فى مستقر الفؤاد
بان أحبابى وغودرت فردا   نصب ما سر عيون الاعادى

دخل ذات يوم الى معن بن زائدة فحادثه وناشده ثم قال له معن هل لك فى الطعام ؟ قال اذا نشط الأمير ، فأتيا بالطعام فأكلا ، ثم قال له هل لك فى الشراب ؟

قال ان سقيتني ما أريد شربت وان سقيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه، فضحك ثم قال قد عرفت الذي تريد وأنا أسقيك منه ، فأتى بشراب عتيق ، فلما شرب وطابت نفسه أنشأ يقول

يا صاح قد أنعمت إصباحي ببارد السلسال والراح
قد دارت الكاس برقراقة حياة أبدان وأرواح
تجري على أصيد ذي رونق مهذب الأخلاق جحجاح
ليس بفحاش على صاحب ولا علي الراح بفضاح
تسره الكاس اذا أقبلت بريح أترج وتفاح
يسعى بها أزهر في قرطق مقلد الجيد بأوضاح [1]
كأنها الزهرة في كفه أو شعلة في ضوء مصباح

كان لعلي صديق من الدهاقين يعاشره ويبره فغاب عنه مدة طويلة وعاد الى الكوفة وقد أصاب مالا ورفعة وقويت أحواله فادعى أنه من بني تميم ، فجاءه علي بن الخليل فلم يأذن له ولقيه فلم يسلم عليه فقال يهجوه

يروح بنسبة المولى ويصبح يدعي العربا
فلا هذا ولا هذا ك يدركه اذا طلبا
أتيناه بشبوط [2] ترى في ظهره حدبا
فقال أما ابخلك من طعام يذهب السغبا
فصد لأخيك يربوعا وضبا واترك اللعبا
فرشت له قريح [3] المسك والنسرين والغربا

---

(١) الاوضاح حلي من الفضة واحده وضح بفتحتين
(٢) الشبوط سمك رقيق الذنب عريض الوسط لين المس
(٣) القريح الخالص والنسرين ورد أبيض عطري قوي الرائحة

فأمسك أنفه عنها ... وقام موليا هربا
يشم الشيح والقيصو[1] ... م كي يستوجب النسبا
وقام اليه ساقينا ... بكأس تنظم الحببا
معتقة مروقة ... تسلي هم من شربا
فآلي لا يسلسلها ... وقال اصبب لنا حببا
وقد أبصرته دهرا ... طويلا يشتهي الأدبا
فصار تشبها بالقو ... م جلفا جافيا جشبا[2]
اذا ذكر البرير[3] بكى ... وأبدى الشوق والطربا
وليس ضميره في القو ... م الا النين والعنبا
جحدت أباك نسبته ... وأرجو أن تفيد أبا

وأنشد له اسحق بن ابراهيم هذه الأبيات

يأيها الراغب عن أصله ... ما كنت في موضع تهجين
متى تعربت وكنت امرأ ... من الموالى صالح الدين
لو كنت اذصرت الى دعوة ... فزت من القوم بتمكين
لكف من وجدي ولكنني ... أراك بين الضب والنون
فلو تراه صارفا أنفه ... من ريح خيري ونسرين
اقلت جلف من بني دارم ... حن الى الشيح بيبرين
دعموص رمل زل عن صخرة ... يعاف أرواح البساتين
تنبو عن الناعم أعطافه ... والخز والسنجاب واللين

---

(١) القيصوم نبات ذهبي الزهر ورقه كالسذاب وثمرة كحب الآس الى غبرة طيب الرائحة يتداوى به

(٢) جشب الرجل ككرم ساء مأكله

(٣) البرير أول ما يظهر من ثمر الاراك

كان عافية بن يزيد يصحب ابن عُلاثة القاضى فأدخله الى المهدى فاستقضاه معه بعسكر المهدى ، وكانت قصة يعقوب مع أبى عبيد الله كذلك ، أدخله الي المهدى ليعرض عليه فغلب عليه فقال على بن الخليل فى ذلك

عجبا لتصريف الأمو ... ر مسرة وكراهية
دبت ليعقوب بن دا ... ود حبال معاوية
وعدت على ابن عُلاثة الـ ... ـقاضى بوائق عافية
أدخلته فعلا عليـ ... ـك كذاك شؤم الناصية
وأخذت ضيفك جاهدا ... بيمينك المتراخية
يعقوب ينظر في الأمو ... ر وأنت تنظر ناحية

كان جالسا مع بعض ولد المنصور وكان الفتى يهوى جارية لعتبة مولاة المهدى ، فمرت به عتبة فى موكبها والجارية معها ، فوقفت عليه وسلمت وسألت عن خبره ، فلم يوفها حق الجواب لشغل قلبه بالجارية ، فلما انصرفت أقبل عليه على فقال له

راقب بطرفك من تخا ... ف اذا نظرت الي الخليل
فاذا أمنت لحاظهم ... فعليك بالنظر الجميل
ان العيون تدل بالنـ ... ـظر المليح على الرحيل
اما على حب شديـ ... ـد أو على بغض أصيل

كان يصحب بعض ولد جعفر بن المنصور فكتب اليه والبة بن الحُباب يدعوه ويسأله ألاّ يشتغل بالهاشمى يومه ذلك عنه ويصف له طيب مجلسه وغناء حصله ، فكتب اليه على

اما ولحاظ جارية ... تُذيب حُشاشة المُهج
وسحر جفونها المضنـ ... ـيك بين الفتْر والدَّعج
مليحة كل شيء ما ... خلا من خلْقها السَّمِج

وحرمة ذلك المبذو ل والصهباء منه تجي

كأن بجيبها فى الكا س حين تصب من ودج

لو انعرج الأنام الى بشاشة مجلس بهج

وكنت بجانب جدب لكان اليك منعرجي

وصار اليه فى أثر الرقعة

ابان بن عبد الحميد اللاحقي

هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق مولى بني رَقاش (بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون الى أمهم واسمها رقاش وهم مالك وزيد مناة وعامر بنو شيبان بن ذُهل)

شكا مروان بن أبي حفصة الى بعض اخوانه تغير الرشيد عليه وامساك يده عنه فقال له ويحك أتشكو الرشيد بعد ما أعطاك ؟ قال أو تعجب من ذلك ؟ هذا أبان اللاحقي قد أخذ من البرامكة بقصيدة قالها واحدة مثل ما أخذته من الرشيد في دهري كله سوى ما أخذه منهم ومن أشباههم بعدها

وكان أبان نقل للبرامكة كتاب كليلة ودِمْنة فجعله شعرا ليسهل حفظه عليهم وهو معروف اوله

هذا كتاب أدب ومحنة وهو الذى يدعى كليلة دمنة

فيه احتيالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند

فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ولم يعطه جعفر شيئا وقال ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك ؟ وعمل أيضا القصيدة التى ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئا من المنطق وسماها ذات الحلل

وقد جعل اليه يحيى بن خالد امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز

ومن قوله يمدح الفضل بن يحيى وفيه غناء

لقد بَرَّزَ الفضل بن يحيى ولم يزل يسامى من الغايات ما كان أرفعا
يراه أمير المؤمنين لملكه كفيلا لما أعطى من العهد مقنعا
قضى بالتي شدت لهرون ملكه وأحيت ليحيى ملكه فتمتعا
لئن كان من أسدى القريض أجاده لقد صاغ ابراهيم فيه فأوقعا

وكان أبان صديقا للمعذل بن غيلان وكانا مع صداقتهما يتعاباثان بالهجاء فيهجوه المعذل بالكفر وينسبه الي الشؤم ويهجوه أبان وينسبه الى الفُساء الذى تهجى به عبد القيس وبالقصر وكان المعذل قصيرا، فسعى فى الاصلاح بينهما ابو عيينة المهلبي فقال له أخوه عبد الله وهو أسن منه يا أخي ان فى هذين شرا كثيرا ولا بد من أن يخرجاه فدعهما ليكون شرهما بينهما والا فرقاه على الناس

قال أبان يهجو المعذل

أحاجيكمُ ما قوس لحم سهامها من الريح لم توصل بقدّ ولا عقب
وليست بشُرْيان وليست بشوحَط وليست بنبع لا وليست من الغرب
الا تلك قوس الدحْدحى معذَّل بها صار عبْديا وتم له النسب
تصُكّ خياشيم الأنوف تعمدا وان كان راميها يريد بها العقِب
فان تفتخر يوما تميم بحاجب وبالقوس مضمونا لكسرى بها العرب
فحيٌّ ابن عمرو فاخرون بقوسه وأسهمه حتى يغلب من غلب

فقال المعذل فى جواب ذلك

رأيت أبانًا يوما فطر مصليا فقسم فكرى واستفزنى الطرب
وكيف يصلى مظلم القلب دينه على دين مان ان ذاك من العجب

ومن قوله يهجو أبا النضير

اذا قامت بواكيك وقد هتكن أستارك
أيثنين على قبر ك أم يلعنّ أحجارك
وما تترك فى الدنيا اذا زرت غدا نارك
ترى في سقر المثوى وابليس غدا جارك

بلى تترك بواقيك ودنياك وأوتارك
وخمسا من بنات اللي ل قدأُلبسن َأطمارك
تعالى الله ما أقبح اذ وليت أدبارك

خرج أبان من البصرة طالبا للاتصال بالبرامكة وكان الفضل بن يحيى غائبا فقصده فأقام ببابه مدة مديدة لا يصل اليه فتوسل الى من وصل له شعرا اليه وقال له

ياعزيز الندى وياجوهر الجو هر من آل هاشم بالبطاح
ان ظني وليس يخلف ظني بك في حاجتي سبيل النجاح
ان من دونها لُمصمَت باب أنت من دون قُفْله مفتاحي
تاقت النفس ياخليل السماح نحو بحر الندى مُجارى الرياح
ثم فكرت كيف لي واستخرت الله عند الامساء والاصباح
وامتدحت الامير أصلحه الله بشعر مشهرَّ الأوضاح

فقال هات مديحك فأعطاه شعرا في هذا الوزن وقافيته

أنا من بُغية الامير وكنز من كنوز الأمير ذو أرباح
كاتب حاسب خطيب أديب ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الريـ ـشة مما يكون عند الجناح

وهي طويلة يقول فيها

ان دعاني الامير عاين مني شمَّريا كالبلبل الصياح

فدعا به ووصله ثم خص بالفضل وقدم معه فقرب من قلب يحيى بن خالد وصار صاحب الجماعة وزمام أمرهم

عاتب البرامكة على تركهم ايصاله للرشيد وايصال مديحه اليه ، فقالوا له ما تريد من ذلك ؟ فقال أريد أن أحظى منه بمثل مايحظى به مروان بن أبي حفصة، فقال ان لذلك مذهبا في هجاء آل أبي طالب وذمهم به يحظى وعليه يعطي فاسلكه حتى نفعل ؛ قال لا أستحل ذلك، قالوا فما تصنع ؟ لا يجيء طلب الدنيا الا بما لا يحل

فقال أبان

نَشَدت بحق الله من كان مسلما أعمُّ بما قد قلته العجم والعرب
أعمُّ رسول الله أقرب زُلفة لديه أم ابن العم في رتبة النسب
وأيهما أولي به وبعهده ومن ذا له حق التُّراث بما وجب
فان كان عباس أحق بتلكمُ وكان عليٌّ بعد ذاك على سبب
فأبناء عباس هم يرثونه كما العم لابن العم في الارث قد حجب

وهى طويلة

فقال الفضل ما يرد على أمير المؤمنين اليوم شيء أعجب من أبياتك، فركب فأنشدها الرشيد فأمر لأبان بعشرين الف درهم، ثم اتصل مدحه الرشيد بعد ذلك وخص به

كان فى جوار أبان رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد وكان عدوا لأبان فتزوج بعمارة بنت عبد الوهاب الثقفى وكانت موسرة فقال أبان يهجوه ويحذرها منه

لما رأيت البزَّ والشارة والفرش قد ضاقت به الحارة
واللوز والسكر يرمى به من فوق ذى الدار وذى الدارة
وأحضروا الملهين لم يتركوا طبلا ولا صاحب زَمّارة
قلت لماذا؟ قيل أعجوبة محمد زُوِّج عَمّارة
ماذا رأت فيه وماذا رجت وهى من النسوان مختاره
أسود كالسفّود ينسى لدى التَّنُّور بل محراك[1] قيارة
يجرى على أولاده خمسة أرغفة كالريش طيارة
وأهله فى الأرض من خوفه ان أفرطوا في الأكل سيارة
ويحك فِرِّى واعصى ذاك به فهذه أختك فرارة
اذا غفا الليل فاستيقظى ثم اطفري[2] إنك طفارة
فصعدت نائلة سلما تخاف أن تصعده الفارة

١ القيارة محل اسالة القار ٢ طفر وثب في ارتفاع

سرور غرتها فلا أفلحت فانها الأخناء غرارة

لو نلت ما أبعدت من ريقها ان لها نفثة سحارة

فلما بلغت هذه القصيدة عمارة هربت ، فحرم من جهتها مالا عظيما ، والثلاثة الأبيات الاخيرة التى أولها « فصعدت نائلة سلما » زادها فى القصيدة بعد أن هربت.

جلس أبان ليلة فى قوم فثلب أبا عبيدة فقال يقدح فى الانساب ولا نسب له ، فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال فى مجلسه لقد أغفل السلطان كل شىء حين أغفل أخذ الجزية من أبان اللاحقى وهو وأهله يهود وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة وليس فيها مصحف، وأوضح الدلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعى حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصلى به، فبلغ ذلك أبان فقال

لا تنمّنّ عن صديق حديثا واستعذ من تسرر النّمام

واخفض الصوت ان نطقت بليل والتفت بالنهار قبل الكلام

قال عيسى بن اسمعيل كنا في مجلس أبي زيد الانصارى فذكروا أبان بن عبد الحميد فقالوا كان كافرا ، نغضب أبو زيد وقال كان جارى فما فقدت قراءته في ليلة قط

كان لأبان جار وكان يعاديه فاعتل علة طويلة وأرجف أبان بموته ، ثم صح من علته وخرج فجلس على بابه فكانت علته من السل وكان يكنَى أبا الاطول فقال له أبان

أبا الأطول طولت وما ينجيك تطويل

بك السل ولا والله ما يبرأ مسلول

فلا يغررك من ظنك أقوال أباطيل

أرى فيك علامات وللأسباب تأويل

هزالا قد بري جسمك والمسلول مهزول

وذبّانا حواليك فموقوذ ومقتول
وحمّى منك فى الظهر فأنت الدهر مملول
وأعلاماً سوى ذاك تواريها السراويل
ولو بالفيل مما بك عشر ما نجا الفيل
فما هذا على فيك قُلاع أم دماميل
وما زال مناجيك يولى وهو مملول
لقد كاد من الخوف لقد سال بك النيل
وذا داء يزجيك فلا قال ولا قيل

فلما أنشده هذا الشعر أرعد واضطرب ودخل منزله فما خرج منه بعد ذلك حتى مات

شعراء تغلب

العتابى

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب العتّابى التغلبى من ولد عتاب بن أسيد ثم من بني تغلب بن وائل، شاعر مترسل بليغ مطبوع متصرف فى فنون الشعر مقدم من شعراء الدولة العباسية، وكان منقطعا الى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به فبلغ عنده كل مبلغ وعظمت فوائده منه

قال احمد بن سهل تذاكرنا شعر العتابى فقال بعضنا فيه تكلف ونصره بعضنا، فقال شيخ حاضر ويحكم أيقال إن فى شعره تكلفا وهو القائل

رسل الضمير اليك تترى بالشوق ظالعة وحسرى
متزجيات ما ينِين على الوجا من بعد مسرى
ما جفّ للعينين بعدك ياقرير العين مجرى
فاسلم سلمت مبرأ من صبوتى أبدا معرّى

ان الصبابة لم تدع مني سوى عظم مُبَرَّى
ومدامع عَبْرَى على كبد عليك حَرَّى

أو يقال إنه متكلف وهو الذى يقول –

فلو كان للشكر شخص يبين اذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه لتعلم انى امرؤ شاكر

كتب المأمون في إشخاص كلثوم العتابى ، فلما دخل عليه قال يا كلثوم بلغتنى وَفاتك فساءتني ثم بلغتنى وِفادتك فسرتني ، فقال له العتابى يأمير المؤمنين لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتاهم فضلا وانعاما وقد خصصتنى منهما بما لايتسع له أُمنيَّة ولا يبسط لسواه أمل لأنه لا دين الا بك ولا دنيا الا معك ، فقال له سلنى ، فقال يدك بالعطاء أطلق من لسانى بالسؤال ، فوصله صلات سنية وبلغ به من التقديم والاكرام أعلى محل

وجد الرشيد على العتابى فدخل سرا مع المتظلمين بغير اذن فمثل بين يدي الرشيد وقال له يأمير المؤمنين قد آذتنى الناس لك ولنفسى فيك ، وردنى ابتلاؤهم الى شكرك ، وما مع تذكرك قناعة بغيرك ، ولنعم الصائن لنفسى كنت لو أعانني الصبر ، وفى ذلك أقول

أَخضْنِي المقام الغَمْرَ ان كان غرنى سنا خُلَّب أو زلت القدمان
أتتركنى جدب المعيشة مُقترا وكفاك من ماء الندى تكفان
وتجعلني سهم المطامع بعد ما بَلَلْت يمينى بالندى ولسانى

فأعجب الرشيد قوله وخرج وعليه الخلع وقد أمر له بجائزة

جاء العتابى وهو حدث الى بشار فأنشده

أتصدف عن أمامة أم تقيم وعهدك بالصبا عهد قديم
أقول لمستطار القلب عفٍّ على عزماته السير العديم

أما يكفيك أن دموع عيني شآبيب يَفِيض بها الهموم
أَشيم فلا أرد الطرف الا على أرجائه مـــاء سَجُوم

فمد بشار يده اليه ثم قال له أنت بصير قال نعم قال عجبا لبصير أن يقول هذا الشعر

كلم العتابى يحيى بن خالد فى حاجة بكلمات قليلة فقال له يحيى لقد نَزُر كلامك اليوم وقل ، فقال له وكيف لا يقل وقد تكنفنى ذل المسألة وحيرة الطلب وخوف الرد ؟ فقال والله لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده ، وقضى حاجته

قال يحيى بن خالد البرمكى لولده ان قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابى فضلا عن رسائله وشعره فلن تَرَوْا أبدا مثله

وقف العتابى بباب المأمون يلتمس الوصول اليه فصادف يحيى بن أكثم جالسا ينتظر الاذن فقال له ان رأيت أعزك الله أن تذكر أمري لأمير المؤمنين اذا دخلت فافعل ، قال له لست أعزك الله بحاجبه ، قال فان لم تكن حاجبا فقد يفعل مثلك ما سألت ، واعلم أن الله عز وجل جعل فى كل شىء زكاة وجعل زكاة المال رِفْدَ المستعين ، وزكاة الجاه إغاثة الملهوف ، واعلم أن الله عز وجل مقبل عليك بالزيادة ان شكرت أو التغيير ان كفرت ، وانى لك اليوم أصلح منك لنفسك لأنى أدعوك الى ازدياد نعمتك وأنت تأبى ، فقال له يحيى أفعل وكرامة ، وخرج الاذن ليحيى فلما دخل لم يبدأ بشىء بعد السلام الا ان استأذن المأمون للعتابى ، فأذن له

قال العتابى لرجل اعتذر اليه انى ان لم أقبل عذرك كنت ألأم منك وقد قبلت عذرك فدم على لوم نفسك فى جنايتك نزد فى قبول عذرك والتجافى عن هفوتك ، وقيل له لو تزوجت ، فقال انى وجدت مكابدة العفة أيسر علىّ من الاحتيال لمصلحة العيال

قال دعبل ما حسدت أحدا قط على شعر كما حسدت العتابى على قوله

هيبة الاخوان قاطعة لأخى الحاجات عن طلبه
فاذا ما هِبْتَ ذا أمل مات ما أملت من سببه

دخل العتابى على عبد الله بن طاهر فمثل بين يديه وأنشده

حسن ظنى وحسن ما عود اللـــه سوائى منـك الغداة أتى بى
أى شىء يكون أحسن من حسـ ـن يقين حدا اليك ركابى

فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه من الغد فأنشده

ودك يكفينيك فى حاجتى ورؤيتى كافية عن سؤال
وكيف أخشى الفقر ماعشت لى وهذه كفاك لي بيت مال

فأمر له بجائزة ، ثم دخل عليه فى اليوم الثالث فأنشده

بهجات الثياب يُخلقها الدهـــر وثوب الثناء غضّ جديد
فا كسُنى ما يَبيد أصلحك اللـــه فالله يكسوك ما لا يبيد

فأمر له بجائزة وأنعم عليه بخلعة سنية

قال طوق بن مالك للعتابى أما ترى عشيرتك (بنى تغلب) كيف تُدِلّ علىّ وتتمرغ وتستطيل وأنا أصبر عليهم ؟ فقال العتابى أيها الأمير ان عشيرتك من أحسن عشرتك ، وان عمك من عمّك خيره ، وان قريبك من قرب منك نفعه وان أخف الناس عندك أخفهم ثقلا عليك وأنا الذي أقول

انى بلوت الناس فى حالاتهم وخبرت ما وصلوا من الأسباب
فاذا القرابة لا تقرب قاطعا واذا المودة أقرب الأنساب

كان العتابى جالسا ذات يوم ينظر في كتاب فمر به بعض جيرانه فقال أيش ينفع العلم والادب من لا مال له ؟ فأنشد العتابى قوله

ياقاتل الله أقواما اذا ثقفـــوا ذا اللب ينظر فى الآداب والحكم
قالوا وليس بهم الا نفاستـــه أنافع ذا من الاقتار والعدم

وليس يدرون ما الحظ الذى حرموا « لحاهم الله » من علم ومن فهم

لما سعى منصور النمرى بالعتابى الى الرشيد اغتاظ عليه فطلبه فستره جعفر بن يحيى عنه مدة وجعل يستعطفه عليه حتى استل ما فى نفسه وأمنه فقال يمدح جعفر بن يحيى

ما زلتُ في غمرات المـوت مطَّرَحا قدضاق عنى فسيح الأرض من حيلى

ولم تزل دائبا تسعى بلطفـك لى حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

عاد عبد الله بن طاهر واسحق بن ابراهيم بن مُصْعَب كلثومَ بن عمرو العتابى فى علة اعتلها فقال الناس هذه خَطْرَة خطرت فبلغ ذلك العتابى فكتب الى عبد الله ابن طاهر

قالوا الزيارة خطرة خطرت وبحار بِرِّك ليس بالخطر

أبطل مقالتهم بثانيـــة تستنفد المعروف من شكرى

فلما بلغت أبياته عبدالله بن طاهر ضحك من قوله وركب هو واسحق فعاداه مرة ثانية .

عتب عبـد الله بن هشام بن بسطام التغلبى على العتابى فى شىء بلغه عنـه فكتب اليه

لقد سُمتنى الهجران حتى أذقتنى عقوبات زلاَّتى وسوء مناقبى

فها أنا ساع فى هواك وصابر على حد مصقول الغرارين قاضب

ومنصرف عما كرهت وجاعل رضاك مثالا بين عينى وحاجبى

فرضى عنه ووصله صلة سنية

عتب الرشيد على العتابى أيام الوليد بن طريف فقطع عنه أشياء كان عوده إياها فأتاه متنصلا بهذه القصيدة

ماذا شجاك بحُوَّارين من طلل ودِمْنة كشفت عنها الأعاصير

شجاك حتى ضمير القلب مشترك ... والعين انسانها بالماء مغمور
فى ناظرىّ انقباض عن جفونهما ... وفى الجفون عن الآماق تقصير
لو كنت تدرين ما شوقى اذا جعلت ... تنأى بنا وبك الأوطان والدور
علمت أن سرنى ليلى ومطلعى ... من بيت نَجْران والغَوْرين تغوير
اذ الركائب مخسوف نواظرها ... كما تضمنت الدهنَ القوارير
نادتك أرحامنا اللاتى تمتّ بها ... كما تنادى خليّ الجلّة الخُور[1]
مستنبط عزمات القلب من فكر ... ما بينهنّ وبين الله معمور
فتّ المادح الا أن أنفسنا ... مستنطقات بما تحوى الضمائر
ماذا عسى يُثْنى عليك وقد ... ناداك فى الوحى تقديس وتطهير
ان كان منا ذووافك ومارقة ... وعصبة دينها العدوان والزور
فان منا الذى لا يُستحث اذا ... حُثّ الجياد وحازتها المضامير
ومن له ثقة السفاح عندكمُ ... مجرب من بلاء الصدق مخبور
الآن قد بعدت فى خطو طاعتكم ... خطاهمُ حيث يحتل العشائر

يعنى يزيد بن مزيد وهشام بن عمرو التغلبى وهو من ولد سفيح بن السفاح ، فرضى عنه ورد أرزاقه ووصله

كانت له امرأة من باهلة فلما مضى الى رأس عين قالت له هذا منصور النَّمَرى قد أخذ الأموال فحلى نساءه وبنى داره واشترى ضياعا وأنت ههنا كما ترى ، فأنشأ يقول

تلوم على ترك الغنى باهلية ... زوى الفقر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفُلْن فى الثرى ... مقلدة أعناقها بالقلائد
أسرك أنى نلت ما نال جعفر ... من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أعضنى ... مَعَضَّهما بالمرهفات البوارد

١ الخور النوق الغزر اللبن والجلة هنا المسان من الابل والخلى واحدها خلية وهى التى عطفت على ولدها

رأيت رفيعات الأمور مشوبة بمستودعات فى بطون الأساود
دعبنى تجنى ميتق مطمئنـــة ولم أتجشم هول تلك المـوارد

لما قدم العتابى مدينة السلام على المأمون أذن له، فدخل عليه وعنده اسحق ابن ابراهيم الموصلى ، وكان العتابى شيخا جليلا نبيلا ، فسلم ، فرد عليه وأدناه وقربه حتى قرب منه فقبل يده ، ثم أمره بالجلوس فجلس وأقبل عليه يسائله عن حاله وهو يجيبه بلسان ذُلَق طُلَق ، فاستظرف المأمون ذلك وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح ، فظن الشيخ أنه استخف به فقال يأمير المؤمنين الايناس قبل الابساس[١] ، فاشتبه على المأمون قوله، فنظر الي اسحق مستفهما، فأومأ اليه وغمزه على معناه حتى فهم، فقال ياغلام ألف دينار ، فأتى بذلك فوضع بين يدى العتابى وأخذوا فى الحديث، وغمز المأمون اسحق بن ابراهيم عليه فجعل العتابى لا يأخذ في شيء الا عارضه اسحق، فبقى العتابى متعجبا ، ثم قال يا أمير المؤمنين أتأذن لى فى سؤال هذا الشيخ عن اسمه ؟ قال نعم سل ، فقال لاسحق ياشيخ من أنت وما اسمك ؟ قال أنا من الناس واسمى كل بصل ، فتبسم العتابى وقال أما أنت فمعروف وأما الاسم فمنكر ، فقال اسحق ما أقل انصافك أتنكر أن يكون اسمى كل بصل واسمك كلثوم وكلثوم من الاسماء أو ليس البصل أطيب من الثوم ؟ فقال له العتابى لله درك فما أحجك أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى أن أصله بما وصلتنى به ؟ فقال المأمون بل ذلك موفر عليك ونأمر له بمثله، فقال له اسحق أما اذ أقررت بهذه فتوهمنى تجدنى ، فقال ما أظنك الا اسحق الموصلى الذى يتناهى الينا خبره ، قال أنا حيث ظننت ، وأقبل عليه بالتحية والسلام ، فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما أما اذ قد اتفقتما فانصرفا متنادمين، فانصرف العتابى الى منزل اسحق فأقام عنده

قال عثمان الوراق رأيت العتابى يأكل خبزا على الطريق بباب الشام، فقلت له ويحك أما تستحيي؟ فقال لى أرأيت لو كنا فى دار بها بقر كنت تستحي

١ الابساس دعوة الناقة الى الحلب

ونحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ فقال لا ، قال فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر ، فقام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال لهم روي لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار ، فما بقي أحد الا وأخرج لسانه يومىء به نحو أرنبة أنفه ويقدّره حتى يبلغها أم لا ، فلما تفرقوا قال لي العتابي ألم أخبرك أنهم بقر ؟

قال الفضل رأيت العتابي بين يدي المأمون وقد أسن فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده واعتمد الشيخ على المأمون فما زال المأمون ينهضه رويدا رويدا حتى أقلّه فنهض ،

شكا منصور النمري العتابي الى طاهر بن الحسين ، فوجه طاهر الى العتابي فأحضره وأخفى منصورا في بيت قريب منهما وسأل طاهر العتابي أن يصالحه ، فشكا سوء فعله به ، فسأله أن يصفح عنه ، فقال لا يستحق ذلك ، فأمر منصورا بالخروج ، فخرج وقال للعتابي لم لا أستحق هذا منك فأنشأ العتابي يقول

أصحبتك الفضل اذ لا أنت تعرفه ... حقا ولا لك في استصحابه أرب

لم ترتبطك على وصلي محافظة ... ولا أعاذك مما اغتالك الأدب

ما من جميل ولا عُرْف نطقت به ... الا اليّ وان أنكرت تنتسب

فأصلح طاهر بينهما وكان منصور من تعليم العتابي وتخريجه ، وأمر طاهر للعتابي بثلاثين ألف درهم

الرقاشي

هو الفضل بن عبد الصمد مولي رَقاش وهو من ربيعة ، وكان مطبوعا سهل الشعر نقي الكلام وقد ناقض أبا نواس ، وكان الفضل منقطعا الى آل برمك مستغنيا بهم عن سواهم وكانوا يصولون به على الشعراء ويروّون أولادهم شعره ويدونونها القليل والكثير منها تعصبا له وحفظا لخدمته وتنويها باسمه وتحريكا لنشاطه ، فحفظ ذلك لهم ، فلما نكبوا صار اليهم في حبسهم فأقام معهم مدة أيامهم ينشدهم ويسامرهم

حتى ماتوا ثم رثاهم فأكثر من رثائهم فمن ذلك قوله فى جعفر

كم هاتف بك من باك وباكية ... ياجعف للضيف اذ تدعى وللجار
ان يَعْدَم القطر كنت المزن بارقه ... لمع الدنانير لاما خيل السارى

وقوله

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... اذا لم تُصبه فى الحياة المعاير
وما أحد حى وان كان سالما ... بأسلم ممن غيبته المقابر
ومن كان مما يُحدِث الدهرُ جازعا ... فلابد يوما أن يرى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مقصَر ... وليس على الأيام والدهر غابر
وكل شباب أو جديد الى البلى ... وكل امرىء يوما الى الله صائر
فلا يبعدنك الله عني جعفرا ... بروحى ولو دارت على الدوائر
فآليت لا أنفك ابكيك ما دعت ... على فنَن ورقاء او طار طائر

لما دارت الدوائر على آل برمك وأمر بقتل جعفر بن يحيى وصلب جثته اجتاز به الرقاشي وهو على الجذع فوقف يبكى أحر بكاء ثم أنشأ يقول

أما والله لولا خوف واش ... وعين للخليفة لا تنام
لطُفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى ... حساما حتفه السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعا ... ودولة آل برمك السلام

فكتب أهل الأخبار بذلك الى الرشيد فقال ما حملك على ما قلت؟ فقال يا أمير المؤمنين كان الي محسنا فلما رأيته على الحال التي هو عليها حركني احسانه فما ملكت نفسى حتى قلت الذى قلته، قال وكم كان يجرى عليك؟ قال الف دينار فى كل سنة قال انا قد اضعفناها لك

كان الرقاشي يجلس الى اخوان له يحدثهم ويألفونه ويأنسون به فتفرقوا فى طلب

المعاش وترامت بهم الاسفار ، فمر الرقاشي بمجلسهم الذى كانوا يجلسون فيه فوقف فيه طويلا ثم استعبر وقال

لولا التطير قلت غيَّركم ريب الزمان نخنتم عهدى
دَرَست معالمُ كنت آلفُها من بعدكم وتغيرت عندى

ومن قوله وفيه غناء

آثار رَبْع قَدُما أعيا جوابا صمما
سَحّت عليهم دِيَمٌ بمائها فانهدما
كان لسُعْدَى علما فصار وحشا رمما
أيام سعدى سَقَم وهى تداوى السقما

ومن قوله يصف جارية

صفات وحسن أورثا القلب لوعة تضرم فى أحشاء قلب متيم
تمثلها نفسى لعينى فأنثنى عليها بطرف الناظر المتوسم
ويحملني حبى لها فوق طاقتي من الشوق دأب الحائر المتقسم

شعراء تميم

ابو محمد اليزيدى

هو يحيى بن المبارك أحد بنى عدى بن عبد شمس بن زيد مناة بن تميم ، وقيل له اليزيدى لاتصاله بيزيد بن منصور خال المهدى وهو الذى وصله بالرشيد فلم يزل معه وأدب المأمون خاصة من ولده ، ولم يزل أبو محمد وأولاده منقطعين اليه والى ولده ولهم فيهم مدائح كثيرة جياد — وكان أبو محمد عالما باللغة والنحو راوية للشعر متصرفا فى علوم العرب أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوى واكابر البصريين وقرأ القرآن على أبى عمرو وجود قراءته ورواها عنه وهى المعول عليها فى هذا الوقت ، وكان بنوه جميعاً في مثل منزلته من العلم والمعرفة باللغة وحسن التصرف

في علوم العرب ولسائرهم علم جيد

كان الرشيد جالساً فى مجلسه فأتى بأسير من الروم فقال لدُفافة العبسى قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبا سيفه ، فقال لابن فليح المدنى قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبا سيفه أيضا ، فقال أصلح الله أمير المؤمنين تقدمتنى ضربة عبسية ، فقال الرشيد للمأمون وهو يومئذ غلام قم فداك أبوك فاضرب عنقه ، فقام فضرب عنق العلج فأبان رأسه ، ثم دعا بآخر فأمر بضرب عنقه ، فضربه فأبان رأسه ، ونظر المأمون الى أبي محمد نظر المستنطق فقال

أبقى دُفافة عارا بعد ضربته	عند الامام لعبس آخر الأبد
كذاك أسرته تنبو سيوفهمُ	كسيف وَرْقاء لم يقطع ولم يكد
ما بال سيفك قد خانتك ضربته	وقد ضربت بسيف غير ذي أَوَد
هلاَّ كضربة عبد الله اذ وقعت	ففرقت بين رأس العِلج والجسد

كان حمويه ابن أخت الحسن الحاجب وسعيد الجوهرى واقفين فذكرا أبا محمد والكسائى ففضل حمويه الكسائى على أبي محمد وفضل سعيد أبا محمد على الكسائى ، وطال الكلام بينهما الى أن تراضيا برجل يحكم بينهما ، فتراهنا على أن من غلب يأخذ برْذَون صاحبه ، فجعلا الحكم بينهما أبا صَفوان الأحوذى ، فلما دخل سألاه فقال لهما لو ناصح الكسائى نفسه لصار الى أبي محمد وتعلم منه كلام العرب فما رأيت أحدا أعلم منه به ، فأخذ الجوهرى دابة حمويه ، وبلغ أبا محمد هذا الخبر فقال

ياحمويه اسمع ثناء صادقا	فيك وما الصادق كالكاذب
ياجالب الخزى على نفسه	بعدا وكفا لك من جالب
ان نخر الناس بآبائهم	أتيتهم بالعجب العاجب
قلت وأدغمت أبا خاملا	انا ابن أخت الحسن الحاجب

ومن قوله على قول امرىء القيس « رب رام من بنى ثُعَل »

رب مغموم بعافية … غمط النعماء من أشره
ومورد أمرا يسر به … فرأى المكروه فى صدره
وامرىء طالت سلامته … فرماه الدهر من غيره
بسهام غير مشوية … نقضت منه عُرَامِرَه
وكذاك الدهر مختلف … بالفتى حالين من عصره
يخالط العسر بميسرة … ويسار المرء فى عسره

قال له يوما ابو حنش الشاعر يا أبا محمد قل أبياتا قافيتها علي هاءين ، فقال على أن أهجوك فيها ، فقال نعم ، فقال

قلت ونفسى جم تأوهها … تصبو الى الفها وأندهها
سقيا لصنعا لا أرى بلدا … أوطنه الموطنون يشبهها
حضار حسنا ولا كبهجتها … اعذى بلاد عذا وأنزهها
يعرف صنعاء من أقام بها … أرغد أرض عيشا وأرفهها
أبلغ حضيرا عني أبا حنش … عائرة نحوه أوجهها
تأتيه مثل السهام عامدة … عليه مشهورة أدهدهها
كنيته طرح نون كنيته … اذا تهجيتها ستفقهها (١)

كان قتيبة الخراسانى صاحب عيسي بن عمر يأتى أبا محمد فيسأله عن مسائل كالمتعنت فاذا اجابه عنها انصرف منكرا وكان أفطس فقال له يوما

اذاعا فى مليك الناس عبدا … فلا عافاك ربك ياقتيبة
طلبت النحو مذ أن كنت طفلا … الى أن جللتك قبحت شيبة
فما تزداد الا النقص فيه … وأبت لدى الاياب بشر أوبة

---

(١) يريد اسقاط النون أى حنش حتى يكون أبا حش

وكنت كغائب قد غاب حينا   فطال مقامه وأتى بخيبة

قال أبو محمد صرت يوما الى الخليل بن أحمد والمجلس غاص بأهله فقال لى ههنا عندى ، فقلت أضيق عليك ، فقال ان الدنيا بحذافيرها تضيق عن متباغضين وان شبرا فى شبر لا يضيق عن متحابين ، وكان الخليل لأبى محمد صافى الود ، وقال كنت ألقى الخليل فيقول لي أحب أن تجمع بيني وبين عبد الله بن المقفع وألقى ابن المقفع فيقول أحب أن تجمع بيني وبين الخليل ، فجمعت بينهما ، فمر لنا أحسن مجلس وأكثره علما ، ثم افترقنا فلقيت الخليل فقلت له يا أبا عبد الرحمن كيف رأيت صاحبك ؟ فقال ما شئت من علم وأدب الا أنى رأيت كلامه أكثر من علمه . ثم لقيت ابن المقفع فقلت له كيف رأيت صاحبك ؟ فقال ما شئت من علم وأدب الا أنه عقله أكثر من علمه

قال أبو محمد كنا مع المهدى ببلد فى شهر رمضان قبل أن يستخلف بأربعة أشهر وعنده شبية بن الوليد العبسى ، فقال المهدى نبعث الى اليزيدى والكسائي ، وأنا يومئذ مع يزيد بن منصور خال المهدى والكسائى مع الحسن الحاجب ، فجاءنا الرسول ، فجئته أنا فاذا الكسائى على الباب قد سبقني فقال يا أبا محمد أعوذ بالله من شرك ، فقلت لا تؤتى من قبلى حتى أوتى من قبلك ، فلما دخلنا عليه أقبل على وقال كيف نسبوا الى البحرين فقالوا بحرانى ونسبوا الي الحصنين فقالوا حصني ولم يقولوا حصنانى كما قالوا بحرانى ؟ فقلت أصلح الله الأمير لو أنهم نسبوا الى البحرين فقالوا بحرى لم يعرف ألى البحرين نسبوا أم الى البحر ، فلما جاؤا الي الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له الحصن ينسب اليه غيرهما فقالوا حصني ، فقال الكسائى لعمر بن بزيع ، وكان حاضرا ، لو سألني الأمير لأخبرته فيها بعلة هى أحسن من هذه ، فقال أبو محمد أصلح الله الامير ان هذا يزعم أنك لو سألته لأجاب بأحسن مما أجبت به ، قال فقد سألته . فقال الكسائى لما نسبوا الى الحصنين كانت فيه نونان

فقالوا حصنى اجتزاء باحدى النونين عن الأخرى ولم يكن فى البحرين الا نون واحدة فقالوا بحرانى ، فقلت أصلح الله الأمير فكيف تنسب رجلا الى بني جنّان فانه يلزمه على قياسه أن يقول جنى لأن فى جنان نونين، فان قال ذلك فقد سوى بينه و بين المنسوب الى الحصنين ، فقال المهدي لهما تناظرا فى غير هذا حتى نسمع، فتناظرا فى مسائل حفظ فيها قولهما الى أن قال له أبو محمد كيف تقول « ان من خير القوم او خيرهم بتّة زيدا » فأطال الفكر لا يجيب فقال له أبو محمد لأن تجيب فتخطىء فنتعلم أحسن من هذه الاطالة ، فقال « ان من خير القوم أو خيرُهم بتة زيدا » فقلت أصلح الله الأمير مارضى أن يلحن حتى لحن وأحال ، قال وكيف؟ قال لرفعه قبل أن يأتى اسم ان ونصبه بعد رفعه ، فقال شيبة بن الوليد أراد بأو بل فرفع، فقال الكسائى ما أردت غير ذلك ، فقال أبو محمد فقد أخطآ جميعا أيها الامير ، لو أراد بأو بل رفع زيدا لانه لا يكون « بل خيرُهم زيدا » فقال المهدى يا كسائى لقد دخلت عليّ مع مسلمة النحوى وغيره فما رأيت كما أصابك اليوم ثم قال هذان عالمان ولا يقضى بينهما الا أعرابى فصيح تلقى عليه المسائل التى اختلفا فيها فيجيب ، فبعث الى فصيح من فصحاء الأعراب ، وأطرق أبو محمد الى أن يأتى الأعرابى، وكان المهدى محبا لأخواله ومنصور بن يزيد حاضر، فقال ابو محمد أصلح الله الأمير كيف ينشد هذا البيت الذى جاء فى هذه الأبيات

يأيها السائلى لأخبره ... عمن بصنعاء من ذوى الحسب

حِمير سادتها تقر لهـا ... بالفضل طرا جحاجح العرب

وان من خيرهم وأكرمهم ... او خيرهم بتّةً ابو كَرِب

فقال المهدى له كيف تنشده أنت ؟ فقال أو خيرَهم بتة أبو كرب على اعادة ان، كأنه قال او ان خيرهم بتة أبو كرب ، فقال الكسائى هو والله قالها الساعة ، فتبسم المهدى وقال انك لتشهد له وما تدرى ، ثم طلع الأعرابى الذى بعث اليه

فألقيت عليه المسائل فأجاب فيها كلها بقول أبي محمد، فاستفزه السرور حتى ضرب بقَلَنْسِيته الأرض وقال أنا أبو محمد ، فقال له شيبة بن الوليد أتكنى بحضرة الأمير؟ فقال المهدى والله ما أراد بذلك مكروها ولكنه فعل ما فعل للظفر وقد لعمرى ظفر، فقال أبو محمد ان الله عز وجل أنطقك أيها الأمير بما أنت أهله وأنطق غيرك بما هو أهله، قال أبو محمد فلما خرجنا قال لى شيبة أتخطئنى بين يدى الأمير؟ أما لتعلمن، قلت قد سمعت ما قلت وأرجو أن تجد غِبّها، ثم لم أصبح حتى كتبت رقاعا عدة فلم أدع ديوانا الا دسست اليه رقعة فيها أبيات قلتها فيه فأصبح الناس يتناشدونها وهى

عش بجَدٍ ولا يضرك نوك ... انما عيش من ترى بالجدود

عش بجَدٍ وكن هبنقة القيـ ... ـسى نَوْكا أو شيبة بن الوليد

شيبَ ياشيبَ ياجُدى بني القعْـ ... ـقاع ما أنت بالحليم الرشيد

لا ولا فيك خلة من خلال الـ ... ـخير أحرزتها لحزم وجود

غير ما انك المجيد لتقطيـ ... ـع غناء وضرب دُفٍّ وعود

فعلى ذا وذاك يحتمل الدهـ ... ـر مجيدا له وغير مجيد

ومن قوله فى جعفر بن يحيى البرمكى

ياسائلى عما أخبره ... عن جعفر كرما وعن شيمه

ان ابن يحيى جعفرا رجل ... سيط السماح بلحمه ودمه

فعليه لا ابدا محرمة ... وكلامه وقف على نعمه

وترى مسابقه ليدركه ... بمكان حذ والنعل من قدمه

ومن قوله يستنجز الرشيد وعدا

أحق من أنجز موعوده ... خليفة الله على خلقه

ومن له ارث نبىّ الهدى ... بالحق لا يدفع عن حقه

ينسب في الهدى الى هديه | براو فى الصدق الى صدقه
ومن له الطاعة مفروضة | لائحة بلوحي فى رقه
والراتق الفتق العظيم الذى | لا يقدر الناس على رتقه

اعتل ابو محمد علة من حمى ربع طالت عليه أشهرا فجفاه يزيد بن منصور ولم يمر به فى علته ولم يتفقده كما ينبغي فكتب رقعة اليه ضمنها هذه الأبيات

قل للأمير الذى يرجو نوافله | من جاءه طالبا للخير مجتابا
انى صحبتك دهرا كل ذاك أرى | من دون خيرك حجابا وأبوابا
وكم ضريك أجاءته شقاوته | اليك اذ أنشبت ضراؤها نابا
فما فتحت له بابا لميسرة | ولا سددت له من فاقة بابا
كغائب شاهد يخفى عليك كما | من غاب عنك فوافى حظه غابا

فلما قرأها قال جفونا أبا محمد وأحوجناه الى استبطائنا والله المستعان، وبعث اليه بصلة

غاضب ابو محمد مواليه بني عدى رهط ذى الرمة لأمر استنهضهم فيه فقعدوا عنه فقال يهجوهم

يا أيها السائل عن قومنا | لما رأى بزة أخيارهم
وحسن سمت منهمُ ظاهرا | اعلانهم ليس كاسرارهم
سائل بهم احمر أو غيره | ينبيك عن قومى وأخبارهم

لما بلغ المأمون وصار فى حد الرجال أمر الرشيد مؤدبيه أن يعملوا له خطبة يقوم بها يوم الجمعة، فعملوا له خطبته المشهورة، وكان جهير الصوت حسن اللهجة، فلما خطب بها رقت قلوب الناس وأبكى من سمعه فقال ابو محمد

لتهن أمير المؤمنين كرامة | عليه بها شكر الاله وجوب
بأن ولى العهد مأمون هاشم | بدا فضله اذ قام وهو خطيب
ولما رماه الناس من كل جانب | بأبصارهم والعود منه صليب

رماهم بقول أنصتوا عجبا له — وفى دونه للسامعين عجيب
ولما وعت آذانهم ما أتى به — أنابت ورقت عند ذاك قلوب
فأبكى عيون الناس أبلغ واعظ — أغرّ بطاحى النجّار نجيب
مهيب عليه للوقار سكينة — جريء جنان لا أكمّ هيوب
ولا واجب فوق المنابر قلبه — اذا ما اعترى قلب النجيب وجيب
اذا ما علا المأمون أعواد منبر — فليس له فى العالمين ضريب
تصدع عنه الناس وهو حديثهم — تحدث عنه نازحٌ وقريب
شبيه أمير المؤمنين حزامة — اذا وردت يوما عليه خطوب
اذا طاب أصل فى عروق مشاجه — فأغصانه من طيبه ستطيب
فقل لأمير المؤمنين الذي به — يقدم عبد الله فهو أريب
كأن لم تغب عن بلدة كان واليا — عليها ولا التدبير منك يغيب
تتبع ما يرضيك فى كل أمره — فسيرته شخص اليك حبيب
ورثتم بني العباس ارث محمد — فليس لحى فى التراث نصيب
وانى لأرجو يا ابن عم محمد — عطاياك والراجيك ليس يخيب
أثبني على المأمون وابنى محمدا — ن والا فاياه بذاك تثيب
جناب أمير المؤمنين مبارك — لنا ولكل المؤمنين خصيب
لقد عمهم جود الأنام فكلهم — له في الذى حازت يداه نصيب

فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم ولابنه محمد بمثلها

استأذن أبو محمد الرشيد وهو بالرّقة فى الحج فاذن له فلما عاد قال

يا فرحتنا اذ صرفنا أوجه الابل — الى الأحبة بالازعاج والعجل
نحثهن ولا يونين من دأب — لكنّ للسوق حثا ليس للابل
يا نائيا قربت منه وساوسه — أمسى قرين الهوى والشوق والوجل

ان طال عهدك بالأحباب مغتربا فان عهدك بالتسهيد لم يطل
اما اشتفى الدهر من حرّان مختبل صب الفؤاد الى حران مختبل
عش بالرجاء وأمل قرب دارهمُ لعل نفسك أن تبقى مع الأمل

محمد بن ابى محمد اليزيدى

مما يغنى فيه من شعره

أتيتك عائذا بك منـــك لما ضاقت الحيل
وصيرنى هواك وبى لحَينى يُضرب المثل
فان سلمت لكم نفسى فما لاقيتـه جلَل
وان قتل الهوى رجلا فانى ذلك الرجل

أخذ البيت الأخير من قول مسلم بن الوليد

متى ما تسمعى بقتيل أرض أصيب فانني ذاك القتيل

وكان سليم بن سلام المغنى صديق محمد كثير العشرة له وليس فى شيء من شعره صنعة الاله، وله يقول محمد

بأبى أنت ياسـليم وأمى ضقتُ ذرعا بهجر من لا أسمى
صدّ عنى أقرُّ من خلق اللـه لعينى فاشتد غمى وهمى
ما احتيالى ان كان فى القدر السا بق للحين أن أموت بسقمى

نظر أبو ظبية العُكْلى الى محمد وقد جاء الى أبيه فقال

يلد الرجال بنيهمُ أولادهم وولدت أنت أبا من الأولاد

قال محمد صرت الى العباس بن الأحنف فقال لى ما حاجتك ؟ قلت أمرنى أخوك وأبى أن أصير اليك واستفيد منك، فقال لى أتصير الى، ودِدت أنى سبقتك الي بيتين قلتهما وأنى لم أقل من الشعر شيئا غيرهما ، فدخلني من السرور ما الله به عليم فقلت وما هما ؟ فقال قولك

يابعيد الدار موصو ... لا بقلبي واساني

ربما باعدك الده ... ر وأدنتك الأماني

أخذه من قول مسلم بن الوليد

ذاك ظبي تحير الحسن فى الأر ... كان منه وحل كل مكان

عارضت دونه الحجال فما يلـ ... ـقاك الا فى النوم أو فى الأماني

عتب محمد على يونس بن الربيع وكان صديقه فكتب اليه

سأبكيك حيا لا بكيتك ميتا ... بأربعة تجرى عليك همولا

وأعفيك من طول اللقاء وانني ... أرى اليوم لا ألقاك فيه طويلا

فكيف بصبرى عنك لا كيف بعدما ... حللت محلا فى الفؤاد جليلا

وكتب اليه يونس

الى كم قد بَليت وليس يَبْلَى ... عتاب منك لى أبداً طويل

اذا كثر التجني من خليل ... ولم تذنب فقد ظلم الخليل

ومن قوله في قنفذ

وطارقِ ليل زارنا بعد هجعة ... من الليل الا ما تحدث سامر

فقلت لعبد الله ما طارق أتى؟ ... فقال امرؤ سيقت اليه المقادر

قرَيْناه صفو الزاد حين رأيته ... وقد جاء خفّاق الحشى وهو سادر

جميل المحيا والرضى فاذا أبى ... حمته من الضيم الرماح الشواجر

ولست تراه واضعا لسلاحه ... مدى الدهر موتورا ولا هو واتر

دخل الى المعتصم وهو ولى عهد وقد طلع القمر فتنفس ثم قال يامحمد قل أبياتا في معني طلوع القمر فانه غاب مدة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع فقال

هذا شبيه الحبيب قد طلعا ... غاب كما غاب ثم قد لمعا

وما أرى غيره يشاكله ... فاسأله بالله عنه ما صنعا

فرق بينى وبينــــه قدَر هو الذى كان بيننا جمعا

فهل له عــــودة فأرقبها كما رأينا شبيهــــه رجعا

جاء محمد الى باب المأمون فاستأذن ، فقال الحاجب قد أخذ دواء وأمرنى ألا آذن لأحد ، قال فأمرك ألاّ توصل اليه رقعة ، فدفع اليه رقعة فيها

هديتىَ التحيـة للامام امام العدل والملك الهمام

لأنى لو بذلت له حياتى وما أهوَى اقلا للامام

أراك من الدواء الله نفعا وعافية تكون الى تمـام

وأعقبك السلامة منه رب يريك سلامة فى كل عام

أتأذن فى السلام بلا كلام سوي تقبيل كفك والسلام

فأوصلها وخرج فأذن له فدخل وسلم وحمل ألفى دينار

قال محمد شكوت الى المأمون دينا علىّ ، فقال ان عبد الله بن طاهر اليوم عندى وأريد الخلوة معه فاذا علمت بذلك فاستمدع أن يكون دخولك أو أخرجه اليك فانى سأحكم لك عليه بمال ، فلما علمت أنهم قد جلسوا للشرب صرت الى الدار وكتبت بهذين البيتين

ياخير سادات وأصحاب هذا الطفيلى على الباب

فصيروا الي معكم مجلسا أو أخرجوا لى بعض أصحابى

وبعثت بهما اليه ، فلما قرأهما قال صدق اكتبوا اليه وسلوه أن يختار ، فكتب الى أما وصولك فلاسبيل اليه ولكن من تختار لنخرجه اليك فتمضى معه ، فكتبت ما كنت لأختار على أبى العباس أحدا ، فقال له المأمون قم الى صديقك ، فقال ياأمير المؤمنين ان رأيت ان تعفينى من ذلك ، أتخرجني عما شرفتنى به من منادمتك وتبدلنى بها منادمة ابن اليزيدي ؟ قال لابد من ذلك أو ترضيه ، قال فليحتكم ، قال أخاف أن يشتط أو تقصر أنت ولكنى أحكم فأعدل ، قال قد رضيت ، قال تحمل اليه ثلاثة آلاف دينار معجلة ،

قال قد فعلت ، فأمر صاحب بيت المال ان يحملها معى وأمر عبد الله بردها الى بيت المـــال

كان محمد يحب جارية لسحاب يقال لها عليا وكانت من أظرف النساء لسانا وأحسنهن وجها وغناء فأعطى بها ثلاثة آلاف دينـار فلم تبع ، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار وذلك فى خلافة المأمون ، وكان على بن الهيثم صديقا لمحمد فبلّغ المأمون الخبر ، فدعا محمدا وقال ما قصتك مع عليا ؟ قال قد قلت فى ذلك أبياتا فان أذن أمير المؤمنين أنشدتها ، قال هاتها ، فأنشده

أشكو الى الله حـــبي للعليينا ... وأنني فيهم ُ ألقى الأمَرّينـــا
حبي عليا أمير المؤمنـــين فقد ... أصبحت حقا أرى حبي له دينـا
وحب خلي وخُلْصانى[1] أبى حسن ... أعنى عليـــا قريع التغلبينا
ورقـتى ابنَيَّ لى أصبت به ... وجدى به فوق وجد الآدميينا
ورابع قد رمى قلبى بأسهمـه ... فجزت فى حبـــه حد المحبينا
وبعض من لا أسمى قد تملكه ... فرحت عنه بما أعيا المداوينا
أتاه والدين والدنيـا تمكنه ... فلم يَدَعْ لىَ لا دنيا ولا دينـا

فقال المأمون لولا أنه أبو اسحاق لا نزعنها منه ولكن هذه ألف دينار فخذها عوضا ، ولقيني المعتصم فى الدار فقال لى يامحمد قد علمت ما آل اليه أمر فلانة فلا تذكرنها ، فقلت السمع والطاعة لأمرك

قال محمد كنت عند المأمون فقال لى قل شعرا فى نحو هذين البيتين

صحيح يوَدّ السقم كيما تعوده ... وان لم تعُدْه عادعنها رسولها
لتعلم هل ترتاع عند شكاته ... كما قد يروع المشفقات خليلها

فقلت

صحيـح ودّ لو أمسى عليلا ... لتكتب أو يرى منكم رسولا

(١) الخلصان الخالص من الاخوان

رآك تسومه الهجران حتى اذا ما اعتل كنت له وَصولا

فودّعني الحياة بوصل يوم يكون على هواك له دليلا

هما موتان موت هوىً وهجر وموت الهجر شرهما سبيلا

فأمر له بعشرة آلاف درهم

ابراهيم بن أبي محمد اليزيدي

مما يغنى فيه من شعره

لا تَلْحَنى ان مت عشقا من كان للعشق مستحقا

ولم يُقَدَّم على خلقـــا ولم أُقدَّم عليـه خلقا

يملك رقى ولست أبغى من ملكه ما حييت عتقا

لم أر فيمن هَوِيت خلقًا أعطف منـه ولا أرقا

قال ابراهيم كنت مع المأمون فى بلد الروم ، فبينا أنا فى ليلة مظلمة شاتية ذات غيم وريح والى جانبى قبة فبرقت برقة واذا فى القبة عريب قالت ابراهيم بن اليزيدى ؟ فقلت لبيك ، فقالت قل فى هذا البرق أبياتا ملاحا لأغنى فيها ، فقلت

ماذا بقلبى من أليم الخفق اذا رأيت لمعان البرق

من قبل الأُرْدُنّ او دِمَشْق لأن من أهوى بذاك الأُفْق

فارقته وهو أعز الخلق علىّ والزُّور خلاف الحق

ذاك الذى يملك منه رقى ولست أبغى ما حييت عتق

فتنفست نفسا ظننته قد قطع حيازيمها ، فقلت ويحك على من هذا ؟ فضحكت ثم قالت على الوطن ، فقلت هيهات ليس هذا كله للوطن ، فقالت ويلك أفتراك ظننت أنك تستفزنى ؟ والله لقد نظرت نظرة مُريبة فى مجلس فادعاها أكثر من ثلاثين رئيسا والله ما علم أحد منهم لمن كانت الى هذا اليوم .

قال ابراهيم انه كان مع المعتصم لما خرج الى الغزو قال فكنت فى رفقة فيها فتى من أهل البصرة ظريف أديب شاعر راوية فكان لى فيه أنس وكنا لا نفترق حتى غزونا وعدنا ، فعاد الى البصرة وكان له بستان حسن بسيحان فكان أكثر مقامه به ، وعزم لى على الشخوص الى البصرة لحاجة عرضت لى فكان أكثر نشاطى لها من أجله ، فوردتها ونظرت فيما وردت له ثم سألت عنه ومضيت اليه فكاد يستطار فرحا ، وأقمت بسيحان معه أياما وقلت فى بعضها وقد اصطبحنا فى بستانه

يامُسعدَيَّ بسيْحان فديتكما — حُثّا المدامة فى أكناف سيحانا

نهر كريم من الفردوس مَخرجه — بذاك خبرنا من كان أنبانا

لا تحسُدُ انى رواحا أو مباكرة — طيب المسير على سيحان أحيانا

بشط سيحان انسان كَلِفتُ به — نفسى تقِى ذلك الانسان انسانا

ريّاه ريْحاننا والكأس مُعْمَلة — لا شيء أطيب من ريّاه ريحانا

حُثّاشر ابكما حتى أرى بكما — سكرا فانىَ قد أمسيت سكرانا

ريّا الحبيب وكأس من معتقة — يُهيّجان لنفس الصب أشجانا

سقيًا لسيحان من نهر ومن وطن — وساكنين من السكان من كانا

هم الذين عقدنا الود بينهمُ — وبيننا وهمُ في دير مُرّانا

وقال فى بعض اخوانه وقد رأى منه جفوة ثم عاد واستصلحه فكتب اليه

من تاه واحدة فتِهْ عشرا — كي لا يجوز بنفسه القدرا

اذا زها أحد عليك فكن — أزهى عليه ولا تكن غمرا

ارأيت من لم ترْجُ منفعة — منه ولم تحذَر له ضرا

لم يستذلِ وتستذل له — بل كن أشد اذا زها كبرا

كان ابراهيم يعاشر أبا غسان وجلسا للشرب فقال لو دعوت ابن أخيك لنأنس به ، فكتب اليه ابراهيم

يا أكرم الناس طرًا وأكرم الفتيـــان
بادر الينـا لكيما نُسقى سُلاف الدّنان
على غنـاء غزال مهفهـف فتان
اشرب على وجه جان شرابك الخسرواني
فما لجان نظـير وما لها من مُدان
الا الذى هو فـرد وما له من ثان
أعني الهـلال لست فى شهره وثمان
للناس بدر منـير يرى بكل مكان
وما لنا غـير بدر لدى أبي غسّان
ذكراه فى كل وقت موصولة بلسـاني
سببتـه وسباني فحبه قـد براني
من ثَمَّ لست تراني أصبو الى انسان

دخل ابراهيم على المأمون وهو يشرب فأمره بالجلوس فجلس وأمر له بشراب فشرب وزاد فى الشرب فسكر وعربد ، فأخذ على بن صالح صاحب المصلّى بيده فأخرجه ، فلما أصبح كتب الى المأمون

انا المذنب الخطّاء والعفـو واسع ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
ثملت فأبدت منى الكأس بعض ما كرهت وما ان يستوي السكر والصحو
ولولا حميّا الكأس كان احتمال ما بدهت به لا شك فيه هو السرو
ولاسيما اذ كنت عند خليفـــة وفى مجلس ما ان يجوز به اللغو
تنصلت من ذنبي تنصل ضارع الى من لديه يغفر العمد والسهو

جاء ابراهيم الى المأمون فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة فلم يصل اليه وحجب عنه فكتب اليه

غلبت عليكم هذه القدريه — فعليكمُ مني السلام تحية
آتيكمُ شوقا فلا ألقاكمُ — وهمُ لديكم بكرة وعشية
هرون قائدهم وقد حقّت به — أشياعه وكفى بتلك بلية
لكن قائدنا الامام ورأينا — ما قدراه فنحن مأمونية

ابو جعفر احمد بن محمد بن ابى محمد اليزيدى

مما غنى فيه من شعره

شوقى اليك على الأيام يزداد — والقلب مذ غبت للأحزان معتاد
يالهف نفسى على دهر فجعت به — كأن ايامه فى الحسن أعياد

كان أحمد راوية لعلم أهله فاضلا أديبا وكان أسنّ ولد محمد بن ابى محمد وكان اخوته جميعا يأثرون علوم جده وعمومتهم عنه وقد أدرك أبا محمد

ومن قوله وقد طلعت الشمس على خد جميل

قد طلعت شمس على شمس — وطاب لي لهوي مع الأنس
وكنت أقلِى الشمس فيما مضى — فصرت أشتاق الى الشمس

وكتب الي بعض اخوانه ممن كان يألفه ويديم زيارته ثم انقطع عنه يعتذر اليه من تأخره عنه

انى امرؤ أعذر اخوانى — فى تركهم برى واتيانى
لأنه لا لهو عندى ولا — لى اليوم جاه عند سلطان
وأكثر الاخوان فى دهرنا — أصحاب تمييز ورجحان
فمن أتانى منهما مفضلا — فشكره عندى شكران
ومن جفانى لم يكن لومه — عندى ولا تعنيفه شانى
أعفو عن السيىء من فعلهم — وأتبع الحسنى باحسان

حسب صديقى أنه واثق منى باسرارى واعلانى

قال احمد دخلت على المأمون وهو في مجلس غاصّ بأهله وأنا يومئذ غلام ، فاستأذنت فى الانشاد فأذن ، فأنشدته مديحا لي مدحته به، وكان يستمع للشاعر ما دام فى تشبيب أو وصف ضرب من الضروب حتى اذا بلغ الى مديحه لم يسمع منه الا بيتين أوثلاثة ثم يقول للمنشد حسبك ترفعاً ، فأنشدته .

يا من شكوت اليه ما ألقاه وبذلت من وجدى له أقصاه

فأجابنى بخلاف ما أملته ولربما منع الحريصُ مناه

أزري جميلا أن شكا ذو صبوة فهجرته وغضبت من شكواه

يكفيك صمتٌ أو جواب مؤيس ان كنت تكره وصله وهواه

موت المحب سعادة ان كان من يهواه يزعم ان ذاك رضاه

فلما صرت الى المديح قلت

أبقى لنا الله الامام وزاده عزا الى العز الذى أعطاه

فالله مكرمنا بأنا معشر عُتقاء من نعم العباد سواه

فسر بذلك وضحك وقال جعلنا الله واياكم ممن يشكر النعمة ويحسن العمل .

قال أبو جعفر دخلت يوماً على المأمون بقارا وهو يريد الغزو فأنشدته

يا قصرُ ذا النخلات من بارا انى حللت اليك من قارا

أبصرت أشجارا على نهر فذكرت أشجارا وأنهارا

لله أيام نعمت بها بالقفص أحيانا وفى بارا

اذ لا أزال أزور غانية ألهو بها وأزور خمارا

لا أستجيب لمن دعا لهدى وأجيب شُطارا ودُعارا

أعصى النصيح وكل عاذلة وأطيع أوتارا ومزمارا

فغضب المأمون وقال انا فى وجه عدو وأحض الناس على الغزو وأنت تذكرهم نزهة بغداد، فقلت الشىء بتمامه ثم قلت

فصحوت بالمأمون عن سكرى ورأيت خير الأمر ما اختارا
ورأيت طاعتـه مؤدية للفرض اعـلانا واسرارا
فخلعت ثوب الهزل عن عنقى ورضيت دار الجد لي دارا
وظللت معتصما بطاعتـــه وجواره وكفى به جارا
ان حل أرضا فهى لي وطن وأسـير عنها حيثما سـارا

قال يحيى بن أكثم ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين أخبر أنه كان فى سكر وخسار فترك ذلك وارعوى وآثر طاعة خليفته وعلم ان الرشد فيها، فسكن وامسك

قال المأمون يوما لئن كانت حقوق أصحابى تجب على اطاعتهم بأنفسهم فان أحمد من تجب له المراعاة لنفسه وصحبته ولأبيه وخدمته ولجده وقديم خدمته وحرمته وانه لَلعريق فى خدمتنا، فقال أحمد قد علمتنى والله يا أمير المؤمنين كيف أقول، ثم تنحى ورجع اليه فأنشده

لي بالخليفة أعظم السبب فبه أمنت بوائق العطب
ملك غذتنى كفه وأبى قبلى وجدى كان قبل أبى
فاختصنى الرحمن منه بما أسمو به في العجم والعرب

فضحك وقال قد نظمت فيه يا أحمد ما نثرناه

قال أبو جعفر كنت عند جعفر بن المأمون مقيما، فلما أردت الانصراف منعني فبيتّ عنده، وزارته لما أصبحنا عَريب فأقمت فكتب الىّ عمى ابراهيم

شردت يا هذا شرود البعير وطالت الغيبة عند الأميرْ
أقمت يومين وليليهما وثالثا تُخْبِى بهر كثير
بوم عَريب مع احسانها ان طالت الأيام يوم قصير

لها أغانٍ غير مملولة منها ولا تَخلُق عند الكرور

غير ملوم يا أبا جعفر أن تؤثر اللهو و يوم السرور

فاجعل لنا منك نصيبا فما ان كنت عن مجلسنا بالنفور

وصر الينا غير ما صاغر أصارك الرحمن خير المصير

ان لم يكن عندى غناء ولا عود فعندى القمر بالنردشير

والذكر بالعلم الذى قد مضى بأهله حادث صرف الدهور

وهو جديد عندنا نهجه أعلامه تحويه منا الصدور

فالحمد لله على كل ما أولى وأبلى ولربى الشكور

ابن قنبر

هو الحكم بن محمد بن قنبر المازنى التميمى البصرى ، شاعر ظريف من شعراء الدولة العباسية وكان يهاجى مسلم بن الوليد مدة ثم غُلب عليه مسلم

ومما يغنى فيه من شعره

صرمتنى ثم لا كلمتنى أبدا ان كنت خنتك في حال من الحال

ولا اجترمت الذى فيه خيانتكم ولا جرت خطرة منه على بالى

فسوغيني المنى كيما أعيش به وأمسكى البذل ما أطلعت آمالي

او عجلى تلفى ان كنت قاتلتى أو نوّليني باحسان واجمال

ومن قوله فى هجاء مسلم

ومن عجب الأشياء أن لمسلم الى نزاعا فى الهجاء وما يدرى

ووالله ما قيست على جدوده لدى مفخر فى الناس قوسا ولا شعرى

وقوله

كيف أهجوك يالئيم بشعرى أنت عندي فاعلم هجاء هجائى

يادعى الأنصار بل عبدها النذ ل تعرضت لى لدرك الشقاء

ومن قوله وفيه غناء

فما أقصر اسم الحب يا ويح ذى الحب ... وأعظم بلواه على العاشق الصب

يمر به لفظ اللسان مشمرا ... ويغرق من ساقاه فى لجج الكرب

ومن قوله

ويلى على من أطار النوم وامتنعا ... وزاد قلبى على أوجاعه وجعا

ظبى أغر ترى في وجهه سرجا ... يغشى العيون اذا ما نوره سطعا

كأنما الشمس في أثوابه بزغت ... حسنا أو البدر فى أردانه طلعا

فقد نسيت الكرى من طول ما عطلت ... منه الجفون وطارت مهجتى قطعا

ومن قوله

وحق الذى في القلب منك فانه ... عظيم لقد حصنت سرك فى صدرى

ولكنما أفشاه دمعي وربما ... أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدرى

فهب لي ذنوب الدمع انى أظنه ... بما منه يبدو انما يبتغى ضرى

ولو يبتغى نفعى لخلى ضمائرى ... ترد على اسرار مكنونها سرى

ومن قوله

ليس فيها ما يقال لها ... كملت لو أن ذا كملا

كل جزء من محاسنها ... كائن في فضله مثلا

لو تمنت فى ملاحتها ... لم تجد من نفسها بدلا

ومن قوله

ان كنت لا ترهب ذمى لما ... تعرف من صفحى عن الجاهل

فاخش سكوتى فطنا منصتا ... فيك لتحسين خنا القائل

مقالة السوء الى أهلها ... أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس الي ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

وهذه الابيات تنسب لصالح بن عبد القدوس

ومن قوله

اذا القرشي لم يشبه قريشا　　بفعلهم الذى بذّ الفعالا
فخزْمى له خلق جميل　　لدى الأقوام أحسن منه حالا

مرض ابن قنبر فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه فقال فيه

ولقد قلت لأهلى　　اذ أتونى بخصيب
ليس والله خصيب　　للذى بى بطبيب
انما يعرف دائى　　من به مثل الذى بى

وكان خصيب عالما بمرضه فنظر الى مائه فقال زعم جالينوس ان صاحب هذه العلة اذا صار ماؤه هكذا لم يعش، فقيل له ان جالينوس ربما أخطأ ، فقال ما كنت الي خطئه أحوج مني اليه في هذا الوقت ، ومات من علته

لما تهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانه فجاء مسلما ابن عم له فقال أيها الرجل انك عند الناس فوق هذا الرجل فى عمود الشعر وقد بعثت عليه لسانك ثم أمسكت عنه ، فاما ان قارعته واما ان سالمته ، فقال له مسلم ان لنا شيخا وله مسجد يتهجد فيه وله دعوات يدعوها ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته فى كفايتنا اياه ، فأطرق الرجل ساعة ثم قال

غُلب ابن قنبر واللئيم مُغلَّب　　لما اتقيت هجاءه بدعاء
ما زال يقذف بالهجاء ولذعه　　حتى اتقوه بدعوة الآباء

فقال له مسلم ما كان ابن قنبر ليبلغ مني هذا فأمسك عني لسانك وتعرف خبري بعد ، فبعث الرجل والله عليه من لسان مسلم ما أسكته ، وقال محمد بن عبد الله القسري رأيت مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر فى مسجد الرُّصافة فى يوم جمعة وكل واحد منهما بازاء صاحبه وكانا يتهاجيان فبدأ مسلم فأنشد قصيدته

انا النار فى أحجارها مستكنة　　فان كنت ممن يقدح النار فاقدح

وتلاه ابن قنبر فأنشد قوله

قد كنت تهوى وما قوسى موترة   فكيف ظنك بى والقوس في الوتر

فوثب مسلم وتواخذا وتواثبا حتى حجز النـاس بينهما فتفرقا ، فقال رجل لمسلم وكان يتعصب له ويحك أعجزت عن الرجل حتى واثبته ؟ قال أنا واياه لكما قال الشاعر « هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أبصر » وكان ابن قنبر مستعليا عليه مدة ثم غلبه مسلم بعد ذلك ، (راجع ترجمة مسلم ص ٢٥ من هذا الجزء)

عمارة

هو عمارة بن عقيل بن بـلال بن جرير التميمى ويكنى أبا عقيل شاعر مقدم فصيح ، وكان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء فى الدولة العباسية فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحْظَى بكل فائدة ، وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة . قال محمد بن يزيد ختمت الفصاحة فى شعراء المحدثين بعمارة بن عقيل ، وكان سلم يقول هو أشـد استواء في شعره من جرير لأن جريرا سقط فى شعره وضعف وما وجد لعمارة سقطة واحدة فى شعره ، وكان عمارة هجاء خبيث اللسان فهجا فروة بن حميصة الأسدى وطال التهاجى بينهما فلم يغلب احدهما على صاحبه حتى قتل فروة

قال عمارة ما هاجيت أحدا الا كفيت مؤنته فى سنة أو أقل من سنة ، اما أن يموت واما أن يقتل واما أن أفحمه حتى هاجانى أبو الردينى العكلي فخبثني بالهجاء، وهجا بنى نمير فقال

أتوعـدنى لتقتلني نمـير   متى قتلت نمير من هجاها

فكفتنيه بنو نمير فقتلوه، فقتلت به بنو عكل وهم يومئذ ثلاثمائة ،أربعة آلاف رجل من بني نمير وقتلت لهم شاعرين رأس الكلب وشاعرا آخر

قال عمارة كنت جالساً مع المأمون فاذا أنا بهاتف يهتف من خلفى ويقول

نجى عمارة منا أن مدته … فيها تراخ وركض السابح النقل
ولو ثقفناه أوهينا جوانحه … بذابل من رماح الخطّ معتدل
فان أعناقكم للسيف مختلة … وان مالكم للمرعى كالهمل
اذ لا يوطن عبد الله مهجته … على النزال ولا لصا بنى حمل

وهذا الشعر لفروة بن حميصة فىّ ، فدخلني من ذلك ما قد علمه الله وما ظننت أن شعر فروة وقع الى هنـاك ، ثم خرج على بن هشام من المجلس وهو يضحك فقلت أبا الحسن أتفعل بى مثل هذا وأنا صديقك ؟ فقال ليس عليك فى هذا شيء ، فقلت من أين وقع اليك؟ قال وهل بقى كتاب الا وهو عندى؟ فقلت ياأمير المؤمنين أنصفني ، فقال دع هذا وأخبرنى بخبر هذا الرجل وما كان بينك وبينه ، فأنشدت قصيدتى فيه فلما انتهيت الي قولي

ما فى السوّية ان تجرّ عليهم … وتكون يوم الرّوع أول صادر

أعجب المأمون هذا البيت فقال لى أفلهذه القصيدة نقيضة ؟ قلت نعم ، قال فهاتها ، قلت له أؤدى سهمى بلسانى ؟ فقال على ذلك ، فأنشدته اياها ، فلما بلغت الى قـوله

وابن المراغة جاحر من خوفنا … بالوسم منزلة الذليل الصاغر
يخشى الرياح بأن تكون طليمة … أو أن تحـل به عقـوبة بادر

فقال لى أوجعك ياعمارة ، فقلت ما أوجعته به أكثر

قال عمارة رحت الى المأمون فكان ربمـا قرب الى الشيء من شرابه أشربه بين يديه وكان ربما يأمر بكتب كثير مما أقول ، فقال لي يوما كيف قلت مقدّاة؟ قلت هى امرأتى نظرت الى وقـد افتقرت وساءت حالى ، قال فكيف قلت ؟ فأنشـدته

قالت مُفَدَّاة لما ان رأت أرقى والهم يعتادنى من طيفه لمم

أنهبت مالك فى الأدنين آصرة وفى الأباعد حتى حفَّك العدَم

فاطلب اليهم تجد ما كنت من حسن تُسدِى اليهم فقد بانت بهم حُرَم

فقلت عاذلَ قد اكثرت لائمتي ولم يمت حاتم عذلا ولا هرِم

فنظر الىّ المأمون مغضبا وقال أقد علت همتك أن ترقى بنفسك الى هرِم وقد خرج من ماله فى اصلاح قومه ؟

وقال يمدح عمرو بن مسعدة ويذم أبا عباد

عمرو بن مَسعَدة الكريم فعاله خير وأمجد من أبي عباد

من لم يُذَمّم والداه ولم يكن بالرَّىّ علج بطانة وحصاد

بصَّرتُه سبل الرشاد فما انتهى لسبيل مكرمة ولا ارشاد

وعرفت اذ علِقت يدى بعنانه انى علقت عنان غير جواد

وأصون عرضى بالسخاء وان غدت غُبْر المحاجر شُعْثًا أولادى

ومن قوله يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ويفضله على تميم بن خزيمة التميمى

فليت بثوبيه لنا كان خالدا وكان لبكر بالثَّراء تميم

فيصبح فينا سابق متمهل ويصبح فى بكر أغمُّ بهيم

فقد يبلغ المرء الكريم اصطناعه ويعتل نقد المرء وهو كريم

ولما بلغ خالد بن يزيد هذا الشعر قال له ياأبا عقيل أبلغك أن أهلي يرتضون مني بديل كما رضيت بنو تميم بتميم بن خزيمة ؟ فقال انما طلبت حظ نفسى وسقت مكرمة الى أهلى لو جاز ذلك ، وقال يمدحه أيضا

تأبى خلائق خالد وفعاله الا تجنب كل أمر عائب

فاذا حضرت الباب عند غدائه أذِن الغداء لنا برغم الحاجب

فلقيه خالد وقال له أوجبت والله علىّ حقا ما حييت

وله القصيدة التى رد فيها على رجاء بن هرون اخى بني تيم اللات بن ثعلب أولها

حي الديار كأنها أسـطار بالوحي تدْرُس صحفها الأحبار
لعب البلى بجديدهـا وتنفست عرصاتها الأرواح[1] والأمطار

ومنها

وجموع أسد اذ تقضّ رءوسهم بيض يطـير لوقعهن شرار
حتى اذا عزموا الفرار وأسلموا بيضاً حواصنَ ما بهن قـرار
لحقت حفيظتنـا بهن ولم نزل دون النساء اذا فزعن نغار

ومن قوله وفيه غناء

ما شأن عينك طلّة الأجفان مما تفيض مريضة الانسان
مطروقة تهمى الدموع كأنها وَشَل تشلشل دائم التهتان

قال حكم بن بشر بن عمرو بن العلاء أتيت عمارة أسأله عن شيء أكتبه عنه فقال لي من أنت ؟ فقلت أنا ابن أخيك انا حكم بن بشر بن أبي عمرو فقال لى كان أبوك صديقي ، ثم أنشأ يقول

بنى لكم العلاء بناء صدق وتعمرُ ذاك ياحكم بن بشر
فما مدحى لكم لأصيب مالا ولكن مدحكم زين لشعرى

ابن مناذر

هو محمد بن مُناذر مولي بني صُبَيْر بن يربوع ويكنى أبا جعفر

شاعر فصيح مقدم فى العلم باللغة وامام فيها وقد أخذ عنه أكابر أهلها، وكان فى أول أمره يتألّه ثم عدل عن ذلك فهجا النـاس وتهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة حين نفى عنها الى الحجاز فمات هناك ، وكان يجالس سفيان بن عيينة فيسأله سفيان عن معني حديث النبى صلى الله عليـه وسلم فيقول له كذا وكذا

(١) هذا البيت الذى أخطأ فيه عمارة فقال الارياح فرده عليه أبو حاتم السجتانى

مأخوذ من كذا فيقول سفيان كلام العرب يأخذ بعضه برقاب بعض، وأدرك المهدي ومدحه ومات فى أيام المأمون

ولما عدل عما كان عليه من النسك والتأله وعظتـه المعتزلة فلم يتعظ وأوعدته بالمكروه فلم يزدجر ومنعوه دخول المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم وكان يأخذ المداد بالليل فيطرحه بمطاهرهم فاذا توضؤا به سود وجوههم وثيابهم ، وقال فى توعد المعتزلة اياه

أبلغ لديك بنى تميم مألُكا عني وعرج فى بني يربوع
انى أخ لكمُ بدار مضيعـة بُوم وغربان عليَّ وقـوع
ياللقبائل من تميم مالكم رُوبى ولحم أخيكم بمضيع
هبُّوا له فلقد أراه بنصركم يأوِى الى جبل أشمّ منيع
واذا تحزبت القبائل صُلْتمُ بفتى لكل ملمـة وقطيع
ان أنتمُ لم توتروا لأخيكم حتى يُبـاء بوتره المتبوع
فخذوا المغازل بالأكف وأيقنوا ما عشتمُ بمذلة وخضـوع
ان كنتمُ حربا على أحسابكم سمعا فقد أسمعت كل سميع
اين الصُّبيريون لم أر مثلهم فى النائبات وابن رهط وكيع

ثم استحيا من قوله أين الصبيريون لقلة عددهم فقال أين الرياحيون ، فجاء خمسون شيخا من بني رياح فطردوهم عنه

وكان ابن مناذر ينحو نحو عدى بن زيد فى شعره ويميل اليه ويقدمه

هوِى ابن مناذر عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى وكان من أحسن الناس وجها وأدبا ولباسا وا كملهم في كل حال وكان على غاية المحبة لابن مناذر والمساعدة له والشَّغَف به ، وكان يبلغ خبره أباه على جلالته وسنه وموضعه من العلم فلا ينكر ذلك لأنه لم تكن تبلغه عنه ريبة، وكان ابن مناذر حينئذ حميد الأمر حسن المروءة عفيفا

وفيه يقول ابن مناذر من قصيدة اولها

شيب ريب الزمان رأسي   لهفي على ريب ذا الزمان
يقدح في الصم من شروزى   ويحدر الصم من أبان

يقول فيها يمدح عبد المجيد

مني الى الماجد المرجَّى   عبد المجيد الفتى الهجان
خير ثقيف أبا ونفسا   اذا التقت حلقتا البطان
نفسي فداء له وأهلي   وكل ما تملك اليدان
كأن شمس الضحى وبدر الـ   ـدجى عليه معلقان
نيطا معا فوق حاجبيه   والبدر والشمس يضحكان
مشمر همه المعالي   ليس برث ولا بوان
بنى له عزة ومجدا   في أول الدهر بانيان
فاسأله مما حوت يداه   يهتز كالصارم اليماني
بأن تلقاه من ثقيف   ومن ذرى الأزد خير بان

ولما مات رثاه بمراث عدة منها

ياعين حق لك البكا   ء لحادث الرزء الجليل
فابكي على عبد المجيـ   ـد وأعولي كل العويل
لا يبعد الله الفتى الفيا   ض ذا الباع الطويل
عمل الحمام به فو   دعناوآذن بالرحيل
لهفي على الشعر المعـ   ـفر منك والخد الأسيل
كسفت لفقدك شمسنا   والبدر آذن بالأفول

ومنها

كل حي لاقى الحمام فمود   ما لحي مؤمل من خلود
لاتهاب المنون شيئا ولا تر   عى على والد ولا مولود

يقدح الدهر فى شماريخ رَضْوَى ويحط الصخور من هَبُّود
ولقد تترك الحوادث والأيام وَهْيا فى الصخرة الصَّيْخود
أين رب الحصن الحصين بسُورا ء ورب القصر المنيف المَشيد
شاد أركانه وبوّبه با بى حديد وحفه بجنود
كان يُجبى اليه ما بين صنعا ء فمصر الى قُرى بيرود
وترى خلفه زَرافات خيل جافلات تعدو بمثل الأُسود
فرمى شخصه فأقصده الدهر بسهم من المنايا سَديد
ثم لم يُنجه من الموت حصن دونه خندق وبابا حديد
وملوك من قبله غزَوا الأر ض أعينوا بالنصر والتأييد
فلو آن الأيام أخلدن حيا لعَلاء آخلدنَ عبد المجيد
ما درى نعشه ولا حاملوه ما على النعش من عفاف وجود
وَيْح أيد حثت عليه وأيد دفنته ما غيبت فى الصعيد
ان عبد المجيد يوم تولى هدّ ركنا ما كان بالمهدود
وأرانا كالزرع يحصُده الدهر فمن بين قائم وحصيد
وكأنا للموت ركب مخبّو ن سراعا لمنهل مورود
هد ركنى عبد المجيد وقد كنـ ـت بركن أنوء منه شديد
فبعبد المجيد تأمور نفسى عثرت بى بعد انتعاش الجدود
وبعبد المجيد شلّت يدى اليمـ ـنى وشلت يمين الجود
حين تمت آدابه وتردّى برداء من الشباب جديد
وسقاه ماء الشبيبة فاهتـ ـز اهتزاز الغصن الندى الأُملود
وسمت نحوه العيون وما كا ن عليه لزائد من مزيد
وكأنى أدعوه وهو قريب حين أدعوه من مكان بعيد

فلئن صار لا يجيب لقد كا ن سميعا هَشًا اذا هو نودى
يافتى كان للمقامات زينـا لا أراه فى المحفلِ المشهود
لهف نفسى أما أراك وما عنـــدك لي ان دعوت من مردود
كان عبد المجيد سمّ الأعادى ملء عين الصديق رغم الحسود
عاد عبد المجيد رزأ وقـد كا ن رجاء لريب دهر كنود
خنتـك الود لم أمت كمدا بعـــدك انى عليك حق جليد
لو فدى الحى ميتا افدت نفسـك نفسى بطارفى وتليدى
ولئن كنت لم أمت من جوى الحز ن عليه لأبلغنّ مجهودى
لأقيمنّ مأتمـا كنجوم الليـــل زُهرا يلطِمن حرّ الخدود
موجعات يبكين للكبد الحرّ ى عليه وللفؤاد العميـد
ولعين مطروفـــة أبدا قا ل لها الدهر لا تقرى وجودي
كلما عزّكِ البكاء فأنفد تِ لعبد المجيد سجْلا فعودى
لفتى يحسن البـكاء عليه وفتى كان لامتداح القصيد
فبرغمى كنت المقدم قبلى وبكرهى دُلّيت فى الملحود
كنت لى عصمة وكنت سماء بك تحيا أرضى ويخضر عودي

كان يحيى بن زياد يرمى بالزندقة وكان من أظرف الناس وأنظفهم فكان يقال أظرف من الزنديق وكان الحارثي واسمه محمد بن زياد يظهر الزندقة تظارفا فقال فيه ابن مناذر

يابن زياد يا أبا جعفـــر أظهرت دينا غير ما تخفى
مزندق الظاهرِ باللفظ وفى باطن اسلام فتى عفّ
لست بزنديق ولكنما أردت أن توسم بالظَّرف

ومن قوله يرثى سفيان بن عيينة

يجنى من الحكمة نوّارها ما تشتهى الأنفس الوانا
ياواحد الأمة فى علمه لقيت من ذى العرش غفرانا
راحوا بسفيان على نعشه والعلم مكسوين اكفانا
ان الذى غودر بالمنحنى هد من الاسلام أركانا
لا يبعدنك الله من ميت ورثّنا علما واحزانا

خطب أبو أمية امرأة من ثقيف فرد عنها وتصدى للقاضى أن يضمنه مالا من أموال اليتامى فلم يجبه الى ذلك ولم يثق به فقال فيه ابن مناذر

أبا أمية لا تغضب علىّ فما جزاء ما كان فيما بيننا الغضب
ان كان ردك قوم عن فتاتهم ففى كثير من الخطاب قد رغبوا
قالوا عليك ديون ما تقوم بها فى كل عام بها تستحدث الكتب
وقد تقحم من خمسين غايتها مع أنه ذو عيال بعدما انشعبوا
وفى التى فعل القاضى فلا تجدن فليس فى تلك لى ذنب ولا ذنب
أردت أموال أيتام تضمنها وما يضمن الا من له نشب

قال له جعفر بن يحيى قل فى وفى الرشيد شعرا تصف فيه الألفة بيننا فقال

قد تقطع الرحم القريب وتكفر النعمى ولا كتقارب القلبين
يدنى الهوى هذا ويدنى ذا الهوى فاذا هما نفس ترى نفسين

قال الحسن بن على كنا عند باب سفيان بن عيينة وقد هرب منا وعنده الحسن بن على التختاخ ورجل من الحجبة ورجل من اصحاب الرشيد، نخلا بهم وليس يأذن لنا، فجاء ابن مناذر فقرب من الباب ثم رفع صوته فقال

بعمرو وبالزهرى وبالسلف الأولى بهم ثبتت رجلاك عند المقادم
جعلت طوال الدهر يوما لصالح ويوما لصباح ويوما لحاتم
وللحسن التختاح يوما ودونهم خصصت حسينا دون أهل المواسم

نظرت وطال الفكر فيك فلم أجد رحاك جرت الا لأخذ الدراهم

فخرج سفيان وفى يده عصا وصاح خذوا الفاسق ، فهرب ابن مناذر منه وأذن لنا فدخلنا

قال شيخ من أهل الكوفة سمعت سفيان بن عيينة وقد تكلم بكلام استحسن فسأله ابن مناذر أن يمليه عليه ، فتبسم سفيان وقال هذا كلام سمعتك تتكلم به فاستحسنته فكتبته عنك ، قال وعلى ذلك أحب أن تمليه على فانى اذا رويته عنك كان أنفق له من أن أنسبه الى نفسى

لما مات عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى خرج ابن مناذر الى مكة وترك النسك وعاد للمجون والخلع وقال فى هذا المعنى شعرا كثيرا حتى كان اذا مدح أو فخر لم يجعل افتتاح شعره ومبادئه الا المجون وحتى قال فى مدحه للرشيد

هل عندكم رخصة من الحسن البصرى فى العشق وابن سيرينا

ان سفاها بذى الجلالة والشيبة ألاّ يزال مفتونا

وقال أيضا فى هذا المعنى

الا يا قمر المسجد هل عندك تنويل

شفائى منك ان نولتني شم وتقبيل

سلا كل فؤاد و فؤادى بك مشغول

لقد حملت من حبيك مالا يحمل الفيل

قال العباس بن ميمون حدثني بعض أصحابنا قال رأيت ابن مناذر بمكة وهو يتوكأ على رجل يمشى معه وينشد

اذا ما كدت أشكوها الى قلبي لها شفعا

ففرق بيننا دهر يفرق بين ما اجتمعا

فقلت ان هذا لا يشبه شعرك ، فقال ان شعرى بَرَد بعدك

بلغ ابن مناذر عن ابن داب قول قبيح فقال

فمن يبغى الوصاة فان عندي وَصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون ولا تَرووا أحاديث ابن داب
ترى الغاوين يتبعون منها ملاهى من أحاديث كذاب
اذا التمست منافعها اضمحلت كما يرفضّ رَقْراق السحاب

فرويت وافتضح بها ابن داب

كان الرشيد قد وصل ابن مناذر مرات صلات سنية ، فلما مات الرشيد رثاه بقوله

من كان يبكي للعلا ملكا وللهمم الشريفة
فليبك هرون الخليـ ـفة للخليفة للخليفة

كان محمد بن طليق وسائر بني طليق أصدقاء لابن مناذر ، فلما ولى المهدى الخلافة استقضى خالد بن طليق وعزل عبيدالله بن الحسن بن الحر فقال ابن مناذر يهجو خالدا مجونا وخبثا منه

اصبح الحاكم بالنا س من آل طليق
جالسا يحكم فى النا س بحكم الجاثليق
يدع القصد ويهوى فى بنيات الطريق
ياأبا الهيثم ما كنـ ـت لهذا بخليق
لا ولا كنت لما حمـ ـلت منه بمطيق
حبله حبل غرور عنده غير وثيق

قال ابن سلام فقلت لابن مناذر ويحك اذا بلغ اخوانك وأصدقاءك من آل طليق أنك هجوتهم ما يقولون لك ! ؟ وبأى شيء تعتذر اليهم ؟ فقال لا يصدقون اذا بلغهم أنى هجوتهم بذلك لانهم يثقون بى .

قال ابن مناذر كنت بمكة فاشتكيت فلم يعدنى من قريش الا بنو مخزوم وحدهم فقلت أمدحهم

جاءت قريش تعودنى زُمَرا فقد وعى أجرها لها الحفظة
ولم تعدْنىَ تيم واخوتها وزارنى الغر من بني يقظة
لا يبرح الغرّ منهمُ أبدا حتى تزول الجبال من قرظة

وقال حج الرشيد بعد ايقاعه بالبرامكة وحج معه الفضل بن الربيع فهيأت فيه قولا أجدت تنميقه وتنوقت فيه، فدخلت اليه فى يوم التروية واذا هو يسأل عنى ويطلبنى، فبدرنى الفضل بن الربيع قبل أن أتكلم فقال ياأمير المؤمنين هذا شاعر البرامكة ومادحهم، وقد كان البشر ظهر لي فى وجهه لما دخلت، فتنكر وعَبَس فى وجهى، فقال الفضل مره ياأمير المؤمنين أن ينشدك قوله فيهم «أتانا بنو الأملاك من آل برمك» فقال لى أنشد، فأبيت، فتوعدنى وأكرهني، فأنشدته

أتانا بنو الأملاك من آل برمك فياطيب أخبار ويا حسن منظر
اذا وردوا بطحاء مكة أشرقت بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتُظلم بغداد ويجلو لنا الدجى بمكة ما حجوا ثلاثة أقمر
فما صلَحت الا لجود أكفهم وأرجلهم الا لأعواد منبر
اذا راض يحيى الأمر ذلت صعابه وحسبك من راع له ومدبر
ترى الناس اجلالا له وكأنهم غرانيق ماء تحت باز مصرصر

ثم أتبعت ذلك بأن قلت كانوا أولياءك ياأمير المؤمنين أيام مدحتهم وفى طاعتك، لم يلحقهم سخطك، ولم تحلل بهم نقمتك، ولم أكن في ذلك مبتدعا ولا خلا أحد من نظرائى من مدحهم، وكانوا قوما قد أظلني فضلهم، وأغنانى رفدهم، فأثنيت بما أولوا، فقال ياغلام الطم وجهه، فلطمت والله حتى سدِرت وأظلم ما كان بينى وبين أهل المجلس، ثم قال اسحبوه على وجهه، ثم قال والله لأحرمنك ولا تركت

احدا يعطيك شيئاً فى هذا العام ، فسحبت حتى أخرجت وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالا فى نفسى وحالى وما جرى على لا والله ما عندى ما يقيم قوت عيالى لعيدهم فاذا بشاب قد وقف على ثم قال أعزز على والله يا كبيرنا بما جرى عليك ودفع الي صرة وقال تبلغ بما فى هذه ،فظننتها دراهم، فاذاهى ثلثمائة دينار ، فقلت من أنت جعلني الله فداك؟ قال أنا أخوك أبو نواس فاستعن بهذه الدنانير واعذرنى ، فقبلتها وقلت وصلك الله يا أخي وأحسن جزاءك

وقال ابن مناذر فى شيرويه الزيادى « وشيرويه لقب له واسمه أحمد » وقد سأله حاجة فأبى أن يقضيها الا على ان يمدحه

ياسمى النبي بالعربية وسمى الليوث بالفارسية
ان غضبنا فأنت عبد ثقيف أو رضينا فأنت عبد أمية

فغضب شيرويه من ذلك وجعل يشتمه ، فكان بعد ذلك اذا قيل لشيرويه ابن مناذر عليك غضبان أو عنك راض يشتم من يقول له ذلك

قال التوَّزى سألت أبا عبيدة عن اليوم الثانى من النحر ما كانت العرب تسميه؟ قال ليس عندى من ذلك علم ، فلقيت ابن مناذر بمكة فلما خبرته بذلك تعجب وقال أيسقط مثل هذا عن أبي عبيدة ؟ هى أربعة أيام متواليات كلها على الراء أولها يوم النحر والثانى يوم القر والثالث يوم النفر والرابع يوم الصَّدَر، فحدثته أبا عبيدة فكتبه عن ابن مناذر

وقد روى ابن مناذر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمما روى الحياء من الايمان والمِراء من النفاق ، ومنه لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الى القتلى وهم مصرَّعون قال لأبى بكر لو أن أبا طالب حى لعلم أن أسيافنا قد أخذت بالأماثل ، يعنى قول ابى طالب

كذبتم وبيت الله ان جد ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

ومنه ، جاء الشيطان الى عيسى فقال ألست تزعم أنك صادق ؟ قال بلى ، قال فأوف على هذه الشاهقة فألق نفسك منها ، فقال ويلك ألم يقل الله يا ابن آدم لا تبلني بهلاكك فانى أفعل ما أشاء ، قال ابراهيم بن الجنيد سألت يحيى بن معين عن ابن مناذر الشاعر فقال لم يكن بثقة ولا مأمون رجل سوء نفى من البصرة ووصفه بالمجون والخلاعة ، فقلت انما نكتب شعره وحكايات عن الخليل بن أحمد ، فقال هذا نعم وأما الحديث فلست أراه موضعا له

قال على بن محمد النوفلى رأيت ابن مناذر في الحج سنة ثمان وتسعين ومائة وهو قد كف بصره تقوده جويرية حرة وهو واقف يشترى ماء قربة فرأيته وسخ الثوب والبدن ، فلما صرنا الى البصرة أتتنا وفاته فى تلك الأيام

العمانى الراجز

هو محمد بن ذؤيب بن مِحْجَن الحنظلى الدارمى صليبة ، من بنى فُقَيم وقيل له العُمانى وهو بصرى لانه كان شديد صفرة اللون ، وليس هو ولا أبوه من أهل عُمان ، كان شاعرا راجزا متوسطا من شعراء الدولة العباسية ، ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدهم في عصره مثل أشجع وسَلْم ومَرْوان ولكنه كان لطيفا داهيا مقبولا فأفاد بفعله اموالا جليلة

دخل على الرشيد فأنشده

يا ناعش الجَد اذا الجد عثر وجابر العظم اذا العظم انكسر
أنت ربيعى والربيع يُنتظر وخير أنواع الربيع ما بكر

فقال له الرشيد اذاً يبكُر عليك ربيعنا ، يافضل أعطه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوبا

وأنشد الرشيد مرة

هرون يا ابن الاكرمين منصبا لما ترحلت فصرت كَثَبَا

من أرض بَغْداد تؤُم المغـربا   طابت لنا ريح الجَنُوب والصَّبا

ونزل الغيث لنـا حتى ربا   ما كان من نَشْزٍ وما تصـوبا

فمرحباً ومرحباً ومرحبا

فقال له الرشيد و بك مرحباً ياعمانى وأهلا وأجزل صلته

لما عزم الرشيد على البيعة لمحمد الأمين قام العمانى بين صفوف القواد ثم أنشأ يقـول

لما أتانا خـبر مشهر   أغرّ لا يخفى على من يُبصر

جاء به الكوفى والمبصّر   والراكب المنجد والمغوّر

يخبّر الناس وما يُسْتخبر   قلت لأصحابي ووجهي مسفر

وللرجال حسبُكم لا تكثروا   فاز بها محمد فأقصروا

قد كان هذا قبل هذا يذكر   فى كتب العلم الذى يسطر

فقل لمن كان قديما يتْجَر   قد نُشر العدل فبيعوا واشتروا

وشرقوا أو غربوا وأبشروا   فقد كفى الله الذى يستقدر

عنه أفعال ما قد يحـذر   والسيف عنا مُغمَد ما يشهر

وقلد الأمر الأغرّ الأزهر   نَوْء السَّماكين الذي يستمطر

بوجهه ان كان عام أغـبر   سُرّت به أسرّة ومنـبر

وابتهج الناس به واستبشروا   وهللوا لربهم وكبروا

شكرا ومن حقهم أن يشكروا   اذ ثبتت أوتاد ملك يعمر

وهاشم فى حيث طاب العنصر   وطاح من كان عليها يزفر

ان بنى العباس لم يقصروا   اذ نهضوا لملكهم فشمروا

وعقدوا ونزعوا وأمروا   ودبروا فأحكموا ما دبروا

وأوردوا بالحزم ثم أصدروا   والحزم رأى مثله لا ينكر

اذا الرجال فى الرجال خيروا ... يأيها الخليفة المطهر
والمؤمن المبارك الموفر ... والطيب الأغصان والمظفر
ما الناس الا غنم تنشر ... ان لم تداركهم براع يحظر
على قلوص طرقها وبسطر ... ويمنع الذئب فلا ينفر
فامنن علينا بيد لا تكفر ... مشهورة مادام زيت يعصر
وانظر لنا وخل من لا ينظر ... واجسر كما كان أبوك يجسر
لا خير فى مجمجم لا ينظر ... ولا كتاب بيعة لا ينشر
وقد تربصت فلست تعذر ... فليت شعرى ما الذى تنظر
أأنت قائم به أم تسخر ... مالك فى محمد لا تعذر
وليت شعرى والحديث يؤثر ... أترقد الليل ونحن نسهر
خوفا على أمورنا ونضجر ... والله والله الذى يستغفر
لأن يموت معشر ومعشر ... خير لنا من فتنة تسعر
يهلك فيها دينهم ويوزر ... وقد وفى القوم الذين انتصروا
لصاحب الروم وذاك أصغر ... منه وهذا البحر لا يكدر
وذاكم العلج وهذا الجوهر ... ينمى به محمد وجعفر
والخلفاء والنبى الأكبر ... ونبعة من هاشم وعنصر
واعلم وأنت المرء لا يبصر ... منا ذوى العسرة حتى يوسروا
ان الرجال ان ولوها آثروا ... ذوى القرابات بها واستأثروا
بها وضل أمرهم واستكبروا ... والملك لا رحم له فيأصر
ذا رحم والناس قد تغيروا ... فأحكم الأمر وأنت تقدر

فمثل هذا الأمر لا يؤخر

فقال له الرشيد أبشر ياعمانى بولاية محمد العهد، فقال إي والله ياأمير المؤمنين

بشرى الأرض المجدبة بالغيث والمرأة النَّزور بالولد والمريض المدنَف بالبرء ، قال ولم ذاك ؟ قال لأنه نسيج وحده وحامى مجده وموري زَنْده ، قال فما لك في عبد الله ؟ قال مَرْعًى ولا كالسَّعدان، فتبسم الرشيد وقال قاتله الله من أعرابى ما أعرفه بمواضع الرغبة، وأسرعه الى أهل البذل والعائدة ، وأبعده من أهل الحزم والعزم ، والذين لا يستمنح ما لديهم بالثناء ، أما والله انى لأعرف فى عبد الله حزم المنصور ونُسك المهدى وعز نفس الهادى ولو أشاء ان أنسبه الى الرابعة لنسبته اليها

دخل على الرشيد فاستنشده، فأنشده أُرجوزة له فيه حتى انتهى الى هذا الموضع

قل للأمام المقتدى بأمه ما قاسم دون مدى ابن أمه

وقد رضيناه فقم فسمه

فتبسم الرشيد وقال ويحك أما رضيت أن أوليه العهد وانا جالس حتى أقوم على رجلى ؟ فقال ما أردت يا أمير المؤمنين قيامك على رجليك وانما أردت قيام العزم ، قال فانا قد وليناه العهد

دخل على أبى الحر التميمى بالبصرة فأطعمه وسقاه وجلله بكساء فقال فيه

ان أبا الحر لَعين الحُرّ يدفع عنا سَبَرات [1] القُرّ

باللحم والشحم وخُبز البُرّ ونُطْفة مكنونة فى الجر

يشربها أشياخنا في السحر حتى نرى حديثنا كالدر

تغدى مع محمد بن سليمان بن على فكان أول ما قدم لهم فرنية فى لبن عليها سكر ثم تتابع الطعام ، فقال له قل فيما أكلت شعرا تصفه فقال

جاؤا بفُرْنى [2] لهم ملبون بات يُسقَّى خالص السُّمون

مُصومع [3] أكُوم ذى غُضون قد حشيت بالسكر المطحون

---

(١) السبرة بالفتح الغداة الباردة الجمع سبرات (٢) الفرني خبزة مصعنبة مضمومة الجوانب الي الوسط تشوي ثم تروي سمنا ولبنا وسكرا (٣) صومع الثريد دقق رأسه فهو مصومع

ولوّنوا ما شئت من تلوين ... من بارد الطعـام والسخين

ومن شراسيف[1] ومن طُرْدين ... ومن هُلام ومَصوص جُون

ومن إوز فائق سمـــين ... ومن دجاج فتّ بالعجين

فالشحم فى الظهور والبطون ... وأتبعـوا ذلك بالجوْزين[2]

وبالخبيص[3] الرطب واللَّوزين ... وفكهوا بعنب وتـــين

والرطب الأزاذ والهيرون ... محمد ياسيد البنـــين

وبكر بنت المصطفى الأمين ... الصادق المبارك الميمون

وابن وُلاة البيت والحَجون ... اسمع لنعت غير ذى تفنين

يخرج من فن الى فنون ... ان الحديث قيل ذو شجُون

دخل على علي بن عيسى بن موسى وأنشده مديحاً له فيه وفد اليه به ، فاستحسنه ووصله واقتطعه اليه وخصه وجعله في جلسائه فقال العمانى فيه

ما كنت أدرى ما رخاء العِيش ... ولا لبست الوَشْى بعد الخيش

حتى تمدحت فـــتى قُريش ... عيسى وعيسى عند وقت الهيش

حين تخف عَــبرة للطيش ... زين المقيمين وعز الجـــيش

راش جناحىّ وفوق الرّيش

أجرى المهدى الخيل فسبقها فرس له يقال له الغضبان فقال العمانى

قد غضب الغضبان اذ جد الغضب ... وجاء يحمى حسباً فوق الحسب

من ارث عباس بن عبد المطلب ... وجاءت الخيل به تشكو التعب

له عليها مالكم على العرب

(١) الشراسيف جمع شرسوف بالضم غضروف معلق بكل ضلع مثل غضروف الكتف، والطردين طعام للاكراد، والهلام بالضم والفتح طعام من لحم عجلة بجلدها وقيل مرق السكباج المبرد والمصفى من الدهن والسكباج مرق يعمل من اللحم والخل. والمصوص طعام من لحم يطبخ وينقع فى الخل او يكون من لحم الطير خاصة ، والجون ضرب من القطا سود البطون والاجنحة وهو اكبر من الكدرى واحده جونى بضم الجيم وتشديد الياء (٢) الجوزين ضرب من الحلاوات يعمل من الجوز (٣) الخبيص الحلواء المخبوصة

عكاشة بن عبد الصمد العمى

من أهل البصرة من بني العمّ وعدادهم فى تميم، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية ليس ممن شهر وشاع شعره فى أيدى الناس ولا ممن خدم الخلفاء ومدحهم أحب جارية اسمها نُعيم لبعض الهاشميين وفيها يقول

علام حبل الصفاء منصرم ؟ — وفيم عنى الصدود والصَّمَم ؟

يامن كنَيْنا عن اسمه زمنا — نتبع مرضاته ونحترم

قد عِيلَ صبرى وأنتِ لاهية — عنى وقلبى عليك يضطرم

من جَذَّ حبل الوفاء سيدتى — منك ومن سامني له العدم

فكم أتانى واشٍ بعيبكمُ — فقلت اخسأ لأنفك الرَّغم

انت الفدا والحمى لمن عبث فار — جع صاغرا راغما لك الندم

يارب خذ لى من الوُشاة اذا — قاموا وقمنا اليك نختصم

دَبُّوا اليها يوسوسون لها — كى يستزلوا حبيبتى زعموا

هيهات من ذاك ضل سعيهمُ — ما قلبها المستهام يقتسم

ياحاسدينا موتوا بغيظكمُ — حبلى متين بقولها نعم

بالله لا تُشمتى العداة بنا — كونى كقلبي فلست أتهم

ووفت له ذات مرة فغنته غناء حسناً وانصرفت فقال فى ذلك

سقيا لمجلسنا الذي كنا به — يوم الخميس جماعة أترابا

فى غرفة مُطرت سماوةُ سقفها — بَحَيا النعيم من الكروم شرابا

اذ نحن نسقاها شمولا قَرْقفا — تدع الصحيح بعقله مرتابا

حمراء مثل دم الغزال وتارة — بعد المزاج تخالها زُرْيابا

من كف جارية كأن بنانها — من فضة قد قمعت عنّابا

تزداد حسناً كأسها من كفها ويطيب منها نشرها أحقابا

واذا المزاج علا فشجَّ جبينها نقشت بألسنة المزاج حبابا

وتخال ما جمعت فأحدق سِمْطه بالطوق ريق حبائب ورُضابا

كفت المناصف ان تذُب أكفها عنها اذا جملت تفوح ذبابا

والعود متبع غناء خريدة غَرِداً يقول كما تقول صوابا

وكأن يمناها اذا نطقت به تلقى على يدها الشمال حسابا

فهناك خف بنا النعيم وصار من دون الثقيل لنا عليه حجابا

آليت لا أَلْحَى على طلب الهوى متلذذا حتى أكون ترابا

ثم رحلت مع من اشتراها عن بغداد فعظم أسف عكاشة وحزنه عليها واستهيم بها طول عمره فاستحالت صورته وطبعه وخلقه فكان اكثر وكده وشغله ان يقول فيها الشعر وينوح عليها ويبكي فمن ذلك

ألا ليت شعري هل يعودنّ ما مضى وهل راجع ما مات من صلة الحبل

وهل أجلسن فى مثل مجلسنا الذى نَعِمنا به يوم السعادة بالوصل

عشية صبت لذة الوصل طيبها علينا وأفنان الحنان جنى البذل

وقد دار ساقينا بكأسٍ رَوِيَّة ترحل أحزان الكئيب مع العقل

وشج شمولا بالمزاج فطيرت كألسنة الحيات خافت من القتل

فبتنا وعين الكأس سحَّ دموعها لكل فتى يهتز للمجد كالنصل

وقينتنا كالظبي تسمح بالهوى وبث تباريح الفؤاد على رسل

اذا ما حكت بالعود رجع لسانها رأيت لسان العود من كفها يُمْلى

فلم أر كاللذات أمطرت الهوى ولا مثل يومى ذاك صادفه مثلى

ومما قال فيها

أنعيم حبك سلنى وبلانى والى الامرَّ من الامور دعانى

أنعيم لو تجدين وجدى والذى ... ألقى بكيتِ من الذى أبكانى
أنعيم سيدتى عليك تقطعت ... نفسى من الحسرات والأحزان
أنعيم قد رحم الهوى قلبى وقد ... بكت الثياب أسى على جثمانى
أنعيم وانحدرت مدامع مقلتى ... حتى رحمت لرحمتى اخوانى
أنعيم مثلكِ الهيام لمقلتى ... فكأننى ألقاك كلّ مكان
أنعيم نظرة سحر عينك بالهوى ... معروفة بالقتل فى انسان
أنعيم اشفى أو دعى من داؤه ... ودواؤه بيديك مقترنان
هذا وكم من مجلس لى مونق ... بين النعيم وبين عيش دان
نازعته أردانه فلبسته ... مع ظبية فى عيشنا الفينان
تُنسى الحليم من الرجال معاده ... بين الغناء وعودها الحنان
حتى يعود كأن حبة قلبه ... مشدودة بمثالث ومثان
ظلت تغنينى وتعْطِف كفها ... بالعود بين الراح والريحان
فسمعت ما أبكي وأضحك سامعاً ... وسكت من طرب ومن أشجان
ومشيت فى لجج الهوى متبخترا ... ومشى الىّ اللهو فى الألوان
فعلمت ان قد عاد قلبىَ عائد ... من بين عود مطرب وبنان

ومما قاله أيضا فيها

نعيمُ هل بكيْتِ كما بكيت ... وهل بعدى وفيت كما وفيت
الا ياليت شعرى كيف بعدى ... وصبرك اذ نأيتِ كما نأيت
فكم من عبرة ذرفت فلما ... خشيت عيون أهلى واستحيت
نهضت بها مكاتمة فلما ... خلوت ذرفتها حتى اشتفيت
وقلت لصحبتى لما رمانى ... هواك بدائه حتي انطويت
أرانى من هموم النفس ميتا ... ولم أر فى نعيم مانويت

تمنيت الموت عجل قبض روحى جهارا فاسترحت وأين ليت

وقال أيضا فى فراقه اياها

أنعيم فى قلبى عليك شرار وعلى الفؤاد من الصبابة نار
وعلى الجفون غشاوة وعلى الهوى داع دعته لحينى الأقدار
بعضلة لبَّ الحليم اذا رمت بالمقلتين كأنها سحار
طالبتها حوابن لاليلى بهـا ليل ولا هـذا النهار نهار
حتى اذا ظفرت يداى بكاعب كالشمس تقصر دونها الأبصار
وثلجت صدرا بالفتاة وصارتا كالنفس نفسانا وقر قرار
بلغ الشقاء أشد ما يسطيعه فينا وفرق بيننا المقدار

ومما يغنى فيه من شعره الذى قال فيها

لهفى على الزمن الذي ولّى ببهجته القصير
قد كان يونقني الهوى ويقر عينى بالسرور
اذ نحن خلان الهوى ريحاننا عبق العبير
وغناؤنا وصف الهوى نلتذ بالحب اليسير
وجه التواصل بيننا فى الحب كالقمر المنير
ايماؤنا يحكي الكلا م وسرنا فطن المشير
وحديثنا بحواجب نطقت بألسنة الضمير
بل رسلنا الكتب التى تجرى بخافية الصدور

ومما غنى فيه من شعره

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرُّقى وصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة ولو صدقوا قالوا به من أعين الانس

ومنها

طرفى يذوب وماء طرفك جامد   وعلىّ من سيما هواك شواهد

هذا هواك قسمته بين الورى   ومنحتنى أرقا وطرفك راقد

فعلىّ منه اليوم تسعة أسهم   وعلى جميع الناس سهم واحد

ومنها

عاد الهوى بالكاس بردا   وأطاع إمرة من تبدى

ومنها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت   تمت قواما فلا طول ولا قصر

ومنها

وزعفرانية فى اللون تحسبها   اذا تأملتها فى جسم كافور

تخال أن سقيط الطلّ بينهما   دمع تحير فى أجفان مهجور

ابو مالك النضر بن أبى النضر التميمى

مولده ومنشؤه بالبادية ، ثم وفد الي الرشيد ومدحه وخدمه فأحمد مذهبه ولحظته عناية من الفضل بن يحيى فبلغ ما أحب، وهو صالح الشعر متوسط المذهب ليس من طبقة شعراء عصره المجيدين ولا من المرذولين

كان مع الرشيد وكان أبوه مقيما بالبادية فأصاب قوم من عشيرته الطريق وقطعوه على بعض القواقل ، فخرج عامل مضر وكان يقال له جيال الى ناحية كانت فيها طوائف من بني تميم فقصدهم وهم غارّون فأخذ منهم جماعة فيهم أبو النضر أبو أبي مالك وكان ذا مال فطلبه فيمن طلب من الجناة وطمع فى ماله فضربه ضربا أتى فيه على نفسه وبلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه

فيم يلحَى على بكائى العذول ؟   والذى نابني فظيع جليل

عدّ هذا الكلام عني الى غيري فقلبي ببثّه مشغول

راعني والدي، جنت كفّا جيا ل عليه فراح وهو قتيل

أيها الفاجعي بركني وعزي هبلتني ان لم أرُعْك الهبول

سُمتني خطة الصغار وأظلمـ ـت نهاري على غالتك غول

ما عداني الجفاء عنك ولكن لم يُدِلْني من الزمان مديل

زال عنا السرور اذ زُلت عنا وازدهانا بكاؤنا والعويل

ورأينا القريب منا بعيدا وجفانا صديقنا والخليل

ورمانا العدو من كل وجه وتجنى عليّ العزيز الذليل

يا أبا النضر سوف أبكيك ماعشـ ـت سوِيّا وذاك مني قليل

حملت نفسك الملائكةُ الأبـ ـرار اذ ما لنا اليك سبيل

غير أني كذبتك الود لم تقـ ـطر جفوني دما وأنت قتيل

رضيت مقلتي بارسال دمعي وعلى مثلك النفوس تسيل

أسواك الذي أجود عليه بدمي؟ اني اذا لبخيل

عثر الدهر فيك عثرة سوء لم يُقِل مثلها المعين المقيل

قل لمن ضنّ بالحياة فاني بعده للحياة قالٍ ملول

ان بالسفح في منازل قومي ليس منهم وهم أدان وصول

لا يزورن جارهم من قريب وهمُ في التراب صرعى حلول

حفرة حشوُها وفاء وحلم وندى فاضل ولب أصيل

وعفاف عما يشين وجلم راجح الوزن بالرواسي يميل

وبنان يمينها غير جعْد وجبين صلْت وخد أسيل

وامرؤ أشرقت صفيحة خديـ ـه عليه بشاشة وقبول

ومن شعره وفيه غناء

بكيت حِذار البين علما بما الذى	اليه فؤادى عنـد ذلك صائر
وقال أناس لو صبرت ، وانني	على كل مكروه سوى البين صابر

شعراء قيس

مساور الوراق

هو مساور بن سوّار بن عبد الحميد من آل قيس بن عَيلان ويقال انه مولى جَديلة من عَدْوان ، كوفى قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته وقد روى عن صدور من التابعين وروى عنه وجوه أصحاب الحديث

كان قوم يجلسون الى ابن أبي ليلي فكتب قوما منهم لعيسى بن موسى وأشار عليه أن يشغلهم ويصلهم ، فأتى مساور الوراق فكلمه أن يجعله فيهم فلم يفعل فأنشأ يقول

أراك تشير بأهل الصلا	ح فهل لك فى الشاعر المسلم؟
كثير العيال قليل السؤا	ل عفّ مطاعمه مُعْدِم
يقيم الصلاة ويؤتى الزكا	ة وقد حلّق العام بالموسم
وأصبح والله فى قومه	وأمسى وليس بذى درهم

مر مساور بمقبرة حُميد الطوسى وكان له صديقا فوقف عليها مستعبرا وأنشأ يقول

أبا غانم أما ذراك فواسع	وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبورَ عُمرانُ قبره	اذا كان فيه جسمه يتهدم

لما سمع مساور لغط أصحاب أبي حنيفة وصياحهم أنشأ يقول

كنا من الدين قبل اليوم فى سعة	حتى بلينا بأصحاب المقاييس

قوم اذا اجتمعوا ضجوا كأنهم   ثعالب ضَبَحتْ بين النواويس

فبلغ ذلك أبا حنيفة وأصحابه فشق عليهم وتوعدوه فقال أبياتاً ترضيهم وهى

اذا ما الناس يوما قايسونا   بآبدة من الفُتيا ظريفة

أتيناهم بمقياس ظريف   مصيب من قياس أبى حنيفة

اذا سمع الفقيه بها وعاها   وأثبتها بحبر فى صحيفة

فبلغ ذلك أبا حنيفه فرضى ، قال مساور ثم دعينا الى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحر ، فدخلت فلم أجد لرجلى موضعا من الزحام واذا أبو حنيفة فى صدر البيت فلما رآنى قال الى يامساور الىّ يامساور ، فجئت فاذا مكان واسع وقال لى اجلس ، فجلست فقلت فى نفسى نفعتنى أبياتى اليوم ، قال وكان اذا رآنى بعد ذلك يقول لى ههنا ههنا ويوسع الى جنبه ويقول ان هذا من أهل الأدب والفهم

كان مساور لا يضيع حقا لجار له ، فماتت بنته فلم يشهدها من جيرانه الا نفر يسير فقال مساور فى ذلك

تغيب عنى كل جاف صرورة   وكل طفيلى من القوم عاجز

سريع اذا يدعى ليوم وليمة   بطئ اذا ما كان حمل الجنائز

ومن قوله وفيه غناء

انى شكرت لظالمى ظلمى   وغفرت ذاك له على علم

مازال يظلمنى وأرحمه   حتى رثيت له من الظلم

دخل مساور على أبى العيص الجرمى يعوده ، وكان صديقه ، فكلمه فبكي مساور جزعا عليه وأدنى رأسه يكلمه فقال أبو العيص

أفى كل عام مرضة بعد نقهة   وتنعى ولا تنعى متى ذا الى متى

سيوشك يوم أن يجئ وليلة   يسوقان حتفا راح نحوك أو غدا

فتُمسى صريعا لاتجيب لدعوة   ولا تسمع الداعى وان جد فى الدعا

ثم لم يلبث أن مات رحمه الله

قال مساور لابنه يوصيه

شمر ثيابك واستعدَّ لقائل ... واحكُكْ جبينك للعهود بثُوم

ان العهود صفت لكل مشمر ... دَبِرِ الجبين مصفر موسوم

أحسن وصاحب كل قارٍ ناسك ... حسن التعهد للصلاة صؤوم

من ضرب حماد هناك ومِسعَرٍ ... وسماك العَتَكىّ وابن حكيم

وعليك بالغَنَوى فاجلس عنده ... حتى تصيب وديعة ليتيم

تغنيك عن طلب البيوع نسيئة ... وتكف عنك لسان كل غريم

وإذا دخلت على الربيع مسلما ... فاخصص شبابة منك بالتسليم

ففعل ما أوصاه به فلم يلبث مساور أن ولاه عيسى بن موسى عملا ودفع اليه عهده فانكسر عليه الخراج، فدفع الى بطين صاحب عذاب عيسى يستأديه فقال مساور

وجدت دواهر البقال أهنى ... من الفُرنى والجدى السمين

وخيرا فى العواقب حين تبلى ... إذا كان المردُّ الى بطين

فكن ياذا المطيف بقاضيَينا ... غدا من علم ذاك على يقين

وقل لهما اذا عرضا بعهد ... برئت الى عُرَينة من عَرين

فانك طالما بهرجت فيها ... بمثل الخنفساء على الجبين

يوسف بن الحجاج

هو يوسف بن الحجاج الصيقل يقال انه من ثقيف، ويقال انه مولى لهم، وكان يلقب بلقوة ويصحب أبا نُواس ويأخذ عنه ويروى له، وكان يوسف كاتبا ومولده ومنشؤه بالكوفة ومن شعره الذى يغنى فيه

لا تلمني أن أجزعا سيدى قد تمنعا
وابلائى ان كان ما بيننا قد تقطعا
ان موسى بفضله جمع الفضل أجمعا
فارس يضرب الكتيبة حتى تصدعا
فى الوغى حين لايرى صاحب القوس منزَعا
واستدارت رماحهم بالرُّدَيْنى شُرَّعا
ثم ثارت عَجاجة تحتها الموت منقَعا

وموسى هو الهادى بن المهدى .

لما ورد الرشيد الرقة خرج يوسف وكمن له فى نهر جاف على طريقه ، وكان لهرون خدم صغار يسميهم النمل يتقدمونه بأيديهم قِسِيّ البُنْدُق يرمون بها من يعارضه فى طريقه ، فلم يتحرك يوسف حتى وافت قبة هرون مع ناقته ، فوثب اليه يوسف وأقبل الخدم الصغار يرمونه، فصاح بهم الرشيد كفوا عنه، فكفوا وصاح به يوسف يقول

أغيثا تحمل الناقة أم تحمل هرونا ؟
أم الشمس أم البدر أم الدنيا أم الدينا ؟
ألا كل الذي عددت قد أصبح مقرونا
على مفرق هرون فداه الآدميونا

فمد الرشيد يده اليه وقال مرحباً بك يايوسف كيف كنت بعدى؟ ادنُ منى، فدنا وأمر له بفرس فركبه وسار الى جانب قبته يُنشده ويحدثه والرشيد يضحك، وكان طيب الحديث ، ثم أمر له بمال وأمر بأن يغنى فى الأبيات

ومما يغنى فيه من شعره

العفو ياغضبان ماهكذا الخلان

هبني ابتليت بذنب أما له غفران
وان تعاظم ذنب ففوقه الهجران
كم قد تقربت جهدى لو ينفع القربان
يارب انت على ما قد حل بى المستعان
ويلى ألست ترانى أهذى بها يافلان

محمد بن حازم

هو محمد بن حازم بن عمر الباهلى ويكنى أبا جعفر من ساكنى بغداد مولده ومنشوه بالبصرة،وهو من شعراء الدولة العباسية شاعر مطبوع الا أنه كان كثير الهجاء للناس فاطُّرح، ولم يمدح من الخلفاء الا المأمون ولا اتصل بواحدمنهم فيكون له نباهة طبقته وكان ساقط الهمة متقللا جداً يرضيه اليسير ولا يتصدى لمدح ولا طلب

قال ابن الأعرابى أحسن ما قال المحدثون من شعراء هذا الزمان فى مديح الشباب وذم الشيب

لاحين صبر نخل الدمع ينهمل فقدُ الشباب بيوم المرء متصل
سقيًا ورعيا لأيام الشباب وان لم يبق منه ولا رسم ولا طلل
جرّ الزمان ذيولا فى مفارقه وللزمان على احسانه عِلَل
وربما جرّ أذيال الصبا فرِحا وبين بُرديه غصن ناعم خَضِل
يُصبى الغوانى ويزهاه بشرّته شرخ الشباب وثوب حالك رَجِل
لاتكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل
كفاك بالشيب عيبا عند عائبه وبالشباب شفيعا أيها الرجل
بان الشباب وولي عنك باطله فليس يحسن منك اللهو والغزَل

أما الغوانى فقد أعرض عنك قلىً وكان إعراضهن الذل والخجل
أعزنك الهجر ما ناحت مطوقة فلا وصال ولا عهد ولا رسل
ليت المنايا أصابتنى بأسهمها فكن يبكين عهدى قبل أكتهل
عهد الشباب لقد أبقيت لى حزنا ماجد ذكرك الاجد لى ثكل
ان الشباب اذا ماحل رائده فى منهل زاد يقفو إثره أجل

وقال في ذلك قال ابن الوشاء خاصة وما أساء ولاقصر عن الأولى حيث يقول فى هذا المعنى

أبكى الشباب لندمان وغانية وللمغانى وللأطلال والكتب
وللصريخ وللإجام فى غلس وللقنا السمر والهندية القضب
وللخيال الذى قد كان يطرقنى وللندامى وللذات والطرب
ياصاحبا لم يدع فقدى له جلدا أضعت بعدك ان الدهر ذو عقب
وقد أكون وشعبانا معا رجلا يوم الكريهة فراجا عن الكرب

بعث الحسن بن سهل محمد بن حميد في وجه وأمره بجباية مال وبحرب قوم من الشراة فخان فى المال وهرب من الحرب فقال فيه ابن حازم

تشبه بالأسد الثعلب فغادره معنقا [1] يجنب
وحاول ما ليس فى طبعه فأسلمه الناب والمخلب
فلم تغن عنه أباطيله وحاص فأحرزه المهرب
وكان مضيا على غدره فغيب والغادر الأخيب
أيا ابن حميد كفرت النعيـــم جهلا ووسوسك المذهب
ومنتك نفسك ما لا يكو ن وبعض المنى خلب
وما زلت تسعى على منعم تبقى وتنهى فلا تعتب

(١) الاعناق الاسراع

فاصبحت بالبغى مستبدلا رشادا وقدفات مستعتب

وقال فيه لما شخص الى حيث وجهه الحسن بن سهل

اذا استقلت بك الركاب فحيث لا درَّت السحاب
زالت سراعا وزلت يجرى ببينك الظبى والغراب
بحيث لا يرتجى اياب وحيث لا يبلغ الكتاب
فقبل معروفك امتنان ودون معروفك العذاب
وخير أخلاقك اللواتى تعاف أمثالها الكلاب

فبعث اليه ابن حميد بمال واعتذر اليه وسأله الكف فلم يفعل ورد عليه المال وقال فيه

موضع أسرارك المريب وحشو أثوابك العيوب
وتمنع الضيفَ فضل زاد ورحلك الواسع الخَصيب
ياجامعا مانعا بخيلا ليس له فى العلا نصيب
أبا لرُّشا يستمال مثلى كلا ومن عنده الغيوب
لا أرتدى حلة لمثنٍ بوجهه من يدى نُدوب
وبين جنبيه لى كُلُوم دامية ما لها طبيب
ما كنت فى موضع الهدايا منك ولا شَعْبنا قريب
انى وقد نشَّت(١) المكاوى عن سِمة شأنها عجيب
وسار بالذم فيك شعرى وقيل لى محسن مصيب
ما لك مال اليتيم عندى ولا أرى أكله يطيب
حسبك من موجز بليغ يبلغ ما يبلغ الخطيب

قال يحيى بن اكثم لمحمد بن حازم ما نعيب شعرك الا أنك لا تطيل فقال

(١) سمع لها صوت والمكاوى جمع مكواة

أبى لى ان أطيل الشعر قصدى الى المعنى وعلمى بالصـواب
وايجـــازي بمختصر قريب حذفت به الفضول من الجواب
فأبعثهن أربعة وخمســـا مثقفة بألفـــاظ عـذاب
خوالد ما حدا ليل نهارا وما حَسُن الصِّبا بأخى الشباب
وهن اذا وسمت بهن قوما كأطواق الحمائم فى الرقاب
وهن اذا أقمت مسافرات تهاداها الرواة مع الركاب

سأل صديقا له حاجة فرده عنها فغضب محمد وانقطع عنه فبعث اليـه بألف درهم وترضاه فردها وكتب اليه

متسع الصدر مطيق لمـا يحار فيه الحُوَّل القُلَّب
راجع بالعتبى فأعتبتـه وربما أعتبك المذنب
أجَلْ وفي الدهر على أنه موكل بالبين مُستعتَب
سقيا ورعيا لزمان مضى عنى وسهم الشامت الأخيبُ
قد جاءنى منك عتاب فلم أعْرِض له والحر لا يكذب
أخذى مالا منك بعد الذي أودعتنيه مركب يصعب
أبيتُ أن أشرب عند الرضا والسُّخْط الا مشربا يعذُب
أعزنى اليأس وأغنى فما أرجو سوى الله ولا أرهب
قارون عندى في الغنى مُعدِم وهمتى ما فوقها مذهب
فأي هاتين ترانى بها أصبو الى مالك أو أرغب

عرضت له حاجة فى عسكر أبى محمد الحسن بن سهل فأتاه وقد كان قال شعرا فى السفينة ، فلما دخل على محمد بن سعيد بن سلم انتسب له فعرفه ، فقال ما قلت فيه شيئا ، فقال له رجل كان معه فى السفينة بلى قد قال أبياتا وهو فى السفينة فسأله أن ينشده اياها فأنشده قوله

وقالوا لو مدحت فتى كريما | فقلت وكيف لى بفتى كريم ؟
بلوت الناس مذ خمسين عاما | وحسبك بالمجرِّب من عليم
فما أحد يُعَدّ ليوم خير | ولا أحد يعود على حميم
ويعجبني الفتى وأظن خيرا | فأكشف منه عن رجل لئيم
يقبل بعضهم بعضا فأضحوا | بنى أبوين قُدًا من أديم
فطاف الناس بالحسن بن سهل | طوافهمُ بزمزمَ والحطيم
وقالوا سيد يعطى جزيلا | ويكشف كربة الرجل الكظيم
فقلت مضى بذم القوم شعرى | وقد يؤتى البرىء من السقيم
وما خبر تُرجِّمه ظنونى | بأشفى من معاينة الحليم
فجئت وللأمور مبشرات | ولن يخفى الأغرّ من البهيم
فان يك ما تنشر عنه حقا | رجعت بأُهبة الرجل المقيم
وان يك غير ذاك حمدت ربى | وزال الشك عن رجل عليم
وما الآمال تعطفني عليه | ولكن الكريم أخو الكريم

فقال له بمثل هذا الشعر تلقى الامير؟ والله لو كان نظيرك لما جاز لك أن تخاطبه بمثل هذا ، فقال صدقت ، فكذلك قلت انى لم أمدحه بعد ولكن سأمدحه مدحا يشبه مثله ، قال فافعل ، وأنزله عنده ودخل الى الحسن فأخبره الخبر وعَجّبه من جودة البيت الأخير فأعجبه ، فأمر بادخاله اليه بغير مدح ، فأدخل اليه ، فأمره أن ينشده الشعر ، فاستعفاه فلم يُعفِه ، وقال قدقنعنا منك بهذا القدر اذ لم تدخلنا فى جملة من ذَممت وأرضيناك بالمكافأة الجميلة ، فأنشده اياه فضحك ، وقال ويحك مالك وللناس تعمهم بالهجا . ؟ حسبك الآن من هذا النمط وأبق عليهم ، فقال قد وهبتهم للأمير ، قال قد قبلت وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أهديت اليه هدية فقبلها وأثاب عليها ، ثم وصله فأجزل وكساه فقال في ذلك وأنشده

وهبت القوم للحسن بن سهل ... فعوضني الجزيل من الثواب
وقال دع الهجاء وقل جميلا ... فان القصد أقرب للثواب
فقلت له برئت اليك منهم ... فليتهم بمنقطع التراب
ولولا نعمة الحسن بن سهل ... على لسمتهم سوم العذاب
بشعر يعجب الشعراء منه ... يشبه بالهجاء وبالعتاب
أكيدهم مكايدة الأعادى ... وأختلهم مخاتلة الذئاب
بلوت خيارهم فبلوت قوما ... كهولهم أخس من الشباب
وما مسخوا كلابا غير أنى ... رأيت القوم أشباه الكلاب

فضحك وقال ويحك الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بعد، فقلت هذه نفثة طفحت على قلبى وأنا كاف عنهم ماأبقى الله الأمير

كان لابن حازم صديق على طول الأيام فنال مرتبة من السلطان وعلا قدره فجفا محمدا وتغير له فقال فى ذلك

وصل الملوك الى التعالى ... ووفا الملوك من المحال
مالي رأيتك لاتدو ... م على المودة للرجال
ان كان ذا أدب وظر ... ف قلت ذاك أخو ضلال
أو كان ذا نسك ودين قلت ذاك من الثقال
أو كان في وسط من الـ ... آمرين قلت يريغ مالى
فبمثل ذا ثكلتك أمـ ... ـك تبتغى رتب المعالى

كان ابن حازم قد نسك وترك شرب النبيذ فدخل يوما على ابراهيم بن المهدى فحادثه وناشده وأكل معه لما حضر الطعام، ثم جلسوا للشراب فسأله ابراهيم أن يشرب، فأبى وأنشأ يقول

أبعد خمسين أصبو ... والشيب للجهل حرب

سن وشيب وجهل ... أمر لعمرك صعب
يابن الامام فهلا ... أيامَ عودى رَطْب
وشيب رأسى قليل ... ومنهل الحب عذْب
واذ سهامى صياب ... ونَصْل سيفى عَضْب
واذ شفاء الغوانى ... مني حديث وقرب
فالآن حين رأى بى ... عواذلى ما أحبوا
وأقصر الجهل مني ... وساعد الشيب لُب
وآنس الرشد منى ... قوم أُعاب وأصبو ،
آليت أشرب كأساً ... ماحج لله ركب

وعد النُوشَجانى محمد بن حازم شيئاً سأله اياه ثم مطله، وعاتبه فلم ينتفع بذلك واقتضاه فأقام على مطله فكتب اليه

أبا بشر تطاول بى العتاب ... وطال بىَ التردد والطِّلاب
ولم أترك من الاعذار شيئاً ... أُلام به وان كثر الخطاب
سألتك حاجة فطويت كَشْحا ... على رغم وللدهر انقلاب
وسُمْتَني الدَّنية مستخفا ... كما خُزِمت بآنُفِها الصعاب
كأنك كنت تطلبنى بثأر ... وفي هذا لك العجب العجاب
فان تك حاجتى غلبت وأُعيت ... فمعذور وقد وجب الثواب
وان يك وقتها شيب الغراب ... فلا قضيت ولا شاب الغراب
رجوتك حين قيل لك ابن كسرى ... وانك سر ملكهم اللباب
فقد عجّلت لى من ذاك وعدا ... وأقرب من تناوله السحاب
وكلٌّ سوف ينشر غير شك ... ويحمله لطيته الكتاب

ومن قوله

صفحت برغمي عنك صفح ضرورة … اليك وفي قلبي ندوب من العتب
خضعت وماذنبي أن الحب عزّنى … فأغضيت صفحاً عن معالجة الحب
وما زال بي فقر اليك منازع … يذلل مني كل ممتنع صعب
الى الله اشكو أن ودى محصل … وقلبي جميعا عند مقتسم القلب

قصد ابن حازم بعض ولد سعيد بن سلم وقد ولى عملا واسترفده فأطال عدته. ولم يعطه شيئا فانصرف عنه وقال

اللدنيا أُعِدُّك يا ابن عمى … فأعلمَ أم اعدك للحساب
الى كم لا أراك تنيل حتى … أهزّك ،قد برئت من العتاب
وما تنفك من جمع ووضع … كأنك لست توقن بالاياب
فشرك عن صديقك غير ناء … وخيرك عند منقطَع التراب
أتيتك زائرا فأتيت كلبا … فحظى من اخائك للكلاب
فبئس أخو العشيرة ما علمنا … وأخبث صاحبا لأخى اغتراب
أبرحل عنك ضيفك غير راض … ورحلك واسع خِصْب الجناب
فقد أصبحت من كرم بعيدا … ومن ضد المكارم فى اللُّباب
وما بي حاجة لجداك لكن … أردك عن قبيحك للصواب

سافر ابن حازم سفرا فمر بقوم من بنى نُمَير فسلوا عليه بعيرا له عليه ثقله، فقال يهجوهم

نمير أجبُنا حيث تختلف القنا … ولؤما وبخلا عند زاد ومزود
ومنع قِرَى الأضياف من غير علة … ولا عَدَم الاحذار التعود
وبغيا على الجار القريب إذا طرا … اليكم وختْل الراكب المنفرد
على أنكم ترضوْن بالذل صاحبا … وتُعطون من لاحا كمُ الضيم عن يد
أما وأبى انا لنعفو واننا … على ذاك أحيانا نجور ونعتدى

نكيد العـدا بالحلم من غير ذلة ... ونغشي الوغى بالصدق لا بالتوعد

نفى الضيمَ عنا أنفس مُضَرية ... صراح وطعن الباسل المتمرد

وانا لمن قيس بن عيلان فى التى ... هى الغاية القُصوى بعز وسُودَد

وان لنا بالترك قبرا مباركا ... وبالصين قبرا عزّ كل موحد

وما فاتنا صَرْف الزمان بسيد ... يُثبنا عليها او يوافى بسيد

ولو أن قوما يَسلمون من الردى ... سلمنا ولكنّ المنايا بمَرْصـد

أبى الله أن يَهدى نُميرا لرشدها ... ولا يَرْشُد الانسان الا بمرشد

ولى محمد ابن حامد بعض كور الأهواز فى عهد المأمون فقدم عليه ابن حازم زائرا ومدحه ، فوصله وأحسن اليه وكتب له الى تُسْتَرَ بحنطة وشعير ، فمضى بكتابه وأخذ ما كتب له به وتزوج هناك امرأة من الدهاقين فزرع الحنطة والشعير فى أرضها ، وولى محمد بن حامد رجلا من أهل الكوفة الخراج بتُستَرَ فوكّل بغَلّة ابن حازم وطالبه بالخراج فأداه وقال يهجوه

زرعنا فلما سلم الله زرعنا ... وأوفى عليه مِنجَل بحَصاد

بُلينا بكوفى حليف مجاعـــة ... أضرّ علينا من دَبىّ وجراد

أتى مستعـدا ما يكذب دونه ... ولج بارغام له وبعـــاد

فطورا بالحاح على وغلظة ... وطورا بخبط دائم وفساد

ولولا أبو العباس أعنى ابن حامد ... لرحلته عن تُستَرَ بسواد

فكفوا الأذى عن جاركم وتعلموا ... بأنى لكم فى العـــالمين مناد

فبعث ابن حامد الى عامله فصرفه عن الناحية وقال عرضتنى لما أكره واحتمل خراج ابن حازم ، ومما يغنى فيه من شعره

خذ من العيش ما كفى ... ومن الدهر ما صفا

حَسُن الغدر فى الأنا ... م كما استُقبح الوفا

صل أخا الوصل انه ليس بالهجر من صفا
عين من لا يريد وصلك تبدى لك الجفا

قال محمد ابن حازم بعث الىّ فلان الطاهرى وكنت قد هجوته فأفرطت ـ بألف درهم وثياب وقال أما ماقد مضى فلا سبيل الى رده ولكن أحب ألاّ تزيد شيئاً فبعثت اليه بالألف الدرهم والثياب وكتبت

لا ألبسَ النعماء من رجل ألبسته عارا على الدهر

وقال مر بى أحمد بن سعيد بن سلم وأنا على بابى فلم يسلم على سلاما أرضاه فكتبت رقعة وأتبعته بها وهى

وباهليٍّ من بني وائل[1] أفادَ مالا بعد افلاس
قطب فى وجهى خوف القِرى تقطيب ضرغام لدى الباس
وأظهر التيه فتايهته تيه أمرئٍ لم يشقَ بالناس
أعرته اعراض مستكبر فى موكب مر بكناس

قال أبو على قلت لابن حازم ياأبا جعفر كيف مابينك وبين صديقك سعد ابن مسعود اليوم ؟ فقال

راجع بالعتبى فأعتبته وربما أعتبك المذنب
وان فى الدهر على صرفه بين الصديقين لمستعتب

مدح بعض بنى حُميد فلم يثبه وجعل يفتش شعره فيعيب فيه الشئ بعدالشئ وبلغه ذلك فهجاه هجاء كثيراً شنيعا منه قوله

عدواكَ المكارم والكرام وخلك دون خلتك اللئام
ونفسك نفس كلب عندزَوْر وعقبى زأر الكلب النّدام
تَهِرّعلى الجليس بلا احترام لتحشمه اذا حضر الطعام

(١) هو وائل بن معن بن مالك بن أعصر

اذا ماكانت الهمم المعالى فهمك مايكون به الملام

قبحت ولاسقاك الله غيثا وجانبك التحية والسلام

كان بالأهواز رجل يعرف بأبى ذؤيب من التنّاء وكان مقصد الشعراء وأهل الادب ، فقصده محمد بن حازم ، فدخل عليه يوما وعليه ثياب بذّة وهيئة رثّة ولم يعرفه نفسه ، وصادفهم يتكلمون فى شىء من معانى الشعر وأبو ذؤيب يتكلم متحققا بالعلم بذلك ، فسأله محمد بن حازم وقد دخل عليه يوما عن بيت من شعر الطِّرمّاح جهله، فرد عليه جوابا محالا كالمستصغر له وازدراه ، فوثب عن مجلسه مغضبا ، فلما خرج قيل له ماذا صنعت بنفسك وفتحت عليها من الشر ؟ أتدرى بمن تعرضت ؟ قال ومن ذاك ؟ قيل محمد بن حازم الباهلى أخبث الناس لسانا وأهجاهم ، فوثب اليه حافيا حتى لحقه فحلف له أنه لم يعرفه واستقاله ، فأقاله وحلف أنه لا يقبل له رفدا ولا يذكره بسوء مع ذلك أبدا ، وكتب اليه بعد أن افترقا

أخطا ورد علىّ غير جوابى وزرَى علىّ وقال غير صواب

وسكنت من عجب لذاك فزادنى فيما كرهت بظنة المرتاب

وقضى علىّ بظاهر من كسوة لم يدر ما اشتملت عليه ثيابى

من عفة وتكرم وتجمل وتجلد لمصيبة وعقاب

واذا الزمان جنى علىّ وجدتني عودا لبعض صفائح الاقتاب

ولئن سألت ليخبرنك عالم أنى بحيث أحب من آدابى

واذا نبابىَ منزل خليته قفرا مجال ثعالب وذئاب

وأكون مشترك الغنى متبذلا فاذا افتقرت قعدت عن أصحابى

لكنه رجعت عليه ندامة لما نُسِبتُ وخاف مَضّ عتابى

فأقلته لما أقر بذنبه ليس الكريم على الكريم بناب

قال أحمد بن يحيى آخر ما فارقت عليه محمد بن حازم أنه قال لم يبق شيء

من اللذات الا بيع السنانير، فقلت له سخنت عينك ، ايش لك فى بيع السنانير من اللذات ؟ قال يعجبنى أنه تجيئنى العجوز الرَّعناء تخاصمنى وتقول هذا سِنَّوْرى سرق منى وأخاصمها وأشتمها وتشتمنى وأغيظها وأباغضها ثم أنشدنى

صل خمرة بخمار ... وصل خمارا بخمر
وخذ بحظك منها ... زادا الى حيث تدرى

قلت الى أين ويحك ؟ قال الى النار يا أحمق

كان اسحق بن أحمد بن أبى نهيك آنسا بمحمد بن حازم يدعوه ويعاشره مدة ، فكتب اليه يستزيره ويعاتبه عتابا أغضبه ، وبلغه أنه غضب فكتب اليه

ما مستزيرك فى ود رأى خللا ... فى موضع الأنس أهلا منك للغضب
قد كنت توجب لى حقا وتعرف لى ... قدرى وتحفظ منى حرمة الأدب
ثم انحرفت الى الأخرى فأحشمنى ... ما كان منك بلا جُرم ولا سبب
وان أدنى الذى عندى مسامحة ... فى حاجتى بعد أن أعذرت فى الطلب
فاختر فعندى من ثنتين واحدة ... عذر جميل وشكر ليس باللعب

حسين بن الضحاك

باهلى مولى باهلة وهو بصرى المولد والمنشأ ، من شعراء الدولة العباسية وأحد ندماء الخلفاء من بنى هاشم ، ويقال انه أول من جالس منهم محمدا الأمين ، وكان يلقب الخليع والأشقر وهو ومحمد بن حازم الباهلى ابنا خالة

شاعر أديب ظريف مطبوع حسن التصرف فى الشعر حلو المذهب ، لشعره قبول ورونق صاف ، وكان أبو نواس يأخذ معانيه فى الخمر فيغير عليها واذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبه الناس الى أبى نواس ، وله معان فى صفتها أبدع فيها ، وهاجى مسلم بن الوليد فانتصف منه ، وله غزل كثير جيد وهو من المطبوعين

الذين تخلو أشعارهم ومذاهبهم جملة من التكلف ، وعمر عمرا طويلا حتى قارب مائة السنة ومات فى خلافة المستعين أو المنتصر

قال أنشدت أبانواس قصيدتى التى قلتها فى الخمر وهى

بدات من نفحات الورد بالآء ومن صبوحك در الابل والشاء

فلما انتهيت منها الى قولي

حتى اذا أسندت فى البيت واحتضرت عند الصبوح بسامين أكفاء

فضت خواتمها فى نعت واصفها عن مثل رقراقة فى جفن مرهاء

فصعق صعقة أفزعنى وقال أحسنت والله يا أشقر ، فقلت ويلك ياحسن انك أفزعتنى والله ، فقال بلى والله أنت أفزعتنى وروعتنى ، هذا معنى من المعانى التى كان فكرى لابد أن ينتهى اليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقتنى اليه واختلسته منى وستعلم لمن يروى ألي أم لك ؟ فكان والله كما قال سمعت من لا يعلم يرويها له

لما قدم المأمون من خراسان أمر بأن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الضحاك وكان من جلساء محمد المخلوع فلما رأى اسمه قال أليس هو الذى يقول فى محمد

هلا بقيت لسد فاقتنا أبدا وكان لغيرك التلف

فلقد خلفت خلائفا سلفوا ولسوف يعوز بعدك الخلف

لاحاجة لى فيه والله ولا يرانى أبدا الا فى الطريق ، ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به ، وانحدر حسين الى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون .

قال أبو صالح بن الرشيد دخلت يوما على المأمون ومعى بيتان للحسين بن الضحاك فقلت يا أمير المؤمنين أحب أن تسمع مني بيتين ، فقال أنشدهما فأنشدتهما

حمدنا الله شكرا اذ حبانا بنصرك يا أمير المؤمنينا

فأنت خليفة الرحمن حقا جمعت سماحة وجمعت دينا

فقال لمن هذان البيتان ؟ فقلت لعبدك ياأمير المؤمنين حسين بن الضحاك ، قال قد أحسن ، فقلت وله ياأمير المؤمنين أجود من هذا ، فقال وما هو ؟ فأنشدته قوله

أجرني فاني قد ظمئت الى الوعد متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد

أعيذك من خلف الملوك وقد بدا تقطع أنفاس عايك من الوجد

أيبخلَ فرد الحسن عنى بنائل قليل وقد أفردته بهوى فَرْد

رأى الله عبد الله خير عباده فملكه والله أعلم بالعبد

الا انما المأمون للناس عصمة مميزة بين الضلالة والرشد

فأطرق ساعة ثم قال ما تطيب نفسى له بخير بعد ما قال في أخى محمد ما قال

ومن قوله يرثى محمدا الأمين

أطل حزَنا وابك الامام محمدا بحزن وان خفت الحسام المهندا

فلا تمت الاشياء بعد محمد ولا زال شمل الملك منها مبددا

ولا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال فى الدنيا طريدا مشردا

ولحسين في محمد الأمين مراث كثيرة جياد ، وكان كثير التحقق به والموالاة له لكثرة افضاله عليه وميله اليه وتقديمه اياه ، وبلغ من جزعه عليه أنه خولط فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول انه مستتر وأنه قد وقف على دعاته فى الأمصار يدعون الى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ضنا به وشفقة عليه .

ومن جيد مراثية اياه قوله

سألونا أن كيف نحن ؟ فقلنا من هوى نجمه فكيف يكون؟

نحن قوم أصابنا حدث الده ر فظلْنا لريبه نستكين

نتمنى من الأمين ايابا لهف نفسى وأين منى الأمين

ومن جيد قوله في مراثيه اياه

أعزى يامحمد عنك نفسى　　معاذ الله والأيدى الجسام

فهـلا مات قوم لم يمـوتوا　　ودوفع عنك لى يوم الحمام

كأن الموت صادف منك غُنْما　　او استشفى بقربك من سَقام

قال أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى حسين بن الضحاك أشعر المحدثين حيث يقول

ايُّ ديباجة حسن　　هيجت لوعة حزنى

اذ رمانى القمر الزا　　هر عن فَتْرة جفن

بأبى شمسُ نهار　　برزت فى يوم دَجْن

قربتنى بالمنى حتـــى　　اذا ما أخلفتنى

تركتني بين ميعا　　د وخُلْف وتَجَن

ما أرى لى من الصـــ　　ـبوة إلا حسن ظنى

انما دامت على الغد　　ر لمـا تعرف منى

أستعيذ الله من إعرا　　ض من أعرض عنى

لما ولى المعتصم أمر بمكاتبته بالقدوم عليه ، فلما دخل وسلم استأذنه فى الانشاد فأذن له فأنشده قوله

هـلا سألت تلذذ المشتاق　　ومننت قبل فراقه بتلاق

إن الرقيب ليستريب تنفسا　　صعدا اليك وظاهر الاقلاق

ولئن أربت لقد نظرت بمقلة　　عَبْرى عليك سخينة الآماق

نفسى الفداء لخائف مترقب　　جعل الوداع اشارة بعناق

اذ لا جواب لمفحَم متحير　　الا الدموع تصان بالاطراق

حتى انتهى الى قوله

خير الوفود مبشر بخلافة　　خصت ببهجتها أبا اسحاق

وافته في الشهر الحرام سليمة ... من كل مشكلة وكل شقاق

أعطته صفقتها الضمائر طاعة ... قبل الاكف بأوكد الميثاق

سكن الأنام الى امام سلامة ... عفّ الضمير مهذب الأخلاق

فحمى رعيته ودافع دونها ... وأجار مُملقها من الاملاق

حتى أتمها فقال له المعتصم ادنُ مني، فدنا منه، فملأ فمه جوهرا من جوهر كان بين يديه، ثم أمره بأن يخرجه من فمه، فأخرجه وأمر بأن ينظم ويدفع اليه ويخرج الى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فضله ، فكان أحسن ما مدح به يومئذ ، ومما قدمه أهل العلم على سائر ما قاله الشعراء قوله

قل للأولى صرفوا الوجوه عن الهدى ... متعسفين تعسف المرّاق

انى أحذركم بوادر ضيغم ... دَرِب بحطم موائل الأعناق

متأهب لا يستفز جنانه ... زجلُ الرعود ولامع الابراق

لم يبق من متعزمين توثبوا ... بالشأم غير جماجم أفلاق

من بين منجدل تمج عروقهُ ... علَقَ الأخادع أو أسير وثاق

وثني الخيول الى معاقل قيصر ... تختال بين أجرة ورقاق

يحملن كل مشمَّر متغشم ... ليث هِزَبْر أهرت الأشداق

حتى اذا أم الحصون منازلا ... والموت بين ترائب وتَرَاق

هرت بطارقها هرير قساور ... بُدهت بأكره منظر ومذاق

ثم استكانت للحصار ملوكها ... ذلا وناط حلوقها بخناق

هربت وأسلمت الصليب عشية ... لم يبق غير حُشاشة الأرْماق

أنشد الرياشى هذين البيتين وكان يستحسنهما ويستظرفهما جدا

إذا ما الماء أمكنني ... وصفو سلافة العنب

صببت الفضة البيضا ... ء فوق قُراضة الذهب

قال حسين أنشدت أبا نواس قصيدتى

وشاطرى اللسان مختلق الـــتكريه شاب المجون بالنسك

حتى بلغت الى قولى

تخالها نصب كأسه قمرا يكرع فى بعض أنجم الفلك

فأنشدنى بعد أيام لنفسه

إذا عبَّ فيها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا

فقلت له يا أبا على هذه مصالبة ، فقال له أتظن أنه يروى لك فى الخمر معنى جيد وأنا حى

أنشد ابراهيم بن المدبر قول حسين

كأنما نُصْبُ كأسه قمر يكرع في بعض أنجم الفلك

حتى اذا رنحته سَوْرتها وأبدلته السكون بالحَرَك

كشفت عن وزرة مُسَنمة فى لين صينية من الفلك

فقال ان الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرق منه هذا المعنى حين يقول «يقبل فى داج من الليل كوكبا» فان كان سرقه منه فهو أحق به لأنه قد برز عليه وان كان حسين سرقه منه فقد قصر عنه

لما بويع الواثق بالخلافة ودخل عليه حسين أنشده قصيدته التى أولها

ألم يَرعِ الاسلام موتُ نصيره ؟ بلى حق أن يرتاع من مات ناصره

سيُسليك عما فات دولة مفضل أوائـله محمـودة وأواخـره

ثنى الله عطفيه وألف شخصه على البرّ مذ شُدّت عليه مآزره

يصيب ببذل المال حتى كأنما يرى بذله للمال نهبا يبادره

وما قدم الرحمن الا مقـدما مـوارده محمـودة ومصـادره

كان الواثق يتصيد بالقاطول فصاد صيدا حسنا من الاوز والدراج وطير الماء وغير ذلك ثم رجع فتغدى ودعا بالجلساء من المغنين وقال من ينشدنا ؟ فقام الحسين وقال

سقى الله بالقاطول مسرح طَرْفكا   وخص بسقيان مناكب قصركا

حتى انتهى الى قوله

تحين للدُّراج فى جنبـاته   وللغر آجال قُدرن بكفكا

حتوفا اذا وجهتهن قواضبا   عجالا اذا أغريتهن بزجركا

أبحت حماما مُصعِدا ومُصوِّبا   ومارِمت فى حاليك مجلس لهوكا

تصرف فيه بين ناى ومُسمِعٍ   ومشمولة من كف ظبي لسقيكا

قضيت لُبانات وأنت مخيم   مُريحٍ وان شطت مسافة عزمكا

وما نال طيبَ العيش الا مودع   وما طاب عيش نال مجهود كدكا

فقال الواثق ما يعدِل الراحة ولذة الدعة شيء ، فلما انتهى الى قوله

خلقت أمينَ الله للخلق عصمة   وأمنا فكل فى ذَراك وظلكا

وثقت بمن سماك بالغيب واثقا   وثَبَّت بالتأييد أركان ملككا

فأعطاك معطيك الخلافة شكرها   وأسعد بالتقوى سريرة قلبكا

وزادك من أعمارنا غير منة   عليك بها أضعاف أضعاف عمركا

ولا زالت الأقدار فى كل حالة   عداة لمن عاداك سلما لسلمكا

واذ كنت من جدواك فى كل نعمة   فلا كنت ان لم أفن عمرى بشكركا

فطرب الواثق فضرب الارض بمخصرة كانت فى يده وقال لله دَرُّك ياحسين ما أقرب قلبك من لسانك ، فقال ياأمير المؤمنين جودك ينطق المفحم بالشعر والجاحد بالشكر ، فقال له لن تنصرف الا مسرورا وأمر له بخمسين ألف درهم

بات ليلة عند الواثق وقد شربوا الى أن مضى ثلث من الليل فأمر بأن يبيت مكانه ، فلما أصبح خرج الي الندماء وهم مقيمون فقال لحسين هل وصفت ليلتنا الماضية وطيبها؟ فقال لم يمض شيء وانا أقول الساعة وفكر هُنَيْهة ثم قال

حيت صَبوحى فكاهةِ اللاهى   وطاب يومى بقرب أشباهى

فاستثر اللهو من مكامنه　　من قبل يوم منغص لاه
بابنة كرْم من كف منتطق　　مُؤَزَّر بالمجون تيَّاه
يسقيك من طرفه ومن يده　　سقي لطيف مجرب داه
كأسا فكأسا كأن شاربها　　حيرانُ بين الذَّكور والساهي

فأمر الواثق برد مجلسه كهيئته واصطبح يومه ذلك معهم وقال نُحقق قولك ياحسين ونقضى لك كل ارب وحاجة

ومن قوله فى غضب حظية للواثق من زيارته أخرى فى نوبتها

غضبت ان زرتُ أُخرى خِلْسة　　فلها العُتْبَى لدينا والرضا
يا فدتك النفس كانت هفوة　　فاغفريها واصفحى عما مضى
واتركى العذل على من قاله　　وانسبي جَوْرى الى حكم القضا
فلقد نبهتنى من رقدتى　　وعلى قلبى كنيران الغضى

كان الواثق يتحظى جارية له فماتت فجزع عليها وترك الشراب أياما ، ثم سلاها وعاد الى حاله فدعا الحسين ليلة وقال له رأيت فلانة فى النوم فليت نومى كان طال قليلا لأتمتع بلقائها فقل فى هذا شيئا فقال

ليت عين الدهر عنا غفَلت　　ورقيب الليل عنا رقدا
وأقام النوم فى مدته　　كالذى كان وكنا أبدا
بأبى زَوْر تلفت له　　فتنفست اليه الصُّعَدا
بينما أُضحك مسرورا به　　اذ تقطعت عليه كبدا

أنشد أبا نواس

أخويَّ حيَّ على الصبوح صباحا　　هُبَّا ولا تعدا الصباح رواحا
هذا الشميط كأنه متحير　　فى الأفق سد طريقه فألاحا
ما تأمران بسكرة قروية　　قرنت الى درك النجاح نجاحا

فلما كان بعد أيام لقيه أبو نواس فأنشده

ذكر الصبوح بسُحْرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا

فقال له حسين أفعلتها ! فقال دع عنك هذا فوالله لا قلت فى الخمر شيئا أبدا وأنا حى الا نسب الى

شرب يوما مع ابراهيم بن المهدى فجرت بينهما ملاحاة فى أمر الدين والمذهب فدعا له ابراهيم بنِطْع وسيف وقد أخذ منه الشراب ، فانصرف وهو غضبان ، فكتب اليه ابراهيم يعتذر اليه ويسأله ان يجيئه فكتب اليه

نديمى غير منسوب الى شىء من الحيف
سقانى مثل ما يشر ب فعلَ الضيف بالضيف
فلما درات الكأس دعا بالنِّطْع والسيف
كذا من يشرب الخمر مـع التنين فى الصيف

ولم يعد الى منادمته مدة ، ثم ان ابراهيم تحامل عليه ووصله فعاد الى منادمته

كان يوما عند صالح بن الرشيد فجرى بينهما كلام على النبيذ وقد أخذ منه الشراب أخذا قويا فرد عليه ردا أنكره صالح وتناوله على غير ما أراد فهاجره فكتب اليه

يا ابن الامام تركتنى هَمَلا أبكى الحياة وأندب الأملا
مابال عينك حين تلحظني ما أن تُقِلّ جفونها ثقـلا
لو كان لي ذنب لبحت به كيلا يقال هجرتنى مَلَلا
ان كنت أعرف زلة سلفت فرأيت ميتة واحدى عجلا

فكتب اليه قد تلافى لسانك بشعرك ما جناه فى وقت سكرك ، وقد رضيت عنك رضا صحيحاً فصر الى على أتم نشاطك وأكمل انبساطك ، فعاد الى خدمته فما سكر عنده بعدها، وكانت فى حسين عربدة

لما أعيته الحيلة فى رضا المأمون عنه رمى بأمره الى عمرو بن مسعدة وكتب اليه

انت طودى من بين هذى الهضاب وشهابى من دون كل شهاب

أنت ياعمرو قوتى وحياتى ولسانى وأنت ظفرى ونابى

أتراني أنسى أياديك البيـ ـض اذا اسود نائل الأصحاب

اين أخلاقك الرضية حالت فىّ أم أين رقة الكتاب؟

أنا فى ذمة السحاب وأظما؟ ان هذا لوصمة فى السحاب

قم الى سيد البرية عني قومة تستجرّ حسن الخطاب

فلعل الاله يطفىء عنى بك نارا علىّ ذات التهاب

فلم يزل عمرو يلطف المأمون حتى أوصله اليه وأدرّ أرزاقه

وكان قد لاذ بالحسن بن سهل وطمع فى أن يصلحه له فقال يمدحه

أرى الآمال غير معرجات على أحد سوى حسن بن سهل

يبارى يومه غده سماحا كلا اليومين بان بكل فضل

أرى حسنا تقدم مستبدا ببعد من رياسته وقبل

فان حفزتك مشكلة بشك شفاك بحكمة وخطاب فصل

سليل مرازب برعوا حلوما وراع صغيرهم بسداد كهل

ملوك ان جريت بهم أبرّوا وعزوا أن توازيهم بعدل

ليهنك ان ما أرجيت رشدا وما أمضيت من قول وفعل

وأنك مؤثر للحق فيما أراك الله من قطع ووصل

وأنك للجميع حيا ربيع يصوب على قرارة كل محل

فوعده اصلاح المأمون له فلم يمكنه ذلك لسوء رأى المأمون فيه ولما عاجل الحسن من العلة

ولما عفا المأمون عنه أمر باحضاره، فلما حضر سلم، فرد عليه السلام ردا جافيا ثم أقبل عليه فقال أخبرنى عنك هل عرفت يوم قتل أخى محمد هاشمية قتلت أو هتكت؟ قال لا، قال فما معنى قولك

وسِرْب ظِباء من ذؤابة هاشم   هتفن بدعوى خير حي وميت
أرد يدا مني اذا ماذكرته   على كبد حرَّى وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة   ولا بلغت آمالهم ما تمنت

فقال ياأمير المؤمنين لوعة غلبتني، وروعة فاجأتني، ونعمة فقدتها بعد أن غمرتني، واحسان شكرته فأنطقني، وسيد فقدته فأقلقني، فان عاقبت فبحقك، وان عفوت فبفضلك، فدمعت عينا المأمون وقال قد عفوت عنك وأمرت بادرار رزقك واعطائك ما فات منها وجعلت عقوبتك امتناعى من استخدامك

غضب المعتصم عليه فى شيء جرى على النبيذ فقال والله لأؤدبنه، وحجبه اياماه فكتب اليه

غضب الامام أشد من أدبه   وقد استجرت وعذت من غضبه
أصبحت معتصما بمعتصم   أثنى الاله عليه فى كتبه
لا والذي لم يبق لى سببا   أرجو النجاة به سوى سببه
ما لى شفيع غير حرمته   ولكل من أشفى على عطبه

فلما قرىء عليه التفت الى الواثق ثم قال بمثل هذا الكلام يستعطف الكرام، ما هو الا ان سمعت أبيات حسين هذه حتى أزالت ما فى نفسى عليه، فقال له الواثق هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه، فرضى عنه وأمر باحضاره، وقيل انه انما كتب بها الى المعتصم لأنه بلغه أنه مدح العباس بن المأمون وتمنى له الخلافة فطلبه فاستتر وكتب بها الى المعتصم على يدى الواثق فأوصلها وشفع له فرضى عنه وأمنه فظهر اليه وهجا العباس بن المأمون فقال

خل اللعين وما اكتسب   لا زال منقطع السبب
ياعُرّة الثقلين لا   دينا رعيت ولا حسب
حسن الامام شفائه   جهلا حذاك على العطب

وأبوك قدمه لها لما تخير وانتخب
ما تستطيع سوى التنفس والتجرع للكرب
ما زلت عند أبيك منتقص المروءة والأدب

ومن قوله يصف مجلسا لصالح بن الرشيد وكان جالسا فى صحن حوله نرجس فى قمر طالع حسن

وصف البدر حسن وجهك حتى خلت أنى وما أراك أراكا
واذا اما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللنى فيك باشراق ذا ونفحة ذاكا
لأدومن ياحبيبى على العهد لهذا وذاك اذ حكيا كا

قال على بن الجهم دخلت يوما على المتوكل وهو جالس في صحن خُلْده وفى يده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر

بالشط لى سكن أفديه من سكن أهدى من الآس لى غصنين فى غصن
فقلت اذ نظرا الفين والتبسا سقيا ورعيا لفأل فيكما حسن
فالآس لاشك آس من تشوقنا شاف وآس لنا يبقى على الزمن
أبشرتمانى بأسباب ستجمعنا ان شاء ربى ومهما يقضه يكن

فقال لى وكدت أنشق حسدا لمن هذا الشعر ياعلى؟ فقلت للحسين بن الضحاك ياسيدى، فقال لى هو عندى أشعر أهل زماننا وأملحهم مذهبا وأظرفهم نمطا، فقلت وقد زاد غيظي فى الغزل يامولاى، قال وفى غيره وان رغم أنفك ومت حسدا، وكنت قد مدحته بقصيدة، وأردت انشادها يومئذ فلم أفعل وعلمت انى لا أنتفع مع ما جري بيننا بشىء لا به ولا بالقصيدة فأخرتها الى وقت آخر

ومن قوله

وكالوردة الحمراء حيا بأحمر من الورد يمشى فى قراطق كالورد

له عبثات عند كل تحية بعينيه تستدعى الحليم الى الوجد

تمنيت أن أسقى بكفيه شربة تذكرنى ما قد نسيت من العهد

سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة خليا ولكن من حبيب على وعد

ومن قوله

وابأبى مفحم لعزته قلت له اذ خلوت مكتتما

تحب بالله من يخصك با ود فما قال لا ولا نعما

ثم تولى بمقلتى خجل اراد رَجْع الجواب فاحتشما

فكنت كالمبتغى بحيلته برءا من السقم فابتدا سقما

ومن قوله

لا وحبيك لا أصا فح بالدمع مدمعا

من بكى شَجْوه استرا ح وان كان موجعا

كبدى من هواك أسـ قم من أن تقطعا

لم تدع سَوْرة الضَّنى فىّ للسقم موضعا

قال على بن العباس الرومى حسين بن الضحاك أغزل الناس وأظرفهم حين يقول

يامستعير سوالف الخِشْف اسمع لحلفة صادق الحلف

ان لم أصح ليلى وياحزنى من وجنتيك وفَتْرة الطَّرْف

فجحدت ربى فضل نعمته وعبدته أبدا على حَرْف

ومن قوله فى مجلس للحسن بن سهل

ألست ترى ديمة تهطل وهذا صباحك مستقبل

وتلك المدام وقد شاقنا برؤيته الشادن الأكحل

فعاد به وبنا سكره تهون مكروه ما نسأل

فانى رأيت له نظرة تخبرنى انه يفعل

وقد أشكل العيش في يومنا ... فياحبذا عيشنا المشكل

ومن قوله

انف عن قلبك الحزن ... باقتراب من السكن
وتمتع بكر طر ... فك في وجهه الحسن
ان فيه شفاء صد ... رك من لاعج الحزن

وقال في هوى له

عالم بحبيه ... مُطرِق من التيه
يوسف الجمال وفر ... عون في تعديه
لا وحق ما أنا في ... ه من عطف أرجيه
ما الحياة نافعة ... لي على تأبيه
النعيم يشغله ... والجمال يُطغيه
فهو غير مكترث ... للذي ألاقيه
تائه تزهده ... فيّ رغبتي فيه

ومن قوله في هوى له

ان من لا أرى وليس يرانى ... نُصب عيني ممثّل بالأماني
بأبي من ضميره وضميرى ... أبدا بالمغيب ينتجيان
نحن شخصان ان نظرت ورو ... حان اذا ما اختبرت يمتزجان
فاذا ما هممت بالامر أوهمّ ... بشيء بدأته وبداني
كان وفقا ما كان منه ومني ... فكأني حكيته وحكاني
خطرات الجفون منا سواء ... وسواء تحرك الأبدان

ومن قوله

فديت من قال لي على خفره ... وعضّ من جفْنه على حوَره

سمع بشعرك المليح فما ينفك شادٍ به على وتره
حسبك بعض الذى أذعت ولا حسب لصب لم يقض من وطره
وقلت يا مستعير سالفة الخشـ ـف وحسن الفتور من نظره
لا تنكرن الحبيب من طرب عاود فيك الصبا على كبره

ومن قوله

سائل بطيفك عن ليلى وعن سهري وعن تتابع أنفاسى وعن فكرى
لم يخلُ قلبي من ذكراك اذ نظرت عينى اليك على صحوى ولا سكرى
سقيا ليوم سرورى اذ تنازعنى صفو المدامة بين الانس والخفر
وفضل كأسك يأتيني فأشربه جهرا وتشرب كأسى غير مستتر
وكيف أثمله لثمى وأزمه نحرى وترفعه كفى الى بصرى
فليت مدة يومى اذ مضى سلفا كانت ومدة أيامى على قدر
حتى اذا ما انطوت عنا بشاشته صرنا جميعا كذا جارين في الحفر

ومن قوله

ايها النفّاث فى العقد أنا مطوى على الكمد
انما زخرفت لي خدعا قدحت فى الروح والجسد
هات يا خدّاع واحدة من كثير قلة وقدِى
ليت شعرى بعد حلفك لى بوفاء العهد بعد غد
ما الذى بالله صيره بعد قرب فى مدي الأبد
مالأنس كان مبتذلا منك لى بالأمس لم يعد
إيه قل لى غير محتشم هل دهانى فيك من أحد
حبذا والكأس دائرة لهونا والصيد بالطرد
وحديث فى القلوب له أخذ يصدعن فى الكبد

يوم تعطيني وتأخذها دون ندماني يدا بيد

فاذا ألويت هيجني تلِع من ظبية البلد

وإذا أصغيت ذكرني نشر كافور على بَرَد

ذاك يوم كان حاسدنا فيه مغرورا على الحسد

لما نزل المعتصم بدير مُرّان فى طريق غزوة له قال حسين

يادير مُرّان لا عُرّيت من سقم هيجت لى سقما يادير مُرّانا

هـل عند قَسّك من علم فيخبرنا أم كيف يُسعف وجه الصبر من بانا

حُثَّ المدام فان الكأس مُتْرَعة مما يَهيج دواعى الشوق أحيانا

سقيا ورعيا لكَرْخايا وساكنها وللخنينة بالروحاء من كانا

ومن قوله لهوى كان له

تعز بيأس عن هـــواى فاننى اذا انصرفت نفسى فهيهات عن ردى

إذا خنتمُ بالغيب ودى فمـــا لكم تُدِلّون ادلال المقيم على العـــهد

ولى منك بد فاجتنبنى مذممـــا وان خلت انى ليس لى منك من بد

لما ولى الواثق الخلافة أنشده حسين

أكاتم وجدى فما ينكتم بمن لو شكوت اليه رحم

وانى على حسن ظنى به لأحذران بحت أن يحتشم

ولى عند لحظه رَوْعة تحقق ما ظنه المتهم

وقد علم الناس أنى له محب وأحسبه قد علم

وانى لمغضٍ على لوعة من الشوق فى كبدى تضطرم

عشية ودعت عن مقلة سفوح وزفرة قلب سدِم

فما كان عند النوى مسعد سوى العين تمزج دمعا بدم

سيذكر من بان أوطانه ويبكى المقيمين من لم يقم

وقال فيها يصف السفينة

الى خازن الله فى خلقه سراج النهار وبدر الظلم
رحلنا غرابيب زيّافـة بدِجلة فى موجها الملتطم
اذا ما قصدنا لقاطولها ودهمُ قراقيرها تصطدم
سكنّا الى خير مسكونة تيممها راغب من أمَم
مباركة شاد بنيانهـا بخير المواطن خير الأمم
كأن بها نَشْرَ كافورة لبرد نداها وطيب النسم
كظهر الأديم اذا ما السحا ب صاب على متنها وانسجم
مبرأة من وحول الشتاء اذا ما طمى وحله وارتكم
فما ان يزال بها راجل يمر الهُوَينا ولا يلتطم
ويمشى على رِسْله آمنـا سليم الشِّراك نقى القدم
وللنون والضب فى بطنها مراتع مسكونة والنعم
غدوت على الوحش مغترة رواتـع فى نورهـا المنتظم
ورحت عليها وأسرابهـا تحوم بأكنافهـا تبتسم

ثم قال يمدح الواثق

يضيق الفضاء به ان غدا بطوْدَي أعاريبه والعجم
ترى النصر يَقْدُم راياته اذا ما خفقن أمام العلم
وفى الله دوّخ أعداءه وجرد فيهم سيوف النقم
وفى الله يكظِم من غيظه وفى الله يصفح عمن جرم
رأى شيم الجود محمودة وماشيم الجود الاقسم

فأمر له الواثق بثلاثين الف درهم واتصلت أيامه بعد ذلك ولم يزل من ندمائه

ومن قوله يصف يوما من أيام الواثق

ياحانة الشط قد أكرمت مثوانا عودى بيوم سرور كالذى كانا

لا تفقدينا دَعابات الامام ولا طيب البَطالة اسرارا واعلانا

ولا تخالعنا فى غير فاحشــــة اذا يطربنا الطُنبور أحيـانا

وهاج زمرزنام بين ذاك لنا شَجْوا فأهدى لنا رَوْحا وريحانا

وسلسل الرطل عمرو ثم عم به السـ ــقيا فألحق أولانا بأخـــرانا

سقيا الشكاك من شكل خصصت به دون الدساكر من لذات دنيانا

حفَت رياضك جنات مجاورة فى كل مخترف نهرا وبستانا

لا زلت آهلة الأوطان عامرة بأكرم الناس أعراقا وأغصانا

سابق أبا شهاب الشاعر فسبقه أبو شهاب فقال

كلوا واشربوا هنئتمُ وتمتعوا وعيشوا وذموا الكودَنين[1] جميعا

فأقسم ما كان الذى نال منهما مدى السبق اذ جد الجِراء سريعا

وهى قصيدة معروفة في شعره فقال أبو شهاب يجيبه

أيا شاعر الخِصيان حاولت خطة سبقت اليها وانكفأت سريعا

تحاول سبقى بالقريض سفاهة لقد رمت جهلا من حماي منيعا

فكان ذلك سبب التباعد بينهما وكانوا اذا أرادوا العبث بحسين يقولون له أيا شاعر الخِصيان فيجن ويشتُمهم

كتب الى الحسن بن رجاء فى يوم شك وقد أمر الواثق بالافطار فقال

هززتك للصَّبوح وقد نهانى أمير المؤمنين عن الصيام

وعندى من قيان المصر عشر تطيب بهن عاتقة المدام

ومن أمثالهن اذا انتشينا ترانا نجتني ثمر الغـــرام

فكن أنت الجواب فليس شىء أحب الى من حذف الكلام

(١) الكودن الفرس الهجين

فوردت رقعته وقد سبقه اليه محمد بن الحرث بن بُسخُنَّر ووجه اليه بغلام نظيف الوجه ومعه ثلاثة غلمة أقران حسان الوجوه ومعهم رقعة كتبها كما تكتب المناشير وختمها في أسفلها وكتب فيها يقول

سر على اسم الله ياأشـــكل من غصن لُجين
فى ثلاث من بني الرو م الى دار حسين
أشخص الكهل الى مو لاك ياقـــرة عينى
أرهِ العُنُف اذا استع صى وطالبه بدين
ودع اللفظ وخاطبـ ه بغمز الحاجبـين
واحذر الرجعة من وجـ هك فى خفى حنين

فمضى معهم وكتب الى الحسن بن رجاء جواب رقعته

دعوت الى مما حكة الصيام واعمــال الملاهى والمدام
ولو سبق الرسول لكان سعيى اليك ينوب عن طول الكلام
وما شوقى اليك بدون شوقى الى زمن التصابى والغرام
ولكن حل فى نفر عسوف بمنشور محـــل المستهام
حسين فاستباح له حريما بطرف باعث سببَ الحمام
وأظهر نخوة وسطا وأبدى فظاظته بترك الســـلام
وأزعجني بألفاظ غـــلاظ وقد أعطيته طرَفَىْ زمامى
ولو خالفتــه لم يخش قتلى وقنعنى سريعاً بالحســـام

مزح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين مُزاحا أغضبه ، فجاوبه حسين جوابا غضب منه أبو أحمد أيضاه فمضى اليه حسين من غد فاعتذر اليه وتنصل وحلف، فأظهر له قبولا لعذره ورأى ثقلا فى طرفه وانقباضا عما كان يعهد منه فقال فى ذلك

لا تعجبن لمَلَّة صرفت وجـهَ الأمير فانه بشر

واذ انبابك فى سريرته عقد الضمير نبابك البصر

دخل على الأمين بعقب وقعة أوقعها أهل بغداد بأصحاب طاهر فهزموهم وفضحوهم فهنأه بالظفر ثم استأذنه فى الانشاد فأذن له فقال

أمين الله ثق بالله تعط العز والنصرة
كل الأمر الى الله كلاك الله ذو القدرة
لنا النصر باذن الله والكرة والفرة
وللمرّاق أعدائك يوم السوء والدّبْره
وكأس تورد الموت كريه طعمها مرة
سقونا وسقيناهم فكانت بهم الحرة
كذاك الحرب أحيانا علينا ولهم مرة

وقال فى جارية يهواها

رمتك غداة السبت شمس من الخلد بسهم الهوى عمدا وموتك فى العمد
مؤزرة السربال مهضومة الحشى غلامية التقطيع شاطرة القد
محنأة الأطراف رُؤد شبابها معقرَبة الصدغين كاذبة الوعد
أقول ونفسى بين شوق وزفرة وقد شخصت عيني ودمعى على الخد
أجيرى على من قد تركت فؤاده بلحظته بين التأسف والجهد
فقالت عذاب بالهوى مع قربكم وموت اذا أقرحت قلبك بالبعد
لقد فطِنَت للجور فطنة عاصم لصنع الأيادى الغر فى طلب الحمد
سأشكوك فى الأشعار غير مقصر الى عاصم ذى المكرمات وذى المجد
لعل فتى غسان يجمع بيننا فيأمن قلبي منكمُ روعة الصد

أقطع المعتصم الناس الدور بسُرّ من رأى وأعطاهم النفقات لبنائها ولم يقطع الحسين شيئا فدخل عليه فأنشده قوله

يا أمين الله لا خطة لى ولقد أفردت صحبى بخِطط

انا في دهياء من مظلمة تحمل الشيخ على كل غلط

صعبة المسلك يرتاع لها كل من أصعد فيها وهبط

بَوِّنى منك كما بوأتهم عَرْصة تبسط طرفى ما انبسط

أبتنى فيها لنفسى موطنا ولعقبى فرطا بعد فرط

لم يزل منك قريبا مسكني فأعد لى عادة القرب فقط

كل من قربته مغتبط ولمن أبعدت خزى وسخط

فأقطعه دارا وأعطاه ألف دينار لنفقته عليها

كان يمشى مع أبى العتاهية فمرا بمقبرة وفيها باكية تبكى على ابن لها فقال أبو العتاهية

أما تنفك باكية بعين غزير دمعها كمِد حشاها

أجزيا حسين فقال

تنادى حفرة أعيت جوابا فقد ولهت وصَمَّ بها صداها

ومن قوله لمن أعرض عنه

تتيه علينا أن رزقت ملاحة فمهلا علينا بعضَ تيهك يا بدر

لقد طال ما كنا ملاحا وربما صددنا وتهنا ثم غيرنا الدهر

طلب اليه المتوكل أن يدعو الفتح بن خاقان الى الصَّبوح بعقب علة كانت به فقال

لما اصطبحت وعين اللهو ترمقنى قد لاح لى باكرا فى ثوب بِذلته

ناديت فتحا وبشرت المدام به لما تخلص من مكروه علته

ذبَّ الفتى عن حريم الراح مكرمة اذا رآه امرؤ ضدا لنحلته

فاعجل الينا وعجل بالسرور لنا وخالس الدهر فى أوقات غفلته

وله يصف أياما مضت له بالبصرة

تيسرى للامام من أمم ... ولا تراعى حمامة الحرم

قد غاب لا آب من يراقبنا ... ونام لا قام سامر الخدم

فاستصحبى مُسعِدا يراقبنا ... اذا خلونا فى كل مكتتم

تَبَذَّلي بِذِلة تقرّبها الـــعيون ولا تَحصَرى وتحتشمى

ليت نجوم السماء راكدة ... على دُجَى ليلنا فلم تَرِم

ما لسرورى بالشك ممتزجا ... حتى كأنى أراه فى حلم

فرحت حتى استخفنى فرحى ... وشِبْت عين اليقين بالتهم

أمسح عيني مستثبتا نظرى ... إخالنى نائما ولم أنم

سقيا لليل أفنيت مدته ... ببارد الريق طيب النسم

أبيض مرتجة روادفه ... ماعِيب من فرْقه الى القدم

اذ قصبات العريش تجمعنا ... حتى تجلت أواخر الظلم

وليلة بتها محسرة ... محفوفة بالظنون والتهم

أبثّ عبراته على غصص ... يرد أنفاسه الى الكظم

سقيا لقيطونها ومخدعها ... كم من لمام به ومن لمم

لأكفر الشيلين أزمنة ... مطيعة بالنعيم والنعم

وليلة القُفْص ان سألت بها ... كانت شفاء لعلة السقم

بات أنيسى صريع خمرته ... وتلك احدى مصارع الكرم

وبت عن موعد سبقت به ... ألثم درا مُفَلَّجا بفم

وابأبى من بدا بروعة لا ... وعاد من بعدها الى نعم

حتى اذا اهتاجت النواقس فى ... سُحرة أحوى أحمّ كالحمم

وقلت هبّا يا صاحبي ونبـــهت أبانا فهب كالزَّلَم

فاستنها كالشهاب ضاحكة ... عن بارق فى الاناء مبتسم

صفراء زيتية موشحة بأرجوان ملمع ضرم

أخذت ريحانة أراح لها دب سروري بها دبيب دمي

فراجع العذر ان بدا لك في الـ ـعذر وان عدت لأنما فلم

وله في هوى حجب عنه

ظن من لا كان ظنا بحبيبي فحماه

أرصد الباب رقيبين له فاكتنفاه

فاذا ما اشتاق قربي ولقائي منعاه

جعل الله رقيبيه من السوء فداه

والذى أقرح في الشا دن قلبي ولواه

كل مشتاق اليه فمن السوء فداه

سيما من حالت الأحراس من دون مناه

كان له ابن اسمه محمد له أرزاق فمات فقطعت أرزاقه فقال يخاطب المتوكل ويسأل أن يجعل أرزاق ابنه المتوفى لزوجته وأولاده

انى أتيتك شافعا بولى عهد المسلمينا

وشبيهك المعتز أو جه شافع في العالمينا

يا ابن الخلائف الأولين ويا أبا المتأخرينا

ان ابن عبدك مات والا أيام تخترم القرينا

ومضى وخلف صبية بعراصة متلددينا

ومهيرة عبرى خلا ف أقارب مستعبرينا

أصبحن في ريب الحوا دث يحسنون بك الظنونا

قطع الولاة جراية كانوا بها مستمسكينا

فامنن برد جميع ما قطعوه غير مراقبينا

اعطاك أفضل ما تؤ مل أفضل المتفضلينا

فأمر له المتوكل بما سأل فقال يشكره

ياخير مستخلف من آل عباس اسلم وليس على الأيام من باس

أحييت من أملي نضوا تعاوره تعاقب البأس حتى مات باليأس

أمره المتوكل بأن ينادمه ويلازمه، فلم يطق ذلك لكبر سنه، فقال للمتوكل بعض من حضر عنده هو يطيق الذهاب الى القرى والمواخير والسكر فيها ويعجز عن خدمتك، فبلغه ذلك فدفع الى أحمد بن حمدون أبياتا قالها وسأله ايصالها، فأوصلها الى المتوكل وهي

أما في ثمانين وُفيتها عذير وان أنا لم اعتذر

فكيف وقد جزتها صاعدا مع الصاعدين بتسع أخر

وقد رفع الله أقلامه عن ابن ثمانين دون البشر

سوى من أصر على فتنة وألحد في دينه أو كفر

واني لمن اسراء الالـ ـه في الارض نصب صروف القدر

فان يقض لى عملا صالحا أثاب وان يقض شرا غفر

فلا تلحَ فى كبر هدني فلا ذنب لى ان بلغت الكبر

هو الشيب حل بعقب الشبا ب فمن ذا يلوم اذا ما عذر

واني لفى كنف مغدق وعز بنصر أبي المنتصر

يبارى الرياح بفضل السما ح حتى تبلد او تنحسر

له أكد الوحى ميراثه ومن ذا يخالف وحي السور

وما للحسود وأشباهه ومن كذب الحق الا الحجر

فلما أوصلها شيعها بكلام يعذره وقال لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها، فقال المتوكل صدقت وأمر له بعشرين الف درهم

ومن قوله فى آخر عمره

أصبحت من أسراء الله محتسبا فى الأرض نحو قضاء الله والقدر

ان الثمانين اذ وفيت عدتهــــا لم تبق باقيـــة مني ولم تذر

اشجع السلمى

هو أشجع بن عمرو من ولد الشَّريد بن مطرود السلمى يكنى أبا الوليد، تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخص معها الى بلدها فولدت هناك أشجع، ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه فقدمت أمه البصرة تطلب ميراث أبيه وكان له هناك مال ، فماتت بها، وربى أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبه ، ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعُدّ فى الفحول، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، وكان له أخوان أحمد وحريث وكان أحمد شاعرا ولم يكن لحريث شعر

ثم خرج أشجع الى الرَّقة والرشيد بها فنزل على بني سُليم فتقبلوه وأكرموه ومدح البرامكة وانقطع الى جعفر خاصة وأصفاه مدِحه فأُعجب به ووصله الي الرشيد ومدحه فأعجب به أيضا ، فأثري وحسنت حاله فى أيامه وتقدم عنده

قال أشجع شخصت من البصرة الي الرقة فوجدت الرشيد غازيا ونالتنى خلة ، فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو ، وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره فصاح صائح ببابه من كان ههنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس ، فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم وأمرنا بالبكور يوم الجمعة ، فبكرنا وأدخلنا وقدم واحد واحد منا يُنشد على الأسنان ، وكنت أحدث القوم سنا وأرَثّهم حالا فما بلغ اليّ حتى كادت الصلاة تجب ، فقدمت والرشيد على كرسى وأصحاب الأعمدة بين يديه سماطان، فقال لى أنشدنى ، فخفت ان أبتدى من أول قصيدتى بالتشبيب فتجب الصلاة ويفوتني

ما أردت فتركت التشبيب وأنشدته من موضع المديح في قصيدتى التى أولها

تذكر عهد البيض وهو لها تِرْب ... وأيام تصبى الغانيات ولا تصبو

فابتدأت قولى فى المديح

الى ملك يستغرق المالَ جوده ... مكارمه نثر ومعروفه سَكْب

وما زال هرون الرضا ابن محمد ... له من مياه النصر مشربُها العذب

متى تبلغ العيس المراسيل بابه ... بنا فهناك الرُّحب والمنزل الرحب

لقد جُمعت فيك الظنون ولم يكن ... بغيرك ظن يستريح له قلب

جمعت ذوى الأهواء حتى كأنهم ... على منهج بعد افتراقهمُ ركب

بنيت على الأعداء أبناء دُرْبة ... فلم يقهم منهم حصون ولا دُرْب

وما زلت ترميهم بهم متفردا ... أنيساك حزم الرأى والصارم العضب

جهدت فلم أبلغ علاك بمدحة ... وليس على من كان مجتهدا عتب

فضحك الرشيد وقال لي خفت أن يفوت وقت الصلاة فينقطع المديح عليك فبدأت به وتركت التشبيب وأمرنى أن أنشده التشبيب فأنشدته اياه ، فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم وأمر لى بضعفها

قال أحمد بن سيار الجرجانى دخلت أنا وأشجع والتيمى وابن رزين الخراسانى على الرشيد في قصر له بالرقة وكان قد ضرب أعناق قوم فى تلك الساعة ، فجعلنا نتخلل الدماء حتى وصلنا اليه ، فأنشده أبو محمد التيمى قصيدة له يذكر فيها نقفور ووقعته ببلاد الروم فنثر عليه مثل الدر من جودة شعره وأنشده أشجع قوله

قصر عليه تحية وسلام ... ألقت عليه جمالها الأيام

قصر سقوف المزن دون سقوفه ... فيه لأعلام الهدى أعلام

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقت ... للملك فيه سلامة وسلام

نشرت عليه الارض كسوتها التى نسج الربيع وزخرف الارهام

أدنتك من ظل النبي وصية وقرابة وشجت بها الأرحام

برقت سماؤك فى العدو وأمطرت هاما لها ظل السيوف غمام

واذا سيوفك صافحت هام العدى طارت لهن عن الرؤوس الهام

تثني على أيامك الأيام والشاهدان الحل والاحرام

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

اشترى جعفر بن يحيى المرغاب من آل الرشيد بعشرين ألف درهم ورده على أصحابه فقال أشجع يمدحه بذلك

رد السباخ ندى يديه ، وأهلها منها بمنزلة السماك الأعزل

قد أيقنوا بذهابها وهلاكهم والدهر يوعدهم بيوم أعضل

فافتكها لهم وهم من دهرهم بين الجران وبين حد الكلكل

ما كان يرجى غيره لفكاكها يرجى الكريم لكل خطب معضل

جلس جعفر بن يحيى بالصالحية يشرب على مستشرف له ، فجاءه أعرابى من بنى هلال فاشتكى واستماح بكلام فصيح ولفظ مثله يعطف المسئول، فقال له جعفر أتقول الشعر ياهلالى؟ فقال قد كنت أقوله وانا حدث أتملح به ثم تركته لما صرت شيخا ، قال فأنشدنا لشاعركم حميد بن ثور ، فأنشده قوله

لمن الديار بجانب الخمس كمحط ذى الحاجات بالنفس

حتى أتى على آخرها، فاندفع أشجع فأنشده مديحا له فيه قاله لوقته على وزنها وقافيتها

ذهبت مكارم جعفر وفعاله فى الناس مثل مذاهب الشمس

ملك تسوس له المعالى نفسه والعقل خير سياسة النفس

فاذا تراءته الملوك تراجعـــوا جهـر الكلام بمنطق همس

ساد البرامك جعفر وهم الأولى بعد الخلائف سـادة الانس

ما ضر من قصد ابن يحيى راجيا بالسـعد حل به أم النحس

فقال له جعفر صف موضعنا فقال

قصور الصالحية كالعذارى لبسن ثيابهن ليوم عرس

مطلات على بطن كسته أيادى الماء وشيا نسج غرس

اذا ما الطل أثر فى ثراه تنفس نوره من غير نفس

فتغبقه السماء بصبغ ورس وتصبحه باكؤس عين شمس

فقال جعفر للأعرابى كيف ترى صاحبنا ياهلالى ؟ فقال أرى خاطره طوع لسانه وبيان الناس تحت بيانه ، وقد جعلت له ما تصلنى به ، قال بل نصلك يا أعرابى ونرضيه ، وأمر للأعرابى بمائة دينار ولأشجع بمائتين

ومن قوله فى الفضل بن يحيى

وما قدم الفضل بن يحيى مكانه على غيره بل قدمته المكارم

لقد أرهب الأعداء حتى كأنما على كل ثغر بالمنيـة قائم

لما خرج جعفر ليصلح أمر الشام نزل فى مضربه وأمر باطعام الناس فقام أشجع فأنشده قوله

فتنان باغية وطاغية جلت أمورهما عن الخطب

قـد جاءكم بالخيل سارية ينقلن نحوكم رحى الحرب

لم يبق الا أن تدور بكم قد قام هاديها على القطب

فأمر له بصلة ليست بسنية وقال دائم القليل خير من منقطع الكثير ، فقال له ونزرك أكثر من جزيل غيرك ، فأمر له بمثلها ، وكان يجرى عليه فى كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه

قال اسحق الموصلى دخلت الى الرشيد يوما وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشيء لم أسمع ابتداءه وقد علا صوته ، فلما رآنى مقبلا قال لجعفر أترضى باسحق ؟ قال جعفر والله ما فى علمه مطعن ان أنصف ، فقال لى أى شيء تروى لشعراء المحدثين فى الخمر ؟ أنشدنى من أفضل ما عندك وأشده تقدما ، فعلمت أنهما كانا يتماريان فى تقديم أبي نواس ، فعدلت عنه الى غيره لئلا أخالف أحدهما ، فقلت لقد أحسن أشجع في قوله

ولقد طعنت الليل فى أعجازه ... بالكأس بين غطارف كالأنجم
يتمايلون على النعيم كأنهم ... قُضُب من الهندى لم تتثلم
وسعى بها الظبى الغرير يزيدها ... طيبا ويغشمها اذا لم تغشم
والليل منتقب بفضل ردائه ... قد كاد يحسر عن أغر أرثم (١)
فاذا أدارتها الأكف رأيتها ... تَثْنِى الفصيح الى لسان الأعجم
وعلى بنان مديرها عِقيانه (٢) ... من سكبها وعلى فضول المِعْصَم
تغلى اذا ما الشِعْرَيان تلظتا (٣) ... صيفا وتسكن فى طلوع المِرْزَم
ولقد فضضناها بخاتم ربها ... بكرا وليس البكر مثل الأيّم
ولها سكون فى الاناء وخلفها ... شَغْب يطوّح بالكَمِىّ المعلَم
تعطى على الظلم الفتى بقيادها ... عمدا وتظلمه اذا لم يظلم

وهذا من قصيدة مدح بها ابراهيم بن عثمان بن نُهيك لما ولى الشُرطة واولها

لمن المنازل مثل ظهر الأرْقَم ... قَدُمت وعهد أنيسها لم يَقْدُم
فتكت بها سنتان تعتورانها ... بالمُعْصِفات وكل أسحم مُرْزِمِ

(١) رثم الفرس كفرح كانت به رثمة وهي بياض بطرف أنفه فهو أرثم (٢) العقيان الذهب الخالص (٣) هما الشعرى اليمانية ويقال لها العبور بفتح العين وهي الكوكب الذى يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدة الحر ، والشعرى الغميصاء وهي كوكب آخر يطلع في الذراع والمرزمان بخمان مع الشعريين

دِمن اذا استثبت عينك عهدها كرت اليـــك بنظرة المتوهم

ومنها

لبنى نهيك طاعـة لو أنها زحمت بهَضْب متالـع لم تكلَم

قوم اذا غمزوا قَنَاة عـــدوهم حطموا جوانبها بباس محطم

في سيف ابراهيم خوف دافع لذوى النفاق وفيه أمن المسلم

ويبيت يكلأُ والعيون هواجع مال المضيـــع ومهجة المستسلم

ليـــل يواصله بضوء نهاره يقظان ليس ينام نوم النوم

شـد الخُطام بأنف كل مخالف حتى استقام له الذى لم يخطم

لا يصلح السلطان الا شدة تَغْشَى البرىء بفضل ذنب المجرم

منعت مهابتك النفوس حـديثها بالشىء تكرهه وان لم تعـلم

ونهجت فى سبل السياسة مسلكا ففهمت مذهبها الذى لم يفهم

فقال لي الرشيد قد علمت تعصبك على أبى نواس وأنك عدلت عنه متعمدا ولقد أحسن ولـكنه لا يقول أبدا مثل قول أبى نواس

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم أنم

فقلت له ما علمت ما كنتما فيه يا أمير المؤمنين وانما أنشدت ما حضرنى ، فقال حسبك قد سمعت الجواب ، وكان فى اسحق تعصب على أبى نواس لشىء جرى بينهما

ومن قوله يعزى الفضل ابن الربيع عن ابنه العباس

لا تبكين بعين غير جائدة وكل ذى حزَن يبكى كما يجد

أى امرئٍ كان عباس لنائبة اذا تقنع دون الوالد الولد

لم يُدْنِه طمع من دار مخزية ولم يُعَرَّ له من نعـــمة بلد

قد كنت ذا جَلَد في كل نائبة فبان مني عليك الصبر والجلد

لما تسامت بك الآمال وابتهجت بك المروءة واعتدت بك العدد

ولم يكن لفتى فى نفسه أمل — الا اليك من آرضه يفد
وحين جئت أمام السابقين ولم — يبعُلْ عذارك ميدان ولا أمد
وافاك يوم على نكراء مشتمل — لم ينج من مثله عاد ولا لُبَد
فما تكشف الا عن مولولة — حرَّى ومكتئب أحشاؤه تقد

ومن قوله يعزى الرشيد عن ابن له

نقص من الدين وأهله — نقص المنايا من بنى هاشم
قدمته فاصبر على فقده — الى أبيه وأبى القاسم

وقال فى شكوى شكاها جعفر بن يحيى

لما اشتكى جعفر بن يحيى — فارقني النوم والقرار
ومرَّ عيشى علىّ حتى — كأنما طعمه المرار
خوفا على جعفر بن يحيى — لاحقق الخوف والحذار
أن يعفه الله لا نحاذر — ما أحدث الليل والنهار

كتب الى الرشيد وقد أبطأ عنه شىء أمر له به

أبلغ أمير المؤمنين رسالة — لها عنق بين الرواة فسيح
بأن لسان الشعر ينطقه الندى — ويُخرسه الابطاء وهو فصيح

فضحك الرشيد وقال له ننطق لسان شعرك وأمر بتعجيل صلته

أقبل أشجع الي باب محمد بن منصور بن زياد فرأى ازدحام الناس عليه فقال

على باب ابن منصور — علامات من البذل
جماعات وحسب البا — ب نبلا كثرة الأهل

أنشد جعفر بن يحيى لما ولاه الرشيد خراسان

أتصبر للبين أم تجزع — فان الديار غدا بلقع
غدا يتفرق أهل الهوي — ويكثر باك ومسترجع

حتى انتهى الى قوله

ودَوِّيّة بين أقطارهـــا مقاطيع أرضين لا تُقْطَع
تجاوزتها فـــوق ريحانة من الريح فى سيرها أسرع
الى جعفر نزعت رغبة وأى فـــتى نحوه تنزع
فما دونه لامرىء مطمع ولا لامرىء غيره مقنع
ولا يرفع الناس مَن حطّه ولا يضعون الذى يرفع
يريد الملوك مدَى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
تـــلوذ الملوك بأبوابه اذا نالها الحدث الأفظع
بديهته مثـــل تدبيره متى رمته فهو مستجمع
وكم قائـل اذ رأى ثروتى وما فى فضول الغني أصنع
غدا فى ظِلال ندَى جعفر يجر ثياب الغني أشجـع
فقل لخراسان تحيـــا فقد أتاها ابن يحيى الفتى الأروع

فأمر له بألف دينار

ثم بدا للرشيد فعزل جعفرا عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب وعقد له العقد وأمر ونهى فوَجَم لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فأنشده

أمست خراسان تُعزّى بما أخطأها من جعفر المرتجى
كان الرشيد المعتلى أمرُه ولى عليه المشرق الأبلجا
ثم أراه رأيـــه أنـــه أمسى اليـه منهمُ أحوجا
فـكم به الرحمن من كربة فى مـدة تقصر قد فرجا

فضحك جعفر وقال لقد هونت على العزل وقمت لأمـير المؤمنين بالعذر فسلني ما شئت ، فقال قد كفانى جودك ذلة السؤال فأمر له بألف دينـار أخرى

دخل على محمد الأمين حين أجلس مجلس الأدب للتعليم وهو ابن أربع سنين

وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فقال

ملك أبوه وأمه من نبعة منها سراج الأمة الوهاج
شربت بمكة فى رُبى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج

يعني النبعة، فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم، ولم يملك الخلافة أحد أبوه وأمه من بني هاشم الا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ومحمد بن زبيدة

كان انقطاع أشجع الى العباس بن محمد بن علي فقال الرشيد للعباس يوما ياعم ان الشعراء قد أكثروا فى مدح محمد بسببي وبسبب أم جعفر ولم يقل أحد منهم فى المأمون شيئاً وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه، فذكر العباس ذلك لأشجع وأمره أن يقول فيه، فقال

بيعة المأمون آخذة بعنان الحق فى أفقه
أحكمت مرآتها عقدا تمنع المحتال فى نفقه
لن يفكّ المرء ربقتها أو يفك الدين من عنقه
وله من وجه والده صورة تمت ومن خلقه

فأتى بها العباس الرشيد وأنشده اياها فاستحسنها وسأله لمن هي ؟ فقال هى لى، فقال قد سررتنى مرتين باصابتك ما فى نفسي وبأنها لك وما كان لك فهو لى، وأمر له بثلاثين ألف دينار فدفع الى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه

وعد يحيى بن خالد أشجع وعدا فأخره عنه فقال له

رأيتك لا تستلذ المطال وتوفى اذا غدر الخائن
فماذا تؤخر من حاجتى وأنت لتعجيلها ضامن
ألم تر أن احتباس النوال لمعروف صاحبه شائن

فلم يتعجل ما أراد فكتب اليه

رُوَيْدك ان عز الفقر أدنى الىّ من الثراء مع الهوان

وماذا تبلغ الأيام منى ... بريب صروفها ومعى لسانى

فبلغ قوله جعفرا فقال ويلك يا أشجع هذا تهدد فلا تعد لمثله ، ثم كلم أباه فقضى حاجته فقال

كفانى صروفَ الدهر يحيى بن خالد ... فأصبحت لا أرتاع للحدثان

كفانى كفاه الله كل ملمة ... طلاب فلان مرة وفلان

فأصبحت فى رَغْدٍ من العيش واسع ... أقلب فيه ناظرى ولسانى

ولى جعفر بن يحيى أشجع عملا فرفع أهله رفائع كثيرة وتظلموا منه وشكوه ، فصرفه جعفر عنهم فلما رجع اليه انشأ يقول

أمفسدة سعاد على دينى ... ولائمتى على طول الحنين

وما تدرى سعاد اذا تخلت ... من الأشجان كيف أخو الشجون

تنام ولا أنام لطول حزنى ... وأين أخو السرور من الحزين

لقد راعتك عند قَطين سُعْدَى ... رواحل غاديات بالقطين

كأن دموع عينى يوم بانوا ... عيانا سحُّ مطرد معين

لقد هزت سنانَ القول منى ... رجال رفيعة لم يعرفونى

همُ جازوا حجابك يابن يحيى ... فقالوا بالذى يهوَون دونى

أطافوا بى لديك وغبت عنهم ... ولو أدنيتني لتجنبونى

وقد شهدت عيونهمُ فمالت ... علىّ وغيبت عنهم عيونى

ولما أن كتبت بما أرادوا ... تروع كل ذى غَمْز دفين

كففت عن المقاتل باديات ... وقد هيأت صخرة منجنون

ولو أرسلتها دمغت رجالا ... وصالت فى الأخية والشؤون

وكنت اذا هززت حسام قول ... قطعت بحجتى عَلَق الوتين

لعل الدهر يُطلق من لسانى ... لهم يوما ويبسُط من يمينى

فأقضى دينهم بوفاء قول ... وأثقلهم لصد بالديون
وقد علموا جميعا أن قولى ... قريب حين أدعوه يجينى
وكنت اذا هجوت رئيس قوم ... وَسَمْتُ على الذؤابة والجبين
بخط مثل حرق النار باق ... يلوح على الحواجب والعيون
أمائلة بودك يابن يحيى ... رجالات ذوو ضِغْن مكين
يَشيمون السيوف اذا رأونى ... فان وَلَّيت سُلَّت من جفون
ولو كشفت سرائرنا جميعا ... علمت مَنِ البريء من الظنين
علام وأنت تعلم نصح جيبى ... وأخذي منك بالسبب المتين
وعَسفى كل مَهْمهة خلاء ... اليك بكل يَعْمَلة أمون
واحيائى الدجى لك بالقوافى ... أقيم صدورهن على المتون
تقرب منك أعدائى وأنأي ... ويجلس مجلسى من لا يلينى
ولو عاتبت نفسك فى مكانى ... اذا لنزلت عندك باليمين
ولكن الشكوك نأين عنى ... بودك والمصير الى اليقين
فان أنصفتني حرقت منهم ... بنضج الكى أثباج البطون

أول ما نجم به أشجع انه اتصل بجعفر بن المنصور وهو حدث فقال أشجع فيه

اذكروا حرمة العواتك منا ... يابنى هاشم بن عبد مَناف
قد ولدناكمُ ثلاث ولادا ... ت خلطن الأشراف بالأشراف
مهدت هاشما نجوم قُصَىّ ... وبنو فالغ حجور عَفاف
ان أرماح بَهْثَةَ بن سليم ... بعجاف الأطراف غير عِجاف
ولأسيافهم فرى غير لَذّ ... راجع فى مراجع الاكتاف
معشر يطعمون من ذروة الشَّوْ ... ل ويسقون خمرة الأتحاف
يضربون الجبار في أخدعيه ... ويُسَقّونه نَقيع الذُّعاف

فشاع شعره وبلغ البصرة ولم يزل أمره يترقى الى أن أوصلته زبيدة بعد وفاة أبيها بزوجها هرون الرشيد فأسنى جوائزه وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء

ويروى أن الذى أوصله الى الرشيد الفضل بن الربيع وأنه أوصله له وقال له هو أشعر شعراء أهل هذا الزمان وقد اقتطعته عنك البرامكة ، فأمر باحضاره وايصاله مع الشعراء ففعل ، فمدح الفضل وشكر له ايصاله الى الرشيد فقال

غلب الرقاد على جفون المسهد ... وغرقت فى سهر وليل سرمد
قد جد بى سهر فلم أرقد له ... والنوم يلعب فى جفون الرُّقد
ولطالما سهرت لحبى أعين ... أهدى السهاد لها ولما أسهد
أيام أرعى فى رياض بطالة ... وَرَدَ الصِّبا منها الذى لم يورد
لهو يساعده الشباب ولم أجد ... بعد الشبيبة فى الهوى من مُسعد
وخفيقة الأحشاء غير خفيفة ... مجدولة جدل العنان الأجرد
غضبت على أعطافها أردافها ... فالحرب بين ازارها والمُجْسَد
خالفت فيها عاذلا لي ناصحا ... فرشدت حين عصيت قول المرشد
أأقيم محتملا لضيم حوادث ... مع همة موصولة بالفرقد
وأرى مخايل ليس يخلف نوءها ... للفضل ان رعدت وان لم ترعد
للفضل أموال أطاف بها الندى ... حتى جهدن وجوده لم يجهد
يا ابن الربيع حسرت شكرى بالتى ... أوليتني فى عود أمرك والبد
أوصلتنى ورفدتنى وكلاهما ... شرف فقأت به عيون الحسد
ووصفتنى عند الخليفة غائبا ... وأذنت لى فشهدت أفخر مشهد
وكففتنى منَّ الرجال بنائل ... أغنى يدى عن أن تمد الى يد

كان لأشجع جارية يقال لها ريم وكان يجد بها وجدا شديدا فكانت تحلف له ان بقيت بعده لم تعرض لغيره ، وكان يذكرها فى شعره ، من ذلك قوله فى

قصيدته التى يرثى بها الرشيد

وليس لأحزان النساء تطاول ... ولـكن أحزان الرجال تطول
فلا تبخـلى بالدمع عنى وان من ... يضَنّ بدمع عن هوى لبخيل
فلا كنت ممن يتْبع الريح طَرْفَه ... دَبور اذا هبت له وقَبول
اذا دار فَىْء أتبع الفىء طرفه ... يميل مع الأيام حيث تميـل

وقال فيها أيضا

اذا غمضت فوق جفون حفيرة ... من الأرض فابكيني بما كنت أصنع
تُعزِّك عني عنـد ذلك سلوة ... وان ليس فيمن وارت الأرض مطمع
اذا لم تَرَىْ شخصى وتغنك ثروتى ... ولم تسمعى مني ولا منك أسمع
فحينئذ تَسْلين عني وان يكن ... بـكاه فأقصى ما تبكّين أربع
قليل وربِّ البيت ياريمُ ما أرى ... فتاة بمن ولى به الموت تقنع
بمن تدفعين الحادثات اذا رمى ... عليك بها عام من الجدب يطلع
فحينئذ تدرين من قد رزئته ... اذا جعلت أركان بيتك تنزع

ومن قوله يمدح الفضل بن يحيى

بديهته وفـكرته سواء ... اذا ما نابه الخطب الكبير
وأحزم ما يكون الدهر رأيا ... اذا عىّ المشاور والمشير
وصدر فيه للهم اتساع ... اذا ضاقت بما تحوى الصدور

ومن قوله يرثى صديقا له

ويحها هـل درت على من تنوح؟ ... أسقيم فؤادها أم صحـيح؟
قمر أطبقوا عليه ببغـدا ... د ضريحا، ماذا أجنّ الضريح
رحـم الله صاحبى ونديمى ... رحمة تغتدى وأخرى تروح

غزا الرشيد بلاد الروم نخافه نقفور صاحبها فصالحه وخضع له اشد الخضوع

فرجع الرشيد الى الرقة، فلما سقط الثلج وأمن نقفور أن يغزى اغتر بالمهلة ونقض ما بينه وبين الرشيد، فعاد الرشيد وافتتح هرَقلة وعاد الى الرقة فى آخر شهر رمضان فلما عيد جلس للشعراء فدخلوا عليه وفيهم أشجع فبدرهم وأنشأ يقول

لا زلت تَنشر أعيادا وتَطويها ... تمضى بهـــا لك أيام وتثنيها
مستقبلا زينة الدنيا وبهجتهـا ... أيامنا لك لا تفنى وتفنيهـــا
ولا تقضت لك الدنيا ولا برحت ... يَطْوِى لك الدهر أياما وتطويها
ولْيَهْنِكَ الفتح والأيام مقبلة ... اليك بالنصر معقودا نواصيها
أمست هِرَقلة تهوِى من جوانبها ... وناصر الله والاسلام يرميهـا
ملكتها وقتلت الناكثين بها ... بنصر من يملك الدنيا وما فيها
ما روعى الدين والدنيا على قدم ... بمثـــل هرون راعيه وراعيها

فأمر له بألف دينار وقال لا ينشدنى أحد بعده

دخل على الرشيد ثانى يوم الفطر فأنشده

استقبل العيد بعمر جديد ... مدت لك الأيام حبل الخلودْ
مصعّـدا فى درجات العـلا ... نجمك مقرون بسعد السعود
واطوِ رداءَ الشمس ما أطلعت ... نورا جديدا كل يوم جديد
تمضى لك الأيام ذا غِبطة ... اذا أتى عيد طوى عمر عيد

دخل أشجع على الرشيد فأنشده

أبت طَبَرِستان غير الذى ... صدعت به بين أعضائها
ضممت مناكبها ضمة ... رمتك بما بين أحشائها
سموت اليها بمثل السماء ... تدلى الصواعق فى مائها
فلما نظرت الى جرحها ... وضعت الدواء على دائها
فرشت الجهاد ظهور الجياد ... بأبنـائه وبأبنائهـــا

بنفسك ترميهم والخيول كرمى العقاب بأفلائها
نظرت برأيك لما همم ت دون الرجال وآرائها

فأمر له بألف دينار

أقبل أشجع الى باب محمد بن منصور بن زياد فرأى ازدحام الناس عليه فقال

على باب ابن منصور علامات من البذل
جماعات وحسب البا ب نبلا كثرة الأهل

فبلغ محمدا بيتاه فقال هما والله أحب مدائحه الى

دخل أشجع على الرشيد حين قدم من الحج وقد مطر الناس يوم قدومه فأنشأ يقول

ان يمن الامام لما أتانا حلب الغيث من متون الغمام
فابتسام النبات فى أثر الغيث بنواره كسراج الظلام
ملك من مخافة الله مغض وهو مغضى له من الاعظام
الف الحج والجهاد فما ينفك من سفرتين فى كل عام
سفر للجهاد نحو عدو والمطايا لسفرة الاحرام
طلب الله فهو يسعى اليه بالمطايا وبالجياد السوام
فيداه يد بمكة تدعو ه وأخرى فى دعوة الاسلام

أمر الرشيد بحفر نهر لبعض أهل السواد وقد كان خرب وبطل ما عليه فقال أشجع يمدحه

أجرى الامام الرشيد نهرا عاش بعمرانه الموات
جاد عليه بريق فيه وسر مكنونه الفرات
ألقمه درة لقوحا يرضع أخلافه النبات

ومن قوله يرثى الرشيد وقد توفى بطوس

غربت بالمشرق الشمـــس فقل للعين تدمع
ما رأينا قط شمسا غربت من حيث تطلع

اعتل يحيى بن خالد ثم عوفى فدخل الناس يهنئونه بالسلامة ودخل أشجع فأنشده

لقد قرعت شكاة أبي على قلوب معاشر كانوا صحاحا
فان يدفع لنا الرحمن عنه صروف الدهر والأجل المتاحا
فقد أمسى صلاح أبي علىّ لأهل الدين والدنيا صلاحا
اذا ما الموت أخطأه فلسنا نبالي الموت حيث غدا وراحا

فما أذن يومئذ لأحد سواه في الانشاد لاختصاص البرامكة اياه

دخل أشجع على ابن شُبْرُمة يعوده فأنشأ يقول

اذا مرض القاضى مرضنا بأسرنا وان صح لم يسمع لنا بمريض
فأصبحت لما اعتل يوما كطائر سما بجناح للنهوض مهيض

فشكره ابن شبرمة وحمله على بغلة له

جاء أشجع ليدخل على أبان بن الوليد البَجَلي فمنعه حاجبه وانتهره غلمانه فقال فيه

ألا أيهـــا المُشْلى علىّ كلابه ولى غير أن لم أُشْلهن كلاب
رويدَك لا تعجل علىّ فقد جرى بجريك ظبى أعضب وغراب
علام تسد الباب والسر قد فشا وقد كنت محجوبا ومالك باب
فلو كنت ممن يشرب الخمر سادرا اذاً لم يكن دونى عليك حجاب
ولكنه يمضى الي الحول كاملا ومالى الا الأبيضين شراب
من الماء أو من شَخْب دَهماء ثَرّة لها حالب لا يشتكى وحِلاب

مر أشجع وأخواه أحمد ويزيد وقد شربوا حتى انتشوا بقبر الوليد بن عقبة والى جانبه قبر أبي زُبيد الطائى وكان نصرانيا، والقبران مختلفان كل واحد منهما

متوجه الى قبلة ملته ، وكان أبو زبيد أوصى لما احتُضر أن يدفن الى جنب الوليد بالبَليخ ، فوقفوا على القبرين وجعلوا يتحدثون بأخبارهما ويتذاكرون أحاديثهما فأنشأ أشجع يقول

مررت على عظام أبي زبيد　　وقد لاحت ببلقعة صلود
وكان له الوليد نديم صدق　　فنادم قبرُه قبر الوليد
أنيسا أُلفة ذهبت فأمست　　عظامهما تأنسُ بالصعيد
وما أدرى بمن تبدا المنايا　　بأحمد أو بأشجع أو يزيد

فماتوا كما رتبهم فى الشعر أولهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد

ربيعة الرقى

هو أبو أسامة ربيعة بن ثابت من موالى سليم ويكنى أبا شبابة وكان ينزل الرَّقة وبها مولده ومنشؤه فأشخصه المهدى اليه فمدحه بعدة قصائد وأثابه عليها ثوابا كبيرا وهو من المكثرين المجيدين وكان ضريرا وانما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته بعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ومع ذلك فما عدم مفضلا مقدما له . ومن قوله يمدح يزيد بن حاتم المهلبى ويهجو يزيد بن اسيد السلمى

حلفت يمينا غير ذى مَثْنَوِيَّة [1]　　يمين امرئ آلى بها غير آثم
لَشتَّان ما بين اليزيدين فى الندى　　يزيد سُليم والأغر ابن حاتم
يزيد سُلَيم [2] سالم المال والفتى　　أخو الأزد للأموال غير سالم
فهمُّ الفتى الأزدى اتلاف ماله　　وهم الفتى القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أنى هجوته　　ولكننى فضلت أهل المكارم

---

(١) مصدر بمعنى الاستثناء في اليمين أى حلفت غير مستثن في يميني

(٢) هو يزيد بن أسيد بضم الهمزة من بهثة بن سليم وأخو الازد وهو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهب

فيأيها الساعى الذى ليس مدركا بمسعاته سعى البحور الخضارم
سعيت ولم تدرك نوال ابن حاتم لفك أسير واحتمال العظائم
كفاك بناء المكرمات ابن حاتم ونمت وما الأزدى عنها بنائم
فيا ابن أُسيد لا تسام ابن حاتم فتقرعَ ان ساميته سن نادم
هو البحر ان كلفت نفسك خوضه تهالكت فى موج له متلاطم
تمنيت مجدا فى سُليم سفاهة أمانى خال أو أمانى حالم
الا انما آل المهلب غُرّة وفى الحرب قادات لكم بالخزائم
هم الأنف والخُرطوم والناس بعدهم مناسم والخرطوم فوق المناسم
قضيت لكم آل المهلب بالعلا وتفضيلكم حقا على كل حالم
لكم شيم ليست لخلق سواكمُ سماح وصدق البأس عند الملاحم
مُهينون للأموال فيما ينوبكم مناعيش دفّاعون عن كل جارم

قال رجل لربيعة يا أبا أسامة ماحملك على أن هجوت رجلا من قومك وفضلت عليه رجلا من الأزد ؟ فقال أخبرك ، أملقت فلم يبق لى الا دارى فرهنتها على خمسمائة درهم ورحلت اليه الى إرمينيه فأعلمته بمكانى ومدحته وأقمت عنده حولا فوهب لى خمسمائة درهم، فتحملت وصرت بها الى منزلى فلم يبق معى كبير شىء ، فنزلت فى دار بكراء ، فقلت لو أتيت يزيد بن حاتم ، ثم قلت هذا ابن عمى فعل بى هذا الفعل فكيف بغيره ؟ ثم حملت نفسى على أن آتيه ، فأُعلم بمكانى فتركنى أشهرا حتى ضجرت ، فأكريت نفسى من الجمالين

وكتبت بيتا فى رقعة فألقيته فى دهليزه والبيت

أرانى ولا كفران لله راجعا بخُفَّى حُنين من يزيد بن حاتم

فوقعت الرقعة فى يد حاجبه فأوصلها اليه من غير علمى ولا أمرى ، فبعث خلفى ، فلما دخلت عليه قال هيه أنشدنى ما قلت ، فتمنعت ، فقال والله لتنشدنى، فأنشدته ، فقال والله لا ترجع كذلك ، ثم قال انزعوا خفيه ، فنزعا فحشاهما دنانير

وأمر لي بغلمان وجوار وكُساء، ألا ترى لي أن أمدح هذا وأهجو ذاك ؟ قلت بلى والله، وسار شعري حتى بلغ المهدى فكان سبب دخولي اليه

قيل لأبي زيد النحوى ان الأصمعى قال لا يقال شتان ما بينهما وانما يقال شتان ما هما وأنشد قول الأعشى « شتان ما يومى على كُورها » فقال كذب الأصمعى يقال شتان ما هما وشتان ما بينها وأنشد لربيعة الرقى « لشتان ما بين اليزيدين » وفى استشهاد مثل أبي زيد على دفع قول مثل الأصمعى بشعر ربيعة كفاية له في تفضيله، وذكره عبد الله بن المعتز فقال كان ربيعة أشعر غزلا من أبي نواس لأن فى غزل أبي نواس بردا كثيرا وغزل هذا سليم عذب سهل

امتدح ربيعة العباس بن محمد بن على بقصيدة لم يسبق اليها حسنا وهي طويلة يقول فيها

لو قيل للعباس يا ابن محمد ... قل لا وأنت مخلَّد ما قالها

ما ان أعُدّ من المكارم خصلة ... الا وجدتك عمها أو خالها

واذا الملوك تسايروا فى بلدة ... كانوا كواكبها وكنت هلالها

ان المكارم لم تزل معقولة ... حتى حللت براحتيك عِقالها

فبعث اليه بدينارين وكان يقدر فيه ألفين، فلما نظر الى الدينارين كاد يجن غيظا وقال للرسول خذ هذين الدينارين فهما لك على أن ترد الرقعة الي من حيث لا يدرى العباس ففعل الرسول ذلك فأخذها ربيعة وأمر من كتب فى ظهرها

مدحتك مِدْحة السيف المحلى ... لتجرى فى الكرام كما جريت

فهبها مدحة ذهبت ضياعا ... كذبت عليك فيها وافتريت

فأنت المرء ليس له وفاء ... كأني ان مدحتك قد زنيت

ثم دفعها الى الرسول وقال ضعها في الموضع الذى اخذتها منه فردها الرسول

فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الابيات غضب وقام من وقته فركب الى الرشيد، وكان أثيرا عنده يبجله ويقدمه وكان قد هم أن يخطب اليه ابنته، فرأى الكراهة فى وجهه فقال ما شأنك؟ فقال هجانى ربيعة الرقى ، فأحضر، فقال له الرشيد تهجوا عمى وآثر الخلق عندى ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقال والله ياأمير المؤمنين لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء ولقدبالغت فى الثناء وأكثرت فى الوصف فان رأى أمير المؤمنين أن يأمره باحضارها، فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه وأحب أن ينظر الى القصيدة، فأمر العباس باحضار الرقعة، فتلكأ عليه العباس، فقال له الرشيد سألتك بحق أمير المؤمنين الا أمرت باحضارها ، فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط ، فأمر باحضارها ، فأحضرت،فأخذها الرشيدواذافيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادهاوأعجب بها وقال والله ماقال أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء مثلها، لقدصدق ربيعة وبرّ ثم قال للعباس بم أثبته عليها ؟ فسكت العباس وتغيرلونه وجرض بريقه، فقال ربيعة أثابنى عليها ياأمير المؤمنين بدينارين ، فتوهم الرشيد انه قال ذلك من الموجدة على العباس فقال بحياتى يارقى بكم أثابك ؟ قال وحياتك ياأمير المؤمنين ما أثابني عليها الا بدينارين ، فغضب الرشيد غضباً شديداً ونظر فى وجه العباس وقال سوءةً لك أي حال قعدت بك عن اثابته ؟ ألأموال ؟ فوالله لقد مولتك جهدى ، أم انقطاع المادة عنك؟ فوالله ما انقطعت، أم أصلك؟ فهو الأصل لا يدانيه شىء ، أم نفسك فعلت ذلك بك حتي فضحت آباءك وأجدادك وفضحتني ونفسك؟ فنكس العباس رأسه ولم ينطق ، فقال الرشيد ياغلام أعط ربيعة ثلاثين الف درهم وخلعة واحمله على بغلة ، فلما حمل المال بين يديه وألبس الخلعة قال بحياتى يارقى لا تذكره في شعرك لا تعريضا ولا تصريحا، وفتر الرشيد عما كان هم به أن يتزوج اليه وظهر له منه بعد ذلك جفاء كثير واطراح له

ذكر على ابن الحسين أنه رأى قصيدة لربيعة الرقى مكتوبة في دور بساط من بسط السلطان قديم وكان مبسوطا في دار العباس العامة بسُرَّ من رأى وهى

وتزعم انى قد تبدلت خُلّة   سواها وهذا الباطل المتقول

لحى الله من باع الصديق بغيره   فقالت نعم حاشاك ان تك تفعل

ستصْرِم انسانا اذا ماصرمتنى   بحبك فانظر بعده من تبدل

ومن تشبيبه بجارية يقال لها عثمة كانت لرجل من أهل قرقيسيا يقال له ابن مرار

أعتاد قلبك من حبيبك عيده   شوق عراك فأنت عنه تذوده !

والشوق قد غلب الفؤادَ فقاده   والشوق يغلب ذا الهوى فيقوده

فى دار مرّار غزال كنيسة   عطِر عليه خزوزه وبروده

ريم أغرّ كأنه من حسنه   صنم يحج ببيعة معبوده

عيناه عينا جُؤْذَر بصريمة   وله من الظبى المربَّب جيده

ما ضر عثْمة أن تُلِمّ بعاشق   دَنِف الفؤاد متيم فتعوده

وتلُذّه من ريقها فلربما   نفع السقيم من السقام لَدوده

ومن قوله وفيه غناء

من لعين رأت خيالا مُطيفا   واقفا هكذا علينا وقوفا

طارقا موْهِنا ألمّ فحيا   ثم ولى فهاج قلبا ضعيفا

ليت نفسى وليت أنفس قومى   يا يزيد الندى تقيك الحتوفا

ليس يخشى مُهلّبى كريم   حاتمى قد نال فرعا مُنيفا

قال أبو بشر كنت حاضرا ربيعة الرقى يوما وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية فقالت تقول لك فلانة ان بنت مولاى محمومة فان كنت تعرف لها عُوذة فافعل ، فقال اكتب لها أبا بشر هذه العوذة

ثقوا ثقوا باسم آلهى الذى   لا يعرض السقم لمن قد شفى

أعيذ مولاتى ومولاتها وابنتها بعُوذة المصطفى

من شر ما يعرض من علة فى الصبح والليل اذا أسدفا

فقلت له يا أبا ثابت لست أحسن أن أكتب ثقوا ثقوا فكيف أكتبها ؟ قال انضح المداد من رأس القلم فى موضعين حتى يكون كالنفث وادفع العوذة اليها فانها نافعة، فقلت ودفعتها اليها ، فلم تلبث أن جاءت الجارية وهى لا تمالك ضحكا فقالت له يا مجنون ما فعلت بنا ؟ كدنا نفتضح بما صنعت ، قال فما أصنع ؟ أشاعر أنا أم صاحب تماويذ ؟

ابو دهمان الغلابى (١)

شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولة بنى أمية وبنى هاشم ومدح المهدى وكان طيباً ظريفاً مليح النادرة وهو القائل لما ضرب المهدى أبا العتاهية بسبب عشقه عتبة

لولا الذى أحدث الخليفة فى العشاق من ضربهم اذا عشقوا

لبحت باسم الذى أحب ولكنني امرؤ قد ثنانى الفرق

ومن شعره وفيه غناء

لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي وأخلفنى فيها الذى كنت آمل

فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل

قال رجل لأبى دهمان ألا أحدثك بظريفة ؟ قال بلى ، قال كنا عند فلان فمد رجله هكذا فضرط ، ومد المحدث رجله يحكيه فضرط ، فقال له أبو دهمان يا هذا أنت أحذق خلق الله بحكاية

---

(١) غلاب كقطام اسم امرأة من العرب وبنو غلاب هم بنو الحارث بن أوس بن النابغة بن غنى بن حبيب بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية أهل بيت بالبصرة يعرفون ببنى غلاب وغلاب جد لهم من محارب بن خصفة

التيمى

هو عبد الله بن أيوب ، ويكنى أبا محمد ، مولى بني تيم ثم مولى بنى سُلَيم وكان له أخ يقال له أبو التَّيَّحان وكان كلاهما شاعرا ، وهما من أهل الكوفة من شعراء الدولة العباسية ، وعبد الله أحد الخلعاء المُجَّان الوصافين للخمر ، وكان صديقا لابراهيم الموصلى وابنه اسحاق ونديما لهما ، ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم ، واتصل بيزيد بن مَزْيَد فلم يزل منقطعا اليه حتى مات ، واستنفد شعره أو أكثره فى وصف الخمر وهو الذى يقول

شربت من الخمر يوم الخميـــس بالكأس والطاس والقَنْقَل[1]

فما زالت الكاس تغتالنـــا ... وتذهـــب بالأول الأول

الى أن توافت صلاة العِشاء ... ونحن من السكر لم نَعقِلِ

فمن كان يعرف حق الخميـ ... س وحق المدام فلا يجهل

وما ان جرت بيننـــا مَزْحة ... تهيـــج مِراء على السَّلْسَل

وهو القائل

ولن أنتهى عن طيِّب الراح أو يرى ... بوادي عظامى في ضريحى لاحـد

أضعت شبـابى فى الشراب تلذذا ... وكنت امرأً غر الشباب أكابد

كان له ابن يقال له حيان ومات وهو حديث السن فجزع عليه وقال يرثيه

أودى بحيان ما لم يترك الناسا ... فامنح فؤادك من أحبابك الياسا

لما رمته المنـــايا اذ قصدن له ... أصبن منى سواد القلب والراسا

واذ يقول لى العُوَّاد اذ حضروا ... لا تأس أبشر أبا حيان لا تاسَى

فبت أرعى نجوم الليل مكتئبا ... إخال سُنَّته فى الليل قرطاسا

(١) المكيال الضخم

وأول هذه القصيدة

يادير هند لقد أصبحت لى أنسا وما عهدتك لى يادير مئناسا

قال اسحق الموصلي قلت « وصف الصد لمن تهوى فصد » ثم أجبلت فمكثت عدة ليال لا يستوى لى تمامه فدخل علىّ التيمي فرآني مفكرا فقال لي ما قصتك ؟ فأخبرته فقال « وبدا يمزح بالهجر فجد » ثم أتممتها فقلت

ما له يعدل عني وجهه وهو لا يعدله عندى أحد

وخرجت الى مدح الفضل الربيع فقلت

قد أرادوا غِرّة الفضل وهل تطلب الغِرة فى خِيس الأسد

ملك يدفع ما تخشى به وبه يصلح منا ما فسد

يفعل الناس اذا ما وعدوا واذا ما فعل الفضل وعد

وقال يرثى يزيد بن مزيد

أحق أنه أودى يزيد ؟ تبيّنْ أيها الناعى المشيد

أتدرى من نعيت وكيف فاهت به شفتاك ؟ كان بها الصعيد

أحامى المجد والاسلام أودى ؟ فما للأرض ويحك لا تَميد ؟

تأمل هل ترى الاسلام مالت دعائمه وهل شاب الوليد ؟

وهل شيمت سيوف بنى نزار ؟ وهل وضعت عن الخيل اللبود ؟

وهل تسقي البلادَ عِشارُ مُزْنٍ بدِرّتها ؟ وهل يخضر عود ؟

أما هُدّت لمصرعه نزار ؟ بلى وتقوض المجد المشيد

وحل ضريحَه اذ حل فيه طريفُ المجد والحسب التليد

أما والله ما تنفك عيني عليك بدمعها أبدا تجود

فان تجمُد دموع لئيم قوم فليس لدمع ذي حَسب جمود

أبعد يزيد تختزن البواكى دموعا أو تصان لها خدود ؟
لتبكك قبة الاسلام لما وهت أطنابها وهى العمود
ويبكك شاعر لم يبق دهر له نشبا وقد كسد القصيد
فمن يدعو الامام لكل خطب ينوب وكل معضلة تؤود ؟
ومن يحمى الخميس اذا تعايا بحيلة نفسه البطل النجيد ؟
فان يهلك يزيد فكل حى فريس للمنية أو طريد
ألم تعجب له أن المنايا فتكن به وهن له جنود ؟
قصدن له وهن يحدن عنه اذا ما الحرب شب لها وقود
لقد عزى ربيعة أن يوما عليها مثل يومك لا يعود

ومن قوله فى الفضل بن الربيع

الا انما آل الربيع ربيع وغيث حيا للمرملين مريع
اذا ما بدا آل الربيع رأيتهم لهم درج فوق العباد رفيع

ومن قوله فيه

لعمرك ما الأشراف فى كل بلدة وان عظموا للفضل الا صنائع
ترى عظماء الناس للفضل خشعا اذا ما بدا والفضل لله خاشع
تواضع لما زاده الله رفعة وكل جليل عنده متواضع

وأول شعر عرف به قوله

طاف طيف فى المنام بمحب مستهام
زورة أبقت سقاما وشفت بعض السقام
لم تكن الا فواقا وهى فى ليل التمام

فغنى اسحق الموصلى به الرشيد فسأل عن قائله فقال له صديق لي شاعر ظريف يعرف بالتيمى ، فطلب وأمر بالحضور ، فسأل عن السبب الذى دعى له فعرف ،

فأتم الشعر وجعله قصيدة مدح بها هرون ودخل اليه فأنشده اياها ، فأمر له بثلاثين ألف درهم وصار فى جملة من يدخل اليه بنوبة وأمر بأن يدون شعره

قال اسحق الموصلى دخلت يوما على عمرو بن مسعدة فاذا أبو محمد التيمى واقف بين يديه يستأذنه فى الانشاد، فقال ذاك الى ابى محمد (يعنينى) وكان على التيمى عاتبا، فكره أن يمنعه لعلمه بما بيننا من المودة ، فقلت له أنشده اذ جعل الأمر الي فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضا الى، فتبسم عمرو ،وأنشده التيمي

يا أبا الفضل كيف تغفل عني ام تخلّى عند الشدائد منى
أنسيت الأخاء والعهد والو د حديثا ؟ ما كان ذلك ظنى
أنا من قد بلوت فى سالف الدهـــر مضت شِرّتى ولم تفنَ سني
فاصطنعنى لما ينوب به الدهــر فانى أجوز فى كل فن
انا ليث علي عدوك ، سِلْم لك فى الحرب فابتذلني وصلني
أنا سيف يوم الوَغَى وسِنان ومِجَنّ ان لم تثق بمجن
أنا طَبّ فى الرأى في موضع الرأ ى معين على الخصيم المعنّ
وأمين على الودائع والســـر اذا ما هويت أن تأمنى
ونديم اذا أردت نديمـــا ومغن ان لم يزرك مغن

فأقبل علىّ عمرو وهو يضحك وقال أتعلَّم هذا الغناء منك أم كان يعلمه قديما ؟ فقلت له يكذب أعزك الله ، فقال أفى هـذا وحده أم فى الجميع ؟ فقلت اما فى هذا فأنا أحق كذبه والله أعلم بالباقى ثم أنشد

واذا ما أردت حجا فرحّا له دليل ان نام كل ضِفَنّ

فقال اذا عزمنا على الحج امتحناك فى هذا فانى أراك تصلح له، ثم أنشد

ولبيب على مقال أبى العبـ ـاس انى أرى به مسّ جن

فقال ما أراه أبعد ، ثم قال

وهو الناصح الشفيق ولكن خاف هَيْج الزمان فازورّ عني
وظريف عند المزاح خفيف في الملاهى وفى الصبا مثنى
كيف باعدت أوجفوت صديقا لا ملولا لالا ولا متجن
صرت بعد الاكرام والانس أرضى منك بالترّهات مالم تهنّى
لم تخني ولم أخنك ولا والله ربى لا خنت من لم يخني
ان أكن تبت أوهجرت الملاهى وسلافا يُجنّها بطن دَنّ
فحديثى كالدر فُصل بالياقو ت يجرى فى جيد ظبى أغنّ

ومما أنشد لنفسه

لا تخضعنّ لمخلوق على طمع لأن ذاك مضر منك بالدين
وارغب الى الله مما في خزائنه فانما هو بين الكاف والنون
أما ترى كل من ترجو وتأمُله من الخلائق مسكين ابن مسكين

ومما مدح به محمد الأمين قصيدته التى أولها

لا بد من سكرة على طرب لعل رُوحا يُديل من كرب
فعاطنيها صهباء صافية تضحك من لؤلؤ على ذهب

يقول فيها يمدحه

خليفة الله خير منتخب لخير أم من هاشم وأب
أكرم بفرعين يجريان به الى الامام المنصور فى النسب
خلافة الله قد توارثها آباؤه فى سوالف الكتب
فهى له دونكم مورثة عن خاتم الأنبياء فى الحقب
يابن الذرى من ذوائب الشرف ال أقدم أنتم دعائم العرب

ولما أنشده أياها قال للفضل بن الربيع يحياتى أوقر له زورقه دراهم ، فقال نعم

ياسيدى فلما خرج طالبه التيمى بذلك فقال أمجنون أنت ؟ من أين لنا ما يملا زورقك ثم صالحه على مائة الف درهم

مر التيمى بالحيرة على خمار كان يألفه وقد أسنّ التيمى وأرعش وترك النبيذ فقال له الخمار ويحك أبلغ الامر بك الى ما أرى؟ فقال نعم والله لولا ذلك لاكثرت عندك ثم أنشأ يقول

هل الى سكرة بناحية الحيـــرة يوما قبل الممات سبيل

وأبو التيَّحان فى كفه القر عة والرأس فوقه الاكليل

وعرار كأنه بيدق الشَّطْرَنْـــج يفتنّ فيــه قال وقيل

كتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم انى قد نظرت فى سنى فاذا انا ابن ثلاث وخمسين سنة وأنا وأنت لِدَة عام وان امرأ قد سار الى منهل خمسين سنة لقريب أن يَرِدَه والسلام ، فسمع التيمى هذا فقال

اذا ذهب القرن الذى أنت فيهمُ وخلفت فى قرن فأنت غريب

وان امرأ قد سار خمسين حجة الى منهل من وِرْدِه لقريب

أمر محمد الأمين للتيمى بجائزة عشرة آلاف دينار ثوابا عن بعض مدائحه فاشترى بها ضيعة بالبصرة وقال بعد ابتياعه اياها

انى اشتريت بما وهبت ليه أرضا أمُون بها قرابتيه

فبحسن وجهك حين أسأل قل يابن الربيع احمل اليه مية

فغنى بها الأمين فقال للفضل بحياتى احمل اليه مائة الف ، فدعا به فأعطاه خمسين ألفا وقال له الخمسون الأخر لك علينا اذا اتسعت أيدينا

خرج كوثر خادم محمد الأمين ليرى الحرب فأصابته رجمة فى وجهه فجلس يبكى فوجد محمد لما جاءه به وجعل يمسح الدم عن وجهه وقال

ضربوا قرة عيني ومن اجلي ضربوه
أخذ الله لقلبي من أناس أحرقوه

وأراد زيادة فى الأبيات فلم يواته فقال للفضل بن الربيع من ههنا من الشعراء؟ فقال الساعة رأيت عبد الله بن أيوب التيمى ، فقال عليّ به ، فلما أدخل أنشده محمد هذين البيتين وقال أجزهما فقال

ما لمن أهوى شبيه فبه الدنيا تتيه
وصله حلو ولكن هجره مرّ كريه
من رأى الناس له الفضل عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القا ئمَ بالملك أخوه

فقال محمد أحسنت هذا والله خير مما أردنا ، بحياتى عليك ياعباس الا نظرت فان كان جاء على الظهر ملأت أحمال ظهره دراهم وان كان جاء فى زَوْرق ملأته ، فأوقرت له ثلاثة أبغل دراهم

ولما قتل محمد الأمين خرج التيمى الى المأمون وامتدحه، فلم يأذن له ، فصار الى الفضل بن سهل ولجأ اليه وامتدحه فأوصله الي المأمون ، فلما سلم عليه قال له المأمون ايه ياتيمى

مثل ما قد حسد القا ئمَ بالملك أخوه

فقال التيمى بل أنا الذى أقول يا أمير المؤمنين

نصر المأمون عبـ د الله لما ظلموه
نقضوا العهد الذي كا نوا قديماً أكدوه
لم يعامله أخوه بالذى أوصى أبوه

ثم أنشده قصيدة امتدحه بها أولها

جزعت ابن تيْم أن أتاك مشيب وبان الشباب والشباب حبيب

فلما أنشده اياها وفرغ منها قال قد وهبتك لله عز وجل ولأخي أبي العباس «يعني الفضل بن سهل» وأمرت لك بعشرة آلاف درهم

ناهض بن ثومة

هو ناهض بن ثومة بن نصيح الكلابي من كلاب بن ربيعة بن عامر، شاعر بدوى فارس فصيح من الشعراء فى الدولة العباسية، وكان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة، روى عنه الرياشي وابو سراقة ودماذ وغيرهم من رواة البصرة، وكان يهجوه رجل من بنى الحرث بن كعب يقال له نافع بن أشعر الحارثى فأشرى عليه ناهض، فما قاله فى جواب قصيدة هجا بها قبائل قيس قصيدة ناهض التى اولها

الا يا اسلما يأيهـــا الطَّلَلان ... وهل سالم باقٍ على الحَدَثان ؟
أبينا لنا حُيِّيتما اليوم اننا ... مبينان عن ميل بما تسلان
متى العهد من سلمى التى فَتَّتِ القوي ... وأسماء ان العهد منذ زمان
ولا زال يَنْهَلّ الغمام عليكما ... سبيل الرُّبا من وابل ودِجان[1]
فان أنتما بينتما أو أجبتما ... فلا زلتما بالنبت ترتديان
وجرّ الحرير والفرِنْد[2] عليكما ... بأذيال رَخْصات الأكف هجانِ
نظرت ودونى قِيدُ رمحين نظرة ... بعينين انسانا هما غَرِقان
الى ظُعن بالعاقرين كأنها ... قرائن من دَوْح الكثيب ثمانِ
لسلمى وأسماء البنين أكنّتا ... بقلبى كَنِينَيْ لوعة وضمان
عسى يُعقَب الهجرُ الطويل تدانيا ... ويارب هجر معقَب بتدانِ

---

(١) جمع دجن بالفتح وهو المطر الكثير (٢) ضرب من الثياب

خليليَّ قد أكثرتما اللوم فاربَعا كفانيَ مابي لو تركت كفاني
اذا لم تصل سلمى وأسماء فى الصبا بحبليهما حبلى فمن تصلان؟
ودع ذا ولكن قدعجبت لنافع ومَعْواه من نَجرانَ حيث عوانى
عوى أسدا لا يزدهيه عُواؤه مقيما بلَوْذَى يَذبُلٍ وذِقان (١)
لعمرى لقد قال ابن أشعر نافعٌ مقالة موطوء الحريم مُهان
أيزعم ان العامرى لفعله بعاقبة يرمَى به الرَّجَوان (٢)
ويذكر ان لاقاه زلة نعله فجئ بالذى لم يستبن ببيان
كذبت ولكن يا ابن عُلْبة جعفر فدع ما تمَنَّى زلت القدمان
أُصيب فلم يُعْقَل وطُلَّ فلم يُقَد فذاك الذى يَخْزَى به الأبوان
وحق لمن كان ابن أشعر ثائرا به الطَّلّ حتى يحشر الثقلان
ذليل ذليل الرهط أعمى يسومه بنو عامر ضيما بكل مكان
فلم يبق الا قوله بلسانه وما ضر قول كاذب بلسان
هجا نافع كعبا ليدرك وِتْره ولم يَهْجُ كعب نافعا لأوان
ولم تعفُ من آثار كعب بوجهه قوارع منها وُضَّح وقوان
وقد خضبوا وجه ابن عُلْبة جعفر خضاب نَجيع لا خضاب دهان
فلم يهج كعبا نافع بعد ضربة بسيف ولم يطعُمهُم بسنان
فمالك مهجىً يا ابن أشعر فاكتعم على حجر واصبر لكل هوان
اذا المرء لم ينهض فيثأرْ بعمه فليس يُجلِّى العار بالهذيان
أبى قيس عَيْلان وعمي خِنْدِف ذوالبَذْخ عند الفخر والخَطَران
اذا ما تجمعنا وسارت وراءنا ربيعة لم يُعْدَل بنا أخوان
أليس نبي الله منا محمد وحمزة والعباس والعُمَران

(١) اللوذ جانب الجبل ويذبل وذقان جبلان (٢) في المثل لا يرمى به الرجوان لمن لا يخدع فيزال عن وجه الى وجه وأصله الدلو يرمي بها رجوا البئر

ومنا ابن عباس ومنا ابن عمه ... عليّ امام الحق والحسنان
وعثمان والصديق منا واننا ... لنعلم أن الحق ما يعدان
ومنا بنو العباس فضلا فمن لكم ... هلمّوه أو لا ينطقن يمان

فأنشد ناهض هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة وعنده خال له من الأنصار فلما ختمها بهذا البيت قال الأنصاري أخرسنا أخرسه الله

وكان جده نصيح شاعرا وهو الذى يقول

ألا من لقلب فى الحجاز قسيمه ... ومنه بأكناف الحجاز قسيم
معاود شكوى أن نأت أم سالم ... كما يشتكى جُنْحَ الظلام سليم
سليم لصلّ (١) أسلمته لما به ... رُقًى قل عنه دفعها وتميم
فلم ترِم الدار البُرَيصاء (٢) فالصفا ... صفاها نخلاها فأين تريم
وقفت عليها نازلا ناهجية ... اذا لم أردها بالزمام تعوم
كِنازا من اللاتى كأن عظامها ... جُبِرن على كسر فهن عُثوم (٣)

كان رجل من بني كعب قد تزوج امرأة من بنى كلاب فنزل فيهم، ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجل من زوجته فطلقها، وأقام بموضعه فى بنى كلاب، وكانوا لا يزالون يستخفون به ويظلمونه، وان رجلا منهم أورد ابله الماء فوردت ابل الكعبي عليها فزاحمته فألقته على ظهره فتكشف فقام مغضبا بسيفه الي ابل الكعبي فعقر منها عدة وحلأها عن الحوض، ومضى الكعبي مستصرخا بنى كلاب على الرجل، فلم يُصرخوه، فساق باقى ابله واحتمل بأهله حتي رجع الي عشيرته فشكا ما لقى من القوم واستصرخهم، فغضبوا له وركبوا معه حتى أتوا حِلّة بني كلاب فاستاقوا ابل الرجل الذى عقر لصاحبهم، ومضى الرجل فجمع عشيرته وتداعت هى وكعب للقتال

---

(١) الصل الحية لا تنفع معها الرقية (٢) حية برصاء فى جلدها لمع بياض ويقال صل صفا اذا كانت منكرة (٣) عثم العظم المكسور عثما انجبر على غير استواء وناقة كناز كثيرة اللحم صلبة

فتحاربوا فى ذلك حربا شديدة وتمادى الشر بينهم حتى تساعي حلماؤهم فى القضية فأصلحوها على أن يعقل القتلى والجرحى ويرد الابل وترسل من العاقر عدة الابل التى عقرها للكلبي، فترادوا بذلك واصطلحوا وعادوا الى الالفة فقال فى ذلك ناهض

أمن طَلَل بأَخْطَب أَبَدَّته نجاه[1] الوبل والديم النصّاح
ومر الدهر يوم بعد يوم فما أبقى المساء ولا الصباح
فكل محلة عنيت لسلمى لرَيْدان[2] الرياح بها نواح
تطل على الجفون الحزن حتى دموع العين ناكرة تراح

وهى طويلة يقول فيها

هنيئاً للعدى سَخَط ورَغْم وللفرعين بينهما اصطلاح
وللعين الرُّقاد فقد أطالت مساهرة وللقلب انتجاح
وقد قال العداة نرى كلابا وكعبا بين صلحهما افتتاح
تداعَوْا للسلام وأمر نُجْح وخير الأمر ما فيه النجاح
ومدوا بينهم بحبال مجد وثدى لا أحذّ ولا ضباح
ألم تر أن جمع القوم يخشى وان حريم واحدهم مباح
وان القِدْح حين يكون فردا فيهصر لا يكون له اقتراح
وانك ان قبضت بها جميعا أبت ما سُمتَ واحدها القداح
كذاك تفرق الاخوان مما يُذلهمُ وفي الذل افتضاح
انا الخطّار دون بني كِلاب وكعب ان أُنيح لهم مُتاح
انا الحامى لهم ولكل قَرْم أخٌ حامٍ اذا جد النِّطاح
انا الليث الذى لا يزدهيه عُواء العاويات ولا النُّباح

---

(١) النجاء الاسراع ونصح الغيث البلد سقاه حتى اتصل نبته فلم يكن فيه فضاء وأخطب جبل بنجد (٢) الريدانة الريح اللينة

سل الشعراء عني هل أقرت بقلبي أو عفت لهم الجراح

فما لكواهل الشعراء بُدّ من العَتْب الذى فيه لحاح

ومن توريك راكبة عليهم وان كرهوا الركوب وان ألاحوا

حدثت وقعة بين بنى نمير وبنى كلاب بنواحى ديار مُضَر وكانت لكلاب على بني نُمَير ، وان نميرا استغاثت ببنى تميم ولجأت الى مالك بن زيد سيد تميم يومئذ بديار مُضَر ، فمنع تميما من انجادهم وقال ما كنا لنلقى بين قيس وخِنْدِف دماء نحن عنها أغنياء وأنتم وهم لنا أهل واخوة فان سعيتم فى صلاح عاونّا وان كانت حمالة أعنّا فأما الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها ، فقال ناهض في ذلك

سلام الله يامال بن زيد عليكِ وخير ماأهدى السلاما

تعلم أننا لكمُ صديق فلا تستعجلوا فينا الملاما

ولكنا وحىُّ بني تميم عداة لانرى أبداً سلاما

وإن كنا تكافقنا قليلا كحرف السيف ينهار انهداما

وهَيْض العظم يُصبح ذا انصداع وقد ظن الجهول به التئاما

فلن ننسى الشباب المرد منا ولا الشيب الجحاجح والكراما

ونوحَ نوائح منا ومنهم مآتم ماتجفّ لهم سِجاما

فكيف يكون صلح بعد هذا يرجى الجاهلون لهم تماما

ألا قل للقبائل من تميم وخُصَّ لمالك فيها الكلاما

فزيدوا يابنى زيد نميرا هوانا انه يُدنى العظاما

ولاتبقوا على الأعداء شيئاً أعز الله نصركمُ وداما

وجدت المجد فى حَيَّى تميم ورهط الهِدْلق[1] الموفى الذماما

نجوم القوم مازالوا هُداة ومازالوا لآبيهم زِماما

(١) يريد الهدلق بن بشير أخا بنى عتيبة بن الحرث بن شهاب وابنيه علقمة وصباحا

هم الرأس المقدم من تميم   وغاربها وأوفاها سَناما

إذا ماغاب نجم آب نجم   أغرّ ترى لطلعته ابتساما

فهذى لابن ثومة فانسبوها   اليه لا اختفاء ولا اكتتاما

وان رَغِمت لذاك بنو نمير   فلا زالت أنوفهم رغاما

وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تصب كلابا ولا نميرا فلما ظفرت كلاب قال لهم ناهض

الأهل أتى كعبا على نأى دارهم   وخذ لانهم أنا مررنا بنى كعب

بما لقيت منا نُمير وجمعهم   غداة أتينا فى كتائبنا القُلْب

فيالك يوما بالحمى لاترى له   شبيها ومافى يوم شيبان من عتب

أقامت نمير بالحمى غير رغبة   فكان الذى نالت نمير من النهب

رؤس وأوصال يُزايِل بينها   سباع تدلت من أبانَيْن والهضب

لنا وَقَعات فى نمير تتابعت   بضيم على ضيم ونَكْب على نكب

وقد علمت قيس بن عيلان كلها   وللحرب أنباء بأنا بنو الحرب

ألم ترهم طرا علينا تحزبوا   وليس لنا الا الردَينىّ من حزب

وانا لنقتاد الجياد على الوَجَى   لأعدائنا من لامُدان ولاصقْب

ففى أى فج ماركزنا رماحنا   مخوف بنصب للعدا حين لانَصَب

كان شاعر من بنى نمير يقال له رأس الكبش قد هاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير زمانا وتناقضا الشعر بينهما مدة ، فلما وقعت الحرب بين بني كلاب ونمير قال عمارة يحرض كعبا وكلابا ابنى ربيعة على نمير فى هذه الحرب التى كانت بينهم فقال :

رأيتكما يا ابنى ربيعة خرتما   لعض الحروب والعديد كثير

وصدقتما قول الفرزدق فيكما   وكذبتما بالأمس قول جرير

فان أننا لم تقدعا الخيل بالقنا فسيروا مع الأنباط حيث تسير

تسومكما بغيا نمير هضيمة ستنجد أخبار بها وتغور

فارتحلت كلاب حين أتاها هذا الشعر حتى أتوا نميراً وهم فى هضبات يقال لهن واردات وفضحوا نميراً ثم انصرفوا فقال ناهض يجيب عمارة عن قوله

يحضضنا عمارة فى نمير ليشغلهم بنا وبه أرابوا (١)

ويزعم أننا خرنا وأنا لهم جار بعقربة أصابوا

سلوا عنا نميرا هل وقعنا بثروتها التى كانت تهاب

ألم نخضع لهم أسد ودانت لهم سعد وضبّة والرِّباب

ونحن نكرُّها شعْثا عليهم عليها الشيب منا والشباب

رغبنا عن دماء بنى قُريع الي القلعين انهما اللباب

صبحناهم بأرْعَن مكفهر يدف كأن رايته العُقاب

أجش من الصواهل ذى دِويّ تلوح البيض فيه والحراب

فأشعل حين حل بواردات وثار لنقعه ثمّ انصباب

صبحناهم بها شعْث النواصي ولم يُفْتق من الصبح الحجاب

فلم نغمد سيوف الهند حتى تعيّلت الحليلة والكِعاب

نويب اليمامى

هو عبد الملك بن عبد العزيز السلولى من أهل اليمامة ، ونويب لقب له ، أحد الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبني أبى حفصة وذويهم ، ولم يفد الى خليفة ولا وُجد له مديح فى الأكابر والرؤساء فأخمَل ذلك ذكره ، وكان شاعرا فصيحا نشأ باليمامة وتوفى بها

---

(١) أرابه أقلقة وأزعجه

كان نويب يهوى امرأة من أهـل اليمامة يقال لها سعدى بنت أزهر وكان يقول فيها الشعر ، فبلغها شعره وراء وراء ، فمر بها يوما وهى مع أتراب لها فقلن هذا صاحبك ، وكان دميما ، فقامت اليه وقمن معها فضربنه وخرقن ثيابه فاستعدى عليهن فلم يُعْدِه الوالى فأنشأ يقول

ان الغوانى جرحن فى جسدى — من بعدما قد فرغن من كبدى
وقـد شققْن الرداء ثمت لم — يُعْدِ عليهن صاحب البـلد
لم يُعْدِنِى الأحول المشوم وقد — أبصر ماقد صنعْن في جسدى

فلما جرى له هذا بينه وبينها عقد لها فى قلبه رقة ، وكانت تتعرض له اذا مر بها ، واجتاز يوما بفنائها فلم تتوارَ عنه وأرَتْه أنها لم تره ، فلماوقف مليا سترت وجهها بخمارها فقال نويب

ألا أيها السارى الذى ليس نائما — على تِرَةٍ ان مت فى حبها غدا
خذوا بدمى سُعْدَى فسعدى منيتها — غداة النَّقا صادت فؤادا مقُصَدا
بآيةِ ما ردت غداة لقيتها — على طَرْف عينيها الرداء الموردا

ولقيها راحلة نحو مكة حاجة فأخذ بخطام بعيرها وقال

قل للتى بكرت تريد رحيلا — للحج اذ وجدت اليه سبيلا
ما تصنعين بحجة أو عمرة — لا تقُبلان وقد قتلت قتيلا
أَحْيِي قتيلك ثم حُجِّي وانسِكى — فيكون حجك طاهرا مقبولا

فقالت له أرسل الخطام خيبك الله وقبحك ، فأرسله وسارت

ثم تزوجت سعدى فحجبت عنه فقال

الا فى سبيل الله نفس تقسمت — شَعاعا وقلب للحسان صدوق
أفاقت قلوب كن عُذِّبن فى الهوى — زمانا وقلبى ما أراه يُفيق
سرقت فؤادي ثم لا تَرْجعينه — وبعض الغوانى للقلوب سروق

عروف الهوى بالوعد حتى اذا جرت ... ببينك غربان لهن نعيق
رددت جمال الحي وانشقت العصا ... وآذن بالبين المشتّ صدوق
ندمتِ على ألاَّ تكونى جزيتني ... زعمتِ وكل الغانيات مَذوق
لعلك ان تنأىْ جميعا بغلّة ... تذوقين من حر الهوى وأذوق
عصيت بك الناهين حتى لوآنني ... أموت لما أرعى على شفيق

ومن مختار قوله فى سعدى قصيدة أولها

سنُرضى فى سُعيْدَى عاذلِينا ... بعاقبة وان كرمت علينا

يقول فيها

لقيت سعيد تمشى فى جوارٍ ... بجرعاء النقا فلقيت حينا
سلبن القلب ثم مضيْن عني ... وقد ناديتهن فما لوَيْنا
فقلت وقد بقيت بغير قلب ... بقلبى ياسعيدى أين أينا ؟
فما تجزين ياسعدى محبا ... يَهيم بكم ولا تقضين دينا
فقالوا اذ شكوت المطل منها ... لعمرك من سمعتَ به قضينا ؟
ومن هذا الذى ان جاء يشكو ... الينا الحب من سقَم شفينا ؟
فهن فواعل بى غير شك ... كما قبلى فعلن بصاحبينا
بعروة والذى بسهام هند ... أصيب فما أقدْن ولا وَدَينا

ومن مختار قوله فيها

سل الأطلال ان تقع السؤال ... وان لم يَرْبَع الركب العجال
عن الخوْد التى قتلتك ظلما ... وليس بها اذا بطَشت قتال
أصابك مقلتان لها وجيد ... وأشنبُ بارد عذب زلال
أعارك ماتبلت به فؤادى ... من العينين والجيد الغزالُ
أيا ثارات من قتلته سعدى ... دمى لاتطلبوه لها حلال

أرقّ لها وأشفق بعد قتلى | على سعدى وان قل النوال
وما جادت لنا يوما ببذل | يمين من سعاد ولاشمال

ومن قوله فيها

يابنت أزهر ان ثأرى طالب | بدمى غدا والثار أجهد طالب
فاذا سمعت براكب متعصب | يبغى قتيلك فافزعى للراكب
فلأنت من بين الأنام رميتنى | عن قوس متلفة بسهم صائب
لاتأمنى شُمّ الأنوف رميتهم | وتركت صاحبهم كأمس الذاهب
من كان أصبح غالبا لهوى التى | يهوى فان هواك أصبح غالبى
قالت وأسبلت الدموع لتربها | لما اعتررت وأومأت بالحاجب
قولى له بالله يطلق رحله | حتى يزوّد أو يروح بصاحب

وقال فيها أيضاً

أرّق العين من الشوق السهر | وصبا القلب الى أم عمر
واعترتني فكرة من حبها | ويح هذا القلب من طول الفكر
قدر سيق فمن يملكه ! | أين من يملك أسباب القدر؟
كل شيء نالنى من حبها | إن نجت نفسى من الموت هدَر

وقال

يالَلرجال لقلبك المتطرف | والعين ان ترقا بجد تذرف
ولحاجة يوم العبير تعرضت | كبرت فرد رسولها لم يُسْعف
يابنت أزهر ما أراك مثيبتى | خيراً على ودى لكم وتلطفى
أنى وان خبرت أن حياتنا | فى طرْف عينك هكذا لم تطرفى
ليَظَلّ قلبى من مخافة بينكم | مثل الجناح معلقا فى نفْنَف
وأظلّ في مجرى الأحبة طالبا | لرضاك مما جار إن لم تسعفى

كأخي الفلاة يغرُّه من مائها قطع السَّراب جرى بقاع صفْصف
أهراق نطفته(١) فلما جاءها وجد المنية عندها لم تخلف

وقال

ما تزال الديار في برقة النجـ ـد لسعدى بقَرْقَرى تبكيني
قد تحيلت كي أرى وجه سعدى فاذا كل حيـلة تُعْيِيني
قلت لما وقفت في سُدَّة البا ب لسعدى مقالة المسكين
افعلي بي يا ربة الخِدْر خيرا ومن الماء شربة فاسقيني
قالت الماء في الرَّكيِّ كثير قلت ماء الركى لا يكفيني
طرحت دوني الستور وقالت كل يوم بعـلة تأتيني

حماد عجرد

هو حماد بن يحيى بن عمرو مولى عامر بن صعصعة يكني أبا عَمْرٍ، أصله ومنشؤه الكوفة وكان يَبرى النبل، وعجرد لقب له ومعناه العريان لقب به لأن أعرابيا مر به في يوم شديد البرد وهو يلعب مع الصبيان فقال له تعجردت ياغلام، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية الا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العباس

وكان خليعاً ماجنا متهماً في دينه مرميا بالزندقة، وكان هو وحماد الراوية وحماد الزبرقان يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة وكانوا كأنهم نفس واحدة يرمون بالزندقة جميعاً وأشهرهم بها حماد عجرد

وكان السبب في مهاجاة حماد وبشار أن حمادا كان نديمـا لنافع بن عقبة فسأله بشار تنجيز حاجة له من نافع فأبطأ عنها فقال بشار فيه

(١) النطفة الماء القليل

مواعيد حماد سماء مخيلة ... تكشف عن رعد ولكن ستبرق
اذا جئته يوما أحال على غد ... كما وعد الكمون ماليس يصدق
وفى نافع عنى جفاء وانني ... لأطرق أحيانا وذو اللب يطرق
وللنقدى قوم فلو كنت منهم ... دعيت ولكن دونى الباب مغلق
وما زلت استأنيك حتى حسرتنى ... بوعد كجارى الآل يخفى ويخفق

فغضب حماد وأنشد نافعا الشعر فمنع بشارا فقال بشار

أبا عمر ما فى طلابيك حاجة ... ولا فى الذى منيتنا ثم أضجرا
وعدت فلم تصدق وقلت غدا غدا ... كما وعد الكمون شربا مؤخرا

فكان ذلك سبب التهاجى بين بشار وحماد ، وكان بشار يرمى حمادا بالزندقة وفى ذلك يقول

ابن نهبى رأس على ثقيل ... واحتمال الرؤوس خطب جليل
ادع غيرى الى عبادة الاثنـ ... ـين فانى بواحد مشغول
يا ابن نهبى برئت منك الى الله ... جهارا وذاك منى قليل

فأشاع حماد هذه الأبيات لبشار وجعل فيها مكان « فانى بواحد مشغول » « فانى عن واحد مشغول » ليصحح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى ، فما زالت الأبيات تدور فى الناس حتى انتهت الى بشار فاضطرب منها وجزع وقال أشاط ابن الفاعلة بدمى والله ما قلت الا « فانى بواحد مشغول » فغيرها حتى شهرت فى الناس

كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد و بشار على اتفاق منهما ورضا بأن ينقل الى كل واحد منهما عنه الشعر فدخل يوما الى بشار فقال له ايه يافلان ماقال ابن الفاعلة ؟ فأنشده

إن تاه بشار عليكم فقد ... أمكنت بشارا من التيه

فقال بشار بأى شىء ويحك ؟ فقال

وذاك إذ سميته باسمه ولم يكن حرا نسميه

قال سَخِنَت عينه فبأى شيء كنت أعرف ؟ ايه ، فقال

فصار انسانا بذكرى له مايبتغى من بعد ذكريه ؟

فقال ما صنع شيئاً ، ايه ويحك ، فقال

لم أهجُ بشارا ولكنني هجوت نفسى بهجائيه

فقال على هذا المعنى دار وحوله حام وتمام الأبيات

لم آت شيئا قط فيما مضى ولست فيما عشت آتيه

أسوأ لي فى الناس أحدوثة من خطأ أخطأته فيه

فأصبح اليوم لسبّى له أعظم شأنا من مواليه

وقال بشار لراوية حماد ماهجانى به اليوم حماد ؟ فأنشده

ألا من مبلغ عني الـــذى والده برد

فقال صدق ابن الفاعلة فما يكون ؟ فقال

إذا ما نسب الناس فلا قبل ولا بعد

فقال كذب أين هذه العرَصات من عقيل ؟ فما يكون ؟ فقال

وأعمى قلطبان(١) ما على قاذفه حد

فقال كذب بل عليه ثمانون جلدة ، هيه ، فقال

وأعمى يشبه القرد اذا ما عمى القرد

فقال والله ما أخطأ حين شبهنى بقرد ، حسبك حسبك ، ثم صفق بيديه وقال ما حيلتى ؟ يرانى فيشبهنى ولا أراه فأشبهه ، وتمام الابيات

دنىّ لم يرح يوما الى مجد ولم يَغْدُ

ولم يحضر مع الحضا رفى خير ولم يبد

(١) القلطبان الذى لا يغار

ولم يخشَ له ذم ولم يرج له حمد

جرى بالنحس مذ كان ولم يجر له سعد

هو الكاب اذا مات فلم يوجد له فقد

قال محمد بن النطاح كنت شديد الحب لشعر حماد عجرد فأنشدت يوما أخي بكر بن النطاح قوله

أسأت في ودى لمن أسانا اساءة لم تبق احسانا

قرعت سني ندما سادما لو كان يغني ندمي الآ نا

ياضيعة الشعر ويا سوْءتا لى ولأزمانىَ أزمانا

من بعد شتمى القردلا والذى أنزل توراة وقرآنا

ما أحد من بعد شتمي له أنذل منى كان من كانا

فقال لى لمن هذا الشعر ؟ فقلت لحماد عجرد ، فأنشأ يتمثل بقول الشاعر

ما يضر البحرَ أمسى زاخرا أن رمى فيه غلام بحجر

ثم قال يا أخي ابش هذا الشعر ؟ فنسيانه أزين بك والحر من كان أستر على قائله ، وقال على بن مهدى أجمع علماء البصرة أنه ليس فى هجاء حماد عجرد لبشار الا أربعون بيتا معدودة ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد ، وكل واحد منهما هو الذى هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه وكانا يجتمعان عليها فسقط حماد وهُتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه وبقى بشار على حاله لم يسقط عرف مذهبه فى الزندقة فقتل به

ومن أغلظ ما هجا به حماد بشارا

نهاره أخبث من ليله ويومه أخبث من أمسه

وليس بالمقلع عن غيه حتى يوارى فى ثرى رمسه

كان حماد صديقاً ليحيى بن زياد فأظهر تورعا وقراءة ونزوعا عما كان فيه

وهجر حمادا وأشباهه فكان اذا ذكر عنده ثلبه وذكر تهتكه ومجونه، فبلغ ذلك حمادا فكتب اليه

هل تذكرنْ دلَجي اليـ ـك على المضمَّرة القِلاص
أيام تعطيني وتأ خذ من أباريق الرَّصاص
ان كان نسكك لا يتم بغير شتمي وانتقاصي
أو كنت لست بغير ذا ك تنال منزلة الخلاص
فمليك فاشتمْ آمنا كل الأمان من القصاص
واقعد وقم بي ما بدا لك في الأداني والأقاصي
فلطالما زكيتني وأنا المقيم على المعاصي
أيام أنت اذا ذكر ت مناضل عني مناص
وأنا وأنت على ارتكا ب الموبقات من الحِراص
وبنا مواطن ما بنا في البر آهلة العراص

فاتصل هذا الشعر بيحيى بن زياد فنسب حمادا الى الزندقة ورماه بالخروج عن الاسلام فقال حماد فيه

لا مؤمن يعرف ايمانه وليس يحيى بالفتى الكافر
منافقٌ ظاهره ناسك مخالف الباطن للظاهر

كان حماد صديقاً لحريث بن أبي الصلت الثقفي وكان يعيبه بالبخل وفيه يقول

حريث أبو الفضل ذو خبرة بما يصلح المعد الفاسدة
تخوف تخمة أضيافه فعودهم أكلة واحدة

ومن قوله يرثي الأسود بن خلف وفيه غناء

قلت لحنّانة دَلوح تسحُّ من وابل سفوح
جادت علينا لها رباب بواكف هاطل نصوح

أمي الضريح الذي أسمى ... ثم استهلي على الضريح
على صدى أسود الموارى ... في اللحد والترب والصفيح
فاسقيه ريا وأوطنيه ... ثم اغتدى نحوه وروحي
اغدى بسقياه فاصبحيه ... ثم اغبقيه مع الكسوح
ليس من العدل أن تشحى ... على امرىء ليس بالشحيح

ومن قوله

الا قل لعبد الله انك واحد ... ومثلك في هذا الزمان كثير
قطعت اخائي ظالما وهجرتني ... وليس أخي من في الاخاء يجور
أديم لأهل الود ودى وانني ... لمن رام هجرى ظالما لهجور
ولو أن بعضى رابني لقطعته ... وانى بقطع الرائبين جدير
فلا تحسبن منحى لك الود خالصا ... لعز ولا أنى اليك فقير
ودونك حظى منك لست أريده ... طوال الليالى ما أقام ثَبير

نزل حماد على محمد بن طلحة فأبطأ عليه بالطعام فاشتد جوعه فقال فيه حماد

زرت امرأ في بيته مرة ... له حياء وله خيرُ
يكره أن يتخم أضيافه ... ان أذى التخمة محذور
ويشتهى ان يؤجروا عنده ... بالصوم والصالح مأجور

كان حماد صديقا لحفص بن أبي بردة ، وكان حفص أعمش أفطس أعضب مقبح الوجه، فاجتمعوا يوما على شراب وجعلوا يتناشدون ويتحدثون، فأخذ حفص يطعُن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه فقال له حماد

لقد كان في عينيك ياحفص شاغل ... وأنف كمثل العود عما تتبع
تتبع لحنا في كلام مرقش ... ووجهك مبنى على اللحن أجمع
فأذناك اقواء وأنفك مكفأ ... وعيناك ايطاء فأنت المرقع

مرض حماد فلم يعده مطيع بن اياس فكتب اليه

كفاك عيادتى من كان يرجو ثواب الله فى صلة المريض
فان تحدث لك الأيام سقما يحول جريضه دون القريض
يكن طول التأوه منك عندى بمنزلة الطنين من البعوض

ومن قوله وفيه غناء

إنى أحبك فاعلمى إن لم تكونى تعلمينا
حبا أقل قليله كجميع حب العالمينا

ومن قوله فى عيسى بن عمر وكان صديقا لحماد وكان يواصله أيام خدمته للربيع فلما طرده الربيع واختلت حاله جفاه عيسى، وانما كان يصله لحوائج يسألها له الربيع فقال فيه حماد

كم من أخ لك لست تنكره مادمت من دنياك فى يسر
متصنع لك فى مودته يلقاك بالترحيب والبشر
يطرى الوفاء وذا الوفاء ويلـ حى الغدر مجتهداً وذا الغدر
فاذا عدا والدهر ذو غير دهر عليك عدا مع الدهر
فارفض باجمال مودة من يقلى المقل ويعشق المثرى
وعليك من حالاه واحدة في العسر اما كنت واليسر
لاتخلطنهم بغيرهم من يخلط العقيان بالصفر

وأنشد بشار قول حماد عجرد

أخي كف عن لومى فانك لاتدرى بما فعل الحب المبرح فى صدرى
أخى أنت تلحانى وقلبك فارغ وقلبى مشغول الجوانح بالفكر
دوائى ودائى عند من لو رأيته يقلب عينيه لأقصرت عن زجرى
فأقسم لو أصبحت فى لوعة الهوى لأقصرت عن لومى وأطنبت فى عذرى

ولكن بلائي منك انك ناصح وانك لاتدرى بأنك لاتدري

فطرب بشار ثم قال ويلكم أحسن والله، من هذا ؟ قلوا حماد عجرد، قل أوه وكلتموني والله بقية يومي بهم طويل والله لا أطعم بقية يومي طعاما ولاصوم غما بما يقول النبطي مثل هذا

قصد حماد يحيى بن زياد وهو على الأهواز وقال فيه

فمن كان يسأل أين الفعال فعندي شفاء لذا الباحث
محل الندى وفعال النهى وبيت العلا في بني الحارث
فلا تعدلن إلى غيره لعاجل أمر ولا رائث
فان لديه بلا منة عطاء المرحل والماكث

وقال فيه أيضاً

يحيى امرؤ زينه ربه بفعله الأقدم والأحدث
إن قال لم يكذب وإن ودلم يقطع وان عاهد لم ينكث
أصبح في أخلاقه كلها موكلا بالأسهل الأدمث
طبيعة منه عليها جرى في خلق ليس بمستحدث
ورثه ذاك أبوه فيا طيب ثناء الوارث والمورث

فوصله يحيى بصلة سنية وحمله وكساه وأقام عنده مدة ثم انصرف

قال محمد بن الفضل السلولي لقيت حماد عجرد بواسط وهو يمشي وأنا راكب فقلت له انطلق بنا الى المنزل فاني الساعة فارغ لنتحدث وحبست عليه الدابة، فقطع شغل عرض لي لم أقدر على تركه فمضيت وأنسيته، فلما بلغت المنزل خفت شره فكتبت اليه

ابا عمرا غفرها هديت فانني قد اذنبت ذنبا مخطئا غير عامد
فلا تجدن فيه على فانني اقر باجرامي ولست بعائد

وهبه لنا تَفديك نفسى فاننى ... أرى نعمة أن كنت لست بواجد
وعد منك بالفضل الذى أنت أهله ... فانك ذو فضل طريف وتالد

فأجابنى عن الأبيات

محمد يابا الفضل ياذا المحامد ... ويا بهجة النادي وزين المشاهد
وحقك ما أذنبت منذ عرفتنى ... على خطأ يوما ولا عمد عامد
ولو كان ما ألفيتنى متسرعا ... اليك به يوما تسرع واجد [1]
ولو كان ذو فضل يسمى لفضله ... بغير اسمه سميت أم القلائد

فبينا رقعته فى يدي أنا أقرؤها اذ جاءنى رسوله برقعة فيها

قد غفرنا الذنب يابن الـ ... ـفضل والذنب عظيم
ومسىء أنت يابن الـ ... ـفضل فى ذاك مُليم
حين تخشانى على الذنـ ... ـب كما يخشى اللئيم
ليس لى ان كان ما خفـ ... ـت من الأمر حريم
انا والله ولا أفـ ... ـخر للغيظ كظوم
ولأصحـ ... ـابى ولا ريـ ... ـبة برّ ورحيم
وبما يرضيهمُ عـ ... ـني ويرضينى عليم

كان لحماد اخوان ينادمونه فانقطع عنه الشراب فقاطعوه فقال لبعضهم

لست بغضبان ولكنني ... أعرف شأنك ياصاح
ألأن فقدت الخمر جانبتنى ... ما كان حبيك على الراح
قد كنت من قبل وأنت الذى ... يَعنيك امسائى واصباحى
وما أرى فعلك الا وقد ... أفسدنى من بعد اصلاحى
انت من الناس وان عبتهم ... دونكها منى بافصاح

(١) أى لو كان لك ذنب ما صادفتنى مسرعا اليك بالمكافأة

اجتمع سهم بن عبد الحميد وجماعة من وجوه أهل البصرة عند يحيى بن حميد الطويل ومعهم حماد وهو يومئذ هارب من محمد بن سليمان ونازل على عقبة بن مسلم وقد أمن ، وحضر الغداء فقيل سهم بن عبد الحميد يصلى الضحى ، فانتظر وأطال سهم الصلاة فقال حماد

الا أيهذا القانت المتهجد ... صلاتك للرحمن أم لي تسجد

أما والذى نادى من الطور عبده ... لمَنْ غير ما برّ تقوم وتقعد

فهلا اتقيت الله اذ كنت واليا ... بصنْعاء تبرى من وليت وتجرُد

ويشهد لي أنى بذلك صادق ... حريث ويحيى لي بذلك يشهد

وعند أبى صفوان فيك شهادة ... وبكر وبكر مسلم متهجد

فان قلت زدنى فى الشهود فانه ... سيشهد لى أيضا بذاك محمد

فلما سمعها قطع الصلاة وجاء مبادرا فقال له قبحك الله يازنديق فعلت بى هذا كله لشرهك فى تقديم أكل وتأخيره ، هاتوا طعامكم فأطعموه لا أطعمه الله تعالى

كان حماد صديقا لأبى خالد الأحول فأراد الخروج الى واسط وأراد وداع أبى خالد ، فلما جاءه حجبه وقال له هو مشغول فى هذا الوقت فكتب اليه

عليك السلام أبا خالد ... وما للوداع ذكرت السلاما

ولكن تحية مستطرب ... يحبك حب الغوىّ المداما

فان كنت مكتفيا بالكتا ... ب دون اللمام تركت اللماما

أردت الشخوص الى واسط ... ولست أطيل هناك المقاما

والا فأوص هداك المليـ ... ـك بوابكم بى وأوص الغلاما

فان لم أكن منك أهلا لذاك ... فلا لوم لست أحب السلاما

لأبى أذم اليك اللئام ... أخزاهم الله طرا أثاما

فانى وجدتهمُ كلهم ... يميتون حمدا ويحيون ذاما

سوى عصبة لست أعنيهمُ كرام فانى أحب الكراما
وأقل عديدهمُ ان عددت فما أكثر الأرذلينا اللئاما

حضر حماد ومطيع بن اياس مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة فتمازحا فقال حماد

يامطيع يامطيع أنت انسان رقيع
وعن الخير بطيء والى الشر سريع

فهجاه مطيع ، فقال له حماد والله لولا كراهتى أتمادى الشر ولجاج الهجاء لقلت لك قولا يبقى ولكن لا أفسد مودتك ولا أكافئك الا بالمديح ثم قال

كل شيء لى فداء لمطيع بن اياس
رجل مستملح فى كل لين وشماس
عِدْل روحى بين جنبيّ وعينيّ براسى
غرس الله له فى كبدى احلى غراس
لست دهرى لمطيع بن اياس ذا تناس
ذاك انسان له فضل على كل أناس
فاذا ما الكاس دارت واحتساها من أحاسى
كان ذكرانا مطيعا عندها ريحان كاسى

لما ولى عيسى بن عمرو امارة البصرة من قبل محمد بن أبى العباس لما خرج عنها عليلا قال له حماد عجرد

قل لعيسى الأمير عيسى بن عمرو ذى المساعى العظام فى قحطان
والبناء العالى الذى طال حتى قصرت دونه يدا كل بان
يا ابن عمرو عمرو المكارم والتقوي وعمرو الندى وعمرو الطعان
لك جار بالمصر لم يجعل الله له منك حرمة الجيران

لا يصلى ولا يصوم ولا يقـــرأ حـرفا من محـكم القرآن
طهر المصر منــــه يأيها المو لى المسمى بالعـدل والإحسان
وتقرب بذاك فيه إلى اللــــه تفز منه فوز أهـــل الجنان
يا ابن برد اخسأ اليك فمثل الكلـــب فى الناس أنت لا الإنسان
ولعمرى لأنت شر من الكلـــب وأولى منه بكل هوان

مر حماد بقصر سيرين فاستظل من الحربين سدرتين كانتا بازاء القصر وسمع إنسانا يغنى فى شعر مطيع بن اياس « أسعدانى يانخلتى حلوان » فقال

جعل الله سدرتى قصر سيرين فـداء لنخلتى حـلوان
جئت مستسعدا فلم يسعدانى ومطيع بكت له النخلتان

وعد محمد بن أبى العباس حمادا أن يحمله على بغل ثم تشاغل عنه فكتب اليه حماد

طلبت البذل ممن خـــلقت كفاه للبـذل
ومن ينفى عن المحـــل بالجود أذى المحَل
ألا يا ابن أبى العبا س ياذا النائل الجزْل
أما تذكر يامولا ى ميمادك فى البغـل
وذاك الرجس فى الدار جليس لأبى سهل
يريك الحزم فى الاخلا ف للميـــعاد والمطل

كان عثمان بن شيبة مبخلا وكان حماد يهجوه ، فجاء رجـل كان يقول الشعر الى حماد فقال له

أغنى من غناك ببيت شعر على فقرى لعثمان بن شيبة

فقال

فانك إن رضيت به خليلا ملأت يديك من فقر وخيبة

فقال له الرجل جزاك الله خيراً فقد عرفتنى من أخلاقه ماقطعني عن مدحه

وصنت وجهى عنه، ومن قول حماد يهجو مطيع بن اياس

عجبت للمدعى فى الناس منزلة ... وليس يصلح للدنيا ولا الدين
لو أبصروا فيك وجه الرأى ماتركوا ... حتى يشدوك كرها شد مجنون
مانال قط مطيعاً فضل منزلة ... الا بأن صرت أهجوه ويهجونى
ولو تركت مطيعاً لا أجاوبه ... لكان مافيه لامافات يكفينى

وقال حماد فى داود بن اسماعيل بن على بن عبد الله بن عامر يمدحه و يعزيه عن أبيه

إن أرجى الأنام عندى وأولا ... هم بمدحى ونصرتى داود
ان يعش لى أبو سليمان لا أحفل ما كادنى به من يكيد
هد ركنى أبوك فقد سدبك اليوم ركنى المهدود
قائل فاعل أبى وفى ... متلف مخلف مفيد مبيد
وفتى السن فى كمال ابى خمسين دهاء واربة بل يزيد
وهو الذائد المدافع عني ... وعزيز ممنع من يذود

ولى أبو جعفر المنصور محمد بن أبي العباس السفاح البصرة، فقدمها ومعه جماعة من الشعراء والمغنين منهم حماد عَجْرَد وحكم الوادى ودحمان فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه، وشرب الشراب وعاث، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله، وكان ابن أبي العباس كثير الطيب يملأ لحيته بالغالية حتى تسيل على ثيابه فتسود، فلقبوه أبا الدِّبس وقال فيه بعض شعراء أهل البصرة

صرنا من الربح الى الوكس ... إذ ولى المصر أبو الدبس
ماشئت فى لؤم على نفسه ... وجنسه من أكرم الجنس

ولما أقام وكان يهوى زينب بنت سليمان بن على فخطبها فلم يزوجوه لشيء كان فى عقله وكان حماد وحكم الوادى ينادمانه فقال محمد لحماد قل فيها شعرا، فقال فيها حماد على لسان محمد بن أبي العباس وغني فيه حكم

زينب ماذنبي وماذا الذى عصيتمُ فيه ولم تغضبوا
والله ماأعرف لى عندكم ذنبا ففيم الهجر يازينب
إن كنت قد أغضبتكم ضلة فاستعتبونى إننى اعتب
عودوا على جهلى بأحلامكم إنى وإن لم أذنب المذنب

ولمحمد بن أبى العباس شعر فى زينب وغنى فيه حكم وهو

قولا لزينب لو رأيت تشوقى لك واشترافى
وتلفتى كيما أرا ك وكان شخصك غير خاف
وشَمِمت ريحك ساطعا كالبيت جُمِّر للطواف
فتركتنى وكأنما قلبى يُغرَّز بالاثافى

ومنه

زينب مالى عنك من صبر وليس لى منك سوى الهجر
وجهك والله وإن شفّنى أحسن من شمس ومن بدر
لو أبصر العاذل منك الذى أبصرته أسرع بالعذر

ومنه

أحببت من لا ينصف ورجوت من لا يسعف
نسب تليد بيننا وودادنا مستطرف
بالله أحلف جاهدا ومصدق من يحلف
انى لأكتم حبها جهدى لما أتخوف
والحب ينطق ان سكت بما أجن ويعرف

ومنه

أسعد الصب يا حكم وأعنه على الألم
أجميل بأن يرى نائما وهو لم ينم

لائمى فى هوي زينب أنصف ولا تلم
لبس الجسم حلة فى هواها من السقم

ومنه

يا قمر المِرْبد قد هجت لى شوقا فما أنفكُ بالمربد
أراقب الفرقد من حبكم كأننى وكلت بالفرقد
أهيم ليلى ونهارى بكم كأننى منكم على موعد
علقتها ريّا الشَّوَى طفلة قريبة المولد من مولدى
والله ما أنساك فى خلوتى يا زور عينى ويا مسهدى

وكان محمد بن أبى العباس نهاية فى الشدة فعاتبه يوما المهدى فغمز محمد ركابه حتى انضغطت رجل المهدى فى الركاب ثم لم تخرج حتى رد محمد الركاب بيده فأخرجها المهدى حينئذ وكان يلوى العمود ثم يلقيه الى أخته ريطة فترده وفيه يقول حماد

أرجوك بعد أبى العباس اذ بانا يا أكرم الناس أعراقا وعيدانا
فأنت أكرم من يمشى على قدم وأنضر الناس عند المحل أغصانا
لو مج عود على قوم عُصارته لمج عودك فينا المسك والبانا

ولما أراد الخروج عن البصرة لما عزله المنصور عنها قال

أيا وقعة البين ماذا شببت من النار فى كبد المغرم
رميت جوانحه اذ رميت بقوس مسددة الأسهم
وقفنا لزينب يوم الوداع على مثل جمر الغضا المضرم
فمن صرف دمع جرى للفراق وممتزج بعده بالدم

وقال حماد يشبب بزينب على لسان محمد

الا من لقلب مستهام معذب بحب غزال فى الحِجال مربَّب

يراه فلا يستطيع ردا لطرفه اليه حذار الكاشح المترقب
ولولا مليك نافذ فيه حكمه لأدى وصالا ذاهبا كل مذهب
وعيرت بالكتمان بعد صراره فبحت بما ألقاه من حب زينب

فبلغ الشعر محمد بن سليمان فنذر دمه ولم يقدر عليه لمكانه من محمد ومات محمد فى أول سنة خمسين ومائة فقال حماد يرثيه

صرت للدهر خاشعا مستكينا بعد ما كنت قد قهرت الدهورا
حين أودى الأمير ذاك الذى كنـــت به حيث كنت أدعى الاميرا
كنت اذ كان لي أجير به الدهــــر فقد صرت بعده مستجيرا
يا سمى النبى يا ابن أبي العبا س حققت عندى المحذورا
سلبتنى الهموم اذ سلبت منــــك سرورى فلست أرجو السرورا
ليتني مت قبل موتك لا بل ليتني كنت قبلك المقبورا
انت ظللتنى الغمام بنعمــا ك ووطأت لى وطاء وثيرا
لم تدَعْ اذ مضيت فينا نظيرا مثل مالم يدع أبوك نظيرا

لما مات محمد بن أبي العباس طلب محمد بن سليمان حماد عجرد لما كان يقوله فى أخته زينب من الشعر فعلم انه لا مقام له معه بالبصرة فاستجار بقبر أبيه سليمان ابن على وقال فيه

من مقر بالذنب لم يوجب اللــــه عليه بسىء اقرارا
ليس الا بفضل حلمك يعــــتد بلاء وما يعد اغترارا
يا ابن بنت النبى احمد لا اجـــمل الا اليك منك الفرارا
غير أنى جعلت قبر ابى أيـــوب لي من حوادث الدهر جارا
وحرىّ من استجار بذاك الـــقبر ان يأمن الردى والعثارا
لم أجد لى من العباد مجيرا فاستجرت التراب والأحجارا

لست أعتاض منك فى بغية العـــزة قحطان كلها أو نزاراً
فأنا اليوم جار من ليس فى الأر ض مجير أعز منه جواراً
يا ابن بنت النبي ياخير من حطـــت اليه الغوارب الأكواراً
أن أكن مذنباً فأنت ابن من كا ن لمن كان مذنباً غفاراً
فاعف عني فقد قدرت وخير الـــعفو ماقلت كن فكان اقتداراً
لو يطيل الأعمار جار لعجز كان جارى يطول الأعماراً

وقال أيضاً

يا ابن عم النبي وابن النبيّ لعـــليّ إذا انتمى وعلى
أنت بدر الدجى وشمس إذا أظـــلم فاسود كل بدر مضي
وحيا الناس فى المحول إذا لم يَجُد غيث الربيـع بالوَسْمِيّ
إن مولاك قد أساء ومن أعـــتب من ذنبه فغير مسئ
ثم قد جاء تائبا فاقبل التو بة منه واقبـله يا ابن الوصى

فقال والله لأ نبُلَنَّ قبر أبي من دمه ، فهرب حماد إلى بغداد فعاذ بجعفر بن المنصور فأجاره وقال لا أرضى أو تهجو محمد بن سليمان ، فقال يهجوه

قل لوجه الخَصِيّ ذى العارانى سوف أُهدى لزينب الأشعارا
قد لعمرى فررت من شدة الخو ف وانكرت صاحبيَّ نهارا
وظننت القبور تمنع جارا فاستجرت التراب والأحجارا
كنت عند استجارتى بأبى أيـــوب أبغي ضلالة وخسارا
لم يجرنى ولم اجد فيه حظا أضرم الله ذلك القبر نارا

وقال فيه

ياابن سـليمان يامحمـد يا من يشترى المكرمات بالسمن
ان نخرت هاشم بمكرمة نخرت بالشحم منك والعكَن

لؤمــك باد لمن يراك اذا | أقبلت فى العارضين والذقن
ليتك اذ كنت ضيقا نكرا | لم تُدْعَ من هاشم ولم تكن
جداك جدان لم تُعَب بهما | لكنما العيب منك فى البدن

فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال والله لا يفلتنى أبدا وانما يزداد حتفا بلسانه ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافل أبدا

قيل ان حمادا مضى الى الأهواز فأقام هناك مستترا وبلغ محمدا خبره فأرسل مولى له الى الأهواز فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة وقيل انه خرج من الأهواز يريد البصرة فمر بشيراز فى طريقه فمرض بها فاضطُر الى المقام بها بسبب علته فاشتد مرضه فمات هناك ودفن على تَلعة ، وكان بشار بلغه أن حمادا عليل ثم نعى اليه قبل موته فقال بشار

لو عاش حماد لهونا به | لكنه صار الى النار

فبلغ هذا البيت حمادا قبل أن يموت وهو فى السياق فقال يرد عليه

نبئت بشارا نعانى وللمو | ت برانى الخالق البارى
يا ليتنى مت ولم أهجُه | نعم ولو صرت الى النار
وأى خزى هو أخزى من أن | يقال لي يا سبّ بشار

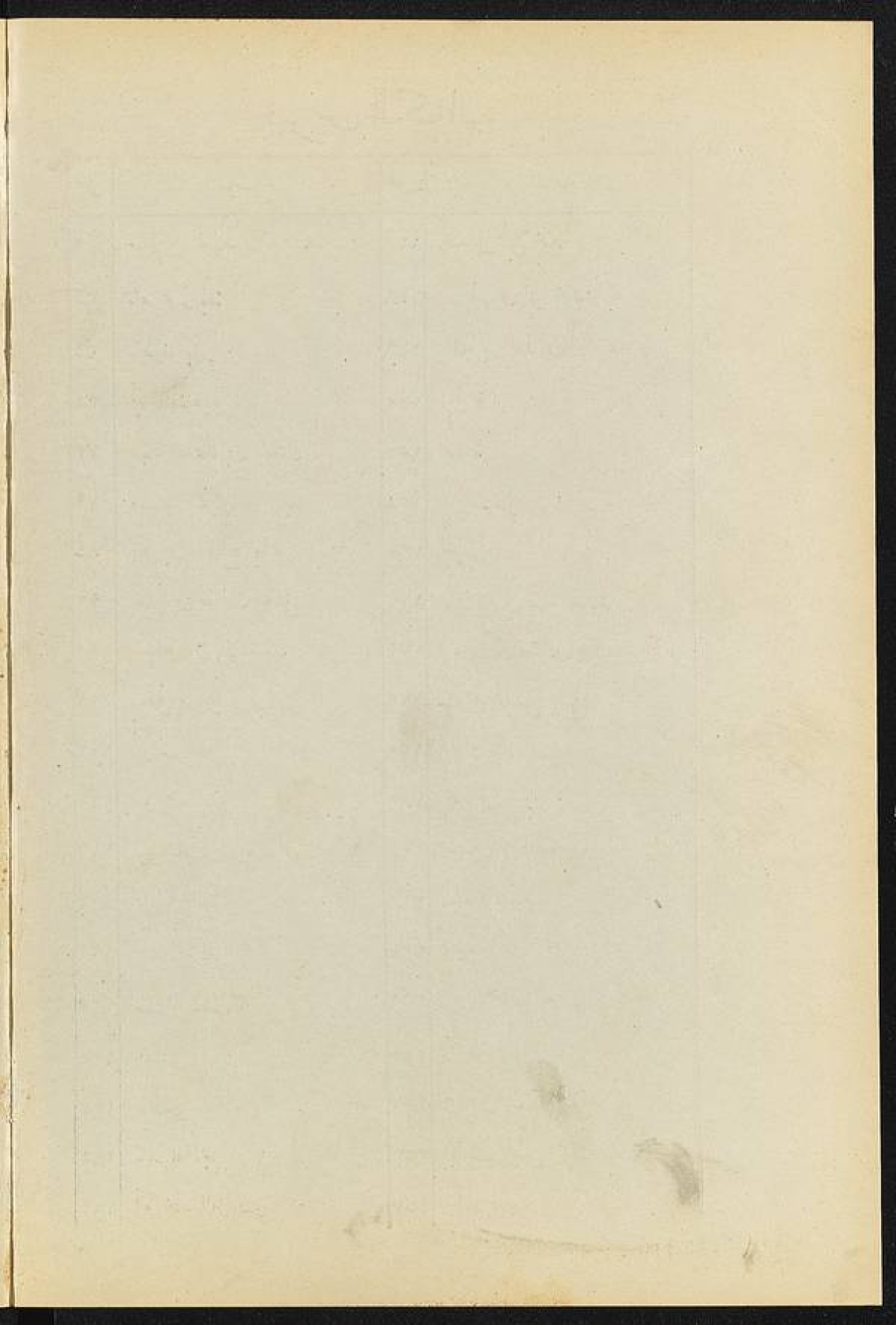
فلما قتل المهدى بشارا بالبطيحة اتفق أن حمل الى منزله ميتا فدفن مع حماد على تلك التلعة فمر بها أبو هشام الباهلى الشاعر البصرى الذى كان يهاجى بشارا فوقف على قبريهما فقال

قد تبع الأعمى قفا عجرد | فأصبحا جارين فى دار
قالت بقاع الأرض لا مرحبا | بقرب حماد وبشار
تجاورا بعد تنائيهما | ما أبغض الجار الى الجار
صارا جميعا فى يدى مالك | فى النار والكافر فى النار

تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع

أوله شعراء بنى أسد

فهرس الكتاب



مُهذَّبُ الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء التاسع

فى الشعراء العباسيين

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء أسد

محمد بن كناسة

هو محمد بن كناسة عبدالله بن عبدالأعلى الأسدى ويكنى أبا يحيى، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كوفي المولد والمنشأ ، وقد حمل عنه شيء من الحديث ، وكان ابراهيم بن أدهم الزاهد خاله ، وكان امرأ صالحا لايتصدّى لمدح ولا لهجاء ، وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة فى الشعر ومن قوله فى ابن أدهم

رأيتك ما يُغنيك ما دونه الغنى — وقد كان يغني دون ذاك ابن أدهما
وكان يرى الدنيا صغيرا عظيمها — وكان لحق الله فيها معظما
وللحلم سلطان على الجهل عنده — فما يستطيع الجهل أن يترمرما
وأكثر ما تلقاه في القوم صامتا — فان قال بذّ القائلين وأحكما
يُرى مستكينا خاضعا متواضعا — وليثا اذا لاقى الكتيبة ضيغما
أهان الهوى حتى تجنبه الهوى — كما اجتنب الجانى الدم الطالبَ الدما
على الجدث الغربى من آل وائل — سلام وبر ما أبر وأكرما

قال ابن كناسة كنت فى طريق الكوفة فاذا أنا بجويرية تلعب بالكعاب كأنها قضيب بان ، فقلت لها أنت أيضا لو ضعت لقالوا ضاعت جارية ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدق ، فقالت ويلى عليك ياشيخ وانت أيضا تتكلم بهذا الكلام ، فكسفت والله بالى ، ثم تراجعت فقلت

وانى لحلو مَخْبَرى ان خبرتنى — ولكن تقطيعى ولا ريب بى شيخ

فقالت لى وهى تلعب وتبسمت فما أصنع بك أنا اذاً ؟ فقلت لاشيء وانصرفت

نظر ابن كناسة الى مصلوب على جذع وكانت عنده امرأة يُبغضها وقد ثقل عليه مكانها فقال يعنيها

ايا جذِع مصلوب أنى دون صلبه ثلاثون حولا كاملا هل تبادل
فما أنت بالحمل الذى قد حملته بأضجر منى بالذى أنا حامل

أملق ابن كناسة فلامه قومه فى القعود عن السلطان وانتجاعه الأشراف بأدبه وشعره فقال

تؤنبنى أن صنت عرضى عصابة لها بين أطناب البيوت بَصيص
يقولون لو غمضت لازددت رفعة فقلت لهم انى اذاً لحريص
أتكلم وجهى لا أبا لأبيكم مطامع عنها للكرام مَحيص ؟
معاش دوين القوت والعرض وافر وبطنك عن جدوى اللئام خميص
سألقى المنايا لم أخالط دنية ولم يَسْرِ بى فى المخزيات قلوص

ومن قوله وفيه غناء

فىّ انقباض وحشمة فاذا صادفت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

عاتب ابن كناسة صديق له شريف كان ابن كناسة يزوره ويألفه على تأخره عنه فقال

ضعفت عن الاخوان حتى جفوتهم على غير زهد فى الوفاء ولا الود
ولكن أيامى تخرّمن مُنّتى فما أبلُغ الحاجاتِ الا على جهد

ومن قوله

ومن عجب الدنيا تبقيك للبلى وانك فيها للبقاء مريد
وأى بنى الأيام الا وعنده من الدهر ذنب طارف وتليد
ومن يأمن الأيام أما اتساعها نخطر وأما فجعها فعتيد

اذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى ... فان فطام النفس عنه شديد

خرج ابن كناسة ومعه عبيد بن الحسن حتى بلغا الخورنق فلم يزل ينظر الى البر والى رياض الحيرة وحمرة الشقائق فانشأ يقول

الآن حين تزين الظهر ... ميثاؤه وبراقه العفر
بسط الربيع بها الرياض كما ... بُسطت قطوع اليمنة الحمر
برّ به فى البحر نابتة ... يُجبى اليها البر والبحر
وجرى الفُرات على مياسرها ... وجرى على أيمانها الزّهر
وبدا الخورنق فى مطالعها ... فردا يلوح كأنه الفجر
كانت منازل الملوك ولم ... يعلم بها لمملك قبر

ثم قال يصف تلك البلاد

سفلت عن برد أرض ... زادها البرد عذابا
وعلت عن حر أخرى ... تلهب النار التهابا
مُزجت حرّا ببرد ... فصفا العيش وطابا

قال عبد الأعلى بن محمد بن كناسة رآنى أبى مع أحداث لم يرضهم لي فقال

ينبيك عن عيب الفتى ... ترك الصلاة أو الخدين
فاذا تهاون بالصلا ... ة فما له فى الناس دين
ويُزنُّ ذو الحدث المُر ... يب بما يزن به القرين
ان العفيف اذا تكنّـ ... ـفه المريب هو الظنين

كان يجئ الى ابن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه وكان يكتب الحديث ويتفقه ويظهر أدبا ونسكا وظهر ابن كناسة منه على باطن يخالف ظاهره، فلما جاءه قال له

يامن روى أدبا فلم يعمل به ... ويكف عن دفع الهوى بأديب

حتى يكون بما تعلم عامـــلا من صالح فيكون غير معيب
ولقلما تغــــنى اصابة قائل أفعاله أفعـال غير مصيب

ولما ماتت دنانير جاريته رثاها بقوله

الحمــــد لله لا شريك له ياليت ما كان منك لم يكن
ان يكن القول قلّ فيك فما أفحمنى غير شدة الحزن

قال ابن كناسة أتيت أمرأة من بني أَوْد تكحلنى من رمَد كان أصابنى ، فكحلتنى ثم قالت اضطجع قليلا يدور الدواء فى عينك، فاضطجعت ثم تمثلت قول الشـاعر

أمخترمى ريب المنون ولم أزر طبيب بني أَوْد على النأى زينبا

فضحكت ثم قالت أتدرى فيمن قيل هـذا الشعر ؟ قلت لا والله ، فقالت فىّ والله قيل ، وأنا زينب التى عناها وأنا طبيب أود ، أفتدرى من الشاعر ؟ قلت لا قالت عمك أبو سِماك الأسدى

كان لابن كناسة صديق يكنى أبا الشعثاء وكان عفيفا مزاحا فكان يدخل الى ابن كناسة يسمع غناء جاريته دنانير ويعرض لها بأنه يهواها فقالت فيه

لأبى الشعثاء حب باطن ليس فيه نهضـة للمتهم
يافؤادى فازدجر عنه ويا عَبَثَ الحب به فاقعد وقم
زادنى منه كلام صائب ووسيلات المحبين الكلم
صائد تأمنـــــه غزلانه مثل ما تأمن غزلان الحرم
صلّ ان احببت أن تعطى المنى يا أبا الشَّعثاء لله وصم
ثم ميعـادك يوم الحشر فى جنة الخلد ان اللهُ رحم
حيث ألقاك غلاما ناشئا يافعا قد كملت فيه النعم

قال ابن كناسة كنت أتحدث بالحديث فلو لم يجد سامعه الا القطن الذى على

وجه أمه فى القبر لتعلل عليه حتى يستخرجه ويهديه الى ، وأنا اليوم أتحدث بذلك الحديث فما أفرغ منه حتى أهيىء له عذرا

قال اسحق الموصلى سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر

إذا الجوزاء أردفت الثُّرَيّا ظننت بآل فاطمة الظنونا

فقال يقول إذا صارت الجوزاء فى الموضع الذى ترى فيه الثريا خفت تفرق الحى من تجمعهم ، والثريا تطلُع بالغداة في الصيف والجوزاء تطلع بعد ذلك فى أول القيظ .

رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيده بطن شاة فقال هاتِه أحمله عنك ، فقال لا ثم قال

لاينقص الكامل من كماله ماجر من نفع الى عياله

قال على بن عثمان كنت يوما عند ابن كناسة فقال لنا أعرفكم شيئا من فهم دنانير « يعنى جاريته » فكتب اليها « انك أمة ضعيفة لكْعاء فاذا جاءك كتابى هذا فعجلى بجوابى والسلام » فكتبت اليه « ساءنى تهجينك اياى عند أبي الحسين ، وان من أعيا العيّ الجواب عما لا جواب له والسلام » وقال جئت يوما الى منزله فلم أجده ووجدت جاريته دنانير جالسة ، فقالت لى مالك محزونا ياأبا الحسين ؟ فقلت رجعت من دفن أخ لي من قريش ، فسكتت ساعة ثم قالت

بكيت على أخ لك من قريش فأبكانا بكاؤك ياعلى

فمات وما خبرناه ولكن طهارة صحبه الخبر الجلىّ

والبة

هو والبة بن الحباب أسدى صَلِيبةٌ كوفى ، من شعراء الدولة العباسية يكنى أبا أسامة وهو استاذ أبى نواس ، وكان ظريفا شاعراً وصافا للشراب وشعره فى

غير ذلك مقارب ليس بالجيد ، وقد هاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً وفضحاه فعاد الى الكوفة كالهارب وخمل ذكره ، قال المهدى لعمارة بن حمزة من أرق الناس شعراً ؟ قال والبة بن الحباب الأسدى وهو الذى يقول

ولها ولاذنب لهـــا   حب كأطراف الرماح

فى القلب يقدم والحشَى   فالقلب مجروح النواحى

قال صدقت . ومن قوله وفيه غناء

قد قابلتنا الكؤس   ودابرتنا النحوس

واليوم هو نيروز   قد عظمته المجـوس

لم نخطه فى حساب   وذاك ممـا نسوس

قال محمد بن عمر الجرجانى رأيت أبا العتاهية جاء الى أبى فقال له ان والبةبن الحباب قدهجانى ، ومن أنا منه ؟ أنا جرَّار مسكين ، وجعل يرفع من والبة ويضع من نفسه ، فأحب أن تكلمه أن يمسك عني ، فكلم أبى والبة وعرفه أن أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك ، فلم يقبل وجعل يشتم أبا العتاهية ، فتركه ، ثم جاء أبو العتاهية فسأله عما عمل فى حاجته ، فأخبره بما رد عليه والبة ، فقال لأبى الآن لي اليك حاجة ، قال وماهى ؟ قال لاتكلمني فى أمره ، فقال له هـذا أول مايجب لك ، فقال أبو العتاهية يهجوه .

أوالب أنت فى العرب   كمثل الشِّيص فى الرطب

هلُمّ الى الموالى الصِّيـــد فى سعة وفى رُحُب

فأنت بنا لعمر اللــه أشبه منك بالعرب

غضبت عليك ثم رأيــت وجهك فانجلى غضبى

لمـــا ذكرتني من لو   ن أجدادى ولون أبى

فقـــل ماشئت أقبله   وإن أطنبت فى الـغرب

لقـد أخبرت عنك وعن أبيـك الخالص العربى
فقال العارفون به مُصاص غير مؤتشب
أتانا من بلاد الرو م معتجرا عـلى قتَب
خفيف الحاذ كالصِّمصا م أَطْلس غير ذى نَشَب
أوالب مادهـاك وأنـت فى الأعراب ذونسب
أراك ولدت بالمريـخ يا ابن سبائك الذهب
فجئت أقيشر الخديـن أزرق عارم الذنب
لقـد أخطأت فى شتمى نخـبرنى ألم أصب ؟

وقال فيه أيضا

نطقت بنو أسد ولم تجهر وتكلمت خفيا ولم تظهر
وأما ورب البيت لو نطقت لتركتها وصباحها أغبر
أيروم شتمى منهم رجل فى وجهه عبَر لمن فكر ؟
وابن الحباب صليبة زعموا ومن المحال صليبة أشقر
ما بال من آباؤه عرب الا ألوان يحسب من بني قيصر
أترون أهل البدو قد مُسخوا شقْرا أما هذا من المنكر ؟

وأول هذه القصيدة

صرح بمـا قلته واجهر لابن الحباب وقل ولا تحصر
مالى رأيت أباك أسود غز بيب القذال كأنه زرزر
وكأن وجهك حمرة رئة وكأن رأسك طائر أصفر

وبلغ الشعر والبة فجاء الى أبى فقال قد كلمني فى أبى العتاهية وقد رغبت في الصلح ، فقال أبى هيهات قد آلى على الا يقبل ما طلبت وأن أخلى بينك وبينه وقد فعلت ، فقال والبة ما الرأى عندك ؟ فقد فضحنى ؟ قل تنحدر الى الكوفة ، فركب زورقاً ومضى من بغداد الى الكوفة

وأجود ما قاله والبة في أبي العتاهية

كان فينا يكنى أبا اسحق وبها الركب سار في الآفاق

فتكنى معتوهنا بعتاه يالها كنية أتت باتفاق

خلق الله لحية لك لا تنفك معقودة لدى الحلاق

وكان والبة خليلا لعلى بن ثابت وصديقا ودودا وفيه يقول

حيّ بها والبة المصطفى حيّ كريما وابن حرّ هجان

وقاسما نفسى فدت قاسما من حدث الموت وريب الزمان

ولما مات والبة رثاه فقال

بكت البرية قاطبة جزعا لمصرع والبة

قامت لموت أبي أسا مة في الرفاق النادبة

قال أبو سلهب الشاعر كان والبة صديقى وكان ماجنا طبعا خفيف الروح خبيث الدين وكنا ذات يوم نشرب بغُمَىّ ، فانتبه يوما من سكره فقال لى يا أبا سلهب اسمع ثم أنشدنى

شربت وفاتك مثلى جَوحٌ بغُمَىّ بالكؤوس وبالبواطى

يعاطينى الزجاجة أَرْيَحىّ رخيم الدَّلّ بورك من مُعاط

جعلت الحج فى غُمَىّ وبِنّى وفى قُطْرُبُّل أبدا رباطي

فقل للخمر آخر ملتقانا اذا ما كان ذاك على الصراط

وكان والبة أستاذ أبي نواس وعنه أخذ ومنه اقتبس

ابو عطاء السندى (١)

هو أفلح بن يسار مولى بنى أسد ، منشؤه الكوفة وهو من مخضرمى الدولتين مدح بنى أمية وبنى هاشم ، وكان فى لسانه لُكنة شديدة ولثغة فكان لا يفصح

(١) كان من حق أبي عطاء أن يكون في الطبقة الثانية

وكان له غلام فصيح سماه عطاء، وتكنى به وقال جعلتك ابنى وسميتك بكنيتي فكان يُرَوّيه شعره فاذا مدح من يجتديه أو ينتجعه أمره بانشاد ما قاله .

قال ابن كناسة كثر مال أبي عطاء بعد ان أُعتق ، فأعنته مواليه وطمعوا فيه وادعوا رقه، فشكا ذلك الى اخوانه فقالوا له كاتبهم ، فكاتبوه على أربعة آلاف، وسعى له أهل الأدب والشعر فيها ، فتركهم وأتى الحُرّ بن عبد الله القرشي وهو حليف لقريش لا من أنفسهم فقال فيه

أتيتك لا من قربة هى بيننا ولا نعـمة قدمتها استثيبها
ولكن مع الراجين أن كنت موردا اليه بغـاة الدين تهفو قلوبها
أغثني بَسجْل من نداك يكفني وقاك الردى مرد الرجال وشيبها
تسمى ابن عبد الله حرا كوصفه وتلك العلا يعنى بها من يعيبها

فأعطاه أربعة آلاف درهم فأداها فى مكاتبته وعتق

أتى أبو عطاء سليمان بن سليم فأنشده

أعوزتنى الرُواة يا ابن سُلَيم وأبى أن يقيم شعرى لسانى
وغلى بالذى أجمجم صدرى وجفانى لعجمتى سلـطانى
وازدرتني العيون اذ كان لونى حالكا مُجْتَوَى من الألوان
فضربت الأمور ظهرا لبطن كيف أحتال حيلة للسانى
وتمـنيت أننى كنت بالشعـر فصيحا وبان بعض بنانى
ثم أصبحت قد أنخت ركابى عند رَحْب الفِناء والأعطان
فاكفِنى ما يضيق عنه رُواتى بفصيح من صالحى الغلمان
يُفهم الناسَ ما أقول من الشعـر فان البيان قد أعيانى
فاعتمدنى بالشكر يا ابن سليم فى بلادى وسائر البُلدان
ستوافيهمُ قصائد غُرٌّ فيك سباقة لكل لسان

فقديما جعلت شكري جزاء　　كلَّ ذي نعمة بها أولانى

لم تزل تشترى المحامد قدْما　　بالربيح الغالى من الأثمان

فأمر له بغلام بربرى فصيح وهو الذى سماه عطاء

مدح أبو عطاء أبا جعفر المنصور فلم يثبه ، وأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذهبه فى بني أمية، فمارده بالمدح نقال له ألست القائل فى عدو الله الفاجر نصر بن سيار ترثيه

فاضت دموعى على نصر وما ظَلَمت　　عين تفيض على نصر بن سيّار

يا نصر مَنْ للقاء الحرب ان لَقِحت　　يانصر بعدك أو للضيف والجار

الخِنْذِفى الذى يحمى حقيقته　　فى كل يوم مخوف الشر والعار

والقائد الخيل قُبًّا فى أعنتها　　بالقوم حتى تلف القار بالقار

من كل أبيض كالمصباح من مُضَر　　يجلو بسنته الظلماء للسارى

ماض على الهول مقدام اذا اعترضت　　سُمْرُ الرياح وولى كل فرّار

ان قال قولا وفى بالقول موعده　　ان الكنانى واف غير غدار

والله لا أعطيك بعد هذا شيئاء فخرج من عنده وقال عدة قصائد يذمه فيها منها

فليت جور بني مروان عاد لنا　　وليت عدل بنى العباس في النار

وقال أيضا

أليس الله يعلم أن قلبى　　يحب بني أمية ما استطاعا

ومابى أن يكونوا أهل عدل　　ولكني رأيت الأمر ضاعا

كان أبو عطاء مع ابن هُبيرة وهو يبنى مدينته التى على شاطئ الفُرات فأعطى ناسا كثيرة صلات ولم يعطه شيئا فقال

قصائد حُكْنَهن ليوم فخر　　رجعن الى صفِرا خاليات

رجعن وما أفأن علىّ شيئا　　سوى أنى وعدت الأُمّهات

أقام على الفرات يزيد حولا　　فقال الناس أيهما الفراتى

فيا عجبا لبحر بات يسقى   جميع الخلق لم يَبْلُل لهاتى

فقال له ابن هبيرة وكم يَبُلُّ لهاتَك؟ قال عشرة آلاف درهم، فأمر ابنه بدفعها اليه، ففعل، فقال يمدح ابنه

أما أبوك فعين الجود نعرفه   وأنت أشبه خلق الله بالجود

لولا يزيد ولولا قبله عمر   ألقت اليك معدّ بالمقاليد

ما يَنبُتُ العود إلا فى أرومته   ولا يكون الجنى إلا من العود

لما أمر أبو جعفر الناس بلبس السواد لبسه أبو عطاء فقال

كسبت ولم أظفَر من الله نعمة   سواداً إلى لونى وَدنّا مُلَهْوَجا

وبايعت كرهاً بيعة بعد بيعة   مبهرجة إن كان أمراً مبهرجا

بعث ابراهيم بن الأشتر إلى أبى العطاء بيتين وسأله أن يضيف اليهما بيتين من رويهما وقافيتهما وهما

وبلدة يزدهى الجنَّان طارقها   قطعتها بكناز اللحم مُعتاطة (١)

وَهْناً وقد حلَّق النَّسران أو كربا   وكانت الدَّلو بالجوزاء منتاطة (٢)

فقال أبو عطاء

فانجاب عنها قيص الليل فابتكرت   تسير كالفحل تحت الكُور لَطاطة (٣)

فى أَيْنُقٍ كلما حث الحداة لها   بدت مناسمها هَوْجاء حطاطة (٤)

قال أنشدت أباعطاء فى أثناء حديث هذا البيت

إذا كنت فى حاجة مرسلا   فأرسل حكيما ولا توصه

فقال بئسما قال، فقلت كيف تقول أنت؟ قال أقول

إذا أرسلت فى أمر رسولا   فأفهمه وأرسله أديباً

---

(١) اعتاطت الناقة لم تحمل سنين من غير عقر فهى معتاطة (٢) انتاط به تعلق فهو منتاط (٣) لطت الناقة بذنبها جعلته بين فخذيها عند العدو (٤) حط البعير اعتمد فى الزمام على أحد شقيه وناقة حطوط بخيبة سريعة

وإن ضيعت ذاك فلا تلمه	على أن لم يكن علم الغيوبا

وفد ابن عطاء على نصر بن سيار فأنشده

قالت تَريكة بيتى وهى عاتبة	ان المقام على الافلاس تعذيب
ما بال همّ دخيل بات محتضراً	رأس الفؤاد فنوم العين توجيب
انى دعانى اليك الخير من بلدى	والخير عند ذوى الاحسان مطلوب

فأمر له بأربعين ألف درهم

ومن قوله وفيه غناء

اذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه	شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الأدنَيْنَ كلّاً وأوشكت	صلات ذوى القربى له أن تنكرا
فسر فى بلاد الله والتمس الغنى	تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم	وكيف ينام الليل من كان معسراً

لما أثرى أبو عطاء أعتنه مولاه عنبر بن سماك الأسدى حتى ابتاع نفسه منه فقال يهجوه

اذا ما كنت متخذاً خليلا	فلا تثقَن بكل أخى اخاء
وان خيرت بينهمُ فألصق	بأهل العقل منهم والحياء
فإن العقل ليس له اذا ما	تذوكرت الفضائل من كفاء
وان النَّوك للاحساب غول	به تأوى الى داء عياء
فلا تثقَنْ من النَّوْكي بشىء	ولو كانوا بنى ماء السماء
كعنبر الوثيق بناء بيت	ولكن عقله مثل الهباء
وليس بقابل أدبا فدعه	وكن منه بمنقطع الرجاء

وكان عطاء من شعراء بنى أمية ومداحهم والمنصبى الهوى اليهم وأدرك دولة بنى العباس فلم تكن له فيهم نباهة فهجاهم ، وفى آخر أيام المنصور مات ، وكان مع

ذلك من أحسن الناس بديهة وأشدهم عارضة وتقدما ، وشهد حرب بنى أمية وبنى العباس فأبلَى ، وقتل غلامه عطاء مع ابن هُبيرة وانهزم هو ، وقيل بل كان أبو عطاء المقتول معه لا غلامه ، قال المدائنى كان أبو عطاء يقاتل المسودة وقدامه رجل من بنى مرة يكنى أبا يزيد وقد عقر فرسه فقال لأبى عطاء أعطنى فرسك حتى أقاتل عنى وعنك ، وقد كانا أيقنا بالهلاك ، فأعطاه أبو عطاء فرسه فركبه ثم مضى وترك أبا عطاء ، فقال فى ذلك

لعمــــرك اننى وأبا يزيد ... لكالساعى الى وَضَح السَّراب
رأيت مَخيلة فطمعت فيها ... وفى الطمع المذلة للرقاب
فما أعياك من طلب ورزق ... فما يعييك في سرق الدواب
وأشهد أنه مُرّة حي صدق ... ولكن لست منهم فى النصاب

قال المدائنى ان يحيى بن زياد الحارثى وحمادا الراوية كان بينهما وبين مُعَلَّى بن هُبيرة ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من النفاسة ، وكان معلى يحب أن يطرح حمادا فى لسان شاعر يهجوه ، قال حماد فقال لى يوما بحضرة يحيى بن زياد أتقول لأبى عطاء السندى أن يقول فى زج وجرادة ومسجد بنى شيطان ؟ فقلت له فما تجعله لى على ذلك ؟ قال بغلتى بسرجها ولجامها ، قلت فمدّهـا على يدى يحيى بن زياد ، ففعل ، وأخذت عليـه موثقا بالوفاء ، وجاء أبو عطاء فجلس الينا وقال مرهبا مرهبا هيا كم الله ، فرحبت به وعرضت عليه العشاء ، فقال لاحاجة لى به ، أعندكم نبيذ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا ، فشرب حتى احمرت عيناه واسترخت علابيّه ثم قلت له يا أبا عطاء ان انسانا طرح علينا أبياتا فيها لغز ولست أقدر على اجابته ألبتة ، ومنذ أمس الى اليوم ما يستوى لى منها شىء ، ففرج عني ، قال هات ، فقلت

أبن لى ان سئلت أبا عطاء ... يقينا كيف علمك بالمعانى ؟

فقال

خبير عالم فاسأل تجدنى ... بها طَبًّا وآيات المثانى

فقلت

فما اسم حـديدة في رأس رمح دُون الكعب ليست بالسنان ؟

فقال

هو الزَّجّ الذى ان بات ضيفا لصدرك لم تزل لك عولتان

قلت فرج الله عنك « يعني الزج » ثم قلت

فما صفراء تدعى أم عوف كأن رُجيلتيها مِنجلان ؟

فقال

أردت زرادة وأزُنّ زَنّا بأنك ما أردت سوى لسانى

فقلت فرج الله عنك وأطال بقاءك « يريد جرادة وأظن ظنا » ثم قلت

أتعرف مسجـداً لبنى تميم فُويق الميل دون بنى أبان

فقال

بنو سيطان دون بنى أبان كقرب أبيك من عبدالمدان

قال حماد فرأيت عينيه قد احمرتا وعرفت الغضب فى وجهه وتخوفته ، فقلت يا أبا عطاء هذا مقام العائذ المستجير بك ولك النصف مما أخذته ، قال اصدُقنى ، فأخبرته فقال أَوْلَى لك ، قد سلمت وسلم لك جُعلك خذه بورك لك فيه ولا حاجة لى فيه ، فأخذته وانقلب يهجو معلى بن هبيرة

كان أبو عطاء منقطعاً فى طريق مكة وخباؤه مطروح فمر به نُهيك بن مَعْبَد العُطاردى فقال لمن هذا الخِباء الملقَى ؟ فقيل لأبى عطاء السندى ، فبعث غلمانا له فضربوا له خباء وبعث اليه بألطاف وكسوة ، فقال من صنع هذا ؟ قالوا نهيك بن معبد ، فنادى بأعلى صوته يقول

اذا كنت ترتاد الرجال لنفعهم فناد بصوت يانهيك بن معبد

فبعث اليه نهيك زدنا ياأبا عطاء فقال انما أعطيناك على قدر ما أعطيتنا فان زدتنا زدناك

دخل الى أبي عطاء ضيف فأتاه بطعام فأكل وأتاه بشراب وجلسا يشربان فنظر أبو عطاء الى الرجل يلاحظ جاريةله فأنشأ يقول

كل هنيئا وما شربت مريئا ثم قم صاغراً وأنت ذميم

لا أحب النديم يومض بالطر ف اذا ماخلا لعرس النديم

بكر بن خارجة

كان رجلا من أهل الكوفة مولى لبنى أسد، وكان وراقا ضيق العيش مقتصرا على التكسب من الوراقة، وصرف أكثر ما يكسبه الى النبيذ وكان معاقرا للشرب في منازل الخمارين وحاناتهم ، وكان طيب الشعر مطبوعا طبعا ماجنا ، ومما يغني به من شعره

وشادن قلبي به معمود شيمتـه الهجر والصـدود

لا أسأم الحرص ولا يجود والصبر عن رؤيته مفقود

زُنّاره من خصره معقود كأنه من كبدى مقدود

ومنه

قـلبي الى ما ضرني داع يُكثر أحزاني وأوجاعي

لقلما أبقَى على ما أرى يوشِك ان ينعانيَ الناعى

كيف احتراسي من عدوي اذا كان عدوى بين أضلاعى

أسـلمنى الحب وأشيـاعى لما سعى بى عندها الساعى

لما دعاني حبهـــا دعوة قلت له لبَّيْك من داع

وذكر الصولى هذه الأبيات للعباس بن الأحنف

حرم بعض الأمراء بالكوفة بيع الخمر على خمارى الحـيرة وركب فكسر نبيذهم ، فجاء بكر يشرب عندهم على عادته فرأى الخمر مصبوبة فى الرحاب والطرق فبكى طويلا وقال

يا لقومى لما جنى السلطان | لا يكونن لما أهان الهوان
قهوة فى التراب من حلب الكرْ | م عُقار كأنها الزعفران
قهوة فى مكان سوء لقد صا | دف سعد السعود ذاك المكان
من كُميت يبدى المزاج لها لؤ | لؤ نظم والفصل منها جُمان
فاذا ما اصطبحتها صغرت فى القد | ر تخالها هى الجرذان
كيف صبرى عن بعض نفسى وهل يصـ | ـبر عن بعض نفسه الانسان

فأنشدتها الجاحظ فقال ان من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائما وما أقدر على ذلك الا أن تعمِدنى ، وقد كان به نقرس ، فعمَدته فقام فكتبها قائما

قال محمد بن داود بن الجراح كانت الخمر قد أفسدت عقل بكر بن خارجة فى آخر عمره وكان يمدح ويهجو بدرهم و بدرهمين ونحو هذا فاطرح ، وما رأيت قط أحفظ منه لكل شىء حسن ولا أروى منه للشعر ، وأنشدنى بعض أصحابنا له فى حال فساد عقله

هب لى فديتك درهما | أو درهمين الى الثلاثة
انى أحب بنى الطُّفَيـ | ـل ولا أحب بنى علاثة

أبو دلامة

هو زند بن الجون كوفى اسود مولى لبنى أسد . أدرك آخر أيام بني أمية ولم يكن له فى أيامهم نباهة ونبغ فى أيام بنى العباس وانقطع الى أبي العباس وأبى جعفر والمهدى فكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره ، وقد كان انقطع الى رَوح بن حاتم المهلبى أيضا فى بعض أيامه ، ولم يصل الى أحد من الشعراء ماوصل الى أبى دلامة من المنصور خاصة ، وكان فاسد الدين ردىء المذهب مرتكبا للمحارم مضيعا للفروض مجاهرا بذلك وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله ،

وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت الجوائز له به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم يقول فيها

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى ... عليك بما خوفتني الأسد الوَرْد
أبا مسلم ما غير الله نعمة ... على عبده حتى يغيرها العبد

أنشدها المنصور فى محفل من الناس فقال له احتكم ، فطلب عشرة آلاف درهم ، فأمر له بها ، فلما خلا قال له ايه أما والله لو تعديتها لقتلتك

أمر أبو جعفر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها وأن يعلقوا السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورهم فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فقال أبو دلامة

وكنا نرجى من امام زيادة ... فجاد بطول زاده فى القلانس
تراها على هام الرجال كأنها ... دِنان يهود جُلّلت بالبرانس

دخل الى المنصور مرة فأنشده

ان الخليط أجدّ البين فانتجعوا ... وزودوك خبالا ، بئسما صنعوا
والله يعلم ان كادت لبينهمُ ... يوم الفراق حصاة القلب تنصدع
عجبت من صبيتى يوما وأمهمُ ... أم الدُّلامة لما هاجها الجزع
لا بارك الله فيها من منبهة ... هبت تلوم عيالى بعد ما هجعوا
ونحن مشتبهو الألوان أوجهنا ... سود قباح وفى أسمائنا شنَع
اذا تشكت الىّ الجوع قلت لها ... ما هاج جوعك الا الرى والشبع
لا والذى يا أمير المؤمنين قضى ... لك الخلافة فى أسبابها الرفع
ما زلت أخلصها كسبى فنأ كله ... دونى ودون عيالى ثم تضطجع

شوهاء مُشْنَأةٌ فى بطنها بَجَرٌ[1] وفى المفاصل من أوصالها فَدَع

ذكرتها بكتاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله تنتفع

فاخرنطمت[2] ثم قالت وهى مغضبة أأنت تتلو كتاب الله يا لُكَع

اخرج لتبغ لنا مالا ومزرعة كما لجيراننا مال ومزدرع

واخدع خليفتنا عنا بمسألة ان الخليفة للسؤال ينخدع

فضحك أبو جعفر وكتب له بضيعة

شهد أبو دلامة شهادة لجار له عند ابن أبى ليلى على أتان نازعه فيها رجل ، فلما فرغ من الشهادة قال اسمع ما قلت فيك قبل أن آتيك ثم اقض ما شئت ، قال هات ، فأنشده

ان الناسُ غطُّونى تغطيت عنهمُ وان بحثوا عنى ففيهم مباحث

وان حفروا بئرى حفرت بئارهم ليعلم يوما كيف تلك النبائث[3]

فأقبل على المرأة فقال أتبيعيني الأتان ؟ قالت نعم ، قال بكم ؟ قالت بمائة درهم قال ادفعوها اليها ، ففعلوا ، وأقبل على الرجل فقال قد وهبتها لك ، وقال لأبى دلامة قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ووهبت ملكى لمن رأيت ، أرضيت ؟ قال نعم وانصرف

كان واقفا بين يدى السفاح فقال له سلني حاجتك ، قال كلب أتصيد به ، قال أعطوه اياه ، قال ودابة أتصيد عليها ، قال أعطوه دابة ، قال وغلام يصيد بالكلب ويقوده ، قال أعطوه غلاما ، قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه ، قال أعطوه جارية ، قال هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها ، قال أعطوهم دارا تجمعهم ، قال فان لم تكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ قال قد

---

(١) بجر خرجت سرته وغلظ أصلها وعظم بطنه والفدع اعوجاج فى الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف والقدم الى انسيها (٢) غضبت (٣) النبيثة تراب البئر والنهر أو ما حولها من التراب جمعه نبائث

أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة ، قال وما الغامرة ؟ قال ما لا ثبات فيه ، فقال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسائة الف جريب غامرة من فيافى بنى أسد ، فضحك وقال اجعلوها عامرة ، قال فأذن لي أن اقبل يدك ، قال أما هذه فدعها ، قال والله ما منعت عيالى شيئا أقل ضررا عليهم منها ، قال الجاحظ فانظر الى حذقه بالمسألة ولطفه فيها ، ابتدأ بكلب فسهل القصة به وجعل يأتى بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل اليه

قال على بن سلام كنت أسقى أبا دلامة والسندى اذ خرجت بنت لأبى دلامة فقال فيها أبو دلامة

فما ولدتك مريم أم عيسى ولا رباك لقمان الحكيم

اجز يا أبا عطاء فقال

ولكن قد تضمك أم سوء الى لباتها وأب لئيم

فضحك لذلك ، ثم غدا أبو دلامة الى المنصور فألفاه فى الرحبة يصلح فيها شيئا يريده فأخبره بقصة ابنته وأنشده البيتين ثم اندفع فأنشده بعدهما

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس

ثم ارتقوا فى شعاع الشمس كلكمُ الى السماء فأنتم أطهر الناس

وقدموا القائم المنصور رأسكمُ فالعين والأنف والأذنان فى الراس

فاستحسنها وقال بأى شيء تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه ؟ فأخرج خريطة كان قد خاطها من الليل فقال تملأ لى هذه دراهم ، فملئت فوسعت أربعة آلاف درهم

لما توفى أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزونه فأنشأ أبو دلامة يقول

أمسيتَ بالأنبار يابن محمد لم تستطع عن عقْرها تحويلا

ويلى عليك وويل أهلى كلهم ويلا وعولا فى الحياة طويلا

فلتبكين لك النساء بعبرة وليبكين لك الرجال عويلا

مات الندى إذ مت يابن محمد فجعلته لك فى التراب عديلا

انى سألت الناس بعدك كلهم فوجدت أسمح من سألت بخيلا

ألشقوتى أخرت بعدك للتى تدع العزيز من الرجال ذليلا

فلأحلفن يمين حق برة بالله ماأعطيت بعدك سولا

فأبكى الناس قوله ، فغضب المنصور غضبا شديدا وقال لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، فقال يا أمير المؤمنين ان أبا العباس أمير المؤمنين كان لى مكرما وهو الذى جاء بى من البدو كما جاء الله باخوة يوسف اليه فقل كما قال يوسف لاخوته « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » فسُرّى عن المنصور وقال قد أقلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك ، فقال يا أمير المؤمنين قد كان أبو العباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها ، فقال المنصور ومن يعرف هذا ؟ فقال هؤلاء ، وأشار الى جماعة ممن حضر فوثب سليمان بن خالد وأبو الجهم فقالا صدق أبو دلامة نحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبى أيوب الخازن وهو مغيظ يا سليمان ادفعها اليه وسيره الى هذا الطاغية « يعنى عبد الله بن على » وقد كان خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلامة فقال يا أمير المؤمنين انى أعيذك بالله أن أخرج معهم فوالله انى لمشئوم فقال المنصور امض فان يمنى يغلب شؤمك فاخرج ، فقال والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر فأنى لا أدرى أيهما يغلب أيمنك أم شؤمى الا أنى بنفسى أوثق وأعرف وأطول تجربة ، قال دعنى من هذا فمالك من الخروج بد ، فقال انى أصدقك الآن شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت وكنت سببها فان شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل ، فاستغرب أبو جعفر ضحكا وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة

قال أبو دلامة أتى بي المنصور أو المهدى وأنا سكران فحلف ليخرجني فى بعث حرب ، فأخرجنى مع رَوْح بن حاتم المهلبي لقتال الشُراة ، فلما التقى الجمعان قلت لروح أما والله لو أن تحتى فرسك ومعي سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثرا ترتضيه ، فضحك وقال والله العظيم لأدفعن ذلك اليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما الىّ ودعا بغيرهما فاستبدل به ، فلما حصل ذلك فى يدى وزالت عني حلاوة الطمع قلت له أيها الأمير هذا مقام العائذ بك وقد قلت أبياتا فاسمعها ، قال هات ، فأنشدته

انى استجرتك ان أُقدم فى الوغى لتطاعن وتنازل وحراب
فهَبِ السيوف رأيتها مشهورة فتركتها ومضيت فى الهُرّاب
ماذا تقول لما يجيء وما يرى من واردات الموت فى النُشّاب

فقال دع عنك هذا وستعلم ، وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة فقال اخرج اليه ياأبا دلامة ، فقلت أنشدك الله أيها الأمير فى دمى ، قال والله لتخرجن ، فقلت أيها الأمير فانه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنا والله جائع ما شبعت منى جارحة من الجوع فمر لى بشيء آكله ثم أخرج ، فأمر لى برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف ، فلما رآنى الشارى أقبل يحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فانفعل وعيناه تَقِدان ، فأسرع الى ، فقلت له على رِسْلك ياهذا كما أنت ، فوقف ؟ فقلت أتقتل من لايقاتلك؟ قال لا ، قلت أتقتل رجلا على دينك ؟ قال لا ، قلت أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقاتله الى دينك ؟ قال لا فاذهب عنى الي لعنة الله ، قلت لا أفعل أو تسمع مني ، قال قل ، قلت هل كانت بيننا قط عداوة أو تِرَة أو تعرفنى بحال تُحفظك علىّ أو تعلم بينى وبين أهلك وترا ، قال لا والله ، قلت ولا أنا والله أضمر لك الا جميل الرأى وانى لأهواك وانتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن

أراده لك ، قال ياهذا جزاك الله خيرا فانصرف ، قلت ان معى زادا أحب أن آكله معك وأحب مواكلتك لتتأكد المودة بيننا ويرى أهل العسكر هوانهم علينا ، قال فافعل ، فتقدمت اليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا ضحكا، فلما استوفينا ودعني، ثم قلت له ان هذا الجاهل ان أقمت على طلب المبارزة ندبني اليك فتتعبني وتتعب نفسك فان رأيت ألا تبرز اليوم فافعل، قال قد فعلت ، ثم انصرف وانصرفت فقلت لروح أما أنا فقد كفيتك قِرنى فقل لغيرى أن يكفيك قِرنه كما كفيتك ، فأمسك ، وخرج آخر يدعو الى البراز فقال لي اخرج اليه فقلت

انى أعوذ بروح أن يقدمنى	الى البراز فتخزى بى بنو أسد
ان البراز الى الأقران أعلمه	مما يفرق بين الرُّوح والجسد
قد حالفتك المنايا ان صمدت لها	وأصبحت لجميع الخلق بالرَّصَد
ان المهلَّب حبَّ الموت أورثكم	وما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها	لـكنها خلقت فردا فلم أجُد

فضحك وأعفانى

قال أبو أيوب المورياني لأبى جعفر وكان يشنَأُ أبا دلامة ان أبا دلامة معتكف على الخمر فما يحضر صلاة ولا مسجدا وقد أفسد فتيان العسكر فلو أمرته بالصلاة معك لأجرت فيه وفى غيره عن فتيان عسكرك بقطعه عنهم ، فلما دخل عليه أبو دلامة قال له ما هذا المجون الذى يبلغنى عنك فقال يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد شارفت باب قبرى ، قال دعنى من استكانتك وتضرعك واياك أن تفوتك الظهر والعصر فى مسجدى فلئن فاتتاك لأحسنن أدبك ولأطيلن حبسك، فوقع فى شر ولزم المسجد أياما ثم كتب قصة ودفعها الى المهدى فأوصلها الى أبيه وكان فيها

ألم تعلما ان الخليفة لزّنى	بمسجده والقصر مالى وللقصر

أصلي به الأولى جميعا وعصرها ... فويلى من الأولى وويلى من العصر
أصليهما بالكره فى غير مسجدى ... فمالى فى الأولى ولا العصر من أجر
لقد كان فى قومى مساجد جمّة ... ولم ينشرح يوما لغشيانها صدرى
يكلفنى من بعد ما شبت خُطة ... يحطبها عني الثقيل من الوزر
وما ضره والله يغفر ذنبه ... لو آن ظلوم العالمين على ظهرى

فقال صدق مايضرنى ذلك والله لايصلى هذا أبدا فدعوه يعمل ما يشاء

وقال الهيثم فى خبره قد أعفيناك من هذا الحال ولكن على ألا تدع القيام معنا فى ليالى شهر رمضان فقد أظل ، فقال أفعل ، قال فانك ان تأخرت لشرب الخمر علمت ذلك والله لئن فعلت لأحدَّنك ، فقال أبو دلامة البلية فى شهر أخف منها فى طول الدهر ، سمعا وطاعة ، فلما حضر شهر رمضان لزم المسجد وكان المهدى يبعث اليه فى كل ليلة حرَسيا يجيء به ،فشق ذلك عليه وفزع الى الخيزُران والى أبى عبيد الله وكل من يلوذ بالمهدى ليشفعوا له فى الاعفاء من القيام،فلم يجبهم،فقال له أبو عبيد الله الدال على الخير كفاعله فكيف شكرك ؟ قال أتم شكر ، قال عليك برَيطة فانه لايخالفها ، قال صدقت ، ثم رفع اليها رقعة يقول فيها

أبلغا رَيْطة أنى ... كنت عبدا لأبيها
فمضى يرحمه الله ... وأوصى بى اليها
وأراها نسيتنى ... مثل نسيان أخيها
جاء شهر الصوم يمشى ... مشية ما أشتهيها
قائدا لى ليلة القد ... ر كأنى أبتغيها
تنطح القبلة شهراً ... جبهتي لاتأتليها
ولقد عشت زمانا ... فى فيافٍ وجيها
فى ليال من شتاء ... كنت شيخا أصطليها

قاعدا أوقد نارا لضِباب أشتويها
وصَبوح وغَبوق فى عِلاب أحتسيها
ما أبالى ليلة القد ر ولا تسمعنيها
فاطلبى لي فرجا منها وأجرى لك فيها

فلما قرأت الرقعة ضحكت وأرسلت اليه اصطبر حتى تمضى ليلة القدر، فكتب اليها انى لم أسألك أن تكلميه فى اعفائى عاما قابلا واذا مضت ليلة القدر فقد فنى الشهر وكتب تحتها أبياتاً

خافي الهك فى نفس قد احتُضرت قامت قيامتها بين المصلينا
ما ليلة القدر من همى فأطلبها انى أخاف المنايا قبل عشرينا
ياليلة القدر قد كسرت أرجلنا ياليلة القدر حقا ما تمنينا
لا بارك الله فى خير أؤمله في ليلة بعد ما قمنا ثلاثينا

فلما قرأت الرقعة ضحكت ودخلت الى المهدى فشفعت له اليه وأنشدته الأبيات، فضحك حتى استلقى ودعا به وريطة معه فى الحجلة، فدخل، فأخرج رأسه اليه وقال قد شفعنا ريطة فيك وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم، فقال أما شفاعة سيدتى فى حتى أعفيتنى فأعفاها الله من النار، وأما السبعة الآلاف فما أعجبني ما فعلته اما أن تتمها بثلاثة آلاف فتصير عشرة أو تنقصنى منها ألفين فتصير خمسة آلاف فانى لا أحسن حساب السبعة، فقال قد جعلتها خمسة، فقال أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنت، فعبث به المهدى ساعة ثم تكلمت فيه ريطة فأتمها له عشرة آلاف درهم

عزم موسى بن داود بن على الهاشمى على الحج فقال لأبى دلامة احجج معى ولك عشرة آلاف درهم، فقال هاتها، فدفعت اليه، فأخذها وهرب الى السواد فجعل ينفقها هناك ويشرب الخمر، فطلبه موسى فلم يقدر عليه وخشى فوت الحج

تخرج ، فلما شارف القادسية اذ اهو بأبى دلامة خارج من قرية الى أخرى وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه فى محمل بين يديه ، ففعل ذلك به ، فلما سار غير بعيد أقبل على موسى وناداه

يأيها الناس قولوا أجمعون معا   صلى الاله على موسى بن داود
كأن ديباجتى خديه من ذهب   اذا بدا لك فى أثوابه السود
انى أعوذ بداود وأعظمه   من أن أكلف حجا يابن داود
خبرت أن طريق الحج معطشة   من الشراب وماشربى بتصريد
والله ما فيّ من أجر فتطلبه   ولا الثناء على دينى بمحمود

فقال موسى ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه ينصرف ، فألقى وعاد الى قصفه بالسواد حتى نفدت العشرة الآلاف درهم

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده

رأيتك فى المنام كسوت جلدى   ثيابا جمة وقضيت دينى
فكان بنفسجى الخز فيها   وساج ناعم فأتم زينى
فصدق يافدتك النفس رؤيا   رأتها فى المنام كذاك عينى

فأمر له بذلك وقال لا تعد أن تتحلم على ثانية فأجعلَ حلمك أضغاثا ولا أحققه ، ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكر وانصرف وهو يميل فلقيه العَسَس فأخذوه وقالوا له من أنت وما دينك ؟ فقال

دينى على دين بنى العباس   ما ختَم الطين على القرطاس
انى اصطبحت أربعا بالكاس   فقد أدار شربها براسى
فهل بما قلت لكم من باس

فأخذوه ومضوا وخرقوا ثيابه وساجه وأُتى به أبو جعفر ، وكان يؤتى بكل من أخذه العسس ، فحبسه مع الدجاج فى بيت ، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته

مرة فلم يجبه أحد ، وبيناهو فى ذلك اذ سمع صوت الدجاج وزُقاء الديوك ، فلما أكثر قال له السجان ما شأنك ؟ قال ويلك من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال فى الحبس وأنا فلان السجان ، قال من حبسنى ؟ قال أمير المؤمنين ، قال ومن خرق طيلسانى ، قال الحرس ، فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ، ففعل فكتب الى أبي جعفر

أمير المؤمنين فدتك نفسى ... علام حبستني وخرقت ساجى

أمن صفراء صافية المزاج ... كأن شعاعها لهبُ السراج

وقد طبخت بنار الله حتي ... لقد صارت من النُطَف النِّضاج

تَهش لها القلوب وتشتهيها ... اذا برزت تَرَقْرَقُ فى الزجاج

أُقاد الى السجون بغير جرم ... كأنى بعض عمال الخراج

ولو معهم حبست لكان سهلا ... ولكني حبست مع الدجاج

فدعا به وقال أين حبست يا أبا دلامة ؟ قال مع الدجاج ، قال فما كنت تصنع ؟ قال أقوق معهن حتى أصبت ، فضحك وخلى سبيله وأمر له بجائزة فلما خرج قال له الربيع انه شرب الخمر يا أمير المؤمنين أما سمعت قوله وقد طبخت بنار الله يعني الشمس ، فأمر برده ثم قال ياخبيث شربت الخمر ؟ قال لا ، قال أفلم تقل طبخت بنار الله تعني الشمس ؟ قال لا والله ما عنيت الا نار الله الموقدة التى تطلع على فؤاد الربيع ، فضحك وقال خذها ياربيع ولا تعاود .

صام الناس في سنة شديدة الحر على عهد المهدى وكان أبو دلامة يتنجز جائزة أمر له المهدى بها ، فكتب اليه أبو دلامة رقعة يشكو فيها أذى الحر والصوم وهى

أدعوك بالرَّحم التى قد جمعت ... فى القرب بين قريبنا والأبعد

الاّ سمعت وأنت أكرم من مشى ... من منشد يرجو جزاء المنشد

جاء الصيام فصمته متعبدا ... أرجو رجاء الصائم المتعبد

ولقيت من أمر الصيام وحره ... أمرين قيسا بالعذاب المرصد

وسجدت حتى جبهتى مشجوجة ... مما يناطحني الحصا فى المسجد

فامنن بتسريحى بمطلك بالذى ... أسلفتنيه من البلاء الموصد

فلما قرأ المهدى رقعته غضب وقال أى قرابة بيني وبينك ؟ قال رحم آدم وحواء أنسيتهما يا أمير المؤمنين ، فضحك وقال لا والله ما نسيتهما، وأمر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه ، وأنشده أيضا في ذم الصوم

هل فى البلاد لرزق الله مفترش ... أم لا ففى جلده من خشنه برش

أضحى الصيام مُنيخاوسط عَرْصتنا ... ليت الصيام بأرض دونها جُرَش

ان صمت أوجعني بطنى وأقلقنى ... بين الجوانح مس الجوع والعطش

وان خرجت بليل نحو مسجدهم ... أضرنى بصر قد خانه العمش

دخل أبو دلامة على سعيد بن دعلج مولى بنى تميم فقال

إذا جئت الأمير فقل سلام ... عليك ورحمة الله الرحيم

وأما بعد ذاك فلى غريم ... من الأعراب قُبِّح من غريم

غريم لازم بفناء بيتى ... لزومَ الكلب أصحاب الرَّقيم

له مائة على ونصف أخرى ... ونصف النصف فى صك قديم

دراهم ما انتفعت بها ولكن ... وصلت بها شيوخ بنى تميم

أتونى بالعشيرة يسألونى ... ولم أك فى العشيرة باللئيم

فأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال ما أساء من أنصف وقد كافأتك عن قومك وزدتك مائة

دخل أبو دلامة على المهدى فأنشده قصيدته فى بغلته المشهورة

أتانى بغلة يستام منى ... عريق فى الخسارة والضلال

فقال تبيعها؟ قلت ارتبطها ... بحكمك ان بيعى غير غال

فأقبل ضاحكا نحوى سرورا ... وقال أراك سمحا ذا جمال

هَلُمَّ الىَّ يخاوبى خِداعا وما يدرى الشقى لمن يخالى

فقلت بأر بعين، فقال أحسن الى فان مثلك ذو سجال

فأترك خمسة منها لعلمى بما فيه يصير من الخبال

فقال المهدى لقد أفلتَّ من بلاء عظيم ، قال والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها ثم أنشده

فأبدلنى بها يارب طِرْفا يكون جمال مركبه جمالى

فقال لصاحب دوابه خيره من الاصطبل بين مركبين ، قال يا أمير المؤمنين ان كان الاختيار لي وقعت فى شرمن البغلة ولكن مره أن يختار لي، فاختار له

طلب منه أبو مسلم فى بعض حروبه مع بنى أمية أن يبرز الى رجل دعا الى البراز فقال

ألا لا تلمني ان فــررت فاننى أخاف على فخارتى أن تحطما

فلو أنني فى السوق أبتاع مثلها وجدك ما باليت أن أتقـدما

دخل أبو دلامة على المهدى وهو يبكى فقال له مالك ؟ قال ماتت أم دلامة وأنشده لنفسه فيها

وكنا كزوج من قطًا في مفـازة لدى خفض عيش ناعم مؤنق رَغْد

فأفردنى ريب الزمان بصرفه ولم أر شيئا قط أوحش من فرد

فأمر له بثياب وطيب ودنانير وخرج ، فدخلت أم دلامـة على الخيزُران فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات ، فأعطتها مثل ذلك وخرجت ، فلما التقى المهدى والخيزُران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك و يعجبان

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده

أما ورب العـاديات ضَبْحا حقـا ورب الموريات قَدْحا

ان المغـيرات علىَّ صبحـا والفاتـكات من فؤادى قرحا

عشر ليـــال بينهن سبحا يتلفن مالي كل عام صبحا

فقال أبو جعفر وكم تذبح ؟ قال أربعة وعشرين شاة ، ففرض له على كل هاشمي أربعة وعشرين دينارا فكان يأخذها منهم ، فأتى العباس بن محمد فى عشر الأضحى يتنجزها ، فقال ياأبا دلامة أليس قد مات ابنك ؟ قل بلى ، قال انقصوه دينارين ، قال أصلح الله الأمير لا تفعل فانه ترك على ولدين ، فأبى الا أن ينقصه فخرج وهو يقول

أخطاك ما كنت ترجوه وتأمُله   فاغسل يديك من العباس بالياس
واغسل يديك بأُشنان فأنقهما   مما تؤمل من معروف عباس
جزاك ربك ياعباس عن فرج   جنات عدن وعني جرزتى آس

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك واغتاظ على العباس وأمره بأن يبعث اليه بأربعة وعشرين دينارا أخرى ، وقيل ان الذى نقصه الدينارين على بن صالح وقال له انما نقصتك دينارين لموت ابنك دلامة ، فحلف لا يأخذ الا خمسين دينارا ، ثم قام مغضبا ، فأتبعه الرسول فأعطاه اياها ، فقال له أولى له ، أما ما سبق فلا حيلة فيه والمستأنف فقد أمنه وقد كان قال فيه

لعلى بن صالح بن علىّ   نسب لو يعينه بسماح
وبنو مالك كثير ولكن   مالنا فى بقائهم من فلاح
غير فضل فان للفضل فضلا   مستبينا على قريش البطاح

خاصم رجل أبا دلامة فى داره فارتفعا الى عافية القاضى فأنشأ أبو دلامة يقول

لقد خاصمتني دهاة الرجال   وخاصمتها سنة وافية
فما أدحض الله لى حجة   ولا خيب الله لى قافية
ومن خفت من جوره فى القضاء   فلست أخافك ياعافية

فقال له عافية والله لأشكونك الى أمير المؤمنين ولأعلمنه انك هجوتنى ، قال إذاً يعزلك ، قال ولمه ؟ قال لأنك لا تعرف المديح من الهجاء ، فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبى دلامة بجائزة

دخل أبو دلامة على المهدى وعنده اسمعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس بن محمد ومحمد بن محمد بن ابراهيم الامام وجماعة من بنى هاشم فقال له أنا أعطى الله عهدا لئن لم تَهجُ واحدا ممن فى البيت لأقطعن لسانك ، فنظر اليه القوم فكلما نظر الى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه ، قال أبو دلامة فعلمت أنى قد وقعت وأنها عزْمة من عزَماته لابد منها فلم أر أحدا أحق بالهجاء منى ولا أدعى الى السلامة من هجاء نفسى فقلت

الا أبلغ لديك أبا دلامة — فليس من الكرام ولا كرامة
إذا لبس العمامة كان قردا — وخنزيرا اذا نزع العمامة
جمعت دَمامة وجمعت لؤما — كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
فان تك قد أصبت نعيم دنيا — فلا تفرح فقد دنت القيامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه

خرج المهدى وعلى بن سليمان الى الصيد فسنح لهما قطيع من الظباء فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، فرمى المهدى ظبيا بسهم فصرعه ، ورمى على ابن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله فقال أبو دلامة

قد رمى المهدى ظبيا — شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما — ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كا — يأ كل زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه وقال صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة سنية فلقب على بن سليمان صائد الكلب وعلق به

أنشد أبو دلامة المنصور يوما

هاتيك والدتى عجوز همة — مثل البلية درعها فى المِشْجَب [1]

---

(١) المشجب خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر

مهزولة اللَّحيين من يرها يقل أبصرت غُولا أو خيال القُطرُب (٢)
ما ان تركت لها ولا لابن لها ما لا يؤمل غير بكر أجرب
ودجاجا خمسا يرحن اليهمُ لما يبضن وغير عنز مُغرَب (٣)
كتبوا الىّ صحيفة مطبوعة جعلوا عليها طينة كالعقرب
فعلمت أن الشر عند فكاكها ففككتها عن مثل ريح الجَوْرب
واذا شبيه بالأفاعى رُقشت يوعدنني بتلمظ وتثؤب
يشكون أن الجوع أهلك بعضهم لزبا فهل لك فى عيال لُزَّب
لا يسألونك غير طلّ سحابة تغشاهمُ من سيلك المتحلب
ياباذل الخيرات ياابن بذولها وابن الكرام وكل قَرم مُنْجب
أنتم بنو العباس يعلم أنكم قِدما فوارس كل يوم أشهب
أحلاس خيل الله وهى مغيرة يخرجن من خلل الغبار الأكهب

فأمر له بدار يسكنها وكسوة ودراهم وكانت الدار قريبة من قصره ، فأمر أن تزاد فى قصره بعد ذلك لحاجة دعته اليها فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله

يا ابن عم النبى دعوة شيخ قد دنا هدم داره ودماره
فهو كالماخض التى اعتادها الطَّلْق فقرت وما يقر قراره
ان تحز عسرة بكفك يوما فبكفيك عسره ويساره
أو تدعه فللبوار وأنى ولماذا وأنت حى بَواره
هل يخاف الهلاكَ شاعر قوم قدمت فى مديحهم أشعاره
لكم الأرض كلها فأعيروا شيخكم ما احتوى عليه جداره
فكأن قد مضى وخلف فيكم ما أعرتم وأقفرت منه داره

فاستعبر المنصور وأمر بتعويضه دارا خيرا منها ووصله

---

(١) القطرب ذكر الفيلان (٢) المغرب الابيض من كل شيء

دخل على المهدى يوما وعنده محرز ومقاتل ابناذُوال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة ويعيبانه عنده فقال

الا أيها المهدىّ هل أنت مخبرى — وان أنت لم تفعل فهل أنت سائلى

الم ترحم اللحيين من لحيتيهما — وكلتاهما فى طولها غير طائل

وان أنت لم تفعل فهل أنت مكرمى — بحلقهما من محرز ومقاتل

فان يأذن المهدى لي فيهما أقل — مقالا كوقع السيف بين المقاتل

والا تدعنى والهموم تنوبنى — وقلبى من العلجين جمّ البلابل

فقال أوْ آخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يفديان بهما أعراضهما منك ، قال ذلك الى أمير المؤمنين ، فأخذها له منهما وأمسك عنهما

توفيت حمادة بنت عيسى وحضر المنصور جنازتها ، فلما وقف على حفرتها قال لأبى دلامة ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها ، فضحك المنصور حتى غلب فستروجهه

حجت الخيزُران فلما خرجت صاح بها أبو دلامة فقالت سلوه ما أمره ؟ قال أدنونى من محملها ، فقالت أدْنُوه ، فأُدنى ، فقال أيتها السيدة انى شيخ كبير وأجرك فىّ عظيم ، قالت فمه ؟ قال تهبين لى جارية من جواريك تؤنسنى وتَرْفُق بى وتريحني من عجوز عندى قد أكلت رفدى وأطالت كدى فقد عاف جلدى جلدها وتمنيت بعدها وتشوفت فقدها ، فضحكت الخيزران وقالت سوف آمر لك بما سألت ، فلما رجعت تلقاها وذكرها وخرج معها الى بغداد فأقام حتى غَرِض ، ثم دخل على أم عَبيدة حاضنة موسى وهرون فدفع اليها رقعة قد كتبها الى الخيزران فيها

أبلغى سيدتى باللـــه يا أم عَبيـدة

انها أرشدها اللـــه وان كانت رشيدة

وعدتني قبل أن تخـــرج للحج وليـدة

فتـــأنيت وأرسلـــت بعشرين قصيدة

كلما أخلق أخلفـــت لها أخرى جديدة

ليس في بيـتى لتمهيـــد فراشي من قعيدة

غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديدة

وجهها أقبح من حو ت طرى في عصيدة

ما حياة مع أنثى مثل عرسى بسعيدة

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت واستعادتها منه لقوله « حوت طرى فى عصيدة » وجعلت تضحك ووهبت له جارية

دخل على المهدى وعنده شاعر ينشده فقال له ما ترى فيه ؟ قال انه قد جهد نفسه لك فاجهد نفسك له، فقال له المهدى وأبيك انها لكلمة عذراء منك، أحسبك تعرفه ، قال لا والله ما عرفته ولا قلت أنا الا حقا ، فأمر للشاعر بجائزة ولأبى دلامة بمثلها لحسن محضره

قال أبو عبد الله العقيلى رأيت على أبى دلامة فروة في الصيف فقلت له ألا تَملّ هذه الفروة ؟ قال بلى ورب مملول لا يستطاع فراقه ، فنزعت فضل ثيابى في موضعى ودفعتها اليه

دخل يوما على المهدى فحادثه ساعة وهو يضحك وقال له هل بقي أحـد من أهلى لم يصلك ؟ قال ان أمنتني أخبرتك وان أعفيتنى فهو أحب الى ، قال بل تخبرنى وأنت آمن ، قال كلهم قد وصلني الا حاتم بني العباس ، قال ومن هو ؟ قال عمك العباس بن محمد ، فالتفت الى خادم على رأسه وقال جأ عنقه ، فلما دنا منه صاح به أبو دلامة تنح ياعبد السوء لا تُحنث مولاك وتنكثه عهده وأمانه ، فضحك المهدى وأمر الخادم فتنحى عنه ثم قال لأبى دلامة ويلك والله عمى أبخل الناس

فقال أبو دلامة بل هو أسخى الناس ، فقال له المهدى والله لو مت ما أعطاك شيئا ، قال فان أنا أتيته فأجازنى ، قال لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم ، فانصرف أبو دلامة فحبر للعباس قصيدة ثم غدا بها عليه وأنشده

قف بالديار وأىَّ الدهر لم تقف ... على المنازل بين الظهر والنَّجَف
وما وقوفك فى أطلال منزلة ... لولا الذى استدرجت من قلبك الكلف
ان كنت أصبحت مشغوفا بساكنها ... فلا وربك لا تشفيك من شغَف
دع ذا وقل فى الذى قد فاز من مُضَر ... بالمكرمات وعز غير مقترف
هذى رسالة شيخ من بني أسد ... يُهدى السلام الى العباس فى الصحف
تخطها من جوارى المصر كاتبة ... قد طالما ضربت فى اللام والألف
وطالما اختلفت صيفا وشاتية ... الى معلمها باللوح والكتف
حتى اذا نهد الثديان وامتلاَ ... منها وخيفت على الاسراف والقرَف
صينت ثلاث سنين ما ترى أحدا ... كما يصون تجار دُرّة الصدف
فبينما الشيخ يهوى نحو مجلسه ... مبادرا لصلاة الصبح بالسدفه
حانت له لمحة منها فأبصرها ... مطلة بين سجفيها من الغرف
فخر والله يدرى غدا تئذ ... أخر منكشفا أم غير منكشف
وجاءه الناس أفواجا بمائهمُ ... ليغسلوا الرجل المغشىّ بالنطَف
ووسوسوا بقُرآن فى مسامعه ... تخافه الجنّ والانسان لم يخف
شيئا ولكنه من حب جارية ... أمسى وأصبح موقوفا على التلف
قالوا لك الويل ما أبصرت؟ قلت لهم ... تطلعت من أعالى القصر ذى الشرَف
فقلت أيكمُ والله يأجره ... يعين قوته فيها على ضعف
فقام شيخ بهىّ من رجالهمُ ... قد طالما خدع الأقوام بالحلف
فابتاعها لي بألفى درهم فأتى ... بها اليّ فألقاها على كتفى

فبين ذاك كذا اذ جاء صاحبها　　يبغى الدراهم بالميزان ذى الكِفَفَ

وذكر حق عـــلى زند وصاحبه　　والحق فى طرف والطين فى طرف

وبين ذاك شهـــود لا يضرهمُ　　أكنت معترفا أم غير معترف

فان يكن منك شيء فهو حقهمُ　　أولا فانى مدفوع الى التلـــف

فضحك العباس وقال ويحك أصادق أنت ؟ قال نعم والله ، قال ياغلام ادفع اليه ألفى درهم ثمنها ، فأخذها ثم دخل على المهدى فأخبره القصة وما احتال له ، فأمر له المهدى بستة آلاف درهم ، وقال له المهدى كيف لا يضرهم ذلك ؟ قال لأنى معدم لا شيء عندى

كان كثير الزيارة للجنيد النخاس وكان يتعشق جارية له ويُبغضه ، فجاءه يوما فقال أخرج لي فلانة، فقال الى متى تخرج اليك ولست بمشتر ؟ قال فانى أخ يمدح ويطرى ويطوى ، فقال ما أنا بمخرجها اليك أو تقول فيها شعرا ، قال فاحلف بعتقها أن تُرَوِّيها اياه وتأمرها بانشاده من أتاك يعترضها ولا تحجبها ، فحلف لا يحجبها فقال أبو دلامة

انى لأحسب أن سأمسى ميتا　　أو سوف أصبح ثم لا أمسى

من حب جارية الجنيد وبغضه　　وكلاهمـا قاض على نفسى

فكلاهما يشفى به ســـقمى　　فاذا تـكلم عاد لي نكسى

دخل على اسحق الأزرق يعوده ، وكان اسحق قد مرض مرضا شديداً ثم تعافى منه وأفاق فكان من ذلك ضعيفا وعند اسحق طبيب يصف له أدوية تقوى بدنه، فقال أبو دلامة للطبيب أتصف هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض ؟ ما أردت والله الا قتله ، ثم التفت الى اسحق فقال اسمع أيها الأمير منى ، قال هات ماعندك ياأبا دلامة ، فأنشأ يقول

نحِّ عنك الطبيب واسمع لنعتى　　اننى ناصح من النصاح

ذو تجاريب قد تقلبت فى الصحـــة دهرا وفى السَّقام المُفتـاح

غاد هذا الكباب كل صباح ‏ من متون الفتيـــة السحاح

فاذا ما عطشت فاشرب ثلاثا ‏ من عتيق فى الشم كالتفاح

ثم عند المساء فاعكُف على ذا ‏ وعلى ذا بأعظم الأقـداح

فتقوى ذا الضعف منك وتلقى ‏ عن ليال أصح هذا الصحاح

فضحك اسحق وعواده وأمر لأبى دلامة بخمسمائة درهم ، وكان الطبيب نصرانيا فقال أعوذ بالله من شرك يا ركل « يريد يارجل » وقال الطبيب اقبل مني أصلحك الله ولا تسألنى عن شيء قدامه ، فقال أبو دلامة أما وقد أخذت أجرة صَفقتى وقضيت الحق فى نصح صديقى فانعت له الآن أنت ما أحببت

دخل على المهدى وبين يديه سلَمة الوصيف واقفا فقال انى أهديت اليك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحـد مثله فان رأيت أن تشرفنى بقبوله ، فأمر بادخاله اليه ، فخرج وأدخل اليه دابته التى كانت تحته فاذا برِذَون محطَّم أعجف هَرِم ، فقال له المهدى أى شيء هذا ؟ ألم تزعم أنه مهر ؟ قال له أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائما تسميه الوصيف وله ثمانون سنة وهو عندك وصيف ؟ فاذا كان سلمة وصيفا فهذا مهر ، فجعل سلمة يشتُمه والمهدى يضحك ، ثم قال المهدى لسلمة ويلك ان لهذه منه أخوات وان أتى بها فى محفل فَضحَك ، فقال أبو دلامة والله لأفضحنّه يا أمير المؤمنين فليس من مواليك أحد الا وقد وصلني غيره فانى ما شربت له الماء قط ، قال فقد حكمت عليه أن يشترى نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك ، قال قد فعلت على ألاّ يعاود ، فقال له ما ترى ؟ قال أفعل فلولا أنى ما أخذت منه شيئا قط ما فعلت معه مثل هـــذه ، فمضى سلمة فحملها اليه

كان عند المهدى رجل من بني مرْوان فدخل اليه وسلم عليه ، فأتى المهدى بعِلج

فأمر المرواني بضرب عنقه ، فأخذ السيف وقام فضرب به فنبا السيف عنه ، فرمى به المرواني وقال لو كان من سيوفنا ما نبا ، فسمع المهدي الكلام فغاظه حتى تغير لونه وبان فيه ، فقام يقطين فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ثم قال يا أمير المؤمنين ان هذه سيوف الطاعة لا تعمل الا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية ، ثم قام أبو دلامة فقال يا أمير المؤمنين قد حضرني بيتان أفأقولهما ؟ قال قل ، فأنشده

أيهذا الامام سيفك ماض ... وبكفِّ الولي غير كهام

فاذا ما نبا بكف علمنا ... انها كف مبغض للامام

فسُرّي عن المهدي وقام من مجلسه وأمر حجابه بقتل الرجل المرواني ، فقتل

شعراء كنانة

العطوى

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، بصري المولد والمنشأ ، وكان شاعرا كاتبا من شعراء الدولة العباسية ، واتصل بأحمد بن أبي دُؤاد وتقرب اليه بمذهبه وتقدمه فيه بقوة جداله عليه ، فلما توفي أحمد نقصت حاله وله فيه مدائح يسيرة ومراثٍ كثيرة منها

حنّطته يا نصر بالكافور ... وزففته للمنزل المهجور ؟

هلا ببعض خصاله حنطته ... فيضوع أفق منازل وقبور

تالله لو من نشر أخلاق له ... يعزى الى التقديس والتطهير

حنطت من سكن الثرى وعلا الربا ... لتزودوه عُدة لنشور

فاذهب كما ذهب الوفاء فانه ... ذهبت به ريحا صباً ودبور

واذهب كما ذهب الشباب فانه ... قد كان خير مصاحب وعشير

واللهِ ما أَبَّنتُهُ لأزيـــده　　شرفا ولـكن نفثةُ المصدور

ومنها

وليس صَرير النعش ما تسمعونه　　ولـكنه أصلاب قوم تقصَّف

وليس نسيم المسك ريّا حنوطه　　ولـــكنه ذاك الثناء المخلف

وصفه محمد بن داود فى كتاب الشعراء فقال ، كان له فن من الشعر لم يسبق اليه، ذهب فيه الى مذهب أهل الـكلام ففارق جميع نظرائه وخف شعره على كل لسان وروى واستعمله الـكتاب واحتذوا معانيه وجعلوه اماما

سمع العطوى رجلا يحدث أن رجلا قال لعمر بن الخطاب ان فلانا قد جمع مالا ، فقال عمر فهل جمع له أياما ؟ فأخذ العطوى هذا المعنى فقال

أرْفِهْ بعيش فتى يغدو على ثقة　　أن الذى قسم الأرزاق يرزقه

فالعِرْض منه مصون لا يدنسه　　والوجه منه جديد ليس يخلقه

جمعت مالا ففكر هـل جمعت له　　ياجامع المـــال أياما تفرقه

المـــال عندك مخزون لوارثه　　ما المال مالك الا حين تنفقه

ومن قوله وفيه غناء

فكم قالوا تمنّ فقلت كأس　　يطوف بها قضيب من كثيب

ونَدْمان تساقطنى حـديثا　　كلحظ الحب أو غض الرقيب

كان يشرب مع أصدقاء له من الـكتاب ومعهم قَينة يقال لها مصباح من أحسن الناس وجها وأطيبهم غناء فما زالوا فى قَصْف وعزْف الى أن انقطع نبيذهم فبقوا حيارَى وكانوا قريبا من منزل أبي العباس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر العلوى وكان صديقا للعطوى فكتب اليه

يا بن من طاب فى المواليد من آ　　دم جراً الى الحسين أبيه

انا بالقرب منك عند كريم　　قد ألحت عليه شُهْب سِنيه

عنـــده قينة اذا ما تغنت عادمنهـــا الفقية غير فقيه

تزدهيني وأين مثلى فى الفهـــم تغنيـــه ثم لا تزدهيه

مجلس كالرياض حسنا ولكن ليس قطب السرور واللهو فيه

وبأشياخك الكرام الى السو دد موسى بن جعفر وأبيـــه

ان تجشمتني وان كنت الا مثل ما يأنس الفتى بأخيه

فأرسل اليهم براوية شراب فلم يزالوا يشربون مجتمعين حتى نقدت فى أخفص عيش. ومما يغنى فيه من شعره

الراح والندمان أحسن منظرا فى كل ملتف الحدائق رافق

فاذا جمعت صفاءه وصفاءها فازجج(١) بكل ملمة من حالق

قال المبرد كان العطوى وهو عندنا بالبصرة لا ينطق بالشعر ثم ورد علينا شعره لما صار الى سر من رأى وكنا نتهاداه وكان مقترا عليه دفرا وسخا منهوما بالنبيذ وله في وصف الصبوح وذكر الندامى والمجالس أحسن قول ، وليس له قول يسقط فمن ذلك قوله

فيئى إلى أهدى السبل قولا وعلما وعمـــل

قاتلها الله لقـــد سامتكما إحدى العضل

تقول هلا رحـــلة تنقلنا خـــير نقل

أخشى على جائلة الا آمال جوال الأجل

قال اسحق بن الضحاك بن الخصيب الكاتب جاءنى يوما أبو عبد الرحمن العطوى بعد وفاة أحمد بن الخصيب بسنتين وكان صديقه وصنيعته ، فجلس عندى يحادثني حديثه ونبكي ساعة طويلة ، ثم تغيمت السماء وهطلت فسألته أن يقيم عندى ، فحلف ألا يفعل إلا بعد أن أحضره من وقتى ماراج من الطعام ولا أتكلف له شيئاً ، ففعلت وجئته بما حضر ، فقال لى مافعلت عقد ؟ قلت باقية وهى فى يومنا

(١) زج بالشىء رمى به والحالق الجبل العالى

هـذا مقيمة عندي والساعة تسمع غناءها ، فقال لي عجل إذاً فان النهار قصير ، ثم أنشأ يقول

أدِر الـكأس قد تعالى النهار ... ما يميت الهمومَ إلا العُقار

صاح هـذا الشتاء فاغدُ عليها ... إن أيامه لِذاذ قصار

أى شيء ألذ من يوم دَجْن ... فيه كأس على النـدامَى تدار

وقيان كأنهن ظباء ... فاذا قلن قالت الأوتار

كان لأبى عبد الرحمن صـديق من الأدباء وكان يَعشق جارية من جوارى القِيان يقال لها عثعث ، وكان لا يقـدر عليها إلا على لقاء عسير واجتماع يسير ، فأرسل اليها يوما فأحضرها يوم رَذاذ به من الطيب والحسن ما الله به عليم ، فكتب الى صديقه يعرفه الخبر ويسأله المصير اليه ووصف له القصة بشعر فقال

يوم مَطير وعيش نَضـير ... وكأس تدور وقدر تفور

وعثعث تأتى إذا جئتنا ... فتسمع منها غناء يصور (١)

وعنـدى وعندك ماتشتهيـ ... ـه شعر يمر وعلم يدور

وإذ كان هذا كما وصفت ... فان التفرق خطب كبير

فقم نصطبح قبل فوت الزمان ... فان زمان التلهى قصير

فسار اليه صاحبه فمر لها أحسن يوم وأطيبه ، وهذا الشعر أخذه العطوي من كلام اسـحق فى وصف يوم له وهو « كنا فى مجلس نظامه سرور بين قدر تفور وكأس تدور وغناء يصور وحديث لايجور ونِدامى كأنهم البـدور » قال اسحق وقلت لأعرابى كان يألفني أين كنت بالأمس ؟ قال كنت عند بعض ملوك سُرَّ من رأى فأدخلني إلى قبة كايوان كسرى وأطعمنى فى قِصاع تَتْرَى وغنتنى جارية سكرى تلعب بالمضراب كأنه مِذرَى فياليتني لقيتها مرة أخرى. وقلت لبعض الاعراب

(١) صار يصور صوت والشيء الى نفسه أماله

طلبتك أمس فلم أجدك فأين كنت ؛ قال كنت عند صديق لى فأطعمني بنات التنانير وأطعمني أمهات الأبازير وحلواء الطناجير وسقاني زُعاف القوارير وأسمعني غِناء الشادن الغرير على العيدان والطنابير قد ملكت بأوقار الدراهم والدنانير

شعراء قريش

أبو النضير

عمر بن عبد الملك بصري مولى لبني جمح ، شاعر من شعراء البصريين صالح المذهب ليس من المعدودين المتقدمين ولا من المولدين الساقطين ، وكان يغنى بالبصرة على جوار له مولدات ويظهر الخلاعة والمجون والفسق ويعاشر جماعة ممن يعرف بذلك الشأن ، وكان أبان اللاحقى يعاشره ثم تصارما وهجاه وهجا جواريه وافترقا على قِلًى ، ثم انقطع أبو النضير الى البرامكة فأغنوه الى أن مات ، قال اسحق لو قيل لى من أظرف من لاقيت قط أو عاشرته لقلت أبو النضير ، ومن قوله يهنئ الفضل بن يحيى وفيه غناء .

ويفرح بالمولود من آل برمك بُغاة الندى والرمح والرمح والنصل
وتنبسط الآمال فيه لفضله ولا سيما ان كان من ولد الفضل

ومن قول الفضل بن يحيى لأبي النضر أنت القائل فينا

اذا كنت فى بغداد من رأس فرسخ وجدت نسيم الجود من آل برمك

لقد ضيقت علينا جدا ، قال أفلا جل ذلك أيها الأمير ضاقت على صلتك وضاقت عني مكافأتك وأنا الذي أقول

تشاغل الناس ببنيانهم والفضل فى تدبيره جاهد
كل ذوي الفضل وأهل النهى للفضل فى تدبيره حامد

وعلى ذلك فما قلت البيت الأول كما بلغ الأمير وانما قلت

اذا كنت من بغداد منقطع الثرى وجدت نسيم الجود من آل برمك

فقال الفضل أنما أخرت عنك لأمازحك ، وأمر له بثلاثين ألف درهم

وكان يهوى عنان جارية الناطفى وفيها يقول وفيه غناء

أنا والله أهـــواك وأهـواك وأهـواك
وأهوى قبلة منك على بَرْد ثنـاياك
وأهْوَى لك ما أهوي لنفسى وكفى ذاك
فهـــل ينفعنى ذاك يوما حين ألقاك
أنا والله أهـــواك وما يشعر مولاك
فاياك بأن يعلـــم اياك وايـــاك

ومن قوله وفيه غناء

أيصحو فؤادك أم يَطْرَب وكيف وقد شَحَطت زينبُ
جرى الناس قبل أبى جعفر زمانا فلم يُدْرَ من غلبوا
فلما جرى بأبى جعفر بنو تغلب سبقت تَغْلِب

وأبو جعفر هذا هو عبد الله بن هشام بن عمرو التغلبى الذى يذكره العتابى فى شعره ورسائله وكان جوادا سخيا وكان ولى السند وفيه يقول أبو النضير

الا أيها الغيث الذي سَحّ وبله كأنك تَحكى راحة ابن هشام
كأنك تحكيها ولكن جوده يدوم وقد تأتى بغـــير دوام
وفيك جهام ربما كان مُخْلفا وراحته تغدو بغـــير جهام

وكان أبو النضير يزعم ان الغناء على تقطيع العروض ويقول هكذا كان الذين مضَوْا يقولون ، وكان مستهزئا بالغناء حتى تعاطى أن يغني وكان ابراهيم الموصلى يخالفه فى ذلك ويقول العروض محدَث والغناء قبله فقال اسحق بن ابراهيم ينصر أباه

سكت عن الغناء فلا أمارى بصيرا لا ولا غير البصير

مخافة أن أجَنن فيه نفسى   كما قد جن فيه أبو النَّضِيرِ

دخل على الفضل بن الربيع فقال هل أحدثت بعدى شيئا قال نعم قلت أبياتا فى امرأة تزوجتها وطلقتها لغير علة الا بغضى لها وانها لبيضاء بَضّة كأنها سبيكة فضة ، فقال وما قلت فيها ؟ قال

رحلت سُكَينة بالطلاق   فأرحت من غُلّ الوَثاق

رحلت فلم تألَم لهـــا   نفسى ولم تدمع مآقى

لو لم تَبِنْ بطـلاقهـــا   لأبنت نفسى بالإباق

وشفـــاء ما لا تشتهيـ   ـه النفس تعجيل الفراق

فقال يا غلام الدواة والقرطاس ، فأتى بهما فأمرنى فكتبت له الأبيات ثم قلت له أنت والله تُبغض بنت أبى العباس الطوسى ، فقال اسكت أخزاك الله ، ثم ما لبث أن طلقها

قال اللاحقى كان جدى أبان يشرب مع اخوان له على شاطىء دجلة بعد مصارمته أبا النضير وكان القوم أصدقاء له ولأبى النضير فذكروه ، فقال جدى ان حضر انصرفت ، فأمسكوا فقال جدى فيه

رب يوم بشط دجلة لذ   وليـــال نعمت فيها لِذاذ

غيبـــة لم تطل علىّ وماذا   خير قرب المُطَرْمذ [1] المَلاّذ

ترك الأشربات ليس يعاطى   لرَساطونها [2] ولا الرّاقياذ

وحكى الأحمق الذى ليس يدرى   أن خير الشراب هذا اللذاذ

ضل رأى أراه ذاك كما ضـــل غواة لاذوا بشر ملاذ

أنت أعمى فيما ادعيت كما لســـت لصوغ الألحان بالأستاذ

كان ذنباً أتوب منه الى اللـــه اختياريك صاحبا واتخاذى

(١) طرمذ عليه صلف وكان مفتخرا نفاجا وهو الفخور بما ليس عنده ، وملذ فلانا أرضاه بكلام لطيف وأسمعه ما يسر ولا فعل له معه (٢) الرساطون الخمر

إن لله صوم شهرين شكراً إن قضى منك عاجلا إنقاذى

لا لدين ولا لدنيا ولا تصلح فى علم ما ادعى بنفاذ

كتب الى حماد عجرد يسأله عن حاله فى الشراب وشربه اياه ومن يعاشر عليه فكتب اليه حماد

أبا النضير اسمع كلامى ولا تجعل سوى الانصاف من بالكا

سألت عن حالى وماحال من لم يلف الا عابداً ناسكا

يظهر لى ذا فتى يفترص شيئاً بجده عاديا فاتكا

يعنى حريث بن عمرو وكان حماد نزل عليه ، وكان حريث هذا مشهوراً بالزندقة وكذلك حماد كان مشهوراً بها فنزل عليه لذلك

سلم بن عمرو الخاسر

مولى بنى تَيْم بن مرة ، بصرى شاعر مطبوع متصرف في فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، ولقب الخاسر لأنه ورث من أبيه مصحفا فباعه واشترى بثمنه طنبوراً ، وهو راوية بشار بن بُرْد وتلميذه وعنه أخذ ومن بحره اغترف وعلى مذهبه ونَمطه قال الشعر ، وكان صديقا لابراهيم الموصلى ولأبى العتاهية خاصة من الشعراء والمغنين ثم فسد مابينه وبين أبى العتاهية ، وكان سلم منقطعا إلى البرامكة وإلى الفضل بن يحيى خصوصا من بينهم ، وفيه يقول أبو العتاهية

انما الفضل لسَلْم وحده ليس فيه لسوى سلم درك

وكان هذا أحد الأسباب فى فساد مابينه وبين أبى العتاهية ، ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حج مع عتبة

والله والله ما أبالى متى مت ياسلم بعد ذا السفر

أليس قد طفت حيث طافت وقبـ ـلت الذى قبلت من الحجر

وله يقول أبو العتاهية وقد حبس ابراهيم الموصلى

سلم ياسلم ليس دونك سر حبس الموصلى فالعيش مر

ما استطاب اللذات مذ سكن المطبق رأس اللذات والله حر

ترك الموصلى من خلق الله جميعاً وعيشهم مقشعر

لما بنى صالح بن المنصور قصره بدجلة قال فيه سلم

ياصالح الجود الذى مجده أفسد مجد الناس بالجود

بنيت قصراً مشرفا عاليا بطائرى سعد ومسعود

كأنما يرفع بنيانه جن سليمان بن داود

لازلت مسروراً به سالماً على اختلاف البيض والسود[1]

لما قال بشار قصيدته المميمية فى عمر بن العلاء وهى التى يقول فيها

إذا نبهتك صعاب الأمور فنبه لها عمرا ثم نم

فتى لايبيت على دِمنة ولايشرب الماء إلا بدم

بعث بها مع سلم الى عمر بن العلاء فوافاه فأنشده اياها ، فأمر لبشار بمائة ألف درهم ، فقال له سلم ان خادمك « يعني نفسه » قد قال فى طريقه فيك قصيدة ، قال فانك لهناك ؟ قال تسمع ثم تحكم ، قال هات فأنشده

قد عزنى الداء فمالي دواء مما ألاقى من حسان النساء

قلب صحيح كنت أسطو به أصبح من سلمي بداء عياء

أنفاسها مسك وفى طرفها سحر وماله غيرها من دواء

وعدتني وعداً فأوفي به هل تصلح الخمرة إلا بماء

ويقول فيها

كم كربة قد مسني ضرها ناديت فيها عمر بن العلاء

(١) يعنى الايام والليالى

فأمر له بعشرة آلاف درهم فكانت أول عطية سنية وصلت اليه

ومن قوله فى عاصم بن عتبة الغسانى

لعاصم سمـاء	عارضها تهتان
أمطارها اللجين	والدر والعقيان
وناره تنـادى	إذخبت النيران
الجود فى قحطان	مابقيت غسان
اسلم ولا أبالي	ما فعل الاخوان
صلت له المعالي	والسيف والسنان
ماضر مرتجيه	من عثرة الزمان
من غاله مخوف	فعاصم أمان

وكانت سبعين بيتاً فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم ، وكان مبلغ ماوصل لسلم من عاصم خمسمائة ألف درهم ، فلما حضرته الوفاة دعا عاصما فقال له انى ميت ولا ورثة لى وان مالى مأخوذ فأنت أحق به، فدفع اليه خمسمائة ألف درهم ، ولم يكن لسلم وارث وكان عاصم هذا جوادا

ومن قوله يرثى باقونة بنت المهدي

أودى بباقونة ريب الزمان	مؤنسة المهدى والخيزران
لم تنطو الأرض على مثلها	مولودة حنّ لها الولدان
باقون يابنت امام الهدى	أصبحت من زينة أهل الجنان
بكت لك الأرض وسكانها	فى كل أفق بين انس وجان

كان سلم قدمدح بعض العلويين فبلغ ذلك المهدى فتوعده وهمّ به فقال سلم فيه

انى أتتنى عن المهدى معتبة	تكادمن خوفها الأحشاء تضطرب
اسمع فداك بنو حوّاء كلهم	وقديجور برأس الكاذب الكذب

فقد حلفت يميناً غير كاذبة ... يوم المغيبة لم يقطع لها سبب

ألا يحالف مدحي غيركم أبداً ... ولو تلاقى على الغَرْض(١) والقتَب

ولو ملكت عِنان الريح أصرفها ... في كل ناحية ماقاتها الطلب

مولاك مولاك لاتشمت أعاديه ... فما وراءك لي ذكر ولانسب

فعفا عنه

قال أبو عبيدة كان سلم لايحسن أن يمدح ولكنه كان يحسن أن يرثي ويسأل

قال يحيى بن الحسن حدثني أبي قال كنت أنا والربيع نسير قريبا من محمل المنصور حتى قال للربيع رأيت كأن الكعبة تصدعت وكأن رجلا جاء بحبل أسود فشددها، فقال له الربيع من الرجل ؟ فلم يجبه حتى اذا اعتل قال للربيع أنت الرجل الذي رأيته في نومي شدد الكعبة فأي شيء تعمل بعدي ؟ قال ما كنت أعمل في حياتك ، فكان من أمره في أخذ البيعة للمهدي ما كان فقال سلم في الفضل ابن الربيع

قالت قريش غداة انهاض ملكهمُ ... أين الربيع ؟ وأعطَوا بالمقاليد

فقام بالأمر مِئناس بوحدته ... ماضي العزيمة ضراب القماحيد(٢)

ان الأمور اذا ضاقت مسالكها ... حلت يد الفضل منها كل معقود

ان الربيع وان الفضل قد بنيا ... رِواق مجد على العباس ممدود

فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار

لما قال سلم في الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الأمين

قد بايع الثقلان في مهد الهدى ... لمحمد ابن زبيدة ابنة جعفر

وليته عهد الأنام وأمرهم ... فدمغت بالمعروف رأس المنكر

أعطته زبيدة مائة ألف درهم

---

(١) الغرض للرحل كالحزام للسرج (٢) واحده قمحدوة وهي مؤخر القذال

وقال يمدح المهدي

له شيمة عند بذل العطا ء لا يعرف الناس مقدارها
ومهدى أمتنا والذي حماها وأدرك أوتارها

فأمر له المهدى بخمسمائة ألف درهم

كان مالك وشهاب ابنا عبد الملك بن مِسْمَع ومَعْن بن زائدة متواخين لا يكادون يفترقون ، وكان سلم ينادمهم ويمدحهم ويفضلون عليه ، فتوفى مالك ثم أخوه ثم معْن فى مدة متقاربة فقال سلم يرثيهم

عين جودى بعبرة تَهْتَان واندُبى من أصاب رَيْبُ الزمان
واذا ما بكيت قوما كراما فعلى مالك أبى غسان
أين مَعْن أبو الوليد ومن كا ن غياثا للهالك الحيران
طرقتك المنون لا واهى الحبـل ولا عاقدا بحلف يمان
وشهاب وأين مثل شهاب عند بذل الندَى وحرّ الطعان
رب خِرْق رُزِئْته من بنى قيـس وخرق رزئت من شيبان
درّ درُّ الأيام ماذا أجنّت منهمُ فى لفائف الكتّان
ذاك معن ثوى بِبُسْت رهينا وشهاب ثوى بأرض عمان
وهما هما لبذل العطايا ولفّ الأقران بالأقران
يسبقان المنون طعنا وضربا ويفكّان كل كَبْل وعان

دخل سلم على الفضل بن يحيى فى يوم نَيْرُوز والهدايا بين يديه فأنشد

أمن ربع تسائله وقد أقوَت منازله
بقلبى من هوى الأط لال حب ما يزايله
رُوَيدكم عن المشعو ف ان الحب قاتله

بلابل صدره تَسْرِى وقد نامت عواذله

أحق الناس بالتفضيـــل من تُرْجَى فواضله

رأيت مكارم الأخلا ق ما ضمّت حمائله

فلست أرى فتى فى النا س الا الفضل فاضله

يقول لسانه خيرا فتفعله أنامــله

ومهما يرج من خير فان الفضل فاعــله

وكان ابراهيم الموصلى وابنه اسحق حاضرين فقال لابراهيم كيف ترى وتسمع؟ قال أحسن مرئىّ ومسموع وفضل الأمير أكثر منه ، فقال خذوا جميع ما أهدى الى اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثا الا ذلك التمثال فانى أريد أن أهديه اليوم الى دنانير ، ثم قال لا والله ما هكذا تفعل الأحرار يقوّم ويدفع اليهم ثمنه ثم نهديه ، فقوم بألفى دينار ، فحملها الى القوم من بيت ماله واقتسموا جميع الهدايا بينهم

وقيل لمعْن ما أحسن ما مدحت به ؟ فقال قول سلم

أبلغ الفتيان مألُكة ان خير الود ما نفعا

ان قَرْما من بني مطر أتلفت كفاه ما جمعا

كلمــا عدنا لنائله عاد فى معروفه جذَعا

حدث فى أيام الرشيد أمر فاحتاج فيه الى الرأى ، فأشكل ، وكان الفضل بن يحيى غائبا ، فورد فى ذلك الوقت ، فأخبروه بالقصة ، فأشار بالرأى فى وقته وأنفذ الأمر على مشُورته ، فحمد ما جرى فيه ، فدخل عليه سلم فأنشده

بديهته وفكرته سواء اذا ما نابه الخطب الــكبير

وأحزم ما يكون الدهر رأيا اذا عىّ المشاور والمشير

فأمر له بعشرة آلاف درهم

لما بويع الهادي وهو بجرحان دخل عليه سلم فهنأه بالخلافة ثم أنشده

لما أنت خير بنى هاشم خلافةُ الله بجُرْجان

شمّرَ للحزم سرابيله برأى لا غمْرٍ(١) ولا وان

لم يُدخل الشوري على رأيه والحزم لا يعضيه رأيان

قال أبو معاذ النميرى راوية بشار كان بشار قال قصيدة فيها هذا البيت

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللَّهج

فقلت له يا أبا معاذ قد قال سلم بيتا هو أحسن وأخف على الألسن من بيتك هذا، قال وماهو ؟ قلت

من راقب الناس مات غما وفاز باللـذة الجسور

فقال بشار ذهب والله بيتنا ، أما والله لوددتُ أنه ينتمى فى غير ولاء أبى بكر رضى الله عنه وانى مُغْرم ألف دينار محبة مني لهتك عرضه وأعراض مواليه، فقلت لهما أخرج هذا القول منك الاغم، قال أجل فوالله لاطعمت اليوم طعاما ولاصمت

كان المهدي يعطى مروان وسلم الخاسر عطية واحدة فكان سلم يأتى باب المهدى على البرذون الفاره قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام مفضضين ولباسه الخزّ والوَشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ورائحة المسك والطيب والغالية تفوح منه ، ويجيء مروان بن أبي حفصة عليه فرو كَبَل(٢) وقيص كرابيس وعمامة كرابيس وخفا كبل وكساء غليظ وهو منتن الرائحة وكان لا يأكل اللحم حتى يَقْرَم اليه بخلا فاذا قَرِم أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله، فقال له قائل أراك لا تأكل إلا الرأس، قال نعم أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا أشترى لحما فيطبخه فيأكل منه والرأس آكل منه ألوانا آكل من عينيه لونا ومن غَلْصَمته(٣) لونا ومن دماغه لونا

(١) الغمر مثلثة من لم يجرب الامور (٢) قصير (٣) الغلصمة أصل اللسان

كان سلم قد بلى بالكيمياء فكان يذهب بكل شيء له باطلا ، فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيبا وأنه لا يصل اليه أحد إلا ليلا ، فسأل عنه فدلوه عليه ، قال فدخلت اليه إلى موضع معور فدققت الباب نخرج إلى فقال من أنت عافاك الله ؟ فقلت رجل مُعجَب بهذا العلم ، قال فلا تشهرنى فانى رجل مستور انما أعمل القوت ، قلت انى لا أشهرك انما أقتبس منك ، قال فاكتم ذلك ، وبين يديه كوز شَبَه[1] صغير فقال لي اقلع عروته ، فقلعتها ، فقال اسبكها فى البوطقة ، فسبكتها ، فأخرج شيئاً من تحت مصلاه فقال ذُرَّه عليه ، ففعلت ، فقال أفرغه ، فأفرغته ، فقال دعه معك فاذا أصبحت فاخرج فبعه وعدالي ، فأخرجته إلى باب الشام فبعت المثقال بأحد وعشرين درهما ورجعت اليه فأخبرته ، فقال اطلب الآن ماشئت ، قلت تفيدنى ، قال بخمسمائة درهم على ألاّ تعلمه أحداً ، فأعطيته وكتب لى صفة فامتحنتها فاذا هى باطلة ، فعدت اليه فقيل لى قد تحول وإذا عروة الكوز الشبه من ذهب مركبة عليه والكوز شبه ولذلك كان يدخل اليه من يطلبه ليلا ليخفى عليه ، فانصرفت وعلمت أن الله عز وجل أراد بى خيراً وأن هذا كله باطل

قال أبو المستهل دخلت يوما على سلم وإذا بين يديه قراطيس فيها أشعار يرثى ببعضها أم جعفر وببعضها جارية غير مسماة وببعضها أقواما لم يموتوا وأم جعفر يومئذ باقية فقلت له ويحك ماهذا ؟ فقال تحدث الحوادث فيطالبونا بأن نقول فيها ويستعجلونا ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد فنعد لهم هذا قبل كونه فمتى حدث حادث أظهرنا ماقلناه فيه قديما على أنه قيل فى الوقت

أمر المهدى لمروان بن أبى حفصة بأربعين ألف درهم وفرض له على أهل بيته وجلسائه ثلاثين ألف درهم ، وأمر الرشيد بعد ذلك لما ولى الخلافة لسلم وقد مدحه

(١) الشبه النحاس الاصفر

بسبعين ألف درهم ، فقال له يا أمير المؤمنين إن أكثر ما أعطى المهدى مروان سبعون ألف درهم فزدنى وفضلنى عليه ، ففعل ذلك وأعطاه تتمةً ثمانين ألف درهم فقال سلم .

ألاقل لمروان أتتك رسالة — لها نبأ لاينثني عن اقائكا
حبانى أمير المؤمنين بنفحة — مشهرة قدطأطأت من حبائكا
ثمانين ألفا حزت من صلب ماله — ولم يك قسما من أولى وأولئك

فأجابه مروان فقال

أسلم بن عمرو قد تعاطيت غاية — تقصر عنها بعد طول عنائكا
فأقسم لولا ابن الربيع ورفده — لما ابتلّت الدلو التى فى رِشائكا
ومانلت مذ صورت الاعطية — تقوم بها مصرورة فى ردائكا

دخل سلم على الرشيد فأنشده « حى الأحبة بالسلام » فقال الرشيد حياهم الله بالسلام فقال سلم « أعلى وداع أم مُقام » فقال الرشيد حياهم الله على أى ذلك كان، فأنشده

لم يبق منك ومنهمُ — غير الجلود على العظام

فقال له الرشيد بل منك وأمر باخراجه وتطير منه ومن قوله فلم يسمع منه باقى الشعر ولا أثابه بشىء

دخل سلم الخاسر على الرشيد وعنده العباس بن محمد وجعفر بن يحيى فأنشده قوله فيه

حضر الرحيل وشُدّت الأحداج — وغدا بهن مشمر مزْعاج
للشوق نيران قدحن بقلبه — حتى استمر به الهوى الملجاج
أزعج هواك إلي الذين تحبهم — ان المحب يسوقه الازعاج
لن يدنينك للحبيب ووصله — الا السرى والبازل الهَجْهاج

فلما وصل إلى قوله

ان المنايا فى السيوف كوامن حتى يُهيِّجها فتى هيَّاج

قال الرشيد كان ذلك معْن بن زائدة ، فقال صدق أمير المؤمنين ، ثم أنشد حتى انتهى الى قوله

ومُدَجَّج يَغشَى المضيق بسيفه حتى يكون بسيفه الافراج

قال الرشيد ذلك يزيد بن مِزيد ، فقال صدق أمير المؤمنين ، فاغتاظ جعفر ابن يحيي وكان يزيد بن مزيد عدوا للبرامكة مصافيا للفضل بن الربيع ، فلما انتهى الى قوله .

نزلت نجوم الليل فوق رءوسهم ولكل قوم كوكب وهاج

قال له جعفر بل من قلة الشعر حتى تمدح أمير المؤمنين بشعر قيل فى غيره هذا لبشار فى فلان التميمى ، فقال الرشيد ماتقول ياسلم ؟ قال صدق ياسيدى وهل أنا الا جزء من محاسن بشار وهل أنطق الا بفضل منطقه ؟ وحياتك ياسيدى أنى لأروى له تسعة آلاف بيت مايعرف أحد غيرى منها شيئاً ، فضحك الرشيد وقال ما أحسن الصدق امض فى شعرك وأمر له بمائة ألف درهم ، ثم قال للفضل بن الربيع هل قال أحد غير سلم شيئاً فى طينا المنازل ، وكان الرشيد قد انصرف من الحج وطوى المنازل فوصف سلم ذلك ، فقال الفضل نعم ياأمير المؤمنين النمرى ، فأمر سلما أن يثبت قائماً حتى يفرغ النمرى من انشاده ، فأنشده النمري قوله

تخرق سربال الشباب مع البرد وحالت لنا أم الوليد عن العهد

فقال الرشيد للعباس بن محمد أيهما أشعر عندك ياعم ، قال كلاهما شاعر ولو كان كلام يستفحل لجودته حتى يؤخذ منه نسل لاستفحلت كلام النمرى ، فأمر له بمائة ألف درهم

ولما مات رثاه أشجع السلمى بقوله

ياسلم ان أصبحت في حفرة موسدا تربا وأحجارا

فرب بيت حسن قلتـــه خلفته فى الناس سـيارا
قلدته ربا وسـيرته فـكان نخراً منك أوعاراً
لونطق الشعر بكى بعده عليـــه اعلانا واسراراً

استوهب اسحاق الموصلى من الرشيد تركة سلم وكان قدمات عن غير وارث ، فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب المواريث فحصل منها على خمسين ألف دينار ، وروى أنه رفع إلى الرشيد أن سلما قدتوفى وخلف مما أخذه منه خاصة ومن زبيدة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم سوى ماخلفه من عقار وغيره مما اعتقده قديماً فقبضه الرشيد وتظلم اليه مواليه من آل أبى بكر الصديق رضوان الله عليه فقال هذا خادمى ونديمى والذى خلفه من مالى فأنا أحق به ، فلم يعطهم الا شيئا يسيرا من قديم أملاكه

محمد بن الأشعث بن نجوة الكاتب

كوفى أحـد بنى زهرة من قريش شاعر مغن ، من فتيان الـكوفة وظرفائهم وأدبائهم وكان يقول الشعر ويتغنى فيه ، فمن ذلك

أمسى لسلامة ازرقاء فى كبدى صَدْع مقيم طوال الدهر والأبد
لانستطيع صَناع القوم تَشْعَبه وكيف يشعب صدع الحب فى الكبد
إلا بوصل التى من حبها انصدعت تلك الصدوع من الأسقام والكمد

وسلامة الزرقاء هذه هى جارية بن رامين وكانت احدى القينات المحسنات

قال معاوية الطبيب أتيت ابن رامين وعنده جواريه ازرقاء وصواحباتها وعندهن فتى حسن الوجه نظيف الثياب عطر الريح يلقى عليهن ، فسألت عنه فقيل لى هذا محمد بن الأشعث الزهرى ، فمضيت به الى منزلى وسألته المقام ، ففعـل وأتيته بطعام وشراب وغنيته أصواتا من أهل الحجاز فسألني أن ألقيها عليه ، فقلت نعم

وكرامة وحبا على أن تلقى على أصواتا من صنعتك ألتذ بها وأقطع طريقى بروايتها وأطرف أهل بلدى بها . ففعلت وفعل فكان ما أخذته منه من صنعته

صاح انى عاذل ما ذهبا   من هوًى هاج بقلبى طربا
أذكرتني الشوق سلامة أن   لم أكن قضيت منها أرَبا
واذا ما لام فيها لائم   زاد فى قلبي لحبى عجبا
من ذوات الدَّل لودبَّ على   جلدها الذَّرُّ لأبدى نَدَبا

ومنها

رحبت بلادك يا أُمامة   وسلمت ماسجعت حمامة
وسقى ديارك كلمـــا   حنت الى السُّقيا غمامة
انى وان أقصيتنى   سفهًا أحب لك الكرامة
وأرى أمورك طاعـــة   مفروضة حتى القيامـة

ومنها

ما بالمغانى من أحـد   الا حـمامات فرد
أضحت خلاء دُرَّسا   للريح فيهـــا مطَّرَد
عهدي بها فيما مضى   بنيانها بيض جـدد
فاستبدلت وحشا بهم   والورق تدعو والصُّرَد

ومنها

ليت من طيَّر نومى   رد فى عيني المناما
أو شفى جسما سقيما   زاده الهجر سقاما
نظرت عيني اليها   نظرة هاجت غراما
تركت قلبى حزينا   بهواها مستهـــاما

ومنها

لذكر الحبيب النازح المتعتب   طربت ومن يعرض له الشوق يطرب

ومنها

خليليّ عوجا ساعة ثم سلما   على زينب سقيا ورعيا لزينب

دخل يوما على ابن رامين فخرجت اليه الزرقاء فبينما هو يلقى عليها اذ بصر بوصيفة من وصائفهم، فأعجبته، فقال شعرا من وقته وتغنى فيه فأخذته منه الزرقاء وهو قوله

قل لأختي التى أحب رضاها   أنت لى فاعلميه ركن شديد

ان لى حاجة اليك فقولي   بين أذنى وعاتقى ما تريد

يعني بقوله ما تريد فى عنقى حتى أفعله ، ففطنت الزرقاء للذى أراد فوهبت له الوصيفة فخرج بها وما رد ذلك ابن رامين وما تكلم فيه

كان ابن الأشعث ملازما لابن رامين ولجاريته سلامة الزرقاء فشهر بذلك ، وكان رجلا قصافا ، فلامه قومه فى فعله ، فلم يحفل بمقالتهم وطال ذلك منه ومنهم حتى رأى بعض ما كره فى منزل ابن رامين فمال الى سحيقة جارية زريق بن منيح مولى عيسى بن موسى ، وكان زريق شيخا كريما نبيلا يجتمع اليه أشراف الكوفة من كل حى ، وكان الغالب على منزله رجلا من ولد القاسم بن عبد الغفار العِجلى كغلبة محمد بن الأشعث على منزل ابن رامين ، فتواصلا على ملازمة بيت زريق ففى ذلك يقول محمد بن الأشعث

يا ابن رامين بحت بالتصريح   فى هواى سحيقة بن منيح

قَيْنة عفــــة ومولى كريم   ونديم من اللُّباب الصريح

رَبَعى مهــــذب أريحىّ   يشترى الحمد بالفَعال الربيح

نحن منه فى كل ما تشتهى الأنـــفس من لذة وعيش نجيح

عند قوم من هاشم فى ذراها   وغِناء من الغزال المليح

في سرور وفي نعيم مقيم قد أمنّا من كل أمر قبيح

فاسلُ عنا كما سلوناك انى غير سالٍ عن ذات نفسي وروحي

حافظ منك كل ما كنت قد ضيعت مما عصيت فيه نصيحي

فاكتفِ ما حييت مني لك الدهر بود يا منيتي ممنوح

يا ابن رامين فالزمن مسجد الحي وطول الصلاة والتسبيح

فلم يدع ابن رامين شريفا بالكوفة الا تحمل به على ابن الأشعث وأن يرضى عنه ويعاود زيارته ، فلم يفعل حتى تحمل عليه بالحَجْواني وهو محمد بن بشر بن حَجْوان الأسدي وكان يومئذ على الكوفة ، فكلمه فرضي عنه ورجع الى زيارته ولم يقطع منزل زريق وقال في سحيقة

سحيقة أنت واحدة القيان فمالك مشبه فيهن ثان

فضلت على القيان بفضل حذق فحزت على المدى قَصَب الرِّهان

سجدن لك القيان مكفرات كما سجد المجوس لمَرْزُبان

ولا سيما اذا غنيت صوتا وحركت المثالث والمثاني

شربت الخمر حتى خلت أني أبو قابوس أو عبد المدان

فاعمال اليسار على الملاوي ومن يمناك ترجمة البيان

قال بعض المدنيين أتيت ابن رامين فوجدت عنده جارية قد رفع ثدييها قميصها ، لها شارب أخضر ممتد على شفتيها امتداد الطراز ، كأنما خطته طرّتها وحاجباها بقلم لا يلحقها في ضرب من ضروب حسنها وصف واصف ، فسألت عن اسمها فقيل هذه الزرقاء ، اشتراها جعفر بن سليمان بثمانين ألف درهم وكان ابن رامين أجلّ مُقيّن بالكوفة وأكبرهم ورامين أبوه مولى بشر بن مروان

سعيد بن وهب يكنى بأبى عثمان

مولى بني سامة بن لؤى بن غالب، مولده ومنشؤه بالبصرة، ثم صار إلى بغداد فأقام بها، وكانت الكتابة صناعته فتصرف مع البرامكة فاصطنعوه وتقدم عندهم، وكان شاعراً مطبوعا، ومات فى أيام المأمون، وأكثر شعره فى الغزل والتشبيب، وكان مشغوفا بالشراب ثم تنسك وتاب وحج راجلا على قدميه ومات على توبة واقلاع ومذهب جميل، وكان إذا وجد شيئاً من شعره خرقه وأحرقه وكان امرأ صدق كثير الصلاة يزكي عن فضة كانت على امرأته ومن شعره

لقد قلت حين قر ... بت العيس يا نوار
قفوا فاربعوا قليلا ... فلم يربعوا وساروا
فنفسى لها حنين ... وقلبي له انكسار
وصدرى به غليل ... ودمعى له انحدار

ومن قوله وقد نظر إلى جماعة من كتاب السلطان فى أحوال جميلة

من كان فى الدنيا له شارة ... فنحن من نَظّارة الدنيا
نرمقُها من كَثَب حسرة ... كأننا لفظ بلا معنى
يعلو بها الناس وأيامنا ... تذهب فى الأرذل الأدنى

قال اسحق كان له ابن يكنى أبا الخطاب من أكيس الصبيان وأحسنهم وجها وأدبا فكان لا يكاد يفارقه فى كل حال لشدة شغفه به ورقته عليه فمات وله عشر سنين، فجزع عليه جزعا شديداً وانقطع عن لذاته فدخلت اليه يوما لا عاتبه على ذلك واستعطفه فحين رأى ذلك في وجهى فاضت دموعه ثم انتحب حتى رحمته وأنشدنى

عين جودى على أبى الخطاب ... إذ تولى غضًا بماء الشباب

لم يقارف ذنبا ولم يبلغ الحنـــث مُرَجّى مطهر الأثواب
فقدته عيني إذا ما سعى أتـــرا به من جماعة الأتراب
إن غدا موحشا لداري فقد أصـــبح أنس الثَّرَى وزين التراب
أحمـــد الله ياحبيبي فاني بك راج منه عظيم الثواب

ثم ناشدني ألا أذكره بشيء مما جئت اليه ، فقمت ولم أخاطبه بحرف

دخل على الفضل بن يحيي في يوم قد جلس فيه للشعراء فجعلوا ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد ، فالتفت الى سعيد كالمستنطق ، فقال أيها الوزير انى ما كنت استعددت لهذه الحال ولا تقدمت لها عندى مقدمة فأعرفها ولكن قد حضرنى بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة ، فقال هاتهما فرب قليل أبلغ من الكثير ، فقال

مدح الفضل نفسه بالفَعالِ فعلا عن مديحنا بالمقـال
أمرونى بمدحـه قلت كلا كبر الفضل عن مديح الرجال

فطرب الفضل وقال أحسنت والله وأجدت ولئن قل القول ونزر لقد اتسع المعنى وكثر ، ثم أمر له بمثل ما أعطاه كل من أنشده مديحا يومئذ وقال لا خير فيما يجيء بعد بيتيك ، وقام من المجلس وخرج الناس يومئذ بالبيتين لا يتناشدون سواهما

جاء رجل الى أبي العتاهية فساره فى شيء فبكى أبو العتاهية فقيل له ما قال لك؟ فقال وهو يحدثهم لا يريد أن يقول شعراً

قال لى مات سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي

قال الخزيمى كان الفضل بن يحيي ينافس أخاه جعفرا و ينافسه جعفر ، وكان أنس بن أبي شيخ خاصا بجعفر ينادمه ويأنس به فى خلواته وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل ، فدخلت يوما إلى جعفر ودخل اليه سعيد بن وهب فحدثه

وأنشده وتنادر له وحكى عن المتنادرين وأتى بكل مايسر ويُطرب ويضحك وجعفر ينظر اليه لايزيد على ذلك ، فلما خرج سعيد من عنده تجاهلت عليه وقلت له من هذا الرجل الكثير الهذَيان ؟ قال أو ماتعرفه ؟ قلت لا . قال هذا سعيد بن وهب صديق أخى أبي العباس وخُلْصانه وعشيقه ، قلت وأى شيء رأى فيه ؟ قال لاشيء والله الا القذر والبرد والغثاثة ، ثم دخلت بعد ذلك الى الفضل ودخل أنس بن أبي شيخ فحدث وندَّر وحكى عن المضحكين وأتى بكل طريقة فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد ، فقلت له بعد أن خرج من حضرته من هـذا المبرد ؟ قال أو لاتعرفه ؟ قلت لا ، قال هذا أنس بن أبي شيخ صديق أبي الفضل وعشيقه وخاصته ، قلت وأي شيء أعجبه فيه ؟ قال لا أدرى والله الا القذر والبرد وسوء الاختيار ، قال وأنا والله أعرف بسعيد وأنس من الناس جميعاً ولكنى تجاهلت عليهما وساعدتهما على هواهما

قال الفضل بن الربيع عرَّفتنا أيامُ النكبة من نجهله من الناس وذلك أنا احتجنا إلى أن نودع أموالنا وكان أمرها كثيراً مفرطا فكنا نلقيها على الناس القاء ونودعها الثقة وغير الثقة ، فكان ممن أودعته سعيد بن وهب وكان رجلا صُعلوكا لامال له انما صحبنا على البطالة ، فظننت أن ما أودعته ذاهب ، ثم طلبته بعد حين فجاءنى والله بخواتيمه ، وأودعت على بن الهَيثَم كاتبنا جملة عظيمة وكان عندى أوثق من أودعته ، فلما أمنت طالبته بالوديعة فجحدنيها وبهتنى وحلف على ذلك فصار سعيد عندى فى السماء وبلغت به كل مبلغ وسقط على بن الهيثم فما يصل إليّ ولا يلقانى

على بن الجهم

هو علي بن الجهم بن بدر السامى من ولد سامة بن لؤى بن غالب، شاعر فصيح مطبوع وخص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم أبغضه لانه كان كثير السّعاية اليه بندمائه والذكر لهم بالقبيح عنده وإذا خلا به عرفه أنهم يعيبونه ويثلبونه وينتقصونه فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة فنفاه بعد أن حبسه مدة ، وكان ينحو نحو مروان بن أبي حفصة فى هجاء آل أبي طالب وذمهم والاغراء بهم وهجاء الشيعة وهو القائل

ورافضة تقول بشِعب رَضْوَى ... امام ، ذلك خاب من امام

امام من له عشرون ألفـا ... من الأتراك مُشْرِعة السهام

كان قد هجا بختيشوع فسبه عند المتوكل فحبسه المتوكل فقال فى حبسه عدة قصائد كتب بها إلى المتوكل فأطلقه بعد سنة ثم نفاه بعد ذلك الى خُراسان فقال أول ماحبس قصيدة كتب بها إلى أخيه أولها قوله

توكلنا على رب السماء ... وسلمنا لأسباب القضاء

ووطنًا على غِيَرِ الليالى ... نفوسا سامحت بعـد الاباء

وأفنيـة الملوك محجبات ... وباب الله مبـذول الفِناء

هى الايام تـكْلمنا وتأسو ... وتأتى بالسعـادة والشقاء

ومايجـد الثراء على غنى ... إذا ماكان محظور العطاء

حلبنا الدهر أشطُرَه ومدت ... بنا عقب الشدائد والرخاء

وجربنا وجرب أولونا ... فلا شىء أعز من الوفاء

ولم ندع الحيـاء لمس ضر ... وبعض الضر يذهب بالحياء

ولم نحزن على دنيـا تولت ... ولم نسبق الى حسن العزاء

توقَّ الناسَ يا ابن أبي وأمي ... فهم تبع المخافة والرجاء
ولا يغرُرْكَ من وعد اخاء ... لامر ماغدا حسن الاخاء
ألم تر مظهرين عليَّ عتبا ... وهم بالأمس اخوان الصفاء
فلما ان بُليت غدَوْا وراحوا ... عليَّ أشد أسباب البلاء
أبت أخطارهم أن ينصرونى ... بمال أو بجاه أو ثراء
وخافوا أن يقال لهم خذلتم ... صديقا فادَّعوا قدم الجفاء
تظافرت الروافض والنصارى ... وأهل الاعتزال[1] على هجائى
وعابونى وما ذنبي اليهم ... سوى علمى بأولاد الزناء
فبختيشوع يشهد لابن عمرو ... وعزون لهرون المرائى
اذا ماعد مثلكم رجالا ... فما فضل الرجال على النساء
عليكم لعنة الله ابتداء ... وعودا فى الصباح وفى المساء
اذا سميتمو للناس قلوا ... أولئك شر من تحت السماء
أنا المتوكلى هوى ورأيا ... وما بالواثقية من خفاء
وما حبس الخليفة لى بعار ... وليس بمؤيسى طول التنائى

قالوا كان سبب حبس المتوكل عليا أن جماعة من الجلساء سعوا به اليه وقالوا إنه كثير الطعن عليك والعيب لك والازراء على أخلاقك ولم يزالوا به يوغرون صدره عليه حتى حبسه ، ثم انهم أبلغوه أنه هجاه فنفاه الى خراسان وكتب بأن يصلب اذا وردها يوما إلى الليل ، فلما وصل الى الشاذياخ[2] حبسه طاهر بن عبد الله ابن طاهر بها ثم أخرج فصلب يوما الى الليل مجرداً ثم أنزل فقال فى ذلك

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية الـ ... اثنين مسبوقا ولا مجهولا

(١) يعنى بأهل الاعتزال على بن يحيي المنجم وقد كان بلغه عنه ذكر له

(٢) مدينة نيسابور أم بلاد خراسان وكانت قديما بستانا لعبد الله بن طاهر ملاصق مدينة نيسابور.

نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم شرفا وملء صدورهم تبجيلا
ما ازداد الا رفعة بنكوله وازدادت الأعداء عنه نكولا
هل كان الا الليث فارق غِيلَه فرأيته فى محمل محمولا
لا يأمن الأعداء من شداته شدا يفصل هامهم تفصيلا
ماعابه أن بزّ عنه لباسه فالسيف أهول ما يرى مسلولا
ان يُبتذل فالبدر لا يُزرِى به أن كان ليلة تمّه مبذولا
أو يسلبوه المال يَحزُن فقده ضيفا ألمّ وطارقا ونزيلا
أو يحبسوه فليس يحبس سائر من شعره يدَع العزيز ذليلا
ان المصائب ما تعدت دينه نِعَمٌ وان صعبت عليه قليلا
والله ليس بغافل عن أمره وكفى بربك ناصرا ووكيلا
ولتعلمن اذا القلوب تكشفت عنها الأكنة من أضلُّ سبيلا

كتب المتوكل الى طاهر بن عبد الله باطلاق على بن الجهم فلما أطلقه قال

أطاهر انى عن خُراسان راحل ومستخبرٌ عنها فما أنا قائل؟
أأصدق ام أكني عن الصدق؟ أيما تخيرت أدته اليك المحافل
وسارت به الركبان واصطفقت به أكف قيان واجتبته القبائل
وانى بعالى المدح والذم عالم بما فيهما نامى الرّميّة ناضل
وحقا أقول الصدق انى لمائل اليك وان لم يَحظَ بالود مائل
ألاَ حُرمةٌ تُرعَى ؟ ألا عقدُ ذمة لجار؟ ألا فعلٌ لقول مشاكل؟
ألا منصف ان لم نجد متفضلا علينا؟ ألا قاض من الناس عادل؟
فلا تقطعن غيظا على أناملا فقبلك ما عضت على الأنامل
أطاهر ان تُحسن فانى محسن اليك وان تبخَل فانى باخل

فقال له طاهر لا تقل الا خيرا فانى لا أفعل بك الا ما تحب ، فوصله وحمله وكساه

قال على بن الجهم كان الحارثى يجىء الى حُلوان وأنا أتولى مظالمها ، فاذا وردها وقع الارجاف، فلم يزل متصلا حتى يخرج، فاذا خرج سكن الارجاف، فأتانى مرة وظهر كوكب الذَّنب فى تلك الليلة فقلت

لما بدا أيقنت بالعطب ... فسألت ربى خير منقلب
لم يطلعا الا لآبدة ... الحارثىّ وكوكب الذَّنب

ومن قوله فى حبسه

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى ... حبسى وأى مهنّد لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غيله ... كبرا وأوباش السباع تَرَدد
والشمس لولا أنها محجوبة ... عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والبدر يدركه السِّرار فتنجلى ... أيامه وكأنه متجدد
والغيث يحصره الغمام فما يرى ... الا وريِّقة براع ويرعُد
والزّاعبيّة لا يقيم كعوبها ... الا الثِّقاف وجَذْوة تتوقد
والنار فى أحجارها مخبوءة ... لا تصطلى ان لم تثرها الأزنُدُ
والحبس ما لم تغشه لدنية ... شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم كرامة ... ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن فى الحبس الا أنه ... لا يستذلك بالحجاب الأعبد
كم من عليل قد تخطاه الرَّدَى ... فنجا ومات طبيبه والعُوَّد
يا أحمد بن أبى دُؤاد انما ... تدعى لكل عظيمة يا أحمد
أبلغ أمير المؤمنين ودونه ... خوض الردى ومخاوف لا تنفد
أنتم بنو عم النبى محمد ... أولى بما شرع النبى محمد

ما كان من كرم فأنتم أهله كرمت مغارسكم وطاب المَحْتِد
أمن السَّوِيّة يا ابن عم محمد خَصْم تقربه وآخر تُبْعِد ؟
ان الذين سعَوْا اليك بباطل خَسِئوا ونعمتك التى لا تجحد
شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا فينا وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصماء عندك مجلس يوما لبان الك الطريق الأقصد
فبأى جرْم أصبحت أعراضنا نَهْبا تقسمه اللئيم الأوغد ؟

خرج على بن الجهم الى الشام فى قافلة فخرجت عليهم الأعراب فى خُساف[1] فهرب من كان فى القافلة من المقاتلة وثبت ابن الجهم فقاتلهم قتالا شديدا وثاب الناس اليه فدفعهم ولم يحظوْا بشىء فقال

صبرت ومثلى صبره ليس ينكر وليس على ترك التقحم يُعْذَر
غريزة حُرّ لا اختلاق تكلف اذا خام فى يوم الوغى المتصبر
ولما رأيت الموت تهفو بنوده وبانت علامات له ليس تنكر
وأقبلت الأعراب من كل جانب وثار عَجاج أسود اللون أكدر
بكل مُشيح[2] مستميت مُشمّر يجول به طِرْف أقبّ مشهر
بأرض خُساف حين لم يك دافع ولا مانع الا الصفيح المذكر
فقلل فى عينى عظيمَ جموعهم عزيمةُ قلب فيه ما جلّ يصغُر
بمعترك فيه المنايا حواسر ونار الوغى بالمشرَفيّة تسعر
فما صُنْتُ وجهى عن ظُبات سيوفهم ولا انحزت عنهم والقنا تتكسر
ولم أكُ فى حر الكريهة مُحجما اذا لم يكن فى الحرب للوِرْد مَصْدَر
اذا ساعد الطِّرْف الفتى وجنانه وأسمر خطّ وأبيض مبْتَر
فذاك وان كان الكريم بنفسه اذا اصطلت الأبطال فى النقع عسكر

(١) برية بين بالس وحلب
(٢) أشاح في أمره جد وجهد والابر من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن

منعتهمُ من أن ينالوا قُلامة وكنت شجاهم والأسنة تقطرُ
وتلك سجايانا قديما وحادثا بها عرف الماضى وعز المؤخر
أبت لى قُروم أنجبتني أن أُرى وان جل خطب خاشعا أتضجر
أولئك آل الله فِهر بن مالك بهم يجبر العظم الكسير ويكسر
هم المَنكِب العالى على كل منكب سيوفهمُ تُعْمِي وتُغْنِي وتُفقِر

كان أحمد بن أبي داود منحرفا عن على بن الجهم لاعتقاده مذهب الحَشَوية، فلما حبس على بن الجهم مدح ابن أبي داود عدة مدائح وسأله أن يقوم بأمره ويشفع فيه، فلم يفعل وقعد عنه، فلما نفى المتوكل ابن أبي دُوأد شَمِت به على بن الجهم وهجاه فقال

يا أحمد بن أبي دُوَاد دعوة بعثت اليك جناد لا وحديدا
ما هذه البدع التى سميتها بالجهل منك العدلَ والتوحيدا
أفسدت أمر الدين حين وليته ورميته بأبى الوليد وليدا
لا محكما جزلا ولا مستطرفا كهلا ولا مستحدثا معمودا
شَرِها اذا ذكر المكارم والعلا ذكر القلايا مبدئا ومعيدا
ويوَدّ لو مُسخت ربيعة كلها وبنو اياد صفحة وثريدا
واذا تربع فى المجالس خلته ضَبُعا وخلت بني أبيه قرودا
واذا تبسم ضاحكا شبهته شَرِقا تعجل شربة مردودا
لاأصبحت بالخير عين أبصرت تلك المناخر والثنايا السودا

وكتب على بن الجهم الى طاهر من الحبس

ان كان لى ذنب فلى حُرمة والحق لا يدفعه الباطل
وحرمتي أعظم من زلتى لو نالنى من عدلكم نائل
ولى حقوق غير مجهولة يعرفها العاقل والجاهل

وكل انسان له مذهب وأهل ما يفعله الفاعل
وسيرة الأملاك منقولة لا جائر يخفى ولا عادل
وقد تعجلت الذى خفته منك ولم يأت الذى آمُل

ومما أنشده لنفسه

واذا جزى الله امرأ بفعاله فجزى أخالى ماجدا سَمْحا
ناديته عن كربة فكأنما أطلعت عن ليل به صبحا

ومن قوله وفيه غناء

اعلمى يا أحب شىء اليّا أن شوقى اليك قاض عليا
ان قضى الله لى رجوعا اليكم لاذكرت الفراق مادمت حيا
ان مُر الفراق أنحل جسمى وكوى القلب مِنىَ الشوقُ كيا

ومن قوله يهجو عمر بن الفرج الرُّخجى

جمعت امرين ضاع الحزم بينهما تيه الملوك وأفعال المماليك
أردت شكرا بلا بر ومرزئة لقد سلكت طريقا غير مسلوك
ظننت عرضك لا يرمى بقارعة وما أراك على حال بمتروك

ومن قوله

الورد يضحك والأوتار تصطخب والناى يندُب أشجانا وينتحب
والراح تعرض فى نَوْر الربيع كما تُجلَى العروس عليها الدر والذهب
واللهو يُلحق مغبوقا بمصطبح والدورسيان محثوث ومنتحب
وكلما انسكبت في الكأس آونة أقسمت أن شعاع الشمس ينسكب
القوم اخوان صدق بينهم نسب من المودة لم يعدل بها نسب
تراضعوا درّة الصهباء بينهم فأوجبوا لرضيع الكأس ما يجب
لا تحفظن على السكران زلته ولا تَرِيبنك من أخلاقهم ريب

دخل ابن الجهم يوما على عبد الله بن طاهر فى غداة من غدوات الربيع وفى السماء غيم رقيق والمطر يجيء قليلا ويسكن قليلا وقد كان عبد الله عزم على الصَّبوح فغاضبته حَظِيَة فتنغص عليه عزمه وفتَرَ ، فخبر ابن الجهم بالخبر وقيل له قل فى هذا المعنى لعله ينشَط للصبوح فدخل عليه فأنشده

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله ... صحو وغيم وابراق وإرعاد
كأنه أنت يا من لا شبيه له ... وصل وهجر وتقريب وإبعاد
فباكر الراح واشربها مُعَتَّقة ... لم يدَّخر مثلها كسرى ولا عاد
واشرب على الروض اذلاحت زخارفه ... زهر ونَوْر وأوراق وأوراد
كأنما يومنا فعل الحبيب بنا ... بذل وبخل وإبعاد وميعاد
وليس يذهب عنى كل فعلكمُ ... غى ورشد وإصلاح وإفساد

قال رجل من أهل خُراسان رأيت على بن الجهم بعد ما اطلق من حبسه جالسا فى المقابر ، فقلت له ويحك ما يجلسك هنا ؟ فقال

يشتاق كل غريب عند غربته ... ويذكر الأهل والجيران والوطنا
وليس لى وطن أمسيت أذكره ... الا المقابر اذ صارت لهم وطنا

ومن قوله

لو تنصلت الينا ... لوهبنا لك ذنبك
بأبى ما أبغض العيش اذا فارقت قربك
ليتني أملك قلبى ... مثل ما تملك قلبك
أيها الواثق بالله لقد ناصحت ربك
مارأى الناس اماما ... أنهب الأموال نهبك
أصبحت حجتك العليا وحزب الله حزبك

كان على بن الجهم مدح أبا احمد بن الرشيد فلم يعطه شيئاً فقال يهجوه

يا أبا احمد لا يذ   جى من الشعر الفرار
لبنى العباس أحلا   م عظام ووقار
ولهم فى الحرب اقدا   م ورأى واصطبار
ولهم ألسنة تبـ   ـرى كما تبرى الشفار
ووجوه كنجوم الا   يل تهدى من بحار
ونسيم كنسيم الرو   ض حاذته القطار

قال عبيد الله بن طاهر دخل الينا على بن الجهم بعقب موت أبى والمجلس حافل بالمعزين فمثل قائما وأنشدنا يرثيه

أى ركن وهى من الاسلام   أى يوم أخنى على الأيام
جل رزء الأمير عن كل رزء   أدركته خواطر الأوهام
سلبتنا الأيام ظلا ظليلا   وأباحت حمى عزيز المرام
يابني مصعب حللتم من النا   س محل الأرواح في الأجسام
فاذا رابكم من الدهر ريب   عم ماخصكم جميع الأنام
انظروا هل ترون إلا دموعا   شاهدات على قلوب دوام
من يداوى الدنيا ومن يكلأ الملـ   ـك لدى فادح الخطوب العظام
نحن متنا بموته وأجل الـ   ـخطب موت السادات والأعلام
لم يمت والأمير طاهر حى   دائم الانتقام والانعام
وهو من بعده نظام المعالى   وقوام الدنيا وسيف الامام

قال فما أذكر أنى بكيت أو رأيت فى دورنا باكيا أكثر من يومئذ

ومن قوله وفيه غناء

العين بعدك لم تنظر الى حسن   والنفس بعدك لم تسكن الى سكن
كأن نفسى إذا ماغبت غائبة   حتى اذا عدت لي عادت الى بدنى

كتب ابن الجهم الى المتوكل وهو محبوس

أقلني أقالك من لم يزل   يقيك ويصرف عنك الردى

ويغذوك بالنعم السابغات وليداً وذاميَغه أمردا
وتجرى مقاديره بالذي تحب الى أن بلغت المدى
ويُعليك حتى لو آن السماء تنال لجاوزتها مُصْعِدا
فما بين ربك جل اسمه وبينك الا نبيّ الهدى
فشكرا لأنعمه انه إذا شكرت نعمة جددا
وعفوك عن مذنب خاضع قرنت المقيم به المقعدا
إذا ادّرع الليلَ أفضى به الى الصبح من قبل أن يرقدا
عفا الله عنك ، ألا حرمة تعوذ بفضلك أن أبعدا
لئن جل ذنب ولم أعتمد لأنت أجل وأعلى يداً
ألم تر عبدا عدا طوْرَه ومولى عفا ورشيدا هدى
ومفسد أمر تلافيته فعاد فأصلح ماأفسدا
فلا عدت أعصيك فيما أمر ت حتى أزور الثرى مُلْحَدا
وإلا تخالفت رب السماء وخنت الصديق وعفتِ الندى

لما فُلج ابن أبى دواد شَمت به ابن الجهم وأظهر ذلك وقال فيه

لم يبق منك سوى خيالك لامعا فوق الفراش ممهداً بوساد
فرحت بمَصْرَعك البرية كلها من كان منهم موقنا بمعاد
كم مجلس لله قد عطلته كى لايحدَّث فيه بالاسناد
ولكم مصابيح لنا أطفأتها حتى تزول عن الطريق الهادى
ولكم كريمة معشر أرملتها ومحدث أوثقت في الأقياد
ان الأسارى فى السجون تفرجوا لما أتتك مواكب العواد
وغدا لمصرعك الطبيب فلايجد شيئاً لدائك حيلة المرتاد
فذق الهوان معجلا ومؤجلا والله رب العرش بالمرصاد
لازال فالجك الذى بك دائبا وفجعت قبل الموت بالأولاد

ومن قوله

نطق الهوى بجوًى هو الحق ... وملكتنى فليهنك ارق
رفقا بقلبي يامعذبه ... رفقا وليس لظالم رفق
وإذا رأيتك لاتكلمنى ... ضاقت على الارض والأُفق

ومن قوله ويقال انه آخر شعر قاله

يارحمتا للغريب بالبلد النا ... زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا ... بالعيش من بعده وما انتفعا

لما افتتحت ارمينية وقتل اسحق بن اسمعيل دخل على بن الجهم فأنشد المتوكل قصيدته التي يهنيه فيها بالفتح ويمدحه فقال فيها وأومأ الى الرسول الوارد بالفتح وبرأس اسحق بن اسمعيل

أهلا وسهلا بك من رسول ... جئت بما يَشفِي من الغليل
بجملة تغنى عن التفصيل ... برأس اسحق بن اسمعيل
قهراً بلا ختْل ولاتطويل

فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا وابتداءه وأمر له المتوكل بثلاثين ألف درهم وتمم القصيدة وفيها يقول

جاوز نهر الكُرّ بالخيول ... تردِى بفتيان كأسد الغِيل
معودات طلب الذُّحول ... خُزْر العيون صيِّنَى النصول
شُعْث على شعث من الفحول ... جيش يلُفّ الحزْن بالسهول
كانه معتلَج السيول ... يسوسه كهل من السكهول
لاينثنى للصَّعب والذلول ... على أغرّ واضح الحجول
حتى إذا أصحَر للخذول ... ناجزه بصارم صقيل
ضربا طِلَخفا ليس بالقليل ... ومنجنيق مثل حلْق الفيل

ترفضُّ عن خُرطومه الطويل صواعق من حجر السِّجيل
تترك كيد القوم فى تضليل ما كان الامثل رجع القِيل
حتى انجلت عن حزبه الفلول وعن نساء حُسَّرٍ ذُهول
صوارخ يعثرن فى الذيول ثواكل الأولاد والبعول
لا والذى يعرف بالعقول من غير تحديد ولا تمثيل
ماقام لله وللرسول بالدين والدنيا وبالتنزيل
خليفة كجعفر المأمول

ومن قوله من قصيدة يمدح المتوكل ويصف الهارونى

وقبة ملك كأن النجو م تُصْغى اليها بأسرارها
تخِرّ الوفود لها سجداً اذا ماتجلت لأبصارها
وفوارة ثارها في السماء فليست تقصر عن ثارها
ترد على المزن ما أنزلت الى الأرض من صوْب مدْرارها

كان على بن الجهم فى مجلس فيه قينة فعابثها فباعدته وأعرضت عنه فقال فيها

خفى الله فيمن قد تبلت فؤاده وغادرته نضوا كأن به وقرا
دعي البخل لا أسمع به منك انما سألتك أمراً ايس يُعرى لكم ظهراً

قال ابن مهرويه أنشدت ابراهيم بن المدبر لعلى بن الجهم وذكرت أن عليا أنشدنى اياه ولنفسه

أميل مع الذمام على ابن عمى وآخذ للصديق من الشقيق
وان ألفيتنى حرا مطاعا فانك واجدى عبد الصديق
أفرق بين معروفى ومَني وأجمع بين مالى والحقوق

فقال ابراهيم كذب والله على بن الجهم وأثم ، لهـذا الشعر أشبه بابراهيم بن العباس من ابراهيم بن العباس بأبيه

قال المتوكل على بن الجهم أكذب خلق الله ، حفظت عليه أنه أخبرنى أنه أقام بخراسان ثلاثين سنة ، ثم مضت مدة أخرى وأنسى ما أخبرنى به فأخبرنى أنه أقام بالثغور ثلاثين سنة، ثم مضت مدة أخرى وأنسى الحكايتين جميعاً فأخبرنى أنه أقام بالجبل ثلاثين سنة ، ثم مضت مدة أخرى فأخبرنى أنه أقام بمصر والشام ثلاثين سـنة ، فيجب أن يكون عمره على هذا وعلى التقليل مائة وخمسين سـنة وانما يزاهى سنه الخمسين ، فليت شعرى أى فائدة له فى هذا الـكذب؟ وما معناه فيه؟

قال على بن الجهم دخلت على المتوكل وقد بلغني أنه كلم قبيحة جاريته فأجابته بشىء أغضبه ، فرماها بمخـدة فأصابت عينها فأثرت فيها فتأوهت وبكت وبكى المعتز لبكائها ، فخرج المتوكل وقد حُمّ من الغم والغضب ، فلما بصر بى دعانى وإذا الفتح يري بختيشوع القارورة ويشاوره فيها فقال لى قل ياعلى فى علتى هذه شيئاً وصف أن الطبيب ليس يدرى مابى ، فقلت

تنـكر حال علـتى الطبيب ... وقال أرى بجسمك مايَريب

جسست العِرْق منك فدل جسى ... على ألم له خـــبر عجيب

فما هذا الذى بك؟ هات قل لى ... فكان جوابه منى النحيب

وقلت أياطبيب الهجرُ دائى ... وقلبى ياطبيب هو الـكئيب

فحرك رأســه عجبا لقولى ... وقال الحب ليس له طبيب

فأعجبنى الذى قد قال جـداً ... وقلت بلى إذا رضى الطبيب

فقـال هو الشفاء فلا تقصر ... فقلت أجَلْ ولـكن لايجيب

الأهْل مُسعد يبكى بشجوى ... فانى هائم فَرْد غريب

فقال أحسنت وحياتى ، ياغلام اسقنى قدحا ، فجاء بقـدح فشرب وسقيت

الجماعة مثله وخرجت اليه فضل الشاعرة بأبيات أمرتها قبيحة أن تقولها عنها فقرأها فاذا هى

لأكتمن الذى فى القلب من حُرَق حتى أموت ولم يعلم به الناس

ولايقال شكا من كان يعشقه ان الشكاة لمن تهوى هى الياس

ولا أبوح بشىء كنت أكتمه عن الجلوس إذا مادارت الكاس

فقال المتوكل أحسنت يافضل وأمر له ولها بعشرين ألف درهم ودخل الى قبيحة فترضاها

قال على بن الجهم حبسنى أبى فى الكتاب فكتبت إلى أمى

يا أمتا أفديك من أم أشكو اليك فظاظة الجَهَم

قد سرح الصبيان كلهمُ وبقيت محصوراً بلا جُرْم

قال وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمى ، فأرسلت إلى أبى والله لئن لم تطلقه لأخرجن حاسرة حتى أطلقه ، قال عيسى الوراق فحدثت بهذا الخبر ابراهيم ابن المدبر فقال على بن الجهم كذاب ، ومايمنعه أن يكون ولد هذا الحديث وقال هذا الشعر وله ستون سنة ثم حدثكم أنه قاله وهو صغير ليرفع من شأن نفسه ؟

كان يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أطلق من حبسه ، وكانوا يتقاينون ويلزمون منزل مغن بالكرخ يقال له المفضل ، فقال فيه على بن الجهم

نزلنا بباب الكَرْخ أرحب منزل على محسنات من قيان المفضل

فلابن سُرَيج والغَريض ومعبد بدائع فى أسماعنا لم تبدل

أوانس ماللضيف منهن حشمة ولا ربهن بالجليل المبجل

وفيها يقول

فبادر بأيام الشباب فانها تقضى وتَفْنَى والغواية تنجلى

ودع عنك قول الناس أتلف ماله فلان فأضحى مدبرا غير مقبل

هل الدهر الا ليلة طوحت بنا أواخرها فى يوم لهو معجل
سقى الله باب الكرخ من متنزه إلى قصر وَضّاح فبركة زُلْزُل
مساحب أذيال القيان ومسرح الـــحسان ومثوى كل خرق معذَّل
لو آن امرأ القيس بن حُجْر يحلها لأقصر عن ذكر الدخول وحومل
إذا لرأى أن يمنح الود شادنا مقصر أذيال القناغير مسبل
إذا الليل أدنى مضجعى منه لم أقل عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفا عن على ابن الجهم وكان يسبه عند الخليفة ويعيبه ويذكره بكل قبيح فقال فيه على

لعائن الله متابعات مصبَّحات ومهجَّرات
على ابن عبد الملك الزيات عرَّض شمل الملك للشتات
وأنفذ الأحكام جائرات على كتاب الله زاريات
وعن عقول الناس خارجات يرمى الدواوين بتوقيعات
معقَّدات كرُقَى الحيات سبحان من جلَّ عن الصفات
بعد ركوب الطَّوف فى الفُرات وبعد بيع الزيت بالحبات
صرت وزيراً شامخ الثبات هرون يا ابن سيد السادات
أما ترى الأمور مهملات تشكو اليك عدم الكُفاة
فعاجل العلج بمرهفات من بعد ألف صَخَب الأصوات
بثمرات غير مورقات ترى بمتنيه مرصَّفات
ترَصُّفَ الأسنان في اللِّثات

كان ابن الجهم سأل عمر بن الفرج الرُّخَّجى معاونته واسترفده فى نكبته فلم يعاونه ولم يرفده ، ثم قبض على عمر بن الفرج وأسلم الى نجاح ليصادره فقال ابن الجهم له

أبلغ نجاحا فتى الفتيان مألُكة   تمضى بها الريح اصدارا وايرادا

لن يخرج المال عفوا من يدى عمر   أو يُغمد السيف فى فَوْديه إغمادا

لما أطلق طاهر على بن الجهم من الحبس أقام معه بالشاذياخ مدة ، فخرجوا يوما الى الصيد واتفق لهم مَرْج كثير الطير والوحش وكانت أيام الزعفران ، فاصطادوا صيدا كثيرا حسنا وأقاموا يشربون على الزعفران فقال ابن الجهم يصف ذلك

وطئنا رياض الزعفران وأمسكت   علينا البُزاة البيض حمر الدَّرارج (١)

ولم تحمها الأدغال منا وانما   أبحنا حماها بالكلاب البوارج

بمستروحات سابحات بطونها   على الأرض أمثال السهام الزوالج (٢)

ومستشرفات بالموادى كأنها   لحىً من رجال خاضعين كواسج

فلينا بها الغيطان فليا كأنها   أنامل احدى الغانيات الخوالج

فقل لبغاة الصيد هل من منافر   بصيد وهل من واصف أو مخارج

قرنا بُزاة بالصقور وحومت   شواهيننا من بعد صيد الروامج (٣)

قال ابن الجهم لمغن حضر معه مجلسا وكان غير طيب

كنت فى مجلس فقال مغني الـ   قوم كم بيننا وبين الشتاء

فذرعت البساط منى اليه   قلت هذا المقدار قبل الغناء

فاذا ما عزمت أن تتغنى   آذن الحر كله بانقضاء

قال الحسين بن موسى لما شاع مذهب على بن الجهم وشره وذكره كل أحد بسوء من صديقه وعدوه تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد الى الشام فاتفقنا فى قافلة الي حلب وخرج علينا نفر من الأعراب فتسرع اليهم قوم من المقاتلة فخرج

---

(١) واحده دراج بضم الدال وتشديد الراء وهو طائر على خلقة القطا الا انها ألطف

(٢) الزالج من السهام اذا رماه الرامى فقصر عن الهدف وأصاب صخرة اصابة صلبة فاستقل من اصابة الصخرة اياه فقوي وارتفع الى القرطاس فهو لا يعد مقرطسا

(٣) الرامج الملواح الذى يصاد به الصقور ونحوها من جوارح الطير

فيهم فقاتل قتالا شديدا وهزم الأعراب ، فلما كان من غد خرج علينا منهم خلق فتسرعت اليهم المقاتلة وخرج فيهم فأصابته طعنة ، فجئنا به واحتملناه وهو يَنْزِف دمه ، فلما رآني بكى وجعل يوصيني بما يريد ، فقلت له ليس عليك بأس ، فلما أمسينا قَلِق قلقا شديدا وأحس بالموت فجعل يقول

أزيد في الليل ليل ؟ أم سال بالصبح سيل ؟
ذكرت أهـل دجيل وأين مني دُجيـــل

فأبكى كل من في القافلة ومات مع السحر فدفن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب

مروان بن أبي حفصة

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد ويكنى أبا السمط ، كان جده أبو حفصة مولي مروان بن الحكم وشهد معه الدار والجمل وكان شاعرا ومن قوله يوم الدار

وما قلت يوم الدار للقوم صالحوا أجل لا ولا اخترت الحياة على القتل
ولكنني قد قلت للقوم جالدوا بأسيافكم لا يخلصن الى الكهل

وكان يحيى جد مروان جوادا ممدحا قال فيه جرير يخاطب ابنه بلالا

أزادا سوى يحيى تريد وصاحبا ألا ان يحيى نعم زاد المسافر
وما تأمن الوَجْناء وقعة سيفه اذا أنْفَضوا أو قل ما في الغرائر

ومن قوله يهنئ الوليد بن عبد الملك بالخلافة ويعزيه عن أبيه

ان المنايا لا تغادر واحـدا يمشي ببزَّته ولا ذا جُنَّة
لو كان خلق للمنايا مفْلِتا كان الخليفة مُفْلتا منهنَّه
بكت المنابر يوم مات وانما بكت المنابر فقـد فارسهِنَّه
لما علاهن الوليد خليفة قلن ابنه ونظيره فسكنَّه

لو غيره قرع المنابر بعده أنكرنه فطرحنه عنهنه

ومن قوله يذكر خروج يزيد بن المهلب ويتأسف على الحجاج

لا يصلح الناس الا السيف اذ فتنوا لهفي عليك ولا حجاج للدين

لو كان حيا شداة الأزد اذ نكثوا لم يحص قتلاهم حساب ديرين

لم تأته الأزد عند الباب تربصه مثل الجراد تنزى فى التبابين

من كل أفحج ذى حنف مخالفة أوفت به السفن علجا غير مجنون

ومن قوله فى سفيان بن عمرو والى اليمامة

لقد عصانى ابن عمرو اذ نصحت له ولو أطعت لما زلت به القدم

لو كنت أنفخ فى فحم لقد وقدت نارى ولكن رماد ماله حمم

وكان مروان أبخل الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء لا سيما من بني العباس فانه كان رسمهم أن يعطوه بكل بيت يمدحهم به ألف درهم

دخل مروان بن أبي حفصة على المهدى بعد وفاة معن فأنشده مديحا فيه فقال له المهدى ألست القائل

أقمنا باليمامة بعد معن مقاما لانريد به زوالا

وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد ذهب النوال فيما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لاشىء لك عندنا . فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء كل عام مرة فمثل بين يديه وأنشد بعد رابع أو خامس من الشعراء

طرقتك زائرة فحى خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

قادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الى الصبا فأمالها

فكأنما طرقت بنفحة روضة سحت بها ديم الربيع طلالها

باتت تسائل فى المنام معرسا بالبيد أشعث لايمل سؤالها

فى فتية هجعوا غرارا بعد ما سئموا مراعشة[1] السرى ومطالها

(١) المراعشة تحريك الرأس فى السير من النوم

فكأن حشو ثيابهم هندية نحلت وأغفلت القيون صقالها
وضعوا الخدود لدى سواهم جنح تشكو كلوم صفاحها وكلالها
طلبت أمير المؤمنين فواصلت بعد السرى بغدوها آصالها
نزعت اليك صواديا فتقاذفت تطوى الفلاة حزونها ورمالها
يتبعن ناجيـــة تهز مراحها بعـد النحول تليلها وقذالها
هوجاء تدرع الربا وتشقها شق الشموس إذا تراع جلالها
تنجو إذا دفع القطيع كما نجت خرجاء بادرت الظلام رئالها
كالقوس ساهمة أتتك وقد ترى كالبرج تملأ رحلها وحبالها

ومنها

أحيا أمير المؤمنين محمـد سنن النبي حرامها وحلالها
ملك تفرع نبعة من هاشم مد الاله على الانام ظلالها
جبل لأمته تلوذ بركنه رادى جبال عدوها فأزالها
لم يغشها مما يخاف عظيمة الا أجال لها الأمور مجالها
حتى يفرجها أغر مهذب ألفى أباه مفرجا أمثالهـا
ثبت على زلل الحوادث راكب من صرفهن لكل حال حالها
كلتـا يديك جعلت فضل نوالها للمسلمين وللعـــدو وبالها
وقعت مواقعها بعفوك أنفس أذهبت بعـــد مخافة أوجالها
ونصبت نفسك خير نفس دونها وجعلت مالك واقياً أموالها
هل تعلمون خليفة من قبله أجرى لغـــايته التي أجرى لها
طلع الدروب مشمراً عن ساقه بالخيل منصلتا يجـــد نعالها
قود تريع إلى أغر لوجهه نور يضيء أمامها وخلالها
قصرت حمـائله عليه فقلصت ولقـــد تحفظ قينها فأطالها
حتى إذا وردت أوائل خيله جيحان بث على العدو رعالها

أحمى بلاد المسلمين عليهمُ وأباح سهـل بلادهم وجبالها

أدمت دوابر خيله وشكيمها غاراتهن وألحقت آطالها

لم يُبق بعد مغارها وطرادها الا نحـائزها والا آلها

رفع الخليفة ناظريّ وراشني بيد مباركة شكرت نوالها

وحسدت حتى قيل أصبح باغيا في المشي مُتْرَفَ شيمه مختالها

ولقد حذوت لمن أطاع ومن عصى نعلا ورثت عن النبي مثالها

فزحف المهدى من صدر مصلاه حتى صار على البساط اعجابا بما سمع ثم قال كم هي؟ قال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت أول مائة ألف درهم أعطيها شاعر في أيام بني العباس وهكذا فعل معه الرشيد لما أنشده قصيدته التى يقول فيها

لعمرك ما أنسى غداة المُحصَّب اشارة سلْمَى بالبنان المخضب

وقد صدر الحجاج الا أقلهم مصادر شتى موكبا بعد موكب

دخل مروان على المهدى فى أول سنة قدم عليه فأنشده قوله فيه

أمر وأحلى ما بلا الناس طعمه عذاب أمير المؤمنين ونائله

فان طليق الله من أنت مطلق وإن قتيل الله من أنت قاتله

كأن أمير المؤمنين محمـداً أبو جعفر فى كل أمر يحاوله

فأجازه جائزة سنية

قال مروان دخلت على المهدى فى قصر السلام فلما سلمت عليه وذلك بعقب سخطه على يعقوب بن داود فقلت يا أمير المؤمنين ان يعقوب رجل رافضى وانه سمعنى أقول فى الوراثة

انى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام

فذلك الذى حمله على عداوتى ثم أنشدته

كأن أمير المؤمنين محمـداً لرأفته بالناس للناس والد

على أنه من خالف الحق منهـمُ سقته يد الموت الحتوف الرواصد

فقال له المهدي والله ما أعطيك الا من صلب مالي فاعذرني وأمر لي بثلاثين ألف درهم وكساني جبة ومُطْرَفا وفرض لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفا أخرى

قال ابن الأعرابي وفد مروان على معن بن زائدة فأنشده قوله

بنو مَطَرَ يوم اللقاء كأنهـم أسود لها في بطن خِفَّان أشبل

همُ يمنعون الجـار حتى كأنما لجـارهمُ بين السّما كين منزل

لهاميم[1] في الاسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول

همُ القوم ان قالوا أصابوا وان دُعوا أجابوا وان أعطَوْ أطابوا وأجزلوا

ولا يستطيع الفاعلون فَعالهم وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا

تُلاث بأمثال الجبال حُباهمُ وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

فأمر له بصلة سنية وخلع عليه وحمـله وزوده ثم قال ابن الاعرابي لو أعطاه كل مايملك لمـا وفاه حقه ، وكان ابن الاعرابي يختم به الشعراء ومادون لأحد بعده شعراً .

ومما قاله في الفرزدق وجرير والأخطل

ذهب الفرَزْدق بالهجاء وانمـا حـلو القريض ومره لجرير

ولقد هجا فأمضَّ أخطل تَغْلِب وحوى اللُّهى ببيانه المشهور

كل الثلاثة قد أجاد فمدحـه وهجاؤه قد سـار كل مسير

ولقـد جريت ففتّ غير مهلَّل بجراء لا قَرِف ولا مبهور

انى لآنف ان أحبر مدحـة أبداً لغير خليفة ووزير

ماضرني حسد اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

لما قدم معن من اليمن دخل عليه مروان والمجلس غاص بأهله فأخذ بعضادتي الباب وأنشأ يقول

[1] واحدة لهموم بضم اللام وهو الـكثير الخير

أرى القلب أمسى بالأوانس مولعا وان كان من عهد الصبا قد تمتعا

يقول فيها

ولما سرى الهم الغريب قريته قِرَى من أزال الشك عنه وأزمعا

عزمت فعجلت الرحيل ولم أكن كذى لَوْثة لا يطلع الهمّ مطلعا

فأمت ركابى أرض معن ولم تزل الى أرض مَعْن حيثما كان نُزّعا

نجائب لولا أنهـا سُخرت لنا أبت عزة من جهلها أن تورّعا

كسونا رحال الميس منهـا غواربا تدارك فيها النىّ صيفا ومربعا

فما بلغت صنعاء حتى تواضعت ذراها وزال الجهل عنهـا وأقلعا

الى أن قال

وما الغيث اذ عم البلاد بصَوْبه على الناس من معروف مَعْن بأوسعا

تدارك معن قبـة الدين بعـدما خشينا على أوتادها أن تُنَزّعا

أقام عـلى الثغر المخوف وهاشم تساقى سِماما بالأسنة منقعـا

مقام امرئ يأبى سوى الخُطّة التى تكون لدى غِبّ الأحاديث أنفعا

وما أحجم الأعـداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا

رأوا مُخْدِرا قد جربوه وعاينوا لدى غيله منهم مَجرّا ومَصْرَعا

وليس بثانيه اذا شد أن يَرَى لدى نحره زرق الأسنة شُرّعا

له راحتان الغيث والحتف فيهما أبى الله الا أن تضر وتنفعـا

لقد دوّخ الأعداء معن فأصبحوا وأمنعهم لا يدفع الذل مدفعـا

نجيب منـاجيب وسيد سادة ذُرَى المجد من فرعى نِزار تفرعا

لبانت خصال الخير فيه وأكملت وما كملت خمسا سنوه وأربعا

لقد أصبحت فى كل شرق ومغرب بسيفك أعناق المريبين خُضّعا

وطئت خدود الحَضْرميين وَطأة لها هُدّ ركن منهم فتضعضعا

فأقعوا على الأذناب اقعاء معشر — يرون لزوم السلم أبقى وأودعا
فلو مدت الأيدى الى الحرب كلها — لكفوا وما مدت الى الحرب أصبعا

فقال له معن احتكم ، قال عشرة آلاف درهم ، فقال معن ربحنا عليك تسعين ألفا ، قال أقلني ، قال لا أقال الله من يُقيلك

لما ولى معن اليمن كان يحيى بن منصور الذهلى قد تنسك وترك الشعر فلما بلغته أفعال معن وفد اليه ومدحه فقال مروان

لا تَعْدَموا راحتَىْ معن فانهما — بالجود أفتنتا يحيى بن منصور
لما رأى راحتى معن ترفعتا — بنائل من عطاء غير منزور
ألقى المسوح التى قد كان يَلْبَسَها — وظل للشعر ذا رصف وتحبير

لما مات المهدى وفدت العرب على موسى الهادى يهنئونه بالخلافة و يعزونه عن المهدى فدخل مروان فأخذ بعضادتى الباب وقال

لقد أصبحت تختال فى كل بلدة — بقبر أمير المؤمنين المقابر
ولو لم تسكن بابنه فى مكانه — لما برحت تبكى عليه المنابر

مرض عمرو بن مسعدة فدخل عليه مروان وقد أبل من مرضه فأنشأ يقول

صح الجسم يا عمرو — لك التمحيص والأجر
ولله علينا الحمد والمنة والشكر
فقد كان شكا شوقا — اليك النهى والأمر

مر مروان برجل من تيم اللات بن ثعلبة يعرف بالجنى فقال له مروان زعموا أنك تقول الشعر ، فقال له ان شئت عرفتك ذلك ، فقال مروان ما أنت والشعر؟ ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله ، فقال الجني اجلس واسمع ، فجلس فقال الجني يهجوه

ثوى اللؤم فى العَجْلان يوما وليلة — وفى دار مَرْوان ثوى آخر الدهر

عـدا اللؤم يبغى مطرحا لرحاله فنقب فى بر البـلاد وفى البحر
فلما أتى مروان خيم عنـده وقال رضينا بالمقام الى الحشر
وليس لمروان على العِرْس غَيْرة ولَـكنّ مروانا يَغار على القـدر
فقال له مروان ناشدتك الله الا كففت فأنت أشعر الناس

قال مروان وفدت فى ركب الى الرشيد فصرنا فى أرض موحشة قَفْر وجن علينا الليل ، فسرنا لنقطعها فلم نشعر الا بامرأة تسوق بنا ابلنا وتحدو فى آثارنا ، فاذا هى الغُول ، فلما لاح الفجر عدلت عنا وأخذت عرضا وجعلت تقول

يا كوكب الصبح اليك عنى فلست من صبح وليس منى

فما أذكر أنى فزعت من شىْ قط فزعى ليلتئذ

قال موسى بن يحيى أوصلنـا الى مروان بن أبى حفصة فى وقت من الأوقات سبعين ألف درهم وجمع اليها مالا حتى تمت مائة ألف وخمسين ألف درهم وأودعها يزيد بن مزيد ، فبينا نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد وكانت فيه دُعابة فقـال يا أبا على أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشترى الخبز من البقال ، فغضب يحيى ثم قال على بمروان ، فأتى به ، فقال له قد أخـبرنى أبوخالد بما أودعته من المال وماتبتاعه من البقال ، والله لمايرى من أثر البخل عليك أضر من الفقر لوكان بك ، ويروى أنه قال له والله لَلْبخلُ أسوأ عليك أثراً من الفقر لوصرت اليه فلاتبخل ، وقال عمر بن شبة قال مروان مافرحت بشىء قط فرحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهـدى فوزنتها فزادت درهما فاشتريت به لحمـا ، وقال جهم بن خلف أتينا اليمـامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة فأطعمنا تمراً وأرسل غلامه بفلْس وسُكرُجَة ليشترى زيتا ، فلما جاء بالزيت قال لغلامه خنتني ، قال من فلس كيف أخونك ؟ قال أخذت الفلس لنفسك واستوهبت الزيت ،وقال التَّوَّزى مر مروان بن أبى حفصة فى بعض سفراته وهو يريدمَعْنَ

امرأة من العرب فأضافته فقال لله على ان وهب لي الأمير مائة ألف ان أهب لك درهما ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاها أربعة دوانق ، وقال أبو دعامة اشترى مروان لحما بنصف درهم فلما وضعه فى القدر وكاد ينضج دعاه صديق له فرده على القصّاب بنقصان دانق ، فشكاه القصاب وجعل ينادى هذا لحم مروان ، وظن أنه يأنف لذلك ، فبلغ الرشيد ذلك فقال ويلك ماهذا ؟ فقال أكره الاسراف

دخل مروان على موسى الهادي فأنشده قوله فيه

تشابه يوما بأســـــه ونواله فما أحــد يدرى لأيهما الفضل

فقال له الهادى أيما أحب اليك ؟ أثلاثون ألفا معجلة أم مائة ألف تدون فى الدواوين ؟ فقال له يا أمير المؤمنين أنت تحسن ماهو خير من هذا ولــكنك أنسيته أفتأذن لي أن أذكرك ؟ قال نعم ، قال تعجل لى الثلاثين ألفا وتدون المائة ألف فى الدواوين ، فضحك وقال بل يعجلان جميعاً ؛ فحمل اليه المال أجمع

قال محمد النوفلى اجتاز مروان برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو ينشد قوما كان جالساً اليهم شعراً مدح به مروان بن محمد وأنه قتل قبل أن يلقاه وينشده اياه أوله

مروان يا ابن محمد أنت الذى زيدت به شرفا بنو مَرْوان

فأعجبته القصيدة فأمهل الباهلى حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه فى منزله فقال له انى سمعت قصيدتك وأعجبتنى ومروان قد مضى ومضى أهله وفاتك ماقدرت عنده أفتبيعنى القصيدة حتى أنتحلها ؟ فانه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير ؟ قال نعم ، قال بكم ؟ قال بثلثمائه درهم ، قال قد ابتعتها ، فأعطاه الدراهم وحلفه بالطلاق ثلاثا وبالأيمان المحرّجة ألاّ ينتحلها أبدا ولا ينسبها الى نفسه ولا ينشدها ، وانصرف بهــا الى منزله فغير منها أبياتا وزاد فيها وجعلها فى معن وقال في ذلك البيت

معن بن زائدة الذى زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان

ووفد بها الى معن حتى أثرى واتسعت حاله فكان معن أول من رفع ذكره ونوّه به وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومراث حسنة ، قال مروان كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلبا شديدا وجعل فيه مالا فحدثنى معن باليمين أنه اضطر لشدة الطلب الى أن أقام فى الشمس حتى لوحت وجهه وخفف عارضيه ولحيته ولبس جبة صوف غليظة وركب جملا من الجمال النقالة ليمضى الى البادية فيقيم بها ، وكان قد أبلى فى حرب يزيد بن عمر بن هُبَيرة بلاء حسنا غاظ المنصور وجد فى طلبه ، قال معن فلما خرجت من باب حرب تبعني أسود متقلدا سيفا حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خِطام جملى فأناخه وقبض على ، فقلت له مالك ؟ قال أنت طَلِبة أمير المؤمنين ، قلت ومن أنا حتى يطلبنى أمير المؤمنين ؟ قال معن ابن زائدة ، قلت يا هذا اتق الله وأين أنا من معن ؟ قال دع هذا عنك فانا والله أعرف بك منك ، فقلت له فان كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معي بفى بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بى فخذه ولا تسفك دمى ، قال هاته ، فأخرجته اليه فنظر اليه ساعة وقال صدقت فى قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شىء فان صدقتنى أطلقتك ، فقلت قل ، قال ان الناس قد وصفوك بالجود فأخبرنى هل وهبت قط مالك كله ؟ قلت لا ، قال فنصفه ؟ قلت لا ، قال فثلثه ؟ قلت لا حتى بلغ العشر فاستحييت فقلت أظن أنى قد فعلت هذا ، فقال ما أراك فعلته ، أنا والله راجل ورزقى من أبي جعفر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته آلاف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس ولتعلم أن فى الدنيا أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن مكرمة ، ثم رمى بالعقد فى حجرى وخلى خطام البعير وانصرف ، فقلت يا هذا قد والله فضحتنى ولسفك دمى أهون على مما فعلت فخذ ما دفعته اليك فانى غني عنه ، فضحك وقال أردت أن تكذبنى فى مقامى هذا والله لا آخذه ولا آخذ

بمعروف ثمنا أبدا ومضى ، فوالله لقدطلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءنى به ما شاء فما عرفت له خبرا وكأن الأرض ابتلعته، وكان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستترا حتى كان يوم الهاشمية (١) فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسنا وذب القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعد، ثم جاء والمنصور راكب على بغلة ولجامها بيد الربيع فقال له تنح فانى أحق باللجام منك فى هذا الوقت وأعظم فيه غناء ، فقال له المنصور صدق فادفعه اليه ، فاخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال، فقال له المنصور من أنت لله أبوك ؟ قال أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، قال قد أمنك الله على نفسك ومالك ومثلك يصطنع ، ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه وزينه، ثم دعا به يوما فقال له انى قد أملتك لأمر فكيف تكون فيه ؟ قال كما يحب أمير المؤمنين ، قال قد وليتك اليمن فابسط السيف فيهم حتى ينقض حلف ربيعة واليمن، وابلغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين، فولاه اليمن وتوجه اليها فبسط السيف فيهم حتى اشرف ، قال مروان وقدم معن بعقب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل

قد بلغ أمير المؤمنين عنك شىء لولا مكانك عنده ورأيه فيك لغضب عليك، قال وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال اعطاؤك مروان بن أبى حفصة ألف دينار لقوله فيك

معَن بن زائدة الذى زيدت به ... شرفا على شرف بنو شيبان

ان عـد أيام الفعال فانما ... يوماه يوم ندًى ويوم طعان

فقال والله يا أمير المؤمنين ما أعطيته ما بلغك لهذا الشعر وانما أعطيته لقوله

ما زلت يوم الهاشمية معلنا ... بالسيف دون خليفة الرحمن

(١) مدينة بناها السفاح بالكوفة وذلك انه لما ولى الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستتم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية فكان الناس ينسبونها الى ابن هبيرة يسقط عنها فرفضها وبني حيالها مدينة سماها الهاشمية و نزلها

فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان

فاستحيا المنصور وقال انما أعطيته ما أعطيته لهذا القول ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين والله لولا مخافة الشنعة لأمكنته من مفاتيح بيوت الأموال وأبحته اياها، فقال له المنصور لله درك من أعرابى ما أهون عليك ما يعز على الرجال وأهل الحزم

قال عطية الأضجم لما قال مروان

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبنى البنات وراثة الأعمام

لزمته وعاهدت الله أن أغتاله فأقتله أى وقت أمكننى ذلك وما زلت ألاطفه وأبره وأكتب أشعاره حتى خصصت به، فأنس بى جدا وعرفت ذلك بنو حفصة جميعاً فأنسوا بى، ولم أزل أطلب له غرة حتى مرض من حمى أصابته فلم أزل أظهر له الجزع عليه وألازمه وألاطفه حتى خلالى البيت يوما فوثبت عليه فأخذت بحلقه فما فارقته حتى مات ، فخرجت وتركته ، فخرج اليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتا وارتفعت الصيحة فحضرت وتباكيت وأظهرت الجزع عليه حتى دفن وما فطن بما فعلت أحد ولا اتهمنى به

المؤمل بن جميل

هو أبو جميل بن يحيى بن أبى حفصة كان شاعراً غزلا ظريفا ، وكان منقطعا إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ثم قدم العراق فكان مع عبدالله بن مالك وذكره للمهدى فحظى عنده وهو الذى يقول فى شكاة اشتكاها عبد الله بن مالك

ظلت علىّ الأرض مظلمة إذ قيل عبد الله قد وعكا

ياليت ما بك بى وإن تلفت نفسى لذاك وقل ذاك لكا

ومن قوله وفيه غناء

أصبحت للحب أسيراً فقد صعّد في الحب وقد صوّبا
لاشك أنى ميت حسرة إن لم أزُرْ قبل غد زينبا
تلك التى ان نلتها لم أبَلْ من شرّق الدهرَ ومن غرّبا

وأم جميل أميرة بنت زيادة بن هَوْذة من بنى أنف الناقة الذين يمدحهم الحطيئة ، وأم المؤمل شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم وكان جميل يلقب قتيل الهوى لقوله

قلن من ذا ؟ فقلت هذا اليمانى قتيل الهوى أبو الخطاب
قلن بالله أنت ذاك يقينا ؟ لاتقل قول مازح لعاب
ان تكن أنت هو فأنت منانا خاليا كنت أو مع الأصحاب

مروان الأصغر

هو أبو السِّمط مروان بن أبى الجنوب بن مروان بن أبى حفصة

وهو آخر من بقى من آل مروان بن أبى حفصة يعد فى الشعراء و بقى بعده منهم متوج وكان ساقطا بارد الشعر ، قال أبوهفان شعر آل أبى حفصة بمنزلة الماء الحار ابتداؤه فى نهاية الحرارة ثم تلين حرارته ثم يَفْتُرُ ثم يَبْرُد ، وكذا كانت أشعارهم إلا أن ذلك الماء لما انتهى الى متوج جَمَد

كان المنتصر قد أقصاه وجفاه وأظهر خلافا لأبيه فى سائر مذاهبه حتى فى التشيع فطرد مروان لنصبه وأخرجه عن جلسائه فقال هذه الأبيات يستعطفه وهى

لقد طال عهدى بالامام محمد وما كنت أخشى أن يطول به عهدى
فأصبحت ذا بعد ودارى قريبة فواعجبا من قرب دارى ومن بعدى
رأيتك فى برد النبى محمد كبدر الدجى بين الغمامة والبرد

قال مروان لما دخلت الى المتوكل مدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة وأنشدته هذا

سقى الله نجداً والسلام على نجد ويا حبذا نجد على النأي والبعد
نظرت إلى نجد وبغداد دونها لعلي أرى نجدا وهيهات من نجد
ونجد بها قوم هواهم زيارتي ولاشيء أحلى من زيارتهم عندي

فلما فرغت منها أمر لي بمائة وعشرين ألف درهم وخمسين ثوبا وثلاثة من الظهر فرس وبغلة وحمار ولم أبرح حتى قلت قصيدتي التي أشكره فيها

تخير رب الناس للناس جعفرا وملكه أمر العباد تخيرا

فلما وصلت الى هذا البيت

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد فقد كدت أن أطغى وان أتجبرا

قال لي لا والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي .

لما كان بين أبي العباس بن المأمون وعجيف ما كان أنشد مروان المعتصم قصيدة أولها

ألا يادولة المعصوم دومي فانك قلت للدنيا استقيمي

ومنها

هوى العباس حين أراد غدرا فوافى اذ هوى قعر الجحيم
كذاك هوى كمهواه عجيف فأصبح في سواء لظى الحميم

كان علي بن الجهم يطعن على مروان ويثلبه حسدا له على موضعه من المتوكل فقال المتوكل ياعلي أيما أشعر أنت أم مروان ؟ فقال أنا يا أمير المؤمنين ، فأقبل على مروان فقال قد سمعت فما عندك ؟ قال كل أحد أشعر مني يا أمير المؤمنين وما أصف نفسي ولا أزكيها واذا رضيني أمير المؤمنين فما أبالي من زيفني ، فقال له قد صدقتك على يزعم سراً وجهرا أنه أشعر منك ، فالتفت اليه مروان فقال له ياعلي أأنت

أشعر منى ؟ فقال أوَ تشك فى ذاك ؟ قال نعم أشك وأشك ، وهـذا أمير المؤمنين بيننا ، فقال له على ان أمير المؤمنين يحابيك ، فقال المتوكل هـذا عِيٌّ منك ياعلى ، ثم قال لابن حمدون احكم بينهما ، فقال طرحتنى والله يا أمير المؤمنين بين أنياب أسدين ومخالبهما ، قال والله لتحكمن بينهما، فقال أما إذ حلفت يا أمير المؤمنين فأشعرهما عندى أعرقهما فى الشعر ، فقال له المتوكل قد سمعت ياعلى، قال قد عرف ميلك اليه فمال معه ، فقال دعنا منك هذا كله عى فان كنت صادقا فاهج مروان ، قال قد سكرت ولافضل فى ، فقال المتوكل لمروان اهجه انت بحياتى ولاتبق غاية ، فهجاه مروان بشعر أفحش فيه ، فضحك المتوكل والجلساء منه وانخزل ابن الجهم فلم يكن عنده أكثر من أن قال جمع حيلة الرجال وحيلة النساء ، فقال له المتوكل هـذا أيضاً من عيك وبردك ان كان عندك شيء فهاته ، فلم يأت بشيء ، فقال لمروان بحياتى ان حضرك شيء فهاته ولاتقصر في شيء فقال مروان شعراً آخر أفحش فيه ، فضحك وقال زده بحياتى ، فزاده فأخـذ عبادة الأبيات فغناها على الطبل وجاء به من كان يغنى والمتوكل يضحك ويضرب بيديه ورجليه وعلى مطرق كأنه ميت ، ثم قال على بالدواة فأتى بها فكتب

بلاء ليس يشبهـــه بلاء عداوة غير ذى حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصُنْه ويرتع منك فى عِرْضٍ مَصون

لما مدح على بن الجهم وهو محبوس المتوكل بقوله

توكلنا على رب السماء وسلمنا لأسباب القضاء

وذكر فيها جميع الندماء وثلبهم وهجاهم انتدب له مروان فعارضه فيها ، وقد كان المتوكل رق له فلما أنشده مروان هذه القصيدة اعتورته ألسنة الجلساء فثلبوه واغتابوه وضرَّبوا عليه فتركه فى محبسه والقصيدة قوله

ألم تعـلم بأنك يا بن جَهْم دَعِيٌّ فى أناس أدعيـاء

أعبدَ الله تهجو وابن عمرو ... وبختيشوع أصحاب الوفاء

هجوت الأكرمين وأنت كلب ... حقيق بالشتيمة والهجاء

أترمى بالزناء بني حلال ... وأنت زَنيم أولاد الزناء

أسامةُ مِن جدودك يابن جهم ... كذبت وما بذلك من خفاء

دخل مروان على أشناس وقد مدحه بقصيدة ، فأنشده اياها، فجعل أشناس يحرك رأسه ويومئ بيديه ويظهر طربا وسرورا وأمر له بصلة ، فلما خرج قال له كاتبه رأيت الأمير قد طرب وحرك رأسه ويديه لما كان يسمعه فهل فهمه ؟ قال نعم ، قال فأيَّ شيء كان يقول ، قل ما زال يقرأ على رُقية الخبز حتى حصل ما أراد وانصرف

قال على بن يحيى المنجم كان المتوكل يعاتبني كثيرا فقال فى يوم من الأيام لمروان اهج على بن يحيى فقال مروان

ألا ان يحيى لا يقاس الى أبى ... وعِرض ابن يحيى لا يقاس الى عرضى

وهى أبيات تركت ذكرها صيانة لعلى بن يحيى ، فأجبته عنها فقلت

صدقت لعمرى ما يقاس الى أبى ... أبوك ومن قاس الشواهق بالخفض؟

وهـل لك عرض طاهر فتقيسه ... اذا قيست الأعراض يوما الى عرض؟

ألستم موالى للعين ورهطـه ... أعادى بنى العباس ذى الحسب المَحض؟

توالون من عادى النبى ورهطه ... وترمون من والى أولى الفضل بالرفض

وليس عجيبا أن أرى لك مبغضا ... لأنك أهل للعـداوة والبغض

أنشد مروان المتوكل ذات يوم

انى نزلت بساحة المتوكل ... ونزلت فى أقصى ديار الموصل

فقال له بعض من حضر فكيف الاتصال بين هؤلاء والمراسلة ؟ فقال أبو العَنْبَس الصَيْمَرى كان له حمام هدى يبعث بها اليه من الموصل حتى يكاتبه على

أجنحتها ، فضحك المتوكل حتى استلقى وخجل مروان وحلف بالطلاق لا يكلم أبا العنبس أبدا ، فما تامتها جرين

قال ابراهيم بن المدبر قرأت فى كتاب قديم قال عوف بن محلم لعبد الله بن طاهر في علة اعتلها

فان تك حُمّى الرِّبْع شفَّك وِرْدها　　فعقباك منها أن يطول لك العمر
وقيناك لو نُعطى المنى فيك والهوى　　لكان بنا الشكوى وكان لك الأجر

ثم حُمّ المتوكل حُمّى الربع فدخل عليه مروان فأنشده قصيدة له على هذا الرَّوِيّ وأدخل البيتين فيها، فسر بها المتوكل ، فقال له على بن الجهم هذا شعر مقول ، والتفت الى وقال هذا يعلم ، فالتفت الىّ وقال أتعرفه ؟ فقلت ما سمعته قبل اليوم ، فشتمنى على بن الجهم وقال هذا من حسدك وشرك وكذبك ، فلما خرجنا قال على بن الجهم ويحك مالك قد جننت ؟ أما تعرف هذا الشعر ؟ قلت بلى وأنشدته اياه ، فلما عدت الى المتوكل من غد قال يا أمير المؤمنين قد اعترف لى بالشعر وأنشدنيه ، فقال لى أكذاك هو ؟ فقلت كذب ما سمعت به قط ، فازداد على غيظا ولى شتما ، فلما خرجنا قال لى ما فى الأرض شر منك ، فقلت أنت أحق تريد منى أن أجيء الى شعر قد قاله فيه شاعر يحبه ويعجبه شعره فأقول له انى أعرفه فأوقع نفسى وعرضى فى لسان شاعر لترتفع أنت عنده ويسقط ذاك ويبغضنى أيضا

عيسى بن موسى

هو عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وأمه وأم سائر اخوته أم ولد، ولد ونشأ بالحُمَيْمة من أرض الشام ، كان من فحول أهله وشجعانهم وذوى النجدة والرأى والبأس والسودد فيهم . كان وليا للعهد بعد المنصور فخلعه المنصور وولى بدله ابنه محمد المهدى فقال فى ذلك

خيرت أمرين ضاع الحزم بينهما إمّا صَغار واما فتنـــة عَمَم
وقـد هممت مرارا أن أساجلهم كأس المنية لولا اللهُ والرحـم
ولو فعلت لزالت عنهمُ نعـــم بكفر أمثالها تستنزل النقم

قال هشام بن عروة بن الزبير حكى ان ناقدا خادم عيسى كان واقفا بين يديه ليلة أتاه خبر المنصور وما دبره عليه من الخلع فجعل يتململ على فراشه ويهمهم ثم جلس فأنشد هذه الأبيات فعلمت أنه كان يهمهم بها وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ماجرى شفقة عليه ، قال موسى بن محمد بن على رأيت كأنى دخلت بستانا فلم آخـذ منه الا عنقودا واحدا عليه من الحب المتراصف ما الله به عليم فولد لى عيسى ثم ولد لعيسى من قد رأيت

قال عبد الرحمن بن مالك كنا مع عيسى لما سكن الحيرة وأرسل اليّ فى ليلة من الليالى فأخرجنى من منزلى ، فجئت اليه فاذا هو جالس على كرسى فقال لى ياعبد الرحمن لقد سمعت الليلة فى دارى شيئا ما دخل سمعى قط الا ليلة بالحميمة والليلة فانظر ماهو ؟ فدخلت أستقرى الصوت فوجدته فى المطبخ فاذا الطباخون قد اجتمعوا وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعود فكسرت العود وأخرجت الرجل وعدت اليه فأخبرته ، فحلف لى انه ماسمعه قط الا تلك الليلة بالحميمة وليلته هذه

كان عيسى إذا حج يحج ناس من أهل المدينة يتعرضون لمعروفه فيصلهم فقال أبو الشدائد الفزارى

عصابة ان حج موسى حجوا وان أقام بالعراق دجوا
قد لعقوا لعيقـــه فلَجُّوا فالقوم قوم حجهم معوج
ماهكذا ياقوم كان الحج

ثم لقى أبو الشدائد بعد ذلك أبى فسلم عليه ، فلم يردد عليه ، فقال مالك ياأباعبد الله لاترد السلام على ؟ فقال ألم أسمعك تهجو حجاج بيت الله الحرام ؟ فقال أبو الشدائد

انى ورب الكعبة المبنية والله ماهجوت من ذى نية

ولا امرىء ذى رغبة نقية لكننى أرعى على البرية

من عصبة أعلوا على الرعية

ابو العبر

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن على العباسى المستوى فى ايام عمره منذ أيام الأمين وهو غلام الى أن ولي المتوكل الخلافة فترك الجد وعدل الى الحُمْق والشهرة به وقد نيف على الخمسين ورأى أن شعره مع توسطه لا يَنفُقُ مع مشاهدته أبا تمام والبُحتُرى وأبا السمط بن أبى حفصة ونظراءهم ، وكسب بالحمق أضعاف ما كَسَبه كل شاعر كان فى عصره بالجد ، ونَفَق نفاقا عظيما وكسب فى أيام المتوكل مالا جليلا وله فيه أشعار حميدة يمدحه بها ويصف قصره وبُرْج الحمام والبركة كثيرة المُحال مفرطة السقوط لامعنى لذكرها سيما وقد شهرت فى الناس .

قال الزبير بن بكار قال عمى ألا يأنف الخليفة لابن عمه هذا الجاهل مما قد شهر به وفضح عشيرته والله انه لعر بنى آدم جميعاً فضلا عن أهله والأقربين أفلا يردعه ويمنعه من سوء اختياره ؟ فقلت انه ليس بجاهل كما تعتقد وانما يتجاهل وان له لأدبا صالحاً وشعراً طيباً ثم أنشدته

لاأقول الله يظلمنى كيف أشكو غير متهم

واذا ما الدهر ضعضعني لم تجدنى كافر النعم

قَنِعت نفسى بما رُزقت وتناهت فى العلاهمى

ليس لي مال سوى كرمى وبه أمني من العدم

فقال لى ويحك لم لايلزم هذا وشبهه؟ فقلت له والله ياعم لو رأيت مايصل اليه بهذه الحماقات لعذرته فان ماستملحت له لم ينفُق ، فقال عمى وقد غضب أنا لا أعذره فى هذا ولو حاز به الدنيا بأسرها لاعذرنى الله ان عذرته اذا

ومنه

أبكى اذا رضيت حتى اذا غضبت بكيت عند الرضا خوفا من الغضب
فالويل ان رضيت والعول ان غضبت ان لم يتم الرضا فالقلب فى تعب

ومنه

داء دفين وهوى بادى اظلم فجازيك بمرصاد
ياواحد الأمة في حسنه أشمت بى صدك حسادى
قد كدت مما نال مني الهوى أخفى على أعين عوادى
عبدك يحيي موته قبلة تجعلها خاتمة الزاد

قال أحمد بن على الأنبارى كنا في مجلس يزيد بن محمد المهلبى بسر من رأى فجرى ذكر أبي العبر فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطه ، فقلت ليزيد كيف كان عندك فقد رأيته ، فقال ما كان الا أديباً فاضلا ولكنه رأى الحماقة أنفق وأنفع له فتحامق ، فقلت له أنشدك أبياتاً له أنشدنيها فانظر لو أراد دعبل فانه أهجى أهل زماننا أن يقول في معناها ماقدر على أن يزيد على ماقال ، قال أنشدنيها فأنشدته قوله

رأيت من العجائب قاضيين هما أحدوثة فى الخافقين
هما اقتسما العمى نصفين فذا كما اقتسما قضاء الجانبين
هما فال الزمان بهلك يحيى اذا فتح القضاء بأعورين
وتحسب منهما من هز رأسا لينظر فى مواريث ودين
كأنك قد جعلت عليه دنا فتحت بزاله من فرد عين

فجعل يضحك من قوله ويعجب منه ثم كتب الأبيات

وكان ابو العبر شديد البغض لعلى بن أبى طالب صلوات الله عليه وله فى العلويين هجاء قبيح ، وكان سبب ميتته انه خرج الى الكوفة ليرمى بالبندق مع الرماة

من أهلها فى آجامهم فسمعه بعض الكوفيين يقول فى على صلوات الله عليه قولا قبيحاً استحل به دمه فقتله فى بعض الآجام وغرقه فيها

نصيب

هو مولى المهدى ، عبد نشأ باليمامة واشترى للمهدى فى حياة المنصور ، فلما سمع شعره قال والله ماهو بدون نصيب مولى بنى مَرْوان ، فأعتقه وزوجه أمة له يقال لها جعفرة وكناه أبا الحَجْناء وأقطعه ضيعة بالسواد وعمر بعده ، ومن جيد شعره قوله يمدح الرشيد

ألِلبين ياليلى جمالك تُرْحَل ليقطع منا البينُ ما كان يوصل
تعللنا بلوعد ثُمّتَ تلتوى بموعودها حتى يموت المعلَّل
ألم ترأن الحبل أصبح واهنا وأخلف من ليلى الذى كنت آمل
فلا الحبل من ليلى يؤاتيك وصله ولا أنت تنهى القلب عنها فيذهل
خليلىّ انى مايزال يشوقني قَطِين الحي والظاعن المتحمل
فأقسمت لا أنسى ليالى مُنْعِج ولا مأسَل إذ منزل الحى مأسل
أمن أجل آيات ورسم كأنه بقية وحْىٍ أو رداء مسلسل
جرى الدمع من عينيك حتى كأنه تَحَدُّر در أو جُمان مفصَّل
فيأيها الزنجى مالك والصبا أفِقْ عن طلاب البيض إن كنت تعقل
فمثلك من أحبوشة الزنج قُطِّعت وسائل أسباب بها يتوسل
قصدنا أمير المؤمنين ودونه مَهَامِهِ مَوْماة من الأرض مجهل
على أرْحَبِيّات طوى السير فانطوت شمائلها مما تُحَلّ وتُرْحَل
الى ملك صَلْت الجبين كأنه صفيحة مسنون جلا عنه صيقل
إذا ابلج البابان والستر دونه بدا مثل مايبدو الأغرّ المحجَّل

شريكان فينا منه عين بصيرة ... كلوء وقلب حافظ ليس يغفل
فما فات عينيه رعاه بقلبه ... فآخر مايرعى سواه وأول
وما نازعت فينا أمورك هفوة ... ولاخطلة فى الرأى والرأى يخطل
إذا اشتبهت أعناقه بينت له ... معارف فى أعجازه وهو مقبل
لئن نال عبدُ الله قبلُ خلافة ... لأنت من العهد الذى نلت أفضل
ومازادك العهد الذى نلت بسطة ... ولكن بتقوى الله أنت مسربل
ورثت رسول الله عضواً ومفصلا ... وذا من رسول الله عضو ومفصل
إذا مادهتنا من زمان مُلمَّة ... فليس لنا إلا عليك المعول
على ثقة منا تحن قلوبنا ... اليك كما كنا أبك نؤمل

وهى قصيدة طويلة هذا مختار من جميعها

وجه المهدى نصيباً إلى اليمن فى شراء ابل مَهْرِيّة ووجه معه رجلا من الشيعة وكتب معه الى عامل اليمن بعشرين ألف دينار، فمد أبو الحجناء نصيب يده في الدنانير ينفقها فى الأكل والشرب وشراء الجوارى والتزويج، فكتب الشيعى بخبره إلى المهدى فكتب فى حمله موثقا فى الحديد، فلما دخل على المهدى أنشده شعرا قال

تأوبني ثقل من الهم موجع ... فأرّق عينى والخليون هُجَّع
هموم توالت لو أطاف يسيرها ... بسلمى لظلت صُمُّهُ تتصدع
ولكنها نيطت فناء بحملها ... جهير المنايا حائن النفس مجزع
وعادت بلاد الله ظلماء حندسا ... فخلت دُجَى ظلمائها لا تقشّع

وهى طويلة يقول فيها

اليك أمير المؤمنين ولم أجد ... سواك مجيراً منك يُدْنى ويمنع
تلمست هل من شافع لى فلم أجد ... سوى رحمة أعطاكها الله تشفع

لئن جلّت الأجرام منى وأفظعت فعفوك عن جُرْمى أجل وأوسع
لئن لم تَسعْنى يابن عم محمد فما عجزت عنى وسائل أربع
طبعتَ عليها صِبْغَةً ثم لم تزل على صالح الأخلاق والدين تطبع
تغابيك عن ذى الذنب ترجو صلاحه وأنت ترى ما كان يأتى ويصنع
وعفوك عما لو تكون جزيته لطارت به فى الجو نكباء زَعزَع
وانك لاتنفك تنعِش عاثراً ولم تعترضه حين يكبو ويَخمَع(١)
وحلمك عن ذى الجهل من بعدما جرى به حَنَق من طائش الجهل أشنع
فقبهن لى إما شفعن منافع وفي الأربع الأولى اليهن أفزع
مناصحتى بالفعل ان كنت نائيا اذا كان دانٍ منك بالقول يخدع
وثانية ظنى بك الخير غائباً وإن قلت عبد ظاهر الغش مسبع
وثالثة أنى على ماهَويته وإن أكثر الاعداء فى وشنعوا
ورابعة أنى اليك يسوقني ولأنى فمولاك الذى لايضيع
وإنى لمَولاك الذى ان جفوته أتى مستكينا راهباً يتضرع
وانى لمَولاك الضعيفُ فأعفنى فانى لعفو منك أهل وموضع

فقطع عليه المهدى الانشاد ثم قال له ومن أعتقك يا بن السوداء ؟ فأومأ بيده الى الهادى وقال الأمير موسى يا أمير المؤمنين ، وصدقه الهادى ، فأمضى المهدي ذلك وأمر بحديده ففُكّ عنه وخلع عليه عدة من الخلع الوشى والخز والسواد والبياض ووصله بألفى دينار فقال قصيدته

أأذن الحى فانصاعوا بترحال فهاج بينهمُ شوقى وبلبالى

وقام بها بين يدى المهدي فلما قال

مازلت تبذل لى الأموال مجتهدا حتى لأصبحت ذا أهل وذا مال
زوجتنى يا بن خير الناس جارية ما كان أمثالها يُهْدَى لأمثالى

---

(١) الخمع كفرح الظلع

زوجتني بضّة بيضاء ناعمة كأنها دُرّة في كف لآل
حتى توهمت أن الله عجلها يا بن الخلائف لى من غير أعمالى
فسالنى سالم ألفا فقلت له أنّى لي الألف؟ ياقبحت من سال
هيهات ألفك الا أن أجىء بها من فضل مولي لطيف المن مفضال

فأمر له المهدى بألف دينار ولسالم بألف درهم

روى أنه حبس باليمن مدة طويلة ثم أشخص الى المهدى فقال وهو فى الحبس ودخلت عليه ابنته حجناء فلما رأت قيوده بكت فقال

لقد أصبحت حجناء تبكي لوالد بدرّة عين قل عنه غناؤها
أحجناء صبرا كل نفس رهينة بموت ومكتوب عليها بلاؤها
أحجناء أسباب المنايا بمرصد فإلّا يعاجل غدوُها فمساؤها
أحجناء ان أفلتُ من السجن تلقني حتوف منايا لا يُردّ قضاؤها
أحجناء ان أضحي أبوك ودلوه تعرت عرّا منها ورثّ رشاؤها
لقد كان يُدلي في رجال كثيرة فيمتح ملأى وهى صفْر دلاؤها
أحجناء ان يُصبح أبوك ونفسه قليل تمنيها قصير عزاؤها
لقد كان فى دنيا تفيأ ظلها عليه ومجلوب عليه بهاؤها

ولما دخل نصيب على المهدى مقيدا رآه ثُمامة بن الوليد العبسى عنده واستعطفه له وسوغ عذره عنده ، ولم يزل يرفق به حتى أمر باطلاقه ، وكان نصيب فى متقدم الأيام منقطعا الى أخيه شيبة فقال فيه

أثمامَ انك قد فككت ثماما حلقا برين من النُّصيب عظاما
حلقا توسطها العمود فلزّها لولا ثُمامة والاله لداما
الله أنقذنى به من هوّة تيهاء مهلكة تكون رجاما

فلأشكرنك يا ثُمامة ما جرت فوق السحاب كَنَهْورا[1] وجهاما
ولأشكرنك يا ثُمامة ما دعت وُرْق الحمام على الغصون حماما
وخلفت شيبة فى المقام ولا أرى كمقام شيبة فى الرجال مقاما
أغنى اذا التمس الرجال غَناءه في كل نازلة تكون غراما
وأعمّ منفعةً وأكرم حافظا تهدى اليه تحية وسلاما
لا يَبْعَدَنّ ابن الوليد فانه قد نال من كل الأمور جساما
لومن سوى رهط النبى خليفة يدعى لكان خليفة واماما

دخل نصيب على ثُمامة بعد وفاة أخيه شيبة وهو يفرق خيله على الناس فأمر له بفرس ، فأبى أن يقبله وبكى ثم قال

ياشيبة الخير إمّا كنت لى شجنا آليت بعدك لا أبكى على شجن
أضحت جياد ابن قعقاع مقسمة فى الأقربين بلا حمد ولا ثمن
ورّثتهم فتعزّوا عنك اذ ورثوا وما وَرِثْتُك غير الهم والحزن

فجعل ثمامة ومن عنده حاضر من أهله يبكون

دخل نصيب على الفضل بن يحيى بن خالد مسلما فوجد عنده جماعة من الشعراء قد امتدحوه فهم ينشدونه فيأمر لهم بالجوائز ولم يكن امتدحه ولا أعد له شيئا ، فلما فرغوا وكان يُرَوّى قولا فى نفسه استأذن فى الانشاد ثم أنشد قصيدته التى أولها

طرقتك مية والمزار شَطِيب[2] ونأتك بالهجران وهى رقيب
لله ميَّة خُلّةً لو أنها تجزى الوداد بودها وتُثيب
وكأن مية حين أتلع جيدها رشأ أغنّ من الظباء ربيب

(١) الكنهور من السحاب قطع كأمثال الجبال أو المتراكم منه والجهام لا ماء فيه (٢) بعيد

نصفان ماتحت المؤزّر عاتك[1] دعص أغرّ و فوق ذاك قضيب

ما للمنازل لا تكاد تجيب أنّى يجيبك جندل وجبوب[2]

جادتك من سبل الثريّا ديمة ريّان من نوء السّماك ذنوب

فلقد عهدت بك الحلال بغبطة والدهر غض والجناب خصيب

اذ للشباب عليّ من ورق الصبا ظل واذ غصن الشباب رطيب

طرب الفؤاد ولات حين تطرّب ان الموكل بالصبا لطروب

وتقول مية ما لمثلك والصبا واللون أسود حالك غربيب

شاب الغراب وما أراك تشيب وطلابك البيض الحسان عجيب

أعلاقةً أسبابهن وانما أفنان رأسك فلفل وزبيب

لا تهزئي مني فربّتَ عائب ما لا يعيب الناس وهو معيب

ولقد يصاحبني الكرام وطالما يسمو اليّ السيد المحجوب

وأجرّ من حلل الملوك طرائفا منها عليّ عصائب وسبيب

وأسالب الحسناء فضل ازارها فأصورها وازارها مسلوب

وأقول مقترح البديّ كأنه برد تنافسه التجار قشيب

يقول فيها فى مدح الفضل

والبرمكي وان تقارب سنه أو باعدته السن فهو نجيب

خرق العطاء إذا استهل عطاؤه لا متبع منًّا ولا محسوب

يا آل برمك مارأينا مثلكم مامنكم الا أغرّ وهوب

وإذا بدا الفضل بن يحيى هبته لجلاله ان الجلال مهيب

قاد الجياد الى العدا وكأنها رجل الجراد تسوقهن جنوب

قبًّا تبارى فى الأسنة شزّبا[3] تدع الحزون كأنهن سهوب

(١) العاتك الخالص من كل شيء ولون (٢) الجبوب المدرة الغليظة تقطع من وجه الأرض
(٣) الشازب الضامر البائس والجمع شزب

من كل مضطرب العنان كأنه ذئب يبادره الفريسة ذيب
تهوى بكل مغاور عاداته صدق اللقاء فماله تكذيب
حتى صبحن الطالبي بعارض فيه المنايا تغتدى وتؤوب
خاف ابن عبد[٢] الله ماخوفته فجفاك ثم أتاك وهو مثيب
ولقد رآك الموت الا أنه بالظن يخطىء مرة ويصيب
فرمى اليك بنفسه فنجابها أجل اليه ينتهى مكتوب
فكسوته ثوب الأمان وانه لا حبله واه ولا مقضوب
شمنا اليك مخيلة لاخلبا فى الشيم اذ بعض البروق خلوب
انا على ثقة وظن صادق مما نؤمله فليس نخيب

فاستحسنها الفضل وأمر له بثلاثين ألف درهم فقبضها ووثب قائما وهو يقول

انى سأمتدح الفضل الذى حنيت منا عليه قلوب البر والضلع
جاد الربيع الذى كنا نؤمله فكلنا بربيع الفضل مرتبع
كانت تطول بنا في الأرض نجعتنا فاليوم عند أبى العباس ننتجع
ان ضاق مذهبنا أو حل ساحتنا ضنك وأزم فعند الفضل متسع
ماسلم الله نفس الفضل من تلف فما أبالى أقام الناس أم رجعوا
ان يمنعوا ماحوت منا أكفهم فلن يضر أبا الحجناء مامنعوا
أو حلؤنا وذادوا عن حياضهم يوم الشروع ففى غدرانك الشرع
يامُمسكا بعرا الدنيا اذا خشيت منها الزلازل والأمر الذى يقع
قد ضرستك الليالي وهى خالية وأحكمتها النهى والأزلم الجذع[١]
فغادرا منك حزما عن معاشرة سهل الجناب يسيراً حين يتبع

(١) هو يحيي بن عبد الله
(٢) الأزلم الجذع هو الدهر الشديد الكثير البلايا أى الذى لا يهرم

لم يفتلتك نقيراً عن مخادعة ... دَهْيُ الرجل وللسؤال تنخدع
فأنت مضطلع بالملك تحمله ... كما أبوك بثقل الملك مضطلع

لما حجت أم جعفر زبيدة لقيها نصيب فترجل وأنشأ يقول

سيستبشر البيت الحرام وزمزم ... بأم ولى العهـد زين المواسم
ويعلم من وافى المحَصَّب أنها ... ستحمل ثقل الغُرْم عن كل غارم
بنو هاشم زين البرية كلها ... وأم ولى العهـد زين لهاشم
سليلة أملاك تفرعت الذُّرَى ... كرام لأبناء الملوك الأكارم
فوالله ما ندرى أفضل حديثها ... عليهم به تسمو أم المتقادم
يظن الذى أعطته منها رغيبة ... يقُصُّ عليه الناس أحلام نائم

فأمرت له بعشرة آلاف درهم وفرس فأعطيه بلا سرج فتلقاها لما رحلت وقال

لقد سادت زُبيدة كل حى ... وميت ما خلا الملك الهماما
تُقًى وسماحة وخلوص مجد ... إذا الأنساب أخلصت الكراما
إذا نزلت منـازلها قريش ... نزلت الأنف منها والسَّناما
بلغت من المفاخر كل فخر ... وجاوزت الكلام فلا كلاما
وأعطيت اللُّهى لـكن طِرْفى ... يريد السَّرج منكم واللجاما

فأمرت له بسرج ولجام

خرج المهدى يتنزه بعيسى باذ[1] وقدم نصيب ومعـه ابنته حَجْناء فدخل على المهدى وهى معه فأنشدته

رب عيش ولذة ونعـيم ... وبهاء بمشرق الميدان
بسط الله فيه أبهى بساط ... من بَهار وزاهر الحوذان[2]

(١) محلة كانت ببغداد منسوبة الى عيسى بن المهدى ومعنى باذ عمارة (٢) الحوذان نبات سهلى حلو طيب الطعم يرتفع قدر الذراع وله زهرة حمراء فى أصلها صفرة وورقته مدورة

ثم من ناضر من العشب الأخـ ـضر يزهى شقائق[1] النعمان

مـدّه الله بالتحاسين حتى قصرت دون طوله العينان

حففت حافتاه حيث تناهى بخيام فى العين كالظلمان[2]

زينوا وسطها بطارمة[3] مثـ ـل الثريا يحفها النسران

ثم حشو الخيام بيض كأمثا ل المهى في صرائم[4] الكثبان

يتجاربن فى غنـاء شجيٍّ أسعدانى يا نخلتى حلوان

فبقصر السلام من سلم الـلـ ـه وأبقى خليفة الرحمن

ولديه الغزلان بل هن أبهى عنده من شوارد الغزلان

ياله منظرًا ويـوم سرور شهدت لذتيه كل حصان

فأمر لها المهدى بعشرة آلاف درهم وله بمثلها، ثم دخلت الحجناء على العباسة بنت المهدى فأنشدتها

أتيناك يا عباسة الخير لي حمى وقد عجفت أم المهارِى وكلت

وما تركت منا السنون بقية سوى رِمّة منا من الجهد رَمّت

فقال لنا من ينصح الرأى نفسه وقد ولت الأموال عنا فقلت

عليك ابنة المهدى عوذِى ببابها فان محل الخير فى حيث حلت

فأمرت لها بثلاثة آلاف درهم وكسوة وطيب . فقالت

أغنيتنى يا ابنة المهدى أىَّ غنى بأعجرين[5] كثير فيهما الورق

من ضرب تسع وتسعين محككة مثل المصابيح فى الظلماء تأتلق

أما الحسود فقد أمسى تغيظـه غما وكاد برَجْع الريق يختنق

وذو الصَّداقة مسرور لنا فَرِح بادى البشارة ضاحٍ وجهه شَرِق

---

(١) شقائق النعمان نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة (٢) واحده ظليم وهو ذكر النعام والجمع بضم الظاء وكسرها (٣) الطارمة بيت من خشب كالقبة (٤) الصرائم جمع صريم وهي القطعة من معظم الرمل (٥) كيسين

كان اسحق بن الصباح الأشعثى صديقا للنصيب ، وقدم قدمة من الحجاز ، فدخل على اسحق وهو يهب لجماعة وردوا عليه برا وتمرا فيحملونه على ابلهم ويمضون ، فوهب لنصيب جارية حسناء يقال لها مسرورة فأردفها خلفه ومضى وهو يقول

إذا احتقبوا برا فأنت حقيبتى — من الشرفيات الثقال الحقائب
ظفرت بها من أشعثى مهذب — أغر طويل الباع جمّ المواهب
فداً لك يا اسحق كل مبخل — ضَجور اذا عضت شداد النوائب
إذا ما بخيل المال غيب ماله — فما لك عندى حاضر غير غائب
إذا اكتسب القوم الثَّراء فانما — يرى الحمد غنما من كريم المكاسب

وقال فيه أيضا

فتى من بنى الصَّبَّاح يهتز للندى — كما اهتز مسنون الغرار عتيق
فتى لا يُذَمّ الضيفُ والجار رِفْده — ولا يجتـويه صاحب ورفيق
أغرّ ، لأبنـاء السبيل موارد — الى بيته تَهديهـمُ وطريق
وان عد أنساب الملوك وجدته — الى نسب يعلوهمُ ويفوق
فما في بني الصباح ان بعد المدى — على الناس الا سابق وعريق
وانى لمن شاحنتمُ لمشاحن — وانى لمن صادقتمُ لصديق

وكان النصيب اذا قدم على المهدى استهداه القواد منه وسألوه أن يأمر له بزيارتهم ، فكان فيمن استزاره خزيمة بن خازم فوصله وحمله وقال فيه

وجدتك يا خزيمـة أريحيا — بما تحوى وذا حسب صَميم
تميم كان خـير بنى معدّ — وأنت اليوم خير بنى تميم
سوى رهط النبى وهم أديم — وأنت قُددت من ذاك الأديم

وقال فيه أيضا

يا أفضل الناس عُودا عند معْجَمة   اذا تفاضل يوما مُعْجَم العود
انى لواحد شعر قد عُرفت به   وذا خزيمة أضحى واحد الجود
ان يعطك اليوم معروفا على ثقة   فأنت فى نائل منه وموعود
وقد رأينا تميما غير مُكْرَهة   ألقت اليك جميعا بالمقاليد
فأنت أكرمها نفسا وأفضلها   ان الصناديد أبناء الصناديد

وكان فى غزاة سمالو مع المهدى فوقف به فرسه ومر به جَعْد مولى عبد الله ابن هشام بن عمرو وبين يديه فرس مجنب فقال له قد ترى قيام فرسى تحتى فاردُد الى جنيبتك حتى يتروح فرسى ساعة ، فسكت ولم يجبه فقال فيه

أنادى بأعلى الصوت جعْدا وقد يرى   مكانى ولكن لا يجيب ويسمع
ولم يرنى أهلا لحسن إجابة   ولا سوءِها ، انى الى الله أرجع
فلو أنني جازيت جعدا بفضله   لقد لاح لى فيه من الشعر موضع
ولكننى جافيت عنه لغيره   بحسن الذى يأتى الى ويصنع
رأيتك لم تحفظ قرابة بيننا   وما زالت القربى لدى الناس تنفع

وسأل عبيد الله بن يحيى بن سليم مركبا فأعطاه اياه وجعل معه شريكة له فيه فقال

لقد مدحت عبيدا إذ طمعت به   وقد تملقته لو ينفع الملَق
فعاد يسأل ما أصبحت سائله   فكلانا سائل فى الحرص متفق
أحين سار مديحى فيكم طرقا   وحين غنَّت به الركبان والرُّفَق
قطعت حبل رجاء كنت آمُله   فيما لديك فأضحى وهو منحذق
قد كان أورق عودى من أبيك فقد   لحيت عودى فجف العود والورق
من نازع الكلب عِرْقا يرتجى شبعا   كمصطل بحريق وهو يحترق

قال أبو محمد اسحق بن ابراهيم أنشدت الفضل بن يحيى قول أبى الحجناء نصيب

عند الملوك مضرة ومنافع وأرى البرامك لا تضر وتنفع

ان العروق اذا استسر بها الثرى أشر النبات بها وطاب المزرع

فاذا نكرت من امرئ أعراقه وقديمه فانظر الى ما يصنع

فأعجبه الشعر فقال يا أبا محمد كأنى والله لم أسمع هذا القول الا الساعة وما له عندى الا أنى لم أكافئه عليه ، قلت وكيف ذلك أصلحك الله وقد وهبت له ثلاثين ألف درهم ؟ فقال لا والله ما ثلاثون ألف دينار بمكافئة له فكيف ثلاثون ألف درهم

قال أحمد بن سليمان بن أبي شيخ كان أبى يستملح قول نصيب وقد رأى كثرة الشعراء على باب الفضل بن يحيى فلما دخل اليه قال

ما لقينا من جود فضل بن يحيى؟ ترك الناس كلهم شعراء

ويقول ما في الدنيا أحسن من هذا المعنى وعلى أنه قد أخذ منهم مالا جليلا ولكن قلما سمعت فى طبقته مثله

وكان النصيب ملعونا هجاء فأهدى للربيع بن عبد الله بن الربيع الحارثى فرسا فقبله ثم ندم خوفا من ثقل الثواب فجعل يعيب الفرس ويذكر بطأه وعجزه، فبلغ ذلك النصيب فقال

أعبتَ جوادنا ورغبت عنه وما فيه لَعمرك من معاب

وما بجوادنا عجز ولكن أظنك قد عجزت عن الثواب

فأجابه الربيع فقال

رويدك لا تكن عَجِلا الينا أتاك بما يسوءك من جواب

وجدت جوادكم قَدِما بطيئا فما لكم لدينا من ثواب

فلما كان بعد أيام رأى النصيب الفرس تحت الربيع فقال له

أجدتُ مشهَّرًا فى كل أرض فعجل يا ربيع مشهَّرات

يمـــانية تخيرها يمان ... منمنمة البيوت مقطعات

وجارية أضلت والديهـــا ... مولدة وبيضا وافيـــات

فعجلها وأنفذهـــا الينا ... ودعنا من بنات الترهات

فأجابه الربيع فقال

بعثت بمقرب حطم الينا ... بطئ الحضر ثم تقول هات

فقال النصيب

فى سبيل الله أودى فرسى ... ثم عللت بأبيات هزج

كنت أرجو من ربيع فرجا ... فاذا ما عنده لى من فرج

ثم خرج الربيع الي مكة وقد كان وعد النصيب جارية فلم يعطه وأمر ابنه أن يدفع اليه ألفى درهم ، ففعل فقال النصيب

ألا أبلغـا عني الربيع رسالة ... ربيع بني عبد المدان الأكارم

أعزت عليك البيض لما أرغتها ... فرغت الى اعداد بيض الدراهم

ألم تر أنى غير مستطرف الغنى ... حديث وأنى من ذؤابة هاشم

وأنك لم تهبط من الأرض تلعة ... ولا نجوة الابعهدى وخاتمى ؟

ثم قدم الربيع فأهـدى الى دفافة بن عبد العزيز العبسى طبق تمر ، فقال فيـــه دفافة

بعثت بتمر فى طبيق كأنمـا ... بعثت بياقوت توقـد كالجمر

فلو أن ما تهـدى سنيا قبلته ... ولـكنما أهديت مثلك فى القدر

كأن الذى أهديت من بعد شقة ... الينا من الملقى على ضفة الجسر

فأجابه الربيع فقال

سل الناس إما كنت لا بد طالبا ... اليهم بألا يحملوك على القـدر

فذلك ان تحمل على القدر لا تنل ... يدا الدهر من بر فتيلا ولا بحر

لقد كنت مني في غدير وروضة … وفى عسل جم وما شئت من تمر
وما كنت منانا ولكن كفرتني … وأظهرت لى منا أظهرت من عذري
لعمرى لقد أعطيتَ ما لست أهله … ولا أهل ما يلقى على ضفة الجسر

فبلغت أبياتهما نصيبا فشمت بالربيع وقال فيه هذه القصيدة

رضيتكما حرصا ومنعا ولم يكن … يهيجكما الا الحقير من الأمر
متى يجتمع يوما حريص ومانع … فليس الى حمد سبيل ولا أجر
أحارِ بن كعب ان عبسا تغلغلت … الى السير من نجران فى طاب التمر
فكيف ترى عبسا وعبس حريصة … إذا طمعت فى التمر من ذلك العبر
لقد كنتما فى التمر لله أنتما … شبيهين بالملقى على ضفة الجسر

أبو حفص الشطرنجى

هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولي بني العباس ، نشأ في دار المهدى ومع أولاد مواليه فكان كأحدهم وتأدب وكان لاعبا بالشِّطْرَنج مشغوفا به فلقب به لغلبته عليه ، فلما مات المهدي انقطع الى عُلَية وخرج معها لما زوجت وعاد معها لما عادت الى القصر ، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين أخوانها وبنى أخيها من الخلفاء فتنتحل بعض ذلك وتترك بعضه ، قال محمد بن الجهم البرمكى رأيت أبا حفص الشطرنجى فرأيت منه إنسانا يُلهيك حضوره عن كل غائب ، وتسليك مجالسته عن هجوم المصائب ، قربه عُرْس وحديثه أنس ، جدّه لعب ولعبه جد ، دَيّن ماجد ، ان لبسته على ظاهره لبست موموقا لا تَمَلُّه ، وان تتبعه لتستبطن خبرته وقفت على مروءة لا تطير الفواحش بجَنَباتها ، وكان ما علمته أقل ما فيه الشعر وهو الذى يقول

تحبب فان الحب داعية الحب … وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
اذا لم يكن فى الحب عتب ولا رضا … فأين حلاوات الرسائل والكتب

تفكر فان حدثت ان أخا هوًى نجا سالما فارجُ النجاة من الحب
وأطيب أيام الهوى يومك الذى تُرَوَّع بالتحريش فيه وبالعتب

وكانت علية بنت المهدى تأمره أن يقول الشعر في المعانى التى تريدها فيقولها وتغنى فيها، وأنشد له أيضا

عرضَنْ للذى تحب بحب ثم دعه يروضه إبليس
فلعل الزمان يُدنيك منه ان هذا الهوى جليل نفيس
صابر الحب لا يُصَرِّفك فيه من حبيب تجهم وعُبوس
وأَقِلَّ اللجاج واصبر على الجـهد فان الهوى نعيم وبوس

غضب الرشيد على عُلَيّة فأمرت أبا حفص شاعرها أن يقول شعرا يعتذر فيه عنها الى الرشيد ويستعطفه لها، فقال

لو كان يمنع حسنُ العقـل صاحبَه من أن يكون له ذنب الى أحد
كانت عُلَيّة أربى الناس كلهم من أن تكافا بسوء آخر الأبد
ما أعجبَ الشئَ ترجوه فتحرمه قد كنت أحسب انى قد ملأت يدي

فأتاها بالأبيات فاستحسنتها وغنت فيها وألقت الغناء على جماعة من جوارى الرشيد، فغنينه فى أول مجلس جلس فيه معهن فطرب طربا شديد وسألهن عن القصة فأخبرنه بها، فبعث اليها فحضرت فقبل رأسها، واعتذرت فقبل عذرها وسألها إعادة الصوت فأعادته عليه فبكى وقال لا جرم انى لا أغضب عليك ما عشت.

كان أبو حفص ينادم أبا عيسى بن الرشيد ويقول له الشعر فينتحله ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأخته وكذلك بعلية عمتهم وكان بنو الرشيد جميعا يزورونه ويأنسون به فمرض فعادوه جميعا سوى أبى عيسى فكتب اليه

اخاء أبي عيسى اخاء ابن ضَرّة وودى ود لابن أم ووالد
ألم يأته ان التأدب نسبـة تلاصق أهواء الرجال الأباعد؟

فما باله مستعذبا من جفائنا موارد لم تعذب لنا من موارد
أقمت ثلاثا خلف حُمَّى مضرة فلم أره فى أهل ودى وعائدى
سلام هى الدنيا قروض وانما أخوك مديم الوصل عند الشدائد

قال الرشيد يوما لأبى حفص يا حبيبى لقد أحسنت ما شئت فى بيتين قلتهما، قال وما هما يا سيدى ؟ فمن شرفهما استحسانك لها ، فقال قولك

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه الا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك وانني بك واثق ألاّ ينال سواى منك نصيبا

فقال يا أمير المؤمنين ليسا لى هما للعباس بن الأحنف ، فقال صدقك والله أعجب الى وأحسن منهما بيتاك حيث تقول

إذا سرها أمر وفيه مساءتى قضيت لها فيما تريد على نفسى
وما مر يوم أرتجى فيه راحة فاذكره الا بكيت على أمسى

قال عبد الله بن الفضل دخلت يوما على أبى حفص أعوده فى علته التى مات فيها فجلست عنده فأنشدنى لنفسه

نعى لك ظل الشباب المشيب ونادتك باسم سواك الخطوب
فكن مستعدا لداعى الفناء فان الذى هو آت قريب
ألسنا نرى شهوات النفو س تفنى وتبقى عليها الذنوب
وقبلك داوى المريضَ الطبيب فعاش المريض ومات الطبيب
يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب

دخل على يحيى بن خالد وعنده ابن جامع وهو يلقى على دنانير صوتا أمره يحيى بالقائه عليها وقال لك بكل بيت مائة دينار ان جاء كما أريد فقال أبو حفص

أشبهك المسك وأشبهته قائمة فى لونه قاعدة
لا شك اذ لونكما واحد أنكما من طينة واحدة

فأمر له يحيى بمائة دينار وغنى فيها ابن جامع

كان الرشيد يحب ماردة جاريته وكان خلفها بالرَّقَّة ، فلما قدم الى مدينة السلام اشتاقها فكتب اليها

سلام على النازح المغترب ... تحيـــة صبّ به مكتئب
غزال مراتعـــه بالبَليخ ... الى دير زكّى فقصر الخشب
أيا من أعان على نفسه ... بتخليفه طائعا من أحب
سأستر والستر من شيمتى ... هوى من أحب بمن لا أحب

فلما ورد كتابه عليها أمرت أبا حفص فأجاب عنها بهذه الأبيات

أتانى كتابك ياسيدى ... وفيه العجائب كل العجب
أتزعـــم أنك لى عاشق ... وانك بى مستهام وصبّ
فلو كان هذا كذا لم تكن ... لتتركني نُهزَة للـكُرب
وأنت ببغـداد ترعي بها ... نبات اللّذاذة مع من تحب
فيامن جفانى ولم أجفُه ... ويامن شجانى بما فى الكتب
كتابك قـد زادنى صبوة ... وأسعر قلبى بحر اللّهب
فهبنى نعم قد كتمت الهوى ... فكيف بكتمان دمع سَرِب
ولولا اتقاؤك يا سيـدي ... لوافتك بى الناجيات النُّجُب

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادما على البريد حتى حدَرها الى بغداد فى الفُرات وأمر المغنين جميعا فغنوا فى شعره

سديف

هو سُديف بن ميمون مولى بني هاشم ، شاعر مقل من شعراء الحجاز ومن مخضرمى الدولتين ، وكان شديد التعصب لبنى هاشم مظهرا لذلك فى أيام بنى أمية وكان يخرج الى صحار صغار فى ظاهر مكة يقال لها صفا الشراب ويخرج مولى لبنى

أمية معه يقال له سباب فيتسابان ويذكران المثالب والمعايب ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا ولهذا فلا يبرحون حتى يكون الجراح والشجاج ويخرج السلطان اليهم فيفرقهم ويعاقب الجناة فلم تزل العصبية بهم حتى شاعت فى العامة والسفلة وكانوا صنفين يقال لهم السديفية والسبابية طول أيام بنى أمية، ثم انقطع ذلك فى أيام بنى هاشم وصارت العصبية بمكة بين الحناطين والجزارين ومما يغني فيه من شعره

علام هجرت ولم تُهجرى ... ومثلك في الهجر لم يعذر
قطعت حبالك من شادن ... أغن قطوف الخطا أحور

من قتل السفاح من بنى أمية

لما استمرت الهزيمة بمروان أقام عبد الله بن على بالرَّقَّة وأنفذ أخاه عبد الصمد فى طلبه فصار الى دِمَشق وأتبعه جيشا عليهم أبو اسمعيل عامر الطويل من قواد خُراسان ، فلحقه وقد جاز مصر فى قرية تدعى بوصير فقتله وذلك فى يوم الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة ، ووجه برأسه الى عبد الله بن على فأنفذه عبد الله الى أبي العباس السفاح ، فلما وضع بين يديه خر لله ساجدا ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ولم يبق ثارى قبلك وقبل رهطك أعداء الدين ثم تمثل قول ذى الاصبع العدْوانى

لو يشربون دمى لم يَرْوَ شاربهم ... ولا دماؤهمُ للغيـــظ تُرْوينى

نظر عبد الله بن على الى فتى عليه أُبهة الشرف وهو يقاتل مستقتلا ، فناداه يا فتى لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد . فقال الا أكنه فلست بدونه ، قال فلك الأمان من كنت ، فأطرق ثم قال

أذل الحياة وكره الممات ... وكلا أرى لك شرا وبيلا
فان لم يكن غير إحداهما ... فسيرا الى الموت سيرا جميلا

ثم قاتل حتى قتل ، فاذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان

كان أبو العباس جالسا فى مجلسه على سريره وبنو هاشم دونه على الكراسى وبنو أمية على الوسائد قد ثنيت لهم ، وكانو فى أيام دولتهم يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير ويجلس بنو هاشم على الكراسى ، فدخل الحاجب فقال ياأمير المؤمنين بالباب رجل حجازى أسود راكب على نجيب ملثم يستأذن ولا يخبر باسمه ويحلف ألاّ يحسر اللثام عن وجهه حتى يراك ، قال هـذا مولاى سُدَيف يدخل ، فدخل . فلما نظر الى أبى العباس وبنو أمية حوله حدر اللثام عن وجهه وأنشأ يقول

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بنى العباس

بالصدور المقدمين قديمـــا ... والرؤس القَماقم الرُّؤاس

يا أمير المطهرين من الذ م ... ويا رأس منتهى كل راس

أنت مهـدىّ هاشم وهداها ... كم أناس رجوْك بعـد إياس

لا تُقيلنّ عبـد شمس عثارا ... واقطعن كل رَقْلة وغِراس

أنزلوها بحيث أنزلهـــا اللـــه بدار الهوان والاتعاس

خوفهم أظهـر التودد منهـم ... وبهم منكم كحزّ المواسى

أَقْصِهِم أيها الخليفة واحسم ... عنك بالسيف شأفة الارجاس

واذكرن مصرعَ الحسين وزيداً ... وقتيـــلا بجانب المِهْراس

والامام الذى بحرّان أمسى ... رهن قبر فى غربة وتناس

فلقـــد ساءنى وساء سوائى ... قربهم من نمارق وكراسى

نعم كلب الهراش مولاك لولا ... أود من حبائل الافلاس

فتغير لون أبى العباس وأخذه زَمَع ورعدة ، فالتفت بعض ولد سليمان بن عبد الملك الى رجل منهم وكان الى جنبه فقال قتلنا والله العبـد ، ثم أقبل أبو

العباس عليهم وقال يا بنى الفواعل أرى قتلاكم من أهلى قد سلفوا وأنتم أحياء تتلذذون فى الدنيا ، خذوهم ، فأخذتهم الخراسانية بالكافركوبات فأهمدوا الا ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فانه استجار بداود بن على وقال له ان أبى لم يكن كآبائهم وقد علمت صنيعه اليكم ، فأجاره واستوهبه من السفاح وقال له قد علمت يا أمير المؤمنين صنيع أبيه الينا ، فوهبه له وقال لا ترنى وجهه وليكن بحيث تأمنه وكتب الى عماله فى النواحى بقتل بنى أمية ، ثم دعا بالغداء حين قتلوا وأمر ببساط فبسط عليهم وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته ، فلما فرغ من الأكل قال ما أعلمني أكلت أكلة قط أهنأ ولا أطيب لنفسى منها ، فلما فرغوا قال جروا بأرجلهم ، فألقوا فى الطريق يلعنهم الناس أمواتا كما لعنوهم أحياء ، قال الراوى فرأيت الكلاب تجر بأرجلهم وعليهم سراويلات الوشى حتى أنتنوا ثم حفرت لهم بئر فألقوا بها

لما أقبل داود بن على من مكة أقبل معه بنو حسن جميعا ، وحسين بن على ابن حسين ، وعلى بن محمد بن على بن حسين ، وجعفر بن محمد ، والأرقط محمد ابن عبد الله ، وحسين بن زيد ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبد الله ابن عنبسة بن سعيد بن العاص ، وسعيد بن خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان ، فعمل لداود مجلس بالروشية فجلس عليه هو والهاشميون وجلس الأمويون تحتهم فأنشده ابراهيم بن هرْمة قصيدة يقول فيها

فلا عفا الله عن مروان مظلمة ... ولا أمية بئس المجلس النادى

كانوا كعاد فأمسى الله أهلكهم ... بمثل ما أهلك الغاوين من عاد

فلن يكذبنى من هاشم أحد ... فيما أقول ولو أكثرت تعدادى

فنبذ داود نحو ابن عنبسة ضحكة كالكشرة ، فلما قام قال عبد الله لأخيه حسن أما رأيت ضحكته الى ابن عَنْبَسة الحمد لله الذى صرفها عن أخى « يعنى

العثماني » فما هو الا أنه ما قدم المدينة حتى قتل ابن عنبسة ، وقال محمد بن عبدالله ابن عمرو بن عثمان استحلف أخي عبد الله بن حسن داودَ بن علي وقد حج معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة بطلاق امرأته مُليكة بنت داود بن حسن ألاّ يقتل أخويه محمدا والقاسم ابنى عبد الله ، فكنت أختلف اليه آمنا وهو يقتل بني أمية ، وكان يكره أن يرانى أهل خراسان ولا يستطيع اليّ سبيلا ليمينه ، فاستدناني يوما ، فدنوت منه ، فقال ما أكثر الغفلة وأقل الحزمة ، فأخبرت بها عبد الله بن حسن ، فقال يا ابن أم تغيب عن الرجل ، فتغيبت عنه حتى مات

قال بشر مولى محمد بن على أنشد سديف أبا العباس وعنده رجال من بنى أمية قوله

يا ابن عم النبى أنت ضياء استبنابك اليقين الجليا

فلما بلغ قوله

جرد السيف وارفع العفو حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا
لا يغرنك ما ترى من رجال ان تحت الضلوع داء دويا
بطن البغض فى القديم فأضحى ثاويا فى قلوبهم مطويا

وهى طويلة فقال يا سُدَيف خلق الانسان من عجل ، ثم قال

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا فلن تبين وللآباء أبناء

ثم أمر بمن عنده منهم فقتلوا ، وروى ابن سليمان النوفليّ عن عمومته أنهم حضروا سليمان بن على بالبصرة وقد حضره جماعة من بنى أمية عليهم الثياب المَوْشيّة المرتفعة ، فكأنى أنظر الى أحدهم وقد اسود شيب فى عارضيه من الغالية ، فأمر بهم فقتلوا وجزوا بأرجلهم فألقوا على الطريق وان عليهم لسراويلات الوشى والكلاب تجر بأرجلهم

وروى طارق بن المبارك عن أبيه قال جاءنى رسول عمرو بن معاوية بن عمرو

ابن عتبة فقال لى يقول لك عمرو قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن كثير العيال منتشر المال فما أكون فى قبيلة الا شهر أمرى وعرفت وقد اعتزمت على أن أفدى حرمى بنفسى وأنا صائر الى باب الأمير سليمان بن على فصر الىّ ، فوافيته فاذا عليه طيلسان مطبق أبيض وسراويل وَشْى مسدول ، فقلت ياسبحان الله ما تصنع الحداثة بأهلها ؟ أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لما تريد لقاءهم فيه ؟ فقال لى لا والله ولكن ليس عندى ثوب الا أشهر من هذه ، فأعطيته طيلسانى وأخذت طيلسانه ولويت سراويله الى ركبتيه ، فدخل ثم خرج مسرورا ، فقلت له حدثنى ما جرى بينك وبين الأمير ، قال دخلت عليه ولم نتراء قط فقلت أصلح الله الأمير لفظتنى البلاد اليك ، ودلنى فضلك عليك ، فاما قتلتنى غانما واما رددتنى سالما ، فقال لى ومن أنت ؟ ما أعرفك ، فانتسبت له ، فقال مرحبا بك ، اقعد فتكلم آمنا غانما ، ثم أقبل علىّ فقال ما حاجتك يا ابن أخى ؟ فقلت ان الحُرَم اللواتى أنت أقرب الناس اليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا قد خفن لخوفنا ، ومن خاف خيف عليه، فوالله ما أجابني الا بدموعه على خديه، ثم قال يا ابن أخى يحقن الله دمك ويحفظك فى حرمك ويوفر عليك مالك ؟ ووالله لو أمكنني ذلك فى جميع قومك لفعلت ، فكن متواريا كظاهر وآمنا كخائف ولتأتني رقاعك ، قال فكنت والله أكتب اليه كما يكتب الرجل الى أبيه وعمه ، فلما فرغ من الحديث رددت عليه طيلسانه فقال مهْ فان ثيابنا اذا فارقتنا لم ترجع الينا

وقال سُدَيف لأبي العباس يحضه على بني أمية ويذكر من قتل مروان وبنو أمية من قومه

كيف بالعفو عنهمُ قديما قتلوكم وهتّكوا الحرمات

أين زيد وأين يحيى بن زيد يا لها من مصيبة وترات

والامام الذى أصيب بحرا ن امام الهدى ورأس الثقات

قتلوا آل أحمد لا عفا الذ ب لمروان غافر السيئات

وقل رجل من شيعة بنى العباس يحرضهم على بني أميه

اياكمُ أن تلينوا لاعتذارهمُ فليس ذلك الا الخوف والطمع
لو أنهم أمنوا أبدَوا عداوتهم لكنهم قمعوا بالذل فانقمعوا
أليس فى ألف شهر قد مضت لهمُ سقوكمُ جُرعا من بعدها جُرع
حتى اذا ما انقضت أيام مدتهم متّوا اليكم بالأرحام التى قطعوا
هيهات لا بد أن يسقوا بكأسهمُ ريّاً وأن يحصدوا الزرع الذى زرعوا
انا واخواننا الأنصار شيعتكم اذا تفرقت الأهواء والشيع
اياكمُ أن يقول الناس انهمُ قد ملّكوا ثم ما ضروا ولا نفعوا

ابن سيابة

هو ابراهيم بن سيابة مولى بني هاشم ، وهو من مقاربى شعراء وقته وليس له نباهة ولا شعر شريف وانما كان يميل بمودته ومدحه الى ابراهيم الموصلى وابنه اسحق فغنيا فى شعره ورفعا منه وكانا يذكرانه للخلفاء والوزراء ويذكرانهم به اذا غنيا فى شعره فينفعانه بذلك ، وكان ماجنا خليعا طيب النادرة. ومن شعره فى مدح ابراهيم وفيه غناء

ما لابراهيم فى العلـ ـم بهذا الشأن ثانى
انما عمرُ ابى اسـ ـحق زين للزمان
فاذا غـنى ابو اسـ ـحاق أجابته المثانى
منـه يُجنَى ثمر اللهـ ـو وريحان الجنان
جنة الدنيا ابو اسـ ـحق فى كل مكان

ومن قوله في جارية سوداء أحبها فلامه أهله على ذلك وعاتبوه .

يكون الخال فى وجه قبيح فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام معشوق على من يراها كلها فى العين خالا

قال اسحق سخط الفضل بن الربيع على ابن سيّابة فسأله أن يرضى عنه فامتنع فكتب اليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني ايصالها

ان كان جرْمى قد أحاط بحرمتى فأحط بجرمى عفوك المأمولا
فكم ارتجيتك فى التى لا يُرتجى فى مثلها أحد فنلت السُّولا
وضَلَلت عنك فلم أجد لى مذهبا ووجدت حلمك لى عليك دليلا
هبني أسأت ، وما أسأت، أقر كي يزداد عفوك بعد طَولك طُولا
فالعفو أجمل والتفضل بامرىء لم يعدم الراجون منه جميلا

فلما قرأها الفضل دمعت عيناه ورضى عن ابن سيابة وأوصله اليه وأمر له بعشرة آلاف درهم

ومن قوله

أعيـانى الشادن الربيب أ كتب أشكو فلا يجيب
من أين ألقى شفاء ما بى وانمـا دائى الطبيب
يارب فرج اذاً وعجـل فانك السامع المجيب

قال على ابن الصباح عاتبنا ابن سيابة على مجونه فقال ويلـكم لأن ألقى الله تبارك وتعالي ببذل المعاصى فيرحمنى أحب الىّ من أن ألقاه أتبختر دلالا بحسناتى فيمقتنى ، قال ورأيت ابن سيابة يوما وهو سكران وقد حمل فى طبق يعبرون به على الجسر فسألهم انسان ما هذا ؟ فرفع رأسه من الطبق وقال هذا « بقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة »

كتب ابن سيابة الى صديق له يقترض منه شيئاً فكتب اليه يعتذر له ويحلف أنه ليس عنده ما سأله، فكتب اليه ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت ملوما

فجملك الله معذوراً

قال محرز بن جعفر الكاتب قال لى ابراهيم بن سيابة اذا كنت فى جيرانك جنازة وليس فى بيتك دقيق فلا تحضُر الجنازة فان المصيبة عندك أكبر منها عند القوم وبيتك أولى بالمأتم من بيتهم

ابن الخياط

هو يونس بن عبد الله بن سالم مولي لقريش ، شاعر ظريف ما جن خليع هجاء خبيث ، مخضرم من شعراء الدولة الأموية والعباسية وكان منقطعا الى آل الزبير بن العوام مداحا لهم ، وقدم على المهدى مع عبد الله بن مُصْعَب فأوصله اليه وتوصل له الى أن سمع شعره وأحسن صلته ومن قوله يمدح المهدى

أخذت بكفى كفه أبتغى الغنى ولم أدْرِ أن الجود من كفه يُعْدِى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت، وأعدانى فأتلفت ما عندى

قال ابن الخياط كنت ذات عشية فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت العصر فى أيام الحج فاذا أنا برجل جميل عليه مقطعات خزواذا معه جماعة فوقف الى جنبى فصلى ركعتين ثم أقبل علىّ، وكان ذلك من أسباب الرزق ، فقال يافتى أتعرف عبد الله بن سالم الخياط ؟ فقلت نعم ، فلما صلينا قال امض بنا اليه ، فمضيت به فاستخرجت له أبى من منزله ، فقال الرجل بلغنى انك قلت شعرا فى أمر العصبية ، فقال له أبى ومن أنت بأبى أنت وأمى ؟ فقال أنا خزيم بن أبى الهيْذام ، فقال له أبى نعم قد قلته وأنشده

اسقيانى من صرف هذى المدام ودعانى وأقصرا من ملامى
واشربا حيث شئتما ان قَيسا قد علا عزها فروعَ الأنام
ليس والله بالشآم يمانٍ فيه رُوح ولا بغير الشآم
يَطْعَم النوم حين تكتحل الأعـ ين بالنوم عند وقت المنام

حذرا من سيوف ضرغامة عا ... د على الهول باسل مقــــدام
من بني مرة الأطايب يكنى ... عنــــد دسر الرماح بالهيذام

فأشرع الفتى يده اليه وجزاه خيرا ، قال يونس فبادرت فأخذت بيد المرى وقلت له لا تعجل فانى قد قلت شعرا أجود من شعره ، قال أبى ويلك يا يونس تحرمنى ؟ فقلت دع عنك هذا فوالله لا تجوع امرأتى وتشبع امرأتك ، فقلت ليونس ومن كانت امرأة أبيك يومئذ ؟ فقال أمى وجمعت والله عقوقهما ، فقال لى المرى أنشد ، فأنشدته

اسقيانى ياصاحبى اسقيانى ... ودعانى من الملام دعانى
اسقيانى هديتما من كميت ... بنت عشر مشمولة أسقيانى
فض عنها ختامها اذ سباها ... واضح الخد من بني عدنان
تتحايا بالكأس أربعة فى الدو ... ر هــذان ناعمان وذان
ذا لهــذا ريحانة مثــل هذا ... ك لهذا من طيب الريحان
فنهضنا لموعد كان منــا ... اذ سمعنا تجاوب البكمان
فنعمنا حولين بهرا وعشنا ... بين دف ومسمع ودنان
ثم هجنا للحرب إذ شبت الحر ... ب ففزنا فيها بسبق الرهان
ان قيسا فى كل شرق وغرب ... خارج سهمها على السهمان
منع الله ضيمنا بأبى الهيذا ... م حلف السماح والاحسان
واليمانون يفخرون أما يد ... رون أن النبى غير يمان ؟

فقال الفتى لأبى قد وجب علينا من حقه مثــل ما وجب علينا من حقك ياشيخ ، واستظرف ما جرى بيني وبين أبى وقسم الدنانير بيننا وكانت خمسين دينارا

مر رجل بيونس بن عبد الله وهو يعصر حلق أبيه وكان عاقا به فقال له ويلك أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلصه من يده ثم أقبل على الأب يعزيه ويسكن منه ،

فقال له الأب يا أخى لا تَلُمْهُ واعلم أنه ابني حقا والله لقد خنقت أبى فى هذا الموضع الذى خنقنى فيه ، فانصرف عنه الرجل وهو يضحك

ونشأ ليونس ابن يقال له دُحيم فكان أعق الناس فقال فيه

جلا دُحيم عَماية الريب والشك منى والطعن فى النسب
مازال بى الظن والتشكك حتى عقني مثل ماعققت أبى

قال الزبير بن بكار كان يونس الخياط عاقا لأبيه فقال أبوه فيه

يونس قلبى عليك يلتهف والعين عَبْرَى دموعها تكِف
تُلحفني كسوة العقوق فلا برحت منها ما عشت تلتحف
أمرت بالخفض للجناح وبالرفق فأمسى يعوقك الأنَف
وتلك والله من زبانية ان سلطوا فى عذابهم عنفوا

فأجابه ابنه يونس فقال

أصبح شيخى يُزرى به الخَرَف ما ان له حرمة ولا نَصَف
صفاتنا فى العقوق واحدة ما خلتنا فى العقوق نختلف
لحفته سالما أبك فقد أصبحت منى كذاك تلتحف

كان لابن الخياط صديق يدعوه ليشرب معه فاذا سكر خلع عليه قميصه فاذا صحا من غد بعث اليه فأخذه منه فقال فيه

كسانى قميصا مرتين إذا انتشى وينزعه مني إذا كان صاحيا
فلى فرحة فى سكره بقميصه وروعاته فى الصبح حصّت شواتيا
فياليت حظى من سرورى وروعتى يكون كفافا لا على ولا ليا

مر ابن الخياط بدار رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضَّعة وخساسة الحال وقد شيد بابها وطرمح بناءها فقال

أطله فما طول البناء بنافع إذا كان فرع الوالدين قصير

قال مصعب بن عثمان ما رأيت بريق صَلَع الأشراف فى سوق الرقيق أكثر منها يوم رحب القُتَيلية جارية ابراهيم بن أبى قتيلة وكان يعشقها فبيعت فى دين عليه فبلغت خمسمائة دينار ، فقال المغيرة بن عبد الله لابن أبى قتيلة ويحك أعتقها فتقوم عليك فتزوجها ، ففعل ، فرفع الى ابن عسران وهو القاضى يومئذ فقال أخطأ الذى أشار عليه في الحكومة ، أما نحن فى الحكومة فقد عرفنا أن قد بلغت خمسمائة دينار فقوموها فان بلغت القيمة أكثر من هذا ألزمناه والا تخذوا منه خمسمائة دينار ، فاستحسن هذا الرأى ، وليس عليه الناس قبلنا ، فقال ابن الخياط يذكر ذلك من أمر أبى قتيلة وما كان من أمر جاريته

يا معشر العشاق من لم يكن ... مثل القُتَيلىّ فلا يعشقِ

لما رأى السُّوّام قد أحدقوا ... وصيح فى المغرب و المشرق

واجتمع الناس على دُرّة ... نظيرها فى الخلق لم يخلق

وأبدت الأموال أعناقها ... وطاحت العسرة بالمملق

قلّب فيه الرأى فى نفسه ... يدير ما يأتى وما يتقى

أعتقها والنفس فى شدقها ... للمعتِق المن على المعتَق

وقال للحاكم فى أمرها ... ان افترقنا فمتى نلتقى

شكا يونس الى محمد بن سعيد بن المغيرة حاله وضيقا قد نابه ، فأمر له بدنانير وكسوة وتمر فقال يمدحه

يا ابن سعيد يا عقيد النَّدَى ... يابارع الفضل على المفضلِ

حللت فى الذروة من هاشم ... وفى يَفاع من بنى نوفل

فطاب في الفرعين هذا وذا ... ما اعتمّ من منصبك الأطول

قد قلت للدهر وقد نالني ... بالناب والمِخلب والكَلْكَل

قد عذتُ من ضرك مستعصما ... بهاشمى ماجد نوفلى

فقال لى أهـلا وسهلا معـــا فزت ولم يمنــع ولم يبخَلِ
الدهر شقان فشق له لـين وشق خشِن المنزل
وأخشن الشقـين عنى نفى وشقــه الألين ما عاش لى
فقل لهـذا الدهر ماعاش لا تبق ولا ترع ولا تأتــلى

قال الزبير بن بكار أخذ أبي لما ولى الحجاز يونس عبد الله الخياط بأن يصلى الصلوات الخمس مع الجماعة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءنى هو ومحمد بن الضحاك وجعفر بن الحسين اللهبى فوقف بين يدي ثم أنشدنى

قـل للأمير يا كريم الجنس يا خير من بالغَوْر أو بالجَلْس
وعـدتى لولدى ونفسى شغلتنى بالصلوات الخمس

فقلت له ويلك أتريد أن أستعفيه لك من الصلاة والله ما يُعفيك وان ذلك ليبعثه على اللَّجاج في أمرك ثم يضرك عنده ، فمضى وقال نصبر اذاً حتى يفرج الله تعالى

قال يونس لما أعطى المهدى المغيرة بن حبيب ألف فريضة يضعها حيث يشاء جاء عبد الله بن يونس وقال له

ألف تدور عـلى يد لممدح ما سُوق مادحه لديه بكاسد
الظن منى لو فرضت لواحد في الأجمعين خصصتنى بالواحد

فقال له المغيرة أيهما أحب اليك أأفرض لك أم لابنك يونس ؟ فقال له أنا شيخ كبير هامة اليوم أوغد افرض لابنى يونس ، ففرض له فى خمسين دينارا ، فلما خرجت الأعطية الثلاثة فى زمن الرشيد على يدي بكار بن عبد الله قال لى خليفته وخليفة أيوب بن أبى سمير وهما يعرضان أهـل ديوان العطاء أنت من هذيل ونراك قد صرت من آل الزبير فنردك الى فرائض هذيل خمسة عشر دينارا ، فقال لهما بكار انمــا جعلتما لتتبعا ولا تبتدعا أمضياه ، فأعطيانى مائة وخمسين دينارا

لما عزل عبد الله بن محمد بن عمران التيمي عن القضاء واستعمل هشام بن عبد الله بن عكرمة المخزومى جزع ابن عمران من ذلك فقال بعض أصحابه ليونس اهجُ هشاما بما يغُضّ منه فقال

كم تعنى لى هشام ذلك الجلف الطويل

بعد وَهْن وهو فى المجـلس سكران يميل

هـل الى نار بسَلْع آخر الدهر سبيـل

قلت للنَّدْمان لما دارت الريح الشَّمول

بأبى مـال هشام فكما مال فميـلوا

وشهرها فى الناس وبلغ ذلك هشاما فقال لعنه الله ان كان لكاذبا ، فقال ابن أبى قباحة فقلت لابن الخياط كذبت أما والله انه لأمرّ من ذلك .

قال يونس جئت يوما الى أبى وهو جالس وعنده أصحاب له فوقفت عليهم لأغيظه وقلت ألا أنشدكم شعرا قلته بالأمس ؟ قالوا بلى ، فأنشدتهم

ياسائلى من أنا ومن يناسبنى أنا الذى ماله أصل ولا نسب

الكلب يختال فخرا حين يبصرنى والكلب أكرم منى حين ينتسب

لو قال لى الناس طرا أنت ألأمنا ما وهِم الناس فى ذاكم ولا كذبوا

فوثب الى ليضربنى وعدوت من بين يديه فجعل يشتُمنى وأصحابه يضحكون

قال الزبير بن بكار أرسل الى ابن الخياط انى عليل منذ كذا وكذا ومنزلى على طريقك اذا صدرت الى الثَّنِيّة وأنا أحب أن أجدد بك عهدا ، فجعلته طريقى فوجدته على فُرُش مضرَّبة وحوله وسائد وهو مسجًّى ، فكشف ابنه الثوب عن وجهه وقال له فديتك هذا أبو عبد الله ، فقال له أجلسنى ، فأجلسه وأسنده ، فجعل يقول بنفَس متقطع بأبى أنت وأمى أنا أموت منذ بضع عشرة ليلة ما دخل على قرشى غيرك وغير الزبير بن هشام وابراهيم بن المنذر ومحمد

بن عبد الله البكرى ، ولا والله ما أعلم أحدا أحب قريشا كحبى ، ثم قال

والله لو عادت بني مُصْعَب حليلتى قلت لهـــا بينى

أو ولدى عن حبهم قصروا ضغطتهم بالرَّغم والهون

أو نظرت عينى خلافا لهـم فقأتها عمــــدا بسكين

ثم أقبـل على ابنه فقال يابنى أقول لك فى أبى عبد الله ما قال ابن هَرْمة لابنه فى الحسن ابن زيد

الله جار على دعوة شفقـــا من الزمان وشر الأقرب الوالى

من كل احيد عنـــه لا يقربه وسط النَّجيِّ ولا فى المجلس الخالي

قال الزبير حدثنى محمد بن عبد الله البكرى أنه دخـل اليه بعـدى فى اليوم الذى مات فيه فقال لى يا أبا عبد الله أنا أجود بنفسى منذ كذا وكذا ولاتخرج ما هكذا كانت نفس عَبِيد ولا لَبِيد ولا الحطيئة ما هى الا نفس كلب ، قال فخرجت فما أبعدت حتى سمعت الناعية عليه

ومما غنى فيه من شعره

أمامة لا أراك اللــــه ذل معيشــة أبدا

ألا تستصلحين فتى وقاك السوء قد فسدا

غلام كان أهلك مـــرة يدعونه ولدا

محمد بن صالح العلوى

هـو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن ابن على بن أبى طالب ويكنى أبا عبد الله شاعر حجازى ظريف صالح الشعر من شعراء أهل بيته المتقدمين وكان جده موسى بن عبد الله أخا محمد وابراهيم الحجازيين الخارجين فى أيام المنصور أمهم جميعا هند بنت أبى عبيدة وقد حملت بموسى ولها ستون سنة ولا تحمل لستين الا قرشية ولا تحمـل لخمسين الا عربية

وكان موسى شديدا لأدمة وله تقول هند

انك أن تكون جوْنا أنزعا   أجدر أن تضرهم وتنفعا

وتسلك العيش طريقا مَهْيَعا   فردا من الأصحاب أومشيعا

وكان موسى استتر بعد قتل أخويه زمانا ثم ظفر به أبو جعفر فضربه بالسوط وحبسه مدة ثم عفا عنه وأطلقه

وكان محمد بن صالح خرج على المتوكل نظفر به وبجماعة من أهل بيته أبو الساج فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم وأخرب سويقة وهى منزل للحسنيين ومن جملة صدقات أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله عليه وعقر بها نخلا كثيرا وحرق منازلهم بها وأثر فيهم وفيها آثارا قبيحة وحمل محمد بن صالح فيمن حمل منهم الي سر من رأى فحبس ثلاث سنين، ثم مدح المتوكل فأنشده الفتح قصيدته بعد أن غنى فى شعره الآتى فطرب وسأل عن قائله فعرفه وتلا ذلك انشاد الفتح قصيدته فأمر باطلاقه، قال أحمد بن أبى خيثمة أنكر موسى بن عبد الله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بعض ما ينكره العمومة على بني أخيهم في شيء من أمور السلطان، وكان محمد بن صالح قد خرج بسويقة فصار أبو الساج الى سويقة فأسلمه عمه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو الساج الأمان فطرح سلاحه ونزل اليه فقيده وحمله الى سر من رأى، فلم يزل محبوسا بها ثلاث سنين، ثم أطلق وأقام بها الى أن مات وكان سبب موته أنه جُدر فمات بالجُدَرى وهو الذى يقول في الحبس

طرب الفؤاد وعاودت أحزانُه   وتشعبت شُعَبا به أشجانه

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى   برق تألَّق مَوْهِنا لمَعَانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه   صعب الذُّرَى متمنع أركانه

فدنا لينظر كيف لاح فلم يطق   نظرا اليه ورده سجانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سحّت به أجفانه

ثم استعاذ من القبيح ورده ... نحو العزاء عن الصبا إيقانه

وبدا له أن الذى قد ناله ... ما كان قدره له ديانه

حتى اطمأن ضميره وكأنما ... هتك العلائق عامل وسنانه

يا قلب لا يذهب بحلمك باخل ... بالنيل باذل تافه منّانه

يعد القضاء وليس ينجز موعدا ... ويكون قبل قضائه ليّانه

خذل الشوى حسن القوام مخصّر ... عذب لثاه طيب أردانه

واقنع بما قسم الاله فأمره ... مالا يزال على الفتى اتيانه

والبؤس ماض ما يدوم كما مضى ... عصر النعيم وزال عنك أوانه

مر بقبر لبعض ولد المتوكل فرأى الجوارى يلطمن خدودهن عنده فأنشدنى لنفسه

رأيت بسامرّا صبيحة جمعة ... عيونا يروق الناظرين فتورها

تزور العظام الباليات لدى الثرى ... تجاوز عن تلك العظام غفورها

فلولا قضاء الله أن تعمر الثرى ... الى أن ينادى يوم ينفخ صورها

لقلت عساها أن تعيش وأنها ... ستنشر من جرّى عيون تزورها

أسيلات مجرى الدمع إمّا تهللت ... شؤون المآقى ثم سحّ مطيرها

بوبل كأتوام الجمان يفيضه ... على نحرها أنفاسها وزفيرها

فيارحمة ما قد رحمت بواكيا ... ثقالا تواليها لطافا خصورها

قال ابراهيم بن المدبر جاءنى يوما محمد بن صالح بعد أن أطلق من الحبس فقال لى أريد المقام عندك اليوم على خلوة لأبثك من أمرى شيئا لا يصلح أن يسمعه غيرنا، فقلت أفعل ، فصرفت من كان بحضرتى وخلوت معه وأمرت برد دابته وأخذ ثيابه ، فلما اطمأن وأكلنا واضطجعنا قال أعلمك أنى خرجت فى سنة كذا وكذا ومعى أصحابى على القافلة الفلانية فقاتلنا من فيها فهزمناهم وملكنا القافلة ، فبينما

أنا أحوزها وأنيخ الجمال اذ طلعت على امرأة من العمارية ما رأيت قط أحسن منها وجها ولا أحلى منطقا ، فقالت يا فتى ان رأيت أن تدعو لى بالشريف المتولى أمر هذا الجيش ، فقلت قد رأيته وسمع كلامك ، فقالت سألتك بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم أنت هو ؟ فقلت نعم وحق الله وحق رسوله انى لهو ، فقالت أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن خالد الحربى ولأبى محل من سلطانه ولنا نعمة ان كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت وان كنت لم تسمع بها فسل عنها غيرى وو الله لا استأثرت عنك بشيء أملكه ولك بذلك عهد الله وميثاقه على وما أسألك الا أن تصوننى وتسترنى وهذه ألف دينار معى لنفقتى تخذها حلالا وهذا حلى على ثمنه خمسمائة دينار تخذه وضَمِّنى ماشئت بعده آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم فليس منهم أحد يمنعني شيئا أطلبه وادفع عنى واحمنى من أصحابك ومن عار يلحقنى ، فوقع قولها من قلبي موقعا عظيما ، فقلت لها قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك ووهب لك القافلة بجميع ما فيها ، ثم خرجت فناديت فى أصحابى فاجتمعوا ، فناديت فيهم انى قد أجرت هذه القافلة وأهلها وخفرتها وحميتها ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتى فمن أخذ منها خيطا أو عِقالا فقد آذنته بحرب ، فانصرفوا معى وانصرفت ، فلما أخذت وحبست بينما أنا ذات يوم في محبسى اذجاءنى السجان وقال ان بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك وقد حظر على أن يدخل عليك أحد الا أنهما أعطتانى دُمْلُج ذهب وجعلتاه لى ان أوصلتهما اليك وقد أذنت لها وهما فى الدهليز فاخرج اليهما ان شئت ، ففكرت فيمن يجيئنى في هذا البلد وأنا به غريب لا أعرف أحدا ، ثم قلت لعلهما من ولد أبى أو بعض نساء أهلى ، فخرجت اليهما واذا بصاحبتى فلما رأتنى بكت لما رأت من تغير خَلْقى وثقل حديدى ، فأقبلت عليها الأخرى فقالت أهو هو ؟ فقالت إى والله انه لهو ، ثم أقبلت على فقالت فداك أبى وأمى والله لو استطعت

أن أقيك مما أنت فيه بنفسى وأهلى لفعلت وكنت بذلك مني حقيقا والله لاتركت المعاونة لك والسعى فى حاجتك وخلاصك بكل حيلة ومال وشفاعة وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعن بها على موضعك ورسولى يأتيك فى كل يوم بما يصلحك حتى يفرج الله عنك ، ثم أخرجت الى كسوة وطيبا ومائتى دينار ، وكان رسولها يأتيني كل يوم بطعام نظيف ويتواصل برها بالسجان فلا يمتنع من كل شىء أريده ، فمن الله بخلاصى ، ثم راسلتها نخطبتها فقالت أما من جهتي فأنا لك متابعة مطيعة والأمر الى أبى ، فأتيته نخطبتها ، فردنى وقال ما كنت لأحقق عليها ما قد شاع فى الناس عنك فى أمرها وقد صيرتنا فضيحة، فقمت من عنده منكسا مستحييا وقلت

رمَونى وإياها بشنعاء هم بها ... أحقُّ أدال الله منهم فعجلا
بأمر تركناه ورب محمد ... عيانا فاما عفة أو تجملا

فقلت له ان عيسى صنيعة أخى وهو لى مطيع وأنا أكفيك أمره ، فلما كان من من الغد لقيت عيسى فى منزله وقلت له قد جئتك فى حاجة لي ، فقال مقضية ولو كنت استعملت ما أحبه لأمرتنى فجئتك وكان أسر الى ، فقلت له قد جئتك خاطبا اليك ابنتك ، فقال هى لك أمة وأنا لك عبد وقد أجبتك ، فقلت انى خطبتها على من هو خير مني أبا وأما وأشرف لك صهرا ومتصلا محمد بن صالح العلوى ، فقال لى يا سيدى هذا رجل قد لحقنا بسببه ظِنّة وقيلت فينا أقوال ، فقلت أفليست باطلة ؟ قال بلى والحمد لله ، قلت فكأنها لم تقل ، واذا وقع النكاح زال كل قول وتشنيع ، ولم أزل أرفُق به حتى أجاب ، و بعثت الى محمد بن صالح فأحضرته وما برحت حتى زوجته وسقت الصداق عنه فقال في ذلك محمد بن صالح

خطبت الى عيسى بن موسى فردنى ... فلله والى حرة وعليقها
لقد ردنى عيسى ويعلم أننى ... سليل بنات المصطفى وعريقها
وان لنا بعد الولادة نبعة ... نبى الاله صنوها وشقيقها

فلما أبى بخـلا بها وتمنعا وصيرنى ذا خـلة لا يطيقها
تداركنى المرء الذى لم يزل له من المكرمات رحبها وطليقها
سمى خليـل الله وابن وليـه وحمّال أعباء العـلا وطريقها
وزوجها والمن عندى لغيره فيا بيعـة وفّتنى الربحَ سوقها
ويا نعمـة لابن المدبر عندنا يجدّ عـلى كر الزمان أنيقها

فلما نقلت حمدونة اليه شُغِف بها وكانت امرأة عاقلة فأنشدنى لنفسه فيها

لعمر حَمْدونة انى بهـا لمغرم القلب طويل السقّام
مجاوز للقـدر فى حبها مباين فيها لأهـل الملام
مطَّرح للعـذل ماض على مخافة النفس وهـول المقام
مشايعى قلب يخاف الخنا وصارم يقطـع صُمّ العظام
جَشَّمني ذلك وجـدى بها وفضلها بين النساء الوِسام
ممكورة الساق رُدَيْنية معالشوى الخدْل وحسن القوام
صامتة الحِجل خفوق الحشى مائرة الساق ثقال القيـام
ساجية الطرف نؤوم الضحى منـيرة الوجه كبرق الغمام
زينها الله وما شانهـا وأعطيت منيتها من تمام
تلك التى لولا غرامى بهـا كنت بسامرّا قليل المقام

وقد مدح ابراهيم بن المدبر مدائح كثيرة لما أولاه من هذا الفعل والصداقة كانت بينهما فمن جيد قوله فيه

أتخبر عنهم الدِّمَن الدُّثور وقد ينبى اذا سئل الخبير
وكيف تُبَيّنُ الأنباء دار تعاقبُها الشمائل والدَّبور

يقول فيها

فهلا فى الذى أولاك عرفا تُسدّى من مقالك ما تنير [(١)]

ثناء غير مختلق ومدحا مع الركبان يُنجد أو يغور

أخ واساك فى كَلَب الليالى وقد خذل الأقارب والنصير

حفاظا حين أسلمك الموالى وضن بنفسه الرجل الصَّبور

فان تشكر فقد أولى جميلا وان تكفر فانك لَلْكفور

وما فى آل خاقان اعتصام اذا ما عمم الخطب الكبير

لئـــام الناس اثراء وفقرا وأعجزهم اذا حمى القتير

لئام لا يزوجهـــم كريم ولا تُسْنَى لنسوتهم مهـــور

وانما ذكر آل خاقان ههنا لأن عبيد الله بن يحيي قصده وتحامل عليه وكان يقوى مايكره و يؤكد ما يوجب حبسه وكان فيه وفى ولده نَصْب [(٢)] شديد

قال عبد الله بن طالب الكاتب كان محمد بن صالح حلو اللسان ظريفا أديبا فكان بسر من رأى مخالطا لسراة الناس ووجوه أهل البلد وكان لا يكاد يفارق سعيد بن حُميد وكانا يتقارضان الأشعار ويتكاتبان وفى سعيد يقول محمد

أصاحب من صاحبت ثمّت أنثنى اليك أبا عثمان عطشان صاديا

أبى القلب أن يَرْوَى بهم وهو حائم اليك وإن كانوا الفروع العواليا

ولكن إذا جئناك لم نبغ مَشْرَبا سواك وروَّينا العظام الصواديا

قال وكان بعض بني هاشم دعاه فمضي اليه وكتب سعيد اليه يسأله المصير اليه فأخبر بموضعه عند الهاشمى ، فلما عاد عرف خبر سعيد وارساله اليه فكتب اليه بهذه الأبيات السابقة، وشرب يوما هو وسعيد فسكر محمد بن صالح قبله فقام لينصرف والتفت إلى سعيد وقال له

---

(١) نار الثوب جعل له نيراً وكذلك أناره والنير هدب الثوب ولحمته فاذا نسج على نيرين كان أصفق وأبقى وسدى الثوب أقام سداه والسدى من الثوب مامد من خيوطه وهي خلاف لحمته واستعمل ذلك فى القول مجازا (٢) النصب التدين ببغض على رضى الله عنه

لعمرك انى لما افترقنا أخوضَنّ بخُلْصانى سعيد

تبقه المدام وأزعجتني إلى رحلى بتعجيل الورود

وتوفى محمد بن صالح بسر من رأى وكان يجهد فى أن يؤذن له في الرجوع إلى الحجاز فلا يجاب إلى ذلك فقال سعيد يرثيه

بأى يد أسطو على الدهر بعدما أبان يدى عَضْبُ الذُّبابين قاضب

وهاض جناحى حادث جل خَطْبُه وسدت عن الصبر الجميل المذاهب

ومن عادة الأيام أن صروفها إذا سر منها جانب ساء جانب

لعمرى لقد غال التجلدَ أننا فقدناك فقد الغيث والعام جادب

فما أعرف الأيام إلا ذميمة ولا الدهر إلا وهو بالثأر طالب

ولا لي من الاخوان إلا مكاشر فوجه له راض ووجه مغاضب

فقدت فتى قد كان للأرض زينة كما زينت وجه السماء الكواكب

لعمرى لئن كان الرَّدَى بك فاتني وكل امرىء يوما إلى الله ذاهب

لقد أخذت مني النوائب حكمها فما تركت حقا على النوائب

ولا تركتني أرهب الدهر بعده لقد كل عنى نابه والمخالب

سقى جدثا أمسى الكريم ابن صالح يحل به دان من المزن ساكب

إذا بشر الرُّوَّاد بالغيث برقه مرته الصبا واستحلبته الجنائب

فغادر باقى الدهر تأثير صوبه ربيعا زهت منه الرُّبى والمذانب

وله فى المتوكل والمنتصر مدائح جياد كثيرة منها قوله فى المتوكل من قصيدة أولها

ألف التقى ووفى بنذر الناذر وأبى الوقوف على المحل الداثر

ولقد تهيج له الديار صبابة حينا وتكْلَفُ بالخليط السائر

فرأى الهداية أن أناب وأنه قصر المديح على الامام العاشر

يا بن الخلائف والذين بهديهم ظهر الوفاء وبان غدر الغادر

وابن الذين حوَوْا تُراث محمـــد   دون الأقارب بالنصيب الوافر
نطق الكتاب لكم بذاك مصدقا   ومضت به سنن النبى الطاهر
ووصلت أسباب الخلافة بالهدى   إذ نلتها وأنمت عين الساهر
أحييت سنة من مضى فتجددت   وأبنت بدعة ذى الضلال الخاسر
فافخر بنفسك أو بجــدك معلنا   أو دع فقد جاوزت فخر الفاخر
ما للمكارم غيركم من أول   بعـــد النبى ومالها من آخر
انى دعوتك فاستجبت لدعوتى   والموت منى قِيدُ شِبْرِ الشابر
فانتشتنى من قعْر موردة الرَّدَى   أمنا ولم تسمع مقـــالة زاجر
وفككت أسرى والبلاء موكل   وجبرت كسرا ما له من جابر
وعطفت بالرَّحم التى ترجو بها   قرب المحـل من المليك القادر
وأنا أعوذ بفضل عفوك أن أرى   غرضا ببابك للملم الفـــاقر
أو أن أضيع بعـــد ما أنقذتنى   من ريب مهلـكة وجـد عاثر
ولقد مننت فكنت غير مكدر   ولقد نهضت بنا نهوض الشاكر

قال أبو عبد الله الجهمى دخلت على محمد بن صالح فى حبس المتوكل فأنشدنى لنفسه يهجو أبا الساج

ألم يحزُنك يا ذَلفـاء أنى   سكنت مساكن الأموات حيا
وأن حمائلى ونجاد سيفى   علون مجـدَّعا أشروسنيا
فقصرهن لما طُلْن حتى اســتوين عليه لا أمسى سَوِيّا
أما والراقصات بذات عرق   تريد البيت تحسبها قِسِيّا
لوَ آمكننى غداتئذ جلاد   لألفونى به سمْحـا سخيا

ومن قوله

نظرت ودونى ماء دِجْلة مَوْهِنا   بطروقة الانسان محسورة جـدا

لتونس لى نارا بليل توقدت | وتالله ما كلفتها نظرا قصدا
فلو أنها منها لقلت كأنني | أرى النار قد أمست تضىء لنا هندا
تضىء لنا منها جبينا ومَحْجِرا | ومبتسما عذبا وذا غُدَر جَعْدا

على بن عبد الله الجعفرى

هو على بن عبد الله بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر شاعر ظريف حجازى ، كان عمر بن الفرج الرُّخّجى حمله من الحجاز الى سُرَّ من رأى مع من حمله من الطالبين فحبسه المتوكل معهم . ومن شعره وفيه غناء

والله لا نظرت عيني اليك ولو | سالت مساربها اليك دما
ان كنت خنت ولم أُضمر خيانتكم | فالله يأخذ ممن خان أو ظلما
سماجة لمحب خان صاحبه | ما خان قط محب يعرف الكرما

ومن قوله

ولما بدا لى أنها لا تَوَدُّنى | وأن هواها ليس عني بمنجل
تمنيت أن تهوى سواى لعلها | تذوق حرارات الهوى فترقّ لى

ومن قوله

ربما سرنى صدودك عنى | فى طلابيك وامتناعك مني
حذرا أن أكون مفتاح غيرى | فاذا ما خلوت كنت التمني

ومما أنشده لنفسه

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لي | متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة | حبا لذكرك فليلمنى اللوم
وأهنتنى فأهنت نفسى جاهدا | ما من يهون عليك ممن يكرم
أشبهت أعدائى فصرت أحبهم | اذ صار حظي منك حظي منهم

ومن قوله

والله والله ربى وتلك أقصى يمينى
لوشئت ِ ألاّ أصلى لما وضعت جبينى

قال على مرت بى امرأة فى الطواف وأنا جالس أنشد صديقا لى هذا البيت

أهوى هوى الدين واللذات تعجبنى فكيف لى بهوى اللذات والدين

فالتفتت المرأة الىّ وقالت دع أيهما شئت وخذ الآخر

شعراء لاينتمون الى قبائل

ابن البواب

هو عبد الله بن عناب من أهل بخارى وجىء بجده وجماعة معه رهينة الى الحجاج ابن يوسف فنزلوا عنده بواسط فأقطعهم سكة بها فاختطوها ونزلوها طول أيام بني أمية ثم انقطعوا من الدولة العباسية إلي الربيع نخدموه وكان عبد الله بن محمد هذا يخلف الفضل بن الربيع على حجبة الخلفاء وكان صالح الشعر قليله وراوية لأخبار الخلفاء عالما بأمورهم .

لما أتى المأمون بشعر ابن البواب الذى يقول فيه

أيبخل فرد الحسن فرد صفاته علىَّ وقد أفردته بهوى فَرْدْ
رأى الله عبد الله خير عباده فملكه والله أعلم بالعبد
ألا إنما المأمون للناس عصمة مميزة بين الضلالة والرشد

فقال المأمون أليس هو القائل

أعينىَّ جودا وابكيا لي محمدا ولاتَذْخَرا دمعا عليه وأسعدا
فلا فرح المأمون بالملك بعده ولازال فى الدنيا شريدا مطردا

واحدة بواحدة ولم يصله بشيء . ولما سخط عليه قال قصيدة يمدحه بهاودس

من غناه في بعضها لما وجد منه نشاطا فسأل من قائلها فأخبر به فرضى عنه ورده إلى رسمه من الخدمة وهى

هـــل للمحب معين اذ شط عنه القرين
فليس يبكى لشجو الـــحزين الا الحزين
يا ظاعنا غاب عنا غداة بان القطين
أبكى العيون وكانت به تقر العيون
يأيها المأمون الـــمبارك الميمون
لقـــد صفت بك دنيا للمسلمين ودين
عليـــك نور جلال ونور ملك مبـــين
القول منك فعـــال والظن منك يقين
ما من يديك شمـــال كلتا يديك يمين
كأنمـــا أنت فى الجو د والتـــقى هرون
من نال من كل فضل ما ناله المـــأمون ؟
تألف الناسَ منه فضـــل وجودولين
كالبـــدر يبدو عليه سكينة وسكون
فالرزق من راحتيـــه مقســـم مضمون
وكل خصـــلة فضل كانت فمنـــه تكون

ومما يغنى فيه قوله

أفق أيها القلب المعذب كم تصبو ؟ فلا النأى عن سلماك يسلى ولا القرب
أقول غداة استخبرت ميمٌ علتى ؟ من الحب كرب ليس يشبهه كرب
اذا أبصرتك العين من بعد غاية فأدخلت شكا فيك أثبتك القلب
ولو أن ركبا يموك لقـــادهم نسيمك حتى يستدل بك الركب

أملق ابن البواب حين جفاه الخليفة وعلت سنه عن الخدمة فرحل الى أبي دُلف القاسم بن عيسى ومدحه بقصيدة فوهب له ثلاثين ألف درهم وعاد بها الى بغداد فما نفدت حتى مات وهى قوله

طرقتك صائدة القلوب رَباب ونأت فليس لها اليك مآب
وتصرمت منها العهود وغُلِّقت من دون نَيْلِ طِلابها الأبواب
فـلأصْدِفَنّ عن الهوى وطِلابه فالحب فيه بلية وعذاب
وأخص بالمدح المهذب سيدا نفحاته للمجتدين رغاب
والى أبي دُلف رحلت مطيتى قد شفّها الإرقال والاتعاب
تعلو بنا قُلَل الجبال ودونها ممـا هوت أُهْوِيّة وشعاب
فاذا حللت لدى الأمير بأرضه نلت المنى وتقضت الآراب
ملك تأثّل عن أبيه وجده مجدا يقصر دونه الطلاب
واذا وزنت قديم ذى حسب به خضعت لفضل قديمه الأحساب
قوم علوْا أملاكَ كل قبيلة فالناس كلهمُ له أذناب
ضربت عليه المكرمات قبابها فعلا العمودُ وطالت الأطناب
عقُمِ النساء بمثله وتعطلت من أن تضمن مثله الأصلاب

كان عبد الله بن اسمعيل بن على ابن ريطة يألف ابن البواب ويعاشره، فشرب عنده يوما حتى سكر ونام، فلما أفاق فى السحر أراد الانصراف فحلف عليه واحتبسه وكان عبد الله يهوى جارية من جوارى عمرو بن بانة فبعث الي عمرو بن بانة فدعاه وسأله احضار الجارية، فأحضرها وانتبه عبد الله بن اسمعيل من نومه وهو يتململ خُمارا، فلما رآها نشِط وجلس فشرب وتمموا يومهم فقال ابن البواب فى ذلك

وكريم المجد محض أبوه فهو الصفو اللُّباب النُّضار
هاشمى لفروم اذا ما أظلمت أوجه قوم أناروا

رمت القهوة بالنوم وهنا　　عينه فالجفن فيه انكسار
فهو من طَرْف يفدّيك طورا　　ويعاطيك اللواتى أداروا
ساعة ثم انثنت حين دبت　　ومشت فيه السُّلاف العُقار
وأبت عينى اغماضا فلما　　حان من أخرى النجوم انحدار
قلت عبد الله حاذرت أمرا　　ليس يُغنى خائفيه الحِذار
فاستوى كالهُنْدُوانى لما　　أن رأى أن ليس يُغنى الفِرار
قلت خذها مثل مصباح ليل　　طيرت فى حافتيه الشرار
أقبلت قطرا نطافا ولما　　يُتعب العاصرَ فيها اعتصار
هى كالياقوت حمراء شبت　　وعلا الحمرة منها اصفرار
كالدنانير جرى في ذراها　　فضة فالحسن منها قصار
تنطق الخرس وبالصمت ترمي　　معشرا نُطْقا اذا ما أحاروا

ابوجعفر احمد بن يوسف الكاتب

أصله من الكوفة وكان مذهبه الرسائل والانشاء . وله رسائل معروفه ، وكان يتولي ديوان الرسائل للمأمون ، وكان موسى بن عبد الملك غلامه وخريجه يقول وهب لى أحمد بن يوسف ألفى ألف درهم تفاريق عن ظهر يد ، وأخوه أبو محمد القاسم بن يوسف شاعر مليح الشعر جعل وكده فى مدح البهائم ومراثيها فاستغرق أكثر شعره في ذلك منها قوله يرثى شاة

عين بكّي لعنزنا السوداء　　كالعروس الأدماء يوم الجلاء

وقوله في الشاهرك (١)

أقفرت منك أبا سعد عِراص وديارُ

(١) هو الفتى من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل وهو معرب الشاه مرغ ومعناه ملك الطير

وقوله فى السنّوْر

الا قل لجـة أو ماردة　　تبكى على الهرة الصائدة

وقوله فى القُمرى

هل لامرىء من أمان　　من طارق الحدثان

ومن شعر أحمد بن يوسف وفيه غناء

قد كان عتبك مرة مكتوما　　فاليوم أصبح ظاهراً معلوما
نال الأعادى سؤلهم لا هنئوا　　لما رأونا ظاعنا ومقيما
والله لو أبصرتنى لوجدتِنى　　والدمع يجرى كالجُمان سجوما
هبني أسأت فعادة لك أن تُرى　　متطولا متجاوزاً مظلوما

وقوله على لسان مؤنسة للمأمون وقد خرج متنزها الى الشماسية وتركها

ياسيدا فقده أغرى بى الحَزَنا　　لاذقت بعدك لانوما ولا وسنا
لا زلت بعدك مطويا على حُرَق　　أشنا المقام وأشنا الأهل والوطنا
ولا التذذت بكأس فى منادمة　　مذ قيل لى ان عبد الله قد ظعنا
ولا أرى حسنا تبدو محاسنه　　الا تذكرت شوقا وجهك الحسنا

ومما يغنى فيه من شعره

صد عنى محمد بن سعيد　　أحسن العالمين ثانى جيد
ليس من جفْوة يصد ولكن　　يتجنى لحسنه فى الصدود

ومنه

كم ليلة فيك لا صباح لها　　أحييتها قابضاً على كبدى
قد غصّت العين بالدموع وقد　　وضعت خدى على بنان يدى
كأن قلبي اذا ذكرتكمُ　　فريسةٌ بين ساعدَىْ أسد

ومن قوله

وعامل بالفجور يأمر بالـــبر كهاد يخوض فى الظلم
أو كطبيب شفه سقَمٌ وهو يداوى من ذلك السقم
ياواعظ الناس غير متعظ نفسك طهر أولا فلا تلم

دخل أحمد بن يوسف على الفضل بن سهل فى يوم دَجْن فأطال مخاطبته وكان أحمد آنسا به نفتح دواته وكتب إليه

أرى غيما تؤلفـه جنوب وأحسبـه سيأتينـا بهطل
فوجه الرأي أن تدعو برطل فتشرب وتدعو لى برطـل

ودفعها إليه فقرأها وضحك وقال ان كان هذا عين الرأى قبلناه ولم يزده ، ثم دعا بالطعام والشراب فأتموا يومهم

محمد بن عبد الملك

هو أبو جعفر محمد بن عبدالملك الزيات أصله من جبُّل [١] وكان أبوه تاجراً من تجار الكَرْخ المياسير فكان يحثه على التجارة وملازمتها فيأبى الا الكتابة وطلبها وقصد المعالى حتى بلغ منها ان وزر ثلاث دفعات وهو أول من تولى ذلك وتم له

وكان محمد شاعراً مجيداً لايقاس به أحد من الكتاب وان كان ابراهيم ابن العباس مثله فى ذلك فان ابراهيم مقل وصاحب قِصار ومقطَّعات وكان محمد شاعرا يطيل فيُجيد ويأتى بالقصار فيجيد وكان بليغا حسن اللفظ اذا تكلم واذا كتب

ذكر محمد بن يحيى بن خاقان فقال هو مهزول الألفاظ عليل المعانى سخيف العقل ضعيف العقدة واهى العزم مأفون الرأى

ولما تولى محمد الوزارة اشترط الا يلبس القباء وأن يلبس الدُّراعة ويتقلد عليها سيفا بحمائل ، فأجيب الى ذلك

وكان يقول الرحمة خَوَر فى الطبيعة وضعف فى المُنَّة ما رحمت شيئا قط، فكانوا

(١) بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقى

يطعنون عليه فى دينه بهذا القول ، فلما وضع فى الثقل والحديد قال ارحمونى ، فقالوا له وهل رحمت شيئا قط فترحم ؟ هذه شهادتك على نفسك وحكمك عليها

لما ماتت أم ابنه عمرو رثاها بقصيدة منها

يقول لى الخلان لو زرت قبرها   فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر
على حين لم أحدث فأجهل قبرها   ولم أبلغ السن التى معها الصبر

استبطأ عبد الله بن طاهر محمد بن عبد الملك فى بعض أموره واتهمه بعدوله عن شيء أراده الى سواه، فكتب اليه محمد بن عبد الملك يعتذر من ذلك وكتب فى آخر كتابه يقول

أتزعم أننى أهوى خليلا   سواك على التدانى والبعاد
جحدت اذا موالاتى عليا   وقلت بأننى مولى زياد

كان عبد الله بن الحسن الاصبهانى يخلف عمرو بن مسعدة على ديوان الرسائل فكتب الى خالد بن يزيد ان المعتصم أمير المؤمنين ينفخ منك فى غير فحم ويخاطب امرأ غير ذى فهم ، فقال محمد هذا كلام ساقط سخيف جعل أمير المؤمنين ينفخ بالزق كأنه حداد وأبطل الكتاب، ثم كتب محمد الى عبد الله بن طاهر وأنت تجرى أمرك على الأربح فالاربح والأرجح فالأرجح لا تسعى بنقصان ولا تميل برجحان، فقال عبد الله الأصبهانى الحمد لله قد أظهر من سخافة اللفظ مادل على رجوعه الى صناعته من التجارة بذكره ربح السلع ورجحان الميزان ونقصان الكيل والخسران من رأس المال، فضحك المعتصم وقال ما أسرع ما انتصف الأصبهانى من محمد ، وحقدها عليه ابن الزيات حتى نكبه

نظر رجل كان يعادى يونس النحوى اليه يهادى بين اثنين من الكبر ، فقال يا أبا عبد الرحمن أبلغت ما أرى؟ فعلم يونس أنه قال له ذلك شامتا فقال هذا الذى كنت أرجو فلا بلغته ، فأخذه محمد فقال

وعائبٍ عابنى بشيب ... لم يَعْدُ لمّا ألمّ وقتَه

فقلت اذ عابنى بشيبى ... ياعائب الشيب لا بلغته

ومن قوله

ما أعجب الشىء ترجوه فتحرمه ... قدكنت أحسب أنى قدملأت يدى

مالى اذا غبت لم أذكر بصالحة ... وان مرضت فطال السقم لم أُعَدِ

ومن قوله

ألم تعجب لمكتئب حزين ... خديم صبابة وحليف صبر

يقول اذا سألت به بخير ... وكيف يكون مهجور بخير

أنشد أبو تمام محمد بن عبد الملك قصيدته التي يقول فيها « لهان علينا أن نقول ونفعلا » فأثابه عليها ووقع عليه

رأيتك سهل البيع سمحا وانما ... نغالى اذا ماضنَّ بالشىء مانعه

فأما الذى هانت بضائع بيعه ... فيوشك أن تبقى عليه بضائعه

هو الماء ان أجممته طاب ورِدُه ... ويُفْسِد منه أن تباح شرائعه

فأجابه أبو تمام وقال

أبا جعفر ان كنتُ أصبحت شاعرا ... أسامح فى بيعى له من أبايعه

فقد كنتَ قبلى شاعرا تاجرا به ... تُساهِل من عادت عليك منافعه

فصرتَ وزيرا والوزارة مَكْرَع ... يَغَصُّ به بعد اللّذاذة كارعه

وكم من وزير قد رأينا مسلطا ... فعاد وقد سُدّت عليه مطالعه

ولله قوس لا تطيش سهامها ... ولله سيف لا تُفَل مقاطعه

كان لمحمد برذون أشهب لم ير مثله فراهة وحسنا فسعى به محمد بن خالد الى المعتصم ووصف له فراهته فبعث اليه المعتصم فأخذه منه فقال محمد بن عبد الملك يرثيه

كيف العزاء وقد مضى لسبيله ... عنا فودعنا الأحمّ الأشهب

دبَّ الوشاة فأبعدوك وربما — بَعُد الفتى وهو الأحب الأقرب
لله يومَ نأيت عنى ظاعنا — وسُلِبتُ قربك أى علِق أُسلَب
نفس مفرقة أقام فريقها — ومضى لطيته فريق يُجْنَب
فالآن اذ كملت أداتك كلها — ودعا العيونَ اليك لون مُعْجِب
واختير من سر الحدائد خيرها — لك خالصا ومن الحلى الأغرب
وغدوت طنّان اللجام كأنما — فى كل عضو منك صنج يضرب
وكأن سرجك اذ علاك غمامة — وكأنما تحت الغمامة كوكب
ورأى علىّ بك الصديق جلالة — وغدا العدو وصدره يتلهب
أنساك لا زالت اذا منيته — نفسى ولا زالت يمينى تنكب
أضمرت منك اليأس حين رأيتنى — وقوى حبالى من قواك تقضب
ورجعت حين رجعت منك بحسرة — لله مافعل الأحم الأشهب

قال على بن جبلة يهجو محمد عبد الملك بأبيات منها

يا بائع الزيت عرج غير مرموق — لتشغلن عن الأرطال والسوق
من رام شتمك لم ينزع الى كذب — فى منتاك وأبداه بتحقيق

فأجابه محمد

اشمخ بأنفك ياذا السيء الأدب — ماشئت واضرب حذاك الأرض بالذنب
وارفع بصوتك تدعو من بذى عَدَن — ومن بقالى قَلاَ بالويل والحرب
ما أنت الا امرؤ أعطى بلاغته — فضل العذار ولم يَرْبَع على أدب
فاجمح لعلك يوما أن تعضَّ على — لجم دلاَصية تَثْنيك من كَثَب
انى اعتذرت فما أحسنت تسمع من — عذرى ومن قبل ما أحسنت فى الطلب
صبرا أبا دُلَف فى كل قافية — كالقدر وقفا على الجارات بالعقب
يا رب ان كان ما أنشأت من عرب — شَرْوَى أبى دُلف فاسخط على العرب

ان التعصب أبدى منك داهيـــة كانت تحجب دون الوهم بالحجب

فأجابه على بن جبلة

نبهت عن سنة عينيك فاصطبر واسحب بذيلك هل تقفو على أثر
ان يرحض الله عني عار مطلبتي اليك رفدا ألا فانجـد به وغرِ
انى ودعواك ان تأتى بمكرمة كمنبض القوس عن سهم بلاوتر
فاردد جفونك حسرى عن أبى دلف ولا ملامـة ان تعشى عن القمر
لا يسخطن امرؤ ان ذل من حسب فالله أنزله فى محكم السور
لم آت سوءا ولم أسخط على أحد الا على طلبى فى مجتدى عسر
أقصر أبا جعفر عن سورة جمحت ان لم تقصر بها مالت الى القصر

فأجابه محمد

يأيها العائبى ولم يرلى عيبا أما تنتهى فتزدجر
هل لك وتر لدىّ تطلبه فأنت صلد مافيك معتصر
فالحمد والمجد والثناء لنـا وللحسود التراب والحجر

وهى طويلة يقول منها

تعيش فينا ولا تلائمنـا كما تعيش الحمير والبقر
تغلى علينا الأشعار منك وما عندك نفع يرجى ولا ضرر

دامت الأمطار بسر من رأى فتأخر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك
وهو يومئذ وزير والحسن يكتب له فاستبطأه محمد فكتب اليه الحسن يقول

أوجب العذر فى تراخى اللقاء ما توالى من هـذه الأنواء
لست أدرى ماذا أقول وأشكو من سماء تعوقني عن سماء
غير أنى أدعو على تلك بالثكـــل وأدعو لهـــذه بالبقاء
فسلام الاله أهديه غضا لك مني ياسيـــد الوزراء

واعتل الحسن فتأخر عنه أياما كثيرة فلم يأته رسوله ولا تعرف خبره فكتب اليه الحسن قوله

أيهذا الوزير أيدك الله وأبقاك لى بقاء طويلا
أجميلا تراه يا أكرم النا س لكيما أراه أيضا جميلا
أننى قد أقمت عشرا عليلا ما تُرى مرسلا الىّ رسولا
ان يكن موجب التغمد فى الصحة منا على منك طويلا
فهو أولى ياسيد الناس برا وافتقادا لمن يكون عليلا
فلماذا تركتنى عُرْضة الظن من الحاسدين جيلا فجيلا
ألذنب؟ فما علمت سوى الشكر قرينا لنيتى ودخيلا
أم ملال؟ فما علمتك للصا حب مثلى على الزمان ملولا
قد أتى الله بالشفاء فما أعـرف مما أنكرت الا قليلا
وأكلت الدّرّاج وهو غذاء أفلَت علتى عليه أفولا
بعدما كنت قد حملت من العلة عبئاً على الطباع ثقيلا
ولعلى قدمت قبلك آتيـك غدا ان وجدت فيه سبيلا

فأجابه محمد

دفع الله عنك نائبة الدهـر وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وماذا لك من العذر جائزا مقبولا
ولعمرى أن لو علمت فلازمـتك حولا لكان عندى قليلا
اننى أرتجى وان لم يكن ما كان مما تقدّمت الا جليلا
أن اكون الذى اذا أضمر الاخلاص لم يلتمس عليه كفيلا
ثم لا يبذُل المودة حتى يجعل الجهد دونها مبذولا
فاذا قال كان ما قال اذ كا ن بعيدا من طبعه أن يقولا

فاجعلن لى التعلق بالعذ ر سبيلا ان لم أجدلي سبيلا
فقديما ما جاد بالصفح والعفـو وماسامح الخليل الخليلا

وكتب محمد الى الحسن بن وهب وقد تأخر عنه

قالوا جفاك فلا عهد ولا خبر ماذا تراه دهاه ؟ قلت أيلول
شهر تُجَذّ حبال الوصل فيه فما عَقْد من الوصل الا وهو محلول

وكان محمد قد ندبه لأن يخرج فى أمر مهم فأجابه الحسن

انى بحول امرئ أعليت رتبته فحظه منك تعظيم وتبجيل
وأنت عُدَّته فى نيل همته وأنت فى كل ما يهواه مأمول
ما غالنى عنك أيلول بلذته وطيبه ولنعم الشهر أيلول
الليل لا قصر فيه ولا طول والجوصاف وظهر الكأس مرحول
والعود مستنطق عن كل معجبة يُضحي بها كل قلب وهو مقبول
لكن توقع وشك البين عن بلد تحله فوكاء العين محلول
مالى اذا شمرت بى عنك مبتكرا دُهْم البغال أو الهوج المراسيل
الا رعاياتك اللاتى يعود بها حد الحوادث عنى وهو مفلول

وكان الحسن يساير محمدا على مُسَنَّاة فعدل عن المسناة لئلا يضيق لمحمد الطريق فظن محمد أنه أشفق على نفسه من المسناة فعدل عنها ولم يساعده على طريقه وظن بنفسه أن يصيبه ما يصيبه فقال له محمد

قد رأيتك اذ تركت المسنا ة وحاذيتنى يسار الطريق
ولعمرى ماذاك منك وقدجد بك الجد من فعال الشفيق

فقال له الحسن

ان يكن خوفى الحتوف أرانى أن ترانى مشبها بالعقوق
فلقد جارت الظنون على المشـ فق والظن مولع بالشفيق

عذر السيد الأجل وقد سا ... ر على الخوف من عين الطريق

فأخذت الشمال بقْيا على السيـــد اذ هالني سلوك المضيق

ان عندى مودة لك حازت ... ما حوى عاشق من المعشوق

طوْد عز خصصت منه ببر ... صار قدرى به مع العيُّوق

وبنفسى واخوتى وأبى البر ... وعمى وأسرتى وصديقى

من اذا ما روعت أمن روعى ... واذا ما شَرِقت سوغ ريقى

استقى الحسن بن وهب من محمد نبيذا ببلد الروم وهو مع المعتصم فسقاه وكتب اليه

لم تلق مثلى صاحبا ... أندى يدا وأعم جودا

يسقى النديم بقفرة ... لم يسق فيها الماء عودا

صفراء صافية كأن ... بكأسها درا نضيدا

وأجود حين أجودلا ... حَصِرا بذاك ولا بليدا

واذا استقل بشكرها ... أوجبت بالشكر المزيدا

خذها اليك كأنما ... كسيت زجاجتها عقودا

واجعل عليك بأن تقو ... م بشكرها أبدا عهودا

لما وثب ابراهيم بن المهدى على الخلافة اقترض من مياسير التجار مالا فأخذ من عبد الملك أبى محمد عشرة آلاف درهم وقال له أنا أردها اذا جاءنى مال ، ولم يتم أمره فاستخفى ثم ظهر ورضى عنه المأمون ، فطالبه الناس بأموالهم ، فقال انما أخذتها للمسلمين وأردت قضاءها من فيئهم والأمر الآن الى غيرى ، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة خاطب فيها المأمون ومضى الى ابراهيم بن المهدى فأقرأه أياها وقال والله لئن لم تعطنى المال الذى اقترضته من أبى لأوصلن هذه القصيدة الى المأمون ، نخاف أن يقرأها المأمون فيتدبر ما قاله فيوقع به ، فقال له خذ

منى بعض المال ونَجّمَ على بعضه ففعل والقصيدة قوله

ألم تر أن الشيء للشيء علة ... تكون له كالنار تُقدح بالزَّند ؟

كذلك جربت الأمور وانما ... يدلك ما قد كان قبل على البعد

وظنى بابراهيم أن مكانه ... سيبعث يوما مثل أيامه النُّكْد

رأيت حسينا حين صار محمد ... بغير أمان فى يديه ولا عقد

فلو كان أمضى السيف فيه بضربة ... فصيره بالقاع منعفر الخد

اذا لم تكن للجند فيه بقيه ... فقد كان ماخبرت من خبر الجند

همُ قتلوه بعد أن قتلوا له ... ثلاثين ألفا من كهول ومن مُرْد

وما نصروه عن يد سلفت له ... ولا قتلوه يوم ذلك عن حقد

ولكنه الغدر الصراح وخفة الـ ... ـحلوم و بعد الرأى عن سنن القصد

فذلك يوم كان للناس عبرة ... سيبقى بقاء الوحْى فى الحَجَر الصلد

وما يوم ابراهيم ان طال عمره ... بأبعد فى المكروه من يومه عندى

تذكر أمير المؤمنين مقامه ... وأيمانه فى الهزل منه وفى الجد

أما والذى أمسيتَ عبدا خليفة ... له شر أيمان الخليفة والعبد

اذا هز أعواد المنابر باسته ... تغني بليل أو بميّة أو دَعد

فوالله ما من توبة نزعت به ... اليك ولا ميل اليك ولا ود

ولكن اخلاص الضمير مقرب ... الى الله زلفى لاتخيب ولا تُكْدى

أتاك بها طوعاً اليك بأنفه ... على رغمه واستأثر الله بالحمد

فلا تتركن للناس موضع شبهة ... فانك مجزى بحسب الذى تُسْدِى

فقد غلطوا للناس فى نصب مثله ... ومن ليس للمنصور بابن ولا المهدي

فكيف بمن قد بايع الناس والتقت ... ببيعته الركبان غورا الى نجد

ومن سكّ تسليمُ الخلافة سمعه ... ينادَى به بين السماطين من بعد

وأي امرئ سمى بها قط نفسه ففارقها حتى يُغَيَّب في اللحد
وتزعم هــذى النابتية أنه أمام لهــا فيما تُسِرّ وما تبدى
يقولون سُنّى وأية سنــــة تقوم بجَوْن اللون صل القفاجعْد
وقد جعلوا رخص الطعام بعهده زعيما له باليمن والكوكب السعد
اذا ما رأوْا يوما غلاء رأيتهم يحنون تحنانا الى ذلك العهد
واقباله في العيد يُوجِف حوله وجيف الجياد واصطفاق القنا الجُرْد
ورجالة يمشون بالبيض قبــله وقد تبعوه بالقضيب وبالبُرْد
فان قلت قد رام الخلافة قبله فلم يؤت فيما كان حاول من جد
فلم أجزه اذ خيب الله سعيــه على خطأ اذ كان منه على عمد
ولم أرض بعد العفو حتى رفعته وللعمّ أولى بالتغمــد والرفد
فليس سواء خارجى رمى به اليــــك سفاه الرأى والرأى قد يُرْدى
تعادت له من كل أوْب عصابة متى يوردوا لا يصدروه عن الورد
ومن هو فى بيت الخلافة تلتقى به وبك الآباء فى ذروة المجد
فمولاك مولاه وجندك جنده وهل يجمع القَيْن الحسامين فى غمْد
وقد رابنى من أهل بيتك أننى رأيت لهم وجدا به أيّما وجد
يقولون لا تبْعَد مِن ابن ملمة صبور عليها النفس ذى مِرّة جلد
فَدانا وهانت نفسه دون ملكنا عليه لدى الحال التى قل من يفْدى
على حين أعطى الناس صفوا كفهم علىّ بن موسى بالولاية والعهد
فما كان فينا من أبى الضيم غيره كريم كفى ما فى القبول وفى الرد
وجرد ابراهيم المـوت نفسه وأبدى سلاحا فوق ذى ميْعة نَهْد
وأبلى ومن يبلغ من الأمر جهده فليس بمذموم وان كان لم يُجْد
فهذى أمور قد يخاف ذوو النهى مَغَبّتها والله يهديك للرشد

سرق أبو دهمان المغني من محمد بن عبد الملك منديلا دَبِيقيا فجعله تحت عمامته وبلغ محمدا فقال فيه

ونديم سارق خاتلني ... وهو عندي غير مذموم الخلق
ضاعف الكوْر على هامته ... وطوى منديلنا طى الخِرَق
يا أبا دهمان لو جاملتنا ... لكفيناك مؤنات السرق

لقى الكنجى محمد بن عبد الملك فسلم عليه فلم يجبه فقال الكنجى

هذا وأنت ابن زيات تصغرنا ... فكيف لو كنت ياهذا ابن عطار

فبلغ ذلك محمدا فقال كيف ينتصف من أحمق وضعه رفعه وعقابه ثوابه

جاس محمد يوما للمظالم فلما انفض المجلس رأى رجلا جالسا فقال له ألك حاجة؟ قال نعم تدنيني اليك فانى مظلوم ، فأدناه ، فقال انى مظلوم وقد أعوزنى الانصاف قال ومن ظلمك ؟ قال أنت ولست أصل اليك فأذكر حاجتى ، قال ومن يحجبك عني وقد ترى مجلسى مبذولا ، قال يحجبنى عنك هيبتى لك وطول لسانك وفصاحتك واطراد حجتك ، قال ففيم ظلمتك؟ قال ضيعتى الفلانية أخذها وكيلك غصبا بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج أديته باسمى لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكى فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدى خراجها وهذا مما لم يسمع فى الظلم مثله ، فقال هذا قول يحتاج الى بينة وشهود وأشياء ، فقال له الرجل أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب ، قال قد أمنتك ، قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس يحتاج معهم الي شيء فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء أيش هذه الأشياء الا العى والتغطرش؟ فضحك وقال صدقت والبلاء موكل بالمنطق وانى لأري فيك مصطنعا ، ثم وقع له برد ضيعته وبأن يطلق له كرحنطة وكر شعير ومائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من أصحابه واصطنعه

قال محمد لبعض أصحابه ما أخرك عنا ؟ قال موت أخى ، قال بأى علة ؟ قال

عضت اصبعهُ فأرة فضربته الحمرة ، فقال ما يرد القيامة شهيد أخس سببا ولا أنزل قاتلا ولا أضيع ميتة ولا أطرف قِتلة من أخيك

كان محمد يعادي أحمد بن أبي دؤاد ويهجوه فكان أحمد يجمع الشعراء ويحرضهم على هجائه ويصلهم ، ثم قال فيه أحمد بيتين كانا أجود ما هجي به وهما

أحسن من خمسين بيتا سدى — جمعــك اياهن فى بيت

ما أحوج النـاس الى مَطرة — تذهب عنهم وَضَر الزيت

حج محمد في آخر أيام المأمون فلما قدم كتب اليه راشد الكاتب

لا تنس عهدى ولا مودتيه — واشتق الى طلعتى ورؤيتيه

فان تجاوزت ما أقول الى الـــعصب فذاك المأمول منك ليه

فأجابه محمد

انك مني بحيث يطرد النـــاظر من تحت ماء دمعتيه

ولا ومن زادني تودده — على صحابى بفضل عيبتيه

ما أحسن الترك والخلاف لما — تريد مني وما تقــول ليه

يا بأبى أنت ما نسيتك فى — يوم دعائى ولا هـــديتيه

ناجيت بالذكر والدعاء لك الا — ه لك الله رافعا يديه

حتى اذا ما ظننت بالملك الـــقادر أن قد أجاب دعوتيه

قمت الى موضع النعال وقد — أقمت عشرين صاحبا معيه

وقلت لي صاحب أريد له — نعلا ولو من جلود راحتيه

فانقطع القول عند واحدة — قال الذى اختارها بشارتيه

فقلت عندى لك البشارة والشـ — كر وقلا فى جنب حاجتيه

ثم تخيرت بعد ذاك من الـــعصب اليمانى بفضل خبرتيه

مَوشيَّة لم أزل ببائعها — أُرغب حتى زها عليَّ بيه

يرفع فى سومه وأرغبه حتى التقى زهده ورغبتيه
وقد أتاك الذى أمرت به فاعذر بكثر الانعام قلتيه

لحقت غلات أهل البتّ [1] آفة فى أيام محمد بن عبد الملك من جراد وعطش ، فتكلم اليه جماعة منهم ، فوجه ببعض أصحابه ناظرا فى أمرهم وكان فى بصره ضعف ، فكتب اليه محمد بن على البتّى

أتيت أمرا يا أبا جعفر لم يأته برّ ولا فاجر
أغثت أهل البتّ اذ أهلكوا بناظر ليس له ناظر

فبلغه فضحك ورد الناظر ووقع لهم بما سألوا بغير نظر

كانت الخلافة في أيام الواثق تدور على ايتاخ وكاتبه سليمان بن وهب، وعلى أشناس وكاتبه أحمد بن الخصيب، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة وأوصلها الى الواثق على انها لبعض أهل العسكر وهى

يابن الخلائف والأملاك ان نسبوا حزت الخلافة عن آبائك الأول
أجرت أم رقدت عيناك عن عجب فيه البرية من خوف ومن وَهَل
وليت أربعة أمر العباد معا وكلهم حاطب فى حبل محتبل
هذا سليمان قد ملكت راحته مشارق الأرض من سهل ومن جبل
ملكته السند فالشّحْرين من عدَن الى الجزيرة فالأطراف من ملَل
خلافة قد حواها وحده فمضت أحكامه فى دماء القوم والنفَل
وابن الخصيب الذى ملكت راحته خلافة الشأم والغازين والقفَل
فنيل مصر فبحر الشأم قد جريا بما أراد من الأموال والحلل
كأنهم فى الذى قسّمت بينهمُ بنو الرشيد زمان القسم للدول
حوى سليمان ما كان الأمين حوى من الخلافة والتبليغ للأمل

(١) قرية كالمدينة من أعمال بغداد قريبة من راذان

وأحمد بن خصيب فى امارته كالقاسم بن الرشيد الجامع السبل
أصبحت لا ناصح يأتيك مستترا ولا علانية خوفا من الحيل
سل بيت مالك أين المال تعرفه وسل خراجك عن أموالك الجمل
كم فى حبوسك ممن لا ذنوب لهم أسرى التكذب فى الأقياد والكُبَل
سميت باسم الرشيد المرتضى فبه تسمى الأمور التى تُنجى من الزلل
عِشْ فيهمُ مثل ما عاشت يداه معا على البرامك بالتهديم للقلل

فلما قرأ الواثق هذا الشعر غاظه ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن الخصيب. وأخذ منهما ومن أسبابهما ألفى ألف دينار فجعلها فى بيت المال ، فقال أحمد بن أبى فنن

نزلت بالخائنين سنة سنة للناس ممتحنة
فترى أهل العفاف بها وهم فى دولة حسنة
وترى من جار همته أن يؤدى كل ما احتجنه

وقال ابراهيم بن العباس لابن الزيات

إيها أبا جعفر وللدهر كرّ ات وعما يريب متسع
أرسلت ليثا على فرائسه وأنت منها فانظر متى تقع
لكنه قوته وفيك له وقد تقضت أقواته شبع

ابراهيم بن العباس

هو ابراهيم بن العباس بن محمد بن صُول ، كان هو واخوه عبد الله من وجوه الكتاب ، وكان عبد الله أسنهما وأشدهما تقدما ، وكان ابراهيم آدبهما وأحسنهما شعرا ، وكان يقول الشعر ثم يختاره ويسقط رَذْله ثم يسقط الوسط ثم يسقط ما يسبق اليه فلا يَدَع من القصيدة الا اليسير وربما لم يَدَع منها الا بيتا أو بيتين ، فمن ذلك قوله

ولكن الجواد أبا هشام وفيّ العهد مأمون المغيب

بطيء عنك ما استغنيت عنه وطلّاع عليك مع الخطوب

وهذا ابتداء يدل على أن قبله غيره وقوله فى أخيه عبد الله وقد وهب له ثلث ماله ولاخته الثلث فصار مساويا لهما

ولكن عبد الله لما حوى الغنى وصار له من بين اخوته مال

رأى خلّة منهم تسد بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال

وهذا أيضا ابتداء يدل على أن قبله غيره

وكان ابراهيم وأخوه من صنائع ذى الرياستين ، اتصلا به فرفع منهما ، وتنقل ابراهيم فى الأعمال الجليلة والدواوين الى ان مات وهو يتقلد ديوان الضِّياع والنفقات بسر من رأى سنة ٢٤٣ للنصف من شعبان

قال دِعْبِل لو تكسب ابراهيم بن العباس بالشعر لتركنا فى غير شىء ثم أنشد له وكان يستحسنه

ان امرأ ضَنَّ بمعروفه عنى لمبذول له عذرى

ما أنا بالراغب فى عُرْفه ان كان لا يرغب فى شكرى

وكان ابراهيم صديقا لمحمد بن عبد الملك الزيات ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شَحْناء عظيمة لم يمكن تلافيها فكان ابراهيم يهجوه فمن ذلك قوله

أبا جعفر خَفْ خَفضه بعد رفعة وقصر قليلا عن مدى غُلَوائكا

لئن كان هذا اليوم يوما حويته فان رجائى في غـــد كرجائكا

وله فيه أيضا

دعوتك فى بلوى ألمت صُروفهـا فأوقدت من ضِغْن علىّ سعيرها

فانى اذا أدعوك عند ملمـــة كداعية عند القبور نصيرها

وقال فيه لما مات

لما أتاني خبر الزيات وأنه قد صار في الأموات

أيقنت ان موته حياتي

ولما انحرف محمد بن عبد الملك عن ابراهيم تحاماه الناس أن يلقوه ، وكان الحرث بن بسخنُّر صديقا له مصافيا فهجره فيمن هجره من اخوانه فكتب اليه

تغير لى فيمن تغير حارث وكم من أخ قد غيرته الحوادث

أحارث ان شوركتُ فيك فطالما غَنِينا وما بيني وبينك ثالث

ومن جيد قوله وفيه غناء

خلّ النفاق لأهله وعليك فالتمس الطريقا

واذهب بنفسك أن تُرَى الا عدوا أو صديقا

ومن قوله في قَيْنة كانت تأخرت فشغل بها قلبه ثم وافت فسرى عنه وطابت نفسه

ألم تر يومنا اذ نأت فلم تأت من بين أترابها

وقد غمرتنا دواعى السرور بإشعالها وبإلهابها

ومدت علينا سماء النعيم وكل المنى تحت أطنابها

ونحن فتور الى أن بدت وبدر الدجى بين أثوابها

فلما نأت كيف كنا لها ولما دنت كيف صرنا بها

فلما قرئت عليها الأبيات تجنت وقالت ما القصة كما وصفت ، وقد كنتم في قَصْفكم مع من حضر وانما تجملتم لما حضرت ، فأنشأ يقول

يامن حنيني اليه ومن فؤادي لديه

ومن اذا غاب من بينهم أسفت عليه

اذا حضرت فما منهمُ مَن أصبو اليه

من غاب غيرك منهم فأمره في يديه

فرضيت عنه

أنشد الأخفش لابراهيم بن العباس وكان يفضلها ويستجيدها

أميل مع الذمام على ابن أمي　　وآخذ للصديق من الشقيق

وان ألفيتني حرا مطاعا　　فانك واجدي عبدالصديق

أفرق بين معروفي وبيني　　وأجمع بين مالي والحقوق

اجتاز محمد بن علي برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولي ديار مُضَر فلم يتلقه، ونزل الرّقة فلم يصل اليه ولم يبَرّه، وخرج عنها فلم يشيعه، فلامه اخوانه وقالوا يشكوك الى ابراهيم بن العباس، فكتب الى ابراهيم يعتذر فكتب ابراهيم على ظهر كتابه

أبدا معتذر لا يعذر　　وركوب للتي لا تُغْفَر

ومُلَقّىً بمساو كلها　　منه تبدو واليه تصدر

هي من كل الورى منكرة　　وهي منه وحده لا تنكر

كان ابراهيم يهوى جارية لبعض المغنين بسر من رأى يقال لها سامر وشهر بها، فكان منزله لا يخلو منها، ثم دعيت في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه أياما، ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاتها وقالت له أهديت صاحبتي اليك عوضا عن مغيبي عنك فأنشأ يقول

أقبلن يحففْنَ مثل الشمس طالعة　　قد حسن الله أولاها وأخراهـا

ما كنت فيهن الا كنت واسطة　　وكنّ دونك يمناها ويسراهـا

خرج ابراهيم ودعبل وأخوه رزين في نظرائهم من أهل الأدب رجالة الى بعض البساتين في خلافة المأمون، فلقيهم قوم من أهل السواد من أصحاب الشوك، فأعطوْهم شيئا وركبوا تلك الحمير، فأنشأ ابراهيم يقول

أُعيضت بعد حمل الشوْ　　ك أحمالا من الحُرَف

نَشاوَى لا من الصهبا ء بل من شـدة الضعف

فقال رَزين

فلو كنتم على ذاك تؤولون الى قَصْف
تساوت حالـكم فيه ولم تبقَوْا على خَسْف

فقال دعبل

واذ فات الذى فات فكونوا من بنى الظَّرف
ومروا نقصف اليـوم فانى بائـــع خفى

فانصرفوا معه فباع خفه وأنفقه عليهم

كان لابراهيم ابن يفَع وترعرع ، وكان معجبا به فاعتل علة لم تطـل ومات فرثاه بمراثٍ كثيرة وجزع عليه جزعا شديدفمما رثاه به قوله

كنت السواد لمقلتى فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

ومن قوله

وما زلت مـذ لَدُ أُعطيته أدافع عنه حِمام الأجـل
أعوذه دائبا بالقرُان وأرمى بطرفى الى حيث حل
فأضحت يدى قصدها واحد الى حيث حل فلم يرتحل

لما عزل ابراهيم عن الأهواز في أيام ابن الزيات اعتُقل بها وأوذى وكان محمد قبل الوزارة صديقه وكان يؤمل منه أن يسامحه ويطلقه فكتب اليه

فلو إذْ نبا دهر وأنكر صاحب وسُلِّط أعـــداء وغاب نصير
تكون عن الأهواز دارى بنَجْوة ولـكن مقادير جرت وأمور
وانى لأرجو بعد هـذا محمدا لأفضل ما يرجى أخ ووزير

فأقام محمد على قصده وتكشفه والاساءه اليه حتى بلغ منه كل مكروه وانفرجت

الحال بينهما على ذلك وهجاه ابراهيم هجاء كثيرا

ومما قاله فى المتوكل وغني فيه

ما واحد من واحد أولى بفضل أومُرُوَّة

ممن أبوه وجده بين الخلافة والنبوة

كتب ابراهيم شفاعة لرجل الى بعض اخوانه « فلان ممن يزكو شكره ، ويحسن ذكره ، ويَغنِي أمره والصنعة عنده واقعة موقعها ، وسالكة طريقها

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجا اصابة شكر لم يضع معه أجر

وكان عبد الله بن يحيى يقول للمتوكل - يا أمير المؤمنين ان ابراهيم بن العباس فضيلة خبأها الله لك وذخيرة ذخرها لدولتك

قال أبو وائلة قلت لابراهيم بن العباس قد أخملت نفسك ورضيت أن تكون تابعا أبدا لاقتصارك على القَصْف واللعب ، فأنشأ يقول

انما المرء صورة حيث حلت تناهت

أنامذ كنت فى التصـرف لى حال ساعتى

دخل الصولي على الرضا لما عقد له المأمون وولاه على العهد فأنشده قوله

أزالت عزاء القلب بعد التجلد مصارعُ أولاد النبى محمد

فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التى ضربت باسمه ، فلم تزل عند ابراهيم وجعل منها مهور نسائه وخلف بعضها لكفنه وجهازه الى قبره

كان اسحق بن ابراهيم صديقا لابراهيم فأنسخه شعره فى مدح الرضا ، ثم ولى ابراهيم فى أيام المتوكل ديوان الضياع فعزله عن ضياع كانت بيده بحُلْوان وطالبه بمال وجب عليه وتباعد ما بينهما ، فقال اسحق لبعض من يثق به قل لابراهيم بن العباس والله لئن لم يكفُف عما يفعله بى لأخرجن قصيدته فى الرضا بخطه الى المتوكل ، فأحجم عنه ابراهيم وتلافاه ووجه من ارتجع القصيدة منه وجعله

على ثقة من أنه لا يظهرها ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به

قال ابراهيم بن المدبر راكبت ابراهيم بن العباس فلقينا رجل كان ابراهيم يستثقله ، فسلم عليه ، فلما مضى قال يا أبا اسحق انه جَرْمى ، فقلت ما كان عندى الا أنه من أهل السواد ، فضحك وقال انما أردت قول الشاعر

تسائل عن أخى جَرْم ثقيـل والذى خلقه

دعا الحسن بن وهب ابراهيم فقال له اركب وأجيئك عشيا فلا تنتظرنى الغداة ، فأبطأ عليه وأسرع الحسن فى شربه فسكر ونام وجاء ابراهيم فرآه على تلك الحال فدعا بدواة وكتب

رحنا اليك وقد راحت بك الراح وأسرعت فيك أوتار وأقداح

ونظر الى الحسن وهو مخمور فقال له

عيناك قد حكتا مبيـتك كيف كنت وكيف كانا

ولرب عـين قد أرتـك مبيت صاحبها عيانا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتا وطالبه بمثلها فكتب اليه بأربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتا وأبيات ابراهيم

أبا على خـير قولك ما حصلت أنجمه ومختصره

ماعندنا فى البيع من غَبَن للمستقـل بواحـد عشرة

أنا أهل ذلك غير محتشم أرضى القديم وأقتفى أثره

ها نحن وفيناك أربعـة والأربعون لديك منتظرة

قال وقد لبس سواده يوما ياغلام هات ذلك السيف الذى ما ضر الله به أحدا قط غيرى ، وسأل يوما عن ابن أخيه طاس « وهو أحمد بن عبد العزيز بن العباس » فقيل له هو مشغول بطبيب ومنجم عنده ، وكان يستثقله ، فقال قل له ياغلام والله مالك فى الناس طبع ولا فى السماء نجم فمالك تكلف كل هـذا

التكلف ؟ وأمر أن يجمع كل أعور يمر فى الطريق فجمعوهم ووقفوهم ، وخرج معه طماس ، فلما رأى العور مجتمعين قال لطماس كلهم مثلك فاترك هذا الصَّلَف فانه داعية الى التلف ، وقال له الحسن بن وهب تعال حتى نعد البغضاء ، قال ابدأ بى أولا من أجل ابن أخى طماس ثم ثن بمن شئت

قال جعفر بن محمود ركبت بين يدى ابراهيم بن العباس فأمر الحسن بن مخلد بأمر ، فاستبطأه فيه فنظر اليه فقال

معجب عند نفسه وهو لي غير معجب
ان أقل لا يقل نعم عاتب غير مُعتِب
مُولَع بالخلاف لى عامدا والتجنب
قلت فيه بضد ما قيل في أم جُندَب

يريد قول امرئ القيس « خليليّ مرابى على أم جندب » أى فأنا لا أريد أن أمر بك

قال القاسم بن اسمعيل انصرف ابراهيم يوما من دار المتوكل فقال لنا أنا والله مسرور بشيء مغموم منه ، فقلنا له وماذاك أعزك الله ؟ قال كان أحمد بن المدبر رفع الى أمير المؤمنين ان بعض عمالى اقتطع مالا ، وصدق فى الذى قاله ، وكنت قد رأيت هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه فدعوت له وضحك الى فقال لي ان أحمد قد رفع الي فى عاملك كذا وكذا فاصدُقنى عنه ، فضاقت على الحجة وخفت أن أحق قوله ان اعترفت ثم لا أرجع منه الى شيء فيعود عليّ الغُرم ، فعدلت عن الحجة الى الحيلة فقلت أتاني هذا يا أمير المؤمنين كما قلت فيك

رد قولى وصدق الأقوالا وأطاع الوشاة والعذالا
أتراه يكون شهر صدود وعلى وجهه رأيت الهلالا ؟

قال لا يكون والله ذلك ، بحياتى يا ابراهيم ردّ هذا الشعر بنانا حتي يغنيني

فيه ، فقلت نعم ياسيدى على ألاّ يطالب صاحبي بقول أحمد ، فقال للوزير تقبل قول صاحبه فى المال ، فسررت بالظَفَر واغتممت لبطلان مثل هذا المال وذهابه بمثل هذه الحيلة ، ولعله قد جمع في زمن طويل وتعب شديد

كتب الي ابن الزيات يستعطفه ، كتبت اليك وقد بلغت المدية المَحزّة ، وعدت الأيام بك علىّ بعد عدْوِى بك عليها ، وكان أسوأ ظنى وأكثر خوفى أن تسكن فى وقت حركتها وتكُفّ عند أذاها فصرت على أضر منها ، وكف الصديق عن نصرتى خوفا منك وبادر العدو تقربا اليك ، وكتب تحت ذلك

أخ بينى وبين الدهـــر صاحب أيّنا غلبا
صديقى ما استقام فان نبـا دهر على نبـا
وثبت على الزمان به فعـاد به وقد وثبـا
ولو عاد الزمان لنـا لعـاد به أخا حَدِبا

وكتب اليه — أما والله لو أمنت ودك لقلت ولـكني اخاف منـك عتبا لا تُنصفنى فيه وأخشى من نفسى لائمة لا تحتملها لى وما قدر فهو كائن ، وعن كل حادثة أحدوثة ، وما استبدلت بحالة كنت فيها مغتبطا حالة أنا فى مكروهها وألمها أشد على من أنى فزعت الى ناصرى عند ظلم لحقنى فوجدت من يظلمنى أخف نية فى ظلمى منه ، وأحمد الله كثيرا ، ثم كتب فى أسفلها

وكنت أخى باخاء الزمـان فلما نبـا صرت حربا عَوانا
وكنت أذم اليـك الزمان فأصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت أعـدك للنائبـات فأصبحت أطلب منك الأمانا

وكان محمد أغرى الواثق بابراهيم وكان ابراهيم يعاتبه على ذلك ويداريه ، ثم وقف الواثق على تحامله عليه فرفع يده عنه وأمر أن يقبل منـه ما رفعه ورده الى الحضرة مصونا ، فلما أحس ابراهيم بذلك بسط لسانه فى محمد وحسن ما بينه و بين

ابن أبي دواد وهجا محمدا هجاء كثيرا منه قوله

قدرت فلم تضرُرْ عدوا بقدرة وسُمْتَ بها اخوانك الذل والرَّغْما

وكنت مليا بالتى قد يعافُها من الناس من يأبى الدنية والذما

قال ابراهيم بن العباس لأبى تمام وقد أنشده شعرا له فى المعتصم ياأبا تمام أمراء الكلام رعية لاحسانك، فقال له أبو تمام ذلك لانى أستضىء بك وأَرِدُ شريعتك

ومن قوله يمدح الفضل بن سهل

لفضل بن سهل يد تقاصَر عنها الأمل

فباطنها للندى وظاهرها للقُبَل

وبسطتها للغنى وسطوتها للأجل

كان ثعلب يقول ابراهيم بن العباس أشعر المحدثين، وما روى شعر كاتب قط غيره، وكان يستحسن كثيرا قوله

لنا ابل كُومٌ يضيق بها الفضا ويفتر عنها أرضها وسماؤها

فمن دونها أن تستباح دماؤنا ومن دوننا أن تستباح دماؤها

حِمِىً وقِرًى فالموت دون مرامها وأيسر خطب يوم حق فناؤها

لما بنى المأمون ببوران أنشد ابن العباس الحسن بن سهل

لِيَهْنِكَ أصهار ذَلَلْتَ بعزها خدودا وجدعت الأنوف الرواغما

جمعت بها الشملين من آل هاشم وحزت بها للأكرمين الاكارما

بنوك غداً آل النبي ووارثو الـ خلافة والحاوون كسرى وهاشما

فقال له الحسن «شنشنة أعرفها من أخزم» أي أنك لم تزل تمدحنا، ثم قال له أحسن الله عنا جزاءك ياأبا اسحق فما الكثير من فعلنا بك بجزاء لليسير من حقك.

وقال في جارية كان يهواها فغضبت عليه

وعلمتني كيف الهوى وجهلته وعلمكم صبرى على ظلمكم ظلمى

وأعلم مالى عندكم فيردنى هواى الى جهل فأقصر عن علمى

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لا يعلم لقديم ولا لمحدث فى قصر الليل أحسن من قول ابراهيم بن العباس

وليلة من الليالي الزُّهْر قابلت فيها بدرها ببدر

لم تك غير شفق وفجر حتى تولت وهى بكر الدهر

كان ابراهيم يوما عند أحمد بن أبى دُؤاد، فلما خرج من عنده لقيه ابن الزيات وهو خارج من داره فتبين ابراهيم فى وجهه الغضب فلم يخاطبه بشىء، فلما انصرف الى منزله كتب اليه

دعني أواصل من قطعت يراك بى اذ لا يرا كا

انى متى أهجر لهجرك لا أضُرُّ به سواكا

واذا قطعتك فى أخيك قطعت فيه غدا أخاكا

حتى أرى متقسما يومى لذا وغدى لذاكا

ومن قوله

اذا ما الفكر ولد حسن لفظ وأسلمه الوجود الى العيان

ووشاه فنمنمه مُسَدٍّ فصيح فى المقال بلا لسان

ترى حلل البيان منشرات تجلى بينها صور المعانى

لما عزم المأمون على الفتك بالفضل بن سهل وندب له عبد العزيز بن عمران الطائى ومؤنسا البصرى وخلفا البصرى وعلى بن أبى سعد ذا القلمين نمى الخبر الى الفضل فأظهره للمأمون وعاتبه عليه، فلما قتل الفضل وقتل المأمون قتلته سأل من أين سقط الخبر الى الفضل ؟ فعرف أنه من جهة ابراهيم بن العباس، فطلبه، فاستتر، وكان ابراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران وكان الفضل استكتب ابراهيم لعبد العزيز بن عمران فأخبر به الفضل، وتحمل ابراهيم

بالناس على المأمون وجرد فى أمره هشاما الخطيب المعروف بالعباسى وكان جريئا على المأمون لأنه رباه وشخص اليه فى خراسان فى فتنة ابراهيم بن المهدى ، فلم يجبه المأمون الى ماسأل ، فلقيه ابراهيم مستترا وسأله عما عمل فى حاجته ، فقال له هشام قد وعدنى في أمرك بما تحب ، فقال له ابراهيم أظن ان الأمر على غير هذا ، قال وما تظن ؟ قال محلك عند أمير المؤمنين أجل من أن يعدك شيئا فترضى بتأخيره وهو أكرم من أن يعد مثلك شيئا فيؤخره ولكنك سمعت مالا تحب فى فكرهت أن تغمني فقلت لي هذا القول وأحسن الله على كل الأحوال جزاءك ، فمضى هشام الى المأمون فعرفه خبر ابراهيم ، فعجب من فطنته وعفاعنه

وفى هشام يقول ابراهيم

من كانت الأموال ذخراله　　فان ذخرى أملى فى هشام
فتى يقِى الملامة عن عرضه　　وأنهب المال قضاء الذمام

وأنشد بين يدى الفضل بن سهل

يُمضِى الامور على بديهته　　وتُريه فكرته عواقبها
فيظَلّ يُصدرها ويُوردها　　فيعم حاضرها وغائبها
واذا ألمَّت صعبة عظمت　　فيها الرزية كان صاحبها
المستقل بها وقد رسَبَت　　ولوت على الأيام جانبها
وعدلتها بالحق فاعتدلت　　ووسِعتَ راغبها وراهبها
واذا الحروب غلت بعثت لها　　رأيا تفُلّ به كتائبها
رأيا اذا نبت السيوف مضى　　عزم به فشفى مضاربها
أجرى الى فئة بدولتها　　وأقام فى أخرى نوادبها
واذا الخطوب تأثلت ورست　　هدَّت فواصله نوائبها
واذا جرت بضميره يده　　أبدت به الدنيا مناقبها

ومن قوله فيه

فلو كان للشكر شخص يبين … اذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه … فتعلم أنى امرؤ شاكر

لما عقد المتوكل لولاة العهود من أولاده ركب بسر من رأى ركبة لم ير أحسن منها وركب ولاة العهود بين يديه والأتراك بين أيديهم ، أولادهم يمشون بين يدى المتوكل بمناطق الذهب فى أيديهم الطَّبَرْزينات المحلاة بالذهب، ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه فى الجوانحيات وسائر السفن ، وجاء حتى نزل في القصر الذى يقال له العروس وأذن للناس فدخلوا اليه ، فلما تكاملوا بين يديه مَثَل ابراهيم بن العباس بين الصفين فاستأذن فى الانشاد ، فأذن له ، فقال

ولما بدا جعفر فى الخميس … بين المطل وبين العروس
بدا لابسا بهما حلة … أزيلت بها طالعات النحوس
ولما بدا بين أحبابه … ولاة العهود وعز النفوس
غدا قمرا بين أقماره … وشمسا مكَلَّلة بالشموس
لايقاد نار واطفائها … ويوم أنيق ويوم عبوس

ثم أقبل على ولاة العهود فقال

أضحت عُرَا الاسلام وهى منوطة … بالنصر والاعزاز والتأييد
بخليفة من هاشم وثلاثة … كَنَفوا الخلافة من ولاة عهود
قمر توافت حوله أقماره … فحففْنَ مطلع سعده بسعود
رفعتهم الأيام وارتفعوا به … فسَعَوْا بأكرم أنفس وجدود

فأمر له المتوكل بمائة الف درهم وأمر له ولاة العهود بمثلها

ومن قوله

أسد ضار اذا هيجته … وأب بَرٌّ اذا ما قدرا

يعرف الأبعدان أثرى ولا　　يعرف الأدنى اذا ما افتقرا

وله

تلج السنون بيوتهم وترى لهم　　عن جار بيتهم ازورار مناكب

وتراهمُ بسيوفهم وشفارهم　　مستشرفين لراغب ولراهب

حامين أو قارين حيث لقيتهم　　نهب العداة ونهزة للراغب

ومن قوله يهنئ الحسن بن سهل بصهر المأمون

هنتك أكرومة جلت نعمتها　　أعلت وليك واجتثت أعاديكا

ما كان يحيا بها الا الامام وما　　كانت اذا قرنت بالحق تعدوكا

ومن قوله يمدح المعتز وفيه غناء

سحور محاجر الحدقة　　مليح والذى خلقه

سواء فى رعايته　　مجانبه ومن عشقه

لعينى فى محاسنه　　رياض محاسن أنقه

فأحيانا انزهها　　وطورا فى دم غرقه

يقول فيها في مدحه

فيا قمرا أضاء لنا　　يلألئ نوره أفقه

يشبهه سنا المعتز　　ذو مقة اذا رمقه

أمير قلد الرحمن أمر عباده عنقه

وفضله وطيبه　　وطهر فى الورى خلقه

وقال لأحمد بن المدبر وقد جاءه بعد خلاصه من النكبة مهنئا وكان استعان به فى أمر نكبته فقعد عنه وبلغه أنه كان يحرض عليه ابن الزيات

وكنت أخى بالدهر حتى اذا نبا　　نبوت فلما عاد عدت مع الدهر

فلا يوم اقبال عددتك طائلا　　ولا يوم ادبار عددتك في وتر

وما كنت الا مثل أحلام نائم　　كلا حالتيك من وفاء ومن غدر

وقال فيه وقد عاتبه أحمد على شيء بلغه عنه

هب الزمان رمانى　　الشأن فى الخـلان
يا من رمانى لما　　رأى الزمان رمانى
ومن ذخرت لنفسى　　فصار ذخر الزمان
لو قيل لى خذ أمانا　　من أعظم الحَدَثان
لما أخـذت أمانا　　الا من الاخـوان

أودع ابن الزيات مالا عظيما وجوهرا نفيسا وقد رأى تغيرا من الواثق نخافه وفرق ذلك فى ثقاته من أهل الكَرْخ ومعامليه من التجار ، وكان ابراهيم يعاديه ويرصد له بالمكاره لاساءته اليه ، فقال أبياتا وأشاعها حتى بلغت الواثق يغريه به

نصيحة شابها وزير　　مستحفظ سارق مغـير
ودائـع جمّة عظـام　　قد أسبلت دونها الستور
تسعة آلاف ألف ألف　　خلالها جوهر خطـير
بجانب الكَرْخ عند قوم　　أنت بما عندهم خبـير
والملك اليوم فى أمور　　تحدث من بعدها أمور
قـد شغلتـه محقرات　　وصاحب الكارة الوزير

كتب رسالة عن المعتصم الى بعض أصحاب الأطراف فقال فى فصل منه « وان عند أمير المؤمنين فى أمرك »

أناة فان لم تُغن عقب بعدها　　وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه

فلما تأمله رأى أنه شعر وأنه بيت نادر فأخرجه فى شعره

أبو عثمان سعيد بن حميد

هو أبو عثمان سعيد بن حميد بن سعيد بن حميد من أولاد الدّهاقين وأصله من النّهْروان الأوسط ، وكان هو يقول انه مولى بنى سامة بن لُؤَىّ ولد ببغداد وبها نشأ ثم كان يتنقل فى السكنى بينها وبين سر من رأى

كاتب شاعر مترسل ، حسن الكلام فصيح ، وكان أبوه حميد بن سعيد من وجوه المعتزلة فخالف أحمد بن أبى دُؤَاد فى بعض مذهبه فأغرى به المعتصم وقال انه شعوبى زنديق ، فحبسه مدة طويلة ، ثم بانت براءته له أو للواثق بعده فخلى سبيله ، وكان شاعرا أيضا فكان يهجو أحمد بن أبى دُؤاد ومن قوله فيه

لقد أصبحت تنسب في إياد ... بأن يكنى أبوك أبو دُؤاد
فلو كان اسمه عمرو بن معدى ... دعيت الى زَبِيد أو مُراد
لئن أفسدت بالتخويف عيشى ... لما أصلحت أصلك في اياد
وان تك قد أصبت طريف مال ... فبخلك باليسير من التّلاد

كتبت فضل الشاعرة الى سعيد بن حميد أيام كانت بينهما محبة وتواصل

وعيشك لو صرحت باسمك فى الهوى ... لأقصرت عن أشياء فى الهزل والجد
ولكنني أبدى لهذا مودتى ... وذاك وأخلو فيك بالبث والوجد
مخافة أن يُغْرَى بنا قول كاشح ... عدو فيسعى بالوصال الى الصد

فكتب اليها سعيد

تنامين عن ليلى وأسهره وحدى ... وأَنْهَى جفونى أن تَبُثَّك ماعندى
فان كنت ما تدرين ما قد فعلته ... بنا فانظرى ماذا على قاتل العمد

ومن قوله فى هوى له

عرّضت بالحب له وعرضا ... حتى طوَى قلبى على جمر الغضى

وأظهرت نفسي عن الدهر الرضا ثم جفاني وتولى معْرضا
لم يَنْقَضِ الحب على صبري انقضا فذاك من ذاق الكرَى أو غمضا
حتى طرقت فنسِيت ما مضى سألته حويجة فأعرضا
وقال لا قولَ مجيب مرحبا فكان ما كان وكابرنا القضا

كتب رقعة الى فضل الشاعرة يعتذر اليها من تغير ظنته به وقد أضرها

تظنون أني قد تبدلت بعدكم بديلا وبعض الظن اثم ومنكر
اذا كان قلبي في يديك رهينة فكيف بلا قلب أصافي وأهجر

وقال فيها وقد زارته على غير موعد فوثب وسلم عليها وسألها أن تقيم عنده فقالت قد جاءني وحياتك رسول من القصر فليس يمكنني الجلوس وكرهت أن أمر ببابك ولا أراك فقال من وقته على البديهة

فأصبحت كالشمس المنيرة ضوءها قريب ولكن أين منا منالها
فظاعنة ضَنّت بها غربة النوى علينا ولكن قد يُلِمّ خيالها
تقربها الآمال ثم تعوقها مماطلة الدنيا بها واعتلالها
ولكنها أمنيّة فلعلها يجود بها صرف النوى وانتقالها

وكتب اليها بعد تغاضب

تعالَيْ نجدد عهد الرضا ونصفح في الحب عما مضى
ونَجْرِي على سنة العاشقين ونضمن عني وعنك الرضا
ويبذل هذا لهذا هواه ويصبر في حبه للقضا
ونخضع ذلا خضوع العبيد لمولى عزيز اذا أعرضا
فاني مذلج هذا العتاب كأنيَ أبطنت جمر الغضا

كان سعيد صديقا لأبي العباس بن ثوابة فدعاه يوما وجاء رسول فضل يسأله المصير اليها فمضى معه وتأخر عن أبي العباس فكتب اليه رقعة يعاتبه فيها

معاتبة فيها بعض الغلظة فكتب اليه سعيد

أقلل عتابك فالبقاء قليل والدهر يعدل تارة ويميل
لم أبك من زمن ذممت صروفه الا بكيت عليه حين يزول
ولكل نائبة ألمت مدة ولكل حال أقبلت تحويل
والمنتمون الى الاخاء جماعة ان حُصّلوا أفناهم التحصيل
ولعل أحداث الليالي والردى يوما ستصدع بيننا وتحول
فلئن سبقت لتبكين بحسرة وليكثرن على منك عويل
ولتفجعن بمخلص لك وامق حبل الوفاء بحبله موصول

وذكر اليوسفى الكاتب أنه حضر سعيدا فى منزل بعض اخوانه وعندهم هذه المغنية وكان سعيد يتعشقها ويهيم بها فغضبت عليه يوما لبعض الكلام على النبيذ ودخلت بعد ذلك وهو فى القوم فسلمت عليهم سواه ، فقالوا لها أتهجرين أبا عثمان ، فقال أحب أن تسألوه ألا يكلمني ، فقال

اليوم أيقنت أن الهجر متلفة وأن صاحبه منه على خطر
كرب الحياة لمن أمسى على شرف من المنية بين الخوف والحذر
يلوم عينيه أحيانا بذنبهما ويحمل الذنب أحيانا على القدر
تنأون عنه وينأى قلبه معكم فقلبه أبدا منه على سفر

فوثبت اليه وقبلت رأسه وقالت لا أهجرك والله أبدا ما حييت

غضبت فضل على سعيد فكتب اليها

يأيها الظالم مالى ولك ؟ أهكذا تهجر من واصلك ؟
لا تصرف الرحمة عن أهلها قد يعطف المولى على من ملك
ظلمت نفسا فيك علقتها فدار بالظلم عليّ الفلك
تبارك الله فما أعلم الا به ما ألقى وما أغفلك

كتب الي فضل وقد أرسلت اليه برقعة تشكو فيه شدة شوقها

يا واصف الشوق عندي من شواهده قلب يَهيم وعين دمها يكف

والنفس شاهدة بالود عارفة وأنفس الناس بالأهواء تأتلف

فكن على ثقة منى وبينة انى على ثقة من كل ما تصف

ومن قوله وقد قطعته فضل

قالوا تعزّ وقد بانوا فقلت لهم بان العزاء على آثار من بانا

وكيف يملك سلوانا لحبهمُ من لم يطق للهوي سرا وكتمانا؟

كانت عزائم صبرى أستعين بها صارت على بحمد الله أعوانا

لاخير فى الحب لاتبدو شواكله ولا ترى منه فى العينين عنوانا

بلغ أبا هفان عن سعيد كلام فيه جفاء وطعن على شعره فتوعده بالهجاء وكان الحاكى عن ذلك كاذبا فكتب الى أبى هفان

أمسى يخوفني العبْدِىّ صولته وكيف آمن بأس الضَّيْغَم المَصِر

من ليس يُحرزنى عن سيفه أجلى وليس يمنعني من كيده حذرى

ولا أبارزه بالأمر يكرهه ولو أعنتُ بأنصار من الغير

له سهام بلا ريش ولا عقب وقوسه أبدا عُطْل من الوتر

وكيف آمن من تجرى له غرض وسهمه صائب يخفى عن البصر

كتبت اليه فضل رقعة فيها

الصبر ينقص والسقام يزيد والدار دانية وأنت بعيد

أشكوك أم أشكو اليك فانه لا يستطيع سواهما المجهود

أنا يا أبا عثمان فى حالة التلف ولم تَعُدْنى ولا سألت عن خبرى ، فمضى اليها فسأل عن خبرها فقالت هو ذا أموت وتستريح منى فأنشأ يقول

لامتِّ قبلى بل أحيا وأنت معا ولا أعيش الى يوم تموتينا

لكن نعيش بما نهوى ونأمله ... ويُرْغم الله فينا أنف واشينا
حتى اذا قدر الرحمن ميتتنا ... وحان من أمرنا ماليس يعدونا
متنا جميعا كغصنَىْ بانة ذَبَلا ... من بعد ما نَضَرا واستوسقاحينا
ثم السلام علينا فى مضاجعنا ... حتى نعود الى ميزان منشينا

بلغ فضل أن سعيدا عشق جارية من جوارى القِيان فكتبت اليه

يا عالى السن سيئ الأدب ... شبت وأنت الغلام فى الطرب
ويحك ان القِيان كالشَّرَك الـ ... منصوب بين الغرور والعطَب
لا تصدَّين للفقير ولا ... يطلبن الا معادن الذهب
بينا تشكو هواك اذ عدلت ... عن زفرات الشكوى الى الطلب
تلحظ هذا وذا وذاك وذى ... لحظ محب وفعل مكتسب

كان أحمد بن سليمان بن وهب فى مجلس فيه سعيد بن حميد فلما سكر وقام سعيد قَوْمة بعد العصر فلم نشعر الا وأخذ ثيابه فلبسها وأخذ بعضادتى الباب وأنشأ يقول

سلام عليكم حالت الراح بيننا ... وألوت بنا عن كل مَرْأى ومسمعَ
ولم يبق الا أن يميل بنا الكَرَى ... ويجمع نوم بين جنب ومَضْجَعَ

فقام له أهل المجلس وقالوا ياسيدنا اذهب فى حفظ الله وستره ، فانصرف وودعهم

كان أبو على المادرأئى فى مجلس فيه كعب جارية أبى عُكْل المُقَيِّن وكان بعض أهل المجلس يهواها ، فدخل سعيد بن حميد فقام اليه أهل المجلس جميعا سوى الجارية والفتى ، فأخذ سعيد الدواة فكتب رقعة وألقاها في حجرها فاذا فيها قوله

ما على أحسن خلق الله ان يحسن فعلَهُ

بأبى أنت وأمى من مليك قل عدله
وبخيل بالهوى لو كان يسلى عنه بخله
أكثر العاذل فى حبك لو ينفع عذله
فهو مشغول بعذلى وفؤادى بك شغله
أكثر الشكوى وأستعدى على من قل بذله

فوثبت اليه الجارية فقبلت رأسه وجلست الى جنبه فقال الرجل الذى يهواها هذا والله كلام الشياطين أما أنا فانى أشهدكم لا قرأت اليوم فى صلاتى غير هذه الأبيات لعلها تنفعنى ، فضحك سعيد وقال بحياتى قومى فارجعى اليه حتى تكون الأبيات قد نفعته قبل أن يقرأها فى صلاته وسرينى بذلك ، فقامت فرجعت الى موضعها

ومن قوله فى زيارة جارية كان يهواها فزارته على غير وعد فسر بذلك وقال لها قد كنت على عتابك ، فأما الآن فلا ، فقالت أما العتاب فلا طاقة لي به فقال سعيد فى ذلك

زارك زَوْر على ارتقاب مغتنما غفلة الحجاب
مستترا بالنِّقاب يبدو ضياء خديه فى النقاب
كالشمس تبدو وقد طواها دونك ستر من السحاب
قد كان فى النفس منك عتب يدعو الي شدة اجتناب
فلت بالعتب عن حبيب يضعف عن موقف العتاب
والذنب منه وأنت تخشى في هجره صولة العقاب

بات عند أبى الفضل أحمد بن اسرائيل واصطبحا على غناء حسن كان عندهما فجاءه رسول الحسن بن مخلد وقد أمر ألا يفارقه لأمر مهم ، فقام يلبس ثيابه وأنشأ يقول

يا ليلة بات النحوس بعيدة — عنها على رغم الرقيب الواجد
تدعَ العواذل لا يقمن بحاجة — وتقوم بهجتها بعذر الحاسد
ضن الزمان بها فلما نلتها — ورد الفراق فكان أقبح وارد
والدمع ينطق بالضمير مصدقا — قول المقر مكذبا للجاحد

فضل الشاعرة

مولدة من مولدات البصرة ولدت باليمامة فأدبها مولاها وخرجها وأهديت الى المتوكل ، وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام أديبة فصيحة سريعة البديهة مطبوعة فى قول الشعر ولم يكن فى نساء زمانها أشعر منها . ولما دخلت على المتوكل يوم أهديت اليه قال لها أشاعرة أنت ؟ قالت كذا زعم من باعنى واشترانى ، فضحك وقال أنشدينا شيئا من شعرك ، فأنشدته

استقبل الملك امام الهدى — عام ثلاث وثلاثينا
خلافة أفضت الى جعفر — وهو ابن سبع بعد عشرينا
انا لنرجو يا امام الهدى — أن تملك الناس ثمانينا
لا قدس الله امرأ لم يقل — عند دعائى لك آمينا

ومن قولها

علمَ الجمال تركتنى — فى الحب أشهر من علم
ونصبتنى يا منيتى — غرض المَظِنّةِ والتهم
فارقتنى بعد الدنو — فصرت عندى كالحُلُم
فلو اَنّ نفسى فارقت — جسمى لفقدك لم تُلَم
ما كان ضرك لو وصلـ — ـت نخف عن قلبى الألم
برسالة تُهْدِينَهَا — أو زورة تحت الظلم

أولا فطيفى فى المنا م فلا أقل من اللمم
صلة المحب حبيبه الله يعلمه كرم

قال محمد بن العباس اليزيدى كتب بعض أهلنا الى فضل

أصبحت فردا هائم العقل الى غزال حسن الشكل
أضنى فؤادى طول عهدى به وبعده منى ومن وصلى
منية نفسى فى هوى فضل أن يجمع الله بها شملى
أهواك يافضل هوى خالصا فما لقلبى عنك من شغل

فأجابته

الصبر ينقص والسقام يزيد والدار دانية وأنت بعيد
أشكوك أم أشكو اليك فانه لا يستطيع سواهما المجهود
انى أعوذ بحرمتى بك فى الهوى من أن يطاع لديك فىَّ حسود

وكتبت تعتذر

وما كنت أخشى أن تروا لى زلة ولكن أمر الله ماعنه مذهب
أعوذ بحسن الصفح منكم وقبلنا بصفح وعفو ما تعوذ مذنب

وقالت صبيحة قتل المنتصر أو المعتز وقد سئلت ماذا نزل بكم البارحة

ان الزمان بذحل كان يطلبنا ما كان أغفلنا عنه وأسهانا
مالى وللدهر قد أصبحت همته مالى وللدهر ما للدهر لا كانا

وقالت

سُلافة كالقمر الباهر فى قدح كالكوكب الزاهر
يديرها خِشف كبدر الدجى فوق قضيب أهيف ناضر
على فتى أروعَ من هاشم مثل الحسام المُرْهَف الباتر

ولها وفيه غناء

ان من يملك رقى مالك رقَّ الرقابِ
لم يكن يا أحسن العا لم هذا فى حسابى

خرجت قبيحة الى المتوكل يوم نيروز وبيدها كأس بلور بشراب صاف، فقال لها ما هذا فديتك ؟ قالت هديتى لك فى هذا اليوم عرفك الله بركته، فأخذه من يدها واذا على خدها «جعفر» مكتوب بالمسك، فشرب الكأس وقبل خدها وكانت فضل الشاعرة واقفه على رأسه فقال

وكاتبةٍ بالمسك فى الخد جعفرا بنفسى سواد المسك من حيث أثرا
لئن أثرت بالمسك سطرا بخدها لقد أودعت قلبى من الحزن أسطرا
فيامن لمملوك لملك يمينه مطيع لها فيما أسر وأظهرا
ويامن مناها فى السريرة جعفر سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

كتبت فضل الى سعيد بن حميد

بثثت هواك فى بدنى وروحى فألف فيهما طمعا بياس

فأجابها سعيد فى رقعتها

كفانا الله شر اليأس انى لبغض اليأس أبغض كل آس

وكانت فضل من أحسن الناس وجهاً وخَلقا وخُلُقاً وأرقهم شعراً فكتب اليها بعض من كان يجمعه وإياها مجلس الخليفة ولا نطلعه على حباله

ألا ليت شعرى فيك هل تذكريننى فذكراك فى الدنيا الىَّ حبيب
وهل لى نصيب من فؤادك ثابت كما لك عندى فى الفؤاد نصيب
ولست بموصول فأحيا بزَورة ولا النفس عند اليأس عنك تطيب

فكتبت إليه

نعم وإلهى اننى بك صبّة فهل أنت يامن لاعدمت مثيب

لمن أنت منه فى الفؤاد مصوَّر　　　وفى العين نُصْب العين حين تغيب

فثق بوداد أنت مظهر مثله　　　على أن بى سقما وأنت طبيب

قالت بنان الشاعرة اتكأ المتوكل على يدى ويد فضل وجعل يمشى بيننا ثم قال أجيزا لى قول الشاعر

تعلمت أسباب الرضا خوف عتبها　　　وعلّمها حبى لها كيف تغضب

فقالت فضل

تصد وأدنو بالمودة جاهداً　　　وتبعُد عنى بالوصال وأقرُب

فقلت أنا

وعندى لها العُتبي على كل حالة　　　فما منه لى بد ولا عنه مذهب

قال أبو يوسف بن الدقاق الضرير صرت أنا وأبو منصور الباخرزى الى منزل فضل الشاعرة فحجبناعنها وانصرفنا وماعلمت بنا ، ثم بلغها مجيئنا وانصرافنا فكرهت ذلك وغمها فكتبت إلينا تعتذر

وما كنت أخشى أن تَرَوْا لى زلة　　　ولكنّ أمر الله ما عنه مذهب

أعوذ بحسن الصفح منكم وقبلنا　　　بصفح وعفو ما تعوذ مذنب

فكتب اليها أبو منصور الباخرزى

لئن أهديت عتباك لى ولاخوتى　　　فمثلك يا فضل الفضائل يُعْتَب

اذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه　　　وكل امرىء لا يقبل العذر مذنب

قال احمد بن أبى طاهر ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة

ومستفتح باب البلاء بنظرة　　　تزود منها قلبه حسرة الدهر

فقالت .

فوالله ما يدرى أتدرى بما جنت　　　على قلبه أو أهلكته وماتدرى

قال على بن الجهم كنت يوماً عند فضل الشاعرة فلحظتها لحظة استرابت بها فقالت

يارُبَّ رام حسن تعرُّضهُ يرمي ولا يشعر أني غرضهُ

فقلت .

أي فتى لحظك ليس يمرضهُ وأى عقد محكَم لا ينقضهُ

فضحكت وقالت خذفى غير هذا الحديث

محبوبة

كانت مولدة من مولدات البصرة شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضل الشاعرة اليمامية تتقدمها ، وكانت محبوبة أجمل من فضل وأعف وكانت أيضا تغني غناء ليس بالفاخر البارع

قال على الجهم كنت يوما عند المتوكل وهو يشرب ونحن بين يديه ، فدفع الى محبوبة تفاحة مغلفة فقبلتها وانصرفت عن حضرته الى الموضع الذى كانت تجلس فيه اذا شرب ، ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة فدفعتها الى المتوكل فقرأها وضحك ضحكا شديداً ثم رمى بها الينا فقرأناها واذا فيها

ياطيب تفاحة خلوت بها تُشْعل نار الهوى على كبدى

أبكى اليها وأشتكى دَنَفى وما ألاقى من شدة الكمد

لو أن تفاحة بكت لبكت من رحمتى هذه التى بيدى

ان كنت لاترحمين ما لقيت نفسى من الجهد فارحمى جسدى

فوالله ما بقى أحد الا استظرفها واستملحها وأمر المتوكل فغنى فى الشعر صوت شرب عليه بقية يومه

قال على بن يحيى المنجم ان جوارى المتوكل تفرقن بعد قتله ، فصار الى وصيف عدة منهن وأخذ محبوبة فيمن أخذ ، فاصطبح يوما وأمر باحضار جوارى المتوكل فأحضرهن وعليهن الثياب الملونة والمذهبة والحلى وقد تزين وتعطرن الا محبوبة

فانها جاءت مَرْهاء [1] متسلبة عليها ثيـاب بيض غير فاخرة حزنا على المتـوكل ، فغنى الجوارى جميعا وشربن ، وطرب وصيف وشرب ، ثم قال لها يامحبوبة غنى ، فأخذت العود وغنت وهى تبكى وتقول

أى عيش يطيب لى ... لا أرى فيه جعفرا

ملكا قد رأته عيـ ... ـني قتيلا معفرا

كل من كان ذا هيا ... م وحزن فقـد برا

غـير محبوبة التى ... لوترى الموت يشترى

لاشترته بملكها ... كل هـذا لتقْبَرا

ان موت الكئيب أصـ ... ـلح من أن يُعَمَّرا

فاشتد ذلك على وصيف وهم بقتلها وكان بُغا حاضرا فاستوهبها منه فوهبها له ، فأعتقها وأمر باخراجها وأن تكون بحيث تختار من البـلاد ، فخرجت من سرمن رأى الى بغداد وأخملت ذكرها طول عمرها

قال على بن الجهم كانت محبوبة أهديت الى المتوكل ، أهداها اليه عبد الله ابن طاهر فى جملة أربعمائة جارية ، وكانت بارعة الحسن والظَّرف والأدب مغنيـة محسنة ، فحظيت عند المتوكل حتى انه كان يجلسها خلف ستارة وراء ظهره اذا جلس للشرب فيدخل رأسه اليها ويحدثها ويراها فى كل ساعة ، فغاضبها يوما وهجرها ومنع جواريه جميعا من كلامها ، ثم نازعته نفسه اليها وأراد ذلك ، ثم منعته العزة منها وامتنعت من ابتدائه إدلالا عليه بمحلها منه ، قال على بن الجهم فبكرت اليه يوما فقال لى ياعلى انى رأيت البارحة محبوبة فى نومى كأنى قد صالحتها ، فقلت أقر الله عينك ياأمير المؤمنين وأنامك على خير وأيقظك على سرور وأرجو أن يكون هذا الصلح في اليقظة ، فبينا هو يحدثني وأجيبه اذا بوصيفة قدجاءت فأسرت اليه شيئا ،

(١) المرهاء التى لا تكتحل ومتسلبة لابسة ثوب الحداد

فقال لى أتدرى ما أسرت الى ؟ قلت لا، قال حدثتنى أنها اجتازت بمحبوبة الساعة وهى فى حجرتها تغنى ، أفلا تعجب الى هـذا ؟ انى مغاضبها وهي متهاونة بذلك لا تبدؤنى بصلح ثم لا ترضى حتى تغنى فى حجرتها ، قم بنا يا على حتى نسمع ما تغني ، ثم قام وتبعته حتى انتهى الى حجرتها فاذا هى تغني وتقول

أدور في القصر لا أرى أحدا	أشكو اليه ولا يكلمني
حتى كأنى ركبت معصية	ليست لها توبة تخلصنى
فهل لنا شافع الى ملك	قد زارنى فى الكرى فصالحني
حتى اذا ما الصباح لاح لنا	عاد الى هجره فصارمني

فطرب المتوكل وأحست بمكانه ، فأمرت خدمها فخرجوا اليه ، وتنحينا ، وخرجت اليه فحدثته أنها رأته فى منامها وقد صالحها فانتبهت وقالت هذه الأبيات وغنت فيها ، فحدثها هو أيضا برؤياه ، واصطلحا وبعث الى كل واحد منا بجائزة وخلعة ، ولما قتل تسلى عنه جميع جواريه غيرها فانها لم تزل حزينة متسلبة هاجرة لكل لذة حتى ماتت ، ولها فيه مراث كثيرة

محمد بن أمية

كاتب شاعر ظريف كان ينادم ابراهيم بن المهدى وربما عاشر على بن هشام الا أن انقطاعه كان الى ابراهيم وربما كتب بين يديه وكان حسن الخط والبيان. ومن شعره وفيه غناء

رب وعد منك لا أنساه لى	أوجب الشكر وان لم تفعلى
أقطع الدهر بظن حسن	وأُجَلِّى غمرة ما تنجلى
كلما أملت يوما صالحا	عرض المكروه لى فى أملى
وأرى الأيام لا تُدنى الذى	أرتجى منك وتدنى أجلى

وقال وقد حال المطر بينه وبين دعوة من بعض اخوانه

تمادى القطر وانقطع السبيل من الالفين إذ جرت السيول
على أنى ركبت اليك شوقا ووجه الأرض أودية تجول
وكان الشوق يقدمني دليلا وللمشتاق معتزما دليل
فلم أجد السبيل الى حبيب أودعه وقد أفد الرحيل
وأرسلت الرسول فغاب عنى فيا للّه ما فعل الرسول

وقال أيضا

مجلس يُشفَى به الوَطَر عاق عنه الغيم والمطر
رب خذلى منهما فهما رحمة عمت ولى ضرر
ما على مولاى معتبة عذره باد ومستتر
شُغلت عينى بعبرتها واستمالت قلبى الفكر

وقال فى جارية كان يهواها فحجبت عنه

خطرات الهوى بذكر خداع هجن شوقى لا دارساتُ الطلول
حُجبت أن تُرَى فلست أراها وأرى أهلها بكل سبيل
واذا جاءها الرسول رآها ليت عينى مكان عين الرسول
قد أتاكِ الرسول ينعت مابى فاسمعى منه ما يقول وقولى

وقال فيها أيضا

بناحية الميدان درب لوَانّنى أسميه لم أرشُد وان كان مرشدى
أخاف على سكانه قول حاسد يشير اليهم بالجفون وباليد
وصائف أبكار وعين نواطق بألسنة تشفى جوَى الهائم الصَّدى
يقارِبن أهل الود بالقول فى الهوى وما النجم من معروفهن بأبعد
يزدْن أخا الدنيا مجونا وفتنة ويَشغَفن قلب الناسك المتعبد

وليلة وافى النوم طيف سرى به ... الىَّ الهوى منهن بعد تجدد
فقاسمته الأشجان نصفين بيننا ... وأوردته من لوعة الحب موردى
ونلت الذى أملت بعد تمنع ... وعاهدته عهد امرئ متأكد
فلما افترقنا خاس بالعهد بيننا ... وأعرض إعراض العروس من الغد
فواندما ألاّ أكون ارتهنته ... لأخبُرَه فى حفظ عهد وموعد

ومن قوله

أحبك حبا لو يُفَضّ يسيره ... على الخلق مات الخلق من شدة الحب
وأعلم أنى بعد ذاك مقصر ... لأنك فى أعلى المراتب من قلبى

ومنه وفيه غناء

ماتم لى يومُ سرور بمن ... أهواه مذ كنت الى الليل
أغبط ما كنت بما نلته ... منه أتتني الرسل بالويل
لا والذى يعلم كل الذى ... أقول ذى العزة والطَّوْل
مارمت مذ كنت لكم سخطة ... بالغيب فى فعل ولا قول

قال محمد بن يحيى كنت عند ابراهيم بن المهدى بالرقة وقد عزمنا على الشرب فى يوم من حزيران فلما هممنا بذلك هبت الجنوب وتلطخت السماء بغيم وتكدر ذلك اليوم فترك ابراهيم بن المهدى الشرب ولحقه صُداع ، وكان يناله ذلك مع هبوب الجنوب ، فافترقنا ، فقال لى محمد بن أمية ما أحب الى ما كرهتموه من الجنوب فان أنشدتك بيتين مليحين فى معناهما تساعدنى على الشرب اليوم ، قلت نعم ، فأنشدنى

ان الجنوب اذا هبت وجدت لها ... طيبا يذكرنى الفردوس ان نفحا
لما أتت بنسيم منك أعرفه ... شوقا تنفست واستقبلتها فرحا

فانصرفت معه الى منزله وغنيت فى هذين البيتين وشربنا عليهما بقية يومنا

وقال فى جارية كان يهواها وقطع بينها الصوم

قفا فابكيا ان كنتما تجِدان ... كوجدى وان لم تبكيا فدعانى

ففى الدمع مما تضمر النفسُ راحةٌ ... اذا لم أُطق اظهاره بلسانى

أغصّ بأسرارى اذا ما لقيتها ... فأُبهت مشدوها أعضّ بنانى

فيا ابن خُريم يا أخى دون اخوتى ... ومن هو لى مثلى بكل مكان

تأمل أحظى من خداعَ وحبها ... سوى خدع تذكى الهوى وأمانى؟

وأصبح شهر الصوم قد حال بيننا ... فياليت شوالا أتى بزمان

ومن قوله فيها وفيه غناء

عجباً عجبت لمذنب متغضب ... لولا قبيح فعاله لم أعجب

أخداع طال على الفراش تقلبى ... واليك طول تشوقى وتطربى

لهفى عليك وما يرد تلهفى ... قصرت يداى وعز وجه المطلب

وقال بعد فرقتها

تخطى إلىّ الدهر من بين من أرى ... وسوء مقادير لهن شؤن

فشتت شملى دون كل أخى هوًى ... وأقصدنى بل كلهم سيَبين

ومهما تكن من ضحكة بعد فقدها ... فانى وان أظهرتها لحزين

سلام على أيامنا قبل هذه ... اذ الدار دار والسرور فنون

ثم اجتاز بها وهى تنظر من وراء شُبّاك فسلم عليها فأومأت بالسلام اليه ودخلت فقال

تطالعنى على وجل خداع ... من الشُبُك التى عملت حديدا

مطالِعتى قفى بالله حتى ... أزود مقلتى نظراً جديدا

فقالت ان سها الواشون عنا ... رجونا أن نعود وأن تعودا

وقال أيضا

يا صاحب الشبك الذى اســـتخفى ، مكانك غير خاف
أفما رأيت تلددى [١] بفناء قصرك واختلافى
أو ما رحمت تخشعى وتلفتى بعد انصرافي

أهدت إليه خداع تفاحة مفلجة منقوشة مطيبة حسنة فكتب اليها

خداع أهديت لنا خدعة تفاحة طيبة النشر
مازلت أرجوك وأخشى الهوى معتصما بالله وبالصبر
حتى أتتنى منك فى ساعة زحزحت الأحزان عن صدرى
حشوتها مسكا ونقشتها ونقش كفيك من السحر
سقيا لها تفاحة أهديت لو لم تكن من خدع الدهر

قال عبد الله بن جعفر بن على بن يقطين كنت أسير أنا ومحمد بن أمية فى شارع الميدان فاستقبلتنا جارية كان محمد يهواها ثم بيعت وهى راكبة ، فكلمها فأجابته بجواب أخفته ، فلم يفهمه ، فأقبل على وقد تغير لونه فقال

ياجعفر بن على وابن يقطين أليس دون الذى لاقيت يكفينى ؟
هذا الذى لم تزل نفسى تخوفنى منها ، فأين الذى كانت تمنينى ؟
خاطرت إذا أقبلت نحوى وقلت لها تفديك نفسى فداء غير ممنون
فخاطبتنى بما أخفته فانصرفت نفسى بظنين مخشى ومأمون

قال يزيد المهلبى كنت بين يدى المنتصر جالساً ، فجاءته رقعة لا أعلم ممن هي فقرأها وتبسم ، ثم انه أقبل على وأنشد

لطافة كاتب وخشوع صب وفطنة شاعر عند الجواب

ثم أقبل على فقال من يقول هذا يا يزيد ! فقلت محمد بن أمية يا أمير المؤمنين فضحك وقال كأنه والله يصف ما فى هذه الرقعة

---

(١) تلدد تلفت يمينا وشمالا

قال حذيفة بن محمد كنت أنا وابن قنبر عند محمد بن أمية بعقب بيع جارية كان يحبها وقد لحقه عليها وَلَهٌ كالجنون فجعل ابن قنبر وأخوه على بن أميه يعاتبانه على ما يظهر منه ، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال

لو كنت جربت الهوى يا ابن قنبر كوصفك إياه لألهاك عن عذلى
أنا وأخى الأدنى وأنت لها الفدا وان لم تكونا فى مودتها مثلى
أ أن حجبت عنى أجود لغيرها بودى؟ وهل يُغْرِى المحب سوى البخل؟
أُسَر بأن قالوا تَضَنَّ بودها عليك ومن ذا سُرَّ بالبخل من قبلى

فضحك ابن قنبر وقال اذا كان الامر هكذا فكن أنت الفداء لها وان ساعدك أخوك فاتفقا على ذلك وأما أنا فلست أنْشَط لان أساعدك على هذا ، وافترقا

على بن أمية

هو أخو محمد بن أميـة ، وكان أبوه يكتب للمهدى على ديوان بيت المال وديوانى الرسائل والخاتم ، وكان منقطعا الى ابراهيم بن المهدى والى الفضل بن الربيع ومن قول على

يا ربع ما تصنعين بالدِّمن كم لكِ من محو منظرَ حسن
محوتِ آثارنا وأحدثت آ ثارا بربع الحبيب لم تكن
ان تك يا ربع قد بَلِيت من الر يح فأنى بالٍ من الحزَن
قد كان يا ربع فيك لي سكن فصرت اذ بان بعده سكنى
شبهت ما أبلت الرياح من آ ثار حبيبى النوى بلا بدن
يا ريح لا تَطْمسى الرسوم ولا تَمحِى رسوم الديار والدِّمن
حاشاك يا ريح أن تكونى على العاشق عونا بجانب الزمن

ومما يغنى فيه من شعره

بأبى أنت يا بن من لا اسمى لبعض ما

ياشبيه الهلال مثـ ـلك فى الأفق أنجما
راقب الله فى أسيـرك ان كنت مسلما

على بن جبلة

هو على بن جَبَلة بن عبد الله الأبناوى، ويكنى أبا الحسن، ويلقب بالعَكَوَّك من أبناء الشِّيعة الخراسانية من أهل بغداد، وبها نشأ، وولد بالحَرْبية من الجانب الغربى، وكان ضريرا، وهو شاعر مطبوع عَذْب اللفظ جزْله، لطيف المعانى، مداح حسن التصرف، واستنفد شعره فى مدح أبى دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلى وأبى غانم حُمَيد بن عبدالحميد الطوسى وزاد فى تفضيلهما وتفضيل أبى دلف خاصة حتى فضل من أجله ربيعة على مضر وجاوز الحد فى ذلك فغضب عليه المأمون وطلبه فلم يزل متواريا منه حتى مات ولم يقدر عليه . ومما مدح به أبا دلف قوله

ذاد وِرْدَ الغَىّ عن صَدَره وارعوى واللهو من وَطَره
وأبت الا البكاء له ضَحِكات الشيب فى شعره
ندمى ان الشباب مضى لم أبلِّغه مدى أَشَره
وانقضت أيامه سلما لم أجد حولا على غِيَره
حُسِرت عني بشاشته وذَوَى المحمود من ثمره
جارتا ليس الشباب لمن راح مَحْنيّا على كبره
ذهبت أشياء كنت لها صارها حلمى الى صوره
دع جدَى قَحْطان أو مُضَر فى يمانيه وفى مُضَره
وامتدح من وائل رجلا عصر الآفاق فى عصره
المنايا فى مناقبه والعطايا فى ذَرَا حجره
ملك تندَى أنامله كانبلاج النَّوْء عن مطره

مستهل عن مواهبه كابتسام الروض عن زهره
جبل عزّت مناكبه أمنت عدنان فى ثغره
انما الدنيا أبو دلف بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره
لست أدرى ما أقول له غير أن الأرض في خفره
يادواء الأرض ان فسدت ومُدِيل اليسر من عُسُره
كل من فى الأرض من عرب بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

يقول فيها

وزحوف فى صواهله كصياح الحشر فى أثره
قُدْته والموت مكتمن فى مذاكيه ومشتجره
فرمت حقْويه منه يد طوت المنشور من نظره
زرته والخيل عابسة تحمل البؤسَى على عقره
خارجات تحت رايتها كخروج الطير من وكره
وعلى النعمان عجت به عوجة ذادته عن صدره
غمط النعمان صفوتها فرددت الصفو فى كدره
ولقرقور أدرت رحا لم تكن ترتد فى فكره
قد تأنيت البقاء له فأبى المحتوم من قدره
وطغى حتى رفعت له خطة شنعاء من ذكره

ولما وصل بهذه القصيدة الى أبي دلف وعنده من عنده من الشعراء وهم لا يعرفونه استرابوه بها فقال له قائده انهم اتهموك وظنوا أن الشعر لغيرك ، فقال أيها الأمير ان المحنة تزيل هذا ، فقال صدقت ، فامتحنوه فقالوا له صف فرس

الأمير وقد أجلناك ثلاثا ، قال فاجعلوا معي رجلا تثقون به يكتب ما أقول، فجعلوا معه رجلا ، فقال هذه القصيدة في ليلته

ريعتْ لمنشور على مَفرِقه ذَمَّ لها عهد الصِّبا حين انتسب
أهدام شيب جُدُد فى رأسه مكروهة الجِدّة أنضاء العقب
أشرقن فى أسودَ أزرين به كان دُجاه لهوى البيض سبب
واعتفْنَ (١) أيام الغوانى والصِّبا عن ميت مطلبه حب الأدب
لم يزدجر مُرعويا حين ارعوى لكن يدٌ لم تتصل بمطَّلَب
لم أرَ كالشيب وَقارا يُجتْوى (٢) وكالشباب الغضّ ظلا يُستلَب
فنازل لم يبتهج بقربه وذاهب أبقى جوًى حين ذهب
كان الشباب لُمَّةً (٣) أزْهَى بها وصاحبا حرا عزيز المصطحب
اذ أنا أجري سادرا في غيِّه لا أُعتِب الدهر اذا الدهر عتَب
أُبْعِد شأو اللهو فى إجرائه وأقصد الخَوْد وراء المحتجب
وأُذعَرَ الرَّبرب عن أطفاله بأعوجىّ دُلَفِىّ المنتسب
تحسبه من مَرَح العز به مستنفرا برَوْعة أو ملتهب
مرتهج يرتَجّ من أقطاره كالماء جالت فيه ريح فاضطرب
تحسبه أقْعَدَ فى استقباله حتى اذا استدبرته قلت أكبّ
وهو على ارهاقه وطيِّه تقصر عنه المِحْزَمان واللَّبَب
تقول فيه خَبَب اذا انثنى وهو كمتن القدح ما فيه خَبَب
يخطو على عُوجٍ تناهبن الثرى لم يتواكل عن شظًى ولا عصَب
تحسبها ناتئة اذا خطت كأنها واطئة على الركب
شتا وقاظ بَرْهتيه عندنا لم يؤت من بربه ولا حَدَب

(١) اعتاف تزود للسفر (٢) يكره (٣) اللمة الصاحب فى السفر والمؤنس

يصان عصرى حره وقرّه وتقصر الخُور عليه بالحَلَب

حتى اذا تمت له أعضاؤه لم تنحبس واحدة على عتب

رمنا به الصيد فرادَينا به أوابد الوحش فأجدى واكتسب

مُجذَّم الجرى يبارى ظله ويعرق الأحقب فى شوط الخبَب

اذا تظنينا به صدّقنا وان تظنى فوته العيرُ كذب

لا يبلغ الجهد به راكبه ويبلغ الريح به حيث طلب

ثم انقضى ذاك كأن لم يَعْنِه وكل بقيا فالى يوم عطب

وخلف الدهر على أبنائه بالقَدْح فيهم وارتجاع ما وهب

فحمَّل الدهر ابن عيسى قاسما ينهضْ به أبلج فراج الكرب

كرَونَق السيف ابتلاجا بالندَى وكغِرَاريه على أهل الريب

ما وَسِنت عين رأت طلعته فاستيقظت بنوبة من النوب

لولا ابن عيسى القرْم كنا هملا لم يُؤتثل مجد ولم يُرْعَ حسب

ولم يتم فى يوم بأس وندى ولا تلاقى سبب الى سبب

تكاد تُبدى الأرض ما تضمره اذا تداعت خيله هلاً وهَبْ

ويستهل أملا وخيفة جانبها اذا استهل أو قَطَب

وهو وان كان ابنَ فرعى وائل فبمساعيه تراقى فى الحسب

وبعلاه وعلا آبائه تُحوَى غداة السبق أخطارُ القصب

يا زهرة الدنيا ويا باب الندى ويا مجير الرعب من يوم الرَّهَب

لولاك ما كان سرًى ولا ندى ولا قريش عرفت ولا العرب

خذها اليك من ملئٍ بالثنا لكنه غير ملئٍ بالنَّشَب

فأثوِ فى الأرض أو استفزز بها أنت عليها الرأس والناس ذنب

فلما غدا عليه بالقصيدة وأنشده اياها استحسنها من حضر وقالوا نشهد إن

قائل هذه قائل تلك فأعطاه ثلاثين ألف درهم

لما أكثر ابو دلف من بره وأفرط قعد عنه حياء منه ، فبعث اليه بمَعْقِل أخيه، فأتاه فقال له يقول لك الأمير لم هجرتنا ؟ لعلك استبطأت بعض ما كان منى، فان كان الأمر كذلك فانى زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى ، فدعا من كتب له وأملى عليه هذه الأبيات ثم دفعها الى معقل وسأله أن يوصلها وهى

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة ... وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكنني لما أتيتك زائرا ... فأفرطت فى برى عجزت عن الشكر
فها أنا لا آتيك الا مسلما ... أزورك فى الشهرين يوما وفي الشهر
فان زدتنى برا تزايدت جفوة ... ولم تلقنى طول الحياة الي الحشر

فلما سمع الأبيات استحسنها جدا وقال جودت والله ، اما ان الأمير ليَعْجَبُ بمثل هذه الأبيات، فلما أوصلها الى أبى دلف قال لله دره ما أشعره وما أرقّ معانيه، ثم دعا بدواة فكتب اليه

ألا رب ضيف طارق قد بسطته ... وآنسته قبل الضيافة بالبشر
اتانى يُرجّينى فما حال دونه ... ودون القِرَى من نائلى عنده ستري
وجدت له فضلا عليّ بقصده ... اليّ وبرا يستحق به شكرى
فلم أعدُ أن أدنيته وابتدأته ... ببشر واكرام وبر على بر
وزودته مالا قليلا بقاؤه ... وزودنى مدحا يدوم على الدهر

ومن قوله فى أبى دلف

أبو دلف ان تلقهُ تلقَ ماجدا ... جوادا كريما راجح الحلم سيدا
أبو دلف الخيرات أنداهمُ يدا ... وأبسط معروفا وأكرم مَحْتِدا
تراث أبيه عن أبيه وجده ... وكل امرىء يجرى على ماتعودا
ولست بشاكٍ غيره لنقيصة ... ولكنما الممدوح من كان أمجدا

ولما مات حميد الطوسى رثاه بقصيدته العينية المشهورة وهي من نادر الشعر وبديعه وهى

اللدهر تبكى أم على الدهر تجزع ؟ وما صاحب الأيام الا مفجّع
ولو سهلت عنك الأسى كان فى الأسى عزاء معز للبيب ومقنع
تعزّ بما عزيت غيرك انها سهام المنايا حائمات ووُقّع
أُصبنا بيوم فى حميد لو انّه أصاب عروش الدهر ظلت تضعضع
وأدبنا ما أدب الناسَ قبلنا ولكنه لم يبق للصبر موضع
ألم تر للأيام كيف تصرمت به وبه كانت تُذاد وتدفع
وكيف التقى مثوىً من الارض ضيق على جبل كانت به الأرض تمنع
ولما انقضت أيامه انقضت العلا وأضحى به أنف النّدى وهو أجدع
وراح عدو الدين جذلان ينتحى أمانىّ كانت فى حشاه تقطّع
وكان حميد معقلا ركعت به قواعد ما كانت على الضيم تركع
وكنت أراه كالرزايا رُزئتها ولم أدر أن الخلق تبكيه أجمع
حمام رماه من مواضع أمنه حمام كذاك الخطب بالخطب يقدع
وليس بغرو أن تصيب منية حمِي أختها أو أن يذل الممنّع
لقد أدركت فينا المنايا بثارها وحلت بخطب وهيه ليس يُرْقَع
نعاء حميداً للسرايا اذا غدت تذاد بأطراف الرماح وتوزع
وللمرهق المكروب ضاقت بأمره فلم يدر فى حوْماتها كيف يصنع
وللبيض خلّتها البعول ولم يدَعْ لها غيره داعى الصباح المفزع
كأن حميدا لم يَقُدْ جيش عسكر الى عسكر أشياعه لا تُروّع
ولم يبعث الخيل المغيرة بالضحى مراحا ولم يرجع بها وهى ظُلّع
رواجع يحملن النهاب ولم تكن كتائبه الا على النهب ترجع

هوى جبل الدنيا المنيع وغيثها الـــمَرِيع وحاميها الكميُّ المشيَّع

وسيف أمير المؤمنين ورمحه ومفتاح باب الخطب والخطب أفظع

فأقنعـــه من ملكه ورباعه ونائله قَفْرٌ من الأرض بَلْقَع

على أي شَجْوٍ تشتكي النفس بعده الى شجوه أو يَذْخَرُ الدمع مدمع

ألم تر أن النفس حال ضياؤها عليه وأضحى لونها وهو أسْفَع

وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها وأجدب مَرْعاها الذى كان يمرع

وقد كانت الدنيـا به مطمئنـة فقد جعلت أوتادهـــا تتقلع

بكى فقده روح الحياة كما بكي نداه الندى وابن السبيل المدفَّع

وفارقت البيض الخدور وأبرزت عواطلَ حسْرى بعـده لا تقنع

وأيقظ أجفانا وكان لها الكَرَى ونامت عيون لم تكن قبلُ تهجع

ولكنه مقـــدار يوم ثوى به لكل امرىء منها نِهال ومشرع

وقد رأَبَ الله المـــلا بمحمد وبالأصل يَنْمِي فرعـه المتفرع

أغر على أسيافه ورماحـــه تقسم أنفال الخميـــس وتشرع

حوى عن أبيه بذل راحته الندى وطعن الكُلَى والزاعبيـة شُرَّع

وانما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرها وقد أخذ البحترى أكثر معانيها فسلخه وجعله فى قصيدتيه اللتين يرثى بهما أبا سعيد الثَّغْرى

انظر الى العلياء كيف تضام و بأى أسى تثنى الدموع الهوامل

وقد أخذ الطائى أيضا بعض معانيها ولولا كراهة الاطالة لشرحت المواضع المأخوذة ، واذا تأمل ذلك منتقد بصير عرفه

وكان حميد ركب فى يوم عيد فى جيش عظيم لم ير مثله فقال ابن جبلة يصف ذلك

غدا بأمير المؤمنـــين ويُمْنه أبو غانم غَدْوَ الندى والسحائب

وضاقت فِجاج الأرض عن كل موكب أحاط به مستعليا للكواكب
كأن سمو النقع والبيض فوقهم سماوات ليل قُرِّنت بالكواكب
فكان لأهل العيد عيد بنسكهم وكان حميد عيدهم بالمواهب
ولولا حميد لم تَبَلَّج عن الندى يمين ولم يدرك غنى كسب كاسب
ولو ملك الدنيا لما كان سائل ولا اعتام فيها صاحب فضل صاحب
له ضحكة تستغرق المال بالندى على عَبْسة تُشْجى القنا بالترائب
ذهبت بأيام العلا فارِداً بها وصرَّمت عن مسعاك شأو المطالب
وعدَّلت مَيْل الأرض حتى تعدلت فلم ينأ منها جانب فوق جانب
بلغت بأدنى الحزم أبعد قطرها كأنك منها شاهد كل غائب

والتى أهداها له يوم النيروز قصيدته التى يقول فيها

حميدُ ياقاسم الدنيا بنائله وسيفه بين أهل النَّكْث والدين
أنت الزمان الذى يجرى تصرفه على الأنام بتشديد وتليين
لو لم تكن كانت الأيام قد فنيت والمكرمات ومات المجد مذ حين
صوَّرك الله من مجد ومن كرم وصور الناس من ماء ومن وطين

فسر بها وأمر أن يحمل اليه كل ما أهدى اليه فحمل اليه ماقيمته مائتا ألف درهم
دخل يوما الى أبى دلف فقال له هات ياعلى ما معك ، فقال انه قليل ،
فقال هاته فكم من قليل أجود من كثير ، فأنشده

الله أجرى من الأرزاق أكثرها على يديك فشكرا يا أبا دُلَف
أعطى أبو دلف والريح عاصفة حتى اذا وقفت أعطى ولم يقف

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما كان بعد مدة دخل اليه ، فقال له هات
ما معك ، فأنشده

من ملك الموت الى قاسم رسالة فى بطن قرطاس

يافارس الفرسان يوم الوغى   مرنى بمن شئت من الناس

فأمر له بألفى درهم ، وكان قد تطير من ابتدائه فى هذا الشعر ، فقال ليست هذه من عطاياك أيها الأمير ، فقال بلغ بها هذا المقدار ارتيا عنا من تحملك رساله ملك الموت الينا

ومن قوله يمدح حميدا الطوسى

بأبى مالك عني   مائل الطَّرْف كليلا
وأرى برك نَزْرا   وتحفيك قليلا
وتسميني عدوا   وأسميك خليلا
أتعلمت سلوا   أم تبدلت بديلا
أحمد الله فما أغـ   ـنى الرجا فيك فَتيلا
ليس لى ذنب سوى أنى   أسميك خليلا
وأناديك عزيزا   وتناديني ذليلا
ثق بود ليس يَفْنَى   وبعهد لن يحولا
جعل الله حميدا   لبنى الدنيا كفيلا
ملك لم يجعل الا   له له فيهم عديلا
فأقاموا فى ذَراه   مطمئنين حُلولا
لا ترى فيهم مقلا   يسأل المثرى فضولا
جاد بالأموال حتى   علَّم الجود البخيلا
وبنى الفخرعلى الفخـ   ـر بناء مستطيلا
صار للخائف أمنا   وعلى الجود دليلا

قال عبد الله بن محمد بن جرير أنشدت أباتمام قصيدة على بن جبلة البائية ، فلما بلغت قوله

ورد البيض والبيض الى الأغماد والحجب

اهتز أبو تمام من فرقه الى قدمه ثم قال أحسن والله لوددت أن لى هذا البيت بثلاث قصائد من شعرى يتخيلها وينتحلها مكانه

قال على بن جبلة لحميد بن عبد الحميد الطوسى يا أبا غانم انى قد مدحت أمير المؤمنين بمدح لا يحسن مثله أحد من أهل الأرض فاذكرنى له ، قال فأنشدنى ، فأنشدته ، قال أشهد أنك صادق ما يحسن أحد أن يقول هكذا ، وأخذ المديح فأدخله الى المأمون ، فقال ياحميد الجواب فى هذا واضح ، ان شاء عفونا عنه وجعلنا ذلك ثوابا لمديحه ، وان شاء جمعنا بين شعره فيك وفى أبى دلف وبين شعره فينا فان كان الذى قاله فيكما أجود ضربنا ظهره وأطلنا حبسه ، وان كان الذى فينا أجود أعطيناه لكل بيت ألف درهم ، وان شاء أقلناه ، فقال له يا سيدى ومن أنا ومن أبو دلف حتى يمدحنا بأجود من مديحك ؟ فقال ليس هذا الكلام من الجواب فى شىء فاعرض ما قلت لك على الرجل ، فقال أفعل ، قال على بن جبلة فقال لى حميد ما ترى ؟ فقلت الاقالة أحب الى ، فأخبر المأمون بذلك ، فقال هو أعلم ، ثم قال لى حميد يا أبا الحسن أى شىء يعنى من مدائحك لى ولأبى دلف ؟ فقلت قولى فيك

لولا حميد لم يكن حسب يعد ولا نسب
ياواحد العرب الذى عزت بعزته العرب

وقولى فى أبى دلف « انما الدنيا أبو دلف » البيتين

فأطرق حميد ثم قال لقد انتقد عليك أمير المؤمنين فأجاد وأمر له بعشرين ألف درهم وخلعة وفرس وخادم ، وبلغ ذلك أبا دلف فأضعف له العطية ، وكان ذلك فى ستر منهما ما علم به أحد خوفا من المأمون

شخص ابن جبلة الى عبد الله بن طاهر الى خُراسان وقد مدحه فأجزل صلته واستأذنه فى الرجوع فساله أن يقيم، وكان بره يتصل عنده ، فلما طال مقامه اشتاق الى أهله فدخل عليه فأنشده

راعه الشيب اذ نزل　　وكفاه من العذَل
وانقضت مدة الصبا　　وانقضى اللهو والغزل
قد لعمرى دملته　　بخضاب فما اندمل
فابك للشيب اذ بدا　　لا على الربع والطلل
وصَلَ الله للامير عُرًا الملك فاتصل
ملك عزمه الزما　　ن وأفعاله الدول
كسروىّ ، بمجده　　يضرب الضارب المثل
والى ظل عزه　　يلجأ الخائف الوَجل
كل خلق سوى الاما　　م لأنعامه خَوَل
ليته حين جاد لى　　بالغنى جاد بالقفَل

فضحك وقال أبيت الا أن توحشنا وأجزل صلته وأذن له

دخل على حميد الطوسى فى أول يوم من رمضان فأنشده

جعل الله مدخل الصوم فوزا　　لحميد ومُتْعَةً فى البقاء
فهو شهر الربيع للقراء　　وفراق النَّدمان والصهباء
وأنا الضامن الملىّ لمن عا　　قرها مفطرا بطول الظماء
وكأنى أرى الندامى على الخسف يرجون صبحهم بالمساء
قدطوى بعضهم زيارة بعض　　واستعاضوا مصاحفا بالغِناء

يقول فيها

بحميد وأين مثل حميد　　فخرت طيٌّ على الأحياء

جوده أظهر السماحة فى الأر ض وأغنى المُقْوى عن الاقواء

ملك يأمُل العباد نداه مثل ما يأمُلون قطر السماء

صاغه الله مطعم الناس فى الأر ض وصاغ السحاب للاسقاء

فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال استعن بهذه على نفقة صومك ، ثم دخل عليه ثانى شوال فأنشد

عللانى بصفو مافى الدِّنان واتركا ما يقوله العاذلان

واسبقا فاجع المنية بالعيـ ـش فكل على الجديدين فان

عللانى بشربة تذهب الهـ ـم وتَنْفِي طوارق الأحزان

والقيا فى مسامع سدها الصو م رُقَى الموصلىّ أودُحْمان

قد أتانا شوال فاقتبل العيـ ـشَ وأعدى قسرا على رمضان

نعم عون الفتى على نوب الدهـ ـر سماع القِيان والعيدان

وكؤس تجرى بماء كروم ومَطِيّ الكؤس أيدى القِيان

من عُقار تميت كل احتشام وتسر النَّدْمان بالندمان

وكأن المزاج يقدح منها شررا فى سبائك العِقْيان

فاشرب الراح واعص من لام فيها انها نعم عُدّة الفتيان

واصحب الدهر بارتحال وحلّ لا تخف ما يجره الحادثان

حَسْبُ مستظهر على الدهر كنفا بحميد ردأ من الحدثان

ملك يقتنى المكارم كنزا وتراه من أكرم الفتيان

خلقت راحتاه للجود والبأ س وأمواله لشكر اللسان

ملكته على العباد معدّ وأقرت له بنو قحطان

أريحى الندى كريم المحيا يده والسماء معتقدان

وجهه مشرق الى معتفيه ويداه بالغيث تنفجران

جعل الدهر بين يوميه قسمين بعرف جزل وحرّ طعان
فاذا سار بالخميس لحرب كل عن نص جريه الخافقان
واذا ما هززته لنوال ضاق عن رحب صدره الأفقان
غيث جدب اذا أقام ربيع يتغشى بالسيب كل مكان
يا أبا غانم بقيت على الدهر وخلدت ما جرى العصران
ما نبالى اذا عدتك المنايا من أصابت بكلكل وجران
قد جعلنا اليك بعث المطايا هربا من زماننا الخوان
وحملنا الحاجات فوق عتاق ضامنات حوائج الركبان
ليس جود وراء جودك ينتاب ولا يعتفى لغيرك عان

فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال تلك كانت للصوم فخففت وخففنا، وهذه للفطر فقد زدتنا وزدناك

أقبح ما هجى الناس به فى ترك الضيافة واضاعة الضيف قول على بن جبلة

أقاموا الديدبان على يفاع وقالوا لا تنم للديديان
فان آنست شخصا من بعيد فصفق بالبنان على البنان
تراهم خشية الأضياف خرسا ويأتون الصلاة بلا أذان

ومما مدح به حميدا فى أول رمضان

ان أبا غانم حميد غيث على المعتفين هام
صوره الله سيف حتف وباب رزق على الأنام
يا مانع الأرض بالعوالى والنعم الجمة العظام
ليس من السوء فى معاذ من لم يكن منك فى ذمام
وما تعمدت فيك وصفا الا تقدمته أمامى

فقد تناهت بك المعالى وانقطعت مدة الكلام

اَجِدَّ شهرا وأَبْلِ شهرا واسلم على الدهر ألف عام

كان يهوى جارية وكانت مساعدة ثم غضبت عليه وأعرضت عنه فقال لها

تسىء ولا تستنكر السوء انها تُدِلّ بما تبلوه عندى وتعرف

فمن أين مااستعطفتها لم ترقّ لى ومن أين ماجربت صبرى يَضعف

جاء على بن جبلة الى حميد الطوسى مستشفعا به الي أبي دلف ، وكان قد غضب عليه وجفاه ، فركب معه الى أبى دلف شافعا وسأله فى أمره فأجابه واتصل الحديث بينهما وعلى بن جبلة محجوب ، فأقبل على رجل الى جانبه وقال اكتب ما أقول لك ، فكتب

لا تتركنّى بباب الدار مطّرَحا فالحر ليس عن الأحرار يحتجب

هبنا بلا شافع جئنا ولا سبب ألست أنت الى معروفك السبب

فأمر بايصاله اليه ورضى عنه

لما بلغ المأمون قول على فى أبى دلف « كل من فى الأرض من عرب » البيتين غضب من ذلك وقال اطلبوه حيث كان ، فطلب فلم يقدر عليه ، وذلك أنه كان بالجبل ، فلما اتصل به الخبر هرب الى الجزيرة ، وقد كانوا كتبوا الي الآفاق فى طلبه فهرب من الجزيرة وتوسط الشام ، فظفروا به وحملوه الى المأمون ، فلما صار اليه قال أنت القائل للقاسم بن عيسى « كل من فى الأرض من عرب » البيتين جعلتنا ممن يستعير المكارم منه ، فقال له يا أمير المؤمنين أنتم أهل بيت لا يقاس بكم أحد لأن الله جل وعز فضلكم على خلقه واختاركم لنفسه ، وانما عنيت بقولى فى القاسم أشكالَ القاسم وأقرانه ، فقال والله مااستثنيت أحدا عن الكل ، سُلّوا لسانه من قفاه ، ويروى أنه قال له انى لست أستحل

دمك لتفضيلك أبا دلف على العرب كلها وادخالك فى ذلك قريشا وهم آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعترته ولكنى أستحله بقولك فى شعرك وكفرك حيث تقول القول الذى أشركت فيه

أنت الذى تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حال الى حال

وما مددت مدى طرف الى أحد الا قضيت بأرزاق وآجـــال

كذبت ما يقدر على ذلك أحد الا الله عز وجل الواحد القهار ، سلوا لسانه من قفاه

أبو الهيثم خالد الكاتب

من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد كتاب الجيش ووسوس فى آخر عمره ، وكان اتصل بعلى بن هشام صحبه في وقت خروجه الي قُمّ فبلغ عليا انه يقول الشعر فأنس به وأحضره فأنشده قوله فى الشوق والحب

ياتارك الجسم بلا قلب ان كنت أهواك فما ذنبي؟

يامفردا بالحسن أفردتنى منك بطول الهجر والعتب

ان تك عيني أبصرت فتنة فهل على قلبيَ من عتب؟

حَسيبك الله لما بي كما أنك فى فعلك بي حسبي

ثم صحب الفضل بن مروان فذكره للمعتصم وهو بالماحوزة قبل أن يبني سر من رأى فقال خالد

عزم السرور على المقا م بسُرَّ من رَا للامام

بلد المسرة والفتو ح المستنيرات العظام

وتراه أشبه منزل فى الأرض بالبلد الحرام

فالله يعمره بمن أضحى به عز الأنام

فأمر له المعتصم بخمسة آلاف درهم وكانت أول ما أنشد من الشعر في سر من را فتبرك بها المعتصم، ومما قاله فى ذلك خالد

بين صفو الزمان عن كدره في ضحكات الربيع عن زهره
ياسر من را بوركت من بلد بورك في نبته وفى ثمره
غرس جدود الأنام نكبتها بابك والمازيار (١) من ثمره
فالفتح والنصر ينزلان به والخصب فى تربه وفي شجره

ومما قاله أيضا فى وصف سر من را قصيدته التى يقول فيها

اسقني فى جرائر وزقاق لتلاق السرور يوم التلاق
من سلاف كأن فى الكأس منه عبرات من مقلتى مشتاق
في رياض بسر من را الى الكر خ ودعنى من سائر الآفاق
باد كارات كل فتح عظيم لامام الهدى أبى اسحق

دخل على ابراهيم بن المهدى فاستنشده ، فقال أيها الأمير أنا غلام أقول فى شجون نفسى لا أكاد أمدح ولا أهجو ، فقال ذلك أشد لدواعى البلاء فأنشده

عاتبت نفسى فى هوا ك فلم أجدها تقبل
وأطعت داعيها اليـ ـك ولم أطع من يعذل
لا والذى جعل الوجو ه لحسن وجهك تمثل
لا قلت ان الصبر عنـ ـك من التصابى أجمل

وقال فى صديق له باعده

ظعن الغريب لغيبة الأبد حق المخافة نائى البلد
حيران يؤنسه ويكلؤه يوم توعده بشر غد
سنح الغراب له بأنكر ما تغدو النحوس به على أحد

(١) ثائران أعجميان صلبابها

وابتاع أيمنه بأشـأمه الـ جد العثور له يدا بيـــد
حتى يذيخ بأرض مهلكة في حيث لم يولد ولم يـلد
جزعت حليلتـه عليه فما تخلو من الزَّفرات والكمد
نزل الزمـان بها فأهلكهـا منه وأهــدى اليتم للولد
ظفرت به الأيام فانحسرت عنـه بفـاقرة ولم تـكد
فتركن منه بعد طيته مثل الذى بقين من لُبَد

ومن قوله يصف هوى له

قضيب بان جناه ورد تحمله وجنة وخد
لم أثن طرفى اليه الا مات عزاء وعاش وجد
ملك طوع النفوس حتى علمه الزهو حين يبدو
واجتمع الصد فيه حتى ليس لخلق سواه صد

ومن قوله

عش فحبيك سريعا قاتلى والضنى ان لم تصلنى واصلى
ظفر الشوق بقلب دنف فيك والسقم بجسم ناحل
فهما بين اكتئاب وضنىً تركانى كالقضيب الذابل

ومنه
قد حاز قلبي فصار يملكه فكيف أسلو وكيف أتركه
رطيب جسم كالماء تحسبه يخطر فى القلب منه مسلكه
يكاد يجرى من القميص من الـــنعمة لولا القميص يمسكه

ومنه
محب شفه المه وخامر جسمه سقمه
وباح بما يجمجمه من الأسرار مكتتمه
أما ترنى لمكتئب يحبك لحمه ودمه
يغار على قميصك حيـــن تلبسه ويتهمه

ومنه

كبد شفها غليل التصابى بين عتب وسخطة وعذاب

كل يوم تدْمى بجرح من الشو ق ونوع مجدد من عذاب

ياسقيم الجفون أسقمت جسمى فاسقني كيف شئت لابك مابى

ان أكن مذنبا فكن حسن العفو وأواجمل سوى الصدود عقابى

ومنه لم تر عين نظرت أحسن من منظره

النور والنعمة والنـ ـعمة فى مخبره

لاتصل الألسن با ! وصف الى أكثره

كيف بمن تنتسب الشـ ـمس الى جوهره

ومنه

فديت محمدا من كل سو يحاذر فى رواح أو غدو

أيا قمر السماء سفلت حتى كانك قد ضجرت من العلو

رأيتك من حبيبك ذا بعاد وممن لايحبك ذا دنو

وحسبك حسرة لك من حبيب رأيت زمامه بيدى عدو

ومنه

زعموا أننى صحوت وكلا أشهد الله أننى لن أملا

كيف صبرى يامن اذا ازداد تيها أبدا زدته خضوعا وذلا

ومنه

بجسمى لابجسمك ياعليل ويكفينى من الألم القليل

تعدّاك السّقام الىّ انى على مابى لعادته حمول

اذا ما كنت ياأملى صحيحا فخالفنى وسالمك النحول

ألست شقيق ماضمت ضلوعى على أنى لعلتك العليل

دعا على بن المعتصم خالدا يوما وهو يشرب و قد أخرجت اليه وصيفة من

وصفاء حظيته تفاحة معضوضة مغلفة بعثت بها اليه منها فقال

تفاحة خرجت بالدر من فيها أشهى الىّ من الدنيا وما فيها
بيضاء فى حمرة علت بغالية كأنما قطفت من خد مهديها
جاءت بها قينة من عند غانية روحى من السوء والمكروه تفديها
لوكنت ميتا ونادتني بنغمتها اذا لأسرعت من لحدى ألبيها

فاستحسن على بن المعتصم الأبيات وغنى فيها وأمر له بتخت ثياب وخمسين دينارا

ومن قوله وفيه غناء

هبني أسأت فكان ذنـ ـبي مثل ذنب أبي لهب
فأنا أتوب وكم أسأ ت وكم أسأت ولم أتب

وقع بين خالد وبين الحلبى الشاعر خلاف فى معنى شعر ، فقال له الحلبى لا تَعْدُ طَورك فأخرسك ، فقال له خالد لست هناك ولا فيك موضع للهجاء ، ولكن ستعلم أنى أجعلك ضُحْكة سر من رأى ، وكان الحلبى من أوسخ الناس فجعل يهجو جبته وطيلسانه فمن ذلك قوله

وشاعر ذى منطق رائق في جبة كالعارض البارق
قطعاء شلاء رقاعية دهرية مفرقة العاتق

وقوله

وشاعر مقدم له قوم ليس عليهم في نصره لوم
قد ساعدوه فى الجوع كلهمُ فقرى فكل غداؤه الصوم
يأتيك فى جبة مرقعة أطول أعمار مثلها يوم
وطيلسان كالآل يلبسه على قميص كأنه غيم
من حلب فى صميم سِفْلَتها غناه فقر وعزه ضيم

وقال فيه

تاه علــى ربه فأفقره   حتى رآه الغنى فأنكره
فصار من طول حرفة علما   يقذفه الرزق حيث أبصره
يا حلبيا قضى الاله له   بالتيه والفقر حين صوره
لو خلطوه بالملك وسخه   أو طرحوه فى البحر كدره

ابراهيم بن المدبر

شاعر كاتب من وجوه كتـاب أهل العراق ومتقدميهـم وذوى الجاه والمتصرفين فى كبار الأعمال ومذكور في الولايات وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله

وكانت بينه وبين عريب المغنية مودة يهواها وتهواه

قال ابن المدبر مرض المتوكل مرضة خيف عليه منها ثم عوفي وأذن للناس فى الوصول اليه فدخلوا على طبقاتهم كافة ودخلت معهم فلما رآنى استدنانى حتى قمت وراء الفتح ونظر الى مستنطقا فأنشدته

يـوم أتانا بالسرور   فالحمـد لله الـكبير
أخلصت فيـه شكره   ووفيت فيـه بالنـذور
لمـا اعتللت تصدعت   شعب القلوب من الصدور
من بين ملتهب الفـؤا   د وبين مكتئب الضمير
يا عدتى للدين والـد   نيا وللخطب الـكبير
كانت جفوني ثرة الـ   آماق بالدمع الغـزير
لو لم أمت جزعا لعمر   ك انني عـين الصبور
يوم هنالك كاسنـ   ين وساعتي مثـل الشهور

ياجعفر المتوكل الـــ عالى على البـــدر المنير

اليوم عاد الدين غض العود ذا ورق نضير

واليوم أصبحت الخلا فة وهى أرسى من ثَبير

قد حالفتك وعاقدتـــك على مطاولة الدهور

يا رحـــة للعالميـــن وياضياء المستنـــير

ياحجة الله الـــتى ظهرت له بهـــدى ونور

لله أنت فما نشـــا هد منـك من كرم وخير

حتى نقـــول ومن بقر بك من ولى أو نصير

ألبـدر ينطق بيننـــا أم جعفـر فـوق السرير

فاذا تواترت العظـــا ئم كنت منقطع النظير

واذا تعذرت المطـــا يا كنت فيـاض البحور

تُمضى الصواب بلا وزيـــر أو ظهير أو مشـــير

فقال المتوكل للفتح ان ابراهيم لينطق عن نيـة خالصة وود محض وما قضينا حقه ، فتقدم بأن يحمل اليه الساعة خمسون ألف درهم ، وتقدم الى عبيد الله بن يحيى بأن يوليه عملا سَرِيّا ينتفع به

وكان عبيد الله بن يحيى بن خاقان ينفَس على ابراهيم قربه من المتوكل فانتهز فرصة خيبة أحمد بن المدبر في بعض أعماله التي يتولاها ، وكان قد طولب بمـال، فأغرى عبيد الله المتوكل بابراهيم وقال ان المال عنده، فحبس، فقال وهو محبوس

تَسَلَّ فليس طول الحبس عارا وفيـــه لنا من الله اختيار

فـلولا الحبسُ مابُلى اصطبار ولولا الليلُ ما عرف النهـار

وما الأيام الا مُعقبات ولا السلطـان الا مستعـار

سيفرج ماتَرَيْن الى قليـل مقدره وان طال الإِسار

ولابراهيم فى حبسه أشعار حسان مختارة منها قوله من قصيدة أولها

أدموعها أم لؤلؤ متناثر ... يندى بهورد جنىّ ناضر

يقول فيها

لا تؤيسنك من كريم نبوة ... فالسيف ينبو وهو عضب باتر

هذا الزمان تسومنى أيامه ... خسفاوها أنا ذا عليه صابر

ان طال ليلى فى الإسار فطالما ... أفنيت دهرا ليله متقاصر

والحبس يحجبنى وفى أكنافه ... منى على الضرّاء ليث خادر

عجبٌ له كيف التقت أبوابه ... والجود فيه والغمام الباكر

هلا تقطع أو تصدع أو وهى ... فعذرته لكنه بى فاخر

ومنها قوله من قصيدة أولها

الا طرقت سلمى لدى وقعة السارى ... فريدا وحيدا موثقا نازح الدار

يقول فيها

هو الحبس ما فيه علىّ غضاضة ... وهل كان فى حبس الخليفة من عار

ألست ترين الخمر يظهر حسنها ... وبهجتها بالحبس فى الطين والقار

وما أنا الا كالجواد يصونه ... مقوّمه للسبق فى طىّ مضمار

أو الدرة الزهراء فى قعر لجّة ... فلا تجتلى الا بهول وأخطار

وهل هو الا منزل مثل منزلى ... وبيت ودار مثل بيتى أو دارى ؟

فلا تنكرى طول المدى وأذى العدا ... فان نهايات الامور لإقصار

لعل وراء الغيب أمر يسرنا ... يقدره فى علمه الخالق البارى

وانى لأرجو أن أصول بجعفر ... فأهضم أعدائى وأدرك بالثار

وكتب وهو فى السجن الى أبى عبد الله بن حمدون يسأله اذكار المتوكل والفتح بأمره

كم ترى يبقى على ذا بدني قد بلى من طول همي وضَنى
أنا في أسر وأسباب رَدًى وحديد فادح يكلمني
يابن حمدون فتى الجود الذي أنا منه في جَنًى ورد جنى
وأبو عمران موسى حنق حاقن يطلبني بالإحَن
وعبيد الله أيضا مثله ونجاح في مُجِدّ ما يني
ليس يشفيه سوى سفك دمي أو يراني مُدرجا في كفني
والأمير الفتح ان أذكرته حرمتي قام بأمري وعُني
قال صدق حين أدعو باسمه وسرور حين يعرو حزني
قل له يا حسن ما أوليتني ما لما أوليتني من ثمن
زاد احسانك عندي عظما أنه بادٍ لمن يعرفني
لست أدري كيف أجزيك به غير أني مثقل بالمنن
ما رأى القوم كذنبي عندهم عظم ذنبي أنني لم أخُن
ذاك فعلي ونُراثي عن أبي واقتدائي بأخي في السنن
سنة صالحة معروفة هي منا في قديم الزمن
ظفر الأعداء بي عن حيلة ولعل الله أن يظفرني
ليت أني وهمُ في مجلس يظهر الحق به للفطن
فترى لي ولهم ملحمة يَهلك الخائن فيها والدني
والذي أسأل أن ينصفني حاكم يقضي بما يلزمني

ومن قوله وهو فيه

واني لأستنشي الشمال اذا جرت حنينا الى ألاَّف قلبي وأحبابي
وأهدي مع الريح الجنوب اليهمُ سلامي وشكوى طول حزني وأوصابي
فياليت شعري هل غريب عليمة بذلك أم نام الأحبة عما بي

ولم يزل فى السجن حتى سعى في أمره محمد بن عبد الله بن طاهر و بذل أن يحتمل فى ماله كل ما يطالب به، فأعفاه المتوكل من ذلك ووهبه له، وكان ابراهيم استغاث به ومدحه فقال

دعوتك من كرب فلبَّيت دعوتى ... ولم تعترضني اذ دعوت المعاذر
اليك وقد حُلِّئَتْ أوردتُ همتى ... وقد أعجزتنى عن همومى المصادر
نمى بك عبد الله فى العز والعلا ... وحاز لك المجدَ المؤثَّل طاهر
فأنتم بنو الدنيا وأملاك جوهـا ... وساستها والأعظمون الأكابر
مآثر كانت للحسين ومُصْعَب ... وطلحة لا تحوى مداها المفاخر
اذا بذلوا قيل الغيوث البواكر ... وان غضبوا قيل الليوث الهواصر
تطيعكمُ يوم اللقاء البواتر ... وتزهو بكم يوم المقام المنابر
وما لكمُ غير الأسِرَّة مركب ... ولا لكمُ غير السيوف مخاصر
ولى حاجة ان شئت أحرزت مجدها ... وسرك منها أول ثم آخر
كلام أمير المؤمنين وعَطفه ... فما لىَ بعد الله غيرك ناصر
وان ساعد المقدور فالنُّجح واقع ... والا فانى مخلص الود شاكر

ولابراهيم بن المدبر مع عريب أخبار حسان فمن ذلك أنها كتبت اليه وهى بسر من رأى تتشوقه وتخبره باستجابتها له واهتمامها بأمره وأنها قد سألت الخليفة في أمره فوعدها بما تحب فأجابها عن كتابها وكتب فى آخره

لعَمْرُك ما صوت بديع لمَعْبَد ... بأحسن عندى من كتاب عَرِيب
تأملت في أثنائه خط كاتب ... ورقة مشتاق ولفظ خطيب
وراجعني من وصلها ما استرقني ... وزهدني في وصل كل حبيب
فصرت لها عبدا مقرا بملكها ... ومستمسكا من ودها بنصيب

وزارته مرة وهو في داره على الشاطىء فى المطيرة واقترحت عليه حضور أبى العبيس فكتب اليه ابراهيم

قل لابن حمدون ذاك الأريب　　وذاك الظريف وذاك الحسيب
كتابي اليك بشكوى عريب　　لوجد شديد وشوق عجيب
وشوق اليك كشوق الغريب　　الى أرضه بعد طول المغيب
ويومي ان أنت أتممته　　بقربك ذو كل حسن وطيب
حباني الزمان كما أشتهي　　بقرب الحبيب وبعد الرقيب
فما زلت أشرب من كفه　　وأسقيه سقي اللطيف الأديب
ويشكو الي وأشكو اليه　　بقول عفيف وقول مريب
الى أن بدا لي وجه الصباح　　كوجهك ذاك العجيب الغريب
فلا تخلنا يا نظام السرو　　ر منك فأنت شفاء الكئيب
وغن لنا هزجا ممسكا　　تخف له حركات اللبيب
فانك قد حزت حسن الغنا　　وقد فزت منه بأوفى نصيب
وكن بأبي أنت رجع الجواب　　فداؤك أنفسنا من مجيب

واتصلت بعريب أشغال قطعتها مدة عن ابراهيم فكتب اليها

الى الله اشكو وحشتي وتفجعي　　وبعد المدى بيني وبين عريب
مضى دونها شهران لم أحل فيهما　　بعيش ولا من قربها بنصيب
فكنت غريبا بين أهلي وجيرتي　　ولست اذا أبصرتها بغريب
وان حبيبا لم ير الناس مثله　　حقيق بأن يفدى بكل حبيب

وأحسنت الثناء عليه مرة وتشوقته فكتب اليه بذلك ميمون بن هرون فكتب اليه

أتعلم يا ميمون ماذا تهيجه　　بذكرك أحبابي وحفظهم العهدا
ووصف عريب في كريم وفائها　　واجمالها ذكرى واخلاصها الودا
عليها سلامي ان تكن دارها نأت　　فقد قرب الله الذي بيننا جدا
سقى الله دارا بعدنا جمعتكم　　وأسكن رب العرش ساكنها الخلدا

وخص أبا عيسى الأمير بنعمة   وأسعد فيما أرتجيه له الجدا

فما ثم من مجد وطول وسودد   ورأى أصيل يصدع الحجر الصلدا

قال عبد الله بن حمدون اجتمعت أنا وابراهيم بن المدبر وابن منارة والقاسم بن زرزور في بستان بالمطيرة وفى يوم غيم يُهَرِيق ورده أو يقطر أحسن قطر ونحن فى أطيب عيش وأحسن يوم ، فلم نشعر الا بعريب قد أقبلت من بعيد ، فوثب ابراهيم بن المدبر من بيننا فخرج حافيا حتى تلقاها وأخذ بركابها حتى نزلت وقبل الأرض بين يديها ، وكانت قد هجرته مدة لشيء أنكرته عليه ، فجاءت وجلست وأقبلت عليه مبتسمة وقالت انما جئت الى من ههنا لا اليك ، فاعتذر وشيعنا قوله ، فرضيت وأقامت عندنا يومئذ وباتت واصطبحنا من غد وأقامت عندنا فقال ابراهيم

بأبى من حقق الظن به   فأتانا زائرا مبتديا

كان كالغيث تراخى مدة   وأتى بعد قنوط مُرْويا

طاب يومانا لنا فى قربه   بعد شهرين لهجر مضيا

فأقر الله عينى وشفى   سقما كان لجسمى مُبْليا

وله فيها

زعموا أنى أحب عَرِيبا   صدقوا والله حبا عجيبا

حل من قلبي هواها محلا   لم تدع فيه لخلق نصيبا

ليقل من قد رأى الناس قدما   هل رأى مثل عَرِيب عَرِيبا

هى شمس والنساء نجوم   فاذا لاحت أفلن غيوبا

وله فيها

ألا يا عريب وُقيت الردى   وجنبك الله صروف الزمن

فانك أصبحت زين النساء   وواحدة الناس فى كل فن

فقربك يدنى لذيذ الحياة   وبعدك ينفى لذيذ الوسن

فنعم الجليس ونعم الأنيس ونعم السمير ونعم السكن

وله فيها

ان عريبا خلقت وحدها فى كل مايحسن من أمرها
ونعمـــة الله فى خلقه يقصر العالم في شكرها
أشهـد فى جاريتها على انهما محسنتا دهرهـا
فبدعة تُبْدِع فى شجوها وتُحفَة تتحف فى زمرها
يارب أمتعها بما خوّلت وامدُد لنا يارب فى عمرها

وله من كتاب جوابا لها عن كتاب تسأله فيه عن خبره

وسألتموه بعـــدكم كيف حاله وذلك أمر بين ليس بشكل
فلا تسألوا عن قلبه فهو عندكم ولـكن عن الجسم المخلف فاسألوا

وكتبت اليه مرة مع جاريتها تحفة و بدعة (بنفسي أنت وسمعي وبصري وكل ذلك لك ، أصبح يومنا هذا طيبا ، طيب الله عيشك ، قد احتجبت سماؤه ، ورقّ هواؤه ، وتكامل صفاؤه ، فكأنه أنت فى رقة شمائلك ، وطيب محضرك ومخبرك ، لا فقدت ذلك أبدا منك ، ولم يصادف حسنه وطيبه نشاطا ولا طربا لأمور صدتنى عن ذلك أكره تنغيص ما أشتهى لك من السرور بنشرها ، وقد بعثت اليك ببدعة وتحفة ليؤنساك وتسر بهما سرك الله وسرنى بك) فكتب اليها

كيف السرور وانت نازحة عني وكيف يسوغ لى الطرب
ان غبت غاب العيش وانقطعت أسبابه وألحت الكرب

وأنفذ الجواب اليها فلم تلبث أن جاءته فبادر اليها وتلقاها حافيا حتى جاء بها على حمار مصرى كان تحتها الى صدر مجلسه يطأ الحمار على بساطه وما عليه حتى أخذ بركابها وأنزلها فى مجلسه وجلس بين يديها وقال

ألا رب يوم قصر الله طـــوله بقرب عريب حبذا هو من قرب

بها تحسن الدنيا وينعم عيشها　　وتجتمع السراء للعين والقلب

وله فيها

الا يا بأبى أنتم　　نأت داربنا عنكم

فان كنتم تبدلتم　　فما من بدل عنكم

وان كنتم على العهد　　فأحسنتم وأجملتم

وياليت المنى حقت　　فنبديها ولا نكتم

فمكنتم حيثما كنا　　وكنا حيثما كنتم

كان فى أصبع ابراهيم خاتمان وهبتهما له عريب وكانا مشهورين لها ، فاجتمع مع أبى العبيس بن حمدون فى اليوم التاسع والعشرين من شعبان على شرب ، فلما سكرا اتفقا على أن يصير ابراهيم الى أبى العبيس ويقيم عنده من غد ان لم ير الهلال وأخذ الخاتمين منه رهنا ، ورؤى الهلال فى تلك الليلة وأصبح الناس صياما ، فكتب ابراهيم الى أبى العبيس يطالبه بالخاتمين ، فدافعه وعبث به فكتب اليه من غد

كيف أصبحت ياجُعلت فداكا　　انى أشكى اليــك جفاكا

قد تمادى بك الجفاء وما كنــت حقيقا ولا حريا بذاكا

كن شبيها بمن مضى جعـل الـلــه لك العمر دائمـا ورعاكا

ان شهر الصيام شهر فكاك　　أنت فيه ونحن نرجو الفكاكا

فاردد الخاتمين ردا جميــلا　　قد توليت فيهما ما كفاكا

ياأبا عبــد الله دعوة داع　　يرتجى نجــح أمره أو دعاكا

خاتماي اللذان عن أبى العبا　　س قد شـارفا لديه الهلاكا

وهو حر وقد حكاك كما أنــك فى المكرمات تحكى أباكا

فبعث اليه بالخاتمين

غنى أبو العبيس يوما عند ابراهيم

انى سألتــك بالذى　　أدنى اليك من الوريد

الا وصلت حبالنا وكفيتنا شر الوعيد

فزاد فيه ابراهيم

الهجر لا مستحسن بعد المواثق والعهود

وأراكِ مُغراة به أفما غَرِضت من الصدود

انى أجدد لذتى ما لاح لى يوم جديد

شربى معتقة الكرو م ونزهتى ورد الخدود

وله فى مغنية اسمها نبت

نبت اذا سكتت كان السكوت لها زينا وان نطقت فالدر ينتثر

وانما أقصدت قلبى بمقلتها ما كان سهم ولا قوس ولا وتر

وقوله

يانبت يانبت قد هام الفؤاد بكم وأنت والله أحلى الخلق انسانا

ألا صليني فانى قد شغفت بكم ان شئت سرا وان أحببت اعلانا

قال على بن العباس دخل أبى ليلة على ابراهيم بن المدبر فى أيام نكبته ببغداد فى ليلة غيم فلاح برق من قطب الشمال ونحن نتحدث، فقطع الحديث وأمسك ساعة مفكرا ثم أقبل على فقال

بارق شرده الكرى لاح من نحو ما ترى

هاج للقلب شجوه فاعترى منه ما اعترى

أيها الشادن الذى صاد قلبى وما درى

كن عليا بشقوتى فيك من بين ذا الورى

وقال وقد زارته بدعة وتحفة

أيها الزائران حياكما اللـه ومن أنتما له بالسلام

مارأينا فى الدهر بدرا وشمسا طرقا ثم رجعا بالكلام

كيف خلفتما عَرِيبا سقاها الا ـــه رب العباد صَوْب الغمام

هى كالشمس والحسان نجوم ليس ضوء النهار مثل الظلام

جمعت كل ماتفرق فى النا س وصارت فريدة فى الأنام

كتب الى بدعة وتحفة يستدعيهما ، فتأخرتا عنه ، فكتب اليهما

قل يارسول لهذه ولهذه بأبى هُما

قد كان وصلكما لنا حسنا ففيم قطعتما؟

أعَرِيب سيدة النسا ء بهجرنا أمرتكما؟

كلا وبيت الله بل هـذا جفاء منكما

وقال فى أبى الصقر اسمعيل بن بلبل وكان صديقا له فجفاه لما نكب

لا تطل عذلى غَيا ان فى العذل عناء

لست أبكى بطن مَرّ فكديا فكداء

انما أبكى خليلا خان فى الود الصفاء

يا أبا الصقر سقا ك الله تهتانا روِاء

وأدام الله نعما ك وملاك البقاء

لم تجاهلت ودادى وتناسيت الاخاء ؟

كنت برا فعلى رأ سى تعلمت الجفاء

لا تميلن مع الريـــح اذا هبت رُخاء

ربما هبت عقيما تترك الدنيا هَباء

زارته عريب فقال لها رأيت البارحة فى النوم أبا العبيس وقد غنى في هذا الشعر وأنت تراسلينه فيه

يا خليــــلى أرقنا حزنا لِسنَا برق تبدّى موهنا

وكأنى أجزته بهذا البيت وسألتكما أن تضيفاه الى الأول

وجلا عن وجه وَعْد موهنا عجبا منه سنًا أبدى سنا

فقالت ما أملح والله الابتداء والاجازة فاجعل ذلك فى اليقظة واكتب الى أبى العبيس وسله عنى وعنك الحضور ، فكتب اليه ابراهيم

يا أبا العباس يا أفتى الورى زارنا طيفك فى سكر الكرى

وتغني لي صوتا حسنا فى سنا برق على الأفق سرى

وعَرِيب عندنا حاصلة زين من يمشى على وجه الثرى

نحن أضيافك فى منزلنا ثمناك فكن أنت القِرَى

فسار اليهما أبو العبيس وحدثه ابراهيم برؤياه فحفظا الشعر وغنيا فيه بقية يومهما غنى أبو العبيس يوما هذين البيتين

يا معشر الناس أما مسلم يشفع عند المذنب العاتب

ذاك الذى يهرُب من وصلنا تعلقوا بالله بالهارب

فزاد فيهما قوله

ملكته حبلى ولكنه ألقاه من زهد على غاربى

وقال انى فى الهوى كاذب فانتقم الله من الكاذب

ومن قوله فى جارية مغنية كان يحبها

غادرت قلبى فى إسار لديك فويلتا منكِ وويلى عليك

قد يعلم الله على عرشه أنى أعانى الموت شوقا اليك

مُنّى بفك الأسر أو فاقتلى أيهما أحببتِ من حُسْنَيَيك

قد كنت لا أعدو على ظالم فصرت لا أُعدَى على مقلتيك

الخمر من فيك لمن ذاقه والورد للناظر من وجنتيك

ياحسرتا ان مت طوع الهوى ولم أنل ما أرتجيه لديك

ولى ابراهيم بن المدبر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغور الجزرية، فكان أكثر

مقامه بمنبج ، فخرج فى بعض أيام ولايته الى نواحى دُلوك برعبان وخلف بمنبج جارية كان يتحظاها مغنية يقال لها غادر، فحدثنى بعض كتابه أنه كان معه بدُلوك وهو على جبل من جبالها فيه دير يعرف بدير سليمان من أحسن بلاد الله وأنزهها فنزل عليه ودعا بطعام خفيف فأكل وشرب ، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب.

أيا ساقيينا وسط دير سليمان ... أديرا الكؤوس فانهلانى وعلانى
وخصا بصافيها أبا جعفر أخى ... وذا ثقتى بين الانام وخُلْصانى
وميلا بها نحو ابن سلام الذى ... أوَد وعودا بعد ذاك لنعمان
وعُمّا بها النّدمان والصحب انني ... تنكرت عيشى بعد صحبى واخوانى
ولا تتركا نفسى تمت بسَقامها ... لذكرى حبيب قد شجانى وعنّانى
ترحلت عنه عن صدود وهجرة ... وأقبل نحوى وهو باك فأبكانى
وفارقته والله يجمع شملنا ... بلوْعه محزون وغلة حرّان
وليلة عين المرج زار خياله ... فهيج لى شوقا وجدد أشجانى
فأشرفت أعلى الدير أنظر طامحا ... بألْمح آماق وأنظر انسان
لعلى أرى أبيات منْبج رؤية ... تسكن من وجدى وتكشف أحزانى
فقصر طرفى واستهل بعبرة ... وفديت من لو كان يدرى لفدّانى
ومثّله شوقى الىّ مقابلا ... وناجاه قلبى بالضمير وناجانى

مانى الموسوس

هو رجل من أهل مصر يكنى أبا الحسين واسمه محمد بن القاسم، شاعر لين الشعر رقيقه لم يقل شيئا الا فى الغزل ، ومانى لقب غلب عليه وكان قدم مدينة السلام ، وكان مليح الانشاد حلوه رقيق الشعر غزله ، قال أبو العباس بن عمار كان مانى يألفنى فكان ينشدنى الشئ ثم يخالط فيقطعه ، وكان يوما جالسا الى جنبى فأنشدنى للعريان البصرى

ما أنصفتك العيون لم تكِف وقد رأيت الحبيب لم يقف
فابك ديار أهل الحبيب بها يباع منه الجفاء بالأُلطف
ثم استعارت مدامعا كسد اللوم عليها من عاشق كلف
كأنها اذ تقنعت ببلىً شمطاء ما تستقل من خرف
ياعين إما أريتني سكنا غضبان يَزْوِى بوجه منصرف
فمثليه للقلب مبتسما في شخص راض عليَّ منعطف
ان تَصفيه للقلب منقبضا فأنت أشقى منه به فصفى
يقال بالصبر قتل ذى كلَف كيف وصبرى يموت من كلفى
اذا دعا الشوقُ عبرة لهوى فأى جفن يقول لا تكفِى
ومستراد للهو تنفسح الـملة فى حافتيه مؤتلف
قصَّرتُ أيامه على نفر لا ممعتن بالندى ولا أسِف
بحيث ان شئت أن ترى قمرا يسعى عليهم بالكأس ذا نُطَف

ثم أنشد لنفسه يعارضها

أقفر مغْنَى الديار بالنَّجَف وخلت عما عهدت من لطف
طويت عنها الرضا مذمَّمة لما انطوى غض عيشها الانُف
حلت عن سكرة الصبابة من خوف المهى بعزك قذف
سئمت ورْد الصِّبا فقد يبست مني بنات الخدور والخزف
سلوت عن نُهد نُسبن الى حسن القوام واللحظ في وطف
يمددن حبل الصبا لمن ألفت رجلاه قيد المجون والدنف
ومُدنَفٍ عاد فى النحول من الـوجد الى مثل رقة الألف
يشارك الطير في النحيب ولا يشركنه فى النحول والقضف
ومسمعات نهكن أعظمه فهو من الضيم غير منتصف

مفتخرات بالجور عُجْبا كما يفخر أهل السفاه بالجنف
وقهوة من نِتاج قَطْرُبُلٍ تَخْطَف عقل الفتى بلا عنف
تَرْجع شَرْخ الشباب للخرف الفانى وتدنى الفتى من الشغف

فبينما هو ينشد اذ نظر الى إمام المسجد الذى كنا بازائه قد صعد المئذنة ليؤذن فأمسك عن الانشاد ونظر اليه، وكان شيخا ضعيف الجسم والصوت، فأذن أذانا ضعيفا بصوت مرتعش، فصعد اليه مان مسرعا حتى صار معه على رأس الصومعة، ثم أخذ بلحيته فصفعه صفعة ظننت أنه قد قلع رأسه وجاء لها صوت منكر شديد، ثم قال اذا صعدت المنارة لتؤذن فمطمط ولا تمطمط، ثم نزل ومضى يعدو على وجهه، ولقيت عَنَتا من عنت الشيخ وشكواه اياى الى أبى ومشايخ الجيران يقول لهم هذا ابن عمار يجىء بالمجانين فيكتب هذيانهم ويسلطهم على المشايخ فيصفعونهم فى الصوامع اذا أذنوا، حتى صرت الى منزله فاعتذرت وحلفت انى انما كنت أكتب شيئا من شعره وما عرفت ما عمله ولا أحطت به علما

عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الصبوح فقال لقد خطر ببالى رجل ليس علينا فى منادمته ثقل، قد خلا من ابرام المجالسين وبرئ من ثقل المؤانسين، خفيف الوطأة اذا أدنيته سريع الوثبة اذا أمرته، وهو مان، فتقدم الى صاحب الشرطة بطلبه واحضاره، فما كان بأسرع من أن قبض عليه وأحضر، فلما مَثَل بين يديه سلم، فقال له عبد الله أما حان لك أن تزورنا مع شوقنا اليك ؟ فقال مان أعز الله الأمير الشوق شديد والود عتيد والحجاب صعب والبواب فظ ولو سهل لنا الاذن لسهلت علينا الزيارة، فقال له محمد لقد لطفت الاستئذان وأمره بالجلوس فجلس فغنت جاريته

ولست بناس اذ غدَوْا فتحملوا دموعى على الخدين من شدة الوجد
وقولى وقد زالت بعينى حمولهم بواكر تُحْدَى، لا يكن آخر العهد

فقال لها مان ان رأيت أن تزيدى مع الشعر هذين البيتين

وقت أناجى الدمع والقلب حائر بمقلة موقوف على الضر والجهد

ولم يُعْدِنى هذا الأمير بعدله على ظالم قد لج فى الهجر والصد

فقال له محمد ومن أى شىء استعديت يامان؟ فاستحيا وقال لا من ظلم أيها الأمير ولكن الطرب حرك شوقا كامنا ثم غنت

حجبوها عن الرياح لأنى قلت ياريح بلغيها السلاما

لو رَضُوا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرياح الكلاما

فقال ما كان على قائل هذين البيتين لو أضاف اليهما هذين البيتين

فتنفست ثم قلت لطيفى وَيكَ ان زرت طيفها الماما

حيِّها بالسلام سرا والا منعوها لشقوتى أن تناما

فقال محمد أحسنت يامان ثم غنت

ياخليلى ساعة لا تَرِيما وعلى ذى صبابة فأقيما

ما مررنا بقصر زينب الا فضح الدمع سرك المكتوما

فقال مان لولا رهبة الأمير لأضفت الي هذين البيتين بيتان لا يردان على سمع سامع ذى لب فيصدرا الا عن استحسان لهما ، فقال محمد الرغبه فى حسن ما تأتى به حائلة عن كل رهبة فهات ما عندك فقال

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخر بطرف لغادرته هشيما

واذا ما تبسمت خلت ما يبدو من الثغر لؤلؤا منظوما

فقال محمد ان أحسن الشعر ما دام الانسان يشرب ما كان مكسوا الحنا حسنا تغنى به منوسة وأشباهها ، فان كست شعرك من الألحان مثل ما غنت قبله طاب ، فقال ذلك اليها ، فقال له ابن طالوت كيف هى عندك فى حسنها وجمالها وغنائها وأدبها ؟ قال هى غاية ينتهى اليها الوصف ثم يقف ، قال قل فى ذلك شعراء فقال

وكيف صبر النفس عن غادة تظلمها ان قلت طاووسة
وجُرْت ان شبهتها بانة في جنة الفردوس مغروسة
وغير عدل ان عدلنا بها لؤلؤة في البحر منفوسة
جلت عن الوصف فما فكرة تلحقها بالنعت محسوسة

فقال ابن طالوت قد وجب شكرك يامان ، فساعدك دهرك وعطف عليك الفلك ونلت سرورك وفارقت محذورك ، والله يديم لنا ولك بقاء من ببقائه اجتمع شملنا وطاب يومنا ، فقال مان

مد من التخفيف موصول ومطيل اللبث مملول

فأنا أستودعكم الله، ثم قام وانصرف ، فأمر له محمد بن عبد الله بصلة ثم كان كثيرا ما يبعث بطلبه اذا شرب فيَبَرُّه ويصله ويقيم عنده

حدث بعض الكتاب قال لقيني مان بعد انقطاع طويل عني فقال ما قطعني عنك الا أني هائم ، قلت بمن ؟ قال ان شئت تراه الساعة رأيته فعذرتني ، قلت فأنا معك ، فمضى حتى وافى باب الطاق ، فأراني غلاما جميل الوجه بين يدى بزاز في حانوته ، فلما رآه الغلام عدا فدخل الحانوت ووقف مان طويلا ينتظره فلم يخرج فأنشأ يقول

ذنبي اليه خضوعى حين أبصره وطول شوقي اليه حين أذكره
نفسي على بخله تَفديه من قمر وان رماني بذنب ليس يغفره
وعاذل باصطبار القلب يأمرني فقلت من أين لى صبر فأهجره؟

جعيفران الموسوس

هو جعيفران بن علي بن أصفر الأبناوي ، من ساكني سُرَّ من رأى ، ومولده ومنشؤه ببغداد ، وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانية ، وكان يتشيع ويكثر لقاء أبي الحسن علي بن موسى بن جعفر ، وكان جعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً وغلبت

عليه المِرَّة السوداء فاختلط و بطل فى أ كثر أرقاته ومعظم أحـواله ، ثم كان اذا أفاق ثاب اليه عقله وطبعه فقال الشعر الجيد

ومن قوله وفيه غناء

أتهجر من تحب بغير جرم   أسأتَ اذًا وأنت له ظلوم

تؤرقنى الهموم وأنت خِلْوٌ   لعمرك ما تؤرقك الهموم

قال عثمان بن محمد الكاتب كنت يوما برُصافة مدينة السلام جالسا اذ جاءنى جعيفران وهو مغضب فوقف على وقال

استوجب العالم منى القتلا

فقلت ولم ياأبا الفضل ؟ فنظر الىَّ نظرة منكرة خفت منها وقال

لما شعَرت فرأَوْنى فحلا

ثم سكت هنيهة وقال

قالوا علىَّ كذبا وبُطْلا   انى مجنون فقدت العقلا

قالوا المحال كذباوجهـــلا   أقْبِحْ بهذا الفعل منهم فعلا

ثم ذهب لينصرف فخفت أن يؤذيه الصبيان فقلت اصبر فدينك حتى أقوم معك فانك مغضب وأ كره أن تخرج على هذه الحال ، فرجع الى وقال سبحان الله أترانى أنسبهم الى الكذب والجهل واستقبح فعلهم وتتخوف منى مكافأتهم ؟ ثم ولى وهو يقول

لست براض من جهول جهلا   ولا مجازيه بفعل فعـــلا

لـكن أرى الصفح لنفسى فضلا   من يرد الخير يجده سهــلا

وقال كنت أشرف من سطح لى على جيعفران وهو فى دار وحـده وقد اعتل وتحركت عليه السوداء فهو يدور فى الدار طول ليلته ويقول

طاف به طَيْف من الوَسواس   نفَّر عنـــه لذة النعاس

فما يُرى يأنس بالأناس ولا يَلَذّ عشرة الجلاس

فهو غريب بين هذى الناس

حتى أصبح وهو يرددها ثم سقط كأنه بقلة ذابلة

ومن قوله وقد اجتمع حوله الصبيان

رأيت الناس يدعونى بمجنون على حالى

ومالى اليوم من جن ولا وَسواس بِلْبال

وَلكن قولهم هذا لافلاسى واقلالى

ولو كنت أخا وفر رخيا ناعم البال

رأَوْنى حسن العقل أُحُلّ المنزل العالى

وما ذاك على خير ولكن هيبة المال

ثم غير القافية فقال

رأيت الناس يرمونى أحيانا بوسواس

ومن يَضْبِط ياصاح مقال الناس فى الناس

فدع ماقاله الناس ونازع صفوة الكاس

فتى حرا صحيح الود ذا بر وايناس

فان الخلق مغرور بأمثالى وأجناسى

ولو كنت أخا مال أتونى بين جلاسى

يُحيُّونى ويحبُوا لى على العينين والراس

ويدعونى عزيزا غير أن الذل افلاسى

جلس مع قوم ينادمهم ثم قام ليبول فقال بعض من حضر أى شىء معنى عشرتنا لهذا المجنون العريان ؟ والله ما نأمنه وهو صاح فكيف اذا سكر ؟ وفطن جعيفران للمعنى فخرج اليهم وهو يقول

ونَدَامَيَّ أكلونى   اذ تغيبت قليلا
زعموا أنى مجنو   ن أرى العُرْىَ جميلا
كيف لا أعْرَى وما أُبـ   ـصر فى الناس مثيلا؟
ان يكن قد ساءكم قر   بى تخلوا لى سبيلا
وأتموا يومكم سر   كم الله طويلا

فاعتذروا اليه وقالوا له والله ما نلتذ الا بقربك وأتوه بثوب فلبسه وأتموا يومهم معه

استأذن حاجب أبى دلف القاسم بن عيسى العجلى لجعيفران ، فقال له أى شىء أصنع بموسوس ؟ قد قضينا حقوق العقلاء وبقى علينا حقوق المجانين ؟ فقال له على بن يوسف جعلت فداء الأمير موسوس أفضل من كثير من العقلاء ، وان له لسانا يتقى وقولا مأثورا يبقى فالله الله أن تحجبه فليس عليك منه أذى ولا ثقل ، فأذن له ، فلما مثل بين يديه قال

يا أكرم العالم موجودا   ويا أعز الناس مفقودا
لما سألت الناس عن واحد   أصبح فى الأمة محمودا
قالوا جميعاً انه قاسم   أشبه آباء له صيدا
لو عبدوا شيأ سوى ربهم   أصبحت فى الأمة معبودا
لازلت فى نُعمَى وفى غبطة   مكرما فى الناس معدودا

فأمر له بكسوة وبألف درهم فأخذ منها عشرة وقال تأمر القهرمان أن يعطينى الباقى مفرقا كلما جئت لئلا يضيع ، فقال للقهرمان أعطه المال وكلما جاءك فأعطه ماشاء حتى يفرق الموت بيننا ، فبكى عند ذلك جعيفران وتنفس الصعداء وقال

يموت هذا الذى أراه   وكل شىء له نفاد
لو غير ذى العرش دام شىء   لدام ذا المفضل الجواد

ثم خرج فقال أبو دلف لعلى بن يوسف أنت كنت أعلم به منى ، قال وغبر مدة ثم لقينى وقال يا أبا الحسن مافعل أميرنا وسيدنا وكيف حاله ؟ فقلت بخير على غاية الشوق اليك ، فقال أنا والله يا أخى أشوق ولكني أعرف أهل العسكر وشرههم والحاحهم والله ما أراهم يتركونه من المسألة ولا يتركهم ولا يتركه كرمه أن يخليهم من العطية حتى يخرج فقيرا ، فقلت دع عنك هذا وزُره فان كثرة السؤال لا تضر بماله ، فقال وكيف ؟ أهو أيسر من الخليفة ؟ قلت لا ، قال والله لو تبذّل لهم الخليفة كما يتبذل أبو دُلَف وأطمعهم فى ماله كما يطمعهم لأفقروه فى يومين ولكن اسمع ما قلته فى وقتى هذا ، فقلت هاته يا أبا الفضل ، فأنشأ يقول

أبا حسن بلغَنْ قاسما بأنى لم أجفُه عن قِلَى
ولا عن مـلال لاتيانه ولا عن صدود ولا عن عنا
ولـكن تعففت عن ماله وأصفيته مدحتى والثنا
أبو دلف سيد ماجـد سَنِيّ العطية رَحْب الفِنا
كريم اذا انتابه المعتفو ن عمهـم بجزيل الحُبا

فأبلغتها أبادلف وحدثته بالحديث الذى جرى فقال لى قد لقيته منـذ أيام ، فلما رأيته وقفت له وسلمت عليه وتحفيت به ، فقال لى سر أيها الأمير على بركة الله ثم قال لى

يا معدى الجود على الأموال ويا كريم النفس فى الفعـال
قد صنتني عن ذلة السؤال بجودك الموفى عـلى الآمال
صانك ذو العزة والجلال من غـير الأيام والليالى

ولم يزل يختلف الى أبى دلف ويبره حتى افترقا

على بن آدم

هو رجل من تجار أهل الكوفة كان يبيع البزّ، وكان متأدبا صالح الشعر يهوى جارية يقال لها منهلة واستهام بها مدة فمات أسفا عليها، وله حديث طويل معها فى كتاب مفرد مشهور، صنفه أهل الكوفة لهما، ذكر فيه قصصهما وقتا وقتا وما قال فيها من الأشعار وأمرها متعالم عند العامة وليس مما يصلح الاطالة به.

ومن شعره وفيه غناء

يا نصب عينى لا أرى ... حيث التفتّ سواك شيا

انى لميْت ان صددت ... وان وصلت رجعت حيا

ومن قوله وفيه غناء

صاحوا الرحيلُ وحثّنى صحبي ... قالوا الرّواحُ فطيروا لُبّى

واشتقت شوقا كاد يقتلنى ... والنفس مشرفة على نَحْبْ

لم يلق عند البين ذو كلف ... يوما كما لاقيت من كرب

لاصبر لي عند الفراق على ... فقد الحبيب ولوعة الحب

ومن قوله فيها وكانت لابسة سوادا

انى لما يعتادنى ... من حب لابسة السواد

فى فتنة وبلية ... ما إن يطيقهما فؤادى

فبقيت لادنيا أصبت ... وفاتني طلب المعاد

ابو الشبل

هو عاصم بن وهب بن البَراجم، مولده الكوفة، ونشأ وتأدب بالبصرة، وقدم الى سُرّ من رأى فى أيام المتوكل ومدحه، وكان طيبا نادرا كثير الغزل ماجنا فنَفَق عند المتوكل بايثاره العبث، وخدمه وخُصّ به فأثرى وأفاد. ولما مدح المتوكل بقوله

أقبلي فالخير مقبل   واتركي قول المعلّل
وثقي بالنُّجح اذ أبصر   ت وجه المتوكل
ملك ينصف ياظا   لمتي فيك ويعدل
فهو الغاية والمأ   مول يرجوه المؤمل

أمر له بألف درهم لكل بيت وكانت ثلاثين بيتا

ومن قوله وفيه غناء

بأبي ريم رمى قلـ   ـبي بألحاظ مراض
حمى عيني أن تلـ   ـتذ طيب الاغماض
كلما رمت انبساطا   كفّ بسطي بانقباض
أو تعالى أملي فيـ   ـه رماه بانخفاض
فمتى ينتصف المظلو   م والظالم قاض

كان فى جيرانه طبيب أحمق فمات فرثاه بقوله

قد بكاه بول المريض بدمع   واكف فوق مقلتيه ذروف
ثم شقت جيوبهن القواريـ   ـر عليه ونحن نوح اللهيف
يا كساد الخيار شنبر والأقرا   ص طرا ويا كساد السفوف
كنت تمشي مع القوى فان جا   ء ضعيف لم تكترث لضعيف
لهف نفسى على صنوف رقاعا   ت تولت منه وعقل سخيف

قال أبو الشبل حضرت مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان الى محسنا وعلى مفضلا ، فجرى ذكر البرامكة ، فوصفهم الناس بالجود وقالوا فى كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثروا ، فقمت فى وسط المجلس فقلت لعبيد الله أيها الوزير انى قد حكمت في هذا الخطب حكما نظمته فى بيتى شعر لا يقدر أحد أن

يرده على ، وانما جعلته شعرا ليدور ويبقى ، فيأذن الوزير فى انشادها ، قال قل فرب صواب قد قلته ، فقلت

رأيت عبيد الله أفضل سُوددا ‏ ‏ وأكرم من فضل ويحيى بن خالد

أولئك جادوا والزمان مساعد ‏ ‏ وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

فتهلل وجه عبيد الله وظهر السرور فيه وقال أفرطت أبا الشبل ولا كل هذا ، فقلت والله ما حابيتك أيها الوزير ولا قلت الاحقا ، واتبعني القوم فى وصفه وتقريظه ، فما خرجت من مجلسه الا وعلى الخلع وتحتى دابة بسرج ولجام وبين يدى خمسة آلاف درهم

ومن قوله

عذيرى من جوار الحىّ اذ يرغبن عن وصلى

رأين الشيب قد ألبسنى أُبَّهة الكهل

فأعرضن وقد كن اذا قيل أبو الشبل

تساعين فرقَّعن الكُوَى بالأعين النجل

وهذا سرقه من قول العتبى

رأين الغوانى الشيب لاح بمفرقى ‏ ‏ فأعرضن عنى بالخدود النواضر

وكن اذا أبصرننى أو سمعننى ‏ ‏ سعين فرقعن الكُوَى بالمحاجر

ومن قوله يرثى مسرجة له نطحها كبش له فكسرها

يا عين بَكّى لفقد مَسْرَجة ‏ ‏ كانت عمود الضياء والنور

كانت اذا ما الظلام ألبسنى ‏ ‏ من حِنْدِسِ الليل ثوب دَيْجور

شقت بنيرانها غياطله ‏ ‏ شقاً رعى الليل بالدياجير

صينية الصين حين أبدعها ‏ ‏ مصور الحسن بالتصاوير

وقبل ذا بدعة أتيح لها ‏ ‏ من قبل الدهر قَرْن يَعْفُور

وصكها صكة فما لبثت أن وردت عسكر المكاسير
وان تولت فقد لها تركت ذكرا سيبقى على الأعاصير
من ذا رأيت الزمان ياسره فلم يَشُبْ يسره بتعسير
ومن أتاح الزمان صفوته فلم يشب صفوه بتكدير
مسرجتى لو فديت مابخلت عنك يد الجود بالدنانير
ليس لنا فيك ما نقدره لكنما الأمر بالتقادير
مسرجتى كم كشفت من ظلم جلَّيت ظلماها بتنوير
أوحشت الدار من ضيائك والبيت الى مطبخ وتنّور
الى الرّواقين فالمجالس فالمزبد مذ غبت غير معمور
قلبى حزين عليك اذ بخلت عليك بالدمع عين تنمير
ان كان أودى بك الزمان فقد أبقيتَ منك الحديث فى الدور
دع ذكرها واهج قَرْن ناطحها واسرُد أحاديثه بتفسير
كان حديثى انى اشتريت فما اشتريت كبشا سليل خنزير
فلم أزل بالنوى أسمنه والتبن والقتّ والأناجير
أبْرُد الماء فى القِلال له وأتقى فيه كل محذور
تخدُمُه طول كل ليلتها خدمة عبد بالذل مأسور
وهى من التيه ما تكلمنى الفصيح الا من بعد تفكير
شمس كأن الظلام ألبسها ثوبا من الزفت أو من القير
من جلدها خفها وبرقعها حوراء فى غير خلقة الحور
فلم يزل يغتذى السرور وما الا محزون فى عيشه كمسرور
حتى عدا طورَه وحق لمن يكفر نعمى تقريب تغيير
فمد قرنيه نحو مسرجة تعد فى صون كل مذخور

شد عليها بقرن ذى حنَق معوَّد للنطاح مشهور
وليس يقوى برُوقه جبل صَلْد من الشُّمَّخ المذاكير
تكسرت كسرة لها ألم وما صحيح الهوى كمكسور
فأدركته شعوب فانشعبت بالروع والشلو غير مقتور
أُديل منه فأدركته به من المنايا بحد مطرور
يلتهب الموت فى ظُباه كما تلتهب النار فى المساعير
ومزقته المُدى فما تركت كف القِرَى منه غير تعسير
واغتاله بعد كسرها قدَر صيره نُهزة السنا نير
فمزقت لحمه براثنها وبذرته أشد تبذير
واختلسته الحداء خلْسا مع الغربان لم تزدجر لتكبير
وصار حظ الكلاب أعظمه يهشم ألحاءها بتكسير
كم كاسر نحوه وكاسرة سلاحها فى شفى المناقير
وخامع نحوه وخامعة سلاحها فى شبا الأظافير
قد جعلت حول شلوه عرسا بلا افتقار الى مزامير
ولا مغن سوى همَاهمها اذا تمطت لوارد العير
يا كبش ذق اذ كسرت مسرجتى لمدية الموت كأس تنحير
بغيت ظلما والبغى مصرع من بغى على أهله بتغيير
أُضحيّة ما أظن صاحبها فى قسمه لحمها بمأجور

رأى أبو الشبل ابراهيم بن العباس يكتب فأنشأ يقول

ينظِّم اللؤلؤ المنثور منطقه وينظم الدر بالأقلام والكتب

قال أبو الشبل كان حاتم بن الفرج يعاشرنى ويدعونى وكان أهتم ، قال أبو الشبل وأنا أهتم وكان أبى وأهل بيتى لا تكاد تبقى فى أفواههم حاكة ، فقال أبو عمر أحمد بن المنجم

لحاتم فى بخله فطنة أدق حسا من خطا النمل

قد جعل الهمان ضيفا له فصار فى أمن من الأكل

ليس على خبز امرئ ضيعة أكيله عضم أبو الشبل

ماقدر مايحمله كفه الى فم مَنْ سنُّه عُطْل

فحاتم الجود أخوطيئ مضى وهذا حاتم البخل

قال الحسن بن على الشيبانى دخلت على أبى الشبل يوما فوجدت تحت مخدته ثلث قرطاس ، فسرقته منه ولم يعلم بى ، فلما كان بعد أيام جاءنى فأنشدنى لنفسه يرثى ذلك الثلث القرطاس

فِكَرٌ تعترى وحزن طويل وسقيم أنحى عليه النحول

ليس يبكى رسما ولا طللاً مــحَّ كما تُندب الرُّبا والطلول

انما حزنه على ثلث كا ن لحاجاته فغالته غول

كان للسر والأمانة والكتـ ـمان ان باح بالحديث الرسول

كان مثل الوكيل فى كل سوق ان تلكَّا أو قلَّ يوماوكيل

كان للهم ان تراكم فى الصد ر فلم يُشْفَ من عليل غليل

لم يكن يبتغى الحجاب من الحجـ ـاب ان قيل ليس فيها دخول

ان شكا حاجبا تشدد فى الاذ ن فللحاجب الشقى العويل

يرفع الحبر عنه والورق والكســوة فهو المطرود وهو الذليل

كان يُثْنَى فى جيب كل فتاة دونها خندق وسور طويل

يقف الناس وهو أول من يُد خله القصرَ غادة عُطْبول

فاذا أبرزته فاح به فى الـ قصر مسك وعنبر معلول

وله الحب والكرامة ممن يك صبا واللثم والتقبيل

ليس كالكاتب الذى لأبى الخطــاب يكنى قد شابه التطفيل

ذا كريم يدعى وهـذا طفيلـــى وهـــذا وذا جميعا ذليل
ذاك بالبشر والجماعـة يلقى ولهـذا الحجاب والتنكيل
لم يفد فودة الزمان على الأ لـــسن منه عطف ولا تنويل
كان مع ذا عدل الشهادة مقبو لا اذا عز شاهـدا تعديل
واذا ما التوى الهوى بالاليفيـــن فـلم يرع فاصلا موصول
فهو الحاكم الذى قوله بيـــن الأليفين جائز مقبول
فلئن شتت الزمان به شمـ ل دوائى وحان منه رحيل
لقديـما ما شتت البين والأ لـ فة من صاحب فصبر جميل
لا تلمنى على البكاء عليه ان فقد الخليل خطب جليل

قال فرددته عليه ، وكان اتهـم به أبا الخطاب الذى هجاه فى هذه القصيدة ، فقال لى ويلك نجوت ووقع ابو الخطاب بلا ذنب ولو عرفت انك صاحبها لكان هذا لك ولـكنك قد سلمت

ديك الجن

هو عبد السلام بن رَغْبَان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان ابن زيد بن تميم ، وديك الجن لقب عليه ، وكان جده تميم ممن أنعم الله عز وجل عليه بالاسلام من أهل مُؤْتَة على يدى حبيب بن مَسْلمة الفِهرى ، وكان شديد التشعب والعصبية على العرب يقول ما للعرب علينا فضـل جمعتنا واياهم ولادة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وأسلمنا كما أسلموا ، ومن قتل منهم رجلا منا قتل به، ولم نجد الله عز وجل فضلهم علينا اذ جمعنا الدين

وهو شاعر مجيد يذهب مذهب أبى تمام والشاميين في شعره ، من شعراء الدولة العباسيـة ، وكان من ساكنى حمص ولم يبرح نواحى الشام ولا وفـد الى العراق ولا الى غيره منتجعا بشعره ولا متصديا لأحد ، وكان يتشيع تشيعا حسنا

وله مراث كثيرة فى الحسين بن على عليهما السلام منها قوله

يا عين لا للقضاء والكتب بكا الرَّزايا سوى بكا الطرب

شهر بجارية نصرانية من أهل حمص هَوِيها وتمادى به الأمر حتى غلب عليه وذهبت به ، فلما اشتهر بها دعاها الى الاسلام ليتزوج بها فأجابته لعلمها برغبته فيها وأسلمت على يده فتزوجها وكان اسمها وردا ففى ذلك يقول

انظر الى شمس القصور وبدرها والى خُزاماها وبهجة زَهْرها

لم تبك عينك أبيضا فى أسود جمع الجمال كوجهها فى شعرها

وردية الوَجَنات يختبر اسمها من ريقها مالايحيط بخُبْرها

وتمايلت فضحكت من أردافها عجبا ولكني بكَيْت لخصْرها

تسقيك كأس مدامة من كفها وردية ومدامة من ثغرها

وكان قد أعسر واختلت حاله فرحل الى سلَمْيَة قاصدا لأحمد بن على الهاشمى فأقام عنده مدة طويلة ، وحمل ابنَ عمه بغضُه اياه بعد مودته له واشفاقه عليه بسبب هجائه له على انه أذاع على تلك المرأة التى تزوجها عبد السلام أنها تهوَى غلاما له، وقرر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه واخوانه، وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام فكتب الى أحمد بن على شعرا يستأذنه فى الرجوع الى حمص ويعلمه بما بلغه من خبر المرأة من قصيدة أولها

ان ريب الزمان طال انتكاثه كم رمتنى بحادث أحداثه

يقول فيها

ظبى أنس قلبى مقيل ضحاه وفؤادى بريره وكِباثه

وفيها يقول

خيفة أن يخون عهدى وان يضحى لغيره حُجوله ورِعاثُه

ومدح أحمد بعد هذا، وهى طويلة، فأذن له فعادالى حمص وانتظر ابن عمه وقت

قدومه، فأرصد له قوما يعلمونه بموافاته باب حمص، فلما وافاه خرج اليه مستقبلا ومعنفا على تمسكه بهذه المرأة بعد ماشاع ذكرها بالنساء، وأشار عليه بطلاقها وأعلمه أنها قد أحدثت فى مغيبه حادثة لا يجمل به المقام عليها، ودس الرجل الذى رماها به وقال له اذا قدم عبد السلام ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه فناد باسم ورد فاذا قال من أنت ؟ فقل أنا فلان، فلما نزل عبد السلام منزله وألقى ثيابه سألها عن الخبر وأغلظ عليها، فأجابته جواب من لم يعرف من القصة شيئا، فبينما هو فى ذلك اذ قرع الرجل الباب فقالت من هذا ؟ فقال أنا فلان، فقال لها عبد السلام زعمت أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئا، ثم اخترط سيفه فضربها حتى قتلها وقال فى ذلك

ليتني لم أكن لعطفك نلت ... والى ذلك الوصال وصلت

فالذي مني اشتملت عليه ... بالعار ما قد عليه اشتملت

قال ذو الجهل قد حلُمت ولا أعلم انى حلُمت حتى جهلت

لائم لى بجهله ولماذا ... أنا وحدى أحببت ثم قتلت

سوف آسى طول الحياة وأبكيك على مافعلتِ لاما فعلتُ

وقال فيها أيضا

لك نفس مؤاتية ... والمنايا معادية

أيها القلب لا تعد ... لهوى البيض ثانية

ليس برق يكون أخلب من برق غانية

خنتِ سرى ولم أخنك فموتى علانية

وبلغ السلطان الخبر فطلبه ، فخرج الى دمشق فأقام بها أياما ، وكتب أحمد ابن على الى أمير دمشق أن يؤمنه ويتحمل عليه باخوانه حتى يستوهبوا جنايته ، فقدم حمص، وبلغه بعدُ الخبرُ على حقيقته وصحته واستيقنه، فندم ومكث شهرا

لا يستفيق من البكاء ولا يَطْعَم من الطعام الا مايقيم رَمَقَه وقال فى ندمه على قتلها

ياطلعة طلع الحمام عليها ... وجنى لها ثمر الرَّدَى بيديها
رَوَّيت من دمها الثَّرى ولطالما ... رَوَّى الهوى شفتيَّ من شفتيها
قدبات سيفى فى مَجال وشاحها ... ومدامعى تجرى على خديها
فوحق نعليها وماوطئ الحصى ... شئ أعز على من نعليها
ما كان قتليها لأنى لم أكن ... أبكى اذا سقط الذباب عليها
لكن ضَنِنْتُ على العيون بحسنها ... وأَنفت من نظر الحسود اليها

وقال فيها

أشفقت أن يرد الزمان بغدره ... أو أبتلَى بعد الوصال بهجره
قمر أنا استخرجته من دُجْنة ... لبليتى وجلَوته من خدره
فقتلته وبه علىَّ كرامةٌ ... ملء الحشَى وله الفؤاد بأسره
عهدى به ميتا كأحسن نائم ... والحزن يسفح عبْرَتى فى نحره
لو كان يدرى الميت ماذا بعده ... بالحى حل بكى له فى قبره
غُصص تكاد تَفيض منها نفسه ... وتكاد تخرج قلبه من صدره

وقال فيها

أَساكنَ حفرة وقرار لَحْد ... مفارق خُلّة من بعد عهد
أجبنى ان قدرت على جوابى ... بحق الود كيف ظَلِلْتَ بعدى
وأين حللت بعد حلول قلبى ... وأحشائى وأضلاعى وكبدى
أما والله لو عاينت وجدى ... اذا استعبرتُ في الظلماء وحدى
وجدَّ تنفسى وعلا زفيرى ... وفاضت عبْرَتى فى صحن خدى
اذاً لعلمت انى عن قريب ... ستُحْفَر حفرتى ويُشَقّ لحدى
ويعذُلنى السفيه على بكائى ... كأنى مبتلًى بالحزن وحدى

يقول قتلتها سفَهاً وجهلا ... وتبكيها بكاء ليس يُجْدِي

كصياد الطيور له انتحاب ... عليها وهو يذبحها بجد

وقال فيها

ما لامرئ بيد الدهر الخؤون يد ... ولا على جلد الدنيا له جلد

طوبى لأحباب أقوام أصابهمُ ... من قبل أن عشقوا موت فقد سَعِدوا

وحقهم انه حق أُضنَّ به ... لا يَنفَدَنَّ لهم دمعى كما نَفِدوا

يادهر انك مَسْقِيّ بكأسهمُ ... ووارد ذلك الحوض الذى وردوا

والخلق ماضون والأيام تتبعهم ... تَفْنَى ولم يبق الا الواحد الصمد

وقال فيها

أما آن للطيف أن يأتيا ... وأن يطرُق الوطن الدانيا

وأنى لأحسب ريب الزما ... ن يتركنى جسدا باليا

سأشكر ذلك لا ناسيا ... جميل الصفاء ولا قاليا

وقد كنت أنشره ضاحكا ... فقد صرت أنشره باكيا

وقال أيضا

قل لمن كان وجهه كضياء الشـ ... ـمس فى حسنه وبدر منير

كنت زَين الأحياء اذ كنت فيهم ... ولقد صرت زين أهل القبور

بأبى أنت فى الحياة وفى المو ... ت وتحت الثرى ويوم النشور

خنتنى فى المغيب والخَوْن نُكْر ... وذميم فى سالفات الدهور

فشفانى سيفى وأسرع فى حـ ... ـزّ التَّراقى قطعا وحز النحور

ومن قوله يعزى جعفر بن على الهاشمى

تغفلُ والأيام لا تغفلُ ... ولا لنا من زمن مَوْئِل

والدهر لا يسلم من صَرْفه ... أعْصَمُ فى القُنة مستوعِل

يتخذ الشعر شعارا له ... كأنما الأفق له منزل
كأنه بين شناظيرها (١) ... بارقة تكمن أو تمثل
ولا حباب[٢] صلتان السرى ... أرقم لا يعرف ما تجهل
نضناض[٣] فيفاء يرى أنه ... بالرمل عانٍ وهو المرمل
يطلب من فاجئة معقلا ... وهو لما يطلب لا يعقل
والدهر لا يسلم من صرفه ... مسربل بالسرد مستبسل
ولا عقنباة[٤] السلامى لها ... فى كل أفق علق مهمل
فتخاء فى الجو خدارية[٥] ... كالغيم والغيم لها مثقل
آمن من كان لصرف الردى ... أنزلها من جوها منزل
والدهر لا يحجبه مانع ... يحجبه العامل والمنصل
يصغى جديداه الى حكمه ... ويفعل الدهر بما يفعل
كأنه من فرط عز به ... أشوس اذ أقبل أو أقبل[٦]
فى حب أوفى فله جحفل ... يقدمه من رأيه جحفل
بينا على ذاك اذ عرشت ... فى عرشه داهية ضئبل[٧]
ان يكن فى العز له مشقص ... ماض فقد تاح له مقتل
جاد على قبرك من ميت ... بالروح رب لك لا يبخل
وحنت المزن على قبره ... بعارض نجوته محفل
غيث ترى الارض على وبله ... تضحك الا أنه يهمل
يصلى والأرض تصلى له ... من صلوات معه تسأل
أنت أبا العباس عباسها ... اذا استطار الحدث المعضل

(١) شناظير الجبل أطرافه وحروفه (٢) الحباب الحية (٣) حية نضناض لا تستقر فى مكان واذا نهشت قتلت من ساعتها (٤) عقاب عقنباة ذو مخالب حداد (٥) خدارية العقاب لسوادها والفتخاء العقاب اللينة الجناح (٦) فى عينه قبل وهو دون الحول (٧) الضئبل بضم الباء الداهية

وأنت ينبوع أفانينها اذا هم في سنة أمحلوا

وأنت علام غيوب الثنا ء يوما اذا تسأل أو تسأل

نحن نجزيك ومنك الهدى مستخرج والنور مستقبل

نقول بالعقل وأنت الذى نأوي اليه وبه نعقل

نحن فدى لك من أمة والأرض والآخر والأول

اذا عفا عنك وأودى بها ذا الدهر فهو المحسن المجمل

ثم مات جعفر بن على فرثاه ديك الجن بقوله

على هذه كانت تدور النوائب وفى كل جمع للذهاب مذاهب

نزلنا على حكم الزمان وأمره وهل يقبل النصف الألد المشاغب

ويضحك سن المرء والقلب موجع ويرضى الفتى عن دهره وهو عاتب

ألا أيها الركبان والرد واجب قفوا حدثونا ما تقول النوادب

الى أى فتيان الندى قصد الردى وأيهم نابت حماه النوائب

فيا لأبى العباس كم رد راغب لفقدك ملهوفا وكم حب عارب

ويا لأبى العباس ان مناكبا تنوء بما حملتها لنواكب

فيا قبره جد كل قبر بجوده ففيك سماء ثرة وسحائب

فانك لو تدرى بما فيك من علا علوت وباتت فى ذراك الكواكب

أخا كنت أبكيه دما وهو نائم حذارا وتعمى مقلتى وهو غائب

فمات ولا صبرى على الأجر واقف ولا أنا فى عمر الى الله راغب

أأسعى لأحظى فيك بالأجر انه لسعى اذا منى لدى الله خائب

وما الاثم الا الصبر عنك وانما عواقب حمد أن تذم العواقب

يقولون مقدار على المرء واجب فقلت وإعوال على المرء واجب

هو القلب لما حم يوم ابن أمه وهى جانب منه وأسقم جانب

ترشفت أيامى وهن كوالح ... عليك وغالبت الردى وهو غالب
ودافعت فى صدر الزمان ونحره ... وأى يدٍ لى والزمان محارب
وقلت له خل الجواد لقومه ... وهل ندّ فاردُدْه فانا عصائب
فوالله اخلاصا من القول صادقا ... والا فحبى آل أحمد كاذب
لو أن دمى كانت شفاؤك أو دمى ... دم القلب حتى يقضب القلب قاضب
لسلمت تسليم الرضا وتخذتها ... يدا للرَّدى ما حج لله راكب
فتى كان مثل السيف من حيث جئته ... لنائبة نابتك فهو مضارب
فتى همه حمد على الدهر رابح ... وان غاب عنه ماله فهو عازب
شمائل ان يشهد فهن مشاهد ... عظام وان يرحلْ فهن كتائب
بكاك أخ لم تحوه بقرابة ... بلى ان اخوان الصفاء أقارب
وأظلمت الدنيا التى كنت جارها ... كأنك للدنيا أخ ومناسب
يبرد نيران المصائب اننى ... أرى زمنا لم يبق فيه مصائب

كان خطيب أهل حمص يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر ثلاث مرات فى خطبته ، وكان أهل حمص كلهم من اليمن ولم يكن فيهم من مضر الا ثلاثة أبيات فتعصبوا على الامام وعزلوه فقال ديك الجن

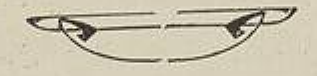
سمعوا الصلاة على النبى توالَى ... فتفرقوا شيعا وقالوا لا لا
ثم استمر على الصلاة امامهم ... فتحزبوا ورمى الرجال رجالا
يا آل حِمْصَ توقعوا من عارها ... خزيا يحل عليكمُ ووبالا
شاهت وجوهكمُ وجوها طالما ... رَغِمت معاطسها وساءت حالا

ومما غنى فيه من شعره

أنت حديثى فى النوم واليقظة ... أتعبت مما أهذِى بك الحفظة
كم واعظ فيك لى وواعظة ... لو كنت ممن تنهاه عنك عظة

ومولد ديك الجن سنة احدى وستين ومائة وعاش بضعا وسبعين سنة وتوفى فى أيام المتوكل سنة خمس أوست وثلاثين ومائتين (ابن خلكان)

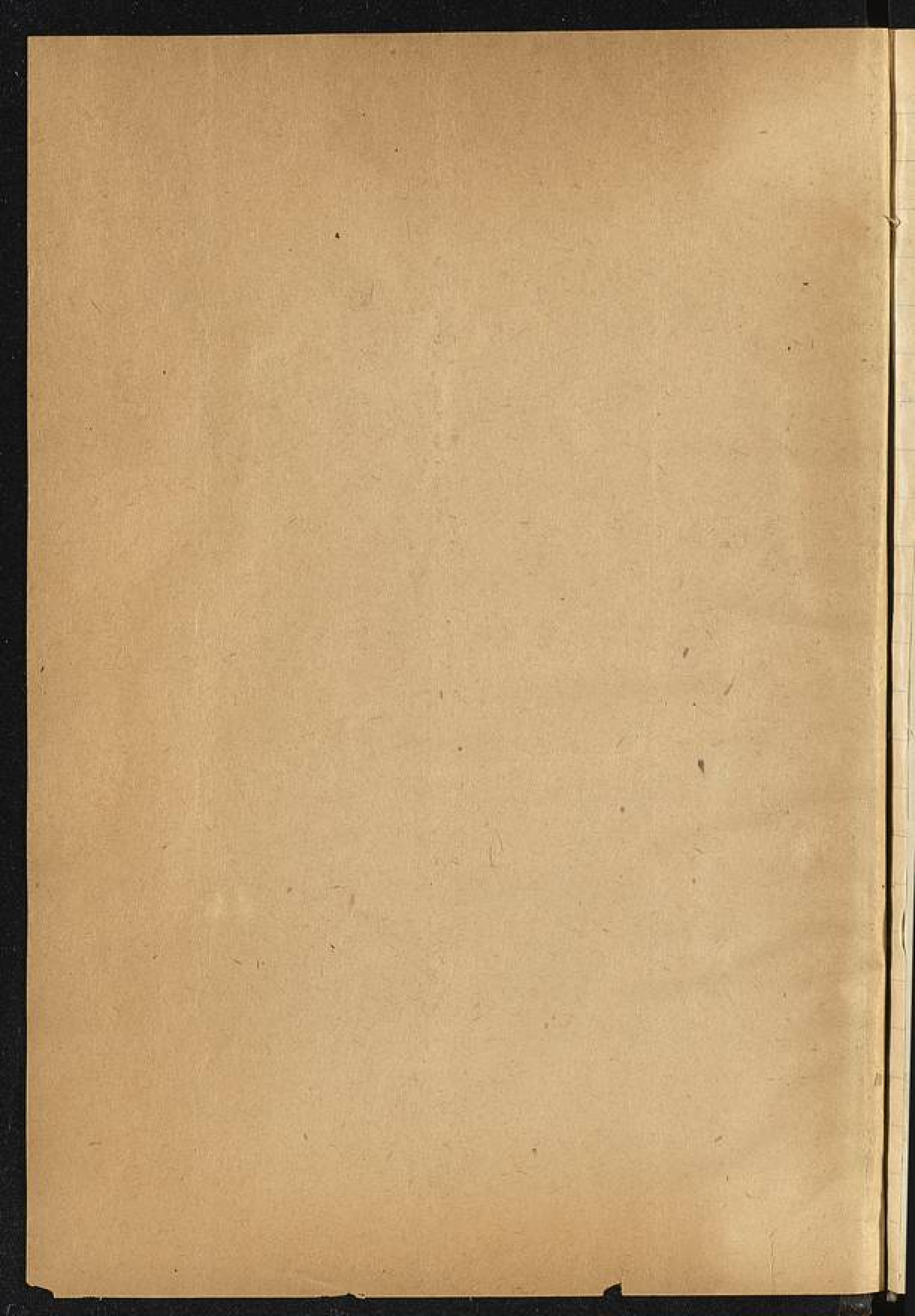
والى هنا انتهى تهذيب قسم الشعراء من كتاب الأغانى ويليه تهذيب المغنين وهو الجزء العاشر من الكتاب وهو المنتهى



فهرس

صحيفة

صحيفة







893.7Isl 033
v. 7-9

Iṣbahānī.

Muhaḍḍib al-aghānī.

